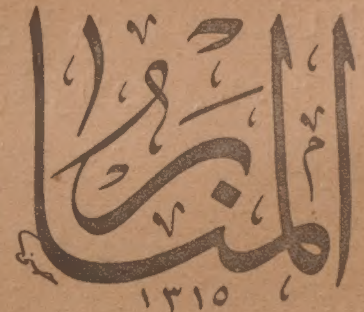
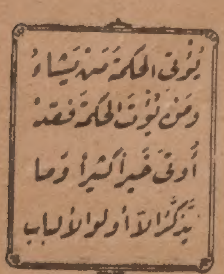

McGill University Libraries
31013895161

فهرس أبواب المجلد الخامس والعشرين

الجزء الاول ، ١ ، المجلد الخامس والعشرون

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ جمادى الآخرة ١٣٤٢ — ١٥ الدلو ١٣٠٣ هـ ش — ٥ يناير ١٩٢٤

فاتحة المجلد الخامس والعشرين



الحمد لله الواحد القهار، العزيز الجبار، الرحيم الغفار ، مقدّر الآجال والاعمار، (وكل شيء عنده بمقدار)، المحيطِ علمه بالجهات والاقطار، النافذة مشيئته في البراري والبحار، البارزة حكمته في القرى والامصار، المطردة سنته في الابرار والفجار، الفائضة نعمته على المؤمنين والكفار (وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفّار)

والصلاة والسلام على المصلح الاعظم ، والرسول الاعز الاكرم ، سيد العرب والعجم ، محمد النبي الامي معلم الكتاب والحكم ، المبعوث رحمة لجميع الامم ، وعلى آله الاطهار ، وأصحابه المصطفين الاخيار ، وعلى

من اتبع هديهم من المقربين والابرار ، وأنما الخزي والخسار ، واللعنة وعذاب النار ، على زُمر الاشرار ، الذين آثروا الشهوات الحيوانية ، والعصبيات الجنسية والوطنية ، على هذه الهداية الالهية ، المكملة للفطرة الانسانية ، والموحدة لسلائل الاسرة الآدمية ، غرورا باللذات المادية ، وجهلا بالحياة الروحية (وما خلقنا السَّماءَ والارضَ وما بينهما باطلاً ذلكَ ظَنُّ الذينَ كفروا فويلٌ للذينَ كفروا من النَّار * أمْ نجعلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ كالمُفسدينَ في الارضِ أمْ نجعلُ المتَّقينَ كالفُجّار)

أما بعد فان المنار قد أوفى بفضل الله ونعمته على الخامسة والعشرين ، فان كان ما توفاها في عدد المجلدات فقد زاد عليها في عدد السنين ، وكان حق هذه السنة ان تكون السابعة والعشرين ، لو لا ما كان من إدغام بعض السنين في بعض ، بما كان من لأْواء الحرب ، وما تلا سنيها الاربع ، فكان ألذع وأوجع ، ناهيك بما أعقبته من فساد الاخلاق ، وضيق الارزاق ، والاعراض عن العلم والادب ، ورواج اللهو واللعب ، وكساد المجلات والكتب ، على ما سبق ذلك من جور السلطان ، وكلب الزمان ، وعدم الاعوان ، وضعف الوفاء ، والتهاون في الاقتضاء ، على قلة المال ، وكثرة العيال

هذا وان الخامسة والعشرين هي السن التي تكمل بها بنية الانسان ، وتتم قوى الابدان ، ولكن لم يكد يبلغ المنار سن الشباب ، الا وكان منشئه قد شاخ وشاب ، ونحمد الله ان كان وقع الشوائب الذي شيب الرأس ، لم يشيب العزم والبأس ، ولم يَشُبْ الهمة بشائبة من اليأس ، على ان أسبابه من جهة الناس اكثر ، وبما يوسوس به الخناس اكبر ، وإنما الايمان واليأس ضدان لا يجتمعان ، والتجارب والوهن خصمان لا يتفقان ،

فقد ثبت المنار على دعوته، التي وضعناها له في أول نشأته، فكلما وسوس الي شيطان اليأس: ألم تر الى سوء حال المسلمين، وتسللهم أفرادا وجماعات من هداية الدين ، وجمود علمائهم ، وخمود زعمائهم ، وفساد امرائهم ، وشح اغنيائهم ، وضعف صلحائهم ، وغباوة دهمائهم ، وموت هممهم ، وتفرق جماعاتهم، وتعدد جنسياتهم، وعدم الرجاء في صلاح أمرهم، وشد ازرهم؟ — صاحت به آيات القرآن، وما يشهد لها من عبر الزمان، وتكاثر الاخوان، فنكص على عقبيه ، وخنس يضرب أصدريه،

ما اعتنّ لي يأس يناجي همتي ... الا تحدّاه رجاء فاكتمى

وقد تذكرت الآن أن أجعل ذكرى الاصلاح في هذه الفاتحة شيئا من شعري في اوائل عهد الرشد، وشعوري عند الاستواء وبلوغ الاشد، وأحمد الله تعالى أني شببت على حب الاصلاح والتفكر فيه ، وشبت على الدعوة الى مناهجه ومناحيه ، وذلك قولي في (المقصورة الرشيدية) التي عارضتُ بها (المقصورة الدريدية) :

كم ليلةٍ أبيتها مفكرا ... ينفي ليَ السهدُ ويُخلف الكرى
أطوي جناحيَّ على جمر الغضى ... أُرضكُ عينيَّ على الماء الرّوى (١)
خلتهما ركيّتين (٢) كلما ... نزحتُ هذا الماء فاض وطغى
وكلّ جفن ماتحا فكلما ... أهوى بشبه الغمض يملأ الدلا (٣)
تلك ليال خنت عهد الصبر في ... حندسها وكنت أوفى من وفى
إذ خانني العزم الذي بلوته ... في مبهم الخطب فما قط نبا

(١) يقال أرضك فلان عينيه اذا أغمضهما وفتحهما المرة بعد المرة (٢) مثنى ركية بوزن قضية وهي البئر (٣) الماتح المستسقي يخرج الدلو من البئر والدلاء جمع دلو

لو انما أبكي لمحبوب جفا … أو مال أغتيل وذي قربى قضى

وأعوزَ الصبرُ فقيل جازع … أشبه ربات الحجال في البكا

لناعي القول بصدقه وقد … يُقصِد من يصدق إذ قيل رمى [4]

لكنما أبكي لمجد أمة … ثلّت عروشه [5] وحلت العُرى

ووطن ذل فأمسى حوضه … (مدعثر الاعضاد مهدوم الجبى) [6]

وملة حكيمة رحيمة … قد تركت للجهل كالشيء اللقى [7]

وقال فيها الاخسرون إنها … علة هذا الانحطاط والشقا

فكيف كانت علة السعادة الـ … ـتي مضت لنا وذاك الارتقا

(بها) أصبنا الملك والحكمة والـ … ـعلم (بها) فما عدا مما بدا [8]

ألم توحد أمما تفرقت … واختلفت في الاعتقاد واللغى

فكيف عدتم وأنتم أخوة … لما تركتم هديها من العدى

أما بدت في أمة أمية … فجعلتهمو أئمة الورى

في كل علم للعقول يقتني … وعمل في الكائنات يقتفى

فكيف صرتم بترك هديها … اجهل من دب عليها ومشى

قصر لضرورة الوزن (٤) يقصد بضم الياء : يصيب المرمى (٥) أي عروش المجد (٦) المدعثر المهدوم اسم مفعول والاعضاد ما حول شفير البئر من البناء كالصفائح وغيرها ومثله مهدوم الجبى وهي جمع جبوة ما يحيط بالبئر من البناء كالثوب الذي يحتبي به الانسان والشطر لابن دريد (٧) اللقى بالفتح ما يلقى و يطرح لهوانه وعدم الحاجة اليه (٨) بها الثانية توكيد للاولى التي تفيد الحصر بتقدمها على الفعل . وجملة « فما عدا مما بدا» من كلام علي « عم » ومعناها هنا : فما الذي صرف هذه الملة عن مثل ما كان لها من التأثير مما بدا وظهر بعد ذلك ؟ وهو رد على زعم متفرنجة العصر المرتدين أن الاسلام عائق عن العمران والعزة والقوة والثروة

ألم يكن أسلافكم بعدلها قد فتحوا الامصار قبلُ والقرى
وعمروها فغدت بفضلهم تفضل في الوجود كل ما عدا (١)
زراعةً صناعة تجارة علما وحكمة وعدلا وعُلى
فلِمْ أضعتم جُلّ ما تأثلوا وأصبح الباقي لكم على شفا

* * *

شريعةُ القرآن دانٍ وِردها الـ عذب وتهلكون من فرط الصدى
فان أباها الحاكمون عن عمى وصد عنها الجامدون عن هوى
فربما أيدها على هدى كل صحيح الفكر من أولي النهى
وان يكن قد عقها أبناؤها وعاد من كان صديقا في العدى
فارجع الى تاريخ خير أمة قد أخرجت للناس وابعث الأسى
يُريك عصرُ الراشدين المثلَ الأعلى لكُنْهِ العدل زانه الهدى
والمجدَ والزينة والقوة في الد ين حوى قصرُ الرشيد ووعى
وجنةُ الزهراء (٢) في أندلس حيث الامامُ الحكم العدل ثوى
والجمع ما بين علوم النقل والـ عقل الى المأمون عهده انتهى
أحيا ببغداد فنونا دَرست إذ كان عُمرانُ ذويها قد عفا
والجامعُ الاعظم في قرطبة جامعة العلوم في ذاك الرجا (٣)
أفاض نور شمسها في أُفق طال عليه ليل جهل قد غسا (٤)
كان يعادي الدينُ فيه العلمَ بل يسوم أهله العذاب والاذى
فكم عليم صَليَ النار وكم متهم بالعلم تفريه المُدى (٥)

«١» اي ما عداها «٢» معطوف على قصر الرشيد «٣» الجانب وهو الاندلس «٤» أظلم «٥» البيتان اشارة لما كانت أنشأته الحكومة البابوية في اسبانية من المحكمة

واذكر على ذكر العلوم زمانا ... ومصر والشام وسر من رأى (١)
وكل قطر ساسه خلائف ... عُرْبٌ بما أوحاه شرع المصطفى
هم الذين عمروا الارض وبا ... لعدل مع الرحمة قد ساسوا الورى
فعاد الشمال منهم قبس النـ ... ـور وعنهم العلوم قد روى
وسار كل فاتح مستمر ... وراءهم فلم يقف دون المدى
ولو أقاموه (٢) ولم يبتدعوا ... لدام ملكهم واصلح الدنى
وأسرعت ما أمية ابتـ ... ـزت إمامة الرشد فأنزت من نزا (٣)
وجعلوها دولة موروثة ... وعرضة لغصب ارباب القوى
فعاث فيها العجم مذ تفرقت ... فيها قريش فغدت أيدي سبا (٤)
وانقطع النظام جامعا بهم ... فانتثر العقد وشُقّت العصا
فبعث الله على بلادهم ... من استذل واستباح ولحا (٥)

المعروفة بمحكمة التفتيش للعقاب على الاشتغال بالعلوم العقلية والكونية بالقتل والاحراق بالنار «١» هي «سامراء» مدينة المعتصم العباسي «٢» الضمير لشرع المصطفى «٣» أي لكن ما كان أسرع بني أمية الى ازالة خلافة الراشدين الشورية فوثبوا على اغتصابها وأنزوا عليها غلمانهم الفساق والنزوان الوثبان الى فوق وفيه اشارة الى رؤيا احد أئمة اهل البيت انه رآهم ينزون على منبر جده عليه وعليهم السلام «٤» اى تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده كأهل سبا من قدماء اليمن وايديهم قواتهم «٥» أي من استذل خلفاءهم وكبراءهم واستباح اموالهم واعراضهم، وخرب عمرانهم يقال لحا الشجرة لحوا ولحيا والتحاها اذا أزال قشرتها و يستعار لاشد الارهاق والتخريب، وفيه اشارة الى حديث «يامعشر قريش انتم أهل هذا الامر مالم تحدثوا فاذا غيرتم بعث الله عليكم من يلحاكم كما يلحى القضيب» رواه احمد وأبو يعلى بسند رجاله ثقات وفي آخر «فاذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شرار خلقه فالتحوكم كما يلتحى القضيب» وحديث «أول من يسلب امتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء» واورده الحافظ في الفتح بلفظ «ان بني قنطوراء أول من يسلب امتي ملكهم» قال وهو حديث اخرجه الطبراني من حديث معاوية والمراد ببني قنطوراء الترك. ثم قال

الترك والتتار فى الشرق وفي ... اندلس أبيد من ثمّ ثوى (١)

وصدق الرسولُ في انذارهم ... وان تمارى فيه قوم وامترى

واعتزّ بالاسلام بعدُ من عثا ... فورث الارض به اذ اعتزى

وامتدّ ملك آل عثمان به ... ثم تزوّى آرزا حيث أتى (٢)

ألا ترى اوطانهم تنقص من ... أطرافها ألا ترى ألا ترى

ما السأوُ الا برجاله فان ... عزّ او الا ساء حالا وكصا (٣)

فكيف حال وطن أبناؤه ... ما فتئوا أنقى من صعب الكدى (٤)

قد عضد العاضد منهم دوحه ... وخضد الشوكة والعود التحى (٥)

وغادر الارض به موظوبة ... وغمره الفرات ضحضاحا جوى (٦)

وُلّيَ أمره امام جائر ... قد استبد بالامور واعتدى (٧)

اذ استخف قومه فاصبحوا ... أطوعَ من ظل الحذاء يحتذى

يليه فى الظلم ولاة أبصروا ... بروقه ترجى لريٍّ وحيا

وسمعوا رعوده تنذر من ... خلف أمره صواعق الردى

ـ وكانه يريد بقوله امتي امة النسب لا امة الدعوة ، يعني العرب اه وفي معناه ماروواه عنه ابو يعلى مرفوعا « إن الترك تجلي العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح » وقد فعلت فلم يبق الترك استقلالا للعرب حتى زاحموا في عقر جزيرتها حيث ينبت الشيح «١» الترك بدل او عطف بيان لمن استذل الخ

«٢» تزوى تقلص وتقبض ـ آرزا : منكمشا راجعا الى وطنه «٣» السأو الوطن ـ وكصا : خس بعد رفعة «٤» الكدى جمع كدية « كغرف جمع غرفة » وهى الارض أو الصخرة الغليظة الصلبة «٥» العاضد لك من اعانك وعضد الشجرة قطعها والدوح الشجر العظيم جمع دوحة بالفتح . وخضد الشوكة قطعها والتحى العود قشره «٦» موظوبة : واظبت الماشية رعيها حتى لم يبق بها نبات . والغمر الماء الكثير والفرات العذب ضد الضحضاح . وجوى (كهوى) مصدر جوي (كرضي) الماء : انتن «٧» هو السلطان عبد الحميد آخر سلاطين بني عثمان وقد كان من خلفه من الجماعات شرا منه واضر

فآثروا ماعنده حتى على الا وطان والرحمن جلا وعلا

وجعلوا مال العباد دُولة ... فدالت الدولة منهم للعدى

من نال منهم حاجة لكرْشه ... وفرشه قال على الدنيا العفا

يريك عزة الامين فاذا ... لاح له المال استكان وضغا (١)

والوطن الذي امتروا أُخلافه ... اوشك ان يقضي وربما قضى (٢)

وكيف لا يُسحته الله وهم ... للسُّحت أُكالون فيه والرُّشا (٣)

قد بشِمت بطونهم فاصبحوا ... يشكون سوء الهضم منها والطَّسي (٤)

ومشبعوها يشتكون سَغَبا ... قداكلوا العلهز من طول الطَّوى (٥)

فاصبحوا في شظف وضعة ... ألانت القنا واضوت البِنى (٦)

وعالم مبتدع منافق ... لقد أُضل قومه وما هدى

لا يأمر الحكام بالعُرف ولا ... ينهى عن المنكر فيهم فشا

وليس يوصي الناس بالحق ولا الصـ ... ـبر سوى على المكوس والاذى

ومرشد غير رشيد دأبه ... عزو الخرافات لارباب الوَلا

والرجم بالغيوب مسندا الى ... اضغاث أحلام ومكذوب رُؤى

أولئكم سادتنا الذين قد ... أضلوا السبيل كل من قرا

فنسأله تعالى ان ينقذ هذه الامة من اغواء هؤلاء الرؤساء الضالين، ويعيد اليها سلطانها بعز الدنيا وهداية الدين، ويجعلنا فيها من الهداة المهتدين، آمين

محمد رشيد رضا الحسيني الحسني

«١» ضغا: تذلل للخيانة «٢» امتروا اخلافه حلبوا ضروعه «٣» أسحتهم الله اهلكهم واستأصلهم والسحت الحرام الخسيس «٤» الطسي بالفتح مصدر طسي «كرضي» التخمة من كثرة اكل الدسم . وجاء بالواو وبالهمز «٥» السغب بالتحريك الجوع كالطوى والعلهز بكسر العين والهاء احقر ما يؤكل كالقراد «٦» اي فاصبحوا في ضيق عيش ومهانة نفس اخضعتهم واهزلت اجسامهم

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء التاسع

(٨٧) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: لَنُخْرِجَنَّكَ يٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا، قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا، وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا، عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا. رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ

هذه الآيات ومابعدها تتمة قصة شعيب عليه السلام. مبدوءة بجواب قومه له عما أمرهم به من البر ونهاهم عنه من المنكرات والآثام، وأنذرهم إياه من الانتقام، بقوله (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا) ورد بأسلوب الاستئناف البياني كامثاله من مراجعة الكلام، وتولاه الملأ منهم اي كبراء رجالهم من اهل الوجاهة والرواء فيهم كدأب الجماعات والاقوام، وهو:

﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ﴾ أي قال اشراف قومه وأكابرهم الذين

استكبروا عن الايمان له وعتوا عما أمرهم به ونهاهم عنه اتباعا لاهوائهم — وقد استضعفوه — نقسم لنخرجنك يا شعيب انت والذين آمنوا معك من قريتنا الجامعة او من بلادنا كلها — فلفظ القرية والبلد يطلق أحيانا على القطر أو المملكة — او لتعودن وترجعن الى ملتنا وما ندين به من تقاليدنا الموروثة عن آبائنا ، فتكونون ملة لكم ومحيطة بكم مثلنا . اي نقسم ليكونن احد هذين الامرين: إخراجكم اوعودتكم في الملة. فاختاروا لانفسكم، قيل ان التعبير بالعود يقتضي انهم كانوا على ملتهم ثم خرجوا منها وهو يصدق بالمجموع فلا ينافي القول بعصمة الانبياء من الكفر حتى قبل النبوة ، على ان شعيبا عليه السلام لم يكن قبل النبوة على ملة اخرى غير ملة قومه فيمنعهم ذلك عن التعبير في شأنه بالعودة ، وكونه لم يشاركهم في شركهم ولا في بخس الناس اشياءهم وهضم حقوقهم امر سلبي لا يلتفت اليه جمهورهم ، ولا يعدونه به خارجا عنهم، وقال الراغب : العود الرجوع الى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصرافا بالذات أو بالقول والعزيمة اه ومنه ذمه والدعوة الى غيره ولا يقتضي سبق الكون فيه ولا عدمه وهو يتعدى باللام والى وفي ومنه (١٧:٦٩ أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى) يعني البحر اذ الخطاب قبله لمن مسهم الضر فيه وليس فيه من معنى الظرفية ما في قوله (٢٠:٥٤ منها خلقناكم وفيها نعيدكم) يعني الارض، فلا حاجة الى تصحيح التعبير بما قيل من تفسير العود بالمصير ، وفيه من التكلف ما ليس في القول بالتغليب، ولا سيما في جوابه عليه السلام

﴿ قال اولو كنا كارهين ﴾ يعني العود في ملتكم على كل حال من الاحوال حتى حال الكراهة لها الناشئة عن اعتقاد بطلانها وقبحها وما يترتب عليها من الفساد في الدنيا والعذاب في الآخرة ؟ فالاستفهام للانكار و«لو» للغاية ، أو أتأمروننا ان نعود فيها وتهددوننا بالنفي من وطننا والاخراج من ديارنا إن لم نفعل؟ ولو كنا كارهين لكل من الامرين — على الأصل فيما يحذف متعلقه، وهو ان يتناول كل ما يصلح له، فالاستفهام للتعجب من صنيعهم واستنكار طلبهم ورفضه بدون مبالاة ، ووجه كل من الانكار والتعجب جهل هؤلاء الملأ بكنه الدين والملة، وكونه عقيدة يدان الله بها، وأعمالا يتقرب اليه بأدائها وان كان غنيا عنها، وانما شرعها لتكميل الفطرة البشرية بالتزامها — وجهلهم بكون

حب الوطن، وإلف السكن، لا يبلغ هذه المنزلة. ولجهلهم هذا ظنوا ان شعيباً عليه السلام قد يؤثر هو ومن آمن معه التمتع بالاقامة في وطنه ومجاراة اهله في كفرهم ورذائلهم على مرضاة الله تعالى بالتوحيد المطهر للنفس من ادران الخرافات، وبالفضائل المرقية للنفس في معارج الكمال: ذلك بأن الملة عند اولئك الملأ الخاسرين رابطة تقليدية، وعصبية قومية، يجري اصحابها فيها على قول الشاعر:

وهل انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وملة الرسل عليهم السلام ليست كذلك بل هي دين مالك للنفس، حاكم على الوجدان والعقل، يقصد به الكمال البشري الاعلى بمعرفة الله تعالى والقرب منه، وما يتبع ذلك من صلاح الدنيا وسعادة الآخرة، فان تمكن صاحبه من إقامته في وطنه واصلاح اهله به فهم احق به بدءاً ودواما، وان منع فيه حريته ففتن في دينه كان تركه واجبا، فان لم يخرج منه شعيب ومن آمن معه إخراجا وهم كارهون كما اخرج خاتم النبيين مع السابقين الاولين الى الاسلام، خرجوا مهاجرين كما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام، (٢٩: ٢٥ وقال اني مهاجر الى ربي إنه هو هو العزيز الحكيم) وقد اوجب الله تعالى الهجرة على من يستضعف في ارض وطنه فيمنع من إقامة دينه فيها، ويوجب المتعصبون للاوطان في هذا العصر الهجرة منها اذا منعوا حريتهم الشخصية فيما هو دون الدين والوجدان، بل يعز على بعضهم ان يقيم في وطنه اذا منع فيه حرية الفسق والآثام، وكم من اناس عز عليهم ترك وطنهم، فآثروا البقاء فيه مفتونين في دينهم، فأظهروا الكفر ليأمنوا على حياتهم، وظلوا يسرون المحافظة على الاسلام في خاصة انفسهم، ولكنهم لم يتمكنوا من تلقينه لاولادهم وتربيتهم عليه فارتدت ذريتهم عنه في زمنهم او من بعدهم، كما وقع لبعض مسلمي الاندلس بعد ثل الاسبانيين لعرش دولتهم العربية وإكراههم على التنصر او الخروج من البلاد فخرج بعض وبقي آخرون تحت وعيد قوله تعالى (٤: ٩٦ ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض — قالوا: ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً (٩٧) الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا (٩٨) فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً)

وقد قدر بعض المفسرين الفعل المحذوف من الجملة ومتعلق الكراهة هكذا : قال أتخرجوننا من وطننا بغير ذنب يقتضي الاخراج ولو كنا كارهين لمفارقته حريصين على الاقامة فيه؟ وهو تخصيص لا وجه له، فاللفظ يقتضي تقدير كراهة كل من الامرين لحذف متعلق الكراهة والمقام يجوز تخصيصه بالعود في ملتهم لانه الاهم عند الانبياء ، والمناسب لبقية جوابه عليه السلام :

﴿ قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ﴾

هذا بيان مستأنف لبيان أهم الامرين وأولاهما بالرفض والكراهة وهو انشاء في لفظ الخبر فاما أن يكون تأكيداً قسميا لرفض دعوة الملأ إياهم الى العود في ملتهم كما يقول القائل: برئت من الذمة أو من ديني أو من رحمة الله تعالى ان فعلت كذا. فيكون مقابلة لقسمهم بقسم أعرق منه في التوكيد — وإما أن يكون تعجباً خرج لا على مقتضى الظاهر وأكد بقد والفعل الماضي، والمعنى ما أعظم افتراءنا على الله تعالى ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهدانا الصراط المستقيم ، بالحنيفية ملة ابراهيم، واذا كان من يتبع ملتكم يعد مفترياً على الله تعالى بقوله عليه ما لا يعلم بهداية من الوحي ، ولا برهان من العقل؟ فكيف يكون حال من افترى عليه وضل عن صراطه على علم؟ وان كفر الجحود وهو انكار الحق وغمطه بعد العلم به هو شر أنواع الكفر ، والافتراء على الله تعالى فيه أعظم ضروب الافتراء التي لا يقبل فيها أدنى عذر؟

وأنت ترى أن التنجية أدل من العود على إثبات أنهم كانوا على ملة قومهم حقيقة . وقد علمت ان المفسرين يجعلونه تغليبا لاستثنائه عليه السلام » ونقول بناء على ماقررناه من أن عدهم إياه من أهل ملتهم لا يقتضي أنه كان يعبد ما يعبدون، ويفعل من التطفيف وبخس الناس أشياءهم ماكانوا يفعلون،: إنه يصح أن يشمله إنجاء الله تعالى إياه منها بمعنى انجائه من الانتماء الى ملة ما كان يؤمن بعقيدتها ، ولا يعمل عمل أهلها ، ولا كان يهتدي بعقله ورأيه الى ملة خير منها ، فكان موقفه موقف الحيرة في شأنها ، كما يؤخذ من قوله تعالى في خطاب النبي الخاتم الاعظم ؛ صلى الله عليه وسلم (ووجدك ضالا فهدى) وتفسيره بقوله (ولقد أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا) الآية

﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا ﴾ هذا رفض آخر للعود في ملتهم مؤكد ابلغ التأكيد معطوف على مناسبه ، والتعبير يدل على نفي الشأن ، وهو أبلغ من نفي الفعل ، لانه نفي له بالدليل وهو كونه غير مستطاع ، ولا جار على سنن الله في الاجتماع . والمعنى ليس من شأننا أن نعود فيها في حال من الاحوال الا حال مشيئة الله ربنا ، المتصرف في جميع شؤوننا ، فهو وحده القادر على ذلك لا يقدر عليه غيره لا أنتم ولا نحن أيضا، لانناموقنون بأن ملتكم باطلة ضارة مفسدة، وملتناهي الحق، التي بهاصلاح الناس وعمران الارض، والموقن لايستطيع إزالة يقينه ولا تغييره، وانما ذلك بيد مقلب القلوب سبحانه ورهن مشيئته ﴿ وسع ربنا كل شيء علماً ﴾ فعنده من العلم بأسباب الايمان والكفر والهدى والضلال والصلاح والفساد ماليس عندكم ولا عندأحدمن الخلق ،ومشيئته تجري بحسب علمه وحكمته في خلقه. ومما كان يعلمه عليه السلام من حكمته تعالى وسننه في خلقه أنه يقيم حجته بأهل الحق على أهل الباطل وينصرهم عليهم بالقول والفعل ماداموا ناصرين له وقائمين بما هداهم اليه منه، فكأنه يقول لهم : اذا كان الامر كذلك فلا تطمعوا اذاً أن يشاء ربنا الحفي بنا عودتنا في ملتكم بعداذنجانا بفضله منهاوأقام الحجة عليكم بنا، وماكان تعالى ليدحض حجته ، ويبطل سنته

فهذا الاستثناء مؤيس للملأ من قوم شعيب من عودته عليه السلام مع من آمن معه في ملتهم ، لانه بعد أن نفى وقوع العود منهم باختيارهم نفيا مؤكداً بأنه ليس من شأنهم ولا مما يجيء من قبلهم في حال ما من الاحوال التي تطرأ عليهم كالترغيب والترهيب والرجاء في المنافع والخوف من المضار، ومنها الاخراج من الديار، استثنى حالا واحدة وهي مشيئة الله تعالى وحده، فدل على عموم النفي فيماعدا المستثنى وقد يستعمل لتوكيده من غير ملاحظة لمتعلق المشيئة هل هو ممكن يجوز أن يقع أم لا، كقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله) وهوالوجه الذي اختاره شيخنا رحمه الله تعالى. ولايخل بتوكيدعموم النفي جواز تعلق المشيئة بالمنفي في كلام شعيب عليه السلام والقرائن اللفظية والمعنوية تدل على عدم وقوع هذا الجائز وهوانه تعالى لايشاء عودته مع من آمن معه في ملة قومهم. فهو قدقرر أن هذا شيء لا يقدرعليه الا الله تعالى فطلبه من غيره عبث ،

يؤكده ذكر الرب مضافا الى ضمير المتكلم ومن معه فأفاد بدلالة الالتزام او الاقتضاء أنه لايشاء لهم الاماعودهم بحسن تربيته اياهم ولطفه وعنايته بهم، اذ أنجاهم من تلك الملة الباطلة، وهو تأييد عصمة رسولهم وحفظ جماعتهم من العود فيها ، فكان هذا بمعنى قول عبد أمين أراد أن يغويه بعض المغوين ويغريه بخيانة سيده الحفي به وصرف بعض ماله فيما يضره هو ويفسد عليه نفسه : ليس هذا من شأني ولا مما يدخل في تصرفي الا أن يشاء سيدي الصالح المصلح المعتني بشأني ، وهو اعلم مني بأمري . فالتعبير ليس مسوقا لتقرير حجة الاشاعرة على جواز مشيئة الله لكفرهم بالفعل، ولا حجة المعتزلة على وجوب رعاية الصلاح والاصلح لهم ولغيرهم بالعقل، ولكنه يدل بطريق الالتزام على ما ذكرنا من عناية الرب سبحانه وتعالى برسله وأتباعهم المستقيمين على دينهم، ومضي سنته ووعده بتأييدهم، المصرح به في آيات أخرى كقوله تعالى (إنا لننصر رسلنا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقوله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وان جندنا لهم الغالبون) فهو لن يشاء كفرهم بالفعل ، بل يختار لهم الاصلح بحكمته وفضله لا بايجاب العقل .

وقد روى ابن جرير وغيره عن السدي انه قال في الآية : وما كان ينبغي لنا ان نعود في شرككم بعد اذ نجانا الله الا أن يشاء الله ربنا والله لا يشاء الشرك ولكن يقول الا أن يكون الله قد علم شيئا فانه وسع كل شيء علما اه ولعله يريد أنه لايشاء ذلك لانه مخالف لسننه الحكيمة وفضله العظيم على رسله ومن آمن بهم وان كان لا يقع من اهل الشقاء بسوء اختيارهم الا بارادته ومقتضى سننه ، وسننه في الفريقين مختلفة كما شرحناه مرارا

وقد سبق مثل هذا الاستثناء في سورة الانعام ، حكاية عن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، اذ قال لقومه (٦ : ٨١ ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون) وقد اخترنا هنالك أنه استثناء من عموم الاوقات وأنه منقطع معناه : لكن ان شاء ربي ان يصيبني في وقت من الاوقات مكروه من قبل ما تشركون به كوقوع صنم علي يشجني ، فانه يقع بقدرته تنفيذاً لمشيئته ، لا بقدرة شركائكم ولا بمشيئتهم لانهم لا قدرة لهم ولا مشيئة ، ثم علل ذلك بمثل ما علله به بعده شعيب

عليهما الصلاة والسلام وعلى نبينا وآله فقال : (وسع ربي كل شيء علماً) أي ومعبوداتكم لا تعلم شيئاً ، الخ واخترنا هنا جعل الاستثناء من أعم الاحوال لا الاوقات وان جاز الجمع بينهما ، لأن لوقت لا شأن له هنا ، على ان عموم الاحوال يستلزم عموم الاوقات

ثم أكد عليه السلام ذلك كله بقوله ﴿ على الله توكلنا ﴾ أي اليه وحده وكلنا أمرنا، مع قيامنا بكل ما أوجبه علينا من المحافظة على الدين الذي شرعه لنا، فهو يكفينا أمر تهديدكم، وكل مالم يجعله في استطاعتنا من جهادكم . وذلك أن من أصول المعرفة بالله عز وجل التي يعرفها جميع رسله أن من توكل عليه كفاه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وان من شروط التوكل الصحيح في الامر القيام بكل ما أوجبه الله تعالى فيه من الاحكام الشرعية ، ومراعاة ما اقتضته حكمته فيه من الاسباب والسنن الكونية والاجتماعية . فمن يترك العمل بالاسباب فهو جاهل مغرور ، لامتوكل منصور ولا مأجور، وفي الحديث «اعقلها وتوكل» رواه الترمذي وقال تعالى لرسوله بعد امره بمشاورة اصحابه في غزوة احد (فاذا عزمت فتوكل على الله) وانما يكون العزم بعد الاخذ بالاسباب ومنها مظاهرته (ص) يومئذ بلبس درعين . وقد بينا ذلك مفصلا في مواضع من هذا التفسير (١)

والخلاصة انه عليه السلام بدأ جوابه للملأ من قومه بالتعجب من تهديدهم وانذارهم ، واقامة الادلة الدينية والعقلية على امتناع عودهم الى ملة الكفر باختيارهم في عدم استطاعة أحد على اجبارهم عليه غير الله تعالى الفعال لما يريد ، والاستدلال على أن هذا مما لا يريده — وثنى ببيان توكلهم على الله تعالى الذي يكفي من توكل عليه ما أهمه وهو فوق كسبه واختياره، فتجتمع له العناية الكسبية والوهبية — ثم ثلث بالدعاء الذي لا يكون شرعيا مرجو الاجابة الا بعد القيام بما في الطاقة من العمل الكسبي، والتوكل القلبي ، فقال

﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ المعنى لمادة (الفتح) كما حققه الراغب إزالة الاغلاق والاشكال ، وهو ضربان (أحدهما) ما يدرك بالبصر كفتح العين والقفل والغلق والمتاع من صندوق وغرارة

(١) راجع كلمة التوكل في فهارس أجزائه ومن أوسعها ما في ص٢٠٧—٢١٤ج٤

وخرج وعلبة و (الثاني) هو ما يدرك بالبصيرة كفتح أبواب الرزق، والمغلق من مسائل العلم، والمبهم من قضايا الحكم، والنصر في وقائع الحرب، وفي آيات القرآن استعمالات من الضربين كليهما، ولك ان تقسمه الى حسي ومعنوي - ومن الاول الفتح الذي يكون بالكلام كحكم القاضي وفتح المأموم على الامام في الصلاة وهو أن يقرأ الآية التى أخطأ فيها أو وقف عن القراءة ناسياً لما بقي منها - والى حقيقي ومجازي ومن مجاز الاساس: فتح على فلان اذاجُد وأقبلت عليه الدنيا، وفتح الله عليه — نصره .. وفتح الحاكم بينهم، وما أحسن فُتاحته أي حكمه، قال

ألا أبلغ بني وهب رسولا بأني عن فتاحتهم غنيّ

وبينهم فتاحات أي خصومات . وفلان ولي الفتاحة بالكسر وهي ولاية القضاء، وفاتحه حاكمه. وعن ابن عباس: ماكنت ادري ما قوله تعالى (ربنا افتح بيننا وبين قومنا) حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها : تعال أفاتحك وقالت اعرابية لزوجها بيني وبينك الفتاح اه وأثر ابن عباس اخرجه قدماء التفسير المأثور وابن الانباري في الوقف والابتداء والبيهقي في الاسماء والصفات وفسر المفاتحة فيه بالمقاضاة . وهو يدل على انها لغة ليست قرشية بهذا المعنى ويؤيد ما روي عن السدي من انها يمانية وخصها بعضهم بالحميرية وذو يزن من اسمائهم. والمناسب ان كل فتح بين فريقين فهو بمعنى الحكم والفصل بينهما إما بالقول والفعل او بأحدهما ومنه النصر، ومن الآيات فيه (٣٤: ٢٦ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) ومنها حكاية عن نوح عليه السلام (٢٦: فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين) وهذا عين مراد شعيب عليه السلام في دعائه الملاقي لانذاره قبله بقوله (حتى يحكم الله) الخ

والمعنى : ربنا احكم وافصل بيننا وبين قومنا بالحق الذي مضت به سنتك في التنازع بين المرسلين والكافرين، وبين سائر المحقين المصلحين ، والمبطلين المفسدين فى الارض، وأنت خير الحاكمين لاحاطة علمك بما يقع به التخاصم وتنزهك عن الظلم ، واتباع الهوى في الحكم

---

(٨٩) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا

إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا، الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ

لما يئس الملا من قوم شعيب من عودته في ملتهم، وعلموا انه ثابت على مقارعتهم، خافوا ان يكثر المهتدون به من قومهم، فحذروهم ذلك بما حكاه الله تعالى عنهم بقوله :

﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً انكم اذاً لخاسرون ﴾ هذا عطف على (قال الملأ الذين استكبروا) وليس جوابا لشعيب عليه السلام ولا داخلا في هذه المراجعة بينهم وبينه اذ لو كان كذلك لفصل ولم يعطف، بل ذلك ما قالوه له والمناسب فيه وصفهم بالاستكبار عليه الذي حرأهم على تهديده وإنذاره الاخراج من قريتهم المشعر بأنهم هم اصحاب السلطان فيها، وهذا ما قالوه لقومهم اغواء لهم بصدهم عن الايمان له، والاخذ بما جاء به، والمناسب فيه وصفهم بالكفر، فهو الحامل لهم عليه، سواء كان سببه الاستكبار عن اتباعه أو غيره، بل لو علم أولو الرأي من قومهم أن سبب صدهم عنه هو الاستكبار والعتو لما أطاعوهم، ولذلك عللوا لهم صدهم عنه بما يوهمهم أنه هو المصلحة لهم اذ قالوا لهم بصيغة القسم لئن اتبعتم شعيبا انكم في هذه الحالة لخاسرون، وحذف متعلق الخسار ليعم كل ما يصلح له . أي خاسرون لشرفكم ومجدكم، بايثار ملته على ملة آبائكم وأجدادكم، ومناط عزكم وفخركم، واعترافكم بأنهم كانوا كافرين ضالين وانهم معذبون عند الله تعالى - وخاسرون لثروتكم وربحكم من الناس بما حذقتموه من تطفيف الكيل والميزان وبخس الغرباء أشياءهم لابتزاز اموالهم، وأي خسارة أكبر من خسارة الشرف والثروة ؟ ومعلوم أن اللام في قولهم «لئن» موطئة للقسم وهي أقوى مؤكد للكلام والجملة الاسمية وتصديرها بإن وقرن خبرها باللام وتوسيط « اذاً » التي هي جواب وجزاء بين طرفيها - كل ذلك من المؤكدات لمضمونها الخادعة لسامعيها. وان مثلها مما يروج بين امثالهم في كل

زمان، ولا سيما زمن التفاخر بالآباء والتعصب للاقوام والاوطان؛ فاننا ابتلينا في دعوتنا الى الاصلاح بمن كانوا يصدون الناس عنا وعن نصيحتنا لاهل ملتنا بأننا لم نولد في بلادهم، ولا ننتمي الى أحد من أجدادهم، على أننا ننتمي بفضل الله تعالى الى آل بيت نبيهم صلى الله عليه وسلم، وان منهم من لا يعرف له نسب، ومنهم من ليس من القبط ولا العرب ، واننا نرى أشد الشعوب عصبية للوطن لا يجعلونها سببا للصد عن العلوم والفنون ولا الدين ومذاهبه وانما التنافس بينهم في جعل كل واحد منهم وطنه أعز وأقوى وأغنى وأقنى ولو باقتباس العلم من الآخر ، نرى رجال الدين الكاثوليكي من الالمان والفرنسيس أعوانا على نصر الكثلكة ونشرها في بلادهم وغيرها ، كما نرى مثل هذا بين رجال البروتستانية من الالمان والانكليز، كدأبهم وسيرتهم في العلم ، فعلماء كل شعب يتسابقون الى اقتباس ما يظهر عند الآخر من اختراع أو كشف عن حقيقة علمية أو اهتداء لسنة او منفعة للبشر ، ويعزون كل امر الى صاحبه ، ويقولون ان العلم لا وطن له . وانما يقع التغاير والتفرق بين البشر في مثل هذا في ابان ضعفهم وغلبة الجهل عليهم ، وفشو التحاسد وسائر الاخلاق الرديئة فيهم ، واعتبر ذلك في الامة الاسلامية في ابان ارتقائها العلمي حتى القرن الخامس والسادس اذ كان مثل ابي حامد الغزالي يجيء بغداد عاصمة العلم والملك الكبرى في الارض فيكون رئيسا لاعظم مدرسة فيها بل في العالم (وهي النظامية) ولا يحول دون ذلك كونه من قرية طوس في بلاد الفرس — ثم تغيرت الحال كما بيناه في مواضع من المنار ، ونحمد الله ان زالت تلك النزغة الشيطانية من مصر اوكادت على لون النزعة الوطنية العصرية قد زادت قوة وانتشارا

﴿ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ تقدمت هذه الجملة بنصها فى بيان عذاب قوم صالح عليه السلام من هذه السورة (الآية ٧٧) وتفسيرها (في ص ٥٠٧ و ٥٠٨ من المجلد الثامن) فيراجع وفيه أنه عبر عن عذابهم في سورة هود بالصيحة بدل الرجفة — وكذلك قوم شعيب — والرجفة المرة من الرجف وهو الحركة والاضطراب، ويصدق برجفان الارض وهو الزلزلة ومنه (يوم ترجف الارض والجبال) وبرجفان القلوب من الهول والخوف ومنه قول عائشة (رض) في حديث بدء الوحي : فرجع

بها رسول الله صلى الله عليه وسلم رجف فؤده - والراجح هنا الاول والمعنى فأخذتهم الزلزلة فأصبحوا في دارهم باركين على ركبهم أو منكبين على وجوههم ميتين . فهذا عذاب أهل مدين عبر عنه بالرجفة وفي سورة هود بالصيحة ، كعذاب ثمود في السورتين وقد بينا وجه الجمع بينهما

وفي سورة الشعراء أن الله تعالى أرسل شعيباً الى أصحاب الايكة وهم غير مدين فانه وصفه في سورة الاعراف بأنه أخو مدين أي في النسب كما تقدم ولم يصفه في سورة الشعراء بذلك كما وصف من ذكر قبله : نوحا وهوداً وصالحاً ولوطاً (ع . م) وقد أخرج اسحق بن بشر وابن عساكر عن ابن عباس في قوله تعالى - من سورة الشعراء (كذب أصحاب الايكة المرسلين) قالوا كانوا أصحاب غيضة بين ساحل البحر الى مدين الخ فأفاد هذا أن الله تعالى أرسله الى قومه أهل مدين والى من اتصل بهم الى ساحل البحر الاحمر وان حال الفريقين في الكفر والمعاصي كانت واحدة وكان ينذرهم متنقلا بينهم في زمن واحد، فلا يبعد حينئذ أن يكون العذاب قد أخذ الفريقين في وقت واحد أو وقتين متقاربين ، فكان عذاب مدين بالرجفة والصيحة المصاحبة لها، وعذاب أصحاب الايكة بالسموم وشدة الحر الذي انتهى بظلة من السحاب فزعوا اليها يتبردون بظلها، فأطبقت عليهم فاختنقوا بها أجمعون، وذهب بعض المفسرين الى أن عقاب الفريقين واحد وسيأتي تلخيص الروايات في ذلك

﴿ الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها - الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين ﴾ يقال غني بالمكان يغنى بوزن « رضي يرضى » اذا نزل به وأقام فيه . هكذا أطلقوه وقيده بعضهم بقيد أو قيدين ، قال الراغب : وغني في مكان كذا اذا طال مقامه فيه مستغنياً به عن غيره . واكتفى بعضهم بقيد طول الاقامة وبعضهم بالاقامة في رغد عيش

والآية بيان مستأنف من قبل الله عز وجل ناقض لقول الملا من قوم شعيب لقومهم (لئن اتبعتم شعيباً انكم اذاً لخاسرون) وقولهم قبله (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) كأن سائلا يسأل عنهم باعتبار كل من الحالين كيف انتهى الامر فيها وكيف كان عاقبة أهلها ؟ فأجيب عن الاول بقوله : الذين كذبوا شعيباً وهددوه وأنذروه الاخراج من قريتهم قد

هلكوا وهلكت قريتهم فخربوها ... ولم يعيشوا فيها مطلقاً أو في ذلك العيش الرغد، وطول الأمد في [illegible] الشيء صار كأنه لم يكن

وأجيب عن الثاني بقوله: الذين كذبوا شعيباً وزعموا أن من يتبعه يكون خاسراً وأكدوا زعمهم بأقوى المؤكدات كانوا هم الخاسرين لما يعتزون به من تقاليد ملتهم، ومن ملكهم ووطنهم، ولما كانوا موعودين به من سعادة الدنيا والآخرة لو آمنوا — دون الذين اتبعوه فإنهم كانوا هم الفائزين المفلحين، فالجملة تفيد حصر الخسار في المكذبين أو الذين، وتقتضي نفيه عن المتبعين له بالأولى، ومناسبة الجزاء للذنب جعل الحرص على التمتع بالوطن والاستبداد فيه على أهل الحق سبباً للحرمان الأبدي منه، وجعل الحرص على الربح بأكل أموال الناس بالباطل سبباً للخسران بالحرمان منه ومن غيره

واختار بعضهم في نكتة الفصل والتكرار وجهاً آخر وهو أنه بيان مستأنف من الله تعالى جاء بأسلوب الخطابة المعروفة المؤثرة في الوعظ والتوبيخ وما في معناهما نحو: أنت الذي جنيت علينا، أنت الذي سلطت علينا أعداءنا، أنت الذي فرقت كلمتنا، أنت الذي أوقعت الشقاق بيننا

وقال الزمخشري في الكشاف: إن في هذا الاستئناف وتكرير الموصول والصلة مبالغة في رد مقالة الملا لأشياعهم وتسفيهاً لرأيهم، واستهزاء بنصحهم لقومهم، واستعظاما لما جرى عليهم. وقد خفيت على بعض العلماء الأذكياء دلالة العبارة على هذه المعاني كلها لعدم تأملها: فأما المبالغة في الرد فظاهرة لما يدركه كل من الفرق في نفسه بين ما مثلنا به آنفا لأسلوب الخطابة وبين ذكر تلك المسندات بالعطف، وسببه أن تكرار ذكر المسند اليه بصيغة الموصول والصلة المؤذن بعلة الجزاء يعيد صورة كل منهما في الذهن، ويكون حكما جديدا بعد حكم، وللحكمين من التأثير في النفس ما ليس للحكم الواحد. وأما تسفيه الرأي والاستهزاء بذلك النصح فهو تابع لهذا التأثير، المتضمن لما ذكر من التصوير والتمثيل.

﴿ فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ﴾ تقدم مثله في (الآية ٨٧) حكاية عن صالح عليه السلام فيراجع تفسيره (في ص ٥٠٩ ج ٨ تفسير) ففيه بحث دقيق في ذكر التولي عن القوم ومخاطبتهم

بعد هلاكهم وتتمة الآية في قصة صالح (ولكن لا تحبون الناصحين) وتتمة الآية هنا ﴿ فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ والمعنى: اني يا قوم قد ابلغتكم رسالات ربي – اي ما ارسلني به اليكم من العقائد والمواعظ والاحكام والآداب – لجمع الرسالة هنا بحسب متعلقها وافرادها في قصة صالح بحسب معناها المصدري – ونصحت لكم بما بينته من معانيها والترغيب فيها وانذار عاقبة الكفر بها، فكيف آسى اي احزن الحزن الشديد على قوم كافرين اعذرت اليهم، وبذلت جهدي في سبيل هدايتهم ونجاتهم، فاختاروا ما فيه هلاكهم، وانما يأسى من قصر فيما يجب عليه من النصح والانذار

فتاوى المنار

تجنس المسلم بجنسية تنافى الاسلام

(س ١) من الحزب الوطنى التونسي

ماقول حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ رشيد رضا أيده الله في حكومة فرنسا المتسلطة على كثير من الشعوب الاسلامية اذ عمدت أخيرا الى وضع قانون يعرف بقانون التجنس الفرض منه حمل سكان تلك البلاد من المسلمين على الخروج من ملتهم وتكثير سواد أشياعها وقد جعلت هذا التجنس شرطا في نيل الحقوق السياسية التي كانت لهم من قبل وسلبتها منهم على وجه الاستبداد الجائر مع أن اتباع المسلم لهذه الملة يجعله ينكر بالفعل ماهو معلوم من الدين بالضرورة ولا تتناوله الاحكام الشرعية بل يصير تابعا لقوانين وضعية نصوصها صريحة في إباحة الزنا وتعاطي الخمور وارتكاب الفجور وتحليل الربا والاكتساب من الطرق غير المشروعة ومنع تعدد الزوجات واعتبار ما زاد عن الواحدة من قبيل الزنا المعاقب عليه وانكار نسب ماولدله من غيرها حالة وجودها

ولا حق له في نفقة ولا إرث ولو على فرض الاستحقاق . وفك العصمة من الزواج واسنادها الى المحكمة حتي اذا أوقع الطلاق بنفسه كان لغوا . وقسمة المواريث على طريقة مخالفة للفرائض الشرعية وجعل انصبائها على حد سواء بين الاناث والذكور ؟

وأشد بلاء من هذا كله جعل المسلم مجبوراً على الخدمة العسكرية في جيش عدو معد لقتال المسلمين وإذلالهم وإكراههم على الخضوع والالقاء بأنفسهم في قبضة من لا يرقب فيهم ذمة ولا يحفظ معهم عهداً

فهل يعد اقدام تلك الحكومة على أمر كهذا نكثاً للمعاهدة الموضوعة على أولئك المسلمين وفتنة لهم في دينهم وإخلالا بنظام اجتماعهم ؟ ؟ ؟

وهل يكون أولئك المسلمون اذا قبلوا هذا التجنس مرتدين عن دينهم فلا نعاملهم معاملة المسلمين من مثل المناكحة والتوارث وأكل ذبائحهم ودفن أمواتهم في مقابر المسلمين لانهم رضوا بالانسلاخ عن أحكام الشريعة ولا مكره لهم على ذلك ؟ أم كيف الحال ؟

وهل يجوز لمسلم يدرك عواقب هذه الفتنة العمياء وغوائل السكوت عنها أن يترك الانكار عليها والحال أنه آمن على نفسه وقادر على مقاومتها واظهار النكير عليها ؟

أفتونا في هذه الواقعة بما يقتضيه النظر الشرعي إرشاداً للحائرين، وتنبيهاً للغافلين ، أبقاكم الله لخدمة الاسلام والمسلمين

الجواب

اذا كانت الحال كما ذكر في هذا السؤال ، فلا خلاف بين المسلمين في ان قبول هذه الجنسية، ردة صريحة وخروج من الملة الاسلامية، حتى ان الاستفتاء فيها يعد غريبا في مثل البلاد التونسية ، التى يظن أن عوامها لايجهلون حكم مافي السؤال من الامور المعلومة من الدين بالضرورة، ولعل المراد من الاستفتاء إعلام الجمهور معنى هذه الجنسية وما تشتمل عليه من الامور المذكورة المنافية للاسلام نفسه لا للسياسة الاسلامية التونسية التي بدىء السؤال بذكر غوائلها فقط ،

كقوله ان هذه الملة (يعني الجنسية التي هي بمعنى الملة في الاحكام المخالفة للشريعة الاسلامية) تحمل صاحبها على إنكار ماهو معلوم من الدين بالضرورة — على أنه قال انه ينكر ذلك بالفعل ، ولعله أراد بهذا القيد الاحتراس عن الاعتقاد ، وجعل هذا هو المراد من الاستفتاء ، لما هو مشهور بين أهل السنة من أن المعاصي العملية لاتخرج صاحبها من الملة اذا لم يجحد تحريمها أو يستحلها ، وان كانت مجمعاً عليها معلومة من الدين بالضرورة ، وهذه المسألة أهم عندنا من كل ما رتبه السائل على هذه الجنسية من الغوائل كنكث لدولة الفرنسية للمعاهدة التونسية فان المعاهدات في هذا العصر حجة القوي على الضعيف كما قال برنس بسمارك فهو يأخذها من الضعيف إضعاف ماجعله لنفسه من الحقوق ولا يعطيه مما التزمه له الامايرى يدهو ويوافق مصلحته كما قلنا للسيد فيصل بن السيد حسين الحجازي عند ما أراد اقناعنا بقبول الوصاية الفرنسية على سورية بمقتضى معاهدة وشروط . . . وقد بلغنا أن بعض المتفقهة أبى الافتاء بردة من يقبل مثل هذه الجنسية ويرتكب مايترتب عليها من ترك أحكام الشريعة المشار اليها في السؤال بناء على قول بعض الائمة : لانكفر مسلما بذنب ونظمه اللقاني في جوهرة التوحيد * فلا نكفر مسلما بالوزر * مع الغفلة عن قوله فيها الذي نظم به قاعدة الردة العامة

ومن لمعلوم ضرورة جحد * من ديننا يقتل كفراً ليس حد

فان هذه القاعدة وقع فيها اللبس والاشتباه حتى بين المشتغلين بالعلم ، وفي أحد فروعها وهو استحلال الحرام ، فانه اذا كان من المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كان ردة عن الاسلام بلا خلاف ، ولكن بعض المشتغلين بقشور العلم والمجادلين في ألفاظ الكتب من يظنون ان الجحد والاستحلال من أعمال القلب ، فجاحد الصلاة ومستحل شرب الخمر والزنا عندهم هو من يعتقد أن وجوب الصلاة وتحريم الخمر والزنا ليسا من دين الاسلام ، فلا الصلاة فريضة فيه ولا الزنا حرام . وفي هذا الظن من التناقض والتهافت ماهو صريح ، فان فرض المسألة أن الذي يستحل مخالفة مايعلم أنه من الدين علما ضروريا غير قابل للتأويل سواء كان فعلا

أو تركا فانه يكون به مرتدا عن الاسلام ، والعلم الاعتقاد القطعي فكيف يفسر الاستحلال بعدم الاعتقاد وهوجمع بين النقيضين أعني اعتقاد أنه من الدين وعدم اعتقاد أنه من الدين ؟ وقد سبق لنا تحقيق هذه المسألة في بابي التفسير والفتاوى من المنار ، ونقول الآن بايجاز واختصار : ان حقيقة الجحد هو انكار الحق بالفعل ، واشترط أن يكون المنكر معتقدا له بالقلب . قال الزمخشري في الاساس : جحده حقه وبحقه جحدا وجحودا . وقال الراغب في مفردات القرآن : الجحود نفي ما في القلب اثباته واثبات ما في القلب نفيه ، يقال جحد جحودا وجحدا قال عز وجل (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) اه وحسبنا الآية نصا في الموضوع وسنذكر غيرها أيضا

وكذلك الاستحلال والاستباحة أن يفعل الشيء فعل الحلال والمباح أي بغير تحرج ولا مبالاة ، وهو يعتقد انه حرام شرعا ولو لم يكن مجمعا عليه فان كان المستحل متأولا لنص أو قاعدة شرعية اعتقد بها انه حلال شرعا لم يحكم بردته ، والا كان مرتدا ، ويصدق في ادعائه الجهل بحرمته الا اذا كان مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة

والوجه في ذلك ان الاسلام هو الاذعان بالفعل لما علم أنه من دين الله في جملته وهو الايمان ، اذ الاعتقاد القلبي وحده لا يكون به المعتقد مسلما ولا يكون الاعتقاد ايمانا حتى يكون نازعا ، ولهذا قالوا بترادف الايمان والاسلام فيما يصدقان عليه وان اختلفا في المفهوم . ورد بعض ماجاء به الرسول كرده كله (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) . وأما الذنب الذي لا يخرج به فاعله من الملة ، فهو مفروض في المسلم ، وهو المذعن لدين الله وشرعه كله بالفعل اذا عمل سوءا بجهالة من سورة غضب أو ثورة شهوة ، وهو لا بد أن يحمله الايمان على الندم والتوبة ، ولا يدخل فيه غير المذعن للامر والنهي ، كالمستحل لجملة المعاصي بالفعل ، بحيث يترك مايترك منها لعدم الداعية . قال تعالى (٤ : ١٦) (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما (١٧) وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال : اني تبت

الآن، ولا الذين يموتون وهم كفار. أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما)

ومن تفسير الفقهاء لمسألة استحلال المحرم بالمعنى الذي وضحناه ما أورده الفقيه ابن حجر في كتابه (الاعلام بقواطع الاسلام) قال :

«ومن ذلك أن يستحل محرما بالاجماع كالخمر واللواط ولو في مملوكه – وان كان أبو حنيفة لايرى الحد به لان مأخذ الحرمة عنده غير مأخذ الحد – أو يحرم حلالا بالاجماع كالنكاح، أو ينفي وجوب مجمع على وجوبه كركعة من الصلوات الخمس، أو يعتقد وجوب ماليس بواجب بالاجماع كصلاة سادسة يعتقد فرضيتها كفرضية الخمس ليخرج وجوب معتقد الوتر ونحوه كصوم شوال. هذا ماذكره الرافعي، وزاد النووي في الروضة أن الصواب تقييده بما اذا جحد مجمعا عليه يعلم من دين الاسلام ضرورة سواء كان فيه نص أم لا، بخلاف مالا يعلم كذلك بأن لم يعرفه كل أحد من المسلمين فان جحده لا يكون كفرا. اه وما زاده ظاهر، وخرج بالمجمع عليه الضروري المجمع عليه غير الضروري كاستحقاق بنت الابن السدس مع بنت الصلب وتحريم نكاح المتعة فلا يكفر جاحدهما كما بينته في شرح الارشاد، ومع بيان أنه هل الكلام في جاحدهما جهلاً أو عناداً، ومع بيان رد قول البلقيني : إن تحريم نكاح المتعة معلوم من الدين بالضرورة، وانه قيد استحلال الدماء والاموال بما لم ينشأ عن تأويل ظني البطلان كتأويل البغاة، وللضروري أمثلة كثيرة استوعبتها في الفتاوى .

ومن ذلك أيضا ما لو أجمع أهل عصر على حادثة فانكارها لا يكون كفرا .

«ومحل هذا كله في غير من قرب عهده بالاسلام أو نشأ ببادية بعيدة، والاعرف الصواب فان أنكر بعد ذلك كفر فيما يظهر لان انكاره حينئذ فيه تضليل للامة. وسيأتي عن الروضة عن القاضي عياض أن كل ما كان فيه تضليل الامة يكون كفراً. ثم ماذكره الشيخان كالاصحاب في استحلال الخمر استبعده الامام بأنا لا نكفر من رد أصل الاجماع، ثم أول ماذكروه بما اذا صدق المجمعين على أن التحريم ثابت في الشرع ثم حلله فانه يكون رداً للشرع. قال الرافعي وهذا ان صح فليجر مثله في سائر ماحصل الاجماع على افتراضه أو تحريمه فنفاه، وأجاب عنه أبو القاسم

الزنجاني بأن ملحظ التكفير ليس مخالفة الاجماع بل استباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة » اهـ ما أردت نقله من الاعلام

فقول الزنجاني « ان ملحظ التكفير ليس مخالفة الاجماع بل استباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة » معناه استباحته بالعمل بأن يفعله كما يفعل المباح بغير تأثم ولا مبالاة ولا توبة ، وقول الامام (أي امام الحرمين) قبله إن المراد من الاستحلال للمجمع على تحريمه مبني على تصديق المجمعين على أن التحريم ثابت في الشرع وتعليله اياه بأنه يكون ردا للشرع ، فهو صريح في أن المراد برده عدم الاذعان بالفعل لاعدم الاعتقاد اذ الاعتقاد التصديق وهو مصدق بأنه من الشرع والا سقطت المسألة من أصلها

وانما اشترطوا فيها الاجماع وكونها معلومة من الدين بالضرورة لاسقاط عذر الجهل — ولذلك استثنوا قريب العهد بالاسلام ومن نشأ بعيدا عن المسلمين — وعذر احتمال التأول، وهم لا يختلفون في كون رد أي مسألة من الشرع يعتقد رادها أنها منه كرد المجمع عليه المعلوم بالضرورة عند جماعة المسلمين اذ مدار الردة في هذا المقام على رد الشرع وعدم الاذعان له أي عدم التلبس بالاسلام

فالقاعدة الاساسية في هذه المسألة أن الاسلام الذي تجري على صاحبه أحكام المسلمين هو الاذعان والخضوع بالفعل لكل ما علم أن النبي (ص) جاء به عن الله تعالى من أمر الدين، وأن رد بعضه كرده كله (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)؟ فان كان الخضوع بالفعل تابعا للاذعان النفسي، والاعتقاد القطعي بصدق الرسول في دعوى الرسالة كان اسلاما وايمانا منجيا في الآخرة لمن مات عليه ، وان كان في الظاهر دون الباطن كان نفاقا تجري على صاحبه أحكام المسلمين في الدنيا مالم يأت بما ينافيه ويثبت خلافه — وأما الاعتقاد في الباطن دون الاذعان في الظاهر لمن تمكن من العمل بأن لم يمت عقبه فلا يعتد به في الدنيا ولا في الآخرة، فان كفر ابليس لم يكن عن عدم اعتقاد ، بل عن حسد وعناد ، وكذلك كفر فرعون موسى والملأ من قومه ، اذ قال الله تعالى فيهم في سياق الكلام عن

الآيات التي أيد الله نبيه موسى (ص) بها (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وكذلك كان كفر طغاة قريش المستكبرين بالنبي (ص) قال تعالى (فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وتقدم ان الالمام بمعصية ما لا يعد استحلالا يوجب الخروج من الملة ، لانها انما تقع من المذعن بجهالة من غضب أو شهوة ، و يتبعها الندم والتوبة .

علم من هذا ان قبول المسلم لجنسية ذات أحكام مخالفة لشريعة الاسلام خروج من الاسلام فانه رد له، وتفضيل لشريعة الجنسية الجديدة على شريعته ، ويكفي في هذا أن يكون عالما بكون تلك الاحكام التى آثر غيرها عليها هي أحكام الاسلام ولكن يقبل اعتذاره بالجهل ان لم تكن مجمعا عليها معلومة من الدين بالضرورة كبعض ماذكر في السؤال من قتال المسلمين و بعض أحكام الارث واباحة تعدد الزوجات بشرطها فلا يعامل معاملة المسلمين في نكاح ولا إرث ولا يصلى عليه اذا مات

ومن أدلة ذلك في القرآن قوله تعالى (٤ : ٥٩) ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحا كموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (٦٠) واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) الطاغوت مصدر الطغيان ومثاره و يدخل فيه كل ماخالف ماأنزله الله وما حكم به رسوله (ص) فانه جعل مقابلا له هنا وفي آيات أخرى . ومنه بعض أحكام القانون الفرنسي كاباحة الزنا والربا ، دع مايستلزمه اتباع أى جنسية سياسية غير اسلامية من قتال المسلمين وسلب بلادهم منهم . ومما ورد في تفسير الآية بالمأثور ان سبب نزولها تحاكم بعض المنافقين الى بعض كهان الجاهلية ، وقد سمى سبحانه ادعاء هؤلاء المنافقين للايمان زعما والزعم مطية الكذب . وقد بينا في تفسيرنا للاولى منها اقتضاء الايمان الصحيح للعمل وان الاستفهام فيها للتعجيب من أمر هؤلاء الذين يزعمون الايمان و يعملون ماينافيه ، وان الاستاذ الامام سئل في

أثناء تفسيرها في الجامع الازهر عن القوانين والمحاكم الاهلية فقال : تلك عقوبة عوقب بها المسلمون أن خرجوا عن هداية قوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) فاذا كنا تركنا هذه الهداية للقيل والقال وآراء الرجال من قبل أن نبتلى بهذه القوانين ومنفذيها فأي فرق بين آراء فلان وآراء فلان وكلها آراء منها الموافق لنصوص الكتاب والسنة ومنها المخالف له ؟ ونحن الآن مكرهون على التحاكم الى هذه القوانين فما كان منها يخالف حكم الله تعالى يقال فيه — أي في أهله — (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) وانظر فيما هو موكول الينا الى الآن كالاحكام الشخصية والعادات والمعاملات بين الوالدين والاولاد والازواج والزوجات ، فهل نرجع في شيء من ذلك الى الله ورسوله ؟ . . . الخ ماقاله . وقد وضحت المراد منه فيراجع في الجزء الخامس من التفسير

وأقول ان إكراه المصريين على مايخالف الكتاب والسنة من القوانين قد زال الآن بالاستقلال فانم مايبقى منه بعد انعقاد البرلمان المصري في أعناق أعضائه وأعناق الامة في جملتها اذهي قادرة على إلزامهم إلغاء إباحة الزنا والخمر وغير ذلك من المحرمات بالاجماع هذا وان المحاكم الاهلية وقوانينها خاصة بالاحكام المدنية والعقوبات التي تقل فيها النصوص القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ومن حكم له فيها بربا محرم فليس ملزماً أخذه ، ومن حكم عليه به وأكره على أدائه فهو معذور ، ولا يمس عقيدته ولا عرضه منه شيء ، والحدود الشرعية في العقوبات خاصة بالامام الحق ، والتعزيرات مبنية على اجتهاد الحكم — فاين حكم المحاكم الاهلية بالقوانين من قبول جنسية تهدم مافي القرآن من أحكام النكاح والطلاق والارث وغيرذلك وهي اختيارية لا اضطرارية ومن اختارها فقد فضلها على أحكام الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) ؟ وفضل اهلها الكافرين على المؤمنين بالفعل

(ومنها) قوله تعالى (٤ : ٦٤ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) قال أبو بكر الجصاص من أئمة الحنفية في تفسيرها من كتابه (أحكام القرآن) مانصه :

« وفي هذه الآية دلالة على ان من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله (ص) فهو خارج من الاسلام سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم ، وذلك يوجب صحة ماذهب اليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم لان الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي (ص) قضاءه وحكمه فليس من أهل الايمان اه

وقد بينا في تفسيرنا لهذه الآية ماملخصه ن الايمان الصحيح الحقيقي وهو ايمان الاذعان النفسي المقابل لما يدعيه المنافقون لايتحقق الا بثلاث (١) تحكيم الرسول (ص) فيما شجر أي اختلط فيه الامر مما يتخاصم فيه الناس (٢) الرضاء بحكمه وانشراح الصدر له بحيث لايكون في القلب أدنى حرج أي ضيق وانكماش مما قضى به (٣) التسليم والانقياد بالفعل . ولا خلاف بين المسلمين في اشتراط هذه الثلاث في كل ماثبت مجيئه به (ص) من أمر الدين اذ لا يعقل اجتماع الايمان الصحيح برسالته مع ايثار حكم غيره على الحكم الذي جاء به عن الله تعالى ولامع كراهة حكمه والامتعاض منه ، ولامع رده وعدم التسليم له بالفعل

وجملة القول ان المسلم الذي يقبل الانتظام في سلك جنسية يتبدل أحكامها بأحكام القرآن ، فهو ممن يتبدل الكفر بالايمان ، فلا يعامل معاملة المسلمين ، واذا وقع من أهل بلد أو قبيلة وجب قتالهم عليه حتى يرجعوا . والمعقول ان هذا لايقع من مسلم صحيح الايمان بل لايجوز عقلا أن يصدر عنه ، ذلك بأن الايمان القطعي بأن أحكام النكاح والطلاق والارث وتحريم الربا والزنا المنصوصة في القرآن من عند الله العليم الحكيم يقتضي تفضيلها على كل ماخالفها والعلم بأن التزامها من أسباب رضوان الله وثوابه ، وترك شيء منها من أسباب عذابه وسخطه ، يقتضى الحرص على الاستمساك بها فعلا لما أوجب سبحانه وتركا لما حرم ، ودليله ان العلم بالمضار والمنافع يقتضى فعل النافع وترك الضار بسائق الفطرة ، ويعرف ذلك كل انسان من نفسه بالوجدان الطبيعي ومن سائر الناس بالتجربة المطردة في جملة المنافع والمضار . وما يشذ من الجزئيات فله أسباب لاتنقض القاعدة التي بيناها مراراً

ويلتبس الامر على كثير من الباحثين في بعض هذه الجزئيات فيحسبها ناقضة لقاعدة اقتضاء العلم القطعي أو الراجح للعمل ، وجل هذا اللبس يرجع الى خفاء وجوه الترجيح الطبيعي فيما يتعارض فيه العلم القطعي والظن والوجدان والفكر، مثال ذلك ترك المريض للدواء النافع وفعله لضده كتناول الغذاء الضار من أمور الدنيا،وتركه لبعض الواجبات أو اجتراحه لبعض السيئات من أمور الدين ، ومن محص المسألة يظهر له ان تارك الدواء لاستبشاع طعمه قاطع بضرره المتعلق بالذوق وهو من الحسيات اليقينية وغير قاطع بنفعه بل هو إما ظان وإما شاك فيه ، وكذلك مرتكب المعصية وان كان تحريمها قطعيا كالزنا فان الشك يعرض له في الوعيد عليه من باب الرجاء في العفو والمغفرة بفضل الله تعالى أو بالتكفير عنه بالاعمال الصالحة ، ولكن لذة الشهوة التي تعرض له لاشك فيها ، فيرجح العلم القطعي بالمنفعة وهي اللذة على الظن أو الشك في العقاب ، وانما يقع هذا الترجيح في الكبائر لمن كان ضعيف الايمان ، وهو ما كان عقيدة لم ترتق بها التربية العملية الى الوجدان ، وانما الايمان الكامل المقتضي للعمل في أفراد الجزئيات ما كان فيه الاعتقاد الصحيح مصاحبا للشعور الوجداني بالخوف والرجاء في كل منها ، وقد يتخلف في بعض دون بعض ، فان من يعيش بين قوم يجاهرن بمعصية لاينفر وجدانه منها كمن يعيش بين قوم لايفعلونها الا ماقد يقع من بعضهم وراء الاستار

فهذا ملخص مايحتج به على استلزام الايمان الصحيح للعمل بجملة ماثبت عند المؤمن انه من الشرع، والادلة الشرعية عليه كثيرة ، وبها جعل جمهور السلف العمل ركنا من أركان الايمان — وقد اختلف العلماء في معنى الحديث المتفق عليه « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الخ بناء على اختلافهم في تعريف الايمان فذهب بعضهم الى أن المنفي هو الايمان الكامل وهو الوجداني الذي يقتضي العمل فعلا وتركا — وقيل ان الايمان يفارق الزاني عند الزنا بحيث لومات في أثنائه مات كافراً ، وحقق الغزالي انه لايكون عند تلبسه بالزنا مؤمنا بأنه يستلزم سخط الله وعذابه . وهو يصدق بنسيان الوعيد عند ذلك لغلبة الشهوة التي يغيب

صاحبها عن إدراك الحسيات أحيانا كما قال الشاعر

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي ؟ فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

ويصدق بالشك في وقوع الوعيد بما بيناه آنفا من رجاء المغفرة أو التكفير. ومثل هذا الشك والتأول لا يمكن أن يجري في جملة المأمور به والمنهي عنه ولا في ترك الاحكام الكثيرة التي لا يغلب صاحبها عليها ثورة شهوة، ولا سورة غضب كأحكام الارث والنكاح والطلاق وثبوت النسب ونفيه — بل هي مما يتفق الدليل العقلي والطبعي مع الدليل الشرعي على ان من رغب عنها إلى غيرها من أحكام البشر لا يمكن أن يكون مؤمنا ، وعندي ان تركها بمثل اختيار الجنسية المسؤل عنها ليس انشاء للكفر وابتداء للردة بل هو أثر له ناشيء عنه ، وانما أطلت في هذه المسألة التي سبق لي توضيحها مرارا لما بلغني من توقف بعض علماء تونس في الافتاء بكون التجنس بالجنسية الفرنسية ردة

جنسية الاسلام واصلاحه للبشر

ويحسن ختم هذه الفتوى بالتذكير بما كنا نوهنا به مرارا من الركن الاعظم لاصلاح الاسلام لشؤون البشر وتمهيد طريق السعادة لهم

وبيان ذلك بالايجاز ان مثارات شقاء البشر محصورة في اختلافهم في مقومات الاجتماع ومشخصاته من العقائد واللغات والاوطان والاحكام والحكومات والانساب (أي العناصر والاجناس كما يقول أهل هذا العصر، او الاصناف كما يعبر علماء المنطق) والطبقات والتقاليد والعادات وحسبك من هذا الاخير ان المختلفين في الازياء من ابناء الوطن الواحد المتفقين فيما عداه من روابط الاجتماع يتفاضلون فيه حتى يحتقر بعضهم بعضا . . .

جاء دين التوحيد والسلام (الاسلام) يرشد الناس كافة الى المخرج من كل نوع من أنواع هذا الاختلاف المثيرة لشقائهم بالتعادي والتباغض بجمعهم على دين واحد موافق للفطرة البشرية مرق لها بالجمع بين مصالح الروح والجسد

(وهو الجنسية الدينية) ولغة واحدة يتخاطبون بها و يتلقون معارفهم وآدابهم بها (وهي الجنسية الاجتماعية الادبية) وحكم واحد يساوي بينهم على اختلاف مللهم ونحلهم (وهو الجنسية السياسية) فهو يزيل من بينهم التفاضل والتعالي بالانساب والامتياز بالطبقات ، والتعادي باختلاف الاوطان والعادات ، وأودع في تعاليمه وأحكامه جواذب تجذبهم الى ذلك باختيارهم بالتدريج الذي هو سنة الله في كل تغيير يعرض لجماعات البشر (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وحسبنا هنا من الحجة على ذلك ما هو معلوم بالتواتر من أثره في نشأته الاولى في خير القرون اذ انتشر مع لغته وآدابه وسياسته وأحكامه في العالم القديم من أقصى المغرب الى أقصى المشرق ، وطالما شرحنا أسباب ذلك من آيات الكتاب والسنة وعمل الخلفاء وعلوم الائمة .

وقد قلدته أمم الحضارة الكبرى في هذا العصر فكل منها تبذل القناطر المقنطرة من الذهب لنشر دينها ولغتها وتشريعها وآدابها وأحكامها في جميع أقطار الارض مؤيدة ذلك بآلات القهر والتدمير البرية والبحرية والجوية ، ولم يبلغ تأثيرها في عدة قرون مع سهولة المواصلات وتقارب الاقطار ودقة النظام ما بلغه تأثير الاسلام في أقل من قرن واحد مع فقد هذه الوسائل كلها — ولو وضع نظام للامامة الكبرى (الخلافة) يكفل اصولها وأحكامها الشرعية لعم الاسلام ولغته العالم كله ولتحققت به أمنية الحكماء فيما ينشدونه من المدنية الفاضلة قديما وحديثا

أهمل المسلمون هذه الفريضة الكافلة لجميع الفرائض والفضائل فما زالوا يرجعون القهقرى ، حتى بلغ بهم الخزي ما نسمع ونرى ، وصار مستعبدوهم ومستذلوهم يطمعون في تركهم لما بقي من شريعتهم اختيارا في الوقت الذي آن لهم فيه أن يعرفوا أنفسهم ويعرفوا قيمة دينهم وشرعهم وينهضوا به لاصلاح أنفسهم وتلافي سقوط حضارة العصر ، بابادة بعض أهلها لبعض ، (فاعتبروا يا أولي الابصار)

خطاب عام

فيما يجب على المسلمين لبيت الله الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

(ان أولَ بيت وُضعَ لِلنَّاس لَلَّذي ببكةَ مباركاً وهدًى للعالمين * فيه آيات بينات: مقامُ إبراهيمَ ومن دخلهُ كان آمناً، ولله على الناس حِجُّ البيت مَن استطاع اليه سبيلا، ومن كفر فان الله غني عن العالمين (سورة آل عمران ٣ : ٩٦ و ٩٧)

جعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قِياماً للناس (سورة المائدة ٥:٩٥)

وإذ جعلنا البيت مَثابة للناس وأمْناً، واتخِذوا من مقام ابراهيم مُصلًّى (سورة البقرة ٢:١٢٥)

إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكفُ فيه والبادِ، ومن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلمٍ نُذِقهُ من عذاب أليم (سورة الحج — ٢٢ : ٢٣)

أخبر الله تعالى عباده في آخر كتاب أنزله وكفل حفظه — وهو القرآن — على لسان آخر نبي أرسله وأكمل به دينه العام، وهو محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ان هذا المعبد المعروف بمكة أم القرى من بلاد العرب باسم الكعبة، والبيت الحرام، والمسجد الحرام، هو أول بيت وضعه تعالى للناس كافة، وجعله قياما، ومثابة، وأمناً، ومسجداً، للناس كافة، سواء العاكف فيه من المقيمين حوله، والبادي ممن يؤمونه من

مؤمني سائر الاقطار لعبادة الله وحده، فمن دخله كان آمنا بتأمين الله تعالى على نفسه وماله وعرضه وشرفه، وحريته في قوله وفعله، لا مسيطر عليه غير دين الله وشرعه — وجعل حجه ركنا من اركان الاسلام، وجعل الصد عنه وعن سبيله من شان الكفار، وجعل ارادة الظلم والإلحاد اليه فيه، كاقتراف الظلم في غيره، وجعل السيئات فيه مضاعفة العقاب، كما جعل الحسنات مضاعفة الثواب، بل حرم سبحانه على لسان ابراهيم خليله ومحمد خاتم رسله (عليهما الصلاة والسلام وعلى آلهما) الاعتداء في ذلك الحرم المحيط ببيته على كل ذي حياة حيوانية أو نباتية، فلا يُعضَد شجرُه ولا يُختلى خلاه (١) ولا يحل فيه الصيد ولا ترويع الحيوان، ولا يقتل فيه الا الفواسق الضارة التي تقل في الحل والحرم كالحيات والعقارب والفيران

وقد صح في الاحاديث النبوية أنه يحرُم من المدينة مثل ما يحرم من مكة، وان الاسلام يأرِز بين المسجدين ويأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها، أي ينكمش وينقبض فيه ويعود اليه، وأنه لا يجوز أن يكون هنالك ولا فيما حوله دينان، كما جاء في آخر ما أوصى به عليه الصلاة والسلام

وقد أجمع المسلمون على أن حج هذا البيت مفروض على كل من استطاع اليه سبيلا، وأن الامة الاسلامية مطالبة به في جملتها، لابد أن يؤديه في كل عام بعض المستطيعين من أفرادها، وهو الركن الروحي البدني المالي

« ١ » أي لا يقطع شجره ويقلع حشيشه الا مارخص فيه النبي من قلع الاذخر لوضعه على الموتى عند الدفن وهو نبات طيب الرائحة

الاجتماعي السياسي من أركان دينها، فهي مطالبة باقامة هذا الركن مع كل ما تتوقف عليه إقامته ،وكل ما أوجبه الله تعالى من حرمته وتأمينه، وتحقيق مقاصد الدين من ذلك . ولا نطيل في تفصيل هذا فهو مما لا يجهله مسلم في جملته ، وانما أتينا بهذه المقدمة تمهيداً لما نذكر بعدها من الخطر الحديث على هذا الركن الاسلامي وعلى حرم الله وحرم رسوله ، وعلى كل ما شرع الله تعالى هنالك من عبادة و نسك و إجلال، و تعظيم للشعائر و المشاعر العظام، التي تجدد في قلوب الحجاج والمعتمرين روح الاسلام

ومن المسلمات التي لا نزاع فيها أن ما أوجبه الله تعالى وشرعه لهذه البلاد وما أوجبه فيها مما أجملنا التذكير به لا يتمّ ولا يُضمن في هذا الزمان إلا بجعل هذه البلاد المقدسة مصونة من التعدي عليها، ومن جعلها عرضة للغزو والقتال — ومحفوظة من أي تدخل أو نفوذ لغير المسلمين فيها ولا سيما الدول الاستعمارية القوية ، وباقامة حكومة شرعية لها تكون قادرة على حفظ الامن والشرع، وعاجزة عن الاستبداد والظلم، بمراقبة العالم الاسلامي لها، ومساعدته إياها بالرجال والمال على الوجه الذي نقترحه بعد، فسكان الحجاز غير قادرين على ذلك حتما لفقرهم وفقدهم المال والعلم اللذين يتوقف عليهما ذلك

أيها المسلمون :

إنه لا يخفى على شعب من شعوبكم في مشارق الارض ومغاربها أن الدولة العثمانية كانت كافلة للحجاز، وممدة لحكومته وأهله بالرجال والمال ، وكانت دولة حربية مرهوبة ، وذات حقوق دولية مرعية ،

ومعترف لها بنصب الخلافة الاسلامية، وهي مع هذا كله لم تؤد لهذا المكان، كل ما يجب له من الامن والعمران، ولم ترقّ فيه العلم والعرفان، وانما كان مصونا بها من أن يهاجم بحرب أو يمتد اليه نفوذ غير اسلامي وقد زال بزوالها كل من الامرين:

ذلك بأنها كانت قد نصبت في مكة أميراً اسمه (الشريف حسين بن علي) وأن هذا الامير خرج عليها وحاربها في الحرب الاخيرة هو ومن أجاب دعوته الى قتالها، والى الدولة البريطانية وأحلافها، وأذاع بالدعاية العامة أنه يريد بذلك إنقاذ البلاد العربية واستقلالها، وكانت دعواه في نفسها معقولة، ثم تبين أنها غير صحيحة، فقد ظهر أنه استبد بالأمر، واتجر بالامة وسمى نفسه (ملك البلاد العربية) بغير مبايعة ولا رضا من أهل الحل والعقد في جزيرة العرب وهم الأئمة والامراء والعلماء في بلادها المستقلة كاليمن وتهامه ونجد، ولا في غيرها بالاولى، بل جعل هؤلاء أعداء له وهم يحيطون بالحجاز من كل جانب كما نبينه لكم بالوثائق الرسمية، ورفض ما دعاه اليه أهل البصيرة من عقد روابط الحلف وشد أواخي الاخاء بينهم ليكونوا كلهم أعوانا على حفظ الحرمين الشريفين وسياجهما من جزيرة العرب أن ينالها عدوان أجنبي، أو يتسرب اليها نفوذ غير اسلامي، عملا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم قبيل لقاء ربه في الرفيق الاعلى

إن هذا الرجل لم يقدم على ادعاء التملك على الامة العربية بأسرها ويعادي أمراء الجزيرة المقدسة على ما هو عليه من الضعف، ويعقد بانفراده مع الاجانب المعاهدات السياسية والحربية باسم العرب فيعطيهم

من الحقوق السياسية والعسكرية ما شاء حتى فى الحرمين الشريفين ، ومن رقبة البلاد بالاحتلال ما شاء — لم يفعل هذا كله إلا اعتماداً على قوة هؤلاء الاجانب ، فقد تواطأ واتفق معهم على اقتسام السلطان والنفوذ بينه وبينهم في مهد الاسلام من غير مشاورة أحد من أصحاب الزعامة والسلطان كالامراء والأئمة ، ولا من أهل العلم والرأي في هذه الامة .

فهو بهذا وذاك قد أدخل النفوذ الاجنبي غير الاسلامي في الحجاز ، وجعله ملكا سياسيا حربيا معرضا للغزو والقتال ، ولم يقف عند حد هاتين الجنايتين الخارجيتين ، بل استبد وظلم ، وألحد في الحرم ، كما نثبت ذلك بالحجج الآتية ، ولا غرض لنا إلا بيان الواقع ليعلم أمراء العرب وزعماؤهم . وعلماء المسلمين وكبراؤهم . ما يجب عليهم من تغيير المنكر . ومنع الخطر المنتظر . ولو باقناع هذا الرجل بما يجب . وإقناع الحكومة الانكليزية بترك معبد المسلمين الإكبر وقبلتهم لهم . وعدم تصديها لها بحيل المعاهدات وغيرها . ونرى أن هذا خير لنا ولها من ضم العداوة الدينية الى العداوة السياسية . وهذا ما نريد بيانه من الوثائق وقد سبق نشر بعضها :

﴿وثائق الجناية الاولى : وضع الحجاز تحت النفوذ والسلطان الاجنبي﴾

الاولى مقررات النهضة

من المعلوم المشهور أن هذا الرجل يسمى خروجه وثورته التي هي افتيات على العرب والاسلام «بالنهضة» ومن أعياده الرسمية «عيد النهضة» ومن أوسمته الملكية «وسام النهضة» ويسمي المواد التي غرضها

على الدولة البريطانية والتزمها وقيد نفسه وأمته وبلادها بها بغير حق ولا أهلية « مقررات النهضة » و« أساس النهضة » وقد كان يكتم هذه المقررات ويضن بها على كل أحد حتى أولاده قواد جيش ثورته — حتي اذا مافثئت الحرب وجاء وقت اقتسام الغنائم ومنها حصته من السلطان على البلاد العربية كلها في ظل الحماية البريطانية ، أنكرت عليه حليفته بريطانية العظمى مايدعيه لنفسه منها — فحينئذ — سمح باعطاء ولده (الامير فيصل) صورة «مقررات النهضة» ليناضل له بها، وقد اقتضت الحال نشره إياها باسمه في جريدة المفيد التي كانت تصدر في دمشق على عهد امارته لها، و نقلتها عنها صحف كثيرة في مصر والهند وغيرها، وهذا نصها

(١) — تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقا من بحر خليج فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالا حدود ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ومجتمعه مع الدجلة الي مصبها فى بحر فارس ما عدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود . وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحل في محلها فى رعاية وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الافراد

(٢) — تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأيّ صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها

البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه . وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية (١)

(٣) — تكون البصرة تحت إشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي حكمها قاصرة في حضن بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاشغال

(٤) — تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الاسلحة ومهماتها والذخائر والنقود مدة الحرب

(٥) — تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ماهو مناسب من النقط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها. اه

فملخص هذه المقررات : أن الدولة الانكليزية هي صاحبة البلاد العربية. وأنها بمالها من حق التصرف فيها تؤسس لواضعها «أميرمكة» دولة منها تسمى مستقلة مع كونها قاصرة في حجرها وحضنها ، وتحت حمايتها في داخلها وخارجها ، حتى لو حصل قيام داخلي على ملكها في حرم الله تعالى أو حرم رسوله صلى الله عليه وسلم كان على الانكليز أن يساعدوه

«١» توهم واضع هذا القيد أنه أحترس به عن جعل الاحتلال دائماً جهلا منه باحتلال مصر وبأنه لا يمكن له ولا هي تمكنه من إتمام ما ذكر

مادة ومعنى على قمعه ، ويدخل في هـذا إدخال جيوشها في الحرمين الشريفين لاجل حفظ ملـكه فيهما ،

فما تقولون أيها المسلمون فيمن يعطي هذه الحقوق لدولة غير مسلمة في الحرمين الشريفين وسياجهما؟ هل هو مشروع موافق لتلك الآيات القرآنية، والاحاديث النبوية، والوصية المحمدية، والاحكام الاسلامية، التي ذكرناكم بها في مقدمة هذا الخطاب؟ أم هو جناية على الحرمين وسياجهما ومشاعرهما وعلى الملة الاسلامية والامة العربية فيجب عليكم السعي لازالتها ؟

إن الدولة البريطانية قد سجلت على هذا الرجل كل ما اعترف لها به من الحقوق على أمته وبلادها في هذه المقررات وغيرها ، ولـكنها لم تجبه الى كل ماطلبه لنفسه منها ، بل استثنت سورية الشمالية من المملكة العربية لاجل حليفتها فرنسة ، وحملته على الاعتراف بحقوق لها في سائر العراق فلم تقنع بولاية البصرة التي سمح لها من تلقاء نفسه

الوثيقة الثانية : كونه موظفا بريطانيا

إن هذا الرجل هو الذي انفرد باعطاء الدولة الانكليزية الحق بأن تؤسس له دولة عربية تكون تحت حمايتها، وفي حكم القاصر في حضانتها، وهو الذي اختار لنفسه أن يكون من جملة رؤساء الممالك المنضوية الى كنف أمبراطوريتها، وكم في هذه الامبراطورية من ممالك تسمى مستقلة ، وكم فيها من أمراء وملوك وسلاطين ؟ فلا غرو ولا عجب منه اذا صرح ونشر في جريدته (القبلة) ما يصرح بأنه عامل موظف عندها . وانه هو وأولاده كالبلاد رهن تصرفها . ونكتفي بشاهدين على ذلك من جريدته القبلة

﴿ الشاهد الاول ﴾ لما علم هذا الرجل ان الحكومة البريطانية قررت عرض مطالبه على مؤتمر الصلح واعطائه مايقرره المجلس — أرسل كتابا منه الى نائب ملكها بمصر بتاريخ ٢٠ ذي القعدة ١٣٣٦ نشره بعد ذلك مرارا في جريدة القبلة وقد جاء فيه مانصه :

« فان كان ولابد (؟) من التعديل فلا لي (؟) سوى الاعتزال والانسحاب ولا اشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا انه أمر (؟) يتعلق بالحياة لالقصد عرضي ، ولا لفكر غرضي ، وانها الارتياب في أني وأولادي اصدقاؤها الذين لاتغيرهم الطواريء والاهواء ، ثم تعينوا (؟) البلاد التى تستحسن اقامتنا فيها بالسفر اليها في أول فرصة

« وان رأت ذلك ولكن مشاكل الحرب الحاضرة تقتضي بتأجيله الى ختامها لحقوق الوفاء والجميل يفرض علينا الثبات امام ماسيتضاعف علينا من التهمات ونحوه من العموم مما لامقاومة لدينا أمامها الاحسن النية — فالامر اليها

« أما عطف الامر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأنه لاعلاقة لنا به ولا مناسبة بيننا وإياه حتى ننتظر منه سلبا أو إيجابا ، ولو قرر المؤتمر المذكور اضعاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (؟) من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اه

نقلناهذا بحروفه حتى اغلاطه اللفظية عن العدد ٣٩١ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة المكرمة في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٨ وهو نص في جعل هذا الرجل اخلاصه في التابعية البريطانية تعبداً وأنه يقبل من الدولة الانكليزية نفيه مع أسرته من وطنه ولا يقبل من سائر الدول اضعاف مقررات استقلال الحماية لمصلحة الامة بل يعده كالكفر بالله والطرد من رحمته !!!

***

﴿ الشاهد الثاني ﴾ انه قد استقال في هذا الكتاب من منصبه (ملك الحجاز)

لدى الدولة البريطانية استقالة معلقة ويظهر أنه قد رفع استقالته الى الحكومة البريطانية بلندن مباشرة بعد الاستقالة الضمنية بهذا الكتاب كما يفهم من نص البرقية الآتية التي أرسلها الى مدير جريدة التيمس الانكليزية يتوسل بها الى قبول استقالته التي تكررت وهذا نصها منقولا من العدد ٥٥٣ من جريدة القبلة :

﴿ المدير العمومي لصحيفة التيمس ﴾

﴿ اطلعت على عددكم المشتمل الرد والقدح باتحاد العرب والتزامكم ﴾
﴿ أحد أمرائهم(١) ولزيادة إقناع حكومة جلالة الملك وإيضاح الحقيقة ﴾
﴿ لعموم الشعب النجيب البريطاني أكرر بهذا طلبي بواسطتكم من ﴾
﴿ حكومة جلالته تأكيد تعيين الامير المذكور أو من تراه ليستلم ﴾
﴿ البلاد فان غايتي الراحة العمومية وخدمتها كما يعلم من أساسات ﴾
﴿ قيامي وشرائطه يؤيده طلبي هذا المثبت للحقيقة من سائر وجهاتها م ؟ ﴾

وهذا نص صريح قطعي في اعتراف الملك حسين بأنه تابع للحكومة الانكليزية وخادم لها وبأنها هي صاحبة الحق في عزله وتولية من تشاء على الحجاز وغيره من بلاد العرب، وبأن هذا من «أساسات قيامه وشرائطه» يعني ما يسميه مقررات النهضة، ولو لم يكن له الا هذه الخزية لما احتيج الى حجة غيرها على جعل الحرمين الشريفين تحت السيادة البريطانية ومن ضمن مستعمرات التاج البريطاني، وكفى بذلك عداوة واهانة للاسلام والمسلمين كافة، واضاعة لاستقلال العرب خاصة، توجب على مجموعهم التعاون على ازالة هذا المنكر الاكبر والخطر الاعظم ، فان لم يفعلوا كانوا كلهم عصاة لله تعالى هادمين لاركان دينه ومحقرين لما أوجب عليهم من حفظ شعائره ومشاعره

**

(١) يعني سلطان نجد اذ كانت التيمس قد أثنت في ذلك العدد عليه

الوثيقة الثالثة : المعاهدة الجديدة

خاب أمل هذا الرجل في الانكليز فلم يجعلوه ملكا على جميع البلاد العربية بقوتهم وسلطانهم كما اقترح عليهم في « مقررات النهضة » والحجازُ وحده لا يشبع مطامعه ، وليس من مصلحة الانكليز أن يقاتلوا أمراء جزيرة العرب لاجل إخضاعهم له وتحقيق جعله ملكا عليهم ولا أن يجعلوه حاكما من قبلهم على العراق وفلسطين ، لانه على خضوعه لهم ليس عنده لين ولده فيصل ومرونته، ولا فَرَق ولده عبدالله واستسلامه، وقد جعلوا الاول ملكا على العراق ليروض لهم صعاب الشيمة الجامحة بشهرة نسبه وخلابة لسانه ، ويسلس لهم قياد رؤساء الجند وزعماء الشعب بدماثة نفسه وجود بنانه، وجعلوا الثاني أميراً على شرق الاردن ليكف عن فلسطين عادية قبائل العرب ويمكن لهم السلطان في هذه المنطقة فيؤسسوا فيها حظيرة الطيارات التي هي العمدة الاخيرة لهم في تذليل جزيرة العرب وأمثالها بدون نفقة كبيرة ولا سفك دماء من جندهم — ويمهدوا بنفوذه في البدو طرق السيارات والدبابات في قلب البلاد العربية ، تمهيداً لما سيشرعون به من مد سكة الحديد العسكرية الحربية بين فلسطين والعراق ليتصل البحر الاحمر بخليج فارس ، ولقد صدق عليه وعلى أخيه ظن وزير المستعمرات البريطانية ، فيما ضمنه لحكومته وأمته من تقليل نفقات الاستيلاء على هذه البلاد العربية، ولكن أباهما لا يرضيه الا أن يكون هو ملك البلاد العربية كلها كما لقب نفسه، فهو ما زال يلح ويلحف في مطالبة الحكومة البريطانية بانجاز وعدها له على ما فيه ،

وما زالت تعرض عليه ما لا يرضيه، حتى جاءه الدكتور ناجي الاصيل مندوبه لديها في شهر رمضان الماضي (سنة ١٣٤١) بالمعاهدة الجديدة فرضي بها وأعلنها بمكة المكرمة في عيد الفطر وأمر بأن يكون يوم اعلانها عيداً سياسياً للامة العربية بأسرها، وأمضاها بالتوقيع الابتدائي مع طلب تعديل جزئي غير جوهري في بعض موادها غير الاساسية

واننا نذكر هنا أهم مقاصدها السياسية المنافية لمصلحة العرب والاسلام المؤكدة لما تقدم من جعله الحجاز تحت سيادتها وحمايتها بمنتهى الايجاز معتمدين على ترجمة ما نشرته حكومة فلسطين الانكليزية من الخلاصة الرسمية لها، وهي:

أهم غوائل المعاهدة الحجازية البريطانية

(١) « تنص المادة الاولى على منع استعمال بلاد كل من الحكومتين قاعدة لاعمال موجهة ضد الحكومة الاخرى» هذا نص الخلاصة الرسمي وفيه الغنم للانكليز، والغرم على العرب وغيرهم من المسلمين، فهي تسلب أهل البلاد وغيرهم من حجاج الآفاق حرية التعاون والتشاور هنالك في أي مصلحة لهم في دينهم ودنياهم تعدها الدولة البريطانية « ضدها» وان كانت خاصة بمصالح المسلمين الدينية كاضطهادها إياهم أو ظلمهم في امر يتعلق بدينهم كالحج نفسه، وما زال المستعمرون للبلاد الاسلامية يخافون أن يستيقظ المسلمون من رقادهم الاجتماعي والسياسي ويتعاونوا على مصالحهم الاسلامية المشتركة في هذا المجمع العام، عند بيت الله الحرام، فاعطى الملك حسين كبراهن المساطة على زهاء مئة مليون مسلم مأربها، وليس لاهل

الحجاز ولا لغيرهم من العرب أو المسلمين ولا الملك حسين أدنى فائدة في مقابلة هذه الغائلة ، فان الحكومة البريطانية لاتستطيع أن تمنع أهل بلادها مثل هذه الحرية الذي يتعهد ملك الحجاز بمنعها منه ، إذ يرى انه مالك لرقاب أهله و نواصي كل من لاحامي له من دول الاجانب ممن يحج بيت الله فيه ، فان الحرية في بلاد الانكليز أقوى من كل معاهدة تعقدها أي حكومة فيها ، ولكن ملك الحجاز يظن أن حكومة الانكليز تستطيع أن تعمل في لندن وليفربول كل مايستطيع هو أن يفعله في أهل مكة وجدة المستضعفين المستعبدين

على أن الانكليز ابرع خلق الله في التفصي من قيود المعاهدات التي يعقدونها مع الدول الكبرى بالتأويل كما قال اعظم ساسة اوربة فى عصره (البرنس بسمارك) فكيف يبالون بضعيف رضي لنفسه ولقومه سيادتهم عليهم؟ فاذا فرضنا أن بعض الانكليز في بلادهم أو بعض رعاياهم من مسلمي الهند قاموا بعمل ضد حكومة الحجاز ولم تمنعهم حكومتهم فهل يستطيع ملك الحجاز أن يثبت ذلك ويكره الحكومة الانكليزية على منعهم؟ لا، لا، لا،

(٢) من قضايا المادة الثانية تعهد ملك الانكليز بتعضيد استقلال البلاد العربية التى اعترف باستقلالها ، بالمعنى الذي لا ينافى الانتداب ولا الحماية بدليل كون فلسطين والعراق منها ، وهذا التعهد يعطيه حق التدخل في شؤون هذه البلاد الداخلية باسم التعضيد ومنها الحجاز واليمن ونجد ، كما جعلت حكومته وحكومة فرنسة لانفسهما حقا فى عزل ملك اليونان بحجة انهما وعدتا بتعضيد استقلالها وان اعمال ذلك الملك تنافى الاستقلال

(٣) تتضمن هذه المادة إقرار الانتداب على العراق وعلى فلسطين ايضاء وعبر عن هذا فيها بأن ملك الحجاز « يعترف بالمركز الخاص الذي لملك الانكليز فيهما » وما هو إلا الانتداب ولوازمه ، ومنه الاعتراف بعهد بلفور فى جعل هذه البلاد وطنا لليهود ، وتتضمن فوق هذا تعهد ملك الحجاز ببذل غاية جهده فى التعاون مع ملك الانكليز على القيام بتعهداته فى البلاد العربية (ومنها عهد بلفور والاتفاق مع فرنسة على سورية)

(٤) في المادة الخامسة « يتعهد صاحب الجلالة البريطانيـة بأن يصد بجميع الوسائل السلمية والممكنة أي اعتداء يقع على بلاد جلالته الهاشمية ضمن الحدود التي تقرر نهائيا » وهذا نص صريح باعطاء الانكليز حق حماية الحجاز ولهذا صرح الملك حسين بأن هذه المعاهدة مبنية على أساس مقررات النهضة وسيأتي نص عبارته في هذا

(٥) تنص المادة السادسة على تعيين وكلاء سياسيين وقناصل للانكليز في الحجاز وفي البلاد البريطانيـة للحجاز — والحجاز في غنى عن هذا التدخل الاجنبي السياسي بما سيجيء بعد

(٦) يعترف ملك الحجاز في المادة السابعة للانكليز بحق الحجر الصحي على حجاج الشرق والجنوب ، ويعترف له ملك الانكليز بالتدابير المتممة لذلك في ثغور الحجاز، وفي كل من الامرين سيادة لملك الانكليز على الحجاز وتحكم في الحجاج، فان القانون الدولي يعطي لكل دولة الحق بأن تحجر على الموبوئين الذين يريدون دخول بلادها، وملك الحجاز أعطى حقه هذا للانكليز واستمد من ملكهم حق الاعمال المتممة له في بلاده وأي الحجاز

ولم يسمح بمثل الحق للحكومة المصرية الاسلامية ، وما ذلك الا انه يعد نفسه تابعا للدولة البريطانية كما تقدم في الوثائق السابقة

(٧) يتعهد ملك الحجاز في المادة الثامنة بأن لا يتدخل في التدابير التي يتخذها ملك الحجاز للاعتناء بالحجاج ، ويتعهد ملك الحجاز بتعضيد المساعي التي يبذلها مسلمو الرعايا البريطانيين لمساعدة الحجاج في الحجاز ، فالأول مبني على الاعتراف بسيادة ملك الانكليز على الحجاز اذ لا معنى لتعهده بعدم التدخل في أمر الاعتناء بالحجاج الا أن هذا وأمثاله من حقه وقد أباحه لملك الحجاز ، والثاني مما أنكر ملك الحجاز مثله على الحكومة المصرية إذ أرسلت مع ركب الحج المصري بعثة طبية فلم يقبلها محتجا بأن قبولها ينافي لاستقلال؟ أليس معنى هذا ان استقلاله واقع في ضمن دائرة الامبراطورية البريطانية التي تضم كثيرا من المستعمرات التي تسمى مستقلة ؟

(٨) المادة التاسعة « تنص على تعيين مبلغ محدود يفرض على كل حاج » وهي معترضة من ثلاثة أوجه

(أحدها) ان ضرب أتاوة أو غرامة على كل من يحج بيت الله تعالى محرم فى الشريعة الاسلامية بالاجماع يدخل فى عموم قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وعموم (ولا تشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) فقد قال تعالى في شأن بيته (فيه آيات بينات) وهو كفرض الضرائب على الصلاة والصيام ، ومن يستحل ذلك يعد مرتدا عن الاسلام ، ويعد أيضا من الصد عن سبيل الله ويدخل فى عموم قوله (ان الذين كفروا

ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس) الخ

(ثانيها) انوضع هذا التعدي على شرع الله ودينه وحجاج بيته الداخلين فى أمانه — فى معاهدة مع دولة غير اسلامية لا يعقل له سبب الا الاستعانة بها على تنفيذه، والاعتماد على حمايتها فى قهر جميع المسلمين على الاذعان له

(ثالثها) انه قد يكون مثار فتن بين الحكومات الاسلامية وبين ملك الحجاز تؤدي الى تدخل هذه الدولة الحامية في الحجاز لتنفيذ عمل محرم فى الاسلام يعد مستحله والراضي به كافراً خارجا منه . ذلك بأنه إذا امتنع حجاج نجد واليمن وتهامة من جيران الحجاز عن دفع هذه الضريبة فلا سبيل الى تنفيذها إلا أن يجبرهم ملك الحجاز عليها أو يصدهم عن أداء الفريضة بقوة السلاح؟ وهو غير قادر على ذلك بنفسه؟ فاذا قاوموه وحاولوا دخول الحرم بالقوة لايكون له معول في صدهم الا على ارسال الجند البريطاني ليحيطوا بالحرم الشريف ويصدوا عنه هؤلاء الحجاج تنفيذاً لهذه المعاهدة ولمقررات النهضة ؟

(٩) المادة الحادية عشرة وما بعدها الى السادسة عشرة في امتيازات قضائية للدولة البريطانية فى الحجاز تنافي الاستقلال الصحيح وتنفيذ الشرع الاسلامي فيه وتؤكد ما تقدم بيانه

هذه بعض غوائل هذه المعاهدة ومفاسدها ، وقد انفرد هذا الرجل المستبد في حرم الله تعالى بالتعاقد مع الانكليز عليها ، كأن حرم الله تعالى وحرم رسوله ملك له يتصرف فيه كما يشاء لا يتقيد بنص شرعي ولا بمشاورة أحد من أمراء المسلمين وعلمائهم

فان قيل ان المعاهدة لما تمض وتوضع موضع التنفيذ؟ قلنا نعم ولكن السبب الاول لذلك هو رفض الفلسطينيين لها ، ولا تزال المفاوضات بين هذا الرجل وبين الانكليز دائرة في حل المسألة الفلسطينية لأجل تنفيذها، والراجح ان مجيئه الى فلسطين يقصد به قبل كل شيء اقناع أهلها بنص خادع فيها اذ لم ينخدعوا بالنص الاول

الوثيقة الثالثة اتخاذ يوم اعلان هذه المعاهدة عيدا

جاء في العدد ٦٨٨ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة المكرمة في ٥ شوال سنة ١٣٤٢ بعد بيان الاحتفال الرسمي بعيد الفطر ما نصه :

عيد على عيد

﴿ اعلان استقلال العرب ووحدتهم في جميع الجزيرة العربية ﴾

ولما استقر بجلالة المنقذ المقام ، في بهو الاستقبال العام، مثل بين يدي جلالته الاشراف والسادة العلماء والاعيان والوجهاء وأماثل الامة على اختلاف طبقاتها حاضرها وباديها ، وحينذاك تفضل جلالته ففاه بخطاب ملوكي سام حمد الله فيه وأثنى عليه ثم أشار الى أن هذا العيد المبارك لا شك في تضاعف يمنه حيث صادف قبول المراجع الايجابية [1] لجميع المطالب العربية، فلاريب في أنه يوم اجتمع فيه عيدان ؟ عيد الفطر السعيد وعيد الاعتراف باستقلال العرب ووحدتهم وعليه فجلالته يعلن ذلك للامة العربية حاضرها وباديها ،

وعلى أثر ذلك أمر جلالته صاحب الاقبال رئيس الديوان العالي أن يلقي في ذلك المحفل الجليل الخطاب الملوكي الهاشمي الآتي وهذا نصه :

---

(١) هذه الكلمة من الاصطلاحات التركية وهي بمعنى أولي الأمر والمراد هنا الحكومة الانكليزية لأنها في عرف ملك الحجاز ولية امر الحجاز وسائر العرب والوصية عليهم كما سيأتي

بسم الله الرحمن الرحيم

{ نصرح فى هذا العيد المبارك بما ل المعاهدة العربية البريطانية }
{ المؤسسة على مقرراتنا الاساسيـة والتي يعترف بها صاحب الجلالة }
{ البريطانية لنا باستقلال العرب بجزيرتهم وسائر بلادهم ، ويتعهد لنا }
{ حشمته الملوكية بالمعاضدة الفعلية لتأسيس الوحدة العامة الشاملة }
{ لـكل هذه البلاد بمافيها العراق وفلسطين وشرق الاردن وسائر البلاد }
{ العربية فى جزيرة العرب (ماخلا عدن) فنأمر أن يعتبر هذا اليوم }
{ المبارك عيدَ الاعتراف باستقلال الامة العربية والله ولي التوفيق } انتهى

هذا نص خطاب الملك الرسمي بحروفه ، وقد نشرت جريدة القبلة عقبه خطابا ألقاه الدكتور ناجي الأصيل سمسار هذه الخديعة وحسبنا التصريح الرسمي من الملك حسين بأن هذا الاستقلال مبني على أساس نهضته أى حماية الانكليز لبلاد العرب ووصايتهم على أهلها كما علم من الوثيقة الاولى ولكن الناس يغفلون عند القراءة فيظنون أن المراد الاستقلال الحقيقي المطلق من كل قيد

ولهذا يتعجب بعضهـم من تصريحه هو وأولاده وجريدته (القبلة) تسمية العراق وشرق الاردن مستقلة فليس معنى الاستقلال عندهم الا جعل دولة الانكليزية اياهم ملوكا وأمراء في البـلاد العربية تحت حمايتها اذ يعدون هذه البلاد ملكا لها. فلو سمي عبد الله أو أخوه زيد ملكا على سورية أي المدن الاربع منها — صارت مستقلة عندهم، وصار الانتداب مساعدة ومحالفة في عرفهم

{ الوثيقة الرابعة خداع أهل فلسطين }

بينا أن المعاهدة العربية البريطانية مشتملة على إقرار الانتداب وعهد بلفور ضمناً ولـكن الملك حسينا قد أرسل البرقية الآتية الى أهل فلسطين ونشرت في جرائدها والجرائد المصرية وهذا نصها

الى عموم اهالي فلسطين

رغبة في وقوفكم على الحقيقة وضرورة اعلانها للعموم لقد صرحنا في هذا العيد المبارك بمآل معاهدتنا العربية البريطانية المؤسسة على مقرراتنا الاساسية التي يعترف بها صاحب الجلالة البريطانية لنا باستقلال العرب في جزيرتهم وسائر بلادهم ويتعهد لنا حشمته الملوكية بالمعاضدة الفعلية لتأسيس الوحدة العامة الشاملة لكل هذه البلاد بما فيها العراق وفلسطين وشرق الاردن وسائر البلاد العربية في جزيرة العرب ماخلا عدن . وهذا من منن الباري علينا وعلى عظمتها بالوفاء بوعيدنا واقوالنا للعرب رغما عما انسبوني وعظمتها اليه من هضم حقوقهم وكلما رمونا به ولا نشك أن هذا العيد المبارك سيعتبر أيضا عيداً ميمونا باستقلال الامة العربية

ولا أحتاج لتحذيركم عن احداث أي شيء يخل بالراحة والسكون أي صورة كانت لما في ذلك من ضياع الحقوق فانكم المسؤولون عن ذلك وباقي المعاملات تردكم عقب هذا حسين

هذه البرقية هي التي حملت حكومة فلسطين الانكليزية الصهيونية على نشر خلاصة المعاهدة التي كان الملك حسين قد كتمها وأراد إقناع أهل فلسطين وسائر العرب بقبولها والاذعان لها ثقة ببيانه هو — كما فعل بمقررات النهضة منذ بدأ بالثورة فكانت جريدته (القبلة) وجريدة الكوكب التي أنشاها الانكليز بمصر وغيرها من الجرائد المستأجرة للانكليز يذعن في العالم أن الامة العربية قد ضمن لها استقلالها وإعادة مجدها بولائها لانكلترة وحلفائها

ولما نشرت خلاصة المعاهدة وعلم أنها مقررة للانتداب لا نافية له بلغ رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني الملك حسين ذلك فاجابه الملك ببرقية هذا نصها « حسنوا الظن » وفاته أن اليقين لا ينقض بالظن وان تقليد أهل فلسطين له وهم

على علم بالحقيقة محال فهم لم يقبلوا برقيته ولا غيرها مما نشر في جريدته الكاذبة الخاطئة من المكابرة وتكذيب حكومة فلسطين وجرائد العالم... بل ألفوا مؤتمراً قرروا فيه عدم الاعتراف بالمعاهدة وبأن ملك الحجاز لا يملك أن يقرر شيئاً في شأن بلادهم افتئاتا عليهم وبلغوه ذلك هو والدولة البريطانية — ولا نطيل بنشر مالم ننشر من الوثائق في ذلك لقرب العهد بها، وعلمنا أنه لا يكابرنا أحد فيها

ولقد كان من عجب العقلاء الذي لا ينتهي أن ملكا ينفرد بوضع نصوص معاهدة سياسية مع أدهى دول الارض واحذقهن وأدهن في استعمال الالفاظ القابلة للتأويل ، ثم انه يفسر هذه المعاهدة بخلاف المتبادر من نصها ويخاطب بذلك أهل بلاد واسعة ليحملهم على الرضا باضاعة وطنهم وجعل رقبته وحكمه لغيرهم ، ويخطىء كل من يخالفه في ذلك حتى حكومة فلسطين البريطانية والجرائد الانكليزية — دع العربية وغيرها — ومن شاء فليراجع في ذلك (العدد ٦٩٠ و٦٩٦ من جريدة القبلة . والمنشور الرسمي في العدد ٧٠١ الذي يرد به على المصريين خاصة . ثم يعلم انه قد ظهر للعالم كله انه هو المخطيء فيما فهمه أو ما نشره مخالفا لفهمه فيرجع عنه : وجه العجب الذى لم يعرف له نظير أن الملك حسينا ان كان قد نشر ما نشر من تفسيره المعاهدة المخالف لنصها وهو يفهم معنى النص فتلك خيانة توجب عدم الثقة بقوله وعمله وامانته ، وان كان نشره وهو لا يفهم معناه ولم يفهمه اياه نائبه لدي الدولة البريطانية ولا ناظر خارجيته فالمصيبة أعظم اذ هو حجة على أنه ليس أهلا لعقد المحالفات ولا لتولي الاحكام ولا لنصب العمال — اذ يكون معتمده لدى الدولة البريطانية ووزير خارجيته قد خاناه بكتمان معنى المعاهدة حتى حملاه على التصريح بتضمنها لاستقلال جميع البلاد العربية - ماعدا عدنا — وبحمل أهل فلسطين على قبولها ، ثم ظهر الامر وافتضح، وبقي الرجلان موضع ثقته في أعماله السياسية الدولية!! على أن الظاهر المتبادر هو الاول وهو أنه صرح بما صرح به على علم بأنه عبودية للانكليز لا استقلال كما انه اغتبط باحتفال ولده الامير عبدالله باستقلال شرق الاردن ونشر ماقيل فيه بجريدته وهو يعلم أنها تحت الوصاية البريطانية والتى لا تنافي الاستقلال عنده بل تقتضيه

طور آخر وتصريح جديد

بعد هذا نشرت جريدته في العدد ٧٣٢ الذي صدر في ١٩ ربيع الاول سنة ١٣٤٢ مقالا ذكرت فيه انه صرح لبعض الحجاج من البلاد العربية المختلفة بما يدل على اعترف بخطائه فيما صرح به في أول شوال وما كتبه بمعناه لاهل فلسطين وهو كسائر كلامه المتعارض او المتناقض وهذا نصه

« يهمني من جميع البلاد العربية ما يهمني من أمر بيت الله الحرام وقد عرضت عليّ الحكومة البريطانية معاهدة وجدت في بعض موادها ما لم يتفق مع العهود المقطوعة لي التي تأسست عليها أعمال النهضة فعدلت تلك المعاهدة تعديلا هاما نصصت فيه على استقلال فلسطين استقلالا مطلقا يخول للفلسطينيين ادارة بلادهم بأنفسهم واختيارهم طريقة الحكم التي يريدونها وبذلك جعلت وعد بلفور في حكم أنه لم يصدر وقضى عليه بالموت وفوق ذلك فاني طلبت في التعديل أنه بعد عقد المعاهدة يؤمر المندوب السامي بفلسطين أن يصرح — بحضور مندوب من قبلي أمام ممثلي فلسطين — باستقلال الاقطار الفلسطينية استقلالا تاما مطلقا ودخولها صراحة في الوحدة العربية طبقا للعهود البريطانية المقطوعة لي، وأؤكد لكم أنه اذا لم تقبل الحكومة البريطانية التعديلات التي طلبتها فلا يمكن أن أوقع على المعاهدة بل أرفضها رفضاً باتا وكونوا على ثقة أنه لا يمكن أن يذهب شبر من أراضي فلسطين وأنا وأولادي أحياء على وجه الارض فانا نحافظ على أحقر قرية في فلسطين محافظتنا على بيت الله الحرام ونريق في سبيل ذلك آخر نقطة في دمائنا وعلى كل حال فانني بعد انتهاء أمر المعاهدة سأحضر بنفسي الى أطراف تلك البلاد فاذا ورد

جواب لندن على مطالبي بالايجاب أستشيركم في طريقة الحكم التي تريدونها واذا ورد جوابها بالسلب أستشيركم فيما يجب عمله واني أسير معكم على ماتتفقون عليه» وكونوا على ثقة اني أنظر الى أهل فلسطين نظري الى أولادي ولا أفرق في ذلك بين مسلم ومسيحي ويهودي وطني ومن يرجع من الصهيونيين عن أطماعه البلفورية» واني أشهد الله على ذلك وهو حسبي ونعم الوكيل» اهـ

وسنبين غرضه من هذا التصريح عند ذكر نتيجة هذه الوثائق كلها

الجناية الثانية عداوة لأمراء جزيرة العرب

﴿ وتعريضه الحرمين الشريفين للغزو والقتال ﴾

لو شئنا لأتينا بوثائق كثيرة من جريدة القبلة تثبت هذه الجناية كالمنشورات الرسمية الصادرة باسم الملك حسين في الطعن بدين أهل نجد وتكفيرهم وزعمه أنه يجب على ولي أمر المسلمين (يعني نفسه) عقابهم الذي يقتضيه الشرع أي قتالهم قتال أهل الردة وغير ذلك من التحرش بهم والتصريح بعداوتهم والاستعداد لقتالهم والاعتداء عليهم بالفعل (كمنشور ٩ شوال سنة ١٣٣٦ الذي نشر في عدد ٢٠٢ من جريدة القبلة المؤرخ ٢٤ منه — والمنشور الذي نشرته في غرة ربيع الاول سنة ١٣٣٧ — والمنشور الذي نشرته في ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٧) وكالتصريح بغزوه لبلاد عسير بعد وفاة السيد محمد الادريسي بالقوة الحربية والفتح الهاشمي ولكننا نستغني عن إيراد النصوص في ذلك من أعداد جريدته بالتصريح الاخير الذي بين فيه ماكان يكتمه من معنى الوحدة العربية عنده وهو إخضاع جميع أمراء جزيرة العرب لملكه ومايراه من تقسيم البلاد وادارة حكومتها بالقوة القاهرة، وهو الوثيقة الخامسة

﴿ الوثيقة الخامسة التفسير الرسمي للوحدة العربية ﴾

جاء في صدر العدد ٧٣٧ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة المكرمة في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٢ (بيان عام من اللجنة التنفيذية لمؤتمر الجزيرة)

بامضاء رئيس لجنتها التنفيذية (محمد بن علوي) جعل عنوانه (هذا بلاغ للناس) وذكر فيه أن اللجنة تشرفت بالمثول بين يدي الملك حسين للوقوف على ما وصلت اليه القضية العربية فصرح لها بأمور أهمها اعلانا تفسيره للوحدة العربية التي ملأ الدنيا تنويهاً بها وانخدع كثير من العرب الذين يصدقون دعايته بأنها هي التى تؤلف بين العرب وتوحد قوتهم — كما انخدعوا بمؤتمر الجزيرة الذى يستخدمه في ذلك ، فتبين الآن من هذا التفسير ان هذه الوحدة عين الفرقة وانه لاغرض له من هذه الدعاية الا إذلال العرب والاستيلاء عليهم بقوة لاجانب الحامين له ، وطالما بين الناصحون العارفون هذا قولا وكتابة — ولاسيما المنار — فارتاب في نصحهم الخادعون والمخدعون وعدوه عداوة شخصية له ، حتى صدقهم الملك حسين نفسه ، وهذا نص تصريحه بحروفه :

« ان نهضتي عند ما آن أوانها الذي قضت به قدرته جل شأنه قبل خلق العالم وكرتنا بما فيها من موجوداتها قد رسمتها على الاساس الآتي وهو وحدة البلاد العربية واستقلالها بحيث تكون خارجيتها وعسكريتها وسياستها العامة واحدة ، أما داخليتها فالامارات المعروفة بجزيرة العرب تكون على ما كانت عليه قبل الحرب وان كل أمير في أي أمارة من هذه الامارات الموروثة لهم من آبائهم وأجدادهم يستقل بداخليته ضمن الحدود التي كانت عليها إمارته قبل الحرب بشرط أن يرتبط مع المجموع الذي كل من خرج عنه منهم أو شذ بالخروج عن الجامعة العربية يحكم عليه المجموع بمقتضى قوله تعالى : (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله) . وأما ما كان خارجا عن حدود تلك الامارات سواء كانت تلك الامارات قائمة بذاتها ضمن حدودها أو طرأ عليها الاغتصاب كعسير قبل الحرب وابن رشيد بعد الهدنة فلابد من عودتهم الى ما كانوا عليه كعودة

الامام يحيى الى صنعاء — فيكون أمرها (أي تلك المقاطعات — بما فيها الحجاز — الخارجة عن حدود تلك الامارات) منوطاً برأي عموم أهاليها يعينون رياساتها وكيفية تشكيلاتها وادارتها بالشكل الذي يستنسبونه بشرط المحافظة على الوحدة والارتباط وهي القاعدة التي ذكرتها آنفا »

(وهنا تبرأ مما هو محسوس ومشهود من تهالكه على طلب الرياسة له ولابنائه ثم قال) :

« واني أمقت التداخل الاجنبي وسياسة الاغتصاب والاعتداء في داخلية الجزيرة مما هو مشهود من اغتصاب بعض الامراء لامارة اخوانه فاني أجده من أكبر القطائع أمام حسيناً أي المذكورة إذ أن النهضة ومؤسساتها هي لحفظ حقوق الجميع، وليست لتمييز فريق على فريق

(الى أن قال بصدد هذا الاعتداء الذى سماه أجنبيا) :

« ولذلك فهذه هي الخطة التى عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين . لذا فلا بد من إعادة آل رشيد وآل عايض الى أمارتهم وحدودهم وقبائلهم التي كانوا عليها، إعادة كل أمير من أمراء الجزيرة الى ما كان عليه قبل الحرب

واني لثابت (بقدرة الله تعالى) على هذا الحس والشعور أمام التجاوزات الاجنبية اذا أصر أربابها على مطامعهم الحاضرة المخالفة لمقرراتهم (الصواب لمقرراتنا) التي تأسست عليها النهضة والمخالفة لكل عدل حتى لما جاهروا به من بعد ومن قبل. هذا الذي أدين الله عليه ولو لم تبق الا ذاتي وحياتي لانفقتها في هذا السبيل لا أريد بذلك جزاء ولا شكوراً الا خدمة العرب خاصة والاسلام عامة، والاعمال بالنيات (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) » اه

هذا نص ألفاظ الملك حسين حتى إننا لم نصحح كلمة « لمقرراتهم التي تأسست عليها النهضة » مع القطع بأن لفظ لمقرراتهم غلط من المطبعة أو سبق لسان أو قلم منه لان «مقررات النهضة» له لا لأولئك الاجانب في عرفه وهم أمراء العربية . ويتلخص هذا التصريح بالامور الآتية

(١) جعل جميع البلاد العربية (وهو يسمي نفسه مالكها) دولة واحدة تكون سياستها الخارجية وعسكريتها وادارتها العامة واحدة

(٢) تغيير شكل إمارات جزيرة العرب الحاضرة بانتزاع بلاد حايل وعشائر شمر من سلطنة نجد واعادتها الى آل الرشيد — وانتزاع بلاد عسير التى كانت لآل عايض من سلطنة نجد وامارة الادريسي واعادتها اليهم — وانتزاع اقليم الحديدة من الادريسي وجميع مابيد الامام يحيى مما كان للدولة العثمانية من بلاد اليمن واستشارة أهل هذه البلاد كالحجاز في شكل الادارة التى يحبون ان تكون في بلادهم واختيار رؤسائها في ظل وحدته

(٣) اعطاء امارات الجزيرة الموجودة الموروثة حق الادارة الداخلية بشرط الخضوع لملك العرب العام واتباعه في السياسة الخارجية والعسكرية والادارة العامة

(٤) ان من يأبى الخضوع لما تقدم يعد خارجا عن أمر الله وحدود دينه فيقاتل قتالا دينيا حتى يرجع الى أمر الله (يعني امره هو بما ذكر اذ لم يأمر الله بذلك)

(٥) ان هذه الوحدة بهذه الصورة الدينية مبنية على مقررات النهضة المتضمنة لحماية الدولة البريطانية لجميع البلاد العربية

(٦) ان هذه الكليات الخمس عقيدة دينية للملك حسين يدين الله بها فلا يرجع هو ولا أولاده عنها ولو لم تبق الا ذاته وحياته لا نفقها في سبيل تنفيذها

ولا يخفى ان هذا التصريح الرسمي يتضمن جعل هذه الامارات كلها في حالة حرب معه ، فعلى أي قوة يعتمد في هذا ؟ وهل هو مغرور في اتكاله على نجابة «الحسيات البريطانيه» هذه المرة كما انخدع من قبل ومن بعد على ما نقل عنه المغرورون بأقواله ، أم هو على ثقة من انجاز وعدها له؟ أم هو متكل على بعض أهل شرق الاردن وسورية وفلسطين الرازحين تحت أوزار الوصاية البريطانية

والفرنسية بحيث لا يملكون من أمرهم شيئا فيملكوا أن يعطوه قوة حربية يقاتل بها أهل نجد واليمن وتهامة ويخضعوهم لوحدته العربية، أو قوة دينية بمبايعتهم اياه بالخلافة تخضع بها امراء جزيرة العرب الثلاثة لامره وهيبه معتقدين ان تلك المبايعة جعلته امامهم الشرعي؟؟

لقد كان أنصار الملك حسين وأولاده من مأجورين ومغرورين يزعمون انه هو الزعيم الوحيد الذي وجه عنايته للوحدة العربية التي لا رجاء في حياة الامة العربية وحفظ استقلالها بدونها على حين يتقاتل الامام يحيى او السيد الادريسي على حدود بلادهما طمعا في ربح كل من الآخر — ويقاتل السلطان ابن سعود الامير ابن الرشيد فيضم بلاده الي امارته ويعتدي أحيانا على حدود الحجاز (قالوا) فاذا كان الملك حسين هو الساعي الى الاتفاق الذى يجمع كلمة الجميع فيجب على كل عربي مخلص لامته ان يشد أزره ويجاهد تحت لوائه ويغفر له ما ألمّ أو يلمّ به من سيئة بازاء هذه الحسنة الكبرى التي هي ام الحسنات، ويؤاخذ اولئك الامراء حتى على الهفوة، لانها تؤيد أكبر الكبائر وهي الفرقة

وكان أهل البصيرة من واضعي أساس الجامعة العربية وغيرهم يقولون لهؤلاء إننا كنا ظننا كما ظننتم أن الرجل يريد جمع كلمة العرب على أساس قاعدتنا المعقولة التي أظهر هو وأولاده الموافقة لنا عليها، وهي تحالف أهل البلاد المستقلة المسلحة على حفظ الاستقلال، والتعاون على عمران البلاد، وتأليف مجلس تحكيم لحل مسائل الخلاف، والتوسل بهذه الوحدة الحلفية، الى الوحدة التامة التي سبقتهم الى مثلها الشعوب القوية. ثم علمنا بالاختيار الدقيق له، والاطلاع على أسس نهضته، أنه انما يسعى

لقتل الامة العربية وهدم استقلالها بمساعدة الدولة البريطانية على ضمها الى امبراطوريتها المرة على أن تجعله ملكا على البلاد كلها تحت وصايتها وحمايتها (كما تقدم في الوثائق السابقة) ومن امتناعه المرة بعد المرة عن اجابة مادعاه اليه مؤسسو الجامعة العربية من عقد التحالف مع أمراء الجزيرة على قاعدتهم التي ذكرت آنفا وكان من أعوانهم لديه على ذلك ولداه عبد الله وفيصل والشواهد والوثائق والدلائل على هذا كثيرة اشرنا الى بعضها في أول الكلام على هذه الجناية، ولم يبق للاستدلال بها حاجة ، فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب * أقر الخصم وارتفع النزاع *

كان الملك حسين في أول العهد بالثورة يظهر لمؤسسي الجامعة العربية ودعاة وحدتها موافقتهم على رأيهم ويرجيء اجابة دعوتهم ويسوف فيها حتى لا يرتابوا فيه ويعرقلوا عمله على حين كان يصرح لمن يعتقد أنهم يخدمونه في اتفاقه مع الانكليز على استعباد الامة العربية قائلا: من هؤلاء الكلاب حتى اتفق معهم ؟ اليوم يوجد في الدنيا ابن سعود وغدا لا يكون في الدنيا ابن سعود ، اليوم يوجد في اليمن امام مطاع، في تهامة ادريسى مملك وغدا لا يبقى في البلاد غير ملك واحد وإمام واحد —أو ما هذا مآله كما نقله المنار الصادق مرارا— وكان المأجورون والمغرورون يكابرون وينتقدون ، وقد انقطعت اليوم جميع الالسنة الخادعة والمخدوعة التي كانت تكثر اللغط في تولية الرجل زعامة العرب وتسميته بملك العرب والبلاد العربية ، على تلك القاعدة الكاذبة الريائية

وقد صرحت إحدى جرائد هذا الحزب بخطته في هذه الايام في

سياق بث الدعوة لزيارته لاطراف سورية — وهي الجريدة التي يعبر عنها في جريدته (القبلة) بقوله « لسان حال أقوامنا» وهي تصدر في القدس بماله وما يفيضها عليه ولده الامير عبد الله ومال الدولة البريطانية التي صرح أحد رجالها بأنهم جعلوها «مقطم فلسطين » فقد نشر صاحبها مقالة افتتاحية في العدد ٤٦٥ الذي صدر في ٢١ جمادى الاولى موضوعها (القضية العربية - جزيرة العرب ركنها وقوتها) تكلم فيها على صلابة أهل الجزيرة وقوتهم، وضعف أهل سورية والعراق وسهولة تغلب خصوم القضية العربية عليهم دون أهل الجزيرة

ثم بين أن « في الجزيرة ثلاث قوات يجب إحلالها محلها اللائق بها من رعاية العرب واهتمامهم هي قوة سلطان نجد وقوة أمام اليمن (قال الكاتب) وكل منهما ارتجاعية متأخرة ، وقوة الحجاز وما يتبع الحجاز من البلاد كالعراق والشرق (١) ثم صرح بان الحجاز دون نجد واليمن قوة عسكرية (قال) ولكنه يفوقهما بطشا واستعدادا اذا ألحقنا به الشرق والعراق فعرب سورية والعراق وفلسطين يميلون بمصلحتهم وتربيتهم واخلاقهم وصلتهم لتأييد ملك الحجاز في سعيه وعمله »

ثم ذكر أن الجزيرة صارت بعد خروج الترك منها تحت رحمة الحكومات الثلاث ، وان حكومة نجد توسعت بازاحة امارة ابن الرشيد وحكومة اليمن توسعت في الجنوب حتى حضرموت، وان حكومة الحجاز

(١) من المعلوم قطعيا أن العراق وشرق الاردن غير تابعين للحجاز في شيء من امر الحكومة فالمراد أنهما تتبعاته في قتال أهل نجد واليمن وتذليلهما وهذا إنما يكون اذا أمرت به الحكومة البريطانية فهل جاء وقته عندها ؟

واقفة موقف المعارضة لكل منهما ولكنها لا تستطيع أن تعمل شيئا لحاجتها الى تكوين الاتحاد العربي من الحجاز والشرق والعراق (قال) « ففي نجد وحدة مكونة وفي اليمن كذلك ، وأما الوحدة الثالثة أو الاتحاد الثالث فلا يزال في دور التكوين ولا يعلم أحد متى يتم وكيف يكون

(قال) « والذي نراه هو أن حكومات هذا الاتحاد ستقف موقفا صعبا أمام حكومتي الجزيرة في اليمن و نجد فلا هي تستطيع التغلب عليهما وارجاعهما عن مطامعها الى الحق والصواب ولا يوافقها القبول بما تم لانه يساعد على اختلال التوازن في الجزيرة وايجاد عهد حروب ومشاغبات فيها. وكل حكومة عربية (مستقلة) تنشأ في سورية أو العراق ولا تتكل على دولة من الدول الاوربية تظل ضعيفة مهددة في حياتها الداخلية ما بقيت نجد في قلق ثائرة على كل ما نسميه نحن نظاما وبقيت اليمن في حالتها الحاضرة »اه

هذا بيان صحيح لما يقصده الملك حسين من الوحدة العربية لضرب العرب بالعرب واخضاعهم للاستعمار الاوربي الذي يظل مهددا في العراق وسورية مادامت نجد واليمن قويتين وهذا سبب تحبيذ صاحب هذه الجريدة له وهو خادم للاجانب ليس مسلما فيغار على الحرمين الشريفين ولا من عرق عربي فيغار على العرب وقد خانهم وغشهم رجال من أشهر بيوتاتهم. وانما الذي نخشاه ان ينخدع بعض أهل بلادنا السورية باسم الوحدة العربية الذي يميلون اليه ويريدون منه غير مايريده الملك حسين . اما وقد ظهر لهم ما يريده فلن ينال من احد ذي قيمة منهم تأييدا ولا تفويضا ولا مبايعة

لسحق قوة العرب «بالاتكال على دولة أجنبية»

لم يبق بعد هذا التصريح الرسمي مجال لحزب مذبذب يخدع الناس بقول الملك حسين باستقلال العرب والوحدة العربية، بل أصبحت الامة العربية حزبين لا ثالث لهما: حزب الجامعة العربية الذي يسعى للوحدة العربية من طريق عقد التحالف والتأليف بين الامراء باقرار كل منهم في بلاده لوقاية البلاد من المطامع الاستعمارية الغربية والتمهيد للاتحاد الاختياري مع التعاون الودي بين العرب وسائر الشعوب الشرقية، والحزب الشريفي الاستعماري الذي يسعى لارغام جميع أمراء العرب بالقوة الحربية على التابعية «لملك العرب» بتسليمه أزمة السياسية الخارجية والقوى العسكرية والادارة العامة، في ظل السيادة والوصاية البريطانية

ومن المعلوم بالضرورة لجميع المشتغلين بالسياسة وأولي الإلمام بحال البلاد العربية أن الملك حسينا الذي وضع هذه الخطة من اليوم الاول الذي تصدى فيه للمسألة العربية لا يملك القوة التي يرغم بها أمراء جزيرة العرب عليها وأنه ليس أمامه قوة يعتمد عليها الا قوة الدولة البريطانية وانه لاجل هذا جعل ما يسميه النهضة العربية مبنيا على أساس الخضوع للسيادة والوصاية البريطانية، فلاجل هذا سميناهذا الحزب «الشريفي الاستعماري» ويصح أن يسمى البريطاني أي الذي يسعى من حيث يدري زعماؤه ويجهل دهماؤه الى جعل الحجاز وسائر جزيرة العرب كالعراق وفلسطين وشرق الاردن تحت الوصاية البريطانية، ويتبع ذلك بقاء سائر سورية تحت الوصاية الفرنسية أيضا لاتفاق الدولتين علي ذلك وعلى تسميته استقلالا (له بقية)

تحديد سن الزواج بتشريع قانوني

صدر في أوائل هذا الشهر قانون مصري حددت فيه سن الزواج للذكر بثماني عشرة سنة وللانثي بست عشرة سنة ومنع فيها سماع القضاة أية دعوى زوجية تقل فيها سن أحد الزوجين عن هذا الحد مطلقاً أي وان كانا بالغين رشيدين

وقد بني هذا التشريع على قول فقهاء الحنفية بجواز تخصيص القضاء في الزمان والمكان ونوع الاحكام بفتوى من مفتى الديار المصرية وشيخ الجامع الازهر، فاضطرب القطر المصري بهذا القانون أي اضطراب: أنكره جمهور فقهاء الازهر وما يتبعه من المعاهد الدينية فيما يظهر لنا من كلامهم ومن المقالات التي نشرت في الجرائد، وحسنه وانتصر له الشيخ محمد الخضري بك فرد عليه بعضهم، وقد سألنا كثير من الفضلاء عن رأينا فيه فبينا لهم أهم ما فيه من المفاسد الراجحة، وما قصد به من المصلحة المرجوحة، وكون الحكومة العثمانية قد سبقت الحكومة المصرية الى مثل هذا التحديد منذ بضع سنين فوضعته في مشروع قانون سموه (قرار حقوق العائلة في النكاح المدني والطلاق) وصدرت ارادة السلطان محمد رشاد في ٨ المحرم سنة ١٣٣٦ بأن يعمل به على أن يكلف المجلس العمومى (أي المبعوثين والاعيان) جعله قانونا

وذكرت لهم أن ما وضعه العثمانيون خير مما وضعته الحكومة المصرية وأضمن للمصلحة وأبعد عن المفاسد الكثيرة التي يستلزمها القانون

المصري ومنها ما هو محرم بالنص والاجماع ، وذكرت لهم بعض المسائل وضربت لهم الامثال

وقد تكرر الاقتراح علي بان أكتب ما أراه في ذلك فرأيت أن أبدأ بما وضعته الحكومة العثمانية وهو ما جاء في اللائحة التي جعلت مقدمة لمشروع القانون المذكور مبينة الاسباب الموجبة له وهذه ترجمته بالعربية:

﴿ أهلية النكاح ﴾

« يرى الامام أبو يوسف والامام محمد رحمهما الله أن الذكور والاناث اذا وصلوا الى الخامسة عشرة من سني حياتهم ولم تظهر عليهم آثار البلوغ يعدون بالغين حكما بناء على الغالب والشائع وتكون عقودهم معتبرة وكذلك الامام مالك والامام الشافعي والامام احمد رحمهم الله تعالى كلهم رأوا ذلك وقد بنيت المادتان ٩٨٦ و ٩٨٧ من المجلة على قول هؤلاء

« نعم أن الذين يبلغون الخامسة عشرة من سني حياتهم يكونون في الاكثر بالغين ، وقد يوجد فيهم من هم غير بالغين بالفعل ، أي إن قواهم البدنية لم تكمل بعد ، فجعل هؤلاء تابعين للاكثرية ومنحهم حقوقا لا يقدرون على تحملها يستلزم تحميلهم وظائف وواجبات مقابل تلك الحقوق تؤدي في العاقبة الى ضررهم . واذا علمنا أن الشرع الشريف مع أنه اعتبر الخامسة عشرة غاية البلوغ لم يستعجل في اعطاء الصغير ماله عند بلوغه بل منعه من التصرف فيه الى أن تظهر عليه علائم الرشد والسداد نعلم أنه يتأبى في تحميل الصغار حقوقا ووظائف . والنكاح لا يقاس على المال لانه الرابطة لتكون الاسر التي هي أجزاء الجمعية البشرية . وكلما كانت الافراد التي تتألف منها الاسرة تقدر حقوق الزوجية حق قدرها تكون الاسرة التي تتألف منها قوية ويكون ارتباطها مع الاسر الاخرى صميميا ومتينا فاعتبار الصغار بالغين حكما لمجرد إكمالهم الخامسة عشرة ومنحهم حق الزواج

يستفاد منه انه لم ينظر الى النكاح بالعناية اللائقة به .

والذي يستدعي مزيد الرحمة في هذه المسألة هو حالة البنات اذ من المعلوم أن لزوج والزوجة هما مشتركان في تأليف الاسر (البيوت) وادارتها ففي السن التي يكون الاطفال فيها معذورين باضاعة أوقاتهم باللعب في الازقة تكون البنت في مثلها مشغولة بأداء وظيفة من أثقل الوظائف في نظر الجمعية البشرية وهي كونها والدة ومدبرة أمور أسرة . وان صيرورة بنت مسكينة لم يكمل نموها البدني (أما) يضعف أعصابها الى آخر العمر ويكسبها عللا مختلفة ويكون الولد الذي تلده ضاويا (ضعيفاً هزيلا) مغلوبا بالمزاج العصبي وذلك من جملة اسباب تدلي العنصر الاسلامي

على أن ابن عباس رضي الله عنهما وتابعيه يقولون إن سن البلوغ هي الثامنة عشرة كما أن بعض أجلة الفقهاء يذهبون الى أنها الثانية والعشرون بل يوجد بينهم من يقول إنهـا الخامسة والعشرون . والامام الاعظم رحمه الله قد اعتمـد تمام الثامنة عشرة نهاية لسن البلوغ في الذكور وتمام السابعة عشرة نهاية لسن البلوغ في الاناث احتياطا وتبعا لابن عباس رضي الله عنهما ، لذلك قبل قول الامام المشار اليه هذا في النكاح ووضعت المادة الرابعة (١) على هذا الاساس منعا لهذه الاحوال التي هي من أعظم مصائب مملكتنا . (وهذا نصها)

المادة ٤— يشترط في أهلية النكاح أن يكون الخاطب في سن الثامنة عشرة فأكثر والمخطوبة في سن السابعة عشرة فأكثر .

وقد قبل قول الامام محمد رضي الله عنه باشتراط رضاء الولي في نكاح المراهقة التي تدعى انها بالغة وتريد أن تزوج نفسها من آخر ، وتعليق الاذن لها بالزواج على اجازة الولي ، وقوله باعطاء الحاكم حق النظر في تحمل المراهق والمراهقة اللذين يريدان التزوج ويدعيان أنهما بالغان أو عدم تحملهما للزواج ، كما قرر ذلك

(١) المنار : رأينا أن نذكر المواد المتعلقة بموضوعنا عند ذكرها في أثناء هذه المقدمة لتفهم مقرونة بالمدارك الفقهية المستندة اليها

جميع الأئمة رضوان الله عليهم، و بنيت المادتان الخامسة والسادسة على هذا الاساس (وهذا نصهما)

المادة ٥ — اذا ادعى المراهق الذي لم يتم الثامنة عشرة من عمره البلوغ فللحاكم أن يأذن له بالزواج اذا كانت هيأته محتملة .

المادة ٦ — اذا ادعت المراهقة التي لم تتم السابعة عشرة من عمرها البلوغ فللحاكم الشرعي أن يأذن لها بالزواج اذا كانت هيأتها أيضا محتملة ووليها اذن بذلك .

تزويج الصغير والصغيرة

ان الائمة الاربعة رضوان الله عليهم أجازوا للولي تزويج الصغير والصغيرة ولذلك كانت المعاملة حتى الآن جارية على هذا الوجه لكن تبدل الاحوال في زماننا قد اقتضى العمل بأصول أخرى في هذا الباب

إن أول وظيفة تترتب على الابوين في كل زمان وخاصة هذا الزمان الذي اشتد فيه التنازع في شؤون الحياة هي تعليمهم وتربيتهم وايصالهم الى حالة تكفل لهم الظفر في معترك الحياة وتمكنهم من تأليف أسرة منتظمة ولكن الآباء عندنا في الغالب يهملون أمر تعليم أولادهم وتربيتهم ويخطبون لهم الزوجات وهم في المهد بقصد أن يسروا بهم أو يكسبوهم ميراثا وفي النتيجة يزوج اولئك التعساء قبل ان يروا شيئا من الدنيا وتكون اعراسهم أساس مصائبهم الآتية

إن أكثر البيوت التي يؤلفها أمثال هؤلاء الاولاد الذين لم يدرسوا في مدرسة ولا تعلموا كلمة واحدة من أمور دينهم فضلا عن عدم تعلمهم قراءة لغتهم وكتابتها يحكم عليها بالتفرق من أول شهور الزفاف كالجنين الذي يولد ميتا . وهذا احد الاسباب في وهن أساس البيوت عندنا ، ولا يعرف مقدار الدعاوي المتولدة من مثل هذه الانكحة الا بالنظر في سجلات المحاكم الشرعية والرجوع

الى أبواب الكتب الفقهية وفصولها المتعلقة بتزويج الاب والجد صغيرهما وتزويج غير الاب والجد من الاولياء الصغير، وما اعطي للصغير والصغيرة من حق الخيار عند البلوغ اذا كان المزوج غير الاب والجد.

على ان ابن شبرمة وابا بكر الاصم رحمهما الله يقولان بأن الولاية على الصغار مبنية على منافعهم، وفي الاحوال التي لايحتاج فيها اليها كقبول التبرعات مثلا لا يكون لاحد فيها حق الولاية عليهم. وتزويجهم ليس فيه من فائدة لاطبعا ولا شرعا نظراً لعدم احتياجهم اليه، لذلك لايجوز تزويجهم قبل البلوغ من قبل احد البتة. وقالا ان النكاح ليس بشيء مؤقت بل هو عقد يدوم مادامت الحياة فاذا جعل النكاح الذي يعقده أولياء الصغار نافذا عليهم فان آثاره وأحكامه تستمر بعد بلوغهم أيضا في حين أنه لايجوز لاحد أن يقوم بعمل يسلب منهم حرية التصرف بعد البلوغ. وحيث إن التجارب المؤلمة المستمرة منذ عصور قد أيدت قول الامامين المشار اليهما فقد قبل رأيهما في هذه المسألة ووضعت المادة السابعة على هذا الوجه (وهذا نصها)

المادة ٧ — لا يجوز لاحد أن يزوج الصغير الذي لم يتم الثانية عشرة من عمره ولا الصغيرة التي لم تتم التاسعة من عمرها

تزويج الكبيرة نفسها

إن الكبيرة قادرة علي تزويج نفسها بناء على المذهب المختار وانما للولي حق الاعتراض في أحوال محدودة. على أن إزالة أمثال تلك العوارض قبل النكاح أولى من فسخه بعد تكوين الاسرة باعتراض الولي وأوفق لمصلحة الطرفين. وفي المذهب المالكي أن الكبيرة اذا رفعت أمرها الى الحاكم تطلب تزويج نفسها من آخر فعليه أن يتعرف حالها من الجيران، واذا كان وليها موجوداً أخذ رأيه في ذلك، فاذا رأي أن الاعتراضات التي يوردها الولي غير واردة يعين وكيلا لتزويج تلك البنت. وفي الحقيقة أن اخبار الولي واستطلاع رأيه على هذه الصورة

يدفع المحذور المذكور ، ولذلك استحسن إخبار الولي عند مراجعة الكبير الحاكم لاجل الاذن ووضعت المادة الثامنة على هذا الاساس (وهذا نصها)

المادة ٨ — اذا راجعت الكبيرة التي لم تتم السابعة عشرة الحاكم بقصد التزوج بشخص يخبر الحاكم وليها بذلك فاذا لم يعترض الولي أو كان اعتراضه غير وارد يأذن لها بالزواج .

(المنار) هذه ما قررته الحكومة العثمانية في المسألة كما تقدم في فاتحة هذا البحث ، وورد في الصحف ان حكومة أنقرة التركية عادت الى البحث في هذا القانون وأبقت المواد التي ذكرناها على ما كانت عليه

وأما الحكومة المصرية فقد أصدرت ثلاث مواد قانونية حددت فيها سن الزواج بمثل الباعث الذي بعث الحكومة العثمانية الى تحديدها ولكنها زادت على ذلك منع سماع أي دعوى تتعلق بالزوجية إذا كانت سن الزوجين دون ما حددته الا بأمر خاص من الملك فكان هذا مثار القيل والقال والانكار من رجال الشرع كما تقدم ، وها نحن أولاء ننشر نص هذه المواد ونص المذكرة التي وضعها بعض رجال المحاكم الشرعية في مدركها الشرعي ووافق عليه مفتي الديار المصرية وشيخ الجامع الازهر . ثم نقفي على ذلك بما ينبغي بيانه في الموضوع :

﴿ نص قانون الزواج (رقم٥٦) ﴾
الذي وضعته الحكومة المصرية

المادة الاولى — يضاف على المادة ١٠١ من القانون نمرة ٣١ سنة ١٩١٠ فقرة رابعة نصها :

« ولا تسمع دعوى الزوجية اذا كانت سن الزوجة تقل عن ست عشرة سنة وسن الزوج تقل عن ثماني عشرة سنة وقت العقد الا بأمرنا»

المادة الثانية — يضاف على المادة ٣٦٦ من القانون سالف الذكر فقرة ثانية نصها:

« ولا يجوز مباشرة عقد الزواج ولا المصادقة على زواج مسند الى ما قبل العمل بهذا القانون ما لم تكن سن الزوجة ست عشرة سنة وسن الزوج ثماني عشرة سنة وقت العقد »

المادة الثالثة — على وزير الحقانية تنفيذ هذا القانون ويسري العمل به بعد ثلاثين يوما من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية (*)

﴿ صورة المذكرة الملحقة بهذا القانون ﴾

مما اتفقت عليه كلمة علماء الفقه الاسلامي أن الصغير والصغيرة غير العاقلين اذا باشرا عقد الزواج فالعقد باطل لا يقبل الاجازة لا من وليهما ولا منهما بعد البلوغ . وهذا من بديهيات التشريع لان أي عقد سواء كان عقد زواج أم غيره يعتمد فهم المقصود منه فما لم يكن متوليه من أهل الفهم فهو عمل لغو وعبث

كذلك مما اتفقت عليه علماء الحنفية أنه بعد بلوغ الصغير والصغيرة ليس لاحد ولاية اجبار عليهما في عقد الزواج لان البلوغ آية الرشد واستكمال العقل وقد كانت الولاية عليهما لضرورة قصورهما عن الاهتداء الى الصالح في شؤونهما وبالبلوغ زال هذا القصور فيزول ما كان لضرورته

وقد اختلف علماء الفقه الاسلامي في صحة عقدهما اذا بلغا سن التمييز قبل أن يبلغا الحلم فمنهم من يرى صحة العقد موقوفا نفاذه على اجازة الولي ومنهم من يرى بطلانه وعدم توقفه كما اذا عقدا غير مميزين . وقال بالاول علماء الحنفية وقال بالثاني علماء الشافعية

واختلفوا أيضا في صحة تولي الولي عقد زواجهما جبرا عليهما قبل البلوغ فمنهم من قال بصحته وعمم في الولي الذي له هذا الحق فجعله العاصب بترتيب الارث بل زاد بعضهم باقي الاقارب ومنهم من قصره على الاب والجد ومنهم من قصره على الاب فقط . وبعضهم قال بعدم صحة تولي العقد جبرا عليهما من أي شخص كان مستدلا بقوله تعالى (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح)

(*) نشر في عدد ١٢٣ منها الذي صدر في ١٩ جمادى الاولى (٢٧ دسمبر)

فجعل حد بلوغ النكاح هو ما به يصلح لتولي شؤون أمواله وهو ما اذا وصل الى سن البلوغ رشيداً — وبقوله صلى الله عليه وسلم « لا تنكح اليتيمة حتى تستأمر » واليتيمة هي القاصرة عن درجة البلوغ بدليل قوله عليه الصلاة والسلام « لا يتم بعد الحلم » فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن نكاح اليتيمة ومد النهي الى استئمارها ولا تصلح لان تستأمر الا بعد البلوغ فكأنه قال حتى تبلغ

وللبلوغ امارات كثيرة أضبطها السن وأقصى الاقوال في تقديره أنه سن ثماني عشرة سنة وقد أخذ بهذا القول في الولاية المالية ولذا حددت سن الرشد فيه ببلوغ السن المذكورة

من هذا يعلم أن لبعض علماء الشريعة الاسلامية قولا بأنه لا ولاية اجبار على الصغير والصغيرة لاحد في عقد الزواج وأن سن البلوغ أقصاه ثماني عشرة سنة

ومن حيث إن عقد الزواج له من الاهمية في الحالة الاجتماعية منزلة عظمى من جهة سعادة المعيشة المنزلية أو شقائها والعناية بالنسل أواهماله وقد تطورت الحالة المتبعة بحيث أصبحت تتطلب المعيشة المنزلية استعداداً كبيرا لحسن القيام بها ولا يستأهل لزوج والزوجة لذلك غالبا قبل سن الرشد المالي فمن المصلحة الواضحة منع الزواج قبله لانه اذا كان لا يباح لهما قبل بلوغ سن الرشد المالي أن يتصرفا فيما قيمته دراهم معدودة مع أن الضرر المنظور محدود وغير ملازم للحياة فلأن لا يباح لهما التصرف في أنفسهما بعقد الزواج وآثاره ان خيراً وإن شرا قد لا تزول طول حياتهما أولى وأوجه

كذلك لما كان عقد الزواج يرجع الامر فيه أولا الى الزوجين وهما اللذان يتأثران بنتائجه مباشرة فاما أن يكونا به سعيدين وإما أن يكونا به شقيين فان الواجب أن يكون الخيار اليهما فيه وتراعى ارادتهما قبل كل ارادة وليس لارادة غيرهما الا حق النصح والمشورة بحيث لا تعوقانهما عما يريان المصلحة لهما فيه

وكان من اللازم أن يناط سن الزواج بسن الرشد المالي بالنسبة لكل من الزوجين ولكن لما كانت بنية الانثى تستحكم وتقوى قبل استحكام بنية الصبي

ومايلزم لتأهل البنت لمعيشة الزوجية يتدارك في زمن أقل ممايلزم للصبي، كان من المناسب أن يناط سن زواج الانثى ببلوغ ست عشرة سنة والصبي ببلوغ ثماني عشرة سنة

هذا الى أن المنصوص عليه شرعا ان لولي الامر ولاية تخصيص القضاء بالزمان والمكان والحادثة فله أن يولي القضاء في زمن معين دون غيره وفي مكان معين دون غيره وفي نوع من المسائل دون غيرها حتى لو قضى القاضي فيما لم يوكل أمره اليه كان قضاؤه باطلا . وله أيضا أن يأمر بسماع الدعوى فيما منع سماعها فيه وقد تدعو الضرورة الى ذلك

ومن حيث أن المصلحة واضحة فيما ذكر لما بيناه فلا مانع شرعا من أن يضاف على المادة ١٠١ من القانون نمرة ٣١ سنة ١٩١٠ فقرة رابعة نصها :

« ولا تسمع دعوى الزوجية اذا كانت سن الزوجة تقل عن ست عشرة سنة وسن الزوج تقل عن ثماني عشرة سنة وقت العقد الا بأمرمنا »

و يضاف على المادة ٣٦٦ من القانون سالف الذكر فقرة ثانية نصها :

« ولا يجوز مباشرة عقد الزواج ولا المصادقة على زواج مسند الى ما قبل العمل بهذا القانون ما لم تكن سن الزوجة ست عشرة سنة وسن الزوج ثماني عشرة سنة وقت العقد » ومرفق بهذا مشروع التعديل المنوه عنه

عبد السلام علي	طه حبيب	عبد المجيد سليم
مفتش المحاكم الشرعية	نائب محكمة بني سويف الشرعية	نائب محكمة مصر الشرعية

أوافق على أن مذهب الحنفية لا يمنع من ذلك لما نص عليه من أن القضاء يتخصص بالزمان والمكان والحادثة

عبد الرحمن قراعة
مفتي الديار المصرية

اطلعت على بعض كتب الحنفية فرأيت فيها ان لولي الامر تخصيص القضاء بالزمان والمكان والحادثة

محمد أبو الفضل
شيخ الجامع الازهر

(أطلب النقد في الجزء الآتي)

منشور في المهور

من المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى (في القدس)

الى حضرات القضاة والمفتين والخطباء والمدرسين ومأذوني عقود الانكحة والمسلمين عامة في فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

(ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)

لما كان بقاء هذا العالم متوقفا على التناسل بالزواج الشرعي الذي تتكون منه الاسرة والامم ، وتتقوى بفضله أواصر المودة والقربى بين الناس، وكانت الامم التي لاتستن بسنته، ولاتسير على منهاجه قليلة النسل ، معرضة لخطر الانحطاط والاضمحلال ، كان من أقدس الواجبات تسهيل الزواج وتقريب سبله على الطالبين ورفع الموانع التي تحول دونه أو تقلل منه .

ولسنا نفيض في فوائد الزواج ، فقد أقره الشرع والعقل والطبع ، واجتمع فيه من الفضائل مالم يجتمع في غيره من أحكام الشرع . قال بعض الفقهاء «ليس لنا عبادة شرعت من عهد آدم الى الان ثم تستمر الا النكاح والايمان » وجاء في الحديث الشريف « لارهبانية في الاسلام —وأتزوج النساءفمن رغب عن سنتي فليس مني »

وفي الزواج صون الزوجين عن الفاحشة ، وحفظ لهما من الرزوح تحت اعباء نفقات المعيشة الطائلة، بما يرزقهما الله من الذرية الصالحة

ولم تشأ حكمة الشارع ان تجعل هذا الامر الخطير صعب المنال لا يستطيعه الا اولو القوة واليسار من الناس ، بل مهدت لمن يرغب فيه كل سبيل ، وجعلته

بحيث يستطيعه كل من الاغنياء والفقراء، اذ أنها لم تشترط فيه سوى الكفاءة ورضاء الطرفين ، وكلمتين خفيفتين على اللسان يتبادلهما الزوجان (١) من ايجاب وقبول ، وقدرت له شيئا يسيراً سمته مهراً، وجعلت أقله عشرة دراهم فضة معجلة أو مؤجلة ، واجتازته بلا تسمية شيء تسهيلا على الطالبين ، وتيسيراً للراغبين . فقد جاء في صحيح البخاري انه عليه الصلاة والسلام قال لمن يريد الزواج ولا يجد ما ينفق « التمس ولو خاتما من حديد » وقال لآخر « زوجتكها بما معك من القرآن » وقال بعض الائمة « ان ما يجوز أن يكون ثمناً في البيع يجوز ان يكون مهراً » . والاغراق في المهر مكروه بدليل ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يمن المرأة تسهيل أمرها، وقلة صداقها » (٢) وقال عروة وأنا أقول من عندي: ومن شؤمها تعسير امرها، وكثرة صداقها . وقالت أيضا رضي الله عنها أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل امرأة على زوجها قبل أن يعطيها شيئا(٣)وفي صحيح ابن ماجه :انه عليه السلام تزوج عائشة رضي الله عنها على متاع بيت قيمته خمسون درهماً وانه أولم على صفية بسويق وتمر . وعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نجهز فاطمة حتى ندخلها على علي فعمدنا الى البيت ففرشناه ترابا لينا من أعراض البطحاء ثم حشونا مرفقتين ليفا فنفشناه بأيدينا ثم أطعمنا تمراً وزبيباً وسقينا ماء عذباً، وعمدنا الى عود فعرضناه في جانب البيت

(١) المنار: أي بأنفسهما او بالنيابة فمذهب ابي حنيفة جواز تولي المرأة تزويج نفسها. وجمهور السلف والخلف ان الولي هو الذى يزوج المرأة ومن لا ولي لها يزوجها السلطان أو نائبه ولا تتولى هي العقد بنفسها وفي المسالة تفصيل آخر

(٢) : الحديث رواه احمد والحاكم والبيهقي بلفظ « ان من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها » (٣) رواه ابو داود وابن ماجه وقال أبو داود على سكوته عنه كالمنذري ان خيثمة — راويه عن عائشة — لم يسمع من عائشة . ومن رجال سنده شريك وفيه مقال . ومعناه متفق عليه وهو جواز الدخول قبل اعطاء شيء من المهر اذا رضيت المرأة ولها ان تمتنع حتى تاخذ المعجل منه

ليلقي عليه الثوب ويعلق عليه السقاء فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة رضي الله عنها
وقال عمر رضي الله عنه لا تغالوا في صدق النساء فانه لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولا كم واحقكم بها محمد صلى الله عليه وسلم

ولم يزل أمر الزواج من السهولة على ماوصفنا الى أن تبدلت الحال فأفرط الناس في المهور ، وغلوا في النفقات ، ووقعوا في الاسراف الممقوت ، والتبذير المنهي عنه ، فقل الزواج والنسل ، وكثر الفجور والفحش ، وفسدت الاخلاق ، ووهنت الاجسام ، وضعفت العقول ، الى غير ذلك مما يسبب انحطاط الامة وتدهورها في هاوية الشقاء والبؤس والعياذ بالله

وقد لفت هذا الامر نظر الحكومة العثمانية في الماضي ، ففكرت في سوء عاقبة هذا الاسراف في المهر والجهاز وتوابعه ، والولائم المتخذة فيه ، واهتمت له اهتماما لائقا به ، فبينت محاذيره وما ينجم عن توالي محنه وتتابع نكباته ، ورأت ان اجتثاث جذور هذه العادة من بلادها أعظم واجب يكون فيه الخير ، فأصدرت الاعلان المنشور في الجزء الاول من الدستور « صحيفه ٤٩٤ » ذكرت فيه ماحاق بالناس من شر الاسراف والتبذير في المهور ، والولائم المتخذة في الاعراس وحرمان الكثيرين رجالا ونساء بسبب ذلك من الزواج ، وبقاء من تزوج منهم رازحا تحت اعباء الديون ، واضطرار المحرومين منه الى الوقوع في الجنايات الجسيمة ، وزجهم في أعماق السجون ، وارتكاب الفتيات عار الفرار ، وغيره مما مزق حجاب صونهن وعفافهن ، وجر الويلات على عائلاتهن ، وادام الامراض الفتاكة فيهم ، ورمى الامة بالنقص في النفوس والثمرات — الى آخر ماجاء فيه

وقد قسمت الناس أربعة أقسام قدرت للفريق الاول « ١٠٠٠ » قرش وللثاني « ٥٠٠ » قرش وللثالث « ١٠٠ » ولم تقدر للرابع شيئا . واسهبت في بيان وتحديد مايجب اتخاذه من الاطعمة والاكسية وغيرها ، وقضت على كل من لم يأتمر بأحكام هذا الاعلان بالعقاب الزاجر ، والجزاء العادل . ولم يشغلها مادهم من الحروب الاخيرة عن هذا الامر ، بل ظلت مثابرة على عملها ، وتنفيذ رغبتها ، وسنت من عهد قريب قانونا آخر منعت فيه التبذير والاسراف في الزواج

وتوابعه لاعمار بلادها ، وتكثير النسل واعداد الرجال ، وقسمت فيه الناس ثلاثة أقسام، وأمرت بأن لا يزيد الفريق الاول في المهر على «٥٠٠٠» قرش والثاني على «٢٥٠٠» قرش والثالث على «٥٠٠» قرش، ومنعت كل ما فيه اتلاف الاموال، وتعسير أمر الزواج - الى آخر ما جاء فيه من المنافع الحيوية المادية والمعنوية

ولما رأى المجلس الاسلامي الاعلى تفاقم هذا الامر وعدم وقوفه عند حد ، وتحقق انه ان دام انهماك هؤلاء المبذرين الذين كانوا اخوان الشياطين في جر الويلات على أفراد الامة مما يبتدعونه ويتفننون به من بذل المهور الطائلة ، وتوطيد دعائم هذه البدع السيئة ، ابتغاء الفخر الكاذب ، والزهو الباطل ، تضمحل الامة وتسقط في أدنى دركات الانحطاط والشقاء . لذلك عقد النية على تطبيق أحكام ذلك الاعلان ، فقرر تبليغ القضاة والمفتين الكرام ومأذوني النكاح بأن يطلعوا على ذلك المنشور والقانون المذكور ويتبعوا أحسن ما جاء فيهما جهد المستطاع ، و بالصورة الممكنة ، وان يشكل في البلاد لجان من مفتيها وقاضيها وأهل الدين والزعامة فيها، لتكليف المدرسين والوعاظ والخطباء وأهل الفضل حمل الناس على ما ذكر من الاعتدال في المهر ، والبعد عن الاسراف ، وارشادهم الى تسهيل أمر الزواج ، وتخفيض المهور ، و بيان المنافع المتحققة من ذلك ، وتعداد المضار والمفاسد الناجمة من عكسه ، الى آخر ما يفتحه الله عليهم مما يسهل اتباع هذه السنة الحسنة والخير الاتم

والمجلس الاسلامي يرجو من الامة كلها ان تنظر في هذه القضية بعين الاعتبار التدبر ، وان تعمل على قمع مثل هذه البدع الممقوته والمضرة في الدنيا والآخرة وان تسعى الى الاصلاح ما استطاعت الى ذلك سبيلا، وفقنا الله لاتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وهدانا الله الى الصراط المستقيم (رئيس المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى)

محمد أمين الحسيني

(المنار) جمع هذا المنشور في المطبعة منذ أشهر واضطررنا الى تأخير نشره

﴿ تقريظ المطبوعات الجديدة ﴾

(أساس البلاغة) لعلامة اللغة الشهير ، وامام البلاغة النحرير (محمود الزمخشري) أشهر من نار على علم، ما زال العلماء يقتبسون من نوره منذ ظهر الى اليوم . وقد طبع في مصر مرتين طبعا غفلا من الضبط غير معتنى بتصحيحه ثم طبعته اخيرا ادارة دار الكتب المصرية بمطبعتها التى هي القسم الادبي من المطبعة الاميرية الشهيرة على ورق جيد بحروفها الجديدة الجميلة الخاصة بها — وعني بتصحيحه وضبط ما يخفى ضبطه على الدهماء بالشكل لجنة التصحيح فيها المؤلفة من أهل العلم والادب ، مستعينين على ذلك بنسخة علامة اللغة الاوحد في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي رحمه الله تعالى ،وجلدت نسخه بالقماش تجليداً حسنا ،

سر أهل العلم والادب وطلاب اللغة بهذه الطبعة الجميلة المتقنة وتقبلوها بقبول حسن وقرظها أصحاب الجرائد والمجلات وأثنوا عليها ورغبوا فيها ، ولكنهم لم يبينوا موضوع الكتاب كما يجب الا من نقل ما قاله المصنف في خطبته،وجعله اكثرهم من معاجم اللغة التي الفت لبيان معاني مفرداتها،وظن بعضهم أن مزيته الوحيدة التفرقة بين الحقيقي والمجازي منها ، والصواب أن الكتاب قد وضع لبيان الاستعمال الفصيح والاسلوب البليغ فيها ، وتصريف القول في أساليبها ومناحيها . ومنه الحقيقة والمجاز والكناية ، وهو قلما يفسر غريبا ، أو يشرح شاهداً ، لانه كتب للخواص من أهل العلم والادب في عصر المؤلف رحمه الله تعالى أواخر القرن الخامس وأوائل السادس

على ان هذه اللغة كانت قد دخلت في طور الضعف والتدلي وان كثر التصنيف في فنونها، ومازالت تتدلى حتى صار يندر أن يوجد أحد من المشتغلين بها يفهم معاني صفحة واحدة من صفحات الاساس أو ما دون الصفحة من غير مراجعة معاجم اللغة للوقوف على معاني كثير من مفرداتها — فقل الانتفاع بالكتاب في زماننا لعسر المراجعة ولاسيما عند الحاجة للاستعمال ، لهذا كنت قد سعيت الى طبعه، واقترحت أن يفسر غريبه مع ضبطه ، وأن يزاد على مواده ما تشتد الحاجة اليه من طرق الاستعمال التى تكثر في (لسان العرب) — وكذا (المصباح المنير) على اختصاره وخصوصيته . وكنت قبل ذلك بعشرين سنة أمني نفسي

بأن اجد سعة من الوقت اقوم فيه بهذا العمل وكانت الشواغل المانعة منه تزداد سنة بعد أخرى

يخيل الي ان الذين يتوخون الانتفاع بهذا الكتاب فيما وضع له قليلون، وأنهم قلما يعدون فئة الكتاب المتأنقين، والادباء النقادين، وهو جدير بأن يوضع بين يدي كل منشيء ومؤلف ومصحح ومترسل بهذه اللغة وكل طالب من طلاب الآداب العربية، يرجع اليه كل منهم فيما يشتبه لديهم، ويتشابه عليهم، من اساليب الاستعمال، وتعدية الافعال، ويأخذون عنه صوغ الجمل وأساليبها. ووضع المفردات فى مواضعها اللائقة بها ، فهو الاستاذ المرشد الى هـذه المقاصد كلها ، وما أشد حاجة معلمي هذه اللغة ومتعلميها اليها

فنثنى على ادارة دار الكتب المصرية الكبرى ونشكر لها عنايتهـا بطبعه هذا الطبع الجميل ، وضبطه هذا الضبط الدقيق ، فالناظر فيه لا يكاد يقف طرفه عند كلمة خفية ، وقلما يعثر ذهنه بغلطة لغوية، كما ظهر لي مما راجعته فيه مراراً اباحت لي ان اقول « قلما » وقد يكون ما عثرت به وهو قليـل ، مما يحتمل الصحة او التأويل ، واول كلمـة عثرت بها في الجزء الاول قوله في اواخر خطبة الكتاب « وحظي برس من علم البيان » ضبطت كلمة رس في الطبعتين السابقتين بالسين المهملة، وفي الطبعة الجديدة بالمعجمة من رش الماء والمطر، ولا أدري اهي من خطأ المطبعة سها عنها المصححون ام ضبطت بالمعجمة في نسخـة الشنقيطي فاختاروها تبعا له وعهدي بهم غير مقلدين ؟ والمتبادر ان المعنى بالمهملة اظهر بل هو المناسب للمقام وللسجعة التى قبل هذه ؟ ـ الرس بالمهملة والذرو معناهما واحد كما صرح به في هذا الكتاب نفسه فقوله « واصاب ذروا من علم المعاني ، وحظي برس من علم البيان » لايختلف فيه معنى الجملة الاولى عن الثانية ، ولا يظهر فيه معنى الرش (بالمعجمة) ، ولو تكلف له وجه لم يجز ترجيحه على الرس

ومما يصح ذكره في هذا المقام ترجيح ضبط على آخر صحيح بغير مرجح يظهر للقاريء على ما تكرر في الكتاب من الجمع بين ضبطين في كثير من الالفاظ. ومما رايته من ذلك في اثناء كتابتى لهذا التقريظ ـ وسبق له امثال كلمة « خطف » ضبطت بفتح الطاء في الماضي وكسرها في المضارع من باب ضرب ، وهي لغة في هذا الفعل ، وفيه لغة اخرى الكسر في الماضي والفتح

في المضارع من باب علم يعلم، وهي ما يسمعه الناس من حفاظ القرآن ويقرؤنه فى المصاحف من قوله تعالى في سورة الصافات (الا من خطف الخطفة) وقوله في سورة الحج (فتخطفه الطير) وانما ذكرت هذا لتنبيه من يراجع الكتاب لعدم اتخاذ ضبطه للكلمة حجة على تخطئة ضبط غيره من غير مراجعه .

وثمن الجزئين معا مجلدين بالقماش خمسون قرشا صحيحا وهو ثمن بخس تجاه جودة الورق وجودة الطبع ، ما كان ليرضى به احد يطبع الكتاب لاجل الاتجار به والربح منه، وادارة المكتبة المصرية الرسمية انما تبغى نشر العلم، لا طلب الربح.

﴿ الذخيرة الاسلامية ﴾ « مجلة دينية ادبية تصدر كل شهر مرة — لمنشئها احمد بن محمد السركيتى الانصاري السوداني » تصدر في « ويلتفريدن جافا » من جزائر جافا (اوجاوه) الهولندية وقيمة الاشتراك فيها عن سنة في تلك الجزائر عشر روبيات وجنيه انكليزي ذهبي في غيرها

وصلت الينا الاجزاء الاولى من هذه المجلة في هذا الشهر – جمادى الاولى –[1] فنظرنا في فاتحة الجزء الاول منها فاذا هي تنبئنا أنها اخت لمجلتنا في خطتها الدينية، اذ ذكر أخونا الفاضل منشئها ان الغرض منها بيان محاسن الدين، وشرح ماقد يشكل على ضعفاء طلبة العلم ، وما قد يشتبه على من ليس له وقوف على حقائق الاسلام ، وما قد يغمض على الكثير من اسرار التنزيل ، مع تنبيه الغافل ، وتنشيط العامل ، واصلاح الفاسد ، وسلوك خطة التيسير والتبشير ، ومنه بيان الاحاديث المكذوبة والواهية المنشورة على ألسن العوام وكتب القصاص والمتصوفة، وردشبه المعاندين، وبيان محاسن الاسلام، وملاءمته لكل زمان ومكان ، وحث المسلمين على الاخذ بأسباب الارتقاء ليكونوا حجة للاسلام ولا يكونوا حجة عليه كما هو شأنهم الغالب اليوم

وكل هذه المقاصد من بعض موضوعات المنار ، التى يحتاج اليها في تلك البلاد الجاوية التي قل فيها العلم ، وعم الجهل ، وكثر الدجالون من المسلمين ، والمهاجمون للاسلام من دعاة النصرانية ، فعسى أن توفق لاتقان عملها ، ويوفق المسلمون للانتفاع بها ، ومن وسائل ذلك العمل بقوله تعالى (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي احسن) الآية

« ١ » كتب جل هذا الجزء فى هذا الشهر ثم اضطررنا الى تاخيره الى ما بعده، وأخرنا بعض ما كتب وجمع له

ملك الحجاز في اطراف سورية

كثر تساؤل الناس عن سبب زيارة ملك الحجاز لاطراف سورية في هذا الشتاء الشديد العواصف والبرد والثلج والبرد، والذي نراه استنتاجا مما تقدمه وواطأنا عليه كل من ذكرناه له من الباحثين في سياسة البلاد العربية وغيرهم هو ما نجمله بالجمل الآتية

(١) ان مقتضى ماسماه السيد حسين بن علي «مقررات النهضة» التي هي اساس ثورته وحربه للدولة العثمانية مع الحلفاء هي أن تؤسس له الدولة البريطانية بقوتها وتحت حمايتها مملكة عربية تشمل جزيرة العرب وسورية كلها والعراق الا ما استثني . ولكنه قضت وطرها منه ولم يقض وطره منها فظل يلح عليها بذلك من جهته والفلسطينيون يؤلفون الوفود ويرسلونها الى لندن للسعي لالغاء عهد بلفور وتأليف حكومة عربية في فلسطين ، ويحتج كل منهما بمقررات النهضة المذكورة

(٢) حاولت الحكومة البريطانية إسكات السيد حسين والفلسطينيين بشيء يرضيهما مظهره الى أن يزول هذا الاضطراب السياسي والمالي وتستقر سلطتها العسكرية في البلاد العربية التي جعلتها تحت انتدابها من حدود مصر الى شط العرب وخليج فارس فلم توفق لذلك فان المعاهدة الاخيرة التى حملها اليه ناجي الاصيل فطار بها فرحا وجعل يوم اعلانها عيداً للامة العربية بأسرها، قد رفضها الفلسطينيون وانكروها ولم يقدر على اقناعهم بها ولولا ماله من اليد البيضاء عند بعض زعمائهم ومايعلمه من حرص الانكليز على ارضائهم بشكل من أشكال الادارة مع بقاء الانتداب وعهد بلفور لانقطعت الصلة بينه وبينهم بأيديهم أو بيده هو ، ولكن ما ذكر ألجأه الى الامساك عن التوقيع النهائي على المعاهدة او يرضى اهل فلسطين بها فأعرضت عنه الحكومة البريطانية ففهم أنها تعتقد أنه لم يبق له من النفوذ في البلاد العربية ما يمكنه من أداء أي خدمة لها تكافئه عليها فيما يأتي

(٣) علمت هذه الحكومة أن سلطان نجد قد وقف على دخائل سياستها العربية وتمهيدها السبل للتغلغل في أحشاء جزيرة العرب مع الاحاطة بها من أطرافها فأنشأ يقاومها في ذلك ويفاوض فيه سائر زعماء العرب ماعدا خدمها المتبجحين بالاخلاص لها وهم السيد حسين وأولاده حتى اشتهر انه سمح لنوري باشا الشعلان بالتمتع بمقاطعة (الجوف) التابعة لنجد بشرط منع الانكليز من جعلها طريقاً لمواصلاتها العسكرية

وغيرها بين سورية والعراق فاغتنم السيد حسين هذه الفرصة للاتفاق مع الانكليز على تمكينه من الاتفاق مع ولديه السيد عبدالله والسيد فيصل على جمع قوات البلاد التي يرأسون حكوماتها لمناوأة ابن سعود وإضعافه باسم الوحدة العربية في مقابلة بذل نفوذه هو ولدى بعض رجال اللجنة التنفيذية لمؤتمر فلسطين بالرضا بالانتداب البريطاني والامساك عن معارضته بشكل ألطف من الشكل المبهم الذي رفضوه بالنص الاول للمعاهدة، وذلك بأن تسمى حكومة فلسطين وطنية ينتظم في سلكها بعض الزعماء وتعطى حق الانتظام في الوحدة العربية المبهمة في ضمن دائرة الانتداب البريطاني ويلطف تنفيذ عهد بلفور بألفاظ مرضية ، وتقييد موقت للهجرة الصهيونية ، لاجل هذا أنفق السيد حسين بن علي ألوف الجنيهات في التمهيد لهذه الزيارة ببث الدعاية لها وسينفق أضعافها في أثناء مكثه في البلاد، ولاجله أكره أهل الحجاز على بذل ألوف الجنيهات لعمارة المسجد الاقصى على حين يتضور كثير من فقراء السادة الاشراف بمكة جوعا وقد حرموا حقوقهم في وقف جدهم أبي نمي حتى إننا علمنا من الثقات أن بعض نساءهم يتكففن الناس في حنادس الظلمات وهن متنقبات

ولاجل هذا تجرأ السيد حسين على التصريح بما كان يكتمه عن الجمهور من رأيه في الوحدة العربية وهو جعل جميع امراء الجزيرة تابعين له في السياسة الخارجية والعسكرية والادارة العامة ، ومن المعلوم المشهور ان كل واحد من ائمة الجزيرة الثلاثة يحيى وابن سعود والادريسي اقوى منه منفردا فكيف صرح بعداوتهم كلهم في وقت واحد ؟ كنا نقول منذ بضع سنين ان مراده من الوحدة العربية ان تكره الدولة البريطانية جميع قوى العرب له تحت حمايتها ، وكان الاغبياء في السياسة والمأجورون ينكرون ذلك علينا فماذا يقولون اليوم؟؟

ومن الجلي أن ثروة السيد حسين الشخصية من ملك ووقف ومايبتزه من الحجاج لا يفي بمعشار هذه النفقات التي يبذلها في عداوة سلطان نجد وحده والاستعداد لقتاله، وكل ذي إلمام بشؤون السياسة البريطانية الحجازية يعلم من أين تجيء هذه الاموال، وسينجلي كل خفي للاغبياء الجاهلين ، ويظهر منتهى شوط الخادعين والمخدوعين، الذين يعلقون آمال أهل سورية وفلسطين بمايدعيه السيد حسين بن علي من العمل للوحدة العربية، ويرجو نيلها من وراء مفاوضته لدهاة الدولة البريطانية والسياسة الصهيونية . والعاقبة للمتقين ولاعدوان الاعلى الظالمين



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٣٠ رجب ١٣٤٢ — ١٦ الحوت ١٣٠٣ هـ ش — ٦ فبراير ١٩٢٤

تفسير القرآن الحكيم

(٩٣) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

﴿ سنن الله وحكمه في هذه القصص وأمثالها، والاعتبار بها ﴾

من سنة القرآن الحكيم انه يبين العقائد بدلائلها، والاحكام مؤيدة بحكمها وعللها، والقصص مقرونة بوجوه العبرة والموعظة بها وسنن الاجتماع فيها، كما ترى في هذه الآيات وما بعدها، قال عز وجل:

﴿ وما ارسلنا في قرية من نبي الا أخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ﴾ الواو في أول الآيه لعطف الجملة وما بعدها الى آخر السياق الذي وضعنا له العنوان

على مجموع ما قبلهن من القصص لمشاركته إياه[1] في كونه حكما له وعبرا مستفادة منه – فعطف الجمل يشمل الكثير منها كالسياق برمته ، ولا وجه للفصل هنا . والقرية المدينة الجامعة لزعماء الامة ورؤسائها التي يعبر عنها في عرف هذا العصر بالعاصمة كما تقدم مرارا وكان الانبياء يبعثون في القرى الجامعة لان سائر البلاد تتبع أهلها اذا آمنوا . والبأساء الشدة والمشقة كالحرب والجدب وشدة الفقر ، والضراء ما يضر الانسان في بدنه أو نفسه أو معيشته ، والاخذ بها جعلها عقابا ، وقد يكون تجربة أو تربية . وتقدم مثل هذا في قوله تعالى من سورة الانعام (٦ : ٤٢ ولقد ارسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون) فيراجع (ص ٤١٢ ج ٧ تفسير) فانه بمعنى ما هنا ولكن السياق مختلف ، فلما كان ما هنا قد ورد عقب قصص طائفة من الرسل جعل هذا المعنى قاعدة كلية وسنة مطردة في الرسل مع أقوامهم ليعتبر به كل من سمعه أو قرأه في عصر التنزيل وما بعده . ولما كان ما هنالك قد ورد في سياق تبليغ خاتم الرسل للدعوة ومحاجة قومه جعل خطابا خبريا له لتسليته وتثبيت قلبه من جهة ولتخويف كفار قريش وانذارهم من جهة أخرى – وهذا ملاحظ هنا أيضا ولكن بالتبع للاعتبار بالسنة العامة لا بالقصد الاول .

والمعنى : ذلك شأن الرسل مع أقوامهم الهالكين ، وما ارسلنا نبيا في قوم الا وقد انزلنا بهم الشدائد والمصائب[2] بعد ارساله أو قبيله لنعدّهم ونؤهلهم بها للتضرع وهو إظهار الضراعة أي الضعف والخضوع لنا ، والاخلاص في دعائنا بكشفها ، فلعل تفيد الاعداد للشيء وجعله مرجوا . ومما ثبت بالتجارب وتقرر عند علماء النفس والاخلاق ان الشدائد وملاحج الامور مما يربي الناس ويصلح من فسادهم ، فالمؤمن قد يشغله الرخاء وهناء العيش فينسيه ضعفه وحاجته الى ربه ، والشدائد تذكره به ، والكافر بالنعم قد يعرف قيمتها بفقدها ، فينقلب شاكرا بعد عودها ، بل الكافر بالله عزوجل قد تنبه الشدائد والاهوال مراكز الشعور بوجود الرب الخالق المدبر لامور الخلق في دماغه ،

---

(١) أي لمشاركة المعطوف للمعطوف عليه

(٢) قالوا ان جملة أخذنا حالية ولم تقرن بالواو وقد لوقوعها بعد « إلا » وهو جائز بالثلاثة الاوجه

وتذكره بما أودع في فطرته من وجود مصدر لنظام الكون واقداره،كما وقع كثيرا ، والآيات في هذا كثيرة تقدم بعضها، وقدروي لنا ان الحرب العظمى قد كان لها هذا التأثير حتى في أقل الناس تدينا وهم اهل مدينة باريس فكانت المعابد ترى مكتظة بالمصلين في اثناء شدائد الحرب

ومن مباحث البلاغة ان نكتة خلو جملة « اخذنا اهلها » الحالية من الواو وقد—هي أن الاصل في المقترنة بهما ان يكون مضمونها مقدماً على العامل فيها كالجملة الاسمية . فاذا قلت مافعل زيد كذا الا وقداعد له عدته—كان المتبادر انه اعدها قبل الشروع في فعله لاجله كقوله تعالى في الجملة الاسمية (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) أي متلبسون بالظلم من قبل لا حال الاهلاك، واذا قيل: مافعله الا اعد له عدته شمل إعداده قبله لاجله وهي الحال السابقة ، واعدادها عند الشروع فيه وهي الحال المقارنة بل هذه المتبادرة الى الذهن هنا كقولك : ماسألته الا أجابني ، أي عند السؤال ولا يصح أن تقول الا وقد أجابني، ويصح أن تقول ماسألته الا وقد أذن لي. أي قبل السؤال. فان قلنا انه يتعين ان تكون الحال مقارنة في الآية اقتضى ذلك ان يكون ما أفادته هي ومابعدها من الابتلاء بالسيئة ثم بالحسنة ثم بما يترتب عليهما من الكثرة وكفر النعمة واقعا كله يقع بعد ارسال الانبياء وفي عهدهم ؟ وهو بعيد فلذلك قلنا انها تشمل الحال السابقة والمقارنة، فليتأمل فاننا لم نر لاحد بحثا في هذه المسألة. ولكن الامام عبد القاهر الجرجاني حقق أن الحال المفردة تفيد المقارنة والجملة الحالية تفيد سبق مضمونها وفرق بعض الفقهاء بين قولك علي ان اعتكف صائما وقولك علي ان اعتكف وانا صائم وقد بينا هذا في تفسير (ولا تقربوا الصلاة وانتم سكاري حتى تعلموا ماتقولون ولا جنبا) الآية فراجعه ص ١١٥ ج ٥ تفسير)

﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾ أي ثم بلوناهم بضد ذلك فجعلنا الحالة الحسنة في مكان الحالة السيئة كاليسر بعد العسر ، والغنى في مكان عن الفقر ، والنصر عقب الكسر ، ﴿ حتى عفوا ﴾ أي كثروا ونموا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو من عفا النبات والشحم والشعر ونحوه اذا كثر، وله شواهد عن العرب وذلك ان اليسر والرخاء سبب لكثرة النسل وبه تتم نعم الدنيا على الموسرين .

ومن الشواهد على هذا الابتلاء في القصص التي قفي عليها بهذه العبر

قول هود عليه السلام لقومه (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) وقول صالح «ع م» لقومه (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) وقول شعيب « ع م » لقومه (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) ولكن لم تزد الآلاء هؤلاء الكافرين الا بغيا وبطرا وفسادا في الارض

﴿ وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾ أي وقالوا مع ذلك قولا يدل على فساد فطرتهم، وانطماس بصيرتهم، وفقدهم الاستعداد للاتعاظ والاعتبار بأحداث الزمان ، وتغير احوال الانسان ، وتقلب شؤون العمران ،: قالوا قد مس آباءنا من قبلنا ما يسوء وما يسر، وتناوبهم ماينفع وما يضر، ونحن مثلهم يصيبنا ما اصابهم، فتلك عادة الزمان في أبنائه ، فلا الضراء عقاب من الخالق الحكيم على معاصي تقترف ورذائل ترتكب، ولا السراء جزاء منه على صلاح يعمل ، وفضائل تلزم. والمراد انهم جهلوا سنته تعالى في أسباب الصلاح والفساد في البشر وما يترتب عليهما من السعادة والشقاء، المعبر عنها بقوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فلما ذكرهم رسلهم بها لم يتذكروا ولم يعتبروا ، بل نسوا واعرضوا وانكروا

﴿ فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ أي فكان عاقبة ذلك ان اخذناهم بالعذاب فجأة وهم فاقدون للشعور بما سيحل بهم ، لانهم كانوا يجهلون سنن الله تعالى في الاجتماع البشري فلاهم عرفوها بعقولهم ، ولاهم صدقوا الرسل في نُذُرهم ، وهذا معنى قوله تعالى في سياق سورة الانعام الذي ذكرناه آنفا (٦ : ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) وذلك شأن الكافرين والجاهلين: اذا مسهم الشر يئسوا وابتأسوا ، واذا مسهم الخير اشروا وبطروا ، فاذا كان ذلك الخير قوة وسلطة بغوا في الارض ، وأهلكوا الحرث والنسل

أصاب اهل بيت في احدى المدن السورية نفحة من جاه الشيخ محمد ابي الهدى الصيادي احد المقربين من السلطان عبد الحميد في عصره ، فنهبوا بجاهه

الاموال وانتهكوا الاعراض ، وبغوا في الارض الفساد ، فكنا نتحدث مرة في أمرهم فقلنا : ألم يكن خيرا لهؤلاء لو اغتنموا هذه الفرصة باصطناع الناس بالمعروف ، وعمل البر النافع للوطن ، فان جاه ابي الهدى ليس له دوام، ونحواً من هـذا الكلام. فقال السيد الوالد رحمه الله تعالى : إن امثال هؤلاء لا يفهمون هذه الحكم ولا يعقلونها ، ولقد اصاب والدهم من قبلهم رياسة إدارية صغيرة كواحد منهم فبغى وبطر وتكبر وتجبر وآذى الناس ، فنصحت له إذ كان يوادني ويحترمني وذكرته بتغير الاحوال ، فقال لي يا سيد : ان لكل احد يوماً يرقص له فيه الزمان فينبغي له أن يستمتع فيه ولا يضيع الفرصة على نفسه

وقد قال الله تعالى في هذا المعنى (١٧ ، ٨٣ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا (٨٤) قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) وقال (٤٢ : ٤٥ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور) المراد بالفرح ما كان عن بطر وغرور ، وقال (١٠ ، ٢٢ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم - دعوا الله مخلصين له الدين. لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين * فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق) اقرا تتمة الآية وما بعدها

وأما المؤمنون بالله وما جاء به رسله حقا فهم الذين تكون الشدائد والمصائب تربية لهم وتمحيصا، كما تكون للكافرين عقابا ومحقا ، وقد بين الله تعالى ذلك في مواضع من كتابه أظهرها بيانه اياه بالتفصيل في قصة احد من سورة آل عمران اذ قصت حكمته بأن يقصر المسلمون في سبب من أسباب النصر في الحرب فيظهر عليهم المشركون فينزل تلك الآيات الحكيمة المبينة للحقائق وسنن الاجتماع في الحروب والشدائد التي أولها (٣ : ١٣٧ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا — الى قوله — ١٤١ — وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) ومنها قوله (١٤٠ وتلك الايام نداولها بين الناس) ولكن شأن المؤمن أن يعرف هذه المداولات بأسبابها وحكمها ويتحرى الاتعاظ وتربية نفسه بها، لا كما يراها الكافرون والجاهلون بظواهرها وصورها، والآيات التي

بعدما أشرنا اليه منها تتمة وإيضاح لها فراجع تفسيرها في الجزء الرابع من التفسير. وفي معناها أحاديث كقوله صلى الله عليه وآله وسلم «عجباً لامر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن: ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه احمد ومسلم من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه

(فان قيل) إنما نرى غير المسلمين يعلمون في هذا العصر ما لا يعلم المسلمون من هذه السنن الاجتماعية التي أرشد اليها القرآن ويستفيدون منها وتقوى للمضار يظهر أثرها باستعدادهم للمصائب قبل وقوعها، حتى لا تأخذهم بغتة، عبراً وحتى يتلافوا شرورها بعد وقوعها بقدر الطاقة، ونرى أكثر المسلمين جاهلين وغافلين عن ذلك، وقد فتن بعضهم بهؤلاء الافرنج وحسبوا أنهم لا يكونون مثلهم في علمهم واستعدادهم لدفع الشدائد، والاستفادة من الاحداث والوقائع، الا تركوا الاسلام، ونبذوا هداية القرآن!! كما فتنوا هم بالمسلمين باحتقارهم لدينهم تبعاً لاحتقارهم لهم، وطمعاً فيه بما يظنون من تأثيره في اذلالهم واضعافهم، فما قولك في ظلم الفريقين له، وفي انتهاء الحرب العامة الاخيرة باستيلاء غير المؤمنين، على أقطار عظيمة من بلاد المسلمين؟ وكون أشد اهل هذه الاقطار استسلاما للذل وخضوعاً للقهر، هم الذين يدعون أنهم أصح إيمانا، وأحسن اسلاما؟ حتى كان ذلك فتنة لبعض زعماء شعب سلم من الهلاك بعد ان كاد يحاط به، فظنوا ان التقيد بالاسلام سبب الهلكة، ومنه إلقاء بالايدي الى التهلكة، وان في الانسلال منها المنجاة وارتقاء المملكة

(قلنا) اننا كشفنا أمثال هذه الشبهات، في تفسير كثير من الآيات، وفي غير التفسير من المنار، وبينا مراراً أن المسلمين قد تركوا هداية القرآن وفي حكوماتهم ومصالحهم العامة، وفوضوا أمورهم الى حكامهم الذين يندر أن يوجد منهم من له إلمام بتفسيره أو علم السنة، حتى من سلموا لهم بمنصب خلافة النبوة — كما تركوا هداية الكتاب والسنة في أعمال الافراد، فأكثرهم لا يعرف من دينه الا ما يسمعه ويراه ممن يعيش معهم من قومه وفيه الحق والباطل والسنة والبدعة؛ وأقلهم يتلقى عن بعض الشيوخ بعض كتب الكلام الجدلية التي ألفت للرد على فلسفة نسخت وبدع باد أهلها، وكتب الفقه التقليدية الخالية من جل

هداية القرآن والسنة في مثل موضوع الآيات التي نحن بصدد تفسيرها، وما أشرنا اليه في هذا التفسير من آيات الشواهد، حتى بلغ الجهل من المسلمين في أم المسائل الخاصة بحياتهم السياسية التي هي مناط دولتهم وبقاء ملكهم أو زواله (وهي مسألة الامامة العظمى) أن يكتب الافراد والجماعات من علمائهم فيها ما هو مخالف لجميع أئمتهم ومذاهبهم ولاجماع سلفهم، على تهافت ظاهر، واختلاف فاضح. على أن العلماء المتقدمين قد قصروا في هذه المسألة وهم الذين كان العلم صفة من صفاتهم وملكة من ملكاتهم، لا ورقة شهادة يحملونها ممن سبق الاجماع على أن مثلهم من المقلدين لا يعد عالما في خاصة نفسه، حتى يعتد بشهادته لغيره، بله ما عرف عن بعضهم من شهادة الزور، وقول الكذب وأكل السحت، وقد استسفر بعض مجاوري الازهر المقدمين لامتحان شهادة العالمية واحدا منهم لعرض الرشوة على الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ليساعدهم في الامتحان فضربه الاستاذ رحمه الله بيديه، ورفسه برجليه، وقال له: ياعدو الله أتريد أن أغش المسلمين بك وبأمثالك من الجاهلين بعد هذه الشيبة وانتظار لقاء الله، فأكون ممن يشترون بآيات الله ثمنا قليلا؟ ولو كنت ممن يطّبيهم المال، ويحفلون بجمعه ولو من الحلال، لكنت من أغنى الاغنياء؟

ولما كان القرآن هو الذي هدى المسلمين الى أنواع العلم، وأعطاهم الحكمة والحكم، كان تركهم لهدايته هو الذي سلبهم ذلك حتى انقلب الامر، وانعكس الوضع، واتبعوا سنن من قبلهم شبراً بشبر وذراعا بذراع - كما صح في الحديث - فالسواد الاعظم الجاهل اتبع سنن أهل الكتاب في شر ما كانوا عليه في طور جهلهم من الخرافات، وابتداع الاحتفالات، وتقليد الآباء والاجداد، واتخاذ الارباب والانداد، كاعطاء حق التحريم والتحليل للاحبار والرهبان، وطلب النفع ودفع الضر من دجالي الاحياء وقبور الاموات، فغشيهم ماغشي اولئك من ظلمات الجهل، وجعل الدين عدوا للعلم والعقل، والنابتة العصرية المتفرنجة اتبعت سنن المرتدين والفاسقين منهم، في شر ما صاروا اليه في طور فساد حضارتهم، وقلدوهم حتى فيما لا ينطبق على أحوالهم ومصالحهم ضل الفريقان عن هداية القرآن واشتركا في إضاعة ما بقي من ملك الاسلام

لا عالم الشرق بدينه ولا مقتبس العلم من الغرب هدى

وأما الافرنج فهم وان كانوا على علم واسع بسنن الله في أحوال البشر وسائر امور الكون، قد نالوا به ملكا عظيما في الارض، فأكثرهم يجهل مصدر هذه السنن وحكم الله تعالى فيها ولا يعتبرون حق الاعتبار بما تعقب الشرور والمعاصي من الفساد في الارض ، فهم كأقوام اوائك الرسل الذين لم تفدهم النعم شكر الرب المنعم ، ولم تفدهم النقم تقوى الرب المنتقم ، فقد استعملوا امهم بالعلوم والفنون وتسخير قوى العالم لاستعباد الضعفاء، والسرف في فجور الاغنياء ، والتقاتل على السلطان والثراء ، ولذلك سلط الله بعضهم على بعض، وصدق عليهم قوله عز وجل : (٦ : ٦٥ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض * انظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون) كما بيناه في تفسيرها (ص ٤٩٢ ج ٧ تفسير)

فعلم بما ذكر وبغيره أن العلم بسنن الاجتماع والعمران لا يغني عن هداية الدين التي توقف أهواء البشر ومطامعهم أن تجمح الى ما لاغاية له من الشر، ولو لا أن عند بعض أمم أوربة بقية قليلة منها تتفاوت في أفرادهم قوة وضعفاً، لحشرتهم المطامع والاحقاد صفا صفا ، فدكوا معالم ارضهم التي بلغت منتهى العمران دكا دكا ، فجعلوها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، بل لجعلوها بعد دك صروحها وهاداً عميقة ، ومهاوي سحيقة ، بقذائف المدافع الضخمة التي تشق الارض شقا ، وتسحق ما فيها سحقاً ، على أنهم قد شرعوا ، فاما ان يجهزوا واما أن ينزعوا .

قال تعالى في سورة هود (١١ : ١١٦ فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين (١١٧) وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) القرون هي الاجيال والشعوب، واولو بقية: اصحاب بقية من دين وتقوى وعقل وحكمة، روى ابن مردويه عن ابي بن كعب قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية — واحلام — ينهون عن الفساد في الارض) والاحلام العقول الراجحة[1] .

(١) ماورد في احاديث الآحاد مثل هذا مما لاتثبت به قراءة فهو من قبيل التفسير فان كان ظاهر لفظه أنه قراءة حمل على انه مروي بالمعنى

والمراد من التحضيض فى الآية الاولى النفي اي انه كان ينبغي ان يكون فى القرون الذين كانوا قبل ظهور الاسلام بالاصلاح العام اصحاب بقية من دين موسى وعيسى وغيرهم من الانبياء او حكماء العقلاء الذين فسر بهم الآمرون بالعدل في قوله تعالى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) ولكن لم يكن ذلك الا قليلا ممن نجينا منهم ، واتبع الاكثرون ماأترفوا فيه من الشهوات واللذات، وكانوا ظالمين لانفسهم وللناس، اي ازال الله ملكهم بظلمهم وبطرهم وتركهم للاصلاح فى الارض . قال مجاهد في اتباع هذا الاتراف: في ملكهم وتجبرهم وتركهم الحق .

ومعنى الآية الثانية انه لم يكن من شأن ربك ايها الرسول المصلح ولا من سنته فى خلقه أن يهلك العواصم والمدائن بظلم منه أو بشرك من أهلها والحال أنهم مصلحون في أحكامهم وأعمالهم ، وفي التفسير المرفوع الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل عن قوله تعالى (وأهلها مصلحون) فقال « وأهلها ينصف بعضهم بعضا» رواه الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن جرير « رض » وروي عنه موقوفا أيضا

وهؤلاء البقية لاتخلو منهم أمة فهم حجة الله على الاقوام، ومتى قلوا في امة غلب عليها الفساد ، وقرب انتقام الله منها . وقد شهد القرآن بوجود اناس منهم في عصر التنزيل، وهم يقلون فى أوربة عاما بعد عام، وقد كان من اصحاب الاحلام منهم الفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزي الذي نهى اليابانيين عن الاستعانة بقومه الانكليز على اصلاح بلادهم فيها ، وقال لهم انهم اذا دخلوها لا يخرجون منها . وقال للاستاذ الامام حين تلاقيا بمدينة (بريتن) في صيف سنة ١٣٢١ (١٠ أغسطس سنة ٣ ١٩) ما ترجمته : محي الحق من عقول أهل أوربة واستحوذت عليها الافكار المادية فذهبت بالفضيلة . وهذه الافكار المادية ظهرت في اللاتين أولا فأفسدت الاخلاق وأضعفت الفضيلة ، ثم سرت عدواها منهم الى الانكليز فهم الآن يرجعون القهقرى بذلك ، وسترى هذه الامم يختبط بعضها ببعض وتنتهي الى حرب طامة ليتبين أيها الاقوى فيكون سلطان العالم

قال له الامام : اني آمل أن يحول دون ذلك همم الحكماء (مثلكم)

واجتهادهم في تقرير مبادىء الحق والعدل ونصر الفضيلة

قال الفيلسوف : وأما أنا فليس عندي مثل هذا الامل فان هذا التيار المادي لابد أن يبلغ مده، غاية حده

وأقول اني ذاكرات في هذا المعنى سياسيا اوربيا في جنيف من بلاد سويسرة فرأيته يعتقد اعتقاد سبنسر بل أخبرني ان كثيرا من عقلاء اوربة يعتقدون ان فساد الاخلاق بالترف لذي أهلك الامم الكبرى كاليونان والرومان والفرس والعرب قد أوشك ان يقضى على اوربة وستهلك بالحرب التي تلى هذه الحرب الاخيرة، وما هي ببعيدة. ونصح لنا بان لا نقلد اوربة في مدنيتها المادية، وان نحافظ على آداب ديننا وفضائله، وأن نجمع كلمتنا، ونجعل الزعامة فينا لاهل الرأي والفضيلة منا، ونتربص الدوائر بالاوربيين المعتدين علينا (١)

وجملة القول أن الانسان حيوان انسي وحشي بجسده، وملك روحاني بعقله وروحه! وانه انما يكمل بكمال العقل والروح ويعتدل بالتوازن بينهما، ولا يكون هذا الا بهداية الاسلام الجامع لكل ما يحتاج اليه البشر من ذلك، ولهذا نصحنا لزعماء الترك المفتونين بمدنية لاورب المادية لجهلهم بما يفتك بها من دود الفساد بأن يقيموا حكم الاسلام واصلاحه الذي يكفل لهم القوة المادية والعمران ويقيهم غوائل هذا الفساد كالبلشفية التي ثلت عرش قيصرية الروسية فقلنا في فاتحة الكتاب الذي صنفناه في مسألة (الخلافة — أو — الامامة العظمى) ما نصه :

« أيها الشعب التركي الحي! ان الاسلام أعظم قوة معنوية في الارض، وانه هو الذي يمكن أن يحيي مدنية الشرق وينقذ مدنية الغرب، فان المدنية لا تبقى الا بالفضيلة، والفضيلة لا تتحقق الا بالدين، ولا يوجد دين يتفق مع العلم والمدنية الا الاسلام، وانما عاشت المدنية الغربية هذه القرون بما كان فيها من التوازن بين بقايا الفضائل المسيحية، مع التنازع بين العلم الاستقلالي والتعاليم الكنسية، فان الامم لا تنسل من فضائل دينها، بمجرد طروء الشك في عقائده على أذهان بعض الافراد والجماعات منها، وانما يكون ذلك بالتدريج في عدة أجيال، وقد انتهى التنازع، بفقد ذلك التوازن، وأصبح الدين والحضارة

(١) راجع النبذة ٦ من رحلتنا الاوربية التي نشرت ج ٨ من المجلد ٢٣ من المنار

على خطر الزوال ، واشتدت حاجة البشر الى إصلاح روحي مدني ثابت الاركان ، يزول به استعباد الاقوياء للضعفاء ، واستذلال الاغنياء للفقراء ، وخطر البلشفية على الاغنياء ، ويبطل به امتياز الاجناس ، لتحقق الاخوة العامة بين الناس ، ولن يكون ذلك الا بحكومة الاسلام ، التي بيناها بالاجمال في هذا الكتاب ؛ ونحن مستعدون للمساعدة على تفصيلها ، اذا وفق الله للعمل بها

«أيها الشعب التركي الباسل : انك اليوم اقدر الشعوب الاسلامية ، على أن تحقق للبشر هذه الامنية ، فاغتنم هذه الفرصة لتأسيس مجد إنساني خالد ، لا يذكر معه مجدك الحربي التالد ، ولا يجرمنك المتفرنجون على تقليد الافرنج في سيرتهم ، وأنت أهل لان تكون إماما لهم بمدنية خير من مدنيتهم ، وما ثم الا المدنية الاسلامية ، الثابتة قواعدها المعقولة على أساس العقيدة الدينية ، فلا تزلزلها النظريات التى تعبث بالعمران ، و تفسد نظم الحياة الاجتماعية على الناس»

نصحنا الشعب التركي بهذا ولكن زعماءه الكماليين اليوم كزعمائه الاتحاديين من قبلهم قد فتنوا بهذه المدنية المادية ، وجهلوا كنه الاسلام والحكومة الاسلامية ، وقد اعذرنا اليهم ببيانها ، وانذرناهم عذاب الله باهمالها ، فتماروا بالنذر ، وطفقوا يطمسون ما بقي من الاسلام في حكومتهم وامتهم ، وسنرى ما يكون من امرهم ، وقد ظهر ما كان مستوراً من فساد سريرتهم ، ونسأله تعالى لنا ولهم صلاح الحال ، وحسن المآل .

---

(٩٥) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

لما بين الله سبحانه أخذه لاهل القرى الذين كذبوا الرسل بما كان من كفرهم وظلمهم لانفسهم وللناس بين لاهل أم القرى « مكة » ولسائر الناس ما كان يكون من اغداق نعمه تعالى عليهم لو آمنوا بالرسل ، واعتبروا بالسنن ، فقال :

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ﴾ أي آمنوا بما دعاهم اليه رسلهم من عبادة الله وحده بما شرعه من الاعمال الصالحة واتقوا ما نهوهم عنه من الشرك والفساد في الارض بالظلم والمعاصي كارتكاب الفواحش ، وأكل أموال الناس بالباطل ،

﴿ لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ﴾ قرأ الجمهور فتحنا بالتخفيف من الفتح وقرأها ابن عامر بالتشديد من التفتيح الدال على الكثرة، والمعنى لفتحنا عليهم أنواعا من بركات السماء والارض لم يعهدوها مجتمعة ولا متفرقة، فاذا أريد ببركات السماء معارف الوحي العقلية، وانوار الايمان الروحانية، ونفحات الالهامات الربانية، فالمعنى أن فائدة الايمان واتباع الرسل عليهم السلام تكون تكميل الفطرة البشرية روحا وجسداً، وغايته سعادة الدارين الدنيا والآخرة، واذا أريد ببركات السماء المطر وببركات الارض النبات كما قيل فالمعنى انه ابواب نعم تكون بركات لهم غير التي عهدوا في صفتها ونمائها وثباتها وحالتهم فيها وأثرها فيهم، وبذلك تكون بركات فان مادة البركة تدل على السعة والزكاء من بركة الماء، وعلى الثبات والاستقرار من برك البعير، الم تقرأ او تسمع قوله تعالى من سورة هود (١١: ٤٨ قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك، وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم) فخص المؤمنين بالبركات وجعل نعمة الدنيا متاعا موقتا للكافرين يتلوه العذاب، ولذلك لم يعطفهم على من قبلهم. روى عن محمد بن كعب القرظي انه دخل في تلك البركات كل مؤمن ومؤمنة — وفي ذلك المتاع والعذاب الاليم كل كافر وكافرة. وعن الضحاك قال (وعلى امم ممن معك) يعني ممن لم يولد اوجب لهم البركات لما سبق لهم في علم الله من السعادة — (وامم سنمتعهم) يعني متاع الحياة الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب اليم) لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة)

فالقاعدة المقررة في القرآن ان الايمان الصحيح ودين الحق سبب لسعادة الدنيا ونعمتها بالحق والاستحقاق وان الكفار قد يشاركونهم في المادي منها كما قال تعالى فيهم من سورة الانعام (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء) فذلك الفتح ابتلاء واختبار لحالهم كان أثره فيهم فرح البطر والاشر بدلا من الشكر وترتب عليه العقاب الالهي فكان نقمة لا نعمة، وفتنة لا بركة. وأما المؤمنون فان ما يفتح عليهم يكون بركة ونعمة ويكون أثره فيهم الشكر، والرضا من الله والاغتباط به، واستعماله في سبيل الخير دون الشر، وفي الاصلاح دون الافساد، ويكون جزاؤهم عليه من الله تعالى زيادة النعم ونحوها في الدنيا وحسن الثواب عليها في الآخرة، فالفارق بين الفتحين يؤخذ من جعل هذا من البركات الربانية، ومن تنكيره الدال على أنواع لم يعهدها الكفار،

ومما ورد في الآيات الاخرى الدالة على أن غاية هداية الايمان الجمع بين سعادة الدنيا والآخرة، كقوله تعالى خطابا للبشر موجها لابويهم من قصة آدم في سورة طه (٢٠، ١٢٠ فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢١) ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وقوله في خطاب بني آدم من هذه السورة بعد ذكر قصته المبينة لخواص هذا النوع وحكم الله في خلقه والاصول العامة لدين الرسل الذين يبعثهم لهدايته (٧، ٣١ يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين (٣٢) قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) فراجع تفسيرها في الجزء السابع من التفسير

فهذا بيان لكون اصل الدين يقتضي سعادة الدنيا قبل الاخرة من اول النشأة البشرية في عهد ادم وتقدم آنفا ما انزله تعالى على نوح وهو الاب الثاني للبشر وقال تعالى حكاية عن هود في سورته (١١: ٥٢ وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم) وهذه الآيات كلها حجج على اعداء الاسلام من المنتمين اليه من غيرهم الزاعمين انه — وكذا كل دين — سبب للضعف والفقر!!

﴿ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ من أعمال الشرك الخرافية والمعاصي المفسدة للصحة ولنظام الاجتماع البشري، فكان أخذهم بالعقاب أثراً لازما لكسبهم بحسب سنن الكون، وعبرة لامثالهم ان كانوا يعقلون

(٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ؟ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)

هذه الآيات الاربع إنذار لامة الدعوة المحمدية عربها وعجمها من عصر النور الاعظم الى يوم القيامة لتعتبر بما نزل بغيرها . على ان أهل القرى فيها يحتمل أن يكون المراد به من ذكر حالهم فيما تقدم وضع المظهر فيه موضع المضمر لان السياق ليس قصة خاصة بأقوام بأعيانهم فيذكر ضميرهم بل هو قواعد عامة في أحوال الامم ، فيراد بالاسم المظهر العنوان العام لها لا آحاد ما ذكر منها ، لان التذكير بالعنوان الخاص يوهم أن العقاب كان خاصا لا داخلا في افراد سنة عامة ، وهذا عين ما كان يصرف الاقوام الجاهلة الكافرة عن الاعتبار ، وقد يرجحه التعبير عنهم بالفعل الماضي وهو ترجيح لفظي غير متعين. ويحتمل أن يكون المراد به أهل أم القرى عاصمة قوم الرسول الخاتم وعشيرته الاقربين وسائر قري الامم التي بعث (ص) الى أهلها من حيث إن بعثته عامة

﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ﴾ الاستفهام للتذكير والتعجيب من أمر ليس من شأنه أن يقع من العاقل والفاء عطف على محذوف تقديره على الوجه الاول . اغر اهل تلك القرى ماكانوا فيه من نعمة حين كذبوا الرسل فأمنوا ان يأتيهم بأسنا ؟ إلخ وعلى الثاني أجهل اهل مكة وغيرها من القرى التي بلغتها الدعوة ويتبعها من ستبلغها مانزل بمن قبلهم وغرهم ماهم فيه من نعمة فأمنوا أن يأتيهم عذابنا وقت بياتهم — أواتيان بيات — وهو الهجوم على العدو ليلا وهو بائت فقوله « وهم نائمون » حال مبينة لغاية الغفلة وكون الاخذ على غرة كما قال فيمن عذبوا « فأخذتهم بغتة »

﴿ أو أمن اهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ﴾ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر «أو» بسكون الواو ، والمعنى بحسب أصل اللغة أأمنوا ذلك الاتيان أو هذا؟ وهو لايمنع الجمع بين الامنين — وقرأ الباقون بفتح الواو على أن الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف كالذي قبله ، وقد أعيد الاستفهام وما يتعلق به لنكتة وضع المظهر موضع المضمر التي بيناها آنفا . والضحى انبساط الشمس وامتداد النهار ويسمى به الوقت . أو ضوء الشمس في شباب النهار ، واختاره الاستاذ الامام ، واللعب بفتح اللام وكسر العين ما لا يقصد فاعله بسبب منفعة ولا دفع مضرة بل يفعله

لا انس له به أولذة له فيه كلعب الاطفال ، وما يقصد به العقلاء رياضة الجسم قد يخرج عن حقيقة اللعب ويكون اطلاقه عليه مجاريا بحسب صورته ، وكم من عمل صورته لعب أو هزل ، وحقيقته حكمة وجد ، وكم من عمل هو عكس ذلك كالعمل الفاسد الذي يقصد به ما يظن أنه نافع وهو ضارّ ، وما يتوهم انه حكمة وهو عبث وخرق ، وقد يكون اطلاق اللعب على أعمال هؤلاء الجاهلين الغافلين من هذا الباب: أي أوأمن اهل القرى ان يأتيهم عذابنا في وقت الضحى وهم منهمكون في أعمالهم التي تعد من قبيل لعب الاطفال لعدم فائدة تترتب عليها مطلقاً أو بالنسبة الى ما كان يجب تقديمه عليها من سلوك سبيل السلامة من العذاب؟

فأما أهل القرى من الغابرين فالظاهر ما حكاه الله تعالى عنهم أنهم كانوا آمنين اتيان هذا العذاب ليلا ونهاراً فكان إتيانه إياهم فجأة في وقت لا يتسع لتلافيه وتداركه فالاستفهام لا يظهر في شأنهم الا بتأول لا يحتاج الى مثله في اهل القرى الحاضرين ، ومن سيكون في حكمهم من الآتين ، والمراد انه لم يكن لهم ان يأمنوا لو كانوا يعلمون ، فان وجود النعم ليس دليلا على دوامها ، فكم من نعمة زالت بكفر اهلها ، وهذا ما كان يجهله الذين قالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء ، فراو صورة الواقع وجهلوا الاسباب . واما الحاضرون فلا يعذرون بالجهل ، بعد ان بين لهم القرآن كنه الامر ، وسنن الله في الخلق ، ولكن ادعياء القرآن ، قد صاروا اجهل البشر بما جاء به القرآن ، ويدعي بعضهم ان سبب جهلهم الانتماء الى دين القرآن !!!

﴿ أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ﴾ قال الراغب المكر صرف الغير عما تقصده بحيلة . وقسمه الى محمود ومذموم . وأصح منه وأدق قولنا في تفسير (٣: ٥٤ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) : المكر في الاصل التدبير الخفي المفضي بالممكور به الى مالا يحتسب . وقفينا على هذا التعريف ببيان السيء و الحسن من المكر و'ون الاكثر فيه ان يكون سيئا كالشأن في غيره من الامور التي يتحرى إخفاؤها ، وفيه أن مكر الله تعالى وهو تدبيره الذي يخفى على الناس انما يكون باقامة سننه وإتمام حكمه ، وكلها خير في نفسها وان قصر كثير من الناس في الاستفادة منها بجهلهم وسوء اختيارهم اه والمراد بالجهل

مايتعلق بصفات الله تعالى وسننه اغتراراً بالظواهر، كأن يغتر القوي بقوته، والغني بثروته، والعالم بعلمه والعابد بعبادته، فيخطيء تقديره ماقدره الله تعالى فيظن أن ما عنده يبقى، وما يترتب عليه من الآثار وظنه لا يتخلف، كما أخطأ الالمان في تقدير قوتهم وقوة من يقاتلهم من الدول فلم يحسبوا أن تكون دولة الولايات المتحدة منهم

والمعنى أكان سبب أمنهم إتيان بأسنا بياتا أو ضحى وهم غافلون أنهم أمنوا مكر الله بهم باتيانهم من حيث لم يحتسبوا ولم يقدروا؟؟ ان كان الامر كذلك فقد خسروا أنفسهم فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون. وقد سبق الكلام في خسران النفس في غير هذا الموضع

واذا كان أمن العالم المدبر والصالح المتعبد من مكر الله تعالى جهلا يورث الخسر، فكيف حال من يأمن مكر الله وهو مسترسل في معاصيه اتكالا على عفوه ومغفرته ورحمته؟ قال تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اردا كم فأصبحتم من الخاسرين) فأعلم الناس بالله واعبدهم له واقربهم اليه هم أبعد خلقه عن الامن من مكره، اذ لا يصح أن يأمن منه الا من أحاط بعلمه ومشيئته، وليس هذا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ألم تر الى الرسل الكرام كيف كانوا يستثنون مشيئته حتى فيما عصمهم منه؟ كقول شعيب الذي حكاه الله عنه قبيل هذه الآيات (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا) وقد كان أصلح البشر وخاتم الرسل (ص) يكثر من الدعاء بقوله «يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك» كما ثبت في الصحاح وقد ذكر تعالى ان الراسخين في العلم يدعونه بقوله (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك انت الوهاب) وقال (انما يخشى الله من عباده العلماء) ويقابل الامن من مكر الله ضده وهو اليأس من رحمة الله. فكل منهما مفسدة تتبعها مفاسد كثيرة

﴿ أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ﴾ يقال هداه السبيل او الشيء وهداه له وهداه اليه — اذا دله عليه وبينه له، واهل الغور من العرب كانوا يقولون هدى له الشيء بمعنى بينه له نقله في

(لسان العرب) وذكر انه قد فسر به ما في الآية وامثالها . وهذا التعبير ورد في سياق النفي والاستفهام هنا . ومثله في سورة طه (٢٠ : ١٢٠ افلم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لاولي النهى) وفي سورة (الم - السجدة) (٣٢ : ٢٦ أولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ؟ ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون) والسياق الذي وردت فيه آية الاعراف التي نفسرها مثل السياق الذي وردت فيه آيتا طه والسجدة . والاستفهام هنا داخل على فعل محذوف عطف عليه ما بعده كما سبق في نظائره وللتقدير وجوه كلها تفيد العبرة فهو مما تذهب النفس فيه مذاهب من أقربها أن يقال : أكان مجهولا ما ذكر آنفا عن القرى وسنة أهل الله تعالى فيهم ولم يبين للذين يرثون الارض من بعد أهلها قرنا بعد قرن وجيلا في اثر جيل - او ولم يتبين لهم به - ان شأننا فيهم كشأننا فيمن سبقهم وهو انهم خاضعون لمشيئتنا فلو نشاء أن نصيبهم و نعذبهم بسبب ذنوبهم اصبناهم كما اصبنا أمثالهم من قبلهم بمثلها . وقوله تعالى ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ معطوف على « اصبناهم » لانه بمعنى نصيبهم اذ الكلام في الذين يرثون الارض في العصر الحال أو المستقبل على الاطلاق وليس في قوم معينين طبع الله على قلوبهم بالفعل كما ظن الزمخشري وغيره فمنعوا هذا العطف وقالوا المعنى : ونحن نطبع على قلوبهم . والمراد أنه ينبغي لمن يستخلفهم الله في الارض ويرثون ما كان لمن قبلهم من الملك والملك، ان يتقوا الله ولا يكونوا من المفسدين الظالمين، ولا من المترفين الفاسقين ، وان يعلموا أن من المحتم عقاب الامم على السيئات، وقد خلت من قبلهم المثلات، فلم يكن ماحل بمن قبلهم من المصادفات، بل هو من السنن المطردة بالمشيئة والاختيار، فلا هوادة فيه ولا ظلم ولا محاباة . والناس في ذلك فريقان : فريق يصاب بذنبه ، فيتعظ ويتوب الى ربه ، وفريق يصر عليه حتى يطبع على قلبه . وهو مستعار من طبع السكة و نقشها بصورة او كتابة لا تقبل غيرها او من الطبع الذي بمعنى الختم كقوله تعالى (ختم الله قلوبهم) والطابع والخاتم (بفتح الباء والتاء) واحد . وقيل انه مأخوذ من الطبع (بالتحريك) وهو الصدأ الشديد يعرض للسيف ونحوه فيفسده . يقال طبع الطباع السيف والدرهم - أي ضربه، وطبع الكتاب وعلى الكتاب وختمه اذا ضرب عليه

الطابع والخاتم بعد إتمامه ووضعه في ظرفه حتى لا يدخل فيه شيء آخر. ومنه الطبع والطبيعة وهي الصفة الثابتة للشيء أو الشخص ، فالسجية نقش النفس بصورة ثابتة لاتتغير لان ما يتغير لا يسمى طبيعة . ومنه طبع الكتب في الآلة المعروفة بالمطبعة سمي بذلك لانه لا يقبل المحو والتغيير كالخط ، على ان الناس قد صنعوا أحبارا لا تمحي ايضا

ولا يستعمل الطبع على القلوب الا في الشر والمراد به انها وصلت من الفساد الى حالة لا تقبل معها خيرا كالهدى والايمان والعلم النافع الذي هو فقه الامور ولبابها ، وانما يحصل بالاصرار على الشرور والمعاصي استحلالا واستحسانا لها، حتى لا يعود في النفس موضع لغيرها ، قال تعالى في اليهود (٤ : ١٥٤ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف — بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) اي الا قليلا منهم وهم الذين لم يطبع على قلوبهم . وقال تعالى في المنافقين (٩ : ٨٨ وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) ومثله في سورتهم . وقال هنا ﴿فهم لا يسمعون﴾ اي فهم بهذا الطبع لا يسمعون الحكم والنصائح سماع تفقه وتدبر واتعاظ ، (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يعقلون) ما يراد منها . لان قلوبهم قد ملئت بما يشغلهم عنها ، من آراء وافكار وشهوات ملكت عليها أمرها ، حتى صرفتهم عن غيرها ، فجعلتهم من (الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا)

قد كان ينبغي للمسلمين وهذا كتابهم من عند الله عز وجل أن يتقوه تعالى باتقاء كل ما قصه عليهم من ذنوب الامم التي هلك بها من قبلهم وزال ملكهم ، ودالت بسببها الدولة لاعدائهم ، اذ بين لهم ان ذنوب الامم لا تغفر كذنوب بعض الافراد وسنته فيها لا تتبدل ولا تتحول ، ولكنهم قصروا اولا في تفسير أمثال هذه الآيات المبينه لهذه الحقائق ، ثم في وعظ الامة بها، وانذارهم عاقبة الاعراض عنها، وترك الاتعاظ بتدبرها ، ومن يقرأ شيئا من تفسيرها فانما يعنى باعرابها ، والبحث في الفاظها، أوجد المذاهب فيها، ثم انهم يجعلون معانيها خاصة بالكافرين ، ويفسرون الكافرين بمن لا يسمون انفسهم مسلمين ، وطالما انكر علينا بعض ادعياء العلم والدين ، بأننا جعلنا الآيات التي

نزلت في الكفار ، شاملة لاهل الاسلام و لايمان ، وكذلك كان يقول اهل الكتاب من قبلهم ، فظنوا كما ظنوا ان الله تعالى يحابي الاقوام لاجل رسلهم، وأنه يعطيهم سعادة الدنيا والآخرة بجاههم لا باتباعهم ، وقد راجت هذه العقائد الفاسدة في المسلمين ، وكانت تجارة للشيوخ المقلدين الجامدين ، والدجالين الضالين المضلين (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، بل كانوا فتنة للكافرين، وحجة على الدين، كما بيناه من قبل وفي هذا السياق آنفا (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها ؟ أفلا يعتبرون بقول رسولهم (ص) «شيبتني هود واخواتها» (١) (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين * أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون)

---

(١٠٠) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ، وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ

وجه الخطاب في هاتين الآيتين الى النبى صلى الله عليه وسلم لاجل تسليته وتثبيت فؤاده بما في قصص أولئك الرسل مع أقوامهم من العبر والسنن التى بين فقهها وما فيها من الحكم في الآيات السبع التى قبلهما . قال تعالى

﴿ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ﴾ كلام مستأنف قفي به على جملة قصص الرسل عليهم السلام التى تقدمت وماعطف عليها من بيان حكمها وفقهها فكانت كالفذلكة لها ، فالقرى هي المعهودة في هذه القصص، وحكمة تخصيصها بالذكر أنها كانت في بلاد العرب ماجاورها وكان من بعد قوم نوح من العرب ، وكان

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن عقبة بن عامر وأبي جحيفة بسند صحيح ، ورواه هو والترمذي والحاكم عن غيرهما وفيه زيادة بيان لاخواتها وابن عساكر مرسلا بزيادة « وما فعل بالامم قبلي » وهو وجه العبرة بهود

أهل مكة وغيرهم من العرب الذين هم أول من وجهت اليهم دعوة الاسلام يتناقلون بعض أخبارها مبهمة مجملة ، وكانت على هذا كله قد طبعت على غرار واحد في تكذيب الرسل ، والتماري فيما جاؤا به من النذر ، الى أن حل بهم النكال ، وأخذوا بعذاب الاستئصال ، فالعبرة فيها كلها واحدة وليس كذلك قوم موسى فانهم آمنوا وانما كذب فرعون وملؤه فعذبوا ، ولذلك أخر وصته

والمعنى تلك القرى التي بعد عهدها ، وطال الامد على تاريخها ، وجهل قومك أيها الرسول حقيقة حالها ، نقص عليك الآن بعض أنبائها ، وهو ما فيه العبرة منها، وإنما قال نقص لا قصصنا لأن هذه الآيات نزلت مع تلك القصص لا بعدها.

﴿ ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ﴾ أي ولقد جاء أهل تلك القرى رسلهم بالبينات الدالة على صدق دعوتهم، والآيات التي اقترحوها عليها لاقامة حجتهم ، بأن جاء كل رسول قومه بما أعذر به اليهم، فلم يكن من شأنهم أن يؤمنوا بعد مجيء البينات بما كانوا كذبوا به من قبل مجيئها عند بدء الدعوة الى توحيد الله تعالى وعبادته وحده بما شرعه وترك الشرك والمعاصي . وقيل ان الباء للسببية والمعنى فما كانوا ليؤمنوا بعد بعثته بسبب تعودهم تكذيب الحق قبلها ، وهو تأويل واه جدا فان قوله فما كانوا نفي للشأن ، وليس من شأن من كذب بشيء أن يصر عليه بعد ظهور البينات على خطإه فيه، ولكن شأن من كذب بشيء عناداً وتقليداً أن يصر عليه بعد إقامة البينة لانها لا قيمة لها عنده . لانه إما جاحد معاند ضل على علم، وإما مقلد يأبى النظر والعلم . على أن ما قالوه لا يفهم من الآية الا بتكلف يخالفه المتبادر من اللفظ. فالعجب ممن اقتصر عليه ولم يفهم غيره . وسيأتي في سورة يونس بعد ذكر خلاصة قصة نوح عليه السلام (ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين) فالمراد بهؤلاء الرسل الذين بعثوا بعد نوح من ذكروا في سورة الاعراف ولذلك قال هنا وهنالك (ثم بعثنا من بعدهم موسى) وحينئذ يحتمل أن يقال في آية الاعراف أن أهل تلك القرى في جملتهم ومجموعهم لم يكن من شأنهم أن يؤمن المتأخر منهم بما كذب به المتقدم وهم قوم نوح بالنسبة الى الجميع ثم قوم هود بالنسبة الى قوم صالح الخ والراجح المختار هو الاول —

ويليه هذا — والثاني باطل البتة

﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ أي مثل هذا الذي وصف من عناد هؤلاء واصرارهم على ضلالهم ، وعدم تأثير الدلائل والبينات في عقولهم ، يكون الطبع على قلوب الذين صار الكفر صفة لازمة لهم ، بحسب سنة الله تعالى في أخلاق البشر وشؤونهم ،وذلك بأن يأنسوا بالكفر وأعماله حتى تستحوذ أوهامه على أفكارهم ، ويملأ حب شهواته جوانب قلوبهم ، ويصير وجدانا تقليديا لهم ، لا يقبلون فيه بحثا ، ولا يسمعون فيه نقدا ، فيكون كالسكة التي طبعت في أثناء لين معدنها بصهره واذابته ثم جمدت فلا تقبل نقشا ولا شكلا آخر

ومن وجوه تسلية النبي (ص) بالآية إعلامه ان من وصلوا بالاصرار على الجحود والعناد أو التقليد الى هذه الدرجة من فساد الفطرة واهمال استعمال العقل لا يؤمنون بالبينات وان وضحت، ولا بالآيات وان اقترحت ، فقد كان كفار مكة يقترحون عليه الآيات وكان يتمنى ان يؤتيه الله ما اقترحوا منها حرصا على ايمانهم ، حتى بين الله تعالى له هذه الحقائق من طباع البشر واخلاقهم ، وتقدم هذا البيان في ايات من اوائل سورة الانعام وأثنائها ، ومما يناسب ماهنا منها قوله تعالى (٦ : ١٠٨ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها . قل إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ، (١١٩) ونقلب افئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون ، فقوله تعالى (كما لم يؤمنوا به أول مرة) بمعنى قوله هنا « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل »

﴿ وما وجدنا لاكثرهم من عهد ﴾ العهد الوصية بمعنى إنشائها وبمعنى متعلقها وهو ما يوصي به الموصي . وعهدت اليه بكذا وصيته بفعله أو حفظه. ويكون بين طرفين وهو المعاهدة كما يكون من طرف واحد وهو من يعهد اليك بشيء ، ومن تلتزم له شيئا . والميثاق العهد الموثق بضرب من ضروب التأكيد . قال تعالى (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) أي أوفوا بما عهدت به اليكم أوف لكم بما وعدتكم به من الجزاء على ذلك . وكل منهما يسمى عهد الله وقال الراغب : عهد الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا وتارة يكون بما أمرنا به في الكتاب وبألسنة رسله ، وتارة بما نلتزمه وليس بلازم في أصل الشرع

كالنذور ومنه تجري مجراها اهـ . والمراد من الاول العهد الذي تقتضيه فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي عهد منه يطالب الناس به ويحاسبهم عليه ومنه الحنيفية وأصلها الميل عن جانب الباطل والشر الى جانب الحق والخير، فقد فطر الله انفس البشر على الشعور بسلطان غيبي فوق جميع قوى العالم - وعلى إيثار ما تراه حسنا واجتناب غيره - وعلى حب الكمال وكراهة النقص . ولكنهم يخطئون في تحديد هذه المعاني ويحتاجون الى بيانها بوحي من الله تعالى وهو عهد الله المفصل الذي يرسل به رسله لمساعدة الفطرة على تزكية النفس وإزالة ما يطرأ عليها من الفساد بالجهل وسوء الاختيار . ومن الاصول العامة لعهد الله العام ، على ألسنة الرسل عليهم السلام ، ما بينه تعالى في أوائل هذه السورة بعد بيان النشأة الآدمية ، والنشأة الشيطانية ، وما بينهما من التنافر والتعادي، اعني تلك المناداة التي نادى بها بني آدم في الآيات العشر من ٢٥ الى ٣٤ ومنها التحذير من فتنة الشيطان وهو ما عهده اليهم بقوله (ألم اعهد اليكم يا بنى آدم الا تعبدوا الشيطان [1]) (ومنها) الوصايا العشر التي هي اصول الدين وقواعده الكبرى في الآيات الثلاث ١٥١ — ١٥٣ من سورة الانعام وفي الثانية منها قوله تعالى (وبعهد الله أوفوا) [2]

وقد فسر بعض السلف العهد بالميثاق الفطري العام الذي يأتي بيانه في قوله تعالى من هذه السورة (واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى) الخ رواه ابن ابي حاتم عن ابي العالية وابن المنذر عن أبيّ بن كعب ، وهما وابن جرير وابو الشيخ عن مجاهد وروى أبو الشيخ عن قتادة قال : لما ابتلاهم بالشدة والجهد والبلاء ثم أتاهم بالرخاء والعافية ذم الله اكثرهم عند ذلك فقال (وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) ويعني ما تقدم من شأن الفطرة في الرجوع الى الله عند الشدة وكون هؤلاء لم تؤدبهم البأساء والضراء . وهذا فرع من فروع العهد الفطري ، وقيل انه اراد به انهم كانوا يعاهدون الله تعالى عند الضيق

---

(١) راجع تفسيرها في ص ٣٥٧ — ٤٠١ ج ٨ تفسير
(٢) راجع تفسيرها في ص ١٨٣ — ١٩٩ ج ٨ تفسير

بأن يشكروا له ويوحدوه ذا الجرم كما حكي عن بعضهم في عدة سور وروي عن ابن مسعود تفسير العهد بالايمان احذا من قوله تعالى (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) وهو يتفق مع القول الاول وان لم يصرح به كما قال الحافظ ابن كثير في تفسير الجملة : وما وجدنا لاكثرهم أي لاكثر الامم الماضية من عهد (ثم قال) والعهد الذي اخذه هو الذي جبلهم عليه وفطرهم عليه واخذ عليهم في الاصلاب انه ربهم ومليكهم وأنه لا اله الا هو ، واقروا بذلك وشهدوا على أنفسهم به، وخالفوه وتركوه وراء ظهورهم وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لامن عقل ولامن شرع ، وفي الفطر السليمة خلاف ذلك ، وجاءت الرسل الكرام من اولهم الى آخرهم بالنهي عن ذلك كما جاء في صحيح مسلم « يقول الله : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم » وفي الصحيحين « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » الحديث . اه

والصواب ان العهد يعم هنا كل ما يصلح له من عهد فطري وشرعي وعرفي مما يلتزمه الناس بعضهم مع بعض في تعاهدهم وتعاقدهم لانه جاء نكرة في سياق النفي مع تأكيد النفي بمن كأنه قال : وما وجدنا لاكثر أولئك الاقوام عهداً ما يفون به ﴿ وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ﴾ اي وان الشأن الذي وجدنا عليه اكثرهم هو التمكن من الفسوق وهو الخروج عن كل عهد فطري وشرعي بالنكث والغدر ، وغير ذلك من المعاصي . وإنما حكم على الاكثر لان بعضهم قد آمن والتزم كل عهد عاهد الله عليه أو عاهده الله عليه أو تعاهد عليه مع الناس ، ومنهم من كان يفي ببعض ذلك حتى في حال الكفر اذ لا تتفق افراد أمة كبيرة على الشر والباطل في كل شيء ، وهذا من دقة القرآن في تحديد الحقائق بالصدق الذي لا شوبه شبهات المبالغة بما يسلب احدا حقه اويعطي احدا غيرحقه، وقدنوهنا بهذه الدقة من قبل، وغفل عنها بعض المفسرين فزعموا هنا ان المراد بالاكثر الكل في الكل

والفسق فى الاصل أعم من نكث العهد ويتساوى مفهومهما بما فسرنا به عموم العهد هنا . ففي التعبير من محاسن الكلام الطرد والعكس ، باعتبار

مدلول اللفظ ، اذ الاول يقرر بمنطوقه مفهوم الثاني الذي يقرر بمفهومه منطوق الاول . وفيه الجناس التام بين وجدنا الاولى وهي بمعنى ألفينا والثانية وهي بمعنى علمنا — والمقابلة بين النفي والاثبات في سلب الوجود الاول واثبات الثاني

خطاب عام للمسلمين

— ٢ —

﴿ الجناية الثالثة : الظلم والاستبداد في الحرمين ﴾

ان استبداد الملك حسين وظلمه في الحجاز لا نعلم له نظيراً في حكومة وطنية من حكومات العالم في هذا العصر وانما هو كحكم أشد المستعمرين للامم الضعيفة قسوة وطمعا في ابتزاز الاموال وإذلال الناس ، فأهل الحجاز في هذا العهد بائسون ذليلون ولا يتجرأ أحد منهم على الشكوى بقول ولا كتابة ، ونحن قد أمكننا الوقوف على كثير من الحقائق الآتية من بعض أهل البصيرة والتحقيق من حجاج الموسم الاخير الذين لهم أصدقاء في الحجاز يثقون بهم ومما اختبروه بانفسهم على كثرة الجواسيس وحرص الملك على مراءات الحجاج ،وقد جاءتنا رسالة طويلة في وصف حالة الحجاز من أحد حجاج الموسم الماضي من جزائر الهند الشرقية فنلخص من هذا وذاك مايتعلق بغرضنا بالايجاز ونجعله عدة اقسام

المظالم المالية

(١) كل ما يرد على مكة من الانعام ينتقي الملك كرائمها وخيارها

لنفسه بواسطة سمسار له اسمه (ابراهيم) فيدفع ثمن الجمل الاعلى منها ٢٥ ريالا مجيديا (تساوي ١٢٠ قرشا مصريا) اذا كان الادنى يباع بخمسة وعشرين جنيها مصريا — ويعطي ثمن الكبش الجيد بل الاجود ريالين مجيدين اذا كان الادنى منها يساوي عشرة ريالات

(٢) يأخذ مكسا على كل جمل ثلاثة ريالات مجيدية (٣٠ أو ٣٥ قرشا مصريا) وعلى كل ثور أو بقرة خمسين قرشا مصريا لانه لا يأخذ منها لنفسه كما يأخذ من الابل والغنم. هذا اذا كانت الابل والبقر للعمل وأما اذا كانت للذبح فيأخذ عن كل رأس عشرة ريالات. ومن المعلوم أن الابل لا تذبح في الحجاز الا اذا هزلت وتعذر الحمل عليها والسفر بها وان كان الجمل الهزيل الضعيف قلما يباع بأكثر من عشر ريالات وقد يباع بخمسة. ولكن الملك يأخذ عليه عشرة ريالات مهما يكن ثمنه الذي بيع به فيضطر الجزار بذلك الى بيع لحمه غاليا وهو لا يأكله الا الفقراء فيكون الغبن عليهم

(٣) كل من يأتي مكة أو غيرها من بلاد الحجاز بشيء للبيع من خارجها ولو كان من البدو أو أهل القرى الحجازيين يجبر على أخذ ثمنه ريالات مجيدية وقروش عثمانية (مما يسمى في سورية متليك وفي الحجاز هلل) لان الذهب خاص بالملك، وهذه السكة لا تروج عند الاعراب الذين يأتون بالماشية وغيرها الى مكة فيرغبون أن يشتروا بثمنها أقواتا أو أقمشة لعيالهم ولكن الشراء من مكة محرم في شرع الملك الا برخصة من الديوان الهاشمي — ويعبر عنها بالفسح — وقد يتأخر صدور « الفسح » ولا سيما اذا كثر طلابه حتى ينفق الغريب ما باع به

ويرجع الى عيله بغير شيء ولا سيما اذا كان ما باعه قليلا كالوقود والفاكهة

(٤) يأخذ على كل صفيحة سمن خمسين قرشا مصريا ، وكان السمن الجيد يأتي من نجد وعسير فانقطع مجيئه من نجد وقل من عسير بسبب إجبار تجاره على أخذ ثمنه من النقد العثماني الذي لا يروج عندهم، فصارت أقة السمن البحري الرديء المغشوش تباع بثلاثة مجيديات وكانت الاقة من الجيد تباع بربع مجيدي الى نصف ريال اذا اشتد الغلاء وأقة اللحم بريالين وكانت بقرشين - فاصبح أهل مكة في ضيق لم يعرفوا له نظيراً الا في تلك الايام التي اتفق فيها سيدهم مع الانكليز على منع الاقوات عن الحجاز ليواتوه على الثورة

(٥) ياخذ عن كل بضاعة تأتي من البحر الى الحجاز ثلاثين في المائة من ثمنها إلا الكماليات كالحرير فيأخذ منها خمسين في المائه وذلك بحسب أسعارها في سوق جده لا بحسب السعر الذي اشتريت به ، ونترك الكلام في اقتراض المال من تجار جدة ألوف الجنيهات على أن توفى من المكوس التي تستحق عليهم ومطل ادارة المكس وتسويفها لهم ، بعذر الحاجة الى المال ولا مشتكى الا الى الله

(٦) أبطل جميع الافران التي للاهالي وفتح أفرانا لنفسه يعطيها الدقيق المختلط من عنده ويكره الناس على الشراء منها دون غيرها وهو يربح منها كل يوم أكثر من تسعين جنيها من مكة وجاء في رواية أخرى كتبها بعض الحجاج المصريين أنه يربح من أفرانه ثلاثمائة جنيه في كل يوم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه » رواه البخاري في تاريخه وأبو داود وأشهر رواة التفسير المأثور من

حديث يعلى بن منية . وفي لفظ من حديث ابن عمر مرفوعا « احتكار الطعام بمكة إلحاد » رواه البيهقي في شعب الايمان . وروى سعيد بن منصور والبخاري في التاريخ أيضا وابن المنذر عن عمر بن الخطاب أنه قال : « احتكار الطعام بمكة الحاد بظلم » . روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير الآية « تجارة الامير بمكة إلحاد » فما بال المكوس ؟

(٧) جعل قيمة الجنيه سبعة ريالات مجيدية يغرم من يخالف ذلك بمبلغ من المال له ، لكنه يبيع الذهب للصيارف بألوف الجنيهات كل جنيه باثني عشر ريالا ، ثم يجبرهم على إعطائه الجنيه بالسعر الرسمي وهو سبعة ريالات ، والتجار يرفعون الأثمان لتقرب من سعر الذهب . ومن فوائد الملك من ذلك أن من كان راتبه من رجال حكومته عشرة جنيهات يعطيه ٧٢ ريالا قيمتها الحقيقية ستة جنيهات

(٨) ما يأخذه من الغرامات وينزله من العقاب على من يخالف السعر أو يعترض على اختلاف ما يأخذه هو . يعطيه لا مستند له الا رأيه ، وقد جازى التجار على ذلك مراراً حتى بلغت الغرامة من جماعتهم من مائة جنيه الى ثلاثمائة جنيه بل عاقب بعد الموسم خمسة من تجار مكة المحترمين بالجلد الشديد وكنس الشوارع لان جواسيسه بلغوه عنهم انهم قالوا ان سعر النقود العثمانية سينزل حتى مات أحدهم من شدة الضرب كما جاء في كتاب خاص من مكة لاحد التجار هنا

(٩) استأثر لنفسه بالغلال المصرية سنتين فلم يعط المستحقين شيئا حتى مات بعض المستحقين لها من فقراء المدينة المنورة جوعا ثم صار يعطي الاحياء نصف ما يستحقونه ويستأثر بحصص الاموات كلها فلا

يعطي ورثتهم منها شيئاً ، ولعل هـذا أحد أسباب امتناع الحكومة المصرية عن إعطائه مخصصات الاهالي لاجل أن يتولى توزيعها عليهم مستخدموها في التكيتين المصريتين بمكة المكرمة والمدينة المنورة .

(١٠) استبد بوقف الشريف أبي نمي فلا يوزعه على المستحقين من ذريته حسب شرطه حتى قيل ان بعض الشريفات يخرجن في الليل متسولات يتكففن أيدي الناس في الشوارع !!

(١١) قد استعار من أغنياء مكة أثاثا ورياشا وماعونا كثيراً للدار التي أنزل فيها السلطان وحيد الدين المخلوع وحاشيته ثم لما ذهب السلطان من مكة استأثر بهذه العواري النفيسة ولم يردها الى أصحابها

(١٢) جمع ثلاثين الف جنيه من أهل الحجاز بالاكراه والاجبار ومن الحجاج بالاختيار لاعانة المسجد الاقصى ، وأرسل منها اثنى عشر الف وخمسمائة جنيه ، وقد نشر في جريدة القبلة ما أخذ من كبار التجار والموظفين في الحكومة ومن الحجاج وأما ما اخذ من العوام وصغار التجار فلم ينشر فيها (١)

(١٣) ذهب الى مكة الشرفاء زامل وجعفر وعلي أولاد السيد ناصر أخي الملك فوضعهم الملك تحت المراقبة الشديدة والقهر وكان مرادهم الاقامة في مكة شهرا واحدا فاكرههم على الاقامة زهاء سنة ولما عادوا الى مصر أرسل الى وكيل أطيانه اسكندر بك طراد كشفا فيه انه أنفق عليهم في مكة الف وثمانية وعشرين جنيها وكسورا وأمره ان يطالب

---

(١) المنار : لعل سبب عدم نشره قلة المبالغ مع كثرة الاسماء لاقصد اكله

أخاه الشريف ناصرا بهذا المبلغ وينذره بامساكها من ايراد الوقف المشترك اذا لم يؤدها اليه نقدا

العقاب والاحكام

إنه يذيع في جريدته القبلة أن أحكامه كلها شرعية مستمدة من الكتاب والسنة — والواقع الذي يعرفه أهل الحجاز ومن أقام فيه زمنا يزيد على مدة الحج من غيرهم ولا سيما الذين استخدموا فيه ان أحكامه شخصية محضة لا يتقيد فيها بقيد من شرع ولا مشاورة ولا قانون، وهو وان كفر الترك والمصريين بوضعهم للقانون الاساسي وغيره فقد وضع بعض القوانين وأمر بتنفيذها ومنها (قانون هيئة المعاملات العمومية) الذي أمر فيه بتشكيل لجنة بهذا الاسم تفصل في قضايا الاجارة والديون « والكشفيات ونحوها » مما هو من خصائص المحاكم بدون محاكمة شرعية وفيها احكام وضعها برأيه لم يرجع فيها الى دليل شرعي وسماها دستوراً للعمل كما سماها قانوناً . وقد أعطى بهذا القانون حق الاجتهاد لأعضاء اللجنة في كل فروع الاجارات غير الداخله في المادة ٤٣ منه ولا حاجة بنا الى تفصيل ذلك بل المراد به التنبيه على أنه يحرم على اهل البلاد التركية والمصرية ما أباحه لنفسه من وضع القوانين وان كان هو وجميع أعضاء حكومته دون أهل هاتين المملكتين علما بالشرع وبأصول القوانين وفروعها

قانون الطاغوت أبي نمي

وأدهى من هذا واعظم في رد الشرع ونبذه وراء الظهر، وتفضيل حكم الطاغوت على حكم القرآن المنزل من عند الله عز وجل، — حكمه

بقانون جده الامير ابي نمي في جميع مسائل الدماء بين البدو. ومن أصول مواد هذا القانون أن دم شرفاء الحجاز مربع فاذا قتل أحدهم يقتل به أربعة من خواص رجال القبيلة المتهمة بقتله. ولا شك في أن استحلال هذا كفر وردة عن الاسلام. وان امام المسلمين وخليفتهم يجب عليه شرعا أن يقاتل من يتحاكمون ومن يحكمون بمثل هذا وغيره من أصول الجاهلية المقررة فيه، ومرجعها كلها الى ما يسمونه «السوالف» وهي الاحكام السابقة التي قبلها سلف المتحاكمين أي شيوخ قبيلتهم من قبلهم في مثل واقعة الدعوى، فالاحكام التي قبلها طواغيتهم هي التي يرضونها ويحكم لهم بها من يدعي أنه أحق الناس بخلافة النبوة وإقامة شرع الاسلام. ومن شاء أن يعرف منزلة هذا القانون من الكفر والنفاق فليراجع تفسيرنا لقوله تعالى من سورة النساء (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) الآيات

وقد حدثنا الضابط ... ري بك ... الكويرى (من بني غازي) الذي كان في الجيش العربي المنظم الذي يساعد الحجازيين في حصار المدينة المنورة أن أحد البدو قتل ضابطا أو جنديا حضريا من الجيش المنظم واعترف بانه قتله عمدا. فطلب الضباط وغيرهم قتله قصاصا بمحاكمة عسكرية أو شرعية فامتنع قائدهم العام الشريف عبد الله ورفع الامر الى الملك فأمر بارسال الضباط الذين طلبوا القصاص الى مصر بحيلة وإعلامهم بعد ذلك بطردهم من الجيش الهاشمي، وكذلك كان. ويعلم جماهير الناس في شرق الاردن وفلسطين ان عبيد الامير عبد الله فوق الشرع والقانون في امارته البريطانية الحقيرة فلا يحاكمون ولا يعاقبون على فاحشة ولا منكر ...

وأما ما نقلته جريدة القبلة من أحكامه التي سمتها إقامة لحدود الشرع وعملا بالقرآن فقد جاءنا الخبر من الثقات في الحجاز بانه ليس فيها شيء موافق لحكم الشرع ولا كان شيء منها بمقتضى محاكمة شرعية فقد أمر بقطع يد رجل ورجله لانه فر من سجنه الذي هو شر من سجن الحجاج وفعل مثل ذلك بمن اعترض على الخطيب في المدينة المنورة لاطرائه اياه في الخطبة وادعوا أن هذا عمل بقوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية وهي في البغاة الذين يؤلفون العصابات المسلحة يقطعون بها الطرق ويفسدون النظام لا فيمن يفر من الظلم أو ينتقد بدعة من البدع كمدح الحكام وإطرائهم في الخطب الدينية ولا سيما اذا كانوا من الظلمة

وكتب الينا أن اللص الذي قطع يده في عرفة قد اتهمه بعض الناس بأنه سرق له بعض متاعه فبمجرد دعواه استحضر المتهم وجيء بفأس قطعت به يده وكتب الينا أيضا أن العقاب في الحكومة الهاشمية لا يكاد يقع الا على الضعفاء الذين لا ناصر لهم وأن جواسيس الملك اذا طعنوا له في شخص يتهمه بعضهم بأنه شرب الخمر فيؤتى به ويجلد بغير بينة ولا يسمع لانكاره .

واطلعنا في مذكرة لحاج مصري أنه يأمر المحاكم الشرعية بالذي يريده وانها فشت فيها شهادة الزور بالاكراه ، وأنه لا ينفذ من احكامها الا ما يريده ويرد الاعلام الشرعي الذي تصدره بالحكم النهائي ويأمر بتجديد الدعوة لاجل الحكم فيها بما يأمر به ، ويقول انه امام المسلمين والوارث لجده الشارع في التشريع وهو غير مقيد فيه بشيء . بل فيها أن له مخالفة نصوص

الكتاب والسنة وكنا سمعنا هذا من بعض من خدمه في مكة عدد سنين ولكن الله تعالى لم يعط للرسول (ص) أن يغير أو يبدل شيئاً من القرآن وهو معصوم من فعل ذلك من تلقاء نفسه بدليل النص والاجماع . قال تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله . قل ما يكون لي أن ابدله من تلقاء نفسي ، ان أتبع الا ما يوحى الي . اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم — ١٠ :١٥) وقد منع الامام الشافعي نسخ القرآن بالسنة مطلقا وجوزه الجمهور بالسنة المتواترة لان ثبوتها قطعي كثبوته ، ولكنهم اجمعوا على أن ذلك لا يكون برأي النبي (ص) واجتهاده بل بوحي من الله تعالى، واستدلوا على الجواز بمفهوم قوله تعالى (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي)

وفي هذه المذكرة انه يقطع يد السارق اذا كان من قبيلة ضعيفة فاذا كان من قبيلة قوية فلا يقطع ولا يسجن. وقد سرقت امرأة قرشية من بني مخزوم في عهد النبي (ص) فأهم أمرها قريشا فقالوا من يكلم فيها رسول الله (ص) ومن يجترىء عليه إلا حبه أسامة بن زيد؟ فكلمه اسامة فقال صلى الله عليه وسلم « يا أسامة اتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال «انما أهلك الذين كانوا من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » متفق عليه بل رواه الجماعة كلهم (له بقية)

﴿ تنبيه ﴾ كتب هذا الخطاب منذ بضعة أشهر ليكون مقدمة لطلب الاصلاح في الحجاز وأخر نشره رجاء أن يغير الملك سيرته بزيارته لاطراف سورية ..

كلمة في التعريف بمجموعة الحديث النجدية

وتجديد السنة في بلاد الوهابية

(وهو ما وضعناه فاتحة لنسختها التي طبعناها حديثا وفيها كلام في تصحيح المطبوعات ولاسيما تصحيح ماطبع عن نسخ غير صحيحة وكونه يتعذر معرفة الاصل في بعض المسائل ويشق العثور على بعضها بمراجعتها في مظانها حتى الاحاديث النبوية وخاصة احاديث البخاري)

من المعلومات المسلمات عند كل مسلم أن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بيان لكتاب الله عز وجل وتفسير وشرح لهدايته وتفصيل لحكمه وأحكامه، وأنها مستمدة منه، فانه جزاه الله عن البشر أفضل الجزاء قد عاش قبل النبوة أربعين سنة وهو أمي لم يؤثر عنه شيء من علوم القرآن الالهية ولا الادبية ولا الشرعية، ولا شيء من حكمه العقلية، ولا قواعد السنن الكونية والاجتماعية، وقد خاطبه الله تعالى في هذا المعنى بقوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وبقوله (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وقد عصمه الله تعالى من الخطأ في بيان دينه المودع في كتابه كما عصمه من الخطاء في تبليغه — وكل أحد غيره يخطئ في فهم الكتاب وفي بيان مافهمه تارة ويصيب أخرى، وقد نقل المحدثون روايات من خطاءٍ بعض الصحابة فغيرهم أولى

هذا وان تأثير حديثه وسنته صلى الله عليه وسلم في القلوب هو في الدرجة التالية لتأثير كلام الله عز وجل ، ولهذا ضعفت هداية الدين في نفوس المسلمين منذ صاروا يستغنون عن القرآن والسنة بكتب المتكلمين والفقهاء ، وانما العلماء أدلاء معلمون لا شارعون ولا مستقلون بالهداية ، ولن يعود روح الدين الى المسلمين، ولن يشرق نور الاسلام في قلوبهم ، الا بالعود الى تلاوة القرآن بالتدبر ، ومدارسة السنة بالتفقه والتأدب ،

وقد كان مما استعمل الله تعالى به الشيخ محمد عبد الوهاب مجدد الدين في نجد وما حولها ان أحيا مدارسة السنة النبوية فيها للاهتداء بها ، لا لمجرد التبرك بألفاظها ، ولا لاجل الاستقلال فيها دون ما كتب المحدثون والفقهاء في شرحها والاستنباط منها ، بل نرى من هداهم الله تعالى بدعوته وأنقذهم

من الجاهلية التي عادت الى أكثر أهل جزيرة العرب مازالوا يحيون كتب فقه شيخ السنة الأكبر الامام أحمد رضي الله تعالى عنه مع خيار كتب التفسير والحديث لغير الحنابلة من علماء السنة فكانوا من أجدر المسلمين بلقب أهل السنة

وقد انتدب امامهم وسلطانهم في هذا العصر السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن فيصل آل سعود لتجديد طبع هذه المجموعة النفيسة مع كتب أخرى أهمها تفسير الحافظ ابن كثير وابتداء طبع كتب أخرى دينية من أعظمها وأجلها كتاب (المغني) في الفقه الاسلامي الذي فضله الامام المجتهد عز الدين بن عبدالسلام هو وكتاب المحلى لابن حزم على جميع ما كتب المسلمون في الفقه ونقل عنه انه لم تطب نفسه للافتاء حتى حصل على نسخة من المغني — فهو يطبع الآن على نفقته مع كتاب الشرح الكبير ، على متن المقنع الشهير ، والمغني والمقنع كلاهما للشيخ العلامة موفق الدين أبي محمد عبدالله الشهير بابن قدامة المقدسي، المتوفى سنة ٦٢٠ وهو الذي ينصرف اليه لقب «الشيخ» إذا أطلق في كتب الفقه الحنبلي التي ألفت بعده واما الشرح الكبير فلابن أخيه وتلميذه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قدامة المتوفى سنة ٦٨٢ وهما من اوسع الكتب أحكاما وبيانا للمذاهب بأدلتها .

هذه المجموعة الحديثية مشتملة على تسعة كتب بيناها في طرتها . فالاربعون النووية من الاحاديث المختارة في أصول الاسلام وأسس قواعده أشهر من أن تعرّف، وعمدة الاحكام للحافظ المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ مشهورة مشروحة وهي مأخوذة من صحيحي البخاري ومسلم — تعطي المطلع عليها علما اجماليا بأصح نصوص السنة لجميع أبواب الفقه. وذكر لها في كشف الظنون عدة شروح لكبار العلماء، وشرحها لشيخ الاسلام المحقق ابن دقيق العيد طبع في الهند ويطبع الآن بمصر، وكتب الينا صديقنا علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي انه اطلع على الجزء الاول من شرح شيخ الاسلام ابن تيمية للعمدة « فرأى فيه مالا عين رات ولا اذن سمعت » ولم يبلغنا شيء عن هذا الشرح من غيره. وذكر صاحب كشف الظنون ان كتاب العمدة هذا ثلاثة مجلدات عز نظيره وان اوله « الحمد لله اتم الحمد وأكمله » وان الكلام فيه خمسة أقسام احدها الاحاديث وما عندنا هو تجريد الاحاديث فقط واوله « الحمد لله الملك الجبار » ونقل عن بعض شراحه ان عدد أحاديثه خمسمائة ولعله عدّ ما في بعضها من اختلاف الالفاظ وتعدد الروايات أو وجد هذا في بعض نسخها . والا فقد احصيناها بالارقام حسب عد المصنف

لكل باب فبلغت ٤٠٩ ؛ ولكن وقع غلط في الارقام في مواضع أولها صفحة ١١٠ فينبغي أن يجعل أول رقم فيها ٤٨ ويصحح ما بعده بالتسلسل

وأما كتب الشيخ محمد عبد الوهاب الاربعة فقد راعى في جمعها أحوج ما يحتاج اليه جماهير المسلمين من السنة مع تلقيهم احكام العبادات والمعاملات من كتب الفقه — وهو اربعة اقسام : احاديث الايمان الاعتقادية ، واصول الاسلام الكلية ، وكبائر الاثم والفواحش التى يجب تركها ، والآداب الشرعية التى يجب أو يستحب فعلها والتأدب بها . وكلها ملخصة من دواوين السنة المشهورة كالكتب الستة والمسند والموطأ وغيرها . ومنها ماليس لدينا نسخ منه كالسنن الكبرى وشعب الايمان للبيهقي . . . وقد ترك رحمه الله تعالى بعض الاحاديث غير مخرجة . ولعل سبب ذلك انه أراد أن يراجعها في غير الكتب التي نقلها منها ، ليبين جميع من خرجوها

واما الرسالة السنية للامام احمد فى الصلاة فهي على ما نعتقد لا يستغني مسلم عن الاستفادة منها ، قد جمعت في صفة الصلاة وآدابها الظاهرة والباطنة بين الاخبار النبوية والآثار النافعة عن الصحابة والتابعين ما كانت به سفر تفسير وحديث وفقه وتصوف شرعي . وقد رايت لها من التأثير في القلب مالم اره لغيرها ، فأنا انصح لكل مسلم ان يطالعها مرارا ، ولكل معلم وواعظ ان يقرأها لطلاب العلم وللعوام جميعا

واما كتاب الصلاة للمحقق ابن القيم فهو اشبه الكتب برسالة الأمام احمد في مبناها ومعناها ومغزاها ، حتى كأنه شرح لها ، وتفصيل لمجملها ، مع بسط مسائل أخرى استوفاها أو حققها ، وناهيك بوصفه لصلاة النبي (ص) واختلاف أحوالها من تطويل وتخفيف بالروايات المعتمدة ، وبيانه لحكم الصلاة وأسرارها ، وندب اطالتها ومنافعها ، وتحقيق فرضية صلاة الجماعة ، ومسألة تكفير تارك الصلاة ومسألة الخلاف في وجوب قضاء ماترك منها عمداوعدمه . فهكذا لعمري يكون اتباع الأئمة والاقتداء بهم ، لا اتخاذهم شركاء لله تعالى في شرع الدين ، ولا قرناء لرسوله (ص) في العصمة في تبليغه وفهمه ، دع تقديم كلامهم على كلامهما ، واتباعهم بالتقليد المحض من دونهما ،

واما كتابه الوابل الصيب فهو طرد لهذه المعاني والمغازي في جميع الاذكار والادعية المأثورة وتأثيرها في القلب ، والقرب بها من الرب ، جل ثناؤه ،

وتقدست اسماؤه، ومن فوائده بيان مراتب الناس في الصلاة ، وصفات القلوب في الظلمة والنور، وبحث في نور العلم والايمان عال مشرق مؤثر لا يوجد في غيره مثله، أورده في سياق الكلام على فوائد ذكر الله تعالى ، ومنه تفسير المثل الذي ضرب في سورة النور (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الآية واستطرد من هذا المثل الى أمثال أخرى في القرآن مائية ونارية كمثل سيلان الماء في الاودية ، ونار الصائغ لاتخاذ الحلية والآنية — ومثل الصيب فيه الظلمات والرعد والبرق — وقد بلغ ما أورده من فوائد الذكر ومزاياه وتأثيره في تغذية الايمان وصالح الاعمال ٧٩ فائدة (١)

فهذه الكتب لا يقرأها ولا يسمعها مؤمن الا يشعر بالايمان يربو وينمي في قلبه، وبمضمون قوله تعالى (افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فيزداد به من العبادة ويكثر فيها من ذكر الله تعالى — فقد كتب قدس الله روحه في الاذكار المأثورة ما لا يحسنه الا مثله * ومثل كثير في الانام قليل *

فرضي الله تعالى عن جامعي هذه الاحاديث النبوية، ومبيني ما أودعته من الهداية الالهية، واثاب من جمعها والف بينها، ومن انفق على طبعها، وسعى لتعميم نفعها ، ومن تولى طبعها وتصحيحها ، ومن يقرأها للاهتداء والهداية بها

وكنت اود لو اتيح لي ان اخدمها بتخريج جميع ما اغفل تخريجه من احاديثها، وتعليق حواش وجيزة في تفسير جميع غريب لغتها ، وبيان وجيز لكل ما يخفي او يشكل من معانيها ، وزيادة العناية بتصحيحها ، كالنموذج الذي يراه قارئها في بعض حواشيها . ولكن كثرة الشواغل والموانع ، وقلة العون والمساعد ، واستعجال السلطان بطبعها ، قد حالت دون المراد من ذلك في هذه الطبعة ، وعسى ان يوفقنا الله تعالى وإياه لذلك في الطبعة الثالثة

وإن هذا العمل لشاق دونه الانشاء والتأليف المستقل ، ولا يعرف صعوبته الا من ابتلي به. وانما يكون التصحيح سهلا اذا وجدت اصول صحيحة مضبوطة للمقابلة عليها، والاصل الذي طبعناعنه هذه المجموعة مطبوع في الهند طبعا كثير الغلط والتصحيف والتحريف كاكثر الكتب العربية المطبوعة في ذلك القطر، ولاسيما المطبوع منها على الحجر ، وقد وجدنا لشرح الاربعين النووية ولرسالة الامام أحمد

(١) وقع غلط مطبعي في عدها فجعل العدد الذي (في ص ٧٤٥) هو ٣٥ والصواب انه ٣٧ فيصحح مع ما بعده

وكتاب الصلاة لابن القيم نسخا مطبوعة في مصر فانتفعنا بالمقابلة عليها على ان تصحيحها غير تام . وجعلنا اعتمادنا في تصحيح آخر كتاب العمدة مقابلته على النسخة المطبوعة مع الشرح في الهند، بعد ان كنا نعتمد أولا على مراجعة الصحيحين فقط. ولكن بعض هذه الاحاديث غير مبين مكانها فيهما، وبعضها معزو الى أحد الصحيحين وهو في غيره، ولا ندري سبب ذلك ، وقد بينا بعض ذلك في الحواشي . على ان المراجعة في صحيح البخاري في مكان من الصعوبة لا يعرفه الا من عالجه ، فان الحديث الواحد قد يوجد في عدة أبواب منه بألفاظ مختلفة فمن وجد غلطا في حديث منها كان عليه أن يراجع جميع رواياته فيها ليمكنه الجزم بالصواب، ومن لم يدقق النظر في اختلاف الروايات والرواة والالفاظ فربما جعل الصواب خطأ

مثال ذلك الحديث العاشر من كتاب صفة الصلاة في العمدة (صفحة ١٢٠):
عن أبي قلابة — هو عبدالله بن يزيد الحضرمي البصري رضي الله عنه — قال : جاءنا مالك بن الحويرث في مسجدنا هذا فقال : إني لاصلي بكم وما أريد الصلاة: أصلي كيف رأيت رسول الله (ص) يصلي ...

هكذا أورد الحديث صاحب العمدة ولم يعزه . ولما كلفت اثنين من اخواننا المشتغلين بعلم السنة قراءة هذه المجموعة بعد تمام طبعها لاستخراج ما يجدان فيها من خطأ الطبع وبيان صوابه رأى من قرأ العمدة منهما ان هذا الحديث غير جلي فظن انه لا يخلو من غلط فطفق يبحث عنه في صحيح البخاري فوجده في (باب كيف يعتمد على الارض اذا قام من الركعة) بلفظ : جاءنا مالك بن الحويرث فصلى بنا في مسجدنا هذا فقال إني لاصلي بكم وما أريد الصلاة ولكن أريد ان أريكم كيف رأيت النبي — وفي رواية رسول الله — صلى الله عليه وسلم يصلي الخ فجعل المصحح هذا صوابا لوضوحه وذاك خطأ لخفاء المراد منه. ولما قرأت جدول الخطأ والصواب بعد جمعه للطبع رجحت هذا التصحيح لان ما أورده صاحب العمدة رواية أخرى للبخاري أوردها في (باب من صلى بالناس وهو لا يريد الا ان يعلمهم صلاة النبي (ص) وسنته)

فلمثل هذا الاختلاف في الروايات لا يجزم المصحح بأن كل ما رآه خفي المعنى محرف فيراجعه ، ولا بأن كل ما رآه جلي المعنى هو الصحيح من الروايتين أو الروايات، بل لا بد من النقل واستقصاء الروايات عند المراجعة وذلك

من العسر بمكان. فنحن نرى الحفاظ وكبار المحدثين وشراح دواوين السنة ينسون بعض الروايات أحيانا او يغفلون ذكرها في مواضعها : فهذا الحافظ ابن حجر -وناهيك بسعة حفظه- قد ذكر في شرحه لحديث أبي قلابة باللفظ الذي أورده صاحب العمدة ان البخاري أورده في (باب المكث بين السجدتين) أيضامع انه رواه فيه بلفظ آخر ليس فيه مانحن بصدده ولم يذكر انه أورده في (باب كيف يعتمد على الارض...) الذي يوضح معنى الاول وكذلك القسطلاني لم يذكر سائر الابواب الثلاثة عند ذكر كل منها كعادته الغالبة . فمن هذا المثال يعلم القارئ لهذه المقدمة درجة عسر تصحيح الاحاديث النبوية المنقولة عن نسخة غير صحيحة والمحدثون لايعتدون بنسخة كتاب غير مروية عن المؤلف بالسند أو مقابلة على أصل صحيح

وقد كانت طريقة تصحيحنا لهذه المجموعة (كغيرها) أن مصحح المطبعة يقرؤها مقابلة على أصلها فاذا رأى أن في الاصل خطأ لم يهتد الى صوابه تركه لنا فاذا كان مما نعرف أصله بالقطع صححناه والا بحثنا عن مظان أصله في عدة كتب مما عندنا بقدر مانجد من سعة الوقت حتى ربما انفقنا نصف النهار أو نصف الليل في تصحيح كراسة أو نصف كراسة، وكنا نؤخر طبع الكراسة في بعض الاحيان عدة أيام لاجل ان نجد وقت فراغ لمراجعة بعض العبارات التي نجزم بوقوع الغلط فيها. وقد نكتب في الحاشية كلمة « يراجع » ونحيل على مصحح المطبعة فان لم يظفر بالاصل الصحيح يترك الكلام على ماهو عليه تارة ويعيده الينا تارة. ولهذا نبطىء في طبع ماليس له أصل صحيح عندنا كاكثر كتب هذه المجموعة ولاسيما (الوابل الصيب) منها الذي لم نجد له أصلا مافي دار الكتب الكبرى ولا في غيرها . وقد كان شقيقنا السيد صالح رحمه الله تعالي يحمل اكثر اعباء المطبعة عنا . والمطابع التجارية لاتبالي بذلك مثلما ، بل يكتفي أيها اشد اتقانا بأن يكون ما يطبعه كالاصل المطبوع عنه تقريبا . وبعضهم لا يصل الى هذه الدرجة ومنها مايتصرف اصحابها في التصحيح بآرائهم حتى اعترف بعضهم بأنه كان يزيد في الاصل او ينقص منه وانه اذا وجد كلاما ساقطا أو خفيا لايقرأ وضع بدله بحسب فهمه . وهذا تزوير لايصدر عن صاحب أمانة أو دين

ولعمري ان اتقان التصحيح لما يطبع عن اصل غير صحيح لا يتيسر الا لجماعة من العلماء الاخصائيين تتعاون عليه بمراجعة كل مسألة في مظانها، وهذا غير

موجود في شيء من مطابع هذه البلاد الا لمطبعة الاميرية ومع هذا نرى في بعض مطبوعاتها غلطا كثيرا ، ولقد عهد الينا السلطان عبد العزيز آل سعود بطبع تفسير الحافظ ابن كثير فيما أمر بطبعه من الكتب كما تقدم، ولم نجد له اصلا الا ما طبع في المطبعة الاميرية ونسخة خطية حديثة في دار الكتب الكبرى ولعلها هي التي طبع عنها فانهما سيان في كثرة الغلط حتى فى الاحاديث المعزوّة الى كتب السنة المعروفة واسماء رجال الحديث على مافيهما من نقص أشير اليه بترك بياض يدل عليه، مع كتابة « بياض في الاصل » في الحاشية وقلما قرأنا في هذا الكتاب تفسير آية ولم نجد فيه غلطا مما نعرفه من ذلك فكيف بما لا يعرف بالرواية والحفظ لكلام المؤلف نفسه . وقد توسلنا ببعض الوسائل الى تصحيحه على نسخة معتمدة من خزائن كتب الآستانة ولما يتم لنا ذلك ولعله يتم قريبا

هذا وانه لما كان غرض السلطان من طبع هذه المجموعة وأمثالها تعميم العلم في بلاده دون بلادنا طبعنا باذنه زيادة عما طلبه طائفة قليلة من النسخ لتعميم نفعها ، فاذا بعناها بثمن قليل بالنسبة الى أمثالها كان له شركة في أجرها ،

هذا وإننا نسعى منذ سنين الى استئجار دار واسعة لاجل توسيع مطبعة المنار وتأليف لجنة من أهل العلم لتصحيح مطبوعاتها وضبط النسخ التي تلقى الينا قبل الطبع بمعارضتها على الاصول الصحيحة في دار الكتب الكبرى وخزانة كتب الجامع الازهر أو حيث توجد في غيرها من خزائن الكتب الخاصة كالخزانة الزكية والتيمورية والجعفرية والنورية[1] فعسى أن يهيء الله تعالى لنا ذلك ويوفقنا لكل ما توجهت اليه نفسنا من خدمة العلم والدين ، والله ولي المتقين ، والحمد لله رب العالمين ؟

محمد رشيد رضا

صدر في جمادى الاولى سنة ١٣٤٢

---

(١) الاولى منسوبة لأحمد زكي باشا والثانية الى احمد تيمور باشا والثالثة الى جعفر ولي باشا والرابعة لنور الدين بك مصطفى

تزويج المسلم بغير المسلمة[1]

يكاد يكون جواز تزوج المسلم بالكتابية من الامور المعلومة من الدين بالضرورة . ولا أظن أن أحدا من المسلمين يكابر فيه (٢) . وجل مايقوله فقهاؤنا في هذا الزواج أنه مكروه تنزيها أي لا تحريما . ومعنى ذلك أن الافضل للمسلم أن يتزوج بمسلمة : فاذا تزوج بكتابية وترك المسلمة ارتكب خلاف الاولى . ولكن لا يكون آثما أو مرتكبا حراما . وعللوا الكراهة « بخوف أن يتخلق الولد بخلق أمه » والاخلاق أثر من آثار الدين فيخشى على الولد أن يتأثر بمؤثرات دين غير دين أبيه

هذا ما يقال في المسألة من طريق التفقه . وأما مايقال فيها من طريق الاجتماع ومباحث العمران فهو أن الشرع الاسلامي أباح لنا التزوج بالكتابيات توصلا الى نشر الاسلام . وحمل الكافة عليه . فان الاصل أن يحمل البشر على الحق ولو بالقوة . ولكن الشرع عذر أهل الكتاب بما أوتوه من روح الدين السماوي وإن كانوا شوهوا هذه الروح بما بدلوا وغيروا . والشرع اذا أمهل غير المسلمين ولم يقسرهم على الاسلام فهو لم يهملهم ، ولم يغفل أمرهم . بل هو يريد من المسلمين أن يعملوا على نشر الدين بينهم وعلى دعوتهم اليه بالتي هي أحسن ، والدعوة كما تكون بلسان المقال تكون بلسان الحال ، ولسان الحال أشد تأثيراً وأقرب منالا من لسان المقال ، والمراد من الدعوة الى الاسلام بلسان الحال أن يكون المسلمون على وضع اجتماعي راق يحمل معاشريهم من غير أبناء ملتهم على النظر في دينهم وحب التخلق بأخلاقهم ، والاهتداء بهديهم ، وهذا يكون بشيئين :

(١) العدل في حكومة الاسلام

(٢) حسن الاخلاق في أهل الاسلام

---

(١) للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي العضو في المجمع العلمي بدمشق

(٢) قد منعه بعض المتقدمين والمتأخرين وهو مما شذ به عبد الله بن عمر (رض) عن جمهور الصحابة

واننا معشر المسلمين لو حافظنا على هذين الامرين في تاريخنا الماضي لما بقي في بلادنا غيرنا بل كانوا أسلموا كلهم . ولقد بسطت هذا الموضوع يوما أمام بعض عامة المسيحيين فرسم إشارة الصليب على وجهه وصدره وقال : نشكر الله يا سيدي إذ لم تعملوا باصول دينكم ! والا لما عبد المسيح في بلادكم

ومن جملة الطرق التي شرعها الاسلام لتكون دعوة اليه بلسان الحال — إباحة تزوج المسلم بالكتابية : فانزواجه بها يوثق علائق المصاهرة والنسب بعدة عائلات كتابية . فاذا كان الصهر المسلم على ما يريده الاسلام من كرم الاخلاق والتحلي بالفضائل، فان ذلك يستدرج عائلة زوجته الى الاسلام بلطف ويستهويهم من حيث لا يشعرون الى الاعجاب به ، والدخول فيه ، عدا اسلام الزوجة نفسها بما لزوجها المسلم من السلطة وحسن التلطف وقوة التأثير عليها

وأما اليوم فان أخلاقنا وفشو الطلاق بيننا حمل الكتابيين على زيادة التمسك بدينهم ، وعلى النفرة منا ومن ديننا ، ولقد سألت مرة صديقاً لي من وجهاء المسيحيين هل يرضون أن يزوجوا بناتهم من شبان المسلمين المهذبين ما دام هذا الزواج جائزاً في الشريعة الاسلامية؟ فقال: اننا لا نراه محظوراً من الوجهة الدينية (١) وانما نراه محظوراً من باب الاحتياط والتدبر ، وذلك خشية أن يطلق الزوج المسلم ابنتنا ، أو يتزوج بأخرى سواها فتعيش منغصة

ونعيد القول في الموضوع بشيء من الشرح والايضاح فنقول : يفهم من تضاعيف أقوال علمائنا أن التسامح مع أهل الذمة وتركهم أحرارا في دينهم انما هو مؤقت ومنتظر فيه سنوح الفرص، حتى اذا سنحت الفرصة حملوا على الاسلام لا بطريق الاكراه والقسر ، بل بطريق الدعوة اللينة ، والمجادلة بالتي هي أحسن والعدل في الحكومة ، والاخلاق الحسنة في المعاشرة

ومن هذه الطرق — التزوج ببناتهم ، وهذا التزوج يفيد في نشر الدين

(١) المنار : ان هذا القول غير صحيح فقائله إما أن يكون حاكيا عن فئة معينة غير مقيدة بتعليم الكنيسة وإما ان يكون جاهلا او مصانعا على أنهم لا يزالون يزوجون المسلمين

وتكثير سواد أهله كما يفيد (الاسترقاق) في ذلك . اذ ليس الغرض من الاسترقاق مجرد استغلال الارقاء والانتفاع بخدمتهم كما ينتفع بالدابة ، وانما الغرض نفع الرقيق نفسه ، ونفع البشرية بنشر تعاليم الاسلام بين أبنائها : فاننا نأخذ الارقاء في الحرب أسرى ونؤديهم الى بيوتنا ونمزجهم بعائلاتنا كي يتخلقوا بأخلاقنا ، ويدخلوا أخيراً في ديننا ، ويكثر بهم سواد أمتنا ، وربما كان نصف المسلمين (١) اليوم هم من سلالة أولئك الآباء الذين دخلوا الاسلام من طريق الرق ، فالرق في نظر العالم المسلم الاجتماعي ضرب من ضروب الاستعمار أو ما يسميه سواس هذا العصر (التجنس بالتابعية)

وقد تنبه بعض ملوك الاسلام الاقدمين الى وجوب الاستفادة من (الاسترقاق) بشكل آخر : فاتخذ من أسارى الحرب أو من صغارهم عسكرا جرارا بعد أن كان يهذبهم ويعلمهم آداب الاسلام ، ويخصصهم لفنون القتال ، وهكذا فعل الخليفة (المعتصم) العباسي في ارقاء الترك ، والسلطان (أورخان) العثماني في ارقاء الروم والصقالبة الذي سموا (أنكشارية)

فاباحة التزوج بالكتابيات هو كاباحة استرقاق أولاد المحاربين من حيث ان كلا منهما وسيلة لنشر الدين ، وتكثير سواد المسلمين ، ولكن قومي كانوا عن هذا غافلين : غفلوا في أزمنتهم التاريخية الماضية — وقت أن كانت الغلبة لهم والقوة المادية والمعنوية في جانبهم — عن الانتفاع بهذا التشريع الحكيم أعني التزوج بالكتابيات (٢) ولو تزوجوا بهن وأحسنوا المعاملة، وتمسكوا بآداب الشريعة ، وأطاعوا الله فيما نهى وأمر — لكان المسلمون أكثر سوادا وعددا مما هم اليوم أضعافا مضاعفة ، ولكانوا استفادوا من هذه الشريعة فائدة اجتماعية عمرانية ، كما استفادوا من شريعة الاسترقاق ، لكنهم - واخجلاه - لم يستفيدوا من شريعة (التزوج) بالكتابيات لا في الاول ولا في الآخر ، وأفسدوا شريعة (الاسترقاق) وغيروها عن وضعها السماوي ، فأصبحت تجارة قاسية ،

(١) المنار : هذه مبالغة عظيمة (٢) ان الاكثار منهن لم يكن ممكنا ولا مصلحة لانه يقتضي تأييم الكثير من المسلمات وكفى ان السراري كن منهن في الغالب

ومعاملة وحشية ، يحبذ الشارع الاعظم عمل الساعين في منعها ، والضار بين على أيدي مروجيها

قلنا إن شريعة التزوج بالكتابيات كانت تفيدنا في الزمن السابق فائدة عظيمة ، ولكن هل تفيدنا اليوم لو عملنا بها ؟ ؟

أرى أن الفائدة غير مرجوة اليوم كما كانت مرجوة في السابق ، وذلك لانعكاس الحال في هذا العصر : فبعد أن كانت الغلبة لنا والقوة في جانبنا في العهد الماضي وكان يمكننا ونحن غالبون أن نؤثر في نفوس زوجاتنا الكتابيات وفي نفوس أهليهن فنجذبهم الينا ونطويهم في هيأة اجتماعنا — أصبحنا اليوم مغلوبين مقلدين للكتابيين سواء كانوا حربيين أو معاهدين أو ذميين : اذ أن الناموس الاجتماعي الاعظم هو أن يقلد المغلوب الغالب في أطواره ومختلف عاداته وكذا في تقاليده أحيانا وانما جعلت الكتابيين غالبين مع أن الكثرة لنا والحكومة[1] متدينة بديننا — ذلك (؟) بما تيسر لهم من أسباب الرقي العلمي والاقتصادي والعائلي وبما توفر فيهم من تقليد الاوربيين في دينهم ومناحي عمرانهم وأساليب حياتهم والاوربيون هم الغالبون فمن يسبق الى تحديهم يكون هو الغالب بالطبع وان زوجة أوربية أو ذمية اذا دخلت عائلة اسلامية تصرفت في أخلاقها و بدلت من طباعها وأفرغتها على طول الزمان في القالب الذي تريد وذلك لما عليه معظم الكتابيات من العلم والتربية والتحيل والدراسة وما عليه معظم عائلاتنا و نساءبيوتنا من الجهل والغباوة وضعف الملكة والانصراف عن فهم معنى الحياة السعيدة. خذ أية بلدة من بلادنا فلا تكاد ترى فتاة مسلمة تحذق القراءة والكتابة كما لا تكاد ترى فتاة كتابية تجهلها (٢)

(١) أنشئت هذه المقالة في عهد الحكومة العثمانية (الكاتب)

(٢) المنار : هذه مبالغة بل غلو كبير فاللواتي يجدن القراءة والكتابة فينا واللواتي يجهلنها فيهم كثيرات جدا ولكن المتعلمات فيهن اكثر بالنسبة الى عددهن وعددنا هذا واننا نعرف كثيرا من رجالنا في مصر وسورية تزوجن بنساء اوربيات فأسلمن وتبعن ازواجهن او بقين على دينهن ولا نعرف واحدة منهن نصرت زوجها ولا تصرفت في اهل بيته كما تشاء. واني اذكر هذا الراي لصديقي الاستاذ الكاتب منذ كنا نطلب العلم في طرابلس الشام ومن العجيب انه بقي مصرا عليه بعد ان زار مصر واتسع اختباره

لا ريب أن وجود الزوجات الكتابيات المتعلمات في العائلة المسلمة مفيد كوجود المعلم في المدرسة لكن تؤدي كثرته بالتدريج الى صبغ الامة الاسلامية بصبغة لا تتفق مع مصلحتها من حيث هي أمة مستقلة تريد أن تنشيء أبناءها على دينها وآدابها وتقاليدها .

فالتزوج اليوم بالكتابيات موضع نظر، ومناط حذر، كوضع أبنائنا في مدارس الفرير والجزويت والاميركان ، فانهم يتعلمون ، ولكنهم عن التربية الاسلامية يبتعدون ، وفي المهاوي الاخرى قد يتدهورون

هذا ما نقوله لو كان لنا من أمر النواميس الاجتماعية والسنن الكونية شيء أما والامر ليس بيدنا ، وتحويل مجرى السنن غير داخل تحت قدرتنا ، فان هذه النواميس حاكمة على الامم متحكمة في أبنائها شاءوا أو أبوا، رضوا أو سخطوا، والارض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين ؟ المغربي

(المنار) ان مسألة تزوج المسلم بالكتابية وتزوج الكتابي بالمسلمة قد طال بحث الكتاب فيها بمصر في هذه الاثناء وقد أتى الكاتب فيها ببحث جديد مفيد أوجز فيه وهو منتقد من وجوه أشرنا الى بعضها في حواشي الصحائف ولا سعة عندنا في الوقت لتحقيق المسألة من جميع وجوهها ، وقد فتحت له زميلتنا «الهلال» بابا واسعا نشرت فيه آراء كثيرين من أشهر كتاب العصر البحاثين بعد ان استفتتهم في مسائل معينة فيه وكنا ممن استفتتهم وحالت كثرة أعمالنا دون كتابة شيء لها وانما نقول بالاجمال ان كان في تزوج بعض المصريين بالافرنجيات فائدة ما في نظام المعيشة فان فيه من الغوائل المنزلية والاجتماعية ما يفسد نظام الامة المصرية برمتها اذا كثر ويحول دون تجديد تكوينها تكوينا مستقلا لا ذبذبة فيه ولا اضطراب ، وما انكره على صديقنا المغربي انما هو المبالغة في المسألة والا فقد قلنا في تعليل منع التزاوج بين المؤمنين والمشركين من سورة البقرة أن هذا الامر يختلف باختلاف الاشخاص فرب مسلم مقلد يتزوج بكتابية عالمة فتفسد عليه تقاليده (ص ٣٦١ ج ٢ تفسير) وسنشرح المسألة في أول فرصة ان شاء الله تعالى

مسألة تحديد الزواج بقانون

﴿ ومسلك الحكومتين العثمانية والمصرية فيه ﴾

قد بينا في الجزء السابق نص ماوضعته الحكومة العثمانية منذ سنين من أحكام هذه المسألة في (قانون الاسرة — العائلة) وما بينته من مداركها ووجه الحاجة اليها وأقوال الفقهاء المجتهدين فيها ، ثم ما وضعته الحكومة المصرية هذه السنة في ذلك

ومما يستحق الذكر في هذا المقام أن بين المصريين وبين الترك ومن نشؤا في مدارسهم من مسلمي الشعوب العثمانية المسلمة شبها ظهر أثره في الحكومتين

المدارس العصرية في بلاد الفريقين إما افرنجية أو متفرنجة واكثر المتعلمين فيها قد غلب على أرواحهم وعقولهم وأهوائهم وأذواقهم تشريع الافرنج ونظامهم وأدبهم وعاداتهم لانهم لا يتعلمون أصول الشريعة التي ينتمون اليها ولا الآداب الاسلامية التي كان عليها أسلافهم و بناة مجدهم ، ولان الذين لا يزالون يتدارسون العلوم الشرعية في بلادهم تسقط قيمتهم وقيمة ما يتعلمونه من أنفس الطبقات العليا فالوسطى عاما بعد عام بجمودهم على التقليد الجاف لما يقول شيوخهم المتأخرون إنه المعتمد أو المفتي به في المذهب وان كان مخالفا لما عليه سائر الائمة المجتهدين والعلماء الراسخين من اهل الملة — ومخالفا لنص صريح عن الشارع ايضا وانما يعتذرون عنه اذا احتج عليهم به بأنه لم يصح عند إمامهم وإن اتفق حفاظ الحديث ونقلة السنة عليه — ومخالفا لمصلحة المسلمين العامة في معايشهم أو الدفاع عن أوطانهم — فبهذا صاروا حجة على أحكام الشريعة العادلة، وآداب القرآن والسنة الكاملة، وفتنة للمتفرنجين يصدونهم عن اصل الدين ويغرونهم به . وصارت الحكومتان تنشيء المدارس لتعليم نشء الامة كل ماهو أوربي بصبغته الاوربية حتى أصول التشريع وأنواع القوانين وتدخلها في أعمالها ومحاكمها العسكرية والجنائية والتجارية والمدنية ، وتتفصى من كل ما هو شرعي اسلامي بالتدريج وبضروب من التأويل والتلفيق مراعاة لتقاليد العامة ونفوذ شيوخ الفقه في أنفسهم حتى انتهتا في هذا الجيل الى جعل أحكام الزواج والطلاق وما يتعلق بهما من أحكام

النفقات والعدة وغيرها قانونا كسائر القوانين وقد بينا ما في هـذا من الجناية على الشريعـة من قبل (١) كما بينا مراراً أن شيوخ الفقـه الجامدين على التقليد الجاف هم الذين الجؤا الحكومتين الى ما ذكر وانهم كانوا وما زالوايأبون في كل بلد أن يسيروا في تعليم الشريعة ودراستهـا على الطريقة الاستقلاليـة فينظروا اليها في جملتها لا في كل مذهب على حدته بحيث يتعصب له فريق معين على سائر المذاهب ويقارنوا بين ما استنبطه المجتهدون ويقيموا بينها ميزان التعادل والترجيح الذي يتدارسون الفاظه لذاته كأنه منزل للتعبد كالقرآن اولاجل ان يستعين به اهل كل مذهب على ابطال غيره او توهينه

ثم انهم بعد هذا لا يقاومون الحكومة فيما يعتقدون انها خالفت الشرع فيه بل اكثرهم يسكت عنها، وبعضهم يتأول لها، وبعضهم يفتيها فتاوى مبهمة يتحرى فيها ان يكون ما قاله صحيحا في نفسه ومرضيا عندها وان لم ينطبق على واقعة الفتوى وموضوعها وهم يعلمون انها تقنع به العامة بأنها لم تفعل الا ما افتاها به اكبر علماء الدين

ولو انهم سلكوا مسلك الاستقلال الصحيح والنظر الى جميع الائمة المجتهدين بعين واحدة وجعلوا من قواعد الترجيح بين آرائهم الاجتهادية اختيار ايسرهـا عملا بالقاعدة القطعية الثابتة بنص القرآن كقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله عز وجل (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج * وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقوله صلى الله عليه وسلم «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» متفق عليه من حديث انس (رض) وفي رواية «وسكنوا» بدل «وبشروا» وورد من حديث ابي موسى بالتثنية اي ان النبي (ص) خاطبه هو ومعاذ (رضي الله عنهما) بذلك حين ارسلهما عاملين الى اليمن وامرهما بالاتفاق وهو متفق عليه ايضا وقالت عائشة (رض) ما خير رسول الله (ص) بين امرين الا اخذ ايسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس عنه. وهو متفق عليه واللفظ لمسلم — لو سلكوا هذا المسلك مع بقاء طوائف من طلاب الشريعة يتوسعون في فقه كل مـذهب — لامكنهم جعل التشريع الاسلامي فوق كل

(١) راجع ص ٤٠٤ م ٢٠ و ٥٤٢ م ٢٣

تشريع وكان عليه مدار الاحكام في جميع البلاد الاسلامية ، وكان لهم مندوحة عن التأويل والاخذ بالاقوال الشاذة والتفصي بفتوى مبهمة يظنون انهم يسلمون بها من اقرار الحكومة على ما تخالف فيه الشريعة

نعم ، قد آن للعلماء أن يأخذوا بأيمانهم جميع أمور التشريع ويبنوا ما هو قطعي لا مندوحة للمسلمين عنه وما هو دون ذلك مما يجب الاخذ فيه بما هو أيسر على الناس ما لم يكن معصية لله تعالى . وقد دخلوا الآن في طور جديد ليس فيه حاكم مستبد يرهقهم أو يعاقبهم اذا أظهروا ما عندهم ولكن يجب أن يعلموا أنه يستحيل أن يلتزم البشر في هذا العصر تقليد عالم واحد فيما يعسر عليهم وينافي مصالحهم. وهاهم أولاء قد خرجوا عن هذا في الحكومتين ورجعوا على المذاهب الاربعة في جملتها قولا شاذا لاحد العلماء المتقدمين بحجة أنه هو الايسر والموافق للمصلحة العامة ولمصلحة من يتحكم الاولياء بتزويجهم صغاراً ، وما استخرجه للحكومتين من زوايا مسائل الخلاف الابعض هؤلاء الفقهاء فلماذا لايأخذون الامر بجملته في التشريع كله ؟

وقد علم القراء مما نشرناه في الجزء السابق أن ماقررته الحكومة العثمانية في هذه المسألة أصح أحكاما ، وما دعموه به أحسن بيانا ، ولا يرد عليه من الطعن ما يرد على ما قررته الحكومة المصرية من تحريم ما أحل الله وأجمع عليه المسلمون كتزويج البالغين بالفعل قبل السن المعينة وعدم الاعتداد بنكاحهما وما يترتب عليه من الاحكام الكثيرة وان ولد لهما، وعدم سماع دعوى لاحدهما تتعلق بهذه القضية في حال حياة الآخر ولا بعد موته لا في الطلاق والنفقة، ولا في الارث ولا في غير ذلك — وإباحتها للمحرم بالاجماع من العقد على المتزوجة لرجل آخر بعد بلوغ السن المقررة — الى غير ذلك ، فالقانون العثماني اختار قولا مشهورا من أقوال أئمة الفقهاء في سن البلوغ وجعله مناط أهلية التعاقد في النكاح وغيره وجعل لمن يدعي البلوغ بالفعل قبله أن يستأذن الحاكم الشرعي في الزواج اذا أراده وحتم على الحاكم أن يأذن له إذا رأى أن بنيته تطيق ذلك ، فوقف عند حد منع الضرر والضرار الممنوعين بنص الشارع ، ولم يمنع من سماع أي دعوى تترتب على

نكاح لم يبلغ فيه أحد الزوجين تلك السن لما في ذلك من المفاسد الكثيرة ، وتضييع الحقوق الكبيرة. ومن ادعى أن كل زواج قبل السن المحددة في القانون فهو ضار كذبه الطب والحق الواقع، ومن ادعى أنه لا ضرر في شيء منه فهو جاهل بالواقع أو مكابر

ومن المغالطة أن يجعل الخلاف في هذا القانون دائرا بين منع زواج الصغير والصغيرة مطلقا وإباحته مطلقا فان بين الامرين وسطا لم ينقل عن أحد من العلماء خلاف فيه وهو من بلغ بالفعل في سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة أو السابعة عشرة — وهو لا يصدق عليه وصف الصغر لغة ولا شرعا

لم يبلغنا أن أحدا من علماء الترك ولا غيرهم من العثمانيين أنكر على حكومتهم الاحكام التي جعلتها مواد قانونية لهذه المسألة ولكن جميع أهل البصيرة بالدين يطعنون في دين رؤساء تلك الحكومة الاتحادية ويحكمون بردتهم ويعتقدون أنهم يحاولون هدم هذه الشريعة الالهية العادلة

وأما علماء مصر من مدرسي الازهر ومدرسة القضاء الشرعي ومدرسة دار العلوم والمحامين الشرعيين وغيرهم فقد تجرؤا في هذه المرة وانتقدوا هذا القانون من وجوه عديدة وأنكروا على واضعي نصه وعلى الشيخين الكبيرين – شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية – إجازته واقتصارهما على نقل قول الحنفية بجواز تخصيص القضاء – ومنهم من أطلق القول في الانكار وبالغ فيه ومنهم من عرف بعضا وأنكر بعضاء وقد حوم بعضهم حول مسألة الاجتهاد وهل يدعيه واضعو هذا القانون مطلقا أو مقيدا؟ وألم آخر بمسألة جعل الشريعة قانونا وهو ما سبقنا اليه عند الامر بتأليف اللجنة العلمية لوضع قانون الاحكام الشخصية — فبدأنا باظهار انكارنا للشيخ محمد بخيت أكبر أعضاء تلك اللجنة وثنينا بوزير الحقانية ثم كتبنا ما كتبنا في المنار

ولما كانت هـذه المسألة مفتاحا لمسائل ستتلوها من جنسها وتكون موضوع البحث والمناقشة في مجلس النواب المصري الذي سينعقد قريباً رأينا من المفيد أن ننشر أقوى ما اطلعنا عليه مما كتب في تأييد هذا القانون وفي نقده والانكار عليه ، ليحفظ أو يسهل الرجوع اليه ، والفريق الاول عندنا محصور في الشيخ محمد بك الخضري — وهذا نص ما كتبه ونشره في جريدة الاهرام :

تحديد سن الزواج

للاستاذ الشيخ محمد بك الخضري من المفتشين للمدارس الأميرية (١)

فاجأ الجمهور مرسوم جلالة الملك بتحديد السن لزواج الصغير والصغيرة حتى لو حصل الزواج قبل هذه السن لاتعترف به المحاكم الشرعية ولا تبني عليه شيئا من آثار الزوجية ولا يسمح لمن يباشرون عقود الزواج من المأذونين والقضاة أن يحرروا عقد زواج بين اثنين لم يبلغ أحدهما السن التي قررها المرسوم لكل من الزوجين. فاجأم ذلك فكان مجالا للاحاديث والسمر، واستفتاء المستفتين، وانتقاد المنتقدين، من علماء ومحامين، على صفحات الجرائد. وقد دعاني بعض من احب الى أن اكتب على صفحات الاهرام الغراء مايتضح به صبح هذا الامر الخطير قبل أن تتشعب الاراء، وتكثر الظنون

زواج الصغير والصغيرة

مما كان موضوع خلاف بين فقهاء المسلمين عقد زواج الصغيرة والصغير فمنهم من أجازه ومنهم من منعه . أما الذين أجازوه فهم جمهور الفقهاء وهم بين مضيق لدائرته وموسع لها ولهم في ذلك ثلاثة مذاهب .

(الاول) رأي الفقيه المقدم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله وهو الذي توسع فيه توسعا عظيما حيث أجاز لكل ولي قرب أم بعد أن يتولى تزويج الصغيرة والصغير الا أنه ميز الاب والجد بامتياز وهو أن عقدهما نافذ لاخيار فيه بعد ان يبلغ ذلك الذي زوج وهو صغير ذكرا كان أم أنثى. أما ان باشره غيرهما من الاولياء من أخ أو عم أو ابن عم فانه يثبت فيه الخيار بعد البلوغ بشروط وقيود جعلت ذلك الحق في الغالب عديم الجدوى وليس من غرضنا الان أن نتوسع في شرح تلك القيود

(الثاني) رأي الفقيه المصري [٢] الكبير محمد بن ادريس الشافعي وهو انه لا

---

(١) منقولة عن جريدة الاهرام (٢) الذي عليه العلماء والمؤرخون نسبة الامام الشافعي كالامام مالك الى الحجاز وقد نسبه الكاتب هنا الى مصر لانه هاجر اليها وتوفي ودفن فيها رحمه الله تعالى

يزوج الصغير والبكر الصغيرة الا الاب او الجد وقيد حقهما في ذلك بقيود تحفظ للصغير والصغيرة بعض حقوقهما

(الثالث) رأي امام دار الهجرة مالك بن انس وهو انه لا يباشر هذا العقد الا الاب وحده في حياته ووصيه في التزويج بعد وفاته — احترم رحمه الله إرادة الاب حيا أو ميتا

وأما الذين منعوا تزويج الصغيرة والصغير قبل البلوغ فقليل من الفقهاء ذكر منهم صاحب المبسوط ابن شبرمة وأبا بكر بن الاصم والاول فقيه من كبار فقهاء الكوفة وكان قاضيها في عصر الامام أبي حنيفة رحمه الله وقد ساق صاحب المبسوط دليل هذا المذهب واضحاً مع مخالفته لمذهبه كما هو شأن العلماء أمنة العلم ومسرج الهداية — قال — لقوله تعالى « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح » فلو جاز التزويج قبل البلوغ لم يكن لهذا فائدة — يلاحظ ان أئمة الفقهاء وكبار المفسرين قرروا أن كلمة النكاح لم تأت في القرآن الكريم الا بمعنى العقد

ولان ثبوت الولاية على الصغير لحاجة المولى عليه حتى ان فيما لا تتحقق فيه الحاجة لا تثبت الولاية كالتبرعات — ولا حاجة بهما الى النكاح لان مقصود النكاح طبعا هو قضاء الشهوة — وشرعا النسل — والصغر ينافيهما

ثم هذا العقد يعقد للعمر ويلزمهما أحكامه بعد البلوغ فلا يكون لاحد أن يلزمهما ذلك اذ لا ولاية لاحد عليهما بعد البلوغ

هذا دليل المذهب المانع لزواج الصغيرة والصغير احتج عليه اصحابه بدليل منقول وهو اشارة الكتاب و بدليل راجع الى العلة التي شرعت من اجلها الولاية وهي حاجة الصغير فمتى انتفت الحاجة انتفى معلولها وهي هنا منتفية — و بدليل معقول وهو ما يترتب من الفساد على هذا العقد وهو إلزام الصغير بعد بلوغه امراً لم يلتزمه

لمن أجازوا تزويج الصغيرة والصغير - وهم جمهور الفقهاء - أدلة أخرى وليس القراء في حاجة الى أن نذكرها لهم لان الغرض ان نبين أن هناك مذهبا اسلاميا منع زواج الصغيرة والصغير وحتم الانتظار الى البلوغ. والذين رووا هذا المذهب هم علماؤنا الذين نطمئن اليهم

يظهر أن الحكومة المصرية سمحت لنفسها منذ أزمان انها اذا رأت في حكم من المذهب المعمول به ضرراً يلحق الجمهور ان تشير على جلالة الملك بتعديل هذا الحكم مستعينة بآراء الآخرين من الفقهاء سواء أكانوا من أرباب المذاهب المعروفة كما فعلت في الطلاق على الغائب ومسائل اخرى أم من غيرهم كما فعلت في هذه المسألة وعدم الاعتراض عليها فيما سبق شجعها على تحديد سن الزواج بعد ان علمت من أضرار تزويج الصغار ماعلمت

وليس هناك مانع من التلفيق كما صرح به كبار رجال الاصول وفي مقدمتهم الكمال ابن الهمام أشهر الاصوليين من الحنفية

المنع وعدم سماع الدعوى

الحكومة متى تحققت من ضرر السير على حكم من الاحكام في المذهب المعمول به ليس في مقدورها أن تمنع من العمل على خلافه والدليل على ذلك أن المحاكم الشرعية تسير في أحكامها على الراجح من مذهب أبي حنيفة رحمه الله وهناك أقوال لاصحابه تخالف ذلك الراجح ومذاهب أخرى تخالفه كذلك فهل في مقدور الحكومة أن تمنع زواجا يعقد بين اثنين على مذهب الشافعي رحمه الله وتقول للزوجين تفرقا لان العقد بينكما ليس على الراجح من مذهب أبي حنيفة كلا ليس ذلك في مقدورها مادام الزوجان راضيين انما الذي في مقدورها الا تعترف محاكمها بهذا العقد ولا بالآثار المترتبة عليه . هب أن زوجا قال لزوجه مطلقا: أنت بائن وفي أثناء عدتها راجعها من غير عقد جديد فهل في وسع حكومة من حكومات العالم الاسلامي أن تقول للزوج الذي عاد الى معاشرة زوجه: لا تعد لان أبا حنيفة يعتبر هذا الطلاق بائنا ولا عودة الا بعقد جديد ؟ كلا ليس ذلك في وسع أحد وانما اذا تقدما للمحكمة لا تعتبرهما زوجين واذا مات احدهما لا نورث الآخر منه لان الزوجية في نظر المحكمة قد انحلت ولم تعد — فما رآه بعض المحامين من انه كان الاولى بالحكومة أن تضع عقوبة على من زوج ابنه أو ابنته في حال الصغر رأي لم ينضج اذ كيف يعتبر مجرما من اتبع مذهبا من مذاهب المسلمين في عمل من أعماله الشخصية ويجر إلى المحاكم المدنية لتحكم عليه بالعقوبة

إن هذا المرسوم الكريم قد دعا الى الابتعاد عن امر فيه ضرر عظيم — كانت هناك عقود تعقد لا لمصلحة الصغيرة والصغير بل لمصالح آخرين يريدون الاستفادة من تقييد احد الزوجين بالآخر قبل ان تعرف ارادتهما او ارادة احدهما وكثير من المطلعين على احوال الناس يقولون ان عاقبة مثل هذا الزواج في الغالب نكد على الزوجين جميعا واكثر من ذلك ان ذوي الخبرة من الاطباء قرروا لهذا الاجتماع اضراراً ليس شرحها بميسور على صفحات الجرائد وقد سمعت الكثير منها فآلمني سماعه. ولا طريق الى تنفير الناس منه وابعادهم عنه الا ان يروا محاكمهم الشرعية تأبى ان تعترف به

اما الاعتراض على ذلك بما يوجد من تحريم حلال واحلال حرام فلا محل له مادامت هناك مذاهب مختلفة وكثير من العقود يعتبرها ابو حنيفة رحمه الله صحيحة ويعتبرها الشافعي باطلة. ولكن القاضي يحكم بالصحة ويحل الاجتماع فهل يقوم الشافعي ويقول المحكمة قد احلت ماحرم الله ؟ كلا بل متى حكم القاضي بأي مذهب ابيح له ان يقضي به كان حكمه قاضيا على كل خلاف وصارت الحادثة كأن فيها قولا واحدا فاذا أباح ولي الامر لقاضيه ان يقضي بمذهب ابن شبرمة في زواج الصغيرة والصغير فقضى حتى ببطلانه لم يعد هناك خلاف بين الفقهاء في بطلانه وهكذا الشأن في كل حكم لم يخالف كتابا ولا سنة ومع هذا فان المرسوم لم يكلف القاضي ان يحكم ببطلان الزواج وليته فعل فان الجادة خير من بنيات الطريق

ولا محل لقول كاتب في المقطم امس « فرأيت الشريعة برمتها لا تحظر ما منعه القانون الملحق ولا تمنع ماحرمت هاتان المادتان » فانه ان اراد بالشريعة بعض المذاهب الاسلامية كان قوله صحيحا وليست الشريعة مذهبا معينا واذا اراد بالشريعة اجماع المسلمين على حل مايريد المرسوم الامتناع منه خطأه صاحب المبسوط بما رواه واستدل عليه في الصفحة ٢١٢ من الجزء الرابع

ليس للجمهور المصري بعد ذلك الا ان يساعد حكومته التي ارادت به خيراً فيمتنع من تلقاء نفسه عن عقد زواج احد طرفيه صغير او صغيرة

محمد الخضري

زواج الصغير والصغيرة

(رد للاستاذ الشيخ محمد بخيت أشهر علماء الازهر وفقهاء الحنفية)

ارسله الينا ونشر في بعض الجرائد اليومية قد بداه بمقدمة في حكم النكاح (التزوج) واختلاف العلماء فيه هل فرض او واجب او سنة على الاعيان او على الكفاية وكونه بصرف النظر عن الخلاف تعتريه الاحكام فيجب على من خاف على نفسه الزنا - و بعد هذه المقدمة قال :

قد اطلعنا في جريدة الاهرام عـدد ١٤٢٣١ الصادر في يوم الاثنين ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ — ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٢ على مقال مذيل بامضاء حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الخضري ومذكرة مـذيلة بامضاء علماء من أفاضل العلماء و بعد أن ذكروا مذاهب جمهور العلماء في تزويج الصغير والصغيرة وان ذلك جائز على اختلاف بينهم فيمن يتولاه ذكروا بعدذلك مذهب الذين منعوا من زواج الصغير والصغيرة و تزويجهماقبل البلوغ وان ذلك مذهب ابن شبرمة وأبي بكر الاصم وأن دليل هذا المذهب قوله تعالى (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح) الى آخر ماذكروه من الادلة. وأقول إني أعتقد أن من البعيد أن يكون ذلك النقل صحيحا وان نسبـه في المبسوط لها ولذلك قال صاحب البدائع يحكي عن عثمان البتي وابن شبرمة أنهما قالا : ليس لهما أي للاب والجد ولاية التزويج ولم يستدل لهما بتلك الآية بل استدل بالمعنى فقول صاحب البدائع يحكي دليـل على ضعف النقل عن ابن شبرمة ومن معه وأن صاحب المبسوط وغيره ممن نقلوا هذا المذهب عمن ذكروا إنما نقلوه لابطاله بقطع النظر عن صحة النقل وعدمه وأيضا يبعد كل البعد أن ابن شبرمة ومن ذكر معه يستدلون بهـذه الآية على منع زواج الصغير والصغيرة وتزويجهما ويقولون أنه لو جاز لم يكن لهذا فائدة وذلك لان الآية إنما سيقت لما يتعلق بأموال اليتامى الصغار ولا دلالة فيها على منع تزويج الصغير والصغيرة لا بطريق العبارة ولا بطريق الاشارة ولا بطريق آخر من طرق الدلالات

والى كافة العلماء بيان ذلك فنقول : قال تعالى في أول سورة النساء (وآتو اليتامى أموالهم) قال المفسرون جميعا فيما نعلم الخطاب للاوصياء والاولياء. والمراد بايتاء الاموال إما تركها سالمة غير متعرض لها بسوء وإما الايتاء بالفعل والمراد باليتامى إما معناه اللغوي فيشمل الكبار والصغار فهو حقيقة في ذلك وارد على أصل اللغة وإما مجاز باعتبار ما كان لان ايتاء المال بالفعل انما يكون بعد البلوغ ثم قال تعالى في تلك السورة (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) قال المفسرون هذا رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة بأموال اليتامى وتفصيل ما أجمل فيما سبق من شرط ايتائها وكيفيته إثر بيان الاحكام المتعلقة بالانفس أعني الزواج وبيان بعض الحقوق المتعلقة بالاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطراداً اذ الخطاب كما يدل عليه كلام عكرمة للاولياء وصرح هو وابن جبير بأن المراد من السفهاء اليتامى ومن أموالكم أموالهم ثم قال عز من قائل بعد ذلك (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم) الآية

قال شيخ الاسلام (١) : ان هذا شروع في تعيين وقت تسليم أموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون أصحابها سفهاء.

وقال غيره: ان هذا رجوع الى بيان الاحكام المتعلقة بأموال اليتامى لا شروع. وأيا كان فقد أطبق المفسرون على أن الابتلاء معناه الاختبار وعلى أن معنى الآية واختبروا من عندكم من اليتامى بتتبع أحوالهم في الاهتداء الى ضبط الاموال وحسن التصرف فيها وجربوهم بما يليق بحالهم. غير أن أباحنيفة قد اقتصر في الاختبار على الاهتداء الى ما ذكر وزاد الشافعي على هذا الاهتداء الاهتداء الى الصلاح في الدين واتفق الامامان رضي الله عنهما على أن هذا الاختبار يكون قبل البلوغ وظاهر الآية يشهد لهما لما تدل عليه (حتى) التي هي للغاية غير أنهما اختلفا في طريق الاختبار فقال أبو حنيفة : يكون ذلك باذن الولي أو الوصي لليتيم في أن يباشر البيع والشراء مثلا وقال الشافعي : لا يكون بذلك بل يكون بدونه على حسب ما يليق بالحال بأن يمرنه على كيفية البيع والشراء حتى اذا جاء

(١) يعني ابو السعود العمادي رحمه الله تعالى

وقت البيع أو الشراء باشره الولي أو الوصي وذلك لان الاذن في مباشرة البيع والشراء مثلا يتوقف على دفع المال لليتيم ودفع المال اليه لا يكون الا بعد البلوغ وايناس الرشد والغرض الاختبار قبل ذلك ، وقال مالك الاختبار يكون بعد البلوغ . وقوله تعالى (حتى اذا بلغوا النكاح) معناه على ما اتفق عليه المفسرون حتى اذا بلغوا الحلم وحد البلوغ سواء كان ذلك بالحيض والاحتلام أو بالسن بالنظر الى الصغيرة أو بالسن أو الاحتلام بالنظر الى الصغير ويستوي في ذلك المعنى أن يكون لفظ النكاح في الآية بمعنى العقد أو بمعنى الوطء وان قال الحنفية أنه حقيقة في الوطء والشافعية انه حقيقة في العقد وقد جاء بمعنى الوطء في قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) الآية فلاوجه للقول بأنه لم يجيء في القرآن الا بمعنى العقد وقالوا جميعا إن معنى قوله تعالى (فان آنستم منهم رشدا) الآية ان أحسستم أو تبينتم اهتداء الى ضبط الاموال وحسن التصرف أو الى ذلك وصلاح في الدين على ما سبق من الخلاف فادفعوا الى اليتامى أموالهم عقب البلوغ بدون تأخير فحتى للابتداء وللغاية (واذا بلغوا النكاح) جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية فكان دفع الاموال معلقا على شرطين الوصول الى حد البلوغ وايناس الرشد ، ولذلك قال الفخر الرازي لا شك أن المراد من ابتلاء اليتامى المأمور به ابتلاؤهم فيما يتعلق بمصالح حفظ المال وقد قال الله تعالى بعد ذلك الامر (فان آنستم منهم رشداً) فيجب أن يكون المراد (فان آنستم منهم رشداً) في ضبط مصالحهم فانه ان لم يكن المراد ذلك تفككك النظم ولم يبق للبعض تعلق بالبعض انتهى

اذا علمت هذا تعلم أن الآية لا دلالة فيها على منع تزويج الصغير والصغيرة قبل البلوغ حتى يقال انه لو جاز التزويج قبل البلوغ لم يكن لهذا فائدة وما هو الشيء الذي لا تكون له فائدة في هذه الآية اذا جاز التزويج قبل البلوغ وقد علمت معناها الذي أطبق عليه المفسرون؟

على أن هذا المذهب بعد كونه غير مدون ولا أصحاب له يعتمد عليهم في النقل مصادم لصريح قوله تعالى (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان

ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن) قال صاحب المبسوط بين الله تعالى عدة الصغيرة وسبب العدة شرعا هو النكاح وذلك دليل على تصور زواج الصغيرة

ومصادم أيضا لقوله تعالى (وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) فان هذا القول انما يتحقق اذا كان زواج اليتيمة جائزا وقد أخرج البخاري ومسلم والنسائي والبيهقي في سننه عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت : يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها يشركها في مالها ويعجبه مالها وجمالها فيريد أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق وأمروا ان ينكحوا ماطاب لهم من النساء سواهن، فالمراد من اليتامى المتزوج بهن والقرينة على ذلك الجواب فانه صريح فيه ، والربط يقتضيه ، والمراد من النساء غير اليتامى كما صرحت به الحميراء رضي الله عنها بدلالة المعنى عليه ، واشارة لفظ النساء اليه ، وقد روى ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن عائشة رضي الله عنها مثل ما رواه البخاري ومسلم والنسائي والبيهقي عن عروة فهذا دليل على جواز تزويج اليتيمة

وقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت عمه حمزة من عمر بن ابي سلمة وهي صغيرة وقد تزوج قدامة بن مظعون بنت الزبير يوم ولدت وقال : ان مت فهي خير ورثتي وان عشت فهي بنت الزبير . وزوج ابن عمر بنتا له صغيرة من عروة بن الزبير ، وزوج عروة بن الزبير بنت اخيه ابن اخته وهما صغيران

ووهب رجل ابنته الصغيرة من عبد الله بن الحسن فأجاز ذلك علي رضي الله عنه وزوجت امرأة بن مسعود بنتا لها صغيرة ابنا للمسيب بن نخبة فاجاز ذلك عبد الله

قال في المبسوط: ولكن أبا بكر الاصم لم يسمع هذه الاحاديث . ثم قال : والمعنى فيه أن النكاح من جملة المصالح وضعا في حق الذكور والاناث جميعا وهو يشتمل على أغراض ومقاصد لا تتوفر الا بين الاكفاء، والكفء لا يتفق في كل وقت فكانت الحاجة ماسة الى اثبات الولاية للولي في صغرها لانه لو

انتظر بلوغها لفات ذلك الكفء ولم يوجد مثله . ولما كان هذا العقد يعقد للعمر بتحقق الحاجة الى ماهو من مقاصد هذا العقد فتجعل تلك الحاجة كالمتحققة في الحال باثبات الولاية للولي. انتهى

وبعد أن حكى صاحب البدائع أن لاخلاف في تزويج الاب والجد الا بشيء يحكى عن عثمان البتي وابن شبرمة — بهذا اللفظ الذي يفيد ضعف النقل عنهما كما ذكرنا — استدل للقول بجواز تزويج الاب والجد للصغير والصغيرة بقوله تعالى (وأنكحوا الايامى منكم) وقال: الايم اسم للانثى من بنات آدم عليه السلام كبيرة كانت أوصغيرة لازوج لها. وكلمة من ان كانت للتبعيض يكون هذا خطابا للآباء وان كانت للجنس يكون خطاباً لجنس المؤمنين ، وعموم الخطاب يتناول الاب والجد، وأنكح الصديق رضي الله عنه عائشة وهي بنت ست سنين وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج علي ابنته أم كلثوم وهي صغيرة من عمر ابن الخطاب ، وزوج عبد الله بن عمر ابنته وهي صغيرة عروة بن الزبير — وبه تبين أن قولهما خرج مخالفا لاجماع الصحابة فكان مردودا . وأما قولهما ان حكم النكاح بقي بعد البلوغ فنعم ولكن بالانكاح السابق لا بانكاح مبتدأ بعد البلوغ وهذا جائز كما في البيع فان لهما ولاية بيع ما للصغير وان كان حكم البيع وهو الملك يبقى بعد البلوغ لما قلنا فكذا هذا . اه

وقال الكمال في فتح القدير بعد أن استدل على جواز زواج الصغير والصغيرة بقوله تعالى (واللائي لم يحضن) : فبطل به منع ابن شبرمة وأبي بكر بن الاصم وتزويج أبي بكر عائشة رضي الله عنهما وهي بنت ست نص قريب من المتواتر. اه

فكان هذا المذهب مذهبا باطلا مردودا مخالفا لصريح الكتاب والسنة والاجماع فلا يجوز العمل به

سلمنا صحة النقل عمن ذكروا وأن المذهب مذهب صحيح يجوز العمل به لكن أصحاب المذكرة والاستاذ الشيخ الخضري في مقاله لم يعملوا بهذا المذهب ولا بغيره من مذاهب علماء المسلمين وذلك لان ابن شبرمة وعثمان البتي وأبابكر ابن الاصم انما خالفوا على فرض صحة النقل عنهم في تزويج الصغير والصغيرة

قبل بلوغهما لا بالحيض ولا بالاحتلام لا بالسن ولا يوجد من علماء المسلمين قاطبة من يقول بأن بلوغ الصغير والصغيرة لا يكون الا بالسن بل الاجماع من العلماء سلفا وخلفا الى يومنا هذا قائم على أن البلوغ في الصغيرة اما بالحبل أو بالحيض أو بالاحتلام. وفي الصغير اما بالاحبال أو الاحتلام أو السن وأنه لا يصار الى اعتبار البلوغ بالسن الا اذا انعدم الحبل والحيض والاحتلام في الصغيرة. وانعدم الاحبال والاحتلام في الصغير. وأما اذا وحدث شيء مما ذكر في الصغير أو الصغيرة فقد بلغت هي و بلغ هو النكاح أي حد بلوغ الحلم وصارا مكلفين باجماع المسلمين فكان حصر بلوغ الصغير والصغيرة في كونه بالسن ودعوى انه أضبط أمارة للبلوغ كما جاء في المذكرة وفي مقال الاستاذ الشيخ الخضري مخالف لكتاب الله وسنة رسول الله واجماع المسلمين فالقرآن دال، والاجماع قائم على ان الصبي والصبية متى بلغا الحلم بأن حاضت الصبية أو احتلمت أو حبلت وكانت رشيدة وقت بلوغها وجب تسليم أموالها اليها بدون تأخير ولو كانت بنت تسع سنين. وكذلك الصبي اذا احتلم او أحبل امرأته وتبين رشده وقت البلوغ وجب تسليم أمواله اليه ولو كانت سنه ثنتي عشرة سنة بدون تأخير ولا اعتبار بالسن في هاتين الحالتين . وأما اذا لم تحض الصبية ولم تحتلم ولم تحبل ولم يحتلم الصبي ولم يحبل امرأته كان بلوغهما حينئذ بالسن وهو خمس عشرة سنة عند الشافعي وأبي يوسف ومحمد وهي رواية عن أبي حنيفة وعليها الفتوى عند الحنفية كما ان العادة الفاشية ان الصبي والصبية يصلحان للزواج وثمراته في هذه المدة ولا يتأخران عنها

وشاع عن الامام الاعظم أن السن للصغير ثمان عشرة وللصبية سبع عشرة سنة وعلى كل حال فاعتبار السن أمارة للبلوغ وحدا له متأخر بالاجماع عن اعتبار الحيض والاحتلام حدا للبلوغ وأمارة له فلا يصار اليه الا عند عدمهما لا فرق في ذلك بين أن يزوج الانسان نفسه أو يزوجه وليه باذنه على اختلاف المذاهب في تفصيل ذلك و بين أن يملك التصرف في ماله ومتى بلغ بالسن على اختلاف المذاهب فان كان رشيداً وجب تسليم ماله اليه عقب بلوغه هذه السن وان كان سفيها وجب الحجر عليه على قول الشافعي وأبي يوسف ومحمد ومن

وافقهم ولا يحجر عليه عند أبي حنيفة بل يؤخر دفع ماله اليه الى أن تبلغ سنه خمسا وعشرين سنة فان بلغ تلك السن سلم اليه ماله على كل حال

وأما ما أجاب به الاستاذ الفاضل الشيخ الخضري عن السؤال الرابع الذي هو : ما الرأي فيمن يبلغ بعلامات البلوغ قبل هذه السن؟ بأنه لا يعلم تفصيلا لمذهب ابن شبرمة في ذلك — فنقول له

اذا كنت لا نعلم تفصيلا لمذهب ابن شبرمة فيمن يبلغ بعلامات البلوغ قبل هذه السن فلم يكن حد البلوغ معلوما عند ابن شبرمة فلا يعلم حد الصغر فيكون مذهبه مجهولا عندنا فلا يجوز الاخذ به ومع ذلك فمذهب ابن شبرمة وعثمان البتي وأبي بكر بن الاصم لم يكن مدونا وليس له أصحاب نقلوه بطريق صحيح وانما علمناه مما ذكره بعض علماء المذاهب الاخرى كصاحب المبسوط وصاحب البدائع وصاحب الفتح وهؤلاء قد ذكروه مجملا ومع ذلك فهؤلاء يصرحون بأن هؤلاء العلماء الثلاثة لم يخالفوا الا في تزويج الصغير والصغيرة قبل البلوغ وأطلقوا اعتماداً على ما هو متفق عليه بين الجميع من أن البلوغ كما يكون بالسن يكون بغيرها قبل هذه السن على ما نطق به الكتاب والسنة وعبارة المبسوط قال: بخلاف مايقوله ابن شبرمة وأبو بكر الاصم أنه لايزوج الصغير والصغيرة حتى يبلغا لقوله تعالى (حتى اذا بلغوا النكاح) اه فكان المنع في هذا المذهب مغيابالبلوغ بأي أمارة كانت كما هو المراد من قوله تعالى (حتي اذا بلغوا النكاح) على مافصلناه

وقال في البدائع جملة الكلام فيه أنه لا خلاف في أن للاب والجد ولاية النكاح الا شيء يحكى عن عثمان البتي وابن شبرمة أنهما قالا ليس لهما ولاية التزويج واستدل لهما بأن حكم الزواج اذا ثبت لا يقتصر على حال الصغر بل يدوم و يبقى الى ما بعد البلوغ الى آخر ما استدل به لهما مما هو صريح في أن منعهما مقيد بحال الصغر . وأما بعد البلوغ فلا خلاف لاحد في جواز التزويج والتزوج : وهل بمجرد عدم علم الاستاذ الشيخ الخضري بتفصيل هذا المذهب فيمن يبلغ بعلامات البلوغ قبل هذه السن يثبت أن هناك خلافا ومذهبا في عدم اعتبار علامات البلوغ في هذه السن وان لم ينقل العلماء خلافا في ذلك خصوصا

مع الاجماع على أن التكليف مرفوع عن الصبي حتى يحتلم وعن الصبية حتى تحيض

وأما ما قاله في مقاله المنشور بجريدة الاهرام نمرة ١٤٢٣٦ في يوم السبت ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٣ من ان الاصوليين اشترطوا في العلل التي تناط بها الاحكام ان تكون اوصافا ظاهرة منضبطة وعلامات البلوغ وان تكن منضبطة ليست بظاهرة الى آخر ما قال(١) — فنقول له ان علامات البلوغ ظاهرة منضبطة . منها الحيض والاحتلام والحبل والاحبال وكما اعتبر الشارع هذه الامارات في البلوغ فقد اعتبر الحيض امارة في العدة في ذوات الحيض لانقضائها وتعرف براءة الرحم حتى على القول بأن عدة ذوات الحيض بالاطهار لان الاطهار التي تنقضي بها العدة انما تعرف بالحيض وكما اعتبر الشارع الحيض فيما ذكر قد اعتبره واعتبر الاحتلام في توجه خطاب التكليف واجرى على كل بنت حاضت أو احتلمت وابن احتلم احكام البالغين المكلفين، فان كان لدى حضرة الاستاذ علم بأن في هذا خلافا فليدلنا على مذهب المخالف، وكذلك الشارع اعتبر الحبل علة لايقاف نصيب الحمل في الميراث ولوجوب الحد على من حملت من الزنا على ان المثبت للحكم في مورد النص هو النص لا العلل واما مافي دعوى الحيض من البلاء على الازواج والزوجات فهذا منشؤه عدم التزام الشرع والعمل به على فرض ان الدعاوى تخالف الواقع قال تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كنّ يؤمنّ بالله واليوم الا خر) وبالجملة فارتكاب مخالفة الحكم لا ينسخ الحكم.

ومن هذا تعلم انه لامعنى لقول اصحاب المذكرة « اتفق العلماء على بطلان العقد اذا باشره غير مميز » الخ بل هو لغو من القول وخروج عن الموضوع ولا علاقة له به لان الكلام ليس في مباشرة غير المميز عقد الزواج ولا في مباشرة المميز له ، وانما الكلام في مباشرة ولي الصغير والصغيرة تزويجهما حال الصغر بلا فرق بين مميز وغير مميز كما انه لا معنى لقول اصحاب المذكره « اتفقت كلمة الحنفية أنه بعد البلوغ لاجبر لاحد في عقد الزواج » فانه خروج عن الموضوع ايضا

(١) هذه مقالة ثانية للشيخ الخضري وضح بها مراده في المقالة الاولى ردا على بعض المنكرين

لان الكلام ليس في الجبر وعدم الجبر على ان قولهم فيها (لان البلوغ آية الرشد واستكمال العقل) يهدم جميع ما قصدوه من المقدمات التي ذكروها في المذكرة ويبطل ما يريدون ترويجه بناء عليها من جواز تحديد السن للزواج وذلك لانهم متى اعترفوا بأن البلوغ آية الرشد واستكمال العقل وكان البلوغ باجماع المسلمين كما يكون بالسن على التفصيل الذي قدمناه عند عدم الحيض والاحتلام للصبية وعدم الاحتلام للصبي يكون بالحيض والاحتلام متى بلغت تسع سنين والاحتلام للصبي اذا بلغ ثنتي عشرة سنة ولو لم يبلغ كل منهما السن التي حددوها لزواجه فكان تحديد السن بما حددوه للزواج مخالفا للكتاب والسنة والاجماع كما أن ما ذكروه بالمذكرة من اختلاف العلماء على فرض صحة الخلاف في جواز تزويج الصغير والصغيرة قبل البلوغ لا ينبني عليه جواز تحديد السن التي حددوها للزواج لان الصغير او الصغيرة اذا بلغا بغير السن فقد بلغا الحلم وملك تزويج نفسه إن كان ذكراً او تزوج نفسها او يزوجها وليها جبراً أو ندبا إن كانت انثى بكراً او ثيبا

كما أن قول أصحاب المذكرة « ان من اللازم ان يناط سن الزواج بسن الرشد بالنسبة لكل من الزوجين الخ » قول باطل لان ذلك يقتضي أن هناك شرعا سنا للزواج وسنا للرشد بل ان الصبي والصبية متى بلغا الحلم بأي امارة من أمارات البلوغ سواء كانت بامارة السن او بالامارات الاخرى التي تكون قبل السن ان كان رشيداً مهتديا لضبط ماله سلم اليه ماله وان لم يكن كذلك بأن كان سفيها يحجر عليه اولا يحجر على الخلاف السابق واما حد البلوغ فلا فرق فيه بين الزواج وغيره

واما استدلال الاستاذ الخضري واصحاب المذكرة لمذهب ابن شبرمة ومن معه بقوله صلى الله عليه وسلم (لا تنكح اليتيمة حتى تستأمر) وقوله عليه الصلاة والسلام « لا يُتم بعد الحلم » فهو استدلال لا يرضاه صاحب المذهب المذكور فان الحديث الاول يدل بمنطوقه على ان اليتيمة وهي التي لا أب لها لا تنكح حتى تستأمر على معنى حتي تبلغ وتستأذن كما يقول ذلك الشافعي أو أن المراد باليتيمة باعتبار ما كان كما يقول ذلك أبو حنيفة، ويدل بمفهوم المخالفة على أن الصغيرة التي لها أب يُنكحها أبوها، كما أن الحديث الثاني يدل بمنطوقه على أن اليتم

ينتفي بعد الحلم ولو بالحيض أو بالاحتلام ولو لم تبلغ البنت ست عشرة سنة ولا الابن ثماني عشر سنة. وقد ذكر صاحب المبسوط هذين الحديثين وجعلهما دليلين للامام الشافعي رضي الله عنه على مذهبه من أنه لا يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغير والصغيرة وأما الاب والجد فلهما تزويجهما عملا في ذلك بمنطوق الحديث ومفهومه المذكور، فكيف يمكن الاستدلال بهذين الحديثين لمذهب ابن شبرمة ومن معه وهم يمنعون تزويج الصغير والصغيرة مطلقا ولا أدري من أين نقلوا الاستدلال بهذين الحديثين لمذهب المانعين تزويج الصغير والصغيرة

وأما ما اشتمل عليه مقال الاستاذ الشيخ الخضري والمذكرة من التعاليل لهذا المذهب فليس شيء منها يصلح دليلا وذلك لانحصار الدليل الشرعي في الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح وليس ما ذكروه من العلل واحداً منها أما أنه ليس من الكتاب والسنة والاجماع فظاهر وأما أنه ليس بقياس فلانهم لم يذكروا الاصل المقيس عليه من الكتاب أو السنة أو الاجماع وعلى فرض أنه قياس صحيح فهو في مقابلة الكتاب والسنة والاجماع فلا يعول عليه ولا يلتفت اليه

وأما ما قالوه ترويجاً لتحديد سن الزواج من أن الزواج في الصغر يترتب عليه المفاسد التي ذكروها ويضر بصحة الصغير والصغيرة فغير مسلم لانه لم يقل أحد من المسلمين بأن الزواج فيه مفسدة لا في وقت الصغر ولا في وقت الكبر والاطباء مختلفون في أن الافضل التبكير بالزواج أو التأخير واختلافهم يوجب الشك في أقوالهم على أنه لا يمكن لعاقل أن يقول إن مجرد حصول عقد الزواج يحصل بهضرر لصحة الصغير أو الصغيرة وإنما الذي يتوهم أن يقال انما هو في الوطء وأما العقد فلا يترتب عليه شيء أصلا فلا وجه لتحديد السن له على أنه لا وجه للقول لترتب الفساد أو الضرر بالصحة اذا كانت الصغيرة تشتهى و بلغت السن التي تطيق فيه الوطء ولو لم تبلغ حد البلوغ في الشرع فانه لو كان في ذلك أدنى مفسدة ما أمر الله به في كتابه، ورسوله في سنته وأجمعت الامة على سنيته أو إباحته (قل أأنتم أعلم أم الله؟ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟)

مسألة تخصيص القضاء

وأما مارتبه أصحاب المذكرة على تلك المقدمات التي أطالوا فيها بلا طائل من أن المنصوص عليه شرعا أن لولي الامر ولاية تخصيص القضاء الخ فقضلا عن كون ذلك لايتفرع على تلك المقدمات ولاينبني عليها ولا علاقة بينه و بينها لان كون ولي الامر يملك التخصيص معلوم للخاص والعام ومبناه على وجوه المصلحة التي تقتضيه على ما فصلناه بمحاضراتنا التي قرأناها بمدرسة الحقوق الملكية في أوائل ديسمبر سنة ١٩١٩ ونشرت بمجلة الاحكام الشرعية في ٢١ ديسمبر من تلك السنة في عدد ٣ وجرى على ذلك العمل وأصحاب المذكرة لم يبينوا فيها وجه المصلحة العامة التي اقتضت هذا التخصيص فانه ليس معنى التخصيص هو ما فهموه من أن ولي الامر يمنع جميع قضاته عن أن ينظروا حادثة يخرجها عن اختصاصهم جميعا ولا ينصب لها قاضيا يفصل الخصومات فيها كما هو الشأن فيما قضت به المذكرة فان جميع حوادث الزواج الذي يقع قبل سن ست عشرة سنة للبنات أو ثماني عشرة سنة للبنين قد منع جميع قضاة مصر عن أن ينظروا فيها ، وقولهم في المادة الا بالامر لا يغني شيئا ولا يقتضي نصب قاض بالفعل ينظر في تلك الحوادث. بل معنى تخصيص القضاء الذي تقضيه المصلحة أن يقسم ولي الامر جميع أماكن مملكته الى دوائر متعددة فيجعل لكل دائرة محكمة تحكم في قضايا القاطنين بها في حوادثهم و يقسم الحوادث كذلك بين قضاة تلك المحاكم فيجعل ما يخرج من اختصاص هذا القاضي داخلا في اختصاص ذلك القاضي وعلى هذا لا يوجد مكان في المملكة أو حادثة لرعايا ولي الامر الاولها قاض يفصل فيها خصوصا اذا كانت تلك الحوادث في الحقوق المشتركة بين كونها حق الله سبحانه وكونها حق العبد كالزواج والطلاق أو الحقوق الخالصة لله تعالى فان الزواج بما فيه من حقوق أحد الزوجين على الآخر حق العباد ولما يترتب عليه من الحل والحرمة من حقوق الله تعالى كما أن الطلاق من حقوق العباد من وجه ومن حقوق الله من وجه آخر وذلك لان الشأن في الحقوق المشتركة أو الخالصة لله تعالي انما هو للحاكم وولي الامر فيجب أن يكون لها قاض يفصل فيها

أو يفصل فيها ولي الامر بنفسه

على أن التخصيص على فرض وجود المصلحة وان لم تظهر انما هو فيما أضيف على المادة نمرة ١٠١ من قانون سنة ١٩١٠ وأما ما أضيف على المادة نمرة ٣٦٦ من ذلك القانون من أنه (لا يجوز مباشرة عقد الزواج ولا المصادقة على الزواج المسند الى ما قبل العمل بهذا القانون) فليس من التخصيص في شيء بل هو نهي عن مباشرة عقد الزواج والمصادقة عليه مسنداً الى ما قبل العمل بذلك القانون لان كلا من المباشرة والمصادقة ليس من عمل القاضي بل إن الذي يباشر عقد الزواج أو يتصادق عليه إما الزوجان أو وكيلاهما ان كانا بالغين بالسن أو بغيره أو ولياهما ان كانا قاصرين أو ولي القاصر ووكيل البالغ وأما المأذون فوظيفته تلقين صيغة العقد لمن يحتاج الى التلقين والكتابة في دفتر وتحصيل ما فرضته الحكومة من الرسوم فعقد الزواج متى كان مستوفيا أركانه وشروطه كان صحيحاً شرعا حضر المأذون أو لم يحضر كتب أو لم يكتب فضلا عن كون عقد الزواج أدنى مراتبه السنية المؤكدة أو الاباحة التي ندب الشارع الى فعلها فهو من الامور الخاصة لا من الامور العامة ولا يجوز النهي عنه كما لا يجوز نهي الانسان عن بيع ملكه اذا كان عاقلا بالغا رشيدا ولم يحجر عليه لدين فضلا عن ان تحديد سن الزواج والنهي عن مباشرة عقده قبل هذه السن المحددة يقتضي تحريم الحلال الذي ندب الشارع اليه وحض الناس اليه او تحريم السنة المؤكدة وكلا الامرين معصية باجماع المسلمين

اما قول حضرة الاستاذ الشيخ الخضري (اما الاعتراض على ذلك بما يوجد من تحريم حلال واحلال حرام فلا محل له ما دامت هناك مذاهب مختلفة) فنقول له يا حضرة الاستاذ ان الخلاف على فرض انه خلاف معتبر انما هو في الصغير والصغيرة قبل البلوغ واما بعد البلوغ ولو قبل بلوغ السن المحددة للصغير والصغيرة فليس هناك مذاهب مختلفة بل اجماع المسلمين وسنة سيد المرسلين كلها متفقة على ان الصبية اذا بلغت والصبي اذا بلغ الحلم بأي امارة كانت كان كل منهما بالغا شرعا لا يخالف في زواجه احد من العلماء ولو لم تبلغ البنت ستة عشرة

سنة والابن ثماني عشرة سنة. وقد صرح الفقهاء قاطبة بأن البنت اذا بلغت تسع سنين وادعت الحيض او الاحتلام تصدق في ذلك وكانت بالغة شرعا وكذا الابن اذا بلغ ثنتي عشرة سنة وادعى الاحتلام صدق في ذلك وكان بالغا شرعا وان وجدت احداً يخالف فيما قلنا فعليك البيان

فلو فرضنا ان البنت اذا تزوجت بعد البلوغ زواجا صحيحا شرعا ولم تبلغ تلك السن المحددة أليست تلك البنت تحل شرعا لهذا الزوج الذي تزوجها وتحرم على غيره ولا يحل لاحد غير هذا الزوج ان يتزوجها ما دامت في عصمته ووطؤها حلال لهذا الزوج حرام على غيره؟ فلو فرضنا أنها مكثت مع هذا الزوج مدة ثم ادعى آخر بعد أن بلغت سنها ست عشرة سنة أنه تزوجها بنكاح صحيح شرعي وادعاها الاول كذلك أليس الحكم الشرعي يقتضي أن يحكم لاسبقهما تاريخا ولو كان زواجه بها قبل أن تبلغ السن المحددة؟ فاذن ماذا يصنع القاضي أيحكم بمقتضى الشرع للاول وقد كان زواجه بها قبل أن تبلغ السن المحددة المذكورة ويخالف ما تحبذه من ذلك التخصيص أو ذلك النهي وهو معزول بمقتضى ذلك التخصيص عن أن يحكم بالزواج قبل بلوغ هذه السن؟ أو يحكم للزوج الثاني وقد أمره الله أن يحكم للزوج الاول لا للثاني لان زواجه باطل بالاجماع؟ أليس في ذلك تحريم الحلال وإحلال الحرام؟ وما قلناه في البنت اذا بلغت تسع سنين وحاضت أو احتلمت وتزوجت يقال أيضا في الابن اذا بلغ ثنتي عشرة سنة واحتلم وتزوج وأحبل زوجته ثم جاء آخر يدعي أن تلك الزوجة زوجته وكان المدعي تبلغ سنه ثماني عشرة سنة والاول لم يبلغ تلك السن ولم تبلغ الزوجة أيضا سن ست عشرة سنة بل بلغت بغير السن فماذا يصنع القاضي أيحكم للسابق كما قضى به الشرع أم يحكم للثاني كما قضى به الرأي المخالف للشرع ؟

اني أعتقد والله على ما أقول وكيل أنك وأصحاب المذكرة لا تقولون بجواز حكم القاضي للثاني بل بوجوب الحكم للاول وانكم لا تخالفون في هذا ولا تستطيعون المخالفة فيه لما في المخالفة من مخالفة الكتاب والسنة والاجماع. ولا يسعني

ازاء ما وقع الا أن اقول كما قال صاحب الروض من أئمة الشافعية

من قلد العلما وأقدم أعذرا * وعلى الذي أفتى الخ الخ .

هذه نصيحتنا نقدمها لاولياء الامور وعامة المسلمين عسى الله أن يهدينا جميعا الى سواء السبيل ويغفر لنا خطايانا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

محمد بخيت
مفتي الديار المصرية سابقا

(المنار) لما شرعت الجرائد اليومية في نشر هذه الرسالة كتب الشيخ محمد الخضري بك مقالة ثانيـة لتوضيح المقالة الاولى والرد على بعض ما نشرته في الرد عليه ولا سيما هذه الرسالة ، وقد تضمنت هذه الرسالة الرد على أقوى ما كتبه ثم كتب صاحبها رسالة أخرى استوفى فيها الرد عليه من الجهة الفقهية، وبقي في رسالته الاخيرة مسائل أخرى مهمة تتعلق باجتهاد القضاة والحكام وهو يرى ويشايعه بعض من كتب في المسألة أن للملوك ورؤساء الحكومات في هذا العصر مثل هذا الحق في الاجتهاد وإلزام المسلمين العمـل باجتهادهم في كل المعاملات حتى ما يسمونه الاحكام الشخصية ، وأن طاعتهم تجب في ذلك . . . وفي هذه المسألة بحث طويل ونحن نعتقد أن الشريعة لا حياة لها ولا بقاء لاحكامها في مثل مصر والترك الا بالاجتهاد الصحيح ، وأما انتحال الحكومات للاجتهاد بغير ما لا يمكن بدونه من العلم بالكتاب والسنة وأصول الفقه فهو مفسدة عظيمة في الدين والدنيا

وههنا مسألة أخرى اختصر فيها وأوجز كل من كتب في هذا الموضوع وهو ما ادعى واضعو مـذكرتي القانون من الترك والمصريين من الضرر العظيم في زواج من لم يبلغ السن التي حددوها فقد بالغوا فيها على اختلاف الفريقين في تحديد السن وجعلها في أشد القطرين حراً — وهو المصري — أطول منها في أشدهما برداً — وهو التركي — مع العلم بأن البلوغ الطبيعي يكون أسرع في الاول وأبطأ في الثاني غالبا وقد جعل الاستاذ الشيخ بخيت الضرر المدعى مشكوكا فيه بدليـل اختلاف الاطباء فيه وأشار الى أن العبرة فيه بقوة البنية وطاقتها الانثى البالغة في على احتمال أعباء الحمل والولادة فهذا الضرر خاص بمن لا تطيق ذلك لا عام فرب بالغة السن التي ذكروها لا تطيقه ورب غير بالغة إياها وهي تطيقه ، وقد راعى الترك

هذا في قانونهم ولا ندري ما هم فاعلون في تنقيحه في هذا الطور الذي اشتد فيه التنازع الصريح بين الاسلام والغلو في التفرنج حتى ان كثيرا منهم يطالبون حكومتهم بمنع تعدد الزوجات على علمهم بأن نساءهم أضعاف رجالهم، وأما الضرر الاقتصادي في حال عجز الصغير عن الكسب الذي يمكنه من النفقة التي يتوقف عليها تكوين الاسرة فالشرع الاسلامي يراعيه كما يراعي منع الضرر البدني ، فهو لا يشرع الزواج الا للقادر على النفقة بل التشريع الاسلامي مبني على منع كل ضرر يجني به الانسان على نفسه أو على غيره وفي الحديث « لا ضرر ولا ضرار » رواه احمد وابن ماجه

والقوانين الوضعية الاوربية تبيح لكل أحد أن يضر نفسه بالسكر والقمار والزنا وغير ذلك واذا كان مدمن هذه الموبقات صاحب زوج وأولاد فانه يجني عليهم باقترافه إياها ما لا يذكر معه كل ما بالغوا فيه من زواج من دون السن التي حددوها ، ولا يزال كثير من الافرنج يبكرون بالزواج وقد قرأنا في هذه الايام مقالة في جريدة « السياسة » المصرية موضوعها تبكير أهل أمريكا بالزواج

وقد وفى هذا الموضوع حقه من الوجهة الطبية وغيرها الدكتور محمد توفيق صدقي الطبيب العالم الكاتب الشهير (رحمه الله تعالى) في المحاضرات التي كان يلقيها في مدرسة دار الدعوة والارشاد ونشرت في المنار وطبعت على حدتها في جزئين ، ونشر هذا البحث في جريدة الاهرام ومما قاله ان السن القانونية للزواج في الشريعة الانجليزية ١٤ للذكور و ١٢ للاناث ، وتعتبر زواج الاطفال القاصرين صحيحاً اذا لم يطعن أحد الزوجين في العقد عند بلوغ السن — وعزا ذلك الى ص ٥٦ من كتاب (أصول الطب الشرعي) لمؤلفيه جاي وفرير الانكليزيين . فليراجع البحث من شاء في المجلد ١٨ من المنار (ص٣٦٦ م ١٨) أو في الجزء الاول من (دروس سنن الكائنات ص ١٤٣)

وجملة القول ان القانون الذى هو محل بحثنا لم يتروّ في وضعه من الوجهة الشرعية ولا من الوجهات الطبية والاجتماعية فيجب إلغاؤه وتأجيل مسألة سن الزواج الى أن ينظر مجلس نواب الامة في قانون الاحكام الشخصية وحينئذ نعود الى الموضوع فنوفيه حقه ان شاء الله تعالى

العبر التاريخية في اطوار المسألة المصرية

٣ (*)

قد بينا في مجلدات المنار ٢١ - ٢٣ أطوار المسألة المصرية منذ تألف الوفد المصري برياسة سعد للمطالبة باستقلال البلاد وكيف اجتمعت كلمة الامة مع رجال الحكومة على تأييده سلباً وايجاباً (١) حتى أثبتوا للحكومة البريطانية وهي خارجة من الحرب العظمى على رأس الدول الفائزة أنه يتعذر عليها ادارة الامور في مصر بأيدي المصريين الساخطين عليها كما يتعذر عليها إدارتها بيدها هي بالاولى —

وكيف بعد أن أرسلت لورد ملنر على رأس لجنة ليقف على آرائهم وقاطعوه تلك المقاطعة الاجماعيـة التي تجلت بها الوحدة في أكمل مظاهرها لجأت الى السعي لتفريق كلمتهم اذ لا سبيل الى الفوز ودوام السيطرة عليهم بدون ذلك (٢) -

وكيف وقع الشقاق في الوفد نفسه فكان بعض أعضائه مع عدلي باشا في طرف والباقون مع سعد باشا في طرف آخر —

وكيف دبر في (لندن) نصب وزارة عدلي باشا وتأييـد الوفد المصري لها ليسمح لرئيسه وسائر أعضائه بالعودة الى مصر فكان نصبها واظهار الوفد الثقة بها على دخل خادعٍ به كل من الفريقين الآخر حتى اذا ماعاد سعد باشا للاتصال بالامة وتمكن عدلي باشا من تأليف وزارة رضيت عنها الامة — عاد الشقاق الى أشـد مظاهره (٣) —

ولكنه تولى مفاوضة الحكومة البريطانية باسم الحكومة المصرية للاتفاق معها على حل القضية ففشل — لعلم الحكومة البريطانية بأن الامة لا تؤيده وأنها لا تستطيع عملا بعد أن صارت الى شر مما كانت عليه قبل الاتحاد اذ لم يكن زعماؤها متعادين ولا متحدين على عمل - من الاعمال فأفضى ذلك الى استقالة عدلي باشا وتعذر تأليف

(*) تابع لما في ص ٦٢ و ٢٢٦ م ٢٣ (١) ص ٢٧٤ م ٢١ (٢) ص ٥٤٠ م ٢١ (٣) ٣٩٧ والمقالة التاريخية الجامعة في ص ٤٩٦ - ٥٢٢ م ٢٢

وزارة أخرى من حزب العدليين لسخطهم الشديد من الحل الفظيع الذي عرضه اللورد كرزون على عدلي باشا (١) فصاروا كالسعديين في الاحجام عن تأليف وزارة تتولى العمل في ظل الحماية البريطانية

ثم كيف اضطرت الحكومة البريطانية بهذا الى نفي سعد باشا مع بعض أعضاء الوفد الى جزيرة سيشل الصغيرة المنقطعة عن العالم في البحر المحيط الهندي و إلغائها للحماية ، واعترافها بكون مصر دولة ذات سيادة ، مع الاحتفاظ بالمسائل الاربع المعلومة، وكان ذلك اثر مذاكرة بين دار المندوب البريطاني السامي وعبد الخالق ثروت باشا رضي بها هذا أن يتقلد الوزارة و يتولى وضع دستور للبلاد يتألف بموجبه برلمان يفوض اليه تقرير أمر الاتفاق مع الدولة البريطانية في الامور المحتفظ بها ولكن جمهور الامة قابل ذلك بفتور ونفور ، ولم يحفل بهذا الاستقلال المقيد بالاربعة القيود، الذي مهد له السبيل بنفي زعيم الشعب مع بعض رجاله ، وهو حامل لوائه وزمر استقلاله ، واشتد ضغط الاحتلال بعد نواله (٢)

ظن الانكليز أنهم يرضون السواد الاعظم من المصريين وينالون مرادهم من مصر والسودان بالاتفاق مع حكومة مصرية نيابية زمامها بأيدي أصدقائهم الذين يصفونهم بالمعتدلين ، من حيث يقضون على الحياة القومية المصرية بابعاد الزعيم الاكبر و بعض رجاله والتنكيل بمن يتصدى للمعارضة من الباقين منهم بمساعدة الحكومة الوطنية — ولكن بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون

اشتد استياء الشعب وتهيجه ، وتألفت للوفد لجنة أخرى صرحت بالمعارضة ودعت البلاد الى مقاطعة الانكليز في كل معاملة تجارية أو شخصية، فحكموا عليها أحكاما شديدة ، حكموا بعد الاعتقال بالاعدام، ثم استبدلوا به حكم السجن وتغريم الاموال، وهو أن يدفع كل فرد من أفرادها خمسة آلاف جنيه للسلطة العسكرية

ثم تألفت لجنة ثالثة فحكموا على بعض أفرادها بالنفى الى بعض الواحات المصرية وساموهم فيها سوء العذاب فتألفت لجنة رابعة

وظهر في أثناء ذلك الاعتداء على أشخاص الانكليز من الموظفين والجند

(١) راجع ص ٦٢ — ٧٧ م ٢٣ (٢) راجع ص ٢٢٦ — ٢٣٥ م ٢٣

وغيرهم فكان يغتال الواحد منهم بعد الآخر في الشوارع العامة في وقت الظهيرة أو طرفي النهار أو ناشئة الليل . وقد أرهق أهل القاهرة بتفتيش الحكومة المصرية لبيوتهم للبحث عن آثار يستدل بها على الجناية فكان رجال الشرطة يدمرون على أهل البيوت في الليل أو النهار، وان لم يكن فيها أحد من الرجال ، فيفتحون الخزائن والصناديق ، ويقلبون الاثاث والرياش ، ويأخذون كل ما يجدون من القراطيس المكتوبة ، وقد يقلعون بلاط الحجرات رجاء أن يجدوا تحته سلاحاً، وكانوا مع بعض الجند الانكليزي يستوقفون الناس في الطرقات ، رجالا أو ركبانا في أنواع المركبات ، ويفتشون ثيابهم وجيوبهم ، ولم يكن هذا ولا ذاك قاصرا على من كان موضع الظنة ، ومثار الشبهة ، بل كان كل أحد عرضة لهذه الاهانة. وليس من موضوعنا ذكر ما كان يلابس ذلك من الفساد ، ولم يكن هذا الارهاق كله ولا اعتقال من اعتقل بالتهم بمانع من تكرار الاغتيال ، وانما كانت تقع فترات عند العناية ببث العيون والرقباء وكثرة الحرس السيار — وقد حوكم كثير من المتهمين بالشبهات في المحكمة العسكرية فلم يثبت شيء من تلك الجنايات على أحد ، ولا كون شيء منها باغراء الوفد المصري أو جمعية سياسية أخرى كما زعم بعض الرعاع الذين تصدوا لشهادة الزور رجاء نيل المكافآت التي كانت تعد بها الحكومة وتنشر وعودها في الجرائد وعلى الجدران وهي ألوف من الجنيهات

سارت وزارة عبد الخالق ثروت باشا الطيبها في هذه المآزق القاتمة بجرأة نادرة كان فيها مهددا بالاغتيال وقد اعتدي عليه بالفعل فنجا ، فتألفت لجنة من ثلاثين رجلا من أنصارها فوضعوا مشروع دستور المملكة المصرية وطفقت تمهد السبيل لانتخاب غير السعديين بكل حزم وعزم .

وفي تلك الاثناء ألف حزب الاحرار المعتدلين وانتخب عدلي باشا رئيساً له فاكتتب كثير من اغنياء البلاد للاشتراك بالحزب وجريدته (السياسة) فاجتمع له بنفوذ الحكومة عشرات الالوف من الجنيهات، وصدرت الجريدة بشكل راق كل عدد منها (٨ص) خص بعضها بالآداب وبعضها بالامور النسائية وبعضها بالزراعة أو بالتجارة . . . ولكن جمهور الشعب عاداها حتى كان يعد شراؤها وقراءتها من الذنوب المنافية

الوطنيـة . وكان الغرض من تأليف هذا الحزب السعى لجعل أكثر أعضاء النواب والشيوخ من رجاله وقد اغتيل رجلان من خيرة رجاله

وكان الشعب لا يزال نافراً من القصر السلطاني فالملكي منذ أعلنت الحماية وسمي أمير البـلاد سلطانا ثم سمي بالتصريح البريطاني الذي ألغيت فيه الحماية ملكا، وأشيع أن سعد باشا غير مخلص الملك وما زال العدليون يرجفون بهذا الى عهد قريب، ولكن هذه الغمة تقشعت بسعي محمد نسيم باشا ومن واتاه من رجال الوفد المصري — وتلا ذلك نفور الملك من وزارة عبد الخالق ثروت باشا فوقعت عدة أزمات وزارية انتهت باستقالة هذه الوزارة ، وخلفتها وزارة محمد نسيم باشا فأثار ذلك سخط السياسة الانكليزية فكادت لها دار المندوب السامي حتى اضطرتها الى الاستقالة باقتراح حذف اسم السودان من الدستور المصري وكان قد نص فيه أن ملك مصر هو ملك السودان وان حكومة مصر هي التي تتولى ادارته وأيدت الاقتراح بتهديد عظيم ملجئ قوي به اعتقاد الجمهور أن الاستقلال الذي اعترف به الانكليز اسم على غير مسمى صحيح ، وان الاستقلال الصحيح لا يمكن تحققه الا على يد رئيس الامة العبقري الاحوذي الشمّري (١) سعد زغلول باشا ، فكيف يعقل جعل إبعاده عن البلاد تمهيدا له ؟

وخلفت وزارة محمد نسيم باشا وزارة يحيى باشا ابراهيم فكان استسلامها للانكليز وصدعها بالاوامر السرية التي تصدر عن دار المندوب السامى شرا من كل استسلام سبق من الحكومات المصرية للسيطرة الانكليزية في عهد الحماية وأشد ما كان قبلها من وطأة الاحتلال ، حتى كادت تقضي على المالية المصرية وتجعل النهوض بأعباء الاستقلال متى تم متعذرا، وكان شر أعمالها قانون التضمينات الذي أجاز للسلطة الانكليزية كل ما فعلته في زمن الحرب من تقتيل وتغريم وتغريب وتخريب وتصرف فيما لك الحكومة والامة والاجانب في بلاد مصر بحيث لا تجوز

(١) العبقر النادر المثال من انسان وغيره وقد قيل في عمر (رض) لم ار عبقريا مثله. والاحوذي الذي يسوق الامور احسن مساق لعلمه بها والشمري بتشديد المعجمة المكسورة والميم المشمر للامور المجرب ذو المضاء فيها

مطالبتها ولا مقاضاتها في شيء منها ، وكان هذا موقوفا على المفاوضات المؤجلة ، وكذا قانون المكافآت التي تعطى لمن يترك خدمة الحكومة المصرية من الانكليز فكانت تعطي الالوف الكثيرة من الجنيهات لمن يستقيلون من وظائفهم حتى التي تنوطها الوزارة بآخرين منهم أو تنوط بهم غيرها فمال الحكومة يذهب سدى ثم قيدت الوزارة هذه المطايا بقانون ليكون حقا ثابتا لا ينقض . وقد وفت الجرائد الوطنية ذلك حقه من النقد

نتيجة الاطوار السابقة

علمت الحكومة البريطانية في عهد وزارة عبد الخالق ثروت باشا أن ما عدته منتهى الجود على مصر من إلغاء الحماية، والاعتراف لها بالاستقلال والسيادة ، وما رأته من منتهى الشدة والحزم في إدارة أمر البلاد من قبل وزارة موالية لها، ومن شدة قسوة السلطة العسكرية البريطانية في التنقيب عن المعتدين على رجالها، — لم يرض الرأي العام المصري بل لم يزده الا تماديا في عداوتها، وجرأة على اغتيال رجالها ، وان نفوذ الوفد المصري الممثل في شخص رئيسه الزعيم الاوحد لا يعلوه نفوذ ، فعادت الى وضع سياسة الحكمة في موضع تحكم السلطة العسكرية والغشمرة الاستعمارية — فطفقت تفرج عن المعتقلين من أعضاء الوفد وأمرت بنقل الزعيم من معقل جبل طارق الى حيث شاء من أوربة وكانت قد جاءت به من جزيرة (سيشل) اليه مراعاة لصحته اذ خشيت أن يموت فيعتقد المصريون أنها قتلته أو عرضته الموت عمدا — وكان قد سعى له بذلك بعض رجال الانكليز وفي مقدمتهم صديقه رئيس حزب العمال البريطاني الذي هو رئيس الوزارة الانكليزية اليوم — نقل من جبل طارق الى فرنسة فزاره فيها هذا الرئيس مرتين . ثم لما دنا موعد انتخاب أعضاء مجلس النواب المصري سمح له بالعودة الى مصر، حتى لا يقال إن الانتخاب لم يكن حرا وان المجلس النيابي الذي يقرر الاتفاق مع الدولة البريطانية لا يمثل الامة المصرية

عاد الزعيم الى وطنه والكثير من الناس يظنون أن حزب الاحرار المعتدلين قد انتظم أمره ، واشتد أزره ، وان الحزب الوطني قد نشط من الخمول الذي

كان قد عرض له ، وشرع بعد إلغاء الاحكام العرفية يجدد نفوذه ، وان الوفد المصري قد صار حزبا مثلهما ولم يبق رئيسه زعيما للامة بأسرها، وان زعامته الحقيقية لا تعدو طلاب المدارس وجمهور المحامين ، وأما كبار الاغنياء والمتحلين بالرتب الفخمة والالقاب الضخمة ، وأكثر رجال الحكومة ، فهم عليه لا له ولا معه ، وان أكثر الفلاحين معلقة ارادتهم بارادة العمد الذين هم آلة في أيدي مأموري المراكز الذين يديرهم المديرون كما تشاء وزارة الداخلية ، وان لعدلي باشا وقد صار مديرا للبنك العقاري نفوذا كنفوذ الحكومة في نفس فريق كبير من الاغنياء، وهم الذين رهنوا أطيانهم لهذا البنك فهم يرجون رضاه ، ويهابون شذاه

وكان جمهور رجال الانكليز في مصر يرون هذا الرأي ويعتقدون هذا الاعتقاد — فما سمح الانكليز لسعد بالعودة الى مصر الا وهم يحسبون أن عودته تزيد التفرق والشقاق احتداما، ولا يكون هو الجواد السابق الذي يربح السبقة

وكان جمهور المصريين المستقلين في الرأي غير المتحيزين لفئة ولا شخص يخشون من عاقبة الشقاق في هذا العهد، فوق ما كان من سوء عاقبته من قبل، ويرون أن الخطة المثلى أن يبدأ الزعيم الاكبر بدعوة خصومه الى الاتفاق والاتحاد ليكون البرلمان المصري قوة متحدة أمام الدولة البريطانية القوية في كل شيء، وهو لا يملك غير قوة الوحدة، فلما لم يفعل قنطوا منه، وانطلقت ألسنة بعضهم بعذله وتخطئته ، وتشاءموا من سوء المصير ، ولكن الشؤم والسعد ضدان لا يجتمعان،

وأما رأي سعد باشا ورجال الوفد فهو أن جمهور الامة الاعظم معهم فاذا هم أعلنوا له أنهم متفقون مع زعماء هذه الاحزاب بعد أن كانوا هم الذين أحدثوا الشقاق في الوفد وصدعوا بناء وحدة الامة . وان انتخابهم أعضاء لمجلس النواب كانتخاب رجال الوفد ومن يرشحه سواء — فانهم ينالون بنفوذ الوفد ورئيس الامة كثيرا من الاعضاء ، ويحسبون أو يدعون بعد ذلك أنهم انما نالوا ذلك بنفوذهم والثقة بأحزابهم ، ويوقعون الشقاق في مجلس الامة كما أوقعوه في وفدها من قبل ، فتكون هي القاضية على الامة ، لان هذا المجلس هو الممثل الرسمي لها الذي لا يمكن أن يكابر فيه الانكليز كما كابروا في تمثيل الوفد ، إذ ادعوا أنه حزب

لا قوة له الا تلاميذ المدارس الاغرار . وقد أجمع الناس على أن الشقاق الذي حصل في الوفد وفرق الكلمة كان أضر ما منيت به الامة ، ولكن وجد شيء من الخلاف فيمن تلقى عليهم التبعة ، فينبغي أن يجمعوا أيضا على أن تلافي ذلك الشقاق وما ترتب عليه من ارهاق البلاد بالتنكيل والتغريب والتعذيب وسفك الدماء ومصادرة الاموال لا علاج له الا تأليف مجلس النواب من المتفقين في المشرب السياسي وعلى الزعيم السياسي ، وهو لا يرجى ممن وصل بينهم الخلاف والشقاق الى الحد المعروف بين الوفديين وبين العدليين ومن شايعهم من جماعة الحزب الوطني .

واذا كان الامر كذلك فالمعقول أن يجتهد كل فريق أن ينال في الانتخاب الاكثرية العظمى التي تمكنه من حل القضية المصرية بما يرى أنه هو الذي تطلبه الامة التي تمنحه ثقتها .

وقد جرى الانتخاب على هذه القاعدة فتبارى كل فريق في السعي لانتخاب رجاله الذين رشحهم وفي الطعن في خصمه بالنشر في الجرائد ، وبالقاء الخطب في المحافل ، وكانت حرية كل منهم تامة لم تعارضها الحكومة ولا الامة ، ولكن جميع أهل الفضل ولا سيما المستقلين في الرأي كانوا متألمين من القدح بهجر القول والتمادي في المطاعن الشخصية . وقد قال سعد باشا كلمة في خطبة له أراد أن تكون فصل الخطاب ، وهي : « لهم السباب ، ولنا مقاعد النواب »

تم الانتخاب في القطر كله وأعلنت الحكومة نتيجته فكانت الاكثرية الساحقة في جانب الوفد المصري ، وظهر ان مجلس النواب سعدي وأي سعدي ، فان بعض الاعضاء الذين لم يرشحهم الوفد — وقليل ما هم — كانوا يذهبون الى سعد باشا مهنئين له بفوزه ، معترفين برياسته وزعامته ، ثم اتفق جمهورهم على إقامة حفلة له جمعوا نفقتها بالاكتتاب من أنفسهم ، فحضرها ٢٠٠ وتخلف عنها ١٠ اعتذر بعضهم ، وقد ألقى عليهم خطبة تاريخية أودعها مجمل برنامجه السياسي لمجلسهم فصفقوا لها وأجمعوا عليها ، وعدوها كبرنامج سياسي شبه رسمي لمجلس الامة ، وقد صرح فيها بأنه لم يبق لوزارة يحيى باشا ابراهيم مندوحة عن الاستقالة

فلم تلبث هي أن ستقالت وتلاها طلب الملك لسعد باشا ومذاكرته مشافهة في تأليف الوزارة بعد بحث طويل سبق للوفد في المسألة وتقريره قبول الرئيس للوزارة فقبل وهذا نص الوثائق الرسمية للوزارة السعدية

وزارة سعد باشا زغلول

أمر ملكي رقم ١٤ لسنة ١٩٢٤

عزيزي سعد زغلول باشا

لما كانت آمالنا ورغائبنا متجهة دائما نحو سعادة شعبنا العزيز ورفاهته، وبما أن بلادنا تستقبل الآن عهدا جديدا من أسمى أمانينا أن تبلغ فيه ما نرجوه لها من رفعة الشأن وسمو المكانة، ولما أنتم عليه من الصدق والولاء، وما تحققناه فيكم من عظيم الخبرة والحكمة وسداد الرأي في تصريف الامور، وبما لنا فيكم من الثقة التامة - قد اقتضت ارادتنا توجيه مسند رئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرياسة الجليلة لعهدتكم

وأصدرنا أمرنا هذا لدولتكم للاخذ في تأليف الوزارة وعرض مشروع هذا التأليف علينا لصدور مرسومنا العلي به

ونسأل الله جلت قدرته أن يجعل التوفيق رائدنا فيما يعود على بلادنا بالخير والسعادة انه سميع مجيب (فؤاد)

صدر بسراي عابدين في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٢ — في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٤

﴿ بيان الوزارة واسماء الوزراء ﴾

هذا هو البيان الذي قدمه سعد باشا زغلول لجلالة الملك

مولاي صاحب الجلالة :

ان الرعاية السامية التي قابلت بها جلالتكم ثقة الامة ونوابها بشخصي الضعيف توجب علي والبلاد داخلة في نظام نيابي يقضي باحترام ارادتها وارتكاز

حكومتها على ثقة وكلاءها ألا أتنحى عن مسؤولية الحكم التى طالما تهيبتها في ظروف أخرى ، وأن أشكل الوزارة التي شاءت جلالتكم تكليفي بتشكيلها من غير أن يعتبر قبولي لتحمل أعبائها اعترافا بأية حالة أو حق استنكره الوفد المصري الذي لا أزال متشرفا برياسته

ان الانتخابات لاعضاء مجلس النواب أظهرت بكل جلاء اجماع الامة على تمسكها بمبادىء الوفد التي ترمي الى ضرورة تمتع البلاد بحقها الطبيعي في الاستقلال الحقيقي لمصر والسودان مع احترام المصالح الاجنبية التي لا تتعارض مع هـذا الاستقلال كما ظهرت شدة ميلها للعفو عن المحكوم عليهم سياسيا ونفورها من كثير من التعهدات والقوانين التي صدرت بعد ايقاف الجمعية التشريعية ونقصت من حقوق البلاد وحدت من حرية أفرادها وشكواها من سوء التصرفات المالية والادارية ، ومن عدم الاهتمام بتعميم التعليم ، وحفظ الامن ، وتحسين الاحوال الصحية والاقتصادية ، وغير ذلك من وسائل التقدم والعمران . فكان حقا على الوزارة التي هي وليدة تلك الانتخابات وعهداً مسئولا منها أن توجه عنايتها الى هذه المسائل الاهم فالمهم منها ، وتحصر أكبر همها في البحث عن أحكم الطرق وأقربها الى تحقيق رغبات الامة فيها ، وازالة أسباب الشكوى منها ، وتلافي ما هنالك من الاضرار مع تحديد المسئوليات عنهـا ، وتعيين المسئولين فيها . وكل ذلك لا يتم على الوجه المرغوب الا بمساعدة البرلمان . ولهذا يكون من أول واجبات هذه الوزارة الاهتمام باعداد ما يلزم لانعقاده في القريب العاجل وتحضير ما يحتاج الامر اليه من المواد والمعلومات لتمكينه من القيام بمهمته خطيرة الشأن

ولقد لبثت الامة زمانا طويلا وهي تنظر الى الحكومة نظر الطير للصائد ، لا الجيش للقائد ، وترى فيها خصما قديراً يدبر الكيد لها ، لا وكيلا أمينا يسعى لخيرها وتولد عن هذا الشعور سوء تفاهم أثر تأثيرا سيئا في ادارة البلاد وأعاق كثيرا من تقدمها ، فكان على الوزارة الجديدة أن تعمل على استبدال سوء هـذا الظن بحسن الثقة في الحكومة (١) وباقناع الكافة بأنها ليست الا قسما من الامة تخصص لقيادتها ، والدفاع

(١) المراد أن يكون حسن الثقة بالحكومة بدلا من سوء الظن فجرى التعبير على العرف الغالب في هذا العصر في مادة الاستبدال والتبدل وهو عكس الثابت في اللغة

عنها ، وتدبير شؤونها بحسب ما يقتضيه صالحها العام . ولذلك يلزمها أن تعمل ما في وسعها لتقليل سباب النزاع بين الافراد و بين العائلات واحلال الوئام محل الخصام بين جميع السكان على اختلاف أجناسهم وأديانهم كما يلزمها أن تبث الروح الدستورية في جميع المصالح ، وتعود الكل على احترام الدستور والخضوع لاحكامه وذلك انما يكون بالقدوة الحسنة وعدم السماح لاي كان بالاستخفاف بها والاخلال بما تقتضيه

هذا هو بروجرام وزارتي وضعته طبقا لما أراه وتريده الامة شاعرا كل الشعور بان القيام بتنفيذه ليس من الهنات الهينات خصوصا مع ضعف قوتي واعتلال صحتي ودخول البلاد تحت نظام حرمت منه زمنا طويلا . ولكني أعتمد في نجاحه على عناية الله وعطف جلالتكم وتأييد البرلمان ومعاونة الموظفين وجميع أهل البلاد ونزلائها

فأرجو اذا صادف استحسان جلالتكم أن يصدر المرسوم السامي بتشكيل الوزارة على الوجه الآتي :

سعد زغلول باشا	للرئاسة ووزارة الداخلية
محمد سعيد باشا	لوزارة المعارف
محمد توفيق نسيم باشا	لوزارة المالية
أحمد مظلوم باشا	لوزارة الاوقاف
حسن حسيب باشا	لوزارة الحربية والبحرية
فتح الله بركات باشا	لوزارة الزراعة
مرقص بك حنا	لوزارة الاشغال
مصطفى النحاس بك	لوزارة المواصلات
واصف بطرس غالى افندي	لوزارة الخارجية
محمد نجيب الغرابلى افندي	لوزارة الحقانية

وأدعو الله أن يطيل في أيامكم ويعد في ظلالكم حتى تنال البلاد في عهدكم كل ماتتمناه من التقدم والارتقاء

واني على الدوام شاكر نعمتكم وخادم سدتكم سعد زغلول

وقد صدر أمر المرسوم الملكي باعتماد هذا البيان والتشكيل الذي فيه للوزارة بتاريخه

أصبح سعد باشا زغلول رئيس هذه الأمة ورئيس حكومتها، وكان فضل الله عليه بهذا عظيما، وما يجب عليه من الشكر عظيما، وإنما الشكر على هذا الفضل بتحري إقامة ميزان الحق والعدل، ومراعاة المصلحة العامة بدون محاباة أحد من جماعة أو فرد، وإن كان من أفراد الوفد، لا أن يكون المرجح له على مساويه زيادة الثقة بإخلاصه ومبادئه، وأرى أنه قد آن لسعد باشا أن يري العالم بأعماله أنه الأب الحكيم الرحيم لهذا الشعب، وإن من عقه من أبنائه لم يقطعه من شجرة نسبه، بل يكون أحرص على عودته إلى البر من حمله على التمادي في العقوق، وأن يترفع عن الانتقام لنفسه ويتأسى ما استطاع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين ظفر بزعماء قومه ودخل عليهم عاصمتهم أم القرى فاتحا، بعد أن كانوا يسيرون إليه الجيوش لقتاله في دار هجرته، بإغراء أبي سفيان عدوه وعدو عشيرته، وقد قال يومئذ «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» (رواه مسلم)

ويجب على كل مخلص للبلاد من خصوم سعد والوفد أن يؤيد ما استطاع هذه الحكومة ورئيسها، ولا يدع سبيلا لإساءة ظنه فيه، ولا يشترط في ذلك عصمتها من الخطأ، ولا قدرتها على كل عمل، ولا يجعل ما يقترح عليها من إصلاح، وسيلة للمعاجزة والإرهاق، وجملة ما أريده من الساخطين والمعارضين الذين يعتقدون أنهم مخلصون في معارضتهم أن يجتهدوا في محاسبة أنفسهم وتمحيص نيتهم في كل معارضة وكل انتقاد فإن السخط يري النفس الأشياء بغير لونها، ويجليها لها في غير صورتها. وأمامي النية ومتبع الهوى، فالنصح له بهذا سدى

وإني أرى — وأنا مستقل الرأي، بعيد عن الهوى والتحيز إلى أي حزب — أن الفرصة التي سنحت لمصر بهذه الوزارة ومكانتها من الأمة الممثلة في (برلمانها) ومن ملكها، وبصيرورة الوزارة البريطانية إلى حزب العمال وما بين رئيس وزارتنا ورئيس وزارتها من التعارف والثقة — أرى أن هذه الفرصة أمثل الفرص وأقرب الوسائل الممكنة لحل عقدة التنازع بين مصر وبريطانية أو اليأس من وصول هذه البلاد إلى حقها بالأساليب السياسية، ولا بد حينئذ من إفضاء الفشل إلى ثورة عامة طامة لا يعلم مبدأها ومنتهاها وعاقبتها إلا الله تعالى

فيأيها الظاهرون اتقوا الغرور بظفركم، وأيها المعارضون الساخطون صححوا نياتكم وحاسبوا أنفسكم، وافسحوا لهذه الحكومة في مجال العمل يفسح الله لكم وتأملوا قوله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره)

تقريظ المطبوعات

﴿ الوفاق ﴾ جريدة أسبوعية سياسية اجتماعية أدبية أنشئت في (بوتن زورغ جاوه) مديرها المسئول « محمد بن محمد سعيد الفتة » وقد جاء في فاتحة العدد الاول منها ان الغاية منها ربط علائق الودية وتوطيد دعائم الجامعة والوفاق ونشر الحقائق وبث التعارف والتعاون على البر والتقوى ومؤازرة مجلة الجامعة الاسلامية الهندية) وفي سائر ما وصل الينا من أعدادها مباحث في شؤون العالم الاسلامي وبيان ما جاء عليه ملك الحجاز السيد حسين بن علي مفصلا تفصيلا وقيمة الاشتراك فيها عشر روبيات في جزائر جاوه الهندية الشرقية وخمس عشرة (أي جنيه انكليزي) في سائر البلاد فنتمنى لها التوفيق والرواج

﴿ حضرموت ﴾ « جريدة اسبوعية وطنية تبحث في السياسة والاجتماع صاحبها ومديرها المسئول السيد عيدروس المشهور ورئيس تحريرها السيد محمد ابن هاشم — تصدر في جزيرة سربايا (جاوه) الغرض الاول حض الحضرميين الكثيرين في جزائر جاوه على العناية بأمر وطنهم « حضرموت » والسعي لعمرانه واصلاح شؤونه كما صرح به في فاتحة عددها الاول على أنها لا مندوحة لها عن جعل حال الاسلام في جاوه ثم في غيرها في الدرجة الاولى من مباحثها — وهو ما نراه في كل عدد منها في هذا الزمن الذي تساعد فيه الحكومة الهولندية دعاة النصرانية على هدم الاسلام فيها، فنسأل الله تعالى أن يقرن سعيها بالتوفيق وينفع البلاد والعباد بها، وأنه ليسرنا ظهورها وظهور رفيقتها الوفاق والذخيرة في هذه البلاد في هذا الوقت ونتمنى ان يحدث حالي العرب في جاوه همة سلفهم الصالح الذين نشروا الاسلام في تلك البلاد فيتمموا من حفظه وتجديده بما

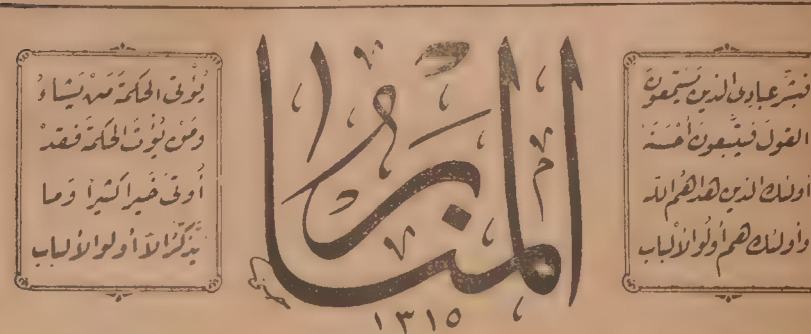
يقتضيه حالة العصر

﴿ الشرق والغرب ﴾ جريدة أسبوعية مصورة تصدر في مدينة (سنتياغورل استارو) من (الارجنتين) رئيسة تحريرها الاديبة السورية الشهيرة لبيبة هاشم منشئ، مجلة ﴿ فتاة الشرق ﴾ التي لاتزل تصدر باسمها في مصر ومديرها العام ملحم افندي خير الله ، وموضوعها يعرف من اسمها ، هي تؤيد النهضة العربية الادبية ، ويسرنا أن عرف اخواننا السوريون لهذه الاديبة البارعة قدرها ، وشدوا أزرها ، وما زلنا نرى في كل عدد منها أسماء كثيرين يشتركون فيها لانفسهم ولغيرهم ويدفعون قيمة الاشتراك سلفا عن سنة أو أكثر

﴿ الدعوة الى انتقاد المنار والمواد المتأخرة لدينا ﴾

إننا نذكر قراء المنار من أهل العلم الديني وأولي الرأي في مصالح لامة بما التزمنا الدعوة اليه في فاتحة كل مجلد من الكتابة الينا بما يرونه منتقدا في المنار لمخالفته للحق أو المصلحة العامة لاعانتنا على هذه الخدمة وقياما بما شرعه الله تعالى من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد ضاق الجزء الاول من هذه الدعوة اذ عرض لنا في أثناء كتابة فاتحته أن ننشر فيها مايناسب الحالة الحاضرة من مقصورتنا وكنا تركنا لها كراسة واحدة وطبعنا مابعدها ، فضاقت الكراسة عن كل ما أردنا نشره من المقصورة وعن الدعوة الى الانتقاد . كما ضاق ذلك الجزء ثم هذا عن نشر ما كتبناه من انتقاد سابق علينا من الشيخ عبد الظاهر ، ومن صاحب مجلة السعادة ، وعن ترجمة صديقنا الشيخ مهدي أستاذ الادب المشهور رحمه الله تعالى ، وغير ذلك من المواد التي جمعت حروفها ، وموعدنا بها الجزء الثالث ان شاء الله تعالى

(ملحوظة) في ص ٩٧ س ٢٤ سقطت كلمة (على) من قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم) الآية



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ شعبان ١٣٤٢ — ١٤ الحمل ١٣٠٣ هـ ش — ٤ مارس ١٩٢٤

تفسير القرآن الحكيم

(١٠٢) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ
فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ
مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَلَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ
لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ
مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّدِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
مُبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِرِينَ (١٠٨) قَالَ
الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ
مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ

حشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِرٍ عَلِيمٍ

﴿ قصة موسى عليه الصلاة والسلام ﴾

هو موسى بن عمران بكسر العين واهل الكتاب يضبطون اسم والده بالميم في آخره (عمرام) وبفتح أوله ، وجميع الامم القديمة والحديثة تتصرف في نقل الاسماء من لغات غيرها إلى لغتها. ومعنى كلمة «موسى» المنتاش من الماء أي الذي أنقذ منه، وروى أبو الشيخ عن ابن عباس أنه قال: انما سمي موسى لانه ألقي بين ماء وشجر ، فالماء بالقبطية «مو» والشجر «سى» . وذلك أن أمه وضعته بعد ولادته في تابوت (صندوق) أقفلته إقفالا محكما وألقته في اليم (بحر النيل) خوفا من فرعون وحكومته أن يعلموا به فيقتلوه إذ كانوا يذبحون ذكور بني اسرائيل عند ولادتهم ويتركون إناثهم — وقالت لاخته قصيه أي تتبعيه لتعلم اين ينتهي ومن يلتقطه، حتى لا يخفى عليها أمره، فما زالت أخته تراقب التابوت على ضفاف اليم حتى رأت آل فرعون ملك مصر يلتقطونه الى آخر ما قصه الله تعالى من خبره في سورة القصص

وقد ذكرت قصته في عدة سور مكية بين مطولة ومختصرة أولها هذه السورة (الاعراف) فهي أول السور المكية في ترتيب المصحف التى ذكرت فيها قصته، ومثلها في استقصاء قصته طه والشعراء ويليها سائر الطواسين الثلاثة (النمل والقصص) وقد ذكر بعض العبر من قصته في سور كثيرة اخرى كيونس وهود والمؤمنين، وذكر اسمه في سور كثيرة غيرها بالاختصار ولا سيما المكية وتكرر ذكره في خطاب بنى اسرائيل من سورة البقرة المدنية وذكر في غيرها من الطول والمئين والمفصل حتى زاد ذكر اسمه في القرآن على ١٣٠ مرة فلم يذكر فيه نبي ولا ملك كما ذكر اسمه

وسبب ذلك أن قصته أشبه قصص الرسل عليهم السلام بقصة خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله من حيث انه أوتي شريعة دينية دنيوية، وكون الله تعالى به أمة عظيمة ذات ملك ومدنية، وسنبين ما فيها وفي غيرها من حكم التكرار واختلاف التعبير في مواضعها ان شاء الله تعالى

قال الله تعالى ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه ﴾

هذه القصة معطوفة على جملة ما قبلها من القصص من قوله تعالى (لقد أرسلنا نوحا) الى قوله (والى مدين أخاهم شعيباً) - القصة ، فهي نوع وهن نوع آخر ، والفرق بين النوعين أن تلك القصص متشابهة في تكذيب الاقوام فيها لرسلهم ومعاندتهم إياهم وإيذائهم لهم ، وفي عاقبة ذلك باهلاك الله تعالى اياهم بعذاب الاستئصال ولذلك عطف كل واحدة منهن على الاولى بدون إعادة ذكر الارسال للايذان بأنها نوع واحد فقال (والى عاد أخاهم هوداً .. والى ثمود أخاهم صالحاً ... ولوطاً ... والى مدين أخاهم شعيباً) وقد أعاد في قصة موسى ذكر الارسال للتفرقة ولكن بلفظ البعث وهو أخص وأبلغ من لفظ الارسال لانه يفيد معنى الاثارة والازعاج الى الشيء المهم ، ولم يذكر في القرآن الا في بعث الموتى وفي الرسالة العامة أي بعث عدة من الرسل ، وفي بعثة نبينا وموسى خاصة ، وكذا في بعث نقباء بني اسرائيل وبعث من انتقم منهم وعذبهم وساماهم حين أفسدوا في الارض. فالتعبير بلفظ البعث هنا يؤكد ما افادته اعادة العامل من التفرقة بين نوعي الارسال - أعني أن لفظه الخاص مؤكد لمعناه العام - كما يؤكدها عطف هذه القصة على أولئك بثم التي تدل على الفصل والتراخي إما في الزمان وإما في النوع أو الرتبة والاخير هو المراد هنا. وبيانه ان هذا الارسال وما ترتب عليه وأعقبه في قوم موسى مخالف لجملة ماقبله مخالفة تضاد فقد أنقذت به أمة من عذاب الدنيا وهو تعبيد فرعون وملئه لها وسومهم إياها أنواع الخزي والنكال ، واهتدت الى عبادة الله تعالى وحده وإقامة شرعه فأعطاها في الدنيا ملكا عظيما ، وجعل منها أنبياء وملوكا ، وأعد بذلك المهتدين منها السعادة الآخرة الباقية فأين هذا الارسال من ذلك الارسال ، الذي أعقب اقوام اولئك الرسل في الدنيا عذاب الاستئصال ، وفي الآخرة ماهو أشد وأبقى من الخزي والنكال ؟ وقد يظهر للتراخي الزماني وجه باعتبار كون العطف على قصة نوح فان ماعطف عليها من قصص ومن بعده قد جعل تابعاً ومتمما لها بعدم إعادة العامل « ارسلنا » كما تقدم آنفاً ، وإلا فان شعيباً وهو آخر أولئك الرسل كان في زمن موسى وهو حموه ، وقد أوحى الله تعالى الى موسى وهو لديه مع زوجه وأولاده في سيناء وارسله منها الى فرعون وملئه لانقاذ بني اسرائيل من حكمه وظلمه.

ويؤيد ذلك كله أن الله تعالى ذكر إرسال نوح في سورة يونس وقفى عليه بقوله: (ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم) الخ وقال بعد هذا (ثم بعثنا من بعدهم

موسى وهرون الى فرعون وملئه) ومن المعلوم عقلا واستنباطاً أن التراخي بين بعثة نوح ومن بعده من الرسل زماني إذ كان بعد تناسل الذين نجوا معه في السفينة وتكاثرهم وصيرورتهم شعوبا وقبائل ، وهذا الاجمال في سورة يونس في الرسل مبني على التفصيل الذي سبقه في سورة الاعراف التى نزلت قبلها أو هو اعمّ منه فان الامم قد كثرت بين نوح وموسى عليهما السلام وقد قال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا) وقال لخاتم رسله (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وقد بينا حكمة تخصيص من ذكر في هذه السورة منهم بالذكر وكذا من ذكر في سورة الانعام وغيرها

والمعنى ثم بعثنا من بعد اولئك الرسل موسى بآياتنا التى تدل على صدقه فيما يبلغه عنا الى فرعون وملئه . اما فرعون فهو لقب لملوك مصر القدماء كلقب قيصر لملوك الروم وكسرى لملوك الفرس الاولين و « الشاه » لملوك الايرانيين في هذا العصر ، وكانوا يطلقون على فرعون لقب الملك أيضاً . واختلف في اشتقاق كلمة فرعون ومعناه ، وفي اسم فرعون موسى وزمنه ، وليس في الآثار المصرية ما يبين هذا واما ملؤه فهم اشراف قومه ورجال دولته ، ولم يقل الى فرعون وقومه لان الملك ورجال الدولة هم الذين كانوا مستعبدين لبنى اسرائيل وبيدهم امرهم وليس لسائر المصريين من الامر شيء لانهم كانوا مستعبدين ايضا ولكن الظلم على بنى اسرائيل الغرباء كان اشد، وانما بعث الله تعالى موسى لانقاذ قومه بنى اسرائيل من فرعون ورجال دولته وإقامة دين الله تعالى بهم في بلاد أجدادهم ، ولو آمن فرعون وملؤه لآمن سائر قومهم لانهم كانوا تبعاً لهم بل كان هذا شأن جميع الاقوام مع ملوكهم المستبدين الجائرين، وقد علم الله تعالى ان فرعون وملأه لايؤمنون بموسى وان قومه تبع له لا اختيار لهم وا كثرهم مقلدون ولذلك قتل السحرة لما آمنوا بموسى، وانما آمنوا لانهم كانوا علماء مستقلي العقل اصحاب فهم وراي، وكان السحر من علومهم وفنونهم الصناعية التى تتلقى بالتعليم وليس كالآيات التي جاء بها موسى فانها من خوارق العادات التى لا يقدر عليها إلا الله تعالى

وقد اقام الله تعالى الحجة بآيات موسى على فرعون وملئه ﴿ فظلموا بها ﴾ اي فظلموا انفسهم وقومهم بالكفر بها كبراً وجحوداً فكان عليهم إثم ذلك وإثم قومهم الذين حرموا من الايمان باتباعهم لهم، كما كان يكون لهم مثل اجورهم لو

آمنوا بالتبع لهم، وجملة القول ان موسى عليه السلام كان مرسلا الى قومه بني اسرائيل بالذات والى فرعون وملئه بالتبع ، ولك ان تقول ان الارسال الى بني اسرائيل مقصد والى فرعون وملئه وسيلة . وقد عدي الظلم في الجملة بالباء لتضمينه معنى الكفر فصار جامعاً للمعنيين ولا يصح تفسيره بأحدهما اذ لو اريد احدهما لعبر به ولم يكن للتضمين فائدة . وقيل ان الباء في قوله فظلموا بها للسببية اي فظلموا انفسهم وقومهم بسبب هذه الآيات ظلما جديداً وهو ما ترتب على الجحود من العذاب بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ثم بالغرق كما سيجيء في محله. والاول اظهر وابلغ على انه لا تنافي بينهما في المعنى

﴿ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ اي فانظر ايها الرسول — او ايها السامع والتالي بعين العقل والشكر كيف كان عاقبة فرعون وملئه المفسدين في الارض بالظلم واستعباد البشر حين جحدوا آيات الله وظلموا بها عملا بمقتضى فسادهم . وهذا تشويق لتوجيه النظر لما سيقصه تعالى من عاقبة امرهم اذ نصر عبده ورسوله موسى عليهم وهو فرد من شعب مستضعف مستعبد لهم، وهم اعظم اهل الارض دولة وصولة وقوة، نصره عليهم اولا بابطال سحرهم وإقناع علمائهم وسحرتهم بصحة رسالته وكون آياته من الله تعالى، ثم نصره بارسال انواع العذاب على البلاد ثم بانقاذ قومه وإغراق فرعون ومن اتبعه من ملئه وجنوده. وهذه عبرة ظاهرة وحجة قائمة مدة الدهر، على القائلين انما الغلب للقوة المادية على الحق، ولا سيما المغرورين بعظمة دول اوربة الظالمة لمن استضعفتهم من اهل الشرق، وعلى اولئك الباغين بالاولى، فأولى لهم اولى، ثم اولى لهم اولى

بعد هذا التشويق والتنبيه قص تعالى علينا ما كان من مبدإ أمر اولئك المفسدين الذى انتهى الى تلك العاقبة فقال : ﴿ وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين * حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بنى اسرائيل ﴾ نبدأ بما فى هذه الآية من المباحث اللفظية والقراءات ونكت البلاغة لنفهم عبارتها كما يجب ويكون سياق القصة بعد ذلك متصلا بعضه ببعض ، وفيها بحثان دقيقان أحدهما بدء القصة بالعطف وكونه بالواو ،والثانى قول موسى (ع.م) (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) لم أر من تكلم على وجه بدء الآية بالعطف وبيان المعطوف عليه والتفرقة

بينها وبين مثلها من سياق القصة في سورة طه اذ قال بعد أمر موسى بالذهاب مع أخيه هرون الى فرعون وتبليغه الدعوة مبينا كيف كان امتثالهما للامر (إنا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى) فجاء به مفصولا على وجه الاستئناف البياني غير موصول بالواو ولا بالفاء ، ومثله في الفصل قوله تعالى في القصص التى قبل قصة موسى من هذه السورة (والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله) وكذا ما بعده من قصة صالح ولوط وشعيب ، ولم يقل فقال او وقال ولكنه عطف تبليغ نوح (ع م) قبلها بالفاء (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) الآية وقد بينا الفرق بين هذا الوصل وما بعده من الفصل في قصة هود عليه السلام

والحاصل ان لدينا هنا عطفا بالفاء في قصة نوح وعطفا بالواو في قصة موسى وفصلا بيانيا في القصص التى بينهما يشبهه الفصل في قصة موسى في سور اخرى وله نظائر كثيرة . فأما الاول فعطف التبليغ فيه على الارسال بالفاء لافادة التعقيب وعدم جواز تأخير تبليغ الدعوة . واما الفصل في القصص بعده فلانه لما صار هذا معلوما وكان ما جرى من امر قوم نوح عبرة لقوم هود وكانا معا عبرة لقوم صالح وهلم جرا ـ حسن في كل قصة من هذه الفصل على انه جواب لسؤال مقدر، كان قائلا يقول في كل منها ماذا كان من امر هذا النبي مع قومه؟ كما تقدم بيانه . واما الاخير الذي نحن بصدده فوجه العطف فيه وكونه بالواو هو أنه قد قفي في قصة موسى هنا على ذكر إرساله الى فرعون وملئه بذكر نتيجة هذا الارسال وعاقبته بالاجمال وهو قوله تعالى (فظلموا بها) الخ ، وبدئت القصة بعده بتفصيل ذلك الاجمال ومقدمات تلك النتيجة، فكان المناسب أن يعطف عليها لا ان يستأنف استئنافا بيانيا لما هو ظاهر من الاشتراك بين المقدمات والنتيجة ، أو بين التفصيل والاجمال — وأن يكون العطف بالواو لا بالفاء لان الفاء تدل على التعقيب والترتيب وهو لا يصح هنا لانه يقتضي أن تكون المقدمات متأخرة عن النتيجة وذلك باطل بالبداهة ، فتعين أن يكون العطف بالواو ، وهذه دقة في البلاغة لا يهتدى الى مثلها الا غواصو بحر البيان ، ولا يكادون يجدون فرائدها الا في أسلوب القرآن، واعجب للامام الزمخشري كيف غفل عنها اذ لم يتعرض للمسألة من أصلها

وحكمة بدء القصة بذكر نتيجتها والعبرة المقصودة منها، هي — والله أعلم — أن تكون متصلة بما يناسبها من العبرة في القصص التى قبلها، من حيث إهلاك معاندي الرسل عليهم السلام جحوداً واستكباراً، وقد ذكرت هذه العبرة بعد جملة تلك القصص لتشابهها مبدأً وغاية كما تقدم، وقصة موسى (ص) طويلة فهي تساويها في هذا من حيث رسالته الى فرعون وملئه فقط. وفيها عبر أخرى فيما تشابه به أمر خاتم الرسل (ص) من حيث إرساله الى بنى اسرائيل وإرسال محمد خاتم النبيين الى العرب وسائر البشر وتوفيق الله قومهما للايمان ونشر شريعتهما فيمن أرسلا اليهم - الى آخر ما بيناه آنفا في نكتة عطفها على ماقبلها بثم ونكتة التعبير ببعثنا، ولذلك ذكر في اواخرها تبشير موسى وكذا عيسى بالنبي الامي الخاتم محمد صلوات الله عليهم أجمعين

وأما قوله (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) على قراءة الجمهور فقد جاء على غير المشهور عن العرب في هذه الكلمة اذ يقولون: أنت حقيق بكذا — وأنت حقيقة بأن تفعلي كذا، كما يقولون أنت جدير به وخليق به، ولم ينقل عنهم استعماله بعلى، ولكن ورد في كلامهم استعمال «على» بمعنى الباء كقولهم: اركب على اسم الله — وهو الذي اعتمده ابن هشام في المغني في تخريج الآية عند ذكر المعنى السابع من معاني «على» الجارة وأيده بقراءة أبيّ بن كعب رضي الله عنه (حقيق بأن لا أقول) ومثلها قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (حقيق أن لاأقول..) لان المتبادر أن الجار المحذوف من أن هو الباء وحذف الجار من أن الخفيفة وأن المشددة قياسي معروف. وقد سبقه الى هذا الاختيار بعض المفسرين: قال الحافظ ابن كثير في الجملة عن بعضهم: معناه حقيق بأن لاأقول على الله الا الحق، أي جدير بذلك وحري به قالوا والباء وعلى يتعاقبان يقال رميت بالقوس وعلى القوس وجاء على حال حسنة وبحال حسنة. وقال بعض المفسرين معناه حريص على ان لاأقول على الله الا الحق اه والمراد من القول الثاني أن حقيقاً قد ضمن معنى الحرص وهو منقول عن الفراء النحوي المفسر المشهور، وقد بينا مراراً أن التضمين جمع بين المعنى الاصلي للكلمة والمعنى الذي أفادته التعدية فيكون المراد من العبارة: إني رسول من رب العالمين حقيق وجدير بأن لاأقول على الله الا الحق وحريص على ذلك فلن أخلّ به. وما قيل من أنه من باب قلب الحقيقة الى المجاز أو من باب الاغراق في وصف موسى نفسه بالصدق حتى جعل قول الحق كانه يسعى ليكون هو قائله والقائم به ولا يرضي

أن ينطق به غيره — فلا يخلو من تكلف وان قال الزمخشري في الاخير انه هو الاوجه الادخل في نكت القرآن

وقرأ نافع (حقيق عليّ أن لا أقول على الله الا الحق) أي واجب وحق علي أن لا أخبر عنه تعالى الا بما هو حق وصدق لما أعلم من عز جلاله وعظيم شأنه — كما قال الحافظ بن كثير. اذا علم هذا فنقول في تفسير الآيات

بلغ موسى (ص) فرعون انه رسول من رب العالمين كلهم أي سيدهم ومالكهم ومدبر جميع أمورهم وانه بمقتضى هذه الرسالة لا يقول على الله الا الحق اذ لا يمكن أن يبعث الله رسولا يكذب عليه ، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ، فهو حقيق بالصدق والتزام الحق في التبليغ عن ربه ومعصوم من الكذب والخطأ فيه، وشديد الحرص عليه بما له من الكسب والاختيار — فاشتمل كلامه على عقيدة الوحدانية وهي أن للعالمين كلهم ربا واحداً، وعقيدة الرسالة المؤيدة منه تعالى بالعصمة في التبليغ والهداية ، وقد ناقشه فرعون البحث في وحدانية الربوبية العامة لله تعالى كما هو مبين في سورة الشعراء فوصفه موسى بما يليق به تعالى ويوضح المعنى المراد في أجوبة عدة أسئلة أوردها عليه ، وقد سأله هو وهارون عن ربهما في سياق سورة طه، وجاء فيما حكاه الله تعالى عنهما فيها ذكر البعث والجزاء. وكان قدماء المصريين يؤمنون بالبعث كما يؤمنون بالرب الاله الغيبي ولكنهم شابوا العقيدتين بنزغات الشرك وبعض الخرافات الناشئة عنه .

فعلم من هذا أن موسى قد بلغ فرعون وملأه اصول الايمان الثلاثة: التوحيد والرسالة والبعث والجزاء، وفي كل سياق من قصة موسى المكررة في عدة سور فوائد في ذلك وفي غيره لا توجد في الاخرى. — وابسطها واوسعها بيانا هذه السورة (الاعراف) وطه والشعراء والقصص — وانما التكرار لجملة القصة لا التفصيل لها كما سيأتي

ثم ذكر أن الله تعالى أيده ببينة تدل على صدقه في دعواه وتبليغه عنه ورتب عليه ما هو مقصود له بالذات أو بالقصد الاول فقال حكاية عنه :

﴿ قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل ﴾ أي قد جئتكم ببينة عظيمة الشأن ، ظاهرة الحجة في بيان الحق ، فتنكير البينة للتفخيم ، والتصريح

بكون هذه البينة المعجزة من عند ربهم نص على أنهم مربوبون وان فرعون ليس ربا ولا إلها، وعلى أن البينة التى جاء بها موسى ليست من كسبه ولا مما يستقل به عليه السلام — وبنى على هذا قوله فأرسل معي بني اسرائيل أي بأن تطلقهم من أسرك ، وتعتقهم من رق قهرك ، ليذهبوا معي الى دار غير ديارك ، ويعبدوا فيها ربهم وربك . وبم اجاب فرعون ؟

﴿ قال ان كنت جئت بآية ﴾ اي قال فرعون لموسى عليه السلام : ان كنت جئت مصحوبا ومؤيدا بآية من عند من أرسلك كما تدعي — والشرط بإن يدل على الشك في مضمون الجملة الشرطية او الجزم بنفيها — ﴿ فأت بها ان كنت من الصادقين ﴾ فأتني بها بأن تظهرها لدي ان كنت من أهل الصدق، الملتزمين لقول الحق ،وهذا شك آخر في صدقه ، بعد الشك في مجيئه بالآية .

﴿ فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين *ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ﴾ أي فلم يلبث موسى أن ألقى عصاه التي كانت بيمينه أمام فرعون فاذا هي ثعبان — وهو الذكر العظيم من الحيات — مبين أي ظاهر بين لاخفاء في كونه ثعبانا حقيقيا يسعى وينتقل من مكان الى آخر تراه الاعين من غير أن يسحرها ساحر فيخيل اليها أنها تسعى كما سيأتي من اعمال سحرة فرعون — ونزع يده أي أخرجها من جيب قميصه بعد أن وضعها فيه بعد إلقاء العصا فاذا هي بيضاء ناصعة البياض تتلألأ للناظرين اليه وهم فرعون وملؤه أو لكل من ينظر، والنظارة الذين يجتمعون عادة لرؤية الامور الغريبة. وقد وصف الله تعالى بياضها في طه والنمل والقصص بأنه (من غير سوء) أي من غير علة كالبرص.

وفي التفسير المأثور روايات في صفة الثعبان الذي تحولت اليه عصا موسى (ع . م) وفي تأثيره لدى فرعون ما هي الا من الاسرائيليات التي لا يصح لها سند ولا يوثق منها بشيء ، ومنها قول وهب بن منبه ان العصا لما صارت ثعبانا حملت على الناس فانهزموا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا وقام فرعون منهزما . قال ابن كثير : رواه ابن جرير والامام احمد وابن أبي حاتم وفيه غرابة في سياقه والله أعلم اه وقد اقتصرت على هذه الرواية لاقول انني أرجح تضعيف عمرو بن الفلاس لوهب على توثيق الجمهور له بل

أنا أسوأ فيه ظنا على ماروي من كثرة عبادته، ويغلب على ظني أنه كان له ضلع مع قومه الفرس الذين كانوا يكيدون للاسلام وللعرب ويدسون لهم من باب الرواية ومن طريق التشيع فقد ذكر الامام احمد ان والده منبها فارسي أخرجه كسرى الى اليمن فأسلم في زمن النبي (ص) وان ابنه وهباً كان يختلف من بعده الى بلاده بعد فتحها وههنا موضع الشبهة في الغرائب المروية عنه وهي كثيرة — ومثله عندي كعب الاحبار الاسرائيلي — كلاهما كان تابعيا كثير الرواية للغرائب التي لا يعرف لها أصل معقول ولا منقول، وقومهما كانوا يكيدون للامة الاسلامية العربية التي فتحت بلاد الفرس وأجلت اليهود من الحجاز، فقاتل الخليفة الثاني فارسي مرسل من جمعية سرية لقومه، وقتلة الخليفة الثالث كانوا مفتونين بدسائس عبدالله بن سبأ اليهودي. والى جمعية السبئيين وجمعيات الفرس ترجع جميع الفتن السياسية واكاذيب الرواية فى الصدر الاول

﴿ قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ﴾

﴿ فصل في حقيقة السحر وأنواعه ﴾

كان السحر فنا من فنون قدماء المصريين يتعلمونه في مدارسهم العالية مع سائر علوم الكون، وكان كذلك عند أقرانهم من البابليين، وكذا الهنود وغيرهم، ولا يزال يؤثر عن الوثنيين منهم أعمال سحرية غريبة اهتدى علماء الانكليز وغيرهم من الافرنج الى تعليل بعضها أو كشف حقيقته ولا يزالون يجهلون تعليل بعض. والمعنى الجامع للسحر أنه أعمال غريبة من التلبيس والحيل تخفى حقيقتها على جماهير الناس لجهلهم بأسبابها فمتى عرف سبب شيء منها بطل اطلاق اسم السحر عليه، ولذلك كان الاقوام الجاهلون يعدون آيات الرسل الكونية التي يؤيدهم الله تعالى بها من قبيل السحر ويجعلون هذا مانعا من دلالتها على صدقهم وتأييد الله تعالى لهم، لان السحر صنعة تتلقى بالتعليم والتمرين فيمكن لكل أحد أن يكون ساحرا اذا أتيح له من يعلمه السحر. ومن المعلوم في التاريخ القديم والحديث أن السحر لا يروج الا بين الجاهلين وله المكانة المهيبة المخيفة بين اعرق

القبائل في الهمجية، ولا يكاد يوجد في البلاد التي ينتشر فيها العلم والعرفان بل يسمى أهله بأسماء أخرى كالمشعوذين الذين يخيلون للناس ما لا حقيقة له كما فعل سحرة فرعون

وقد سبق لنا بيان حقيقة السحر في قصة هاروت وماروت من جزء التفسير الاول وفي بعض مجلدات المنار وخلاصته انه ثلاثة أنواع (أحدها) ما يعمل بالاسباب الطبيعية من خواص المادة المعروفة للعامل المجهولة عند من يسحرهم بها ومنها الزئبق الذي قيل إن سحرة فرعون وضعوه في حبالهم وعصيهم كما سيأتي. ولو شاء علماء الطبيعة والكيمياء في هذا العصر أن يجعلوا أنفسهم سحرة في بلاد افريقية الهمجية وأمثالها من البلاد الجاهلة التي يروج فيها السحر العتيق لأروهم من عجائب الكهرباء وغيرها ما يخضعونهم به لعبادتهم لو ادعوا الالوهية فيهم، دع دعوى النبوة أو الولاية. وقد اجتمع السحرة في بعض هذه البلاد على بعض السياح الغربيين ليرهبوهم بسحرهم وكانوا في مكان بارد والفصل شتاء فأخذ بعض هؤلاء السياح قطعة من الجليد وجعلها بشكل عدسي بقدر ما يرى من قرص الشمس وقال لهم اني أعلم منكم بالسحر واني أقدر به أن أجعل في يدي شمسا كشمس السماء ثم وجه عدسيته الى الشمس عند بزوغها واكتمال ضوئها فصارت بانعكاس النور فيها كالشمس لم يستطع السحرة أن يثبتوا نظرهم اليها فخضعوا له ولمن معه وكفوا شرهم عنهم

(النوع الثاني) الشعوذة التي مدار البراعة فيها على خفة اليدين في اخفاء بعض الاشياء واظهار بعض، واراء بعضها بغير صورها، وغير ذلك مما هو معروف في هذه البلاد وغيرها من بلاد الحضارة بكثرة المكتسبين بها من الوطنيين والغرباء. ولم يبق أحد في هذه البلاد يسميها سحرا

(النوع الثالث) ما مداره على تأثير الانفس ذوات الارادة القوية في الانفس الضعيفة ذات الامزجة العصبية القابلة للاوهام والانفعالات التي تسمى في عرف علماء هذا العصر بالهستيريا، وهذا النوع هو الذي قيل ان أصحابه يستعينون على أعمالهم بأرواح الشياطين، ومنهم الذين يكتبون الاوفاق والطلسمات للحب والبغض وغير ذلك. ومن يقول ان للحروف خواص وتأثيرات ذاتية يخرج عمل

الاوفاق والنشرات وما في معناها من السحر . ومن هذا النوع ما استحدث في هذا العصر من التنويم المغناطيسي واخباره مشهورة

ومما سبق لنا بيانه في هذا الباب تخطئة من قال من المتكلمين ان السحر من خوارق العادات الذي هو الجنس الجامع لمعجزات الانبياء وكرامات الاولياء ، وفاتهم أن السحر صناعة تتلقى بالتعليم كما ثبت بنص القرآن و بالاختبار الذي لم يبق فيه خلاف بين أحد من علماء الكون في هذا العصر

ولعلمائنا كلام كثير في السحر بعضه صحيح و بعضه أوهام واننا ننقل هنا كلام بعض كبار محققي المفسرين فيه. ومن أخصره وأفيده قول ابن فارس: هو اخراج الباطل في صورة الحق . وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته لغريب القرآن ما نصه :

تعريف السحر ومأخذه من اللغة

السحر (١) طرف الحلقوم والرئة وقيل انتفخ سحره و بعير سحر عظيم السحر والسحارة (بالضم) ما ينزع من السحر عند الذبح فيرمى به وجعل بناؤه بناء النفاية والسقاطة وقيل منه اشتق السحر وهو اصابة السحر. والسحر يقال على معان

(الاول) الخداع وتخييلات لاحقيقة لها نحو مايفعله المشعبذ بصرف الابصار عما يفعله لخفة يد ومايفعله النمام بقول مزخرف عائق للاسماع وعلى ذلك قوله تعالى (سحروا أعين الناس واسترهبوهم) وقال (يخيل اليه من سحرهم) وبهذا النظر سموا موسى عليه السلام ساحرا فقالوا (يا أيها الساحر ادع لنا ربك)

(والثاني) استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب اليهم كقوله تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم) وعلى ذلك قوله تعالى (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر)

(والثالث) ما يذهب اليه الاغتام وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير الصور والطبائع فيجعل الانسان حمارا ولا حقيقة لذلك عند المحصلين . وقد تصور من السحر تارة حسنه فقيل «ان من البيان لسحرا» وتارة دقة فعله حتى قالت لاطباء الطبيعة ساحرة وسموا الغذاء سحراً من حيث انه يدق و يلطف تأثيره.اه

---

(١) ذكره بالفتح وفيه ثلاث لغات باوزان فلس وسبب وقفل

وقد عقد الشيخ أبو بكر أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصاص من أئمة الحنفية في القرن الرابع بابا خاصا من تفسيره الجليل (أحكام القرآن) لبيان معنى السحر وحكم الساحر عند كلامه على قوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) قال في أوله « الواجب ان نقدم القول في السحر لخفائه على كثير من اهل العلم فضلا عن العامة ثم نعقبه بالكلام في حكمه في مقتضى الآية في المعاني والاحكام فنقول

إن أهل اللغة يذكرون أن أصله في اللغة لما لطف وخفي سببه والسحر عندهم بالفتح هو الغذاء لخفائه ولطف مجاريه ، قال لبيد :

أرانا موضعين لامر غيب　　ونسحر بالطعام وبالشراب

قيل فيه وجهان : نعلل ونخدع كالمسحور والمخدوع — والآخر نغذى . وأي الوجهين كان فمعناه الخفاء . وقال آخر :

فان تسألينا فيم نحن فاننا　　عصافير من هذا الانام المسحر

وهذا البيت يحتمل من المعنى ما احتمله الاول ، ويحتمل أيضا انه أراد بالمسحر انه ذو سحر . والسحر الرئة وما يتعلق بالحلقوم ، وهذا يرجع الى معنى الخفاء أيضا . ومنه قول عائشة : توفي رسول الله (ص) بين سحري ونحري . وقوله تعالى (إنما أنت من المسحرين) يعني من المخلوق الذي يطعم ويسقى . ويدل عليه قوله تعالى (وما أنت الا بشر مثلنا) وكقوله تعالى (مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) ويحتمل أنه ذو سحر مثلنا . وانما يذكر السحر في مثل هذه المواضع لضعف هذه الاجساد ولطافتها ورقتها ، وبها مع ذلك قوام الانسان — فمن كان بهذه الصفة فهو ضعيف محتاج — وهذا هو معنى السحر في اللغة ثم نقل هذا الاسم الى كل أمر خفي سببه وتخيل على غير حقيقته ، ويجري مجرى التمويه والخداع . ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله . وقد أجرى مقيدا فيما يمتدح ويحمد كما روي « ان من البيان لسحرا »

(وههنا ذكر الجصاص روايته لهذا الحديث وهو في الصحيح وأطال الكلام عليه في زهاء ورقة كبيرة ذكر في أثنائه سحر سحرة موسى لاعين الناس وتخييلهم

ان حبالهم وعصيهم تسعى ولم تكن تسعى ، وذكر ماقيل من حيلهتم في ذلك بوضع الزئبق فيها وتحريك النار الخفية للزئبق فكان سبب حركتها، وسيأتي نقل ذلك عنه قريبا . ثم ذكر قصة تاريخية في أصل السحر ببابل وقفى عليها ببيان أنواعه فقال)

كلام الجصاص في السحر وأنواعه

«واذ قد بينا أصل السحر في اللغة وحكمه عند الاطلاق والتقييد فلنقل في معناه في التعارف والضروب الذي يشتمل عليها هذا الاسم وما يقصد به كل فريق من منتحليه ، والغرض الذي يجري اليه مدعوه، فنقول : وبالله التوفيق ان ذلك ينقسم الى انحاء مختلفة .

فمنها سحر أهل بابل الذين ذكرهم الله تعالى في قوله (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) وكانوا قوما صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة . ويعتقدون ان حوادث العالم كلها من أفعالها ، وهم معطلة لا يعترفون بالصانع الواحد المبدع للكواكب وجميع إجرام العالم ، وهم الذين بعث الله تعالى اليهم ابراهيم خليله صلوات الله عليه فدعاهم الى الله تعالى وحاجهم بالحجاج الذي بهرهم به وأقام عليهم به الحجة من حيث لم يمكنهم دفعه ، ثم ألقوه في النار فجعلها الله برداً وسلاما . ثم أمره الله تعالى بالهجرة الى الشام . وكان أهل بابل واقليم العراق والشام ومصر والروم على هذه المقالة الى أيام بيوراسب الذي تسميه العرب الضحاك . وان افريدون وكان من أهل دنباوند استجاش عليه بلاده وكاتب سائر من يطيعه وله قصص طويلة حتى أزال ملكه وأسره . وجهال العامة والنساء عندنا يزعمون ان افريدون حبس بيوراسب في جبل دنباوند العالي على الجبال وانه حي هناك مقيد ، وان السحرة يأتونه هناك فيأخذون عنه السحر ، وانه سيخرج فيغلب على الارض وانه هو الدجال الذي أخبر به النبي عليه السلام وحذرناه ، وأحسبهم أخذوا ذلك عن المجوس . وصارت مملكة إقليم بابل للفرس ، فانتقل بعض ملوكهم اليها في بعض الازمان فاستوطنوها ، ولم يكونوا عبدة أوثان ، بل كانوا موحدين مقرين بالله وحده ، الا أنهم مع ذلك يعظمون العناصر الاربعة الماء والنار والارض والهواء

لما فيها من منافع الخلق ، وان بها قوام الحيوان ، وانما حدثت المجوسية فيهم بعد ذلك في زمان كشتاسب حين دعاه زرادشت فاستجاب له على شرائط يطول شرحها ، وانما غرضنا في هذا الموضع الابانة عما كانت عليه سحرة بابل . ولما ظهرت الفرس على هذا الاقليم كانت تتدين بقتل السحرة وابادتها ولم يزل ذلك فيهم ومن دينهم بعد حدوث المجوسية فيهم وقبله الى أن زال عنهم الملك .

وكانت علوم أهل بابل قبل ظهور الفرس عليهم الحيل والنيرنجيات وأحكام النجوم ، وكانوا يعبدون أوثانا قد عملوها على أسماء الكواكب السبعة وجعلوا لكل واحد منها هيكلا فيه صنمه ويتقربون اليها بضروب من الافعال على حسب اعتقاداتهم من موافقة ذلك للكواكب الذي يطلبون منه بزعمهم فعل خير أو شر ، فمن أراد شيئا من الخير والصلاح بزعمه يتقرب اليه بما يوافق المشتري من الدخن والرقي والعقد والنفث عليها ، ومن طلب شيئا من الشر والحرب والموت والبوار لغيره تقرب بزعمه الى زحل بما يوافقه من ذلك . ومن أراد البرق والحرق والطاعون تقرب بزعمه الى المريخ بما يوافقه من ذلك من ذبح بعض الحيوانات . وجميع تلك الرقى بالنبطية تشتمل على تعظيم تلك الكواكب الى ما يريدون من خير أو شر ومحبة و بغض فيعطيهم ماشاؤا من ذلك فيزعمون انهم عند ذلك يفعلون ماشاؤا في غيرهم من غير مماسة ولا ملامسة سوى ماقدموه من القربات للكوكب الذي طلبوا ذلك منه . فمن العامة من يزعم انه يقلب الانسان حمارا أو كلبا ثم اذا شاء أعاده ، ويركب البيضة والمكنسة والخابية ويطير في الهواء فيمضي من العراق الى الهند والى ماشاء من البلدان ثم يرجع من ليلته

وكانت عوامهم تعتقد ذلك لأنهم كانوا يعبدون الكواكب وكل ما دعا الى تعظيمها اعتقدوه . وكانت السحرة تحتال في خلال ذلك بحيل تموه بها على العامة الى اعتقاد صحته بأن يزعم ان ذلك لا ينفذ ولا ينتفع به أحد ولا يبلغ ما يريد الا من اعتقد صحة قولهم وتصديقهم فيما يقولون

ولم تكن ملوكهم تعترض عليهم في ذلك بل كانت السحرة عندها بالمحل الاجل لما كان لها في نفوس العامة من محل التعظيم والاجلال ، ولان الملوك في ذلك الوقت

كانت تعتقد ما تدعيه السحرة للكواكب ، الى أن زالت تلك الممالك . ألا ترى ان الناس في زمن فرعون كانوا يتبارون بالعلم والسحر والحيل والمخاريق ولذلك بعث اليهم موسى عليه السلام بالعصا والآيات التي علمت السحرة أنها ليست من السحر في شيء ، وانها لا يقدر عليها غير الله تعالى ، فلما زالت تلك الممالك وكان من ملكهم بعد ذلك من الموحدين يطلبونهم ويتقربون الى الله تعالى بقتلهم كانوا يدعون عوام الناس وجهالهم سرا كما يفعله الساعة كثير ممن يدعي ذلك مع النساء والاحداث الاغمار والجهال الحشو

وكانوا يدعون من يعملون له ذلك الى تصديق قولهم والاعتراف بصحته . والمصدق لهم بذلك يكفر من وجوه (أحدها) التصديق بوجوب تعظيم الكواكب وتسميتها آلهة (والثاني) اعترافه بأن الكواكب تقدر على ضره ونفعه (والثالث) ان السحرة تقدر على مثل معجزات الانبياء عليهم السلام . فبعث الله اليهم ملكين يبينان للناس حقيقة ما يدعون ، و بطلان ما يذكرون ، ويكشفان لهم ما به يموهون ، و يخبرانهم بمعاني تلك الرقى وانها شرك وكفر ، وبحيلهم التي كانوا يتوصلون بها الى التمويه على العامة و يظهرون لهم حقائقها ، وينهونهم عن قبولها والعمل بها ، بقوله (انما نحن فتنة فلا تكفر) فهذا أصل سحر بابل ومع ذلك فقد كانوا يستعملون سائر وجوه السحر والحيل التي نذكرها ويموهون بها على العامة ويعزونها الى فعل الكواكب لئلا يبحث عنها ويسلمها لهم

فمن ضروب السحر كثير من التخيلات التي مظهرها على خلاف حقائقها (فمنها) ما يعرفه الناس بجريان العادة بها وظهورها منها ما يخفي و يلطف ، ولا يعرف حقيقته ومعنى باطنه الا من تعاطي معرفة ذلك ، لان كل علم لا بد أن يشتمل على جلي وخفي وظاهر وغامض ، فالجلي منه يعرفه كل من رآه وسمعه من العقلاء والغامض الخفي لا يعرفه الا أهله ومن تعاطى معرفته وتكلف فعله والبحث عنه وذلك نحو ما يتخيل راكب السفينة اذا سارت في النهر فيرى ان الشط بما عليه من النخل والبنيان سائر معه ، وكما يرى القمر في مهب الشمال يسير للغيم في مهب الجنوب ، وكدوران الدوامة فيها الشامة فيراها كالطوق المستدير في ارجائها ، وكذلك يرى هذا في الرحى اذا

كانت سريعة الدوران، وكالعود في طرفه الجمرة اذا أداره مديره رأى تلك النار التي في طرفه كالطوق المستدير ، وكالعنبة التي يراها في قدح فيه ماء كالخوخة والاجاصة عظما، وكالشخص الصغير يراه في الضباب عظيما جسيما، وكبخار الارض الذي يريك قرص الشمس عند طلوعها عظيما فاذا فارقته وارتفعت صغرت ، وكما يرى المرئي في الماء منكسراً أومعوجا، وكما يرى الخاتم اذا قربته من عينك في سعة حلقة السوار. ونظائر ذلك كثيرة من الاشياء التي تتخيل على غير حقائقها فيعرفها عامة الناس

«ومنها مايلطف فلا يعرفه الا من تعاطاه وتأمله كخيط السحارة الذي يخرج مرة أحمر ومرة أصفر ومرة أسود. ومن لطيف ذلك ودقيقه مايفعله المشعوذون من جهة الحركات واظهار التخيلات التي تخرج على غير حقائقها حتى يريك عصفورا معه أنه قد ذبحه ثم يريكه وقد طار بعد ذبحه وابانة رأسه وذلك لخفة حركته ، والمذبوح غير الذي طار لانه يكون معه اثنان قد خبأ احدهما وأظهر الآخر ويخبأ لخفة الحركة المذبوح ويظهر الذي نظيره، ويظهرانه قد ذبح انسانا، وأنه قد بلع سيفا معه وأدخله في جوفه ، وليس لشيء منه حقيقة

«ومن نحو ذلك مايفعله أصحاب الحركات للصور المعمولة من صفر (١) او غيره فيري فارسين يقتتلان فيقتل احدهما الآخر وينصرف بحيل قد أعدت لذلك ، وكفارس من صفر (١) على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق من غير أن يمسه أحد ولا يتقدم اليه .

« وقد ذكر الكلبي ان رجلا من الجند خرج ببعض نواحي الشام متصيدا ومعه كلب له وغلام فرأى ثعلبا فأغرى به الكلب ، فدخل الثعلب ثقبا في تل هناك ودخل الكلب خلفه فلم يخرج فأمر الغلام أن يدخل فدخل وانتظره صاحبه فلم يخرج فوقف متهيئا للدخول ، فمر به رجل فأخبره بشأن الثعلب والكلب والغلام وان واحداً منهم لم يخرج وانه متأهب للدخول ، فأخذ الرجل بيده فأدخله الى هناك فمضيا الى سرب طويل حتى أفضى بهما الى بيت قد فتح له ضوء من

(١) الصفر بضم الصاد وسكون القاف النحاس

موضع ينزل اليه بمرقاتين فوقف به على المرقاة الاولى حتى أضاء البيت حينا ثم قال له : انظر، فنظر فاذا الكلب والرجل والثعلب قتلى ، واذا في صدر البيت رجل واقف مقنع في الحديد وفي يده سيف فقال له الرجل : أترى هذا لو دخل اليه هذا المدخل الف رجل لقتلهم كلهم، فقال : وكيف؟ قال : لانه قد رتب وهندم على هيئة متى وضع الانسان رجله على المرقاة الثانية للنزول تقدم الرجل المعمول في الصدر فضربه بالسيف الذي في يده، فاياك أن تنزل اليه . فقال : فكيف الحيلة في هذا ؟ قال: ينبغي أن تحفر من خلفه سربا يفضي بك اليه ، فان وصلت اليه من تلك الناحية لم يتحرك . فاستأجر الجندي اجراء وصناعا حتى حفروا سربا من خلف التل فأفضوا اليه فلم يتحرك ، واذا رجل معمول من صفر أو غيره قد ألبس السلاح وأعطى السيف فقلعه ، ورأى بابا آخر في ذلك البيت ففتحه فاذا هو قبر لبعض الملوك ميت على سرير هناك ، وأمثال ذلك كثيرة جدا (١) .

«ومنها الصور التي يصورها مصورو الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بين الانسان و بينها، ومن لم يتقدم له علم انها صورة لا يشك في انها انسان، وحتى تصورها ضاحكة أو باكية وحتى يفرق فيها بين الضحك من الخجل والسرور ، وضحك الشامت.

«فهذه الوجوه من لطيف أمور التخاييل وخفيها، وما ذكرناه قبل من جليها. وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب على النحو الذي بينا من حيلهم في العصي والحبال. والذي ذكرناه من مذاهب أهل بابل في القديم وسحرهم ووجوه حيلهم بعضه سمعناه من أهل المعرفة بذلك ، و بعضه وجدناه في كتب قد نقلت حديثا من النبطية الى العربية منها كتاب في ذكر سحرهم وأصنافه ووجوهه وكلها مبنية على الاصل الذي ذكرناه من قربانات الكواكب وتعظيمها وخرافات معها لا تساوي ذكرها ولا فائدة فيها

(وضرب آخر) من السحر وهو ما يدعونه من حديث الجن والشياطين وطاعتهم لهم بالرقى والعزائم، ويتوصلون الى ما يريدون من ذلك بتقدمة أمور ومواطأة قوم قد أعدوهم لذلك ، وعلى ذلك كان يجري أمر الكهان من العرب في الجاهلية،

(١) هذا ما يسميه العامة الى هذا العهد بالرصد

وكانت أكثر مخاريق الحلاج من باب المواطآت ولولا ان هذا الكتاب لايحتمل استقصاء ذلك لذكرت منها مايوقف على كثير من مخاريقه ومخاريق أمثاله (١) وضرر أصحاب العزائم ، وفتنتهم على الناس غير يسير ، وذلك انهم يدخلون على الناس من باب ان الجن انما تطيعهم بالرقي التي هي أسماء الله تعالى فانهم يجيبون بذلك من شاؤا ، ويخرجون الجن لمن شاؤا، فتصدقهم العامة على اغترار بما يظهرون من انقياد الجن لهم بأسماء الله تعالى التي كانت تطيع بها سليمان بن داود عليه السلام، وانهم يخبرونهم بالخبايا و بالسرق .

« وقد كان المعتضد بالله مع جلالته وشهامته ووفور عقله اغتر بقول هؤلاء . وقد ذكره أصحاب التواريخ ، وذلك انه كان يظهر في داره التي كان يخلو فيها بنسائه وأهله شخص في يده سيف في أوقات مختلفة وأكثره وقت الظهر فاذا طلب لم يوجد ولم يقدر عليه ولم يوقف له على أثر مع كثرة التفتيش ، وقد رآه هو بعينه

(١) المواطآت جمع مواطأة وهي الاتفـاق بين اثنـين أو أكثر على أمر. والمخاريق جمع مخراق وهي في الاصل خرق كانوا يفتلونها و يلعبون بها بادارتها بخفة ومهارة. ومواطآت الحلاج هي انه كان يتفق مع اناس من رجاله على مايلبسون به على الناس بدعوى الكرامات وقد اكتشف ذلك في عصره كما بينه التنوخي فى جامع التواريخ « نشوار المحاضرة» ومنه أن رجلا جاء بصفة مسترشد وانما هو مختبر فقال له الحلاج: تشه علي ماشئت فقال: أريد سمكا طريا وكانوا في بعض بلاد الجبل البعيدة عن الانهار والبحر فدخل بيتا خاليا من داره وأغلق عليه بابه وعاد بعد ساعة طويلة وقد خاض وحلا الى ركبتيه و بيده سمكة تضطرب وزعم أنه دعا الله فامره أن يذهب الى البطائح قال فمضيت الى البطائح فخضت الاهواز وهذا الطين منها حتى أخذت هذه . فقال الرجل : تدعني ادخل البيت فان لم ينكشف لي حيلة فيه آمنت بك . فقال شانك — فدخل و بعد عناء وتنقيب اهتدى الى دار كبيرة فيها بستان عظيم فيه صنوف الفاكهة والثمار والنوار ومنها ما ليس من وقته ولكنه محفوظ بحيلة صناعية و وجد فيها خزائن مليحة فيها أنواع الاطعمة الناضجة والحوائج لما يهيأ بسرعة ورأى في الدار بركة ماء مملوءة سمكا فأخذ واحدة منها وخرج ... فتبعه الحلاج فرمى بالسمكة وجهه وصدره وهرب وأقسم الحلاج ليقتلنه ان حدث احدا بذلك ولو في تخوم الارض ولم يحدث بها الرجل الا بعد قتله لعلمه بانه لو امر احد المفتونين به ان يقتله فانه يفعل .

مرارا فأهمته نفسه ودعا بالمعزمين فحضروا وأحضروا معهم رجالا ونساء وزعموا ان فيهم مجانين وأصحاء ، فأمر بعض رؤسائهم بالعزيمة فعزم على رجل منهم زعم انه كان صحيحا فجن وتخبط وهو ينظر اليه وذكروا له ان هذا غاية الحذق بهذه الصناعة اذ اطاعته الجن في تخبيط الصحيح ، وانما كان ذلك من المعزم بمواطأة منه لذلك الصحيح على أنه متى عزم عليه جنن نفسه وخبط ، فجاز ذلك على المعتضد فقامت نفسه منه وكرهه ؛ الا أنه سألهم عن أمر الشخص الذي يظهر في داره فمخرقوا عليه باشياء علقوا قلبه بها من غير تحصيل لشيء من امر ماسألهم عنه فامرهم بالانصراف وأمر لكل واحد منهم ممن حضر بخمسة دراهم . ثم تحرز المعتضد بغاية ما أمكنه وأمر بالاستيثاق من سور الدار حيث لا يمكن فيه حيلة من تسلق ونحوه و بطحت في أعلى السور خواب لئلا يحتال بالقاء المعاليق التي يحتال بها اللصوص

« ثم لم يوقف لذلك الشخص على خبر الاظهوره له الوقت بعد الوقت الى ان توفي المعتضد وهذه الخوابي المبطوحة على السور ، وقد رأيتها على سور الثريا التي بناها المعتضد فسألت صديقا لي كان قد حجب المقتدر بالله عن أمر ذلك الشخص وهل تبين أمره ؟ فذكر لي انه لم يوقف على حقيقة هذا الامر الا في أيام المقتدر ، وان ذلك الشخص كان خادما أبيض يسمى (يقق) وكان يميل الى بعض الجواري اللاتي في داخل دور الحرم ، وكان قد اتخذ لحى على ألوان مختلفة ، وكان اذا لبس بعض تلك اللحى لايشك من رآه انها لحيته ، وكان يلبس في الوقت الذي يريده لحية منها ويظهر في ذلك الموضع وفي يده سيف أوغيره من السلاح حيث يقع نظر المعتضد فاذا طلب دخل بين الشجر الذي في البستان أو في بعض تلك الممرات أو العطفات ، فاذا غاب عن أبصار طالبيه نزع اللحية وجعلها في كمه أوحزته (١) و يبقى السلاح معه كانه بعض الخدم الطالبين للشخص ولا يرتابون به و يسألونه هل رأيت في هذه الناحية أحدا فانا قد رأيناه صار اليها؟ فيقول مارأيت أحدا. وكان اذا وقع مثل هذا الفزع في الدار خرجت الجواري من داخل الدور الى هذا الموضع فيرى هو تلك

(١) الحزة بالضم الحجزة وهي من الازار معقده ومن السراويل ما تكون فيه التكة وهي معقده أيضا وفي كل منهما مخبأ للدراهم ونحوها

الجارية ويخاطبها بما يريد وانما كان غرضه مشاهدة الجارية وكلامها فلم يزل دأبه الى أيام المقتدر، ثم خرج الى البلدان وصار الى طرسوس وأقام بها الى ان مات وتحدثت الجارية بعد ذلك بحديثه ووُقف على احتياله. فهذا خادم قد احتال بمثل هذه الحيلة الخفية التي لم يهتد لها أحد مع شدة عناية المعتضد به وأعياه معرفتها والوقوف عليها ولم تكن صناعته الحيل والخاريق فما ظنك بمن قد جعل هذا صناعة ومعاشا؟

(وضرب آخر من السحر) وهي السعي بالنميمة والوشاية بها (١) والبلاغات والافساد والتضريب من وجوه خفية لطيفة ، وذلك عامّ شائع في كثير من الناس وقد حكي ان امرأة أرادت افساد ما بين زوجين ، فصارت إلى الزوجة فقالت لها : ان زوجك معرض وقد سحر وهو مأخوذ عنك وسأسحره لك حتى لا يريد غيرك ، ولا ينظر الى سواك ، ولكن لابد أن تأخذي من شعر حلقه بالموسى ثلاث شعرات اذا نام وتعطينيها فان بها يتم الامر، فاغترت المرأة بقولها وصدقتها. ثم ذهبت الى الرجل وقالت له : ان امرأتك قد علقت رجلا ، وقد عزمت على قتلك ، وقد وقفت على ذلك من أمرها فأشفقت عليك ولزمني نصحك فتيقظ ولا تغتر فانها عزمت على ذلك بالموسى وستعرف ذلك منها فما في أمرها شك. فتناوم الرجل في بيته فلما ظنت امرأته انه قد نام عمدت الى موسى حاد وأهوت به لتحلق من حلقه ثلاث شعرات ففتح الرجل عينه فرآها وقد أهوت بالموسى الى حلقه فلم يشك في انها أرادت قتله فقام اليها فقتلها وقتل ، وهذا كثير لا يحصى

(وضرب آخر من السحر) وهو الاحتيال في اطعامه بعض الادوية المبلدة المؤثرة في العقل والدخن المسدرة المسكرة نحو دماغ الحمار اذا طعمه انسان تبلد عقله وقلت فطنته مع أدوية كثيرة هي مذكورة في كتب الطب ويتوصلون الى ان يجعلوه في طعام حتى يأكله فتذهب فطنته ويجوز عليه اشياء مما لو كان تام الفطنة لانكرها فيقول الناس إنه مسحور (٢)

«١» بهذا فسر الاستاذ الامام النفاثات في العقد من سورة الفلق

«٢» قد كثرت بعد عصر المؤلف العقاقير المفسدة للعقل والمبلدة للذهن ولاسيما في زماننا هذا ومنها الحشيشة المشهورة وما يتخذ منها ومن غيرها من المعاجين — والكوكايين ولكنها لاشتهارها لم تعد تعد من اعمال السحر

« وحكمة كافية تبين لك ان هذا كله مخاريق وحيل لاحقيقة لما يدعون لها ان الساحر والمعزم لو قدرا على ما يدعيانه من النفع والضرر من الوجوه التي يدعون وأمكنهما الطيران والعلم بالغيوب واخبار البلدان النائية والخبيآت والسرق والاضرار بالناس من غير الوجوه التي ذكرنا لقدروا على ازالة الملك واستخراج الكنوز والغلبة على البلدان بقتل الملوك بحيث لا يبدأهم مكروه ولما مسهم السوء ولامتنعوا ممن قصدهم بمكروه ، ولاستغنوا عن الطلب لما في ايدي الناس . فاذا لم يكن كذلك وكان المدعون لذلك اسوأ الناس حالا وأكثرهم طمعا واحتيالا وتوصلا لاخذ دراهم الناس واظهرهم فقرا واملاقا علمت انهم لا يقدرون على شيء من ذلك

« ورؤساء الحشو والجهال من العامة من أسرع الناس الى التصديق بدعاوى السحرة والمعزمين وأشدهم نكيرا على من جحدها، ويروون في ذلك اخبارا مفتعلة متخرصة يعتقدون صحتها كالحديث الذي يروون ان امرأة أتت عائشة فقالت اني ساحرة فهل لي توبة؟ فقالت وما سحرك؟ قالت سرت الى الموضع الذي فيه هاروت وماروت ببابل لطلب علم السحر فقالا لي يا أمة الله لا تختاري عذاب الآخرة بامر الدنيا، فابيت، فقالا لي اذهبي فبولي على ذلك الرماد فذهبت لابول عليه ففكرت في نفسي فقلت لا فعلت وجئت اليهما فقلت قد فعلت، فقالا ما رأيت فقلت ما رأيت شيئا، فقالا ما فعلت اذهبي فبولي عليه، فذهبت وفعلت، فرأيت كان فارسا قد خرج من فرجي مقنعا بالحديد حتى صعد الى السماء ، فجئتهما فاخبرتهما فقالا ذلك ايمانك خرج عنك وقد أحسنت السحر، فقلت وما هو؟ فقالا لا تريدين شيئا فتصورينه في وهمك الا كان. فصورت في نفسي حبا من حنطة فاذا أنا بالحب، فقلت له انزرع فانزرع وخرج من ساعته سنبلا فقلت له انطحن وانخبز الى آخر الامر حتى صار خبزا، واني كنت لا أصور في نفسي شيئا الا كان. فقالت لها عائشة ليست لك توبة

« فيروي القصاص والمحدثون الجهال مثل هذا للعامة فتصدقه وتستعيده وتسأله ان يحدثها بحديث ساحرة ابن هبيرة فيقول لها ان ابن هبيرة أخذ

ساحرة فاقرت له بالسحر فدعا الفقهاء فسألهم عن حكمها فقالوا القتل ، فقال ابن هبيرة لست أقتلها الا تغريقا قال فاخذ رحى البزر فشدها في رجلها وقذفها في الفرات فقامت فوق الماء مع الحجر تنحدر مع الماء فخافوا ان تفوتهم فقال ابن هبيرة من يمسكها وله كذا وكذا؟ فرغب رجل من السحرة كان حاضرا فيما بذله فقال اعطوني قدح زجاج فيه ماء فجاؤه به فقعد على القدح ومضى الى الحجر فشق الحجر بالقدح فتقطع الحجر قطعة قطعة فغرقت الساحرة — فيصدقونه، ومن صدق هذا فليس يعرف النبوة ولا يأمن ان تكون معجزات الانبياء عليهم السلام من هذا النوع وانهم كانوا سحرة وقال الله تعالى (ولا يفلح الساحر حيث أتى)

«وقد أجازوا من فعل الساحر ماهو أطم من هذا وأفظع ، وذلك أنهم زعموا ان النبي عليه السلام سحر وان السحر عمل فيه حتى قال فيه «انه يخيل الي اني أقول الشيء وأفعله ، ولم أقله ولم أفعله» وان امرأة يهودية سحرته في جف طلعة ومشط ومشاقة (١) حتى أتاه جبريل عليه السلام فأخبره أنها سحرته في جف طلعة وهو تحت راعوفة البئر (٢) فاستخرج وزال عن النبي عليه السلام ذلك العارض. وقد قال الله تعالى مكذبا للكفار فيما ادعوه من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال جل من قائل (وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) ومثل هذه الاخبار من وضع الملحدين تلعبا بالحشو الطغام ، واستجرارا لهم الى القول بابطال معجزات الانبياء عليهم السلام، والقدح فيها، وانه لافرق بين معجزات الانبياء وفعل السحرة وان جميعه من نوع واحد . والعجب ممن يجمع بين تصديق الانبياء عليهم السلام واثبات معجزاتهم ، وبين التصديق بمثل هذا من فعل السحرة مع قوله تعالى (ولا يفلح الساحر حيث أتى) فصدق هؤلاء من كذبه الله وأخبر ببطلان دعواه وانتحاله . وجائز أن تكون المرأة اليهودية بجهلها فعلت ذلك ظنا

«١» جف الطلع بالضم هو الوعاء الذي يخرج منه طلع النخل، والمشاقة من الكتان معروفة وفي اكثر الروايات مشاطة وهي بالضم الشعر الذي يسقط من الشعر عند تسريحه بالمشط والمراد ان المشط والمشاطة وضعا في جف طلعة وصفت عند الشيخين بانها طلعة ذكر اي من النخل «٢» راعوفة البئر الحجر الثابت الذي يقف عليه المستقي من البئر

منها بأن ذلك يعمل في الاجساد وقصدت به النبي عليه السلام فأطلع الله نبيه على موضع سرها ، وأظهر جهلها فيما ارتكبت وظنت ليكون ذلك من دلائل نبوته، لا ان ذلك ضره، وخلط عليه أمره ، ولم يقل كل الرواة انه اختلط عليه أمره وانما هذا اللفظ زيد في الحديث ولا أصل له (١)

«والفرق بين معجزات الانبياء وبين ماذكرنا من وجوه التخييلات ، ان معجزات الانبياء عليهم السلام هي على حقائقها ، وبواطنها كظاهرها ، وكلما تأملتها ازددت بصيرة في صحتها ، ولو جهد الخلق كلهم على مضاهاتها ومقابلتها بأمثالها ظهر عجزهم . ومخاريق السحرة وتخييلاتهم انما هي ضرب من الحيلة والتلطف لاظهار أمور لاحقيقة لها،وما يظهر منها على غير حقيقتها،يعرف ذلك بالتأمل والبحث ومتى شاء أن يتعلم ذلك بلغ فيه مبلغ غيره ، ويأتي بمثل ماأظهره سواه » اه

هذا جل ما قاله ابو بكر الجصاص في معنى السحر وحقيقته وعقد بعده بابا في ذكر قول الفقهاء فيه وماتضمنته الآية من حكمه وما يجرى على مدعي ذلك من العقوبات ومنها القتل كفراً في بعض أنواعه المتضمنة للشرك والمستلزمة الريب في معجزات الرسل . وان كثيراً من العلماء يثبتون ما أنكره من تأثير الجن واستخدام بعض الناس لهم . ومن العجيب أنه لا يزل في هذا العصر من يتوسل الى الاستعانة بالجن على بعض الاعمال السحرية بما هو كفر قطعا كربط بعض القرآن على السوءتين كما علمت من بعض المختبرين لهؤلاء الدجالين الذين يعيشون

«١» انكر الجصاص الحديث المروي فى ذلك لمعارضته للقرآن وما فيه من الشبهة على عصمة النبي « ص » حتى في امر التبليغ مع انه مروي في الصحيحين لان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للقطعي من القرآن وغيره ، ومثل هذا انكار النووي لما روي عن ابن مسعود « رض » من انكار كون المعوذتين من القرآن مع صحة سنده . والجمهور يؤولون في هذا وذاك ويغرهم ان المقلدين يسلمون لهم كل تأويل ولو متكلفا وينسون ان اعداء الاسلام ومستقلي الفكر من غيرهم لا يقبلون التأويل المتكلف الذى لا يطمئن له القلب ، والظاهر ان الجصاص لم يطلع على روايات الشيخين في مسألته كاطلاع النووي على جميع الروايات في مسألته. وفيهما ان الذي سحر النبي « ص » هو لبيد بن الاعصم اليهودي لا امراة

بكتابة العزائم والحجب للحب والبغض والحبل وغير ذلك والمفاسد في ذلك كبيرة جدا وقد ذكرنا بعضها في تفسير (٧: ٢٦ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) فيراجع (في ص ٣٦٧ — ٣٧١ من المجلد الثامن تفسير)

﴿ عود الى تفسير الآيات ﴾

لما أظهر موسى عليه السلام آية الله تعالى في مجلس فرعون (قال الملأ من قوم فرعون) أي أشراف قومه واركان الدولة منهم: (ان هذا لساحر عليم) أي راسخ في العلم — كما تدل عليه صيغة عليم (يريد ان يخرجكم من ارضكم) اي قد وجه ارادته اسلب ملككم منكم وإخراجكم من ارضكم بسحره بأن يستميل به الشعب المصري فيتبعه فينتزع منكم الملك ويستبد به دونكم، ويلي ذلك اخراج الملك وعظماء رجاله من البلاد لئلا يناوؤه لاستعادة الملك منه، كما فعل متغلبة الترك في هذه الايام بعد إسقاط الدولة العثمانية فانهم أخرجوا جميع افراد الاسرة السلطانية من البلاد التركية التي بقيت لهم. وفي معنى هذا القول من فرعون ورجال دولته ما حكى الله تعالى عنهم من مراجعتهم لموسى واخيه في سورة يونس (١٠: ٧٨ قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض؟ وما نحن لكما بمؤمنين)

وما قال الملأ من قوم فرعون هذا القول الا تبعاً لقوله هو الذي حكاه تعالى عنه في سورة الشعراء (قال للملا حوله إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) اي رددوا قوله وصار يلقيه بعضهم الى بعض كدأب الناس في نقل كلام ملوكهم ورؤسائهم وترديده إظهاراً للموافقة عليه، وتعميما لتبليغه. وإنما لم يصرحوا بكلمة «بسحره» كما صرح هو لانهم كانوا دونه خوفا وانزعاجا، وأقل منه حرصا على الطعن في دعوة موسى، ولكن ذكرها السحرة في تناجيهم مع فرعون وهم أجدر بذكرها فحكاها الله تعالى عنهم بقوله من سورة طه (فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى * قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى * فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى

والامر في قول فرعون لهم وقول بعضهم لبعض (فماذا تأمرون) ليس

هو المقابل للنهي بل هو بمعنى الادلاء بالرأي في الشورى قال الزمخشري في الاساس: وتآمر القوم وائتمروا، مثل تشاوروا واشتوروا . ومرني بمعنى اشر عليّ . قال بعض فتاكهم .

الم تر اني لا اقول لصاحب اذا قال مرني: أنت ماشئت فافعل
ولكنني افري له فأريحه ببزلاء تُنجيه من الشك فيصل

وقال في مادة (ب ز ل) ومن المجاز بزل الامر والراي : استحكم . وامر بازل . وتقول خطب بازل ، لا يكفيه الا راي قارح ، وإنه لذو بزلاء ، أي ذو صريمة محكمة ، وهو نهاض ببزلاء اى بخطة عظيمة . قال

إني اذا شغلت قوما فروجهم رحب المسالك نهاض ببزلاء

(أقول) ومعنى بيتى الفاتك أن صاحبه اذا استشاره فقال له امرني — أي أشر علي — لايقول له افعل ما تشاء اعراضا عن نصحه أو عجزا عنه، بل يفري أي يقطع له الرأي المحكم بخطة بزلاء أي قويمة محكمة تخرجه من الشك والتردد وتكون فيصلا أي فاصلة بين الخطأ والصواب . والبزلاء وبزول الامر والرأي مأخوذ من بزول ناب البعير وهو أن ينشق ويخرج عند دخوله في السنة التاسعة فهو بازل ولذلك أطلقوا لقب البازل على الرجل القوي المحكم التجربة

﴿ قالوا أرجه [1] واخاه وارسل في المدائن حاشرين ﴾ اي قال الملأ لفرعون

(١) في هذه الكلمة عدة قراءات لفظية محضة سببها اختلاف لهجات العرب فى اثبات الهمزة وحذفها تخفيفا وقد بينها السيد الآلوسي في روح البيان مع تعليلاتها فقال : وأصل أرجه أرجئه بهمزة ساكنة وهاء مضمومة دون واو ثم حذفت الهمزة وسكنت الهاء لتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل ارجه كابل (كذا) في اسكان وسطه وبذلك قرأ ابو عمرو وابو بكر و يعقوب على انه من ارجأت وكذلك قراءة ابن كثير وهشام وابن عامر ارجئهو بهمزة ساكنة وهاء متصلة بواو الاشباع وقرأ نافع في رواية ورش واسماعيل والكسائي ارجهي بهاء مكسورة بعدها ياء من ارجيت وفي رواية قالون ان ارجه بحذف الياء للاكتفاء عنها بالكسرة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء وقد ذكر بعضهم ان ضم الهاء وكسرها والهمز وعدمه لغتان مشهورتان وهل هما مدتان او الياء بدل من الهمزة كتوضأت وتوضيت؟ قولان. وطعن في القراءة على رواية ابن ذكوان فقال الحوفي انها ليست بجيدة وقال الفارسي ان ضم الهاء مع الهمزة لايجوز غيره وكسرها غلط لان الهاء لا تكسر الا =

حين استشارهم بقوله « فماذا تأمرون ؟ : ارجه اي ارجيء واخر امره وامر اخيه ولا تفصل فيه بادي الرأي وأرسل في مدائن ملكك رجالا او جماعات من الشرطة والجند حاشرين اي جامعين سائقين للسحرة منها — فالحشر الجمع والسوق — وانما يوجد السحرة في المدائن الجامعة الآهلة بدور العلم والصناعة ، فان ترسلهم ﴿ يأتوك بكل ساحر عليم ﴾ بفنون السحر ماهر فيها وهم يكشفون لك كنه ما جاء به موسى فلا يفتتن به أحد .

قرأ الجمهور (ساحر) بصيغة اسم الفاعل ، وحمزة والكسائي هنا وفي يونس (سحار) بصيغة المبالغة له وجاء ذلك بالامالة وعدمها - وبها قرأ الجميع في الشعراء. ورسمهما في المصحف الامام واحد هكذا (سحر) ليحتمل القراءتين ووجههما ان فرعون لما طلب كل ساحر عليم في مدائن البلاد خص بالذكر المهرة المتمرنين في السحر المكثرين منه — او ان بعض ملئه طلب هؤلاء فقط لانهم اجدر باتيان موسى بمثل ما جاء به من الامر العظيم كما حكى الله تعالى عن فرعون في سورة طه (قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله) وطلب آخرون حشر جميع السحرة الراسخين في العلم لعله يوجد عند بعض المقتصدين او المقلين من السحر ما لا يوجد عند المكثرين منه - فبينت القراءتان كل ما قيل مع الايجاز البليغ .

= بعد ياء ساكنة او كسرة واجيب كما قال الشهاب عنه بوجهين احدهما ان الهمزة ساكنة والحرف الساكن حاجز غير حصين فكأن الهاء وليت الجيم المكسورة فلذا كسرت والثاني ان الهمزة عرضة للتغيير كثيرا بالحذف وابدالها ياء اذا سكنت بعد كسرة فكأنها وليت ياء ساكنة فلذا كسرت، واورد على ذلك ابو شامة ان الهمزة تعد حاجزا وان الهمزة لو كانت ياء كان المختار الضم نظراً لاصلها وليس بشيء بعد ان قالوا ان القراءة متواترة وما ذكر لغة ثابتة عن العرب اه

فتاوى المنار

﴿ التبشير والمبشرون في نظر المسلمين ﴾

(س ٢ — ٨) من القس المحترم الفرد نيلسن الدانيمركي بدمشق

١ — هل يحسب المسلم كل تبشير مسيحي للمسلمين مفسد وغير لائق مهما كان منصفا وبعيدا عن الطعن

٢ — هل يحسب المسلم على حد سوى المسيحي الغيور في دينه والمريد نشره للغير والمسيحي الذي لا يعمل بدينه في حياته ولا لاجله عند غيره

٣ — أليس من واجبات كل متنور أن يعرف الكتاب المقدس الذي أسس عليه تمدن الغرب (قابل الحديث : اطلبوا العلم ولو في الصين)

٤ — ألا يستحق التبشير بالكتاب المقدس شكر كل انسان إما لانه يعرف الانسان فوائد لم يحصل عليها قبل أو لانه يجعل لانسان بعد التأمل بتدقيق يفضل كتابه الخاص

٥ — أليس عصرنا الحاضر في كل دين عصر الاجتهاد فيطالب من أصحاب الدين أن يتمسكوا به ليس لانهم هكذا وجدوا آباءهم لكن لانهم تدققوا فوجدوا الدين نفعا لانفسهم وللهيئة الاجتماعية أكثر من أي شيء في الدنيا

٦ — من هو أحسن؟ الذي يتمسك بدين من الاديان بعد الاقتناع ويطبق حياته عليه أم الذي يبقى في دين آبائه بدون اعتقاد داخلي وبدون أن يطبق حياته على أعلى مبادىء الدين وأشرفها

﴿ الجواب ﴾

عبارة هذه الاسئلة ضعيفة لضعف عربية صاحبها ونجيب عن الاول والثاني جوابا واحدا لاشتراكهما في المعنى فنقول : إن المسلم يميز بقدر ما أوتي من العقل والعلم بين التبشير النزيه الخالي من الطعن والتبشير البذيء المبني عليه ، ويميز بين

المسيحي الغيور في دينه العامل به وبين من اتخذه تجارة كأكثر المبشرين الذين عرفنا حالهم، ومن جعله سياسة كالذين رباهم هؤلاء المبشرون على التعصب وعداوة المخالف لدينهم من أبناء وطنهم فصار الدين جنسية سياسية لهم فهم لا يعملون بأوامره بالفضائل ولا بنواهيه عن الرذائل، وانما حظهم منه مقاومة المخالف، ولا يحتقر المسلم بطبيعة دينه شيئاً من الاشياء كاحتقاره للنفاق وأهله. وأما كون كل تبشير يوجهه النصارى الى المسلمين مفسد أو غير لائق فهو ما أثبته الاختبار الى الآن وان لم يكن من الضروريات المنطقية في حد نفسه — وأعني بهذا الاختبار سيرة جماعات المبشرين العامة ولكن يوجد أفراد يدعون الى دينهم باظهار ما فيه من الفضائل والدفاع عما يرد على عقائده وأصوله من الاعتراضات، بما أوتوه من معرفة، مع مراعاة النزاهة، واجتناب كل ما يؤذي المناظر، وقد عاشرت بعضهم في طرابلس الشام أيام طلبي للعلم وجرت بيني وبينهم مناظرات كثيرة في بضع سنين لم يشك أحد منا صاحبه في شيء بل كنا نحترمهم لآدابهم وعدم اتجارهم بدينهم، وان كانوا يأخذون الرواتب من بعض جمعيات التبشير.

ومن أضر أعمال المبشرين في مدارسهم حتى الاميركانية منها وهي أنزهها أنهم يشككون الطلاب المسلمين في دينهم ولا يقنعونهم بالنصرانية فيخرج الكثيرون منهم ملحدين أو منافقين، وكذا طلاب النصارى وغيرهم، وهذا افساد عظيم لا يخفى على ذكاء السائل المحترم بل يوافق رأيه كما يؤخذ من سؤاليه ٥ و ٦ دع خدمة هذه المدارس ومثلها مستشفياتهم لمطامع السياسة الاستعمارية حتى قال لورد سالسبوري الوزير الانكليزي المشهور إن مدارس المبشرين أول خطوة من خطوات الاستعمار لان أول تأثيرها احداث الشقاق في الامة التي تنشأ فيها فينقسم بعضهم على بعض باختلاف الافكار والشك في الاعتقاد، أي فيتمكن الاجنبي من ضرب بعضهم ببعض، وينتهي ذلك بتمكين المستعمرين من نواصيهم وسلب استقلالهم واذلالهم وسلب ثروتهم

وأما الجواب عن السؤال الثالث ففيه تفصيل لا يتسع لبسطه باب الفتوى فنلخص الكلام فيه بأن مجموعة الاسفار التاريخية الدينية التي تسمى « الكتاب

المقدس» هي من الكتب التي ينبغي المشتغلين بالتاريخ وبعلم الملل والنحل وأمثالهم أن يطلعوا عليها ولكن لا يجب على كل متنور أن يعرفها . ودعوى بناء تمدن الغرب عليها ممنوعة على اطلاقها ، وباطلة بالصفة التي يدعيها المبشرون في هذه الايام لاستمالة المفتونين بالمدنية الاوربية الى النصرانية بها ، فقوانين الغرب أبعد شرائع الامم عن شريعة التوراة ، الا في القسوة على الضعفاء المغلوبين ، وآداب أهله أبعد من آداب جميع شعوب البشر عن آداب الانجيل من كل وجه ، فمدنية الامم الغربية مادية شهوانية قوامها الكبرياء والتعالي وعبادة المال والطمع والرياء والاسراف في الزينة والشهوات ، فأين هي من أصول آداب الانجيل المبنية على التواضع والزهد والايثار والصدق ونبذ الزينة واحتقار الشهوات ؟ ؟ ؟ وقد فصلنا ذلك مرارا كثيرة في المنار . وأما العلوم والفنون وشكل الحكومات المقيدة فلم تكن أثرا من آثار انتشار تلك المجموعة في بلاد الغرب بل كانت من آثار العرب والاسلام

إذ من المسلمات التي لا جدال فيها ان تأثير الدين في الامم يكون على أشده وأ كمله في أول العهد بالاهتداء به وبعد أن يأخذ مده غاية حده من النماء يضعف بالتدريج ، وقد مكث الغرب عدة قرون بعد انتشار النصرانية فيه ولم يظهر فيه شيء من مبادئ هذه العلوم والفنون ، واستقلال الفكر والسلطة المقيدة ، بل كان هذا مما انتقل الى أوربة من الاندلس العربية الاسلامية ، ومما حمله غزاة الحروب الصليبية اليها من سورية ومصر الاسلاميتين . ولا يجهل القس الفاضل ما لاقى الدعاة الى ذلك في أوربة من اضطهاد حملة تلك المجموعة المقدسة وحماتها من الظلم والاضطهاد في محاكم التفتيش وغيرها . ولو اقتبس الغرب من الشرق دين العرب كما اقتبس علمهم وحكمتهم لجمعت مدنيته بين الكمال في الدين والدنيا ولم تكن مادية محضة كما هي الآن

وأما الجواب عن السؤال الرابع : فهو أن التبشير بهذا الكتاب ليس نعمة على كل فرد من أفراد البشر حتى يجب شكره على كل فرد منهم ، وانما الشكر على النعم ، بل نقول انه كان نقمة ومصيبة على جميع أهل البلاد التي نعرفها بما أحدث من الشقاق والتعادي بين أهلها وفاقا لما قرره اللورد سالسبوري ، وان جميع

أهل العلم والبصيرة من أهل البلاد السورية التي يقيم فيها السائل يعلمون اليوم حق العلم أنه ما أفسد ذات بينهم وفرق كلمة طوائفهم وحرمهم نعمة الرابطة الوطنية التي تفتخر بها البلاد الغربية الا مدارس المبشرين ونزعاتهم وقد صرح بهذا أشهر كتابهم وخطبائهم وأهل الرأي فيهم من المسلمين والنصارى جميعا. ومن المتفق عليه بين هؤلاء العارفين بشؤون البلاد الدينية والاجتماعية أن التدين بالنصرانية كان أقوى وأصدق بين أهلها قبل هؤلاء المبشرين، والتعصب الذميم كان أضعف، وان كانوا لا ينكرون أن المعرفة بالديانة كانت أقل، ولا نعرف لهم أثراً في تنصير أناس ارتقوا بتنصيرهم اياهم فصاروا خيراً مما عليه أهل دينهم فضيلة وآدابا وعبادة لله عز وجل، دع مايعتقده المسلمون من بطلان كل عبادة مشوبة بالشرك

نعم ان هذه المدارس نفعت البلاد بما بثته فيها من العلوم والفنون العملية ولا سيما الطب والزراعة والتجارة، وهذه نعم تشكر ولكنها ليست من التبشير في شيء وان الذين حذقوها في هذه المدارس أبعد عن تعاليم الكتاب المقدس في عقائده وأحكامه ممن لم يدخل فيها

وما علل السائل المحترم به وجوب هذا الشكر من كون هذا التبشير يعرف الانسان فوائد لم يحصل عليها من قبل أو يجعله بعد التأمل الدقيق يفضل كتابه الخاص — ففيه بحث ونظر من حيث كونه ليس من لوازم هذا التبشير الخاصة به فان كل ما يتعلمه الانسان يفيده ما لم يعلمه من قبل، ويقل من يدرس هذا الكتاب بسبب التبشير وبدلالة المبشرين دراسة استقلال تهديه الى تفضيل كتابه عليه، على أن كل مسلم عرف حقيقة الاسلام ثم درس هذا الكتاب يزداد به علما بتفضيل القرآن على جميع الكتب وكونه مهيمنا عليها وحكمه هو الحكم الفصل فيها، وهؤلاء قليلون وأنا منهم، وهذا الكتاب الجامع لما عندهم منها من جملة الكتب التي أضعها بجانبي دائما لكثرة مراجعتي لها

وأما الجواب عن السؤال الخامس: فنقول فيه ان القرآن أوجب الاجتهاد والاستقلال في فهم الدين والاستدلال الذي ينتج اليقين في كل زمن وكل عصر، وإن الحاجة الى هذه الهداية في هذا العصر أشد لانتشار التعليم الاستقلالي وحرية

الفكر فيه ، فصار التقليد فيه أضر مما كان في العصور التي قبله ، وآيات القرآن في ذم التقليد واتباع الآباء والاجداد صريحة لا تحتمل التأويل، ولكنها لم تمنع أدعياء العلم الدجالين من تحريم الاجتهاد وذم الاستقلال ، ولولا رواج دعوة هؤلاء الدجالين واغترار كثير من العوام لهم لكان المسلمون على أحسن حال ، ولما صاروا حجة على الاسلام ينفرون الناس عنه بجهلهم وصدودهم عنه لستر جهلهم حتى صاروا يحرمون العلم بالدين نفسه وهو المسمى عندهم بالاجتهاد الذي أوجبه الله ويوجبون الجهل وهو التقليد الذي حرمه الله تعالى

وأما الجواب عن السؤال السادس فنجيب عنه بما يصححه فنقول : إن المنتحل للدين لا يكون صادقا في انتسابه اليه الا اذا كان موقنا بصحته مذعنا لاحكامه اذعانا نفسيا عمليا بأداء عباداته وترك محارمه والتزام سائر أحكامه وآدابه الا ما يعرض للبشر عادة من بعض المخالفات التي يستغفرون الله منها ويتوبون اليه ، وأما مجرد اللقب الموروث فلا قيمة له ، والاعتقاد اليقيني هو المعبر عنه بالايمان، والاذعان النفسي العملي هو المعبر عنه بالاسلام ، هذا اذا قوبل أحدهما بالآخر والا فالمؤمن والمسلم يصدقان على شيء واحد . وقد بينا هذه المسائل في مواضع كثيرة من المنار بالتفصيل والدلائل

ومن القواعد المقررة عند علماء العقائد الاسلامية أن دين الاسلام ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالته ، وان المسلم لا يكلف أن يعتقد ما هو محال عقلا ، وانه ان وجد في الشريعة ما يعارض القطعي حسا أو عقلا وجب تأويله بما يجمع بين العقل والنقل ، لان الله تعالى يقول (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) والقاعدة عند غيرنا بخلاف ذلك وهي أنه يجب الايمان ولو بالمحال وان كان بديهيا كالجمع بين النقيضين أو الضدين المساويين للنقيضين كالتوحيد الحقيقي والتثليث الحقيقي أي كون الاله واحدا حقيقة وغير واحد حقيقة — فالمسلم الذي يتبع ما يوجبه عليه دينه من العلم الصحيح به والاخذ باليقين في عقائده لا يخشى أن تؤثر في نفسه دعوة دين آخر ، وقد بينا في الرد على دعاة النصرانية بمصر منذ بضع سنين أن المسلم لا يمكن أن يصير نصرانيا لان الاسلام نصرانية وزيادة كما قال السيد

جمال الدين الافغاني أو لان من وصل الى الكمال فى أمر لا يختار أن يستبدل به ما دونه — كما نقول نحن . وقد بين الله تعالى في كتابه المعجز للبشر من وجوه كثيرة أنه قد أكمل دينه الذي بعث به رسله على لسان خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين فقال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وهذا يوافق سنته تعالى فى النشوء والارتقاء

على أن كتب من قبله من الرسل لم تحفظ كلها كما حفظ كتابه ، وسننهم وتواريخهم لم تحفظ كما حفظت سنته وتاريخه ، فهذا المسيح عليه السلام ليس فى هذه الاناجيل الاربعة التي اعتمدتها الكنيسة من الاناجيل الكثيرة الا الشيء القليل من تاريخه ، وهي غير منقولة بالاسانيد المتصلة ، وقد وقع الخلاف فى تواريخ كتابتها وفي اللغة التى كتبت بها وفي بعض أشخاص كاتبيها كما صرحوا به في تواريخ الكنيسة وفي معاجمهم العلمية الكبرى (دوائر المعارف)

ونحن انما نذكر هذه المسألة هنا على سبيل الاستطراد وغرضنا منه أن المسلم العارف بدينه المتلقي له بالدلائل كما أمر لا يخاف أن يزداد بتبشير المبشرين الا ثباتا ويقينا فيه ، ولكن هؤلاء المبشرين يبثون دعوتهم في العوام الذين لا يعرفون من الاسلام لا بعض الاحكام التقليدية وفي التلاميذ المبتدئين في طلب العلوم والفنون ، وقد تمر السنين على هذا ولا يوجد واحد في الالف من هؤلاء الجاهلين بأكثر حقائق الاسلام من عوام وتلاميذ يتنصر ، ولكن يكون كثيرون منهم ملاحدة معطلة أو مشككة « لاأدريين » والسائل المحترم يرى أن هؤلاء شر من المتدينين بأي دين من الاديان التي تنهى عن الشر وتأمر بالخير وهو مصيب في ذلك

وليعلم القس المحترم أن من أصول ديننا الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله (لانفرق بين أحد من رسله) وأنه تعالى بعث في جميع الامم القديمة رسلا هادين مرشدين الى توحيده وعبادته ، وفعل الخير وترك الشر ، وان أمر هدايتهم جرى على سنة الارتقاء بالتدرج لاختلاف استعداد البشر كما قلنا آنفا ، حتى اذا

كل ذلك الاستعداد ختم الله النبوة بمحمد عليه وعلى سائر اخوانه النبيين صلوات الله وسلامه ، وأن ما جاء به مكمل لما سبقوه به ، وان من معجزاته انه جاء بالخلاصة الصحيحة الفضلى لما كان عليه أشهر الرسل القريبي العهد به الذين حفظ من دينهم مالم يحفظ من تعاليم من قبلهم ، ولا سيما موسى وعيسى عليهما السلام ، على كونه أميا لم يطلع على شيء من الكتب مطلقا قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله — أي القرآن — من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) فلا يسع عاقلا منصفا عرف دينه أن يؤمن بغيره ولا يؤمن به . والذي نعهده من هؤلاء المبشرين انهم ينظرون في الاسلام بقصد العثور على شيء فيه قابل للطعن فيه ولو بالتمحل ، لا بقصد معرفة حقيقته ، ولا المقايسة بينه و بين غيره بالانصاف

ولقد كان من العجب عندي أن أرى هذا المبشر — السائل المحترم — يكتب بأسلوب واثق بما يرمي اليه كلامه ، وقلما عرفنا منهم من هو كذلك وانما تدل كتابة أشدهم مبالغة في التبشير وتفضيلا لما عندهم على ما عند غيرهم على أنهم يكتبون ما لا يعتقدون، ويقولون الكذب وهم يعلمون ، ويحرفون الكلم عن مواضعه كما فعل سلفهم الاولون ، والله يعلم ما يسرون وما يعلنون . فهؤلاء لا يحترمون عندنا ، وأما من دعا الى دينه عن عقيدة هو مذعن لها ومخلص فيها فكل عاقل يحترمه، وقليل ما هم

﴿ تسكين كلمات الاذان وجواب الاقامة وبدء السلام ورده ﴾

(س ٩ — ١٢) من الشيخ محمد عبد الظاهر برمل الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة أستاذنا العلامة السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) صدر من بعض السبكية انكار على من لم يجب المقيم ولم يصل على النبي (ص) عقب الاقامة كالاذان ولم يأتوا بدليل ، وقد رأينا فيه حديث أبي

أمامة عند أبي داود ولكنه لم يصح اذ فيه راو مجهول

(٢) وأنكروا وصل المؤذن بين تكبيرتين من تكبيرات الاذان كما يفعل المؤذنون اليوم، ويقولون السنة الفصل بين كل تكبيرة وأخرى وإفرادها بالوقف على كل واحدة ولا يجوز قطعا تحريك آخر التكبيرة الاولى لوصلها بالثانية، ولم نعثر لهذا على دليل صريح.

(٣) وقالوا : لا سلام على الجالسين في درس علم فان العلم أولى وأفرض فعارضناهم بأن الامر عام والتخصيص لا دليل عليه وقد سلموا على الرسول (ص) وهو في الصلاة فرد بالاشارة

(٤) وقالوا لا كلام على الوضوء وزعموا أن رجلا سلم على النبي (ص) وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى أتم الوضوء ولم نعلم صحة هذا الحديث ولم يعلموا هم أيضا

فهل عند سيدنا الاستاذ شيء ثابت في السنة على هذا كله ؟ نرجو افادتنا به لاجل العمل به ولكم الاجر والثواب في هداية السائل وارشاد الحيران والسلام

اجابة الاقامة كالاذان

(ج) لم يفتجر تلاميذ الاستاذ الشيخ محمود خطاب السبكي شيئا من هذه المسائل أي لم يأتوا بها من عند أنفسهم بل نقلوها عن الفقهاء ، فأما استحباب اجابة المؤذن في الاقامة كالاذان فقد استدلوا عليه بحديث أبي أمامة ولم يروا ضعفه مانعا من العمل به في مسألة من فضائل الاعمال على قاعدتهم المعروفة . ولو قالوا إن سماع النداء في الاحاديث الصحاح الواردة في ذلك يشمل الاقامة لانها نداء كالاذان لم يكن بعيداً وفي الحديث المتفق عليه « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » رواه الجماعة من حديث عبد الله بن مغفل واتفق العلماء على أن المراد بالاذانين فيه الاذان والاقامة ، وكون هذا من باب التغليب لا ينافي ماقلناه من عدم البعد والا كان نصا في المسألة

تسكين كلمات الاذان

وأما الجواب عن الثاني فهو أن المسألة أصلا من وجهين (أحدهما) ما نقل عن السلف في ذلك ففي كتابي المغني والشرح الكبير المقنع من كتب الحنابلة (التي تتحرى نقل أقوال الصحابة والتابعين وعلماء الامصار المجتهدين وأدلتها)

أن عبد الله بن بطة قال إنه في الاذان والاقامة لا يصل الكلام بعضه ببعض معربا بل جزما ، وحكاه ابن الاعرابي عن أهل اللغة . وروي عن ابراهيم النخعي أنه قال : شيئان مجزومان كانوا لا يعربونهما : الاذان والاقامة . قال صاحب المغني وصاحب الشرح الكبير : وهذا اشارة الى جماعتهم . أي الصحابة فان ابراهيم من أشهر علماء التابعين اه وهذا حجة لهم

(والثاني) — وهو معارض لهم — ان حديث عمر بن الخطاب (رض) في اجابة المؤذن يدل على الوقوف عند كل كلمة (أي جملة) من كلمات الاذان الا التكبير فانه يقف عند كل تكبيرتين فقد قال (ص) «اذا قال المؤذن: الله اكبر الله اكبر ، فقال أحدكم الله اكبر الله اكبر، ثم قال أشهد أن لا اله الا الله — قال — أشهد أن لا اله الا الله الخ ففيه أنه جعل الوقف على تكبيرتين في أول الاذان وآخره ، بخلاف سائر الجمل المكررة مثنى مثنى فقد وقف على كل واحدة منها ورتب الجواب عليها — ومن المعلوم أن الوقوف في لغة العرب يكون بالسكون والوصل بالتحريك — فظاهر الحديث يوافق ما عليه المؤذنون اليوم في أمصار الاسلام من الجمع بين كل تكبيرتين ، وهو يقتضي أن تحرك كلمة اكبر بالرفع في الاولى على القاعدة العامة في هذه اللغة وهو التحريك في أثناء الكلام . ولكن بعض المؤذنين يصلون أكثر كلمات الاقامة فيقفون بعد التكبيرات الاربع والشهادتين كلتيهما والحيعلتين كلتيهما — لانهم يحدرون في الاقامة فلا يمدون كلماتها الممدودة ولا يمدونها ، وكذا ويرتلونها كالاذان وهو المنقول فهؤلاء ينبغي الانكار عليهم وكذا من يصل التكبيرتين الاوليين بالاخريين فيقف عند الرابعة

السلام على المشتغل بالعلم

وأما الجواب عن الثالث وهو عدم السلام على الجالسين في دروس العلم فلا نص فيه عن الشارع ولكنه منقول عن بعض الفقهاء وله نظائر كقاريء القرآن بالتدبر والملبي في الحج قالوا لا يسلم عليهما لئلا يشغلهما عما هما فيه ، وقالوا إنه اذا سلم عليهما وجب عليهما الرد . فأمر الرد أعظم من البدء فقد قالوا إن الاجماع قد انعقد على أن ابتداء السلام سنة وان رده فرض وهو ظاهر آية (واذا حييتم

بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ولا يترك الواجب إلا بدليل قوي فمن ترك السلام على المشتغل بالعلم والعبادة لظنه أنه يتأذى بصرفه به عما شغل ذهنه وقلبه فله وجه وجيه فان السلام للتحاب والتواد فاذا كان في حالة تنافي ذلك تركه ولا يعد تاركا للسنة المستفادة من عموم الامر بافشاء السلام لانه معارض في مثل هذه الصورة بما هو ثابت ومقطوع به من تحريم الايذاء ومنع الضرر والضرار المحقق وكراهة ما كان مظنة له — وقد صرح بعضهم بأن السلام غير المشروع لا يستحق جوابا وترى تتمة بحثه في الجواب الآتي وهو:

الكلام على الوضوء والسلام على المتوضيء

وأما الجواب عن الرابع فهو ان الحديث الذي ذكروه هو ما رواه ابن جرير عن البراء بن عازب أنه سلم على النبي (ص) وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من الوضوء مد يده اليه وصافحه ، وذكر بهذه المناسبة ما يتعلق بمحظورات السلام وأوسعها ما جمعه في هذا الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في شرح كتابه (غذاء الالباب لشرح منظومة الآداب) في التنبيهات المتعلقة بالسلام قال : يكره السلام على جماعة منهم المتوضيء ومن في الحمام ومن يأكل أو يقاتل وعلى تال وذاكر وملب ومحدث وخطيب وواعظ وعلى مستمع لهم ومقرر فقه ومدرس وباحث في علم ومؤذن ومقيم ومن على حاجته ومتمتع بأهله أو مشتغل بالقضاء ونحوهم فمن سلم في حالة لا يستحب فيها السلام لم يستحق جوابا وقد نظمهم الخلوتي وزاد عليهم جماعة فقال :

رد السلام واجب الا على . من في الصلاة أو بأكل شغلا
أو شرب أو قراءة أو أدعيه   أو ذكر أو في خطبة أو تلبيه
أو في قضاء حاجة الانسان   أو في اقامة أو الاذان
أو سلم الطفل أو السكران   أو شابة يخشى بها افتتان
أو فاسق أو ناعس أو نائم   أو حالة الجماع أو تحاكم
أو كان في الحمام أو مجنونا   فهي اثنتان قبلها عشرونا

ورد النص في بعض هذه والبقية بالقياس على المنصوص واذا انتفى الوجوب

بقي الاستحباب أو الاباحة ، نعم في مواضع يكره الرد أيضا كالذي على حاجته ولعل مثله من مع أهله . ويحرم أن يرد وهو في الصلاة لفظا وتبطل به ويكره اشارة قدمها في الرعاية . وقيل لا كراهة للعموم ولان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على من سلم عليه من أصحابه وهو في الصحيحين ولانه صلى الله عليه وسلم رد على ابن عمر اشارة وعلى صهيب كما روى الامام أحمد والترمذي وصححه . وان رد عليه بعد السلام فحسن لوروده في حديث ابن مسعود وان لقي طائفة فخص بعضهم بالسلام كره. وكره السلام على امرأة أجنبية غير عجوز وبرزة فان سلمت شابة على رجل رده عليها وان سلم لم ترد عليه . قال ابن الجوزى المرأة لا تسلم على الرجال أصلا وروى من الحلية عن الزهري عن عطاء الخراساني يرفعه «ليس للنساء سلام ولا عليهن سلام» وكره الامام السلام على الشواب دون الكبيرة وقال شيخ الاسلام لا ينبغي أن يسلم على من لا يصلي ولا يجيب دعوته اه

ولنذكر ما اطلعنا عليه في كتب السنة مما يصلح دليلا لما أورده أيضا أو قياسا عليه أو معارضا له فنقول: روى أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم أن رجلا — هو المهاجر بن قنفذ — سلم على النبي (ص) وهو يبول فلم يرد عليه ثم قال له « اذا رأيتني على مثل هذه الحالة فلا تسلم علي فانك ان فعلت ذلك لم أرد عليك» وفي بعض الروايات أنه رد عليه بعد أن تمسح ، وفي أخرى بعد أن توضأ ، وتعليل عدم الرد بأنه كان على غير طهارة

وروى الشافعي في سننه والبيهقي في المعرفة والخطيب عن ابن عمر أن رجلا مر على رسول الله (ص) وهو يبول فسلم عليه فرد عليه وقال « انما حملني على الرد عليك مخافة أن تذهب الى قومك فتقول اني سلمت على النبي (ص) فلم يرد علي . فاذا رأيتني على هذه الحالة فلا تسلمن فانك ان سلمت لم أرد عليك» وروى ابن جرير عن أبي جهم أنه سلم على النبي (ص) وهو يبول فلم يرد عليه حتى فرغ ثم جاء الى حائط فتيمم ثم رد عليه السلام . وروي عن ابن عمر مثله مرفوعا فيمن سلم عليه وهو مقبل من الغائط .

وأما حديث « ليس للنساء سلام ولا عليهن سلام» الذي احتج به السفاريني

فقد أشار السيوطي في الجامع الصغير الى ضعفه وهو من مراسيل عطاء الخراساني وهو مدلس لا يحتج بمراسيله من يحتج بالمراسيل فكيف بمن لا يحتج بها كالجمهور ومنهم الشافعية وهو معارض لاحاديث صحيحة

عقد البخاري في صحيحه البخاري بابا في مشروعية «تسليم الرجال على النساء والنساء على الرجال» قال الحافظ ابن حجر في شرح ترجمة الباب من الفتح : أشار بهذه الترجمة الى رد ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن يحيى بن أبي كثير : بلغني أنه يكره أن يسلم الرجال على النساء والنساء على الرجال . وهو مقطوع أو معضل. والمراد بجوازه أن يكون عند أمن الفتنة . وذكر في الباب حديثين يؤخذ منهما الجواز . وورد فيه حديث ليس على شرطه وهو حديث أسماء بنت يزيد : مر علينا النبي (ص) في نسوة فسلم علينا حسنه الترمذي اه

ثم ذكر الحافظ حديث واثلة عند أبي نعيم في عمل اليوم والليلة مرفوعا «يسلم الرجال على النساء ولا يسلم النساء على الرجال» قال: وسنده واه، ومن حديث عمرو بن حريث مثله موقوفا وسنده جيد ، وثبت في مسلم من حديث أم هانىء: أتيت النبي (ص) وهو يغتسل فسلمت عليه اه

أقول تسليم الرجال على النساء يوافق آداب الافرنج ومقلديهم في هذا الزمن . وأما حديثا الباب في البخاري فأحدهما حديث سهل بن سعد الساعدي (رض) أنه كان لهم عجوز تطبخ كل يوم جمعة أصول السلق بدقيق الشعير وكانوا اذا صلوا الجمعة ينصرفون فيسلمون عليها فتقدمه اليهم فيفرحون به . والثاني تبليغ النبي (ص) عائشة سلام جبريل فترد عليه السلام، وكان يجيء بصورة رجل

وحديث أم هانىء حجة على من منع السلام على من في الحمام، وفي الصحيحين وغيرهما أن النبي (ص) كان يسلم على الصبيان وعقد البخاري له بابا للرد على من قال لا يشرع كالحسن البصري . وقيده الفقهاء بما قيدوا به السلام على المرأة التي يخشى الافتتان بها . وأما الفاسق فاحتج الجمهور في ترك السلام والرد عليه بمنع النبي (ص) الناس من الكلام عن المتخلفين في غزوة تبوك . . .

سكة الحديد الحجازية

(استولت السلطة الفرنسية في سورية على مافيها من سكة الحديد الحجازية التي هي وقف اسلامي خاص بالبلاد المقدسة : استولت على ادارتها وأدواتها وأموالها ، وجعلتها تابعة لشركة الخط الحديدي الفرنسية بين الشام وحماه . وقد كتب الينا كاتب سوري من أعلم الناس بتاريخ هذه السكة المقالة الآتية في سبب انشائها وإثبات وقفيتها ، وبيان حالها واغتصاب السلطة الفرنسية لها . وهذا نصها)

ان الدولة العثمانية لما رأت ان المسلمين الساكنين في ممالكها والمتفرقين في أنحاء كرة الارض كمسلمي تونس والجزائر وفاس في الغرب ومسلمي الهند والافغان وايران والصين وسائر المشرق يأتون من كل فج عميق في كل سنة لاداء فريضة الحج وزيارة حرم الرسول المصطفى (ص) وقبره الشريفين ورأت مايعانيه أولئك الحجاج من بعد المسافة وتحمل مشاق الطريق المملوء بالمصاعب والمتاعب وركوب متون الابل لقطع تلك الصحاري الشاسعة — ارتأت (١) أن تمد سكة حديدية تمتد من حيفا ومن دمشق الى المدينة المنورة . وقد كان لهذا الاثر الجليل مقصدان : (الاول) اجابة إلحاح مسلمي الارض على مقام الخلافة في ذلك الوقت بهذا العمل ليتمكنوا من أداء فريضة الحج وسنة الزيارة بسرعة تامة وراحة واطمئنان على أموالهم ، اذ يوجد فيهم الشيخ العاجز والطفل الصغير والنساء المخدرات وغيرهم من ذوي المعاذير كالاعرج والاعمى والمقعد (الثاني) تأمين سلطة الخليفة على الحرمين الشريفين ، إذ كان كل خليفة من خلفاء المسلمين يلقب بخادم الحرمين الشريفين ، ويفتخر هو بأن يتولى هذه الخدمة اما بنفسه أو بواسطة من ينوب عنه ابتغاء مرضاة الله تعالى ، واذ كان هذا العمل العظيم يحتاج الى نفقات طائلة وافرة لايمكن أن يقوم بها فرد من أفراد المسلمين بل يتعذر أن تقوم به الدولة نفسها ، تقرر بعد الاستشارة والمذاكرة ما يأتي

« ١ » المنار : الحق ان السلطان عبد الحميد هو الذي ارتأى هذا الراي ونفذه بقوة ارادته وعلو همته وثقة العالم الاسلامي به كما بينا ذلك في المنار في ذلك العهد

(١) تشكلت لجنة عامة لهذا المشروع أوفدت من قبلها الوعاظ المرشدين الى جميع الاقطار الآهلة بالمسلمين لحثهم على جمع الاعانات له ، فأجيبت الدعوة في كل قطر اسلامي . وكانت اللجنة العليا تنشر مقدار الاعانات وأسماء أصحابها في الجرائد التركية والعربية وغيرها من صحف العالم . وقد وضعت الدولة العثمانية لتنشيط هذا العمل (مداليات) انواطا من الذهب والفضة ، وسمتها باسم أعانة السكة الحجازية و يوجد كثير منها عند المتبرعين ، كما انها أحدثت أوراق طوابع خاصة سمتها بالطوابع الحجازية لكي تلصق على كل ورقة من الاوراق الرسمية لمعاملات الدولة وعلى كل سند وعقد ينظم بين عاقدين ، لافرق بينه وبين الطوابع المختصة بالديون العامة ، ولا تزال هذه الطوابع الى يومنا هذا تلصق ويؤخذ رسمها على جميع الاوراق والمستدعيات التي ترفع الى المقامات الرسمية في تركيا وفي المقاطعات التي انفصلت عنها في أثر الحرب وتقرر انسلاخها عنها بموجب معاهدة لوزان الاخيرة

(٢) قبل وقوع الحرب الاخيرة حصل اعتراض من سفراء الدول الاجنبية على إلصاق طوابع الاعانة الحجازية على الاوراق التي تتقدم من طرف رعايا الاجانب ، وكان من حجج اعتراضهم ان هذه الطوابع وضعت لاعانة دينية اسلامية فلا يجب على الاجانب دفعها ، و بناء على هذا الاعتراض قررت حكومة الاستانة وقتئذ ان إلصاق الطوابع الحجازية على الاوراق المتعلقة بالاجانب أمر اختياري لا اجباري ، و بلغت جميع ولاياتها هذا القرار وهذه التبليغات لاتزال محفوظة الدوائر في الرسمية .

(٣) في ٨ أغسطس سنة ١٣٣٠ (الموافق سنة ١٩٢١) صدر قانون بالحاق السكة الحجازية بنظارة الاوقاف بناء على كونها من الاوقاف الاسلامية الموقوفة على الحرمين الشريفين ، وفيه ان ريعها يصرف قسم منه على تأمين دوام عمارتها ، والقسم الآخر يصرف على الخيرات والتحسينات في سبيل استكمال استراحة حجاج بيت الله الحرام ، وتأمين راحتهم في حلهم وترحالهم

ومن المعلوم ان الوقف في عرف الشرع عبارة عن حبس العين الموقوفة على

وجه تعود به منفعتها الى ما وقفت له منه وتبقى ثابتة لا تملك ولا يتصرف فيها ببيع ولا رهن ولا هبة ولا غير ذلك مما يخل بغرض الواقف ، وينافي نص الشارع . فالاوقاف الصحيحة المماثلة لوقف السكة الحجازية لاتباع ولا تشرى ولا يجوز هبتها لاحد ، وان لكل فرد من أفراد الامة الاسلامية بعيداً كان أو قريباحق الانتفاع بها في الحج والزيارة، ومايتبعهما من تجارة ، وحق المدافعة عنها اذا اعتدي عليها ، وليس الوقف خاصا بالشرع الاسلامي فعند سائر الملل أوقاف دينية وخيرية مصونة من كل اعتداء ومحترمة عند سائر أهل الاديان .

(٤) كانت الحكومة الافرنسية في أثناء عقد قرضها الكبير لتركيا سنة ١٩١٤ طلبت جعل الخط الحجازي تحت ادارتها من قبيل الكفالة والضمان لذلك المال أو بعضه ، فردت الحكومة التركية هذا الطلب الشاذ رداقطعيا بحجة كون الخط وقفا شرعيا لايجوزلها التصرف فيه بذلك على ماكان من احتياجها الشديد الى النقود في ذلك الوقت

(٥) ـ كان الخليفة عند انشاء هذا الخط هو الناظر عليه بما له من حق الولاية العامة في الشرع الاسلامي لا بصفة أخرى

بعد هذه البينات نقول :

إن السلطة الافرنسية في سورية لم تراع حق وقفية هذا الخط ووجوب جعله في يد المسلمين الموقوف على منفعتهم الدينية ، فاستولت عليه في آخر شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٢٤ وجعلته تابعا لشركة سكة حديد الشام وحماه وتمديداتها الفرنسية بموجب مقاولة عقدتها معها مباشرة بغير استشارة أحد من متولي ادارة الوقف ولم تشأ السلطة الافرنسية المذكورة نشر تلك الاتفاقية لما تعلم هي من اجحافها العظيم بمصالح الخط، بل أبقتها سرامكتوما بينها و بين الشركة المذكورة ، ولكن تيسر لبعض المنقبين أن يعلم من أحد كبار مأموري هذه الشركة ان حصتها هي بنسبة ستين بالمائة من أصل ريع (واردات) الخط ، ولها فوق ذلك امتيازات أخرى من التصرف فيه كاستعمال قاطراته وشاحناته (عربات النقل) على خطها بلامقابل ولا بدل. ولم يسمع ولم ير في زمن من الازمان ولا في مكان من الامكنة ذات القوانين والنظام عقد اتفاقية جائرة ظالمة بهذه الدرجة المدهشة

لا تأتلف مع شرع ولا منطق ولا قانون

على ان شركة سكة حديد الشام وحماه وتمديداتها لم تتمكن من تاريخ تأسيسها قبل ثلاثين سنة تقريبا حتى الآن من تحسين شئون ادارتها وتلافي عجزها المالي السنوي المستمر وهي تستوفي أعشار حمص وحماه لسد عجزها خصوصا فيما يتعلق بخط رياق - حلب، اذ الكفالة الكيلو مترية بموجب صك امتيازها لان تكون الحاصلات غير الصافية ثلاثة عشر ألف وستمائة فرنك عن كل كيلو متر في السنة علاوة على كون مقدار هذه الحاصلات زهيداً جدا بالنسبة الى الخطوط الحديدية لم تتمكن الشركة المذكورة من الوصول اليه والحصول عليه وأما حاصلات ادارة السكة الحجازية التي نزعتها السلطة الافرنسية من يد ادارتها التي لم يكن يوجد بين رجالها أحد ما من الاجانب فلم تنقص عن ثمانية وعشرين ألف فرنك في السنة عن كل كيلو متر من السنين الاربع الاخيرة، وهي قد تمكنت من أن توفر مبلغا نقديا قدره (٤٧٥٢٢) ليرة لاجل استعماله في ترميم أقسام الخط المخربة ما بين معان والمدينة المنورة ولكن الشركة الافرنسية استولت على هذا المبلغ أيضا وعلى جميع ما في مخزن الادارة الكبير من الادوات التي تبلغ أثمانها مائتين وعشرين ألف ليرة أخرى، وعلى جميع القاطرات والشاحنات والعربات بما فيها والقسم الذي تم اصلاحه وترميمه المعد لاستئناف العمل وتأمين السير والسفر للحجاج الكرام حتى المدينة المنورة كما كان متبعا قبل الحرب .

نفذت السلطة الافرنسية في سورية هذه المعاملة المجحفة خلافا للشرع الشريف ولنص المادة (٦٠) الستين من معاهدة لوزان ولاحكام المواد السادسة والتاسعة من صك الانتداب على سورية التي تقضي باحترام الاوقاف وعدم التجاوز عليها والتدخل في شئونها . فهذا الاعتداء يعد اعتداء على الشرع الاسلامي نفسه وعلى المصالح الاسلامية الخاصة بالمسلمين، وقد تبعه الاعتداء على جماعة كثيرة من المسلمين، فان الشركة المذكورة قد بادرت من أول العهد باستيلائها على الخط الحجازي في سورية باخراج مائتين وواحد وأربعين مأموراً

ومستخدما فيه فقضت بذلك على مائتين واحدى وأربعين عائلة ، واستخدمت من عندها من يقوم مقامهم ممن ليس له مثل مالهم من الخبرة والتمرن على العمل لأنهم شبوا في خدمة الخط الحجازي وتدربوا وتمرنوا فيه منذ سنين طويلة وكانوا معدين للاستخدام فوراً على ما يتجدد من أقسامه ويوجد من فروعه ، تأمينا لدوام سير الاعمال ، ومنعا لتأخير السفر الى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام.

ان حركة السلطة الافرنسية الواقعة هي عبارة عن ضربة متوجهة الى قلب الاسلام. وكان يجب عليها أن تساعد على توحيد فروع الخط مع ادارته، وتشكيل لجنة اسلامية لمراقبة سير أعماله بموجب قرار لوزان المؤرخ في ٢٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٣ خدمة المقصد الجليل الذي أسس لاجله ولادامة حياته ، ولكنها لم تفعل هذا ولم تترك الخط لادارته الاسلامية المنظمة بل شاءت أن تقضي عليه وأن تجعله للافرنسيين لا للمسلمين

ان تجزئة خط الحديد الحجازي جناية عليه لايجوز التسامح فيها البتة ، لان بعض أقسامه يضمن بقاء البعض الآخر ، اذ منها ذو الربح الدائم وبعضها الاربح فيه في معظم السنة ، واننا نرى بعض أقسامه المثمرة كقسم حيفا بيد سلطة غريبة غير مسلمة أيضا ، فهي تجني الثمار منه وتصرفها في غير ماوقف عليه الخط وما أنشيء لاجله ، وبذلك يبقى القسم الجنوبي الكبير الممتد الى المدينة المنورة في منطقة الحجاز خرابا لايقوم بالمقصد السامي الذي أسس لاجله وهو نقل الحجاج الكرام الى مدينة الرسول وتقريبهم من بيت الله الحرام لعدم كفاية حاصلاته لتسديد مايحتاج اليه من النفقات ، فاننا نرى في آخر احصاء للخط الحجازي قبل الحرب (وهو احصاء سنة ١٩١٣) ان واردات الخط الكبير كانت (١٩١٣٧٤) ليرة عثمانية ذهبية ، وان نفقاته بلغت (٢٢١٤٣٠) ليرة فيكون النقص (٣٠٠٥٦) ليرة ، ولكن واردات قسم حيفا كانت في السنة المذكورة (٩٢٤٢١) ليرة ونفقاته (٢٩٥٩٩) ليرة فتكون الزيادة (٦٢٨٢٤)

فيتضح من ذلك ان قسم حيفا أيضا لازم غير مفارق للخط الكبير وانه بدونه لايمكن تأمين السير والسفر على هذا الخط المقدس بسبب العجز البالغ

(٣٠٠٥٦) ليرة ، يضاف الى ذلك أيضا انه اذا بقي قسم حيفا منفصلا عن الفرع الكبير على اتصاله بالبحر فان تعليمات الفحم التي تقدر ب(١٨٠٠٠) طن ستنقل بأجرتها على هذا القسم وتبلغ مصاريفها (١٤٥٠٠) ليرة تقريبا يعني ان الخط الجنوبي الكبير يخسر لذلك سنويا (٤٤٥٥٦) ليرة وهذا الحال يكون قاضيا على حياته مما لا يرضاه العدل النزيه والوجدان الطاهر. اه

(المنار) : يجب على العالم الاسلامي أن يرفع صوته بالاحتجاج على ما فعلته السلطة الفرنسية في سورية من الاستيلاء على السكة الحجازية ، وسنبين هذا في جزء ثان ان شاء الله تعالى

الوثائق الرسمية ، في المسألة العربية

١

﴿ الاتفاق بين الامير فيصل والدولة الفرنسية على الانتداب في سورية ﴾

نشرت الحكومة الفرنسية بيانا عن المسألة العربية جاء فيه نص الاتفاق الذي عقدته بينها و بين الامير فيصل في أواخر سنة ١٩١٩ وهو الذي حمله فيصل الى سورية في شهر فبراير سنة ١٩٢٠ ليأخذ من زعماء الامة تفويضا بعقده نهائيا وقد بينا ما كان من أمر خيبته فيه من قبل وهذه ترجمة الاتفاق

باريس في ٦ يناير (كانون) الاول سنة ١٩١٩

المادة ١ تؤيد حكومة الجمهورية الفرنسية اعترافها بحق الشعوب السورية في حكومة ذاتية

المادة ٢ — تتعهد الحكومة الفرنسية ببذل مشاركتها بكل صفة للامة السورية وضمان استقلالها ضد كل تعد في الحدود التي سيعترف لها بها مؤتمر الصلح

المادة ٣ — يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن الامة السورية المستقلة لا يمكنها أن تستغني الآن عن مشاورة ومساعدة « مندوب » يرشدها في ادارتها الى الوقت الذي تقدر فيه على ادارة شؤونها بنفسها . ويقبل باسم الشعوب السورية أن يفوض الى فرنسة هذا الانتداب

المادة ٤ — يتعهد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن يطلب من

الحكومة الفرنسية – من هذه الحكومة وحدها — المستشارين اللازمين لتنظيم الادارات الملكية والعدلية والنافعة والمعارف وكل الفروع التي يتبين النفع من انشائها باتفاق مشترك بقصد النظام والتقدم

ويكون للحكومة الفرنسية حق الاولوية في المشروعات الصناعية والقروض المحلية وتحترم أساس القانون الشرعي في مسألة الاوقاف

المادة ٥ — تسهيلا لتسيير الضمان المعطى من فرنسة للامة السورية يطلب صاحب السمو الملكي الامير فيصل حالا من الحكومة الجمهورية رجالا - ضباطا - مدربين لتنظيم الدرك والشرطة .

المادة ٦ — يقيم صاحب السمو الملكى الامير فيصل في باريس بجانب ناظر الخارجية معتمدا مفوضا موكلا يتتبع المسائل الخارجية التي تهم الامة السورية ويفوض الى الممثلين السياسيين والقناصل الفرنسيين في الخارج تمثيل المصالح الخارجية للدولة السورية ، ويصدر للقناصل توكيلا منه بالمسائل السورية

المادة ٧ — يكون لبنان مستقلا تحت الوصاية الافرنسية في الحدود التى يخصصها له مؤتمر السلم

المادة ٨ — سيبقى هذا الاتفاق الحاضر الذي تعين به القواعد العمومية مكتوما بين الطرفين الى حين إمضاء الاتفاق القطعي المفصل « ويدون عند رجوع الامير فيصل من سورية » ويتبلغ هذا الاتفاق الى مؤتمر الصلح في الوقت الملائم

(٢)

(تعديل هذه الوثيقة)

باريس في ١٦ يناير (كانون الاول) ١٩١٩

بناء على التصريح الافرنسي — الانكليزي بتاريخ ٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ من جهة وبناء على المبادىء العامة المختصة بتحرير الشعوب وبالمشاركة الودية المعلنة من قبل مؤتمر السلم من جهة أخرى تؤكد الحكومة الجمهورية الافرنسية اعترافها بالحق للاهالين الناطقين باللغة العربية والقاطنين في أرض سورية من كافة المذاهب أن يتحدوا ليحكموا انفسهم بأنفسهم بصفتهم أمة مستقلة

يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن الاهلين السوريين لا يستطيعون في الوقت الحاضر لاختلال النظام الاجتماعي الناشيء عن الاضطهاد التركي، والخسائر المحدثة أثناء الحرب أن يحققوا وحدتهم وينظموا ادارة الامة دون مشورة، ولا معاونة من أمة مشاركة على أن تسجل تلك المشاركة Cooperation من قبل جمعية الامم عند ابرامها فعلا

وباسم الشعب السوري يطلب هذه المهمة من فرنسة

١ — تتعهد الحكومة الافرنسية بأن تمنح للامة السورية مساعدتها على شؤونها، بجميع أنواعها وأن تضمن استقلالها ضد كل تجاوز ضمن الحدود التي سيعترف بها مؤتمر السلم وفي تعيين هذه الحدود ستبذل الحكومة الافرنسية جهدها لتقرير التعديلات العادلة من حيث الجنسية واللغة العربية

٢ — يتعهد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن يطلب من الحكومة الجهورية الافرنسية — هذه الحكومة وحدها — المستشارين والمدربين والمأمورين الفنيين اللازمين لتنظيم جميع الادارات الملكية والعسكرية وهؤلاء المستشارون والاخصائيون يستمدون تفويضهم وسلطتهم التنفيذية من الامة السورية

يشترك المستشار المالي في اعداد ميزانية الخرج والدخل لاقامة أساس التنظيم المالي الذي تبنى عليه قواعد ادارة الدولة (السورية) الجديدة، وهو الذي ينفذ بالاجبار جميع نفقات الادارات المختلفة وله أن يبحث عن حصة سورية من الديون العمومية العثمانية

وستكون السكك الحديدية المعطى امتيازها من خصائص مستشار (النافعة)

وفي أثر انعقاد الاتفاق الحاضر تمنح الحكومة الفرنسية مساعدتها لاجل تنظيم الدرك والشرطة والجيش

يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل للحكومة الفرنسية بحق الاولوية التامة في المشروعات والقروض المحلية الا ضد الوطنيين الذين يعملون لانفسهم ولا يعيرون أسماءهم لرأس مال أجنبي

٣ — يقيم صاحب السمو الملكي الامير فيصل في باريس لدى ناظر الامور الخارجية مفوضاً ينتدبه سكرتيره للامور الخارجية يعهد اليه النظر في المسائل الخارجية التي تهم الامة السورية .

و يعهد الى ممثلي فرنسة السياسيين وقناصلها في الخارج بتمثيل مصالح دولة سورية الخارجية

يكون المفوض السوري الذي يقيم في باريس مندوبون تابعون لامره في لندن وروما وواشنطن ضمن نطاق السفارة الافرنسية ووظيفتهم رؤية المسائل المختصة بأحوال السوريين الشخصية

وسيعهد للقناصل الفرنسويين بمهمة القنصلية السورية

٤ — يعترف صاحب السمو الملكي الامير فيصل باستقلال لبنان تحت الوصاية الفرنسية وبالحدود التي سيعينها له مؤتمر السلم

٥ — يتعهد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بأن يتعاون مع فرنسة على تنظيم حكومة لدروز حوران في داخل الدولة السورية تكون متمتعة بأوسع شكل من الاستقلال الاداري يلتئم مع وحدة الدولة

٦ — تتعهد الامة السورية بأن تبذل جميع قواها في المساعدة التامة لفرنسة في كل فرصة امتنانا من العهد الذي عقدته مع المندوب العالي الافرنسي ممثل الدولة المساعدة اقامة عادية في حلب ليكون بهذه الصورة على مقربة من كيليكيا وهي منطقة الحدود التي تجتمع فيها عادة الجنود الحامية، ويكون لرئيس الدولة السورية والمندوب العالي الافرنسي مشتى في بيروت التي ستتمتع بادارة بلدية مختارة

يبقى هذا العهد الذي تضبط به المبادىء العمومية مكتوما بين الفريقين الى امضاء الاتفاق القطعي المفصل الذي سيحرر عند رجوع صاحب السمو الملكي الامير فيصل الى فرنسة وسيعرض في الوقت الموافق على مؤتمر السلم اهـ

﴿ المنار ﴾ هذا هو الاستقلال الذى كانت جرائد الدعاية البريطانية تبشر به السوريين مع سائر العرب وفي مقدمتها جريدة القبلة وجريدة الكوكب وجريدة المقطم

هذا هو الاستقلال الذى كان فيصل يحلف الايمان المغلظة في خطبه ومحادثاته بانه لا يقبله الا تاما ناجزا مطلقا من قيود الحماية والوصاية وكل تدخل اجنبي والا كان بريئا من دم محمد ومن نسب محمد «صلى الله عليه وسلم» وكان يطلب من وجهاء السوريين واحزابهم ومن المؤتمر السوري أن يفوضوه في سياستهم الداخلية والخارجية بلا شرط ولا قيد وكادوا يخدعون ولو فعلوا لسجل على بلادهم حمل العبودية ولكنه خاب أولا وآخرا ولله الحمد، ولا ندري ما تكون عاقبة امره فيما عاهد عليه الإنكليز في العراق من تقييد الامة بامضاء صك عبوديتها و بيع استقلالها

أثارة من تاريخ الزلازل وعلم الارض

لمحمد الرشيدي بك آل الحجازي من أركان الحرب

(كتب بمناسبة تلك الزلازل الشديدة التي انتابت المدن الكبرى في بلاد اليابان، فخربت العمران، وقتلت مئات الالوف من السكان، وسارت أخبار أهوالها الركبان، وقد جمعت المقالة للمجلد السابق ومرت سنة كاملة ولم يمكن نشرها، وانما ننشرها الآن للعبرة بها والتذكير بحقارة هذه الدنيا وعمرانها، والترغيب في العمل للآخرة التي يندر في هذا العصر من يذكر بها . قال الكاتب)

رمى الحدثان أهل اليابان بمأساة سمدوا لها سمودا ، وقرحوا أعينا وخدودا، ولا عجب ، فان الخطب الذي لحق بهم من أقسى الارزاء التي أصابت الانسانية من غليان مراجل الارض التي اتخذ الناس مسكنهم منها، واعتمدوا في معاشهم عليها ولكن الانسان جبل على النسيان، فمن ذا الذي يذكر زلازل مسيني التي أودت بما يزيد عن مائتي الف نفس وزلازل صقلية التي خربت مرارا مدنها وقراها ونخص بالاشارة منها تلك التي خربت في عام ١٦٩٣ وحده أربعا وخمسين مدينة وثلاثمائة قرية وقتلت ستين الف نسمة! فكأنما قيل لاهل تلك الجزيرة الجهنمية

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكمو يصير الى تراب

ولكن ليس بسير الامور الى الزوال بالسنة الطبيعية المطردة، بل فجأة وغيلة بغدر الطبيعة وحسن ظن الناس بدنياهم * دار الردى وقرارة الا كدار *

ومن ذا الذي فكر قبل مصيبة (طوكيو ويوكوهامة) وغيرهما من مدن اليابان وقراها أو بين وقوعها وبين حدوث التثور الاخير لبركان اتنة في صقلية في أن ليسابونه (أو ليشبونة) عاصمة البرتغال منها أصابتها مثل هذه الارزاء مرارا ، وانها في شهر نوفمبر من عام ١٧٥٥ رجتها الزلازل رجة شعر بها في مقدار جزء من اثني عشر جزءاً من سطح الكرة الارضية ، وصيرتها أطلالا تدفن تحت ترابها وأحجارها وخشبها وحديدها اكثر من ستين الف شخص !

نعم ، لا يذكر الا القليل من أهل التاريخ- الذين مهمتهم أن يحفظوا ذكرى الحوادث - تلك الكوارث التي انتابت الانسانيـة في عام ٧٩ قبل الميلاد حيث زلزلت الارض زلزالها وأخرجت أثقـالها في ساحل نابولي وما اكتنفه فقوضت أعراش بومبئي وهركولانوم وطغت عليهما سيلا من المواد الذائبة التي لفظها بركان لم تطفيء الايام الى الآن جمرصدره - وهو بركان فيزوف- وما أصاب منها أرجاء البحر المتوسط في عامي ١٩ و ٥٢٦ بعد المسيح حيث قضت في كل مرة على نحو مائة وعشرين أو مائة وخمسين الفا من البشر وما كان لهـم من أموال وأنعام ، وفي مدينة نابولي نفسها التي رجت أرضها عام ١٦٣٨ رجة قضت على ما فوق ثلاثين الفا من الانفس ، وجزيرة جامايكا التي اهتزت اهتزازا كفى لازالة مدينة وأهلها من عالم الاحياء ، اذ محت مدينـة بور رويايال وأماتت أكثر من ثلاثة آلاف نفس من أهلهـا ، وفي ليما وكالاس حيث دمرت المدينتان وفارق ثمانية عشر (الفا) من السكان الحياة فيهما ، وفي المارتينيك حيث صارت مدينة سان بيير الى ما صارت اليه بور روايال .

لا يذكر سوى المؤرخين ذلك وغيره مثل طغيان الماء على الارض في مدينة « جالفستون » بسبب حركة الزلازل التي دمرت المدينـة كلها وحكمت طوفان السيل فيها ، وما لحق بالانسانية قبله وبعده من الجوائح والمصائب .

بل سينسى أهل اليابان أنفسهم ما لحق بجزائرهم في أوائل هذا الشهر ، كما نسوا ما حل بهم من قبـله ، وسينسى أهل مسيني ما أصابهم من ائنة وزلازل مسيني وصقلية وأهل ايطالية ما أصاب أنحاءهم الجنوبية ، كما سينسى أهالي الدر ما نال منهم طغيان النيل في هذا العام .

ولولا ذلك لما سكن أحد نابولي وليشبونه ومسيني وأراضي صقلية وجزائر اليابان والاقيانوسية وغيرها ، ولما اتخذت ايطالية نابولي أهم مرفأ لها ، ولما شنت الامم الحروب بعضها على بعض مع أنه لم تخرج أمة مرة من حرب ولو ظافرة إلا وأسفت على ما ضاع من النفوس والاموال ، وفضلت الرغبة الى نعيم السلام ، الذي هيهات أن تسمح به الايام ....

ولكن أين يذهبون اذا أرادوا السكنى في جهة لا زلازل تحركها ؟
أن شرقي آسية ووسطها وجنوبيها وجزائر الاقيانوسية ووسط أفريقية وشماليها وجنوبيها ووسط أوربة وجنوبيها وغربها أراض صلبة هي من أكثر الاراضي تأثراً بالزلازل وفيها كثير من البراكين لاتزال تلفظ اليحموم وسيول المواد الذائبة والنار ، كما أن اميريكة من أراضي أمير الويلس (برنس اوف ويلس) واسلانده (أو آيلند) - اذا اعتبرنا اسلانده من اميريكة (- وهو على رأينا أصح من اعتبارها من اوربة) - شمالا الى رأس القرن (كاب هورن) في أراضي النار جنوبا بلاد أوجدتها سلسلة براكين قد تكون سبب زوالها بعد أن كانت سبب وجودها .

ولقد أصابت اليابان قبل الآن من هذا القبيل مصائب كثيرة أخصها مصيبة زلازل عامي ١٨٩١ و١٨٩٦ و أكبر منها مصيبة ١٨٥٥ التي دمرت توكيو وكانت وقتئذ تدعى « ييدو » ، كما أن زلازل كراكاتا التي لم تقتصر على رج ما على القشرة الارضية من جزائر الاقيانوسية وجنوب الصين والصين الهندية وسيام الهند ، بل وصلت تموجات الارتجاج الى جنوب أفريقية ، بل الى جنوب اميريكة أيضا بل الى ماوراء رأس القرن غربا !

وكذلك الهند التي أصابها ارتجاج عقب زلازل طوكيو ويوكوهامة هذه الاخيرة هزتها كلها زلازل عام ١٨٦١ هزة عنيفة وكذلك أواسط آسية رأت من الزلازل ونتائجها كثيرا مما يروع ويفزع ، وخصوصا زلازل ارجاء بحيرة البيكال التي طرأت في عام ١٨٨٨ . ولقد ذكرنا زلازل ليشبونة في عام ١٧٥٥ وقد اهتزت لرجاتها ارجاء الجزيرة (أو شبه الجزيرة !) الاميرية - أي البورتغال وأسبانية وإفرنسة وسويسرة وجزء من شمالي إيطالية وجزء من غربي المانية وشماليها وجنوبي السويد وجنوبي النرويج وغربيها وجزء من شماليها وأراضي الدانمارك وهولاندة و (بلجيكة) وجزيرتي انكلترة وايرلندة كلها .

ولم تكن اميريكة الشمالية ولا اميريكة الجنوبية بأسعد حظا ، فقد أصابت الاولى زلازل كثيرة نخص بالذكر منها زلازل ١٨٧٥ التي رجت شرقيها ، وزلازل

١٨٩٥ التي رجت وسطها ، وزلازل ١٨١١ و ١٧١١ التي رجت كل أراضي جنوبي أميريكة الشمالية و بعض أراضي شمالي اميريكة الجنوبية وما بينهما من جزائر الانتيل. وأما الثانية - أي اميريكة الجنوبية — فقد أصابها في شمالها ووسطها وجنوبها الغربي والشرقي ما دونته سجلات التاريخ، وقماطر علم الارض، وخصوصاً زلازل ١٨١٥ التي أصابت الشيلي ، وزلازل ١٨٩٥ التي عمت الشيلي وقسماً كبيراً من الجمهورية الفضية (الارجنتين) والاوروجواي والباراجواي و بوليفية ، وجزءاً من البرازيل

فهل سلمت أراضي الشرق العربية — ونعني بها ما جاور مصر — من تلك الزلازل ؟ لا ، بل تناوبتها الزلازل حيناً بعد حين ، نخص بالذكر منها تلك التي لم تمر عليها ثلاث وخمسون سنة كاملة ، وهي زلازل عام ١٨٧٠ التي شملت مصر وقسماً كبيراً من سودانها وطرابلس الغرب وتونس غرباً ، وقسماً كبيراً من بلاد العرب وسورية والاناضول والبلقان وجنوبي ايطالية !

وأما أراضي الجزائر والمغرب الاقصى فهي جبلية بركانية في أكثر مساحتها ومن المعلوم أن أفريقية كانت متصلة بأوربة - وعلى الاخص في جهة المغرب الاقصى وما فصلتهما سوى الزلازل التي مزقت القشرة الارضية البارزة عند مقترب المحيط الاطلسي والبحر المتوسط واحدثت بينهما بحر الزقاق أو ممر جبل طارق .

واذا لم يسجل التاريخ زلازل في صحراء أفريقية الكبرى ولا في غربيها ووسطها وجنوبيها فليس ذلك لانه لم تحدث هناك زلازل - بل لان الطوارق وأهالي السودان والكونغو والهوتانتوتيين وغيرهم لم يسجلوا ما لحق بهم منها ولم يقيسوا مدى تموجاته بآلات قياس الزلازل ... بل لم يرتقوا الى تدوين أمثال هذه الاحداث الكونية في تواريخ بلادهم

لقد درس علماء الارض والباحثون منهم في الزلازل خاصة هذه الشئون واستعملوا ما يستخدمون من آلات رصد الزلازل كالبندول الافقي وآلة مقياس الزلازل وغيرهما، فوجدوا انه لا يوجد مقدار شبر من الارض خلواً من الاهتزاز الذي قد يشتد يوما فيكون زلزلة تميد بها الدور والقلاع والجبال . . . ولا تترك من البروج المشيدة الا الاطلال . . .

فأين يقطن الناس المساكين ليأمنوا أن تخسف بهم الارض ؟؟؟ .

لعمري ان آمن أنواع المساكن ضرراً هي الاهرام لمن أراد سكنى قصور الاحجار وما بني بالبتون على نمط مخازن الذخائر في القلاع وأخفها وأسلمها الخيام التي يقطنها البدو آمنين أن تسقط عليهم السقوف والجدران. . . فهل تعود المدنية بعد إزدهارها ورفاهتها، الى ما كانت الانسانية عليه في بداوتها وتقشفها ؟ . . .

لقد كان اليابانيون ولا نزال بعضهم الى الآن يبنون دورهم بقصب البمبو جاعلين جدرانها من الورق . . . كما كان أهل الآستانة يبنون مساكنهم بالخشب ثم هؤلاء وأولئك اتبعوا حركة « المدنية » الحديثة في البناء بالاحجار والبتون والحديد، ومنهم من فكر في اتباع الطريقة الحمقاء أو طريقة وضع الربح فوق كل اعتبار آخر - وهي الطريقة الاميريكية الفظيعة التي تشيد بها منازل ذات طباق تعد بالعشرات . . . فاذا ارتجت الارض تداعت جدران هذه الابراج المشيدة وسقط سكانها من أعلى عليين الى أسفل سافلين تحت الانقاض وفيما بينها !

ان هـذه الحماقة في التقليد نراها هنا في آلمانية أيضا . . . . فان كثيراً من الشركات اغتنمت حلول الحكم الجمهوري الذي ترك الاعنة لكل النزعات.... في محل الحكم القيصري الذي كان يحرم على الناس أن يعلوا دورهم، فاخذت في بناء الدور الشاهقة التي تريد بها أن تضارع « الحتكات بالسحب » الاميريكية . .

ويعلم الله متى يعاقب البانون والساكنون على هذا الخطأ الفظيع، نسأل الله السلامة لنا وللناس من عواقب حماقتهم واندفاعهم وراء الربح بغير ترو ولا تفكير !

***

تسجل مراصـد الزلازل في أنحاء العالم آلافا من الزلازل في كل عام، ولا يفهم الناس أنهم يعيشون ويبنون قصورهم على قمة بركان اذا كان لم ينفجر اليوم فقد ينفجر غدا أو كما قال أحد الناس في ابان الثورة الافرنسية « إنهم يرقصون فوق وعاء أو (برميل) بارود » !

إن هذه الارض التي يظنها الناس ساكنة لها في « بدنها » حركة دائمة، وكيف تستقر قشرة رقيقة على نواة غليظة من الجمر ؟ وما البحر بآمن من الارض فانه على زلازل أنوائه وأمواجه، له زلازل من تحته كالارض.

فمتى تعقل الانسانية وتتخذ لنفسها الحيطة من خطر هي معرضة له في كل طرفة عين؟

فليرجع الناس الى ما كانت عليه مبانيهم من البساطة والصغر ، واذا كان العلم قد أفادهم ، فليتخذوا وسائل لمنع سقوط السقوف والجدران ، والوقاية من الحريق الذي كان يلتهم أخشاب الاسثانة و ورق اليابان . . . .

ان مصيبة اليابان على فداحة ضحاياها من الانفس والاموال ، لايقف مدى خطبها لدى ماظهر من جسامة الرزء . بل إنها اكبر بكثير من كل مصيبة حلت بتلك الارض الجهنمية . فانها ضربت « اقتصاد » اليابان من زراعة وصناعة وتجارة ضربة تكاد تكون قاضية عليه اذا لم يبذل في إصلاح ما أفسدت فوق مايستطاع من الجهد الانساني ، واذا لم تمدها الامم الاخرى بيد المعاونة والمساعدة، ومتى تعيد اليابان بناء مصانعها ومتاجرها ومزارعها التي قوضتها الزلزلة واعفت النار ثارها؟ ... ومتى تعيد دور علومها وأماكن فنونها، وتستعيض عمن قضت عليه هذه الكارثة من رجال العلم والسياسة والاقتصاد ؟

نعم إنه لا يجوز اليأس مادامت في اليابان أم تلد (والامهات يلدن كثيرا في اليابان - ويفاخرن أمم العالم بكثرة من يلدن) ولكن مما لايجوز للشك أن يتطرق اليه، هو أن خطب اليابان أعظم خطب رأته أمم الانسانية بعد خطب عاد وثمود .

﴿ المنار ﴾ بعد كتابة هذه المقالة وقبل نشرها نقلت صحف العالم عن أحد علماء الفلك في انكلترة أنه بعد الدراسة والبحث في اسباب الزلازل عشرين سنة قامت عنده دلائل اقنعته بأن هذه الارض ستخرب في سنة كذا ـ وذكر سنة قريبة نسيتها الآن ـ بزلزلة تعم الغرب والشرق فتطغى بها البحار على اليابسة ... الخ

وقد صار الناس يتمارون بامثال هذه النذر المحددة لموعد خراب الارض وهلاك عالمها أو قيام الساعة لتعدد الذين تنبؤا بها وظهر كذبهم وكان الناس يصدقونها في القرون الوسطى حتى كانوا يتوبون الى الله ويتركون المعاصي و يكثرون الصدقات استعدادا للقاء الله تعالى وقد وقف الالوف من أهل اوربة املاكهم للكنائس فى اثر مزعم من هذه المزاعم . — ولكن أقوال علماء الفلك والزلازل في خراب العالم مبنية على اصول علمية ادا لم تبلغ فروعها درجة القطع وتحديد الزمن فلا يستطيع أحد أن ينكر اصولها وامكان وقوع ما اخبر به هذا العالم الانكليزي في وقت ما وقد صرح كتاب الله تعالى بأن للساعة زلزلة عظيمة تتقدمها ولكنه قال(لا تأتيكم الا بغتة)

الشيخ محمد مهدي

فجع القطر المصري في الشهر الماضي فجأة بوفاة أخينا وصديقنا الكريم ، وولينا الحميم ، الاستاذ محمد مهدي بك وكيل مدرسة القضاء الشرعي والمدرس في القسم العالي منها فكانت وفاته زلزالا عظيما ، ورزءاً أليما ، وخطبا جسيما ، شعر بشدة وقعه عارفو فضله من العلماء والادباء ولا سيما الذين تخرجوا به أو تلقوا عنه في المدارس الاميرية الابتدائية فالثانوية فالعالية — وآخرها دار العلوم والجامعة المصرية ومدرسة القضاء الشرعي — والذين عاشروه وحظوا بنصيب من آدابه النفسية واللسانية — فقد كان رحمه الله تعالى نادر المثل ومنقطع النظير في مجموعة أخلاقه وفضائله ومعارفه وآدابه . انني أذكر من ترجمته بعض ما سمعت ورأيت منه وما رويت عنه بالايجاز وأختص ما كان من أمره في حزب الاصلاح ومريدي الاستاذ الامام :

هو من عرق ألباني جاور في الازهر سنين، وتخرج في مدرسة دار العلوم. وكان ممن تلقوا عن الاستاذ الشيخ حسن الطويل أحد أفراد علماء الازهر فى هذا العصر فى استقلال الفكر وسعة الاطلاع والجرأة على مخالفة الجماهير في الرأي، وكان تلاميذه في الدرجة الثانية بعد تلاميذ الاستاذ الامام الذين دخلوا هذه المدرسة في أول العهد بتأسيسها ، وأعني درجات الاستعداد للاصلاح . ولهذا كانوا أشد خريجيها رغبة في الاتصال بالامام في قيامه بالنهضة الاخيرة وأكثرهم استفادة منه . ولا غرو فقد كان الشيخ حسن الطويل صديقا للشيخ محمد عبده وأستاذاً له في الازهر قبل مجيء السيد جمال الدين الى هذه البلاد ، جمع بينهما الميل الى العلوم العقلية والبحث عن غير ما يقرأ في الازهر ، وكانا أول من لقي السيد وسمع منه مباحث في تفسير بعض آيات القرآن الحكيم لم يطرق آذانهما مثلها جذبت اليه ثانيهما فانقطع عن كل شيوخه وانفرد بصحبته وكان الوارث الاكبر له

كان الجامدون من أهل الازهر لا يستطيعون فتح أبصارهم في نور حكمة

الاستاذ الامام وعلمه الاستقلالي وآرائه الاصلاحيـة بل كان بعضهم كالاعمى وبعضهم كالاعشى تجاه ذلك النور . وكان تلاميذ الطويل يصرفون أبصارهم اليه اذا صرفت أبصار غيرهم عنه ، فربما طرفت عين أحدهم عند النظرة الاولى، ولكنه لايلبث أن يعيدها مرة بعد أخرى ، حتى تقوى على ادراك ذلك النور وإدراك الحقائق به، وكذلك وقع للمهدي

حدثني فقيدنا الكريم بأول عهـده بمعرفة الاستاذ قال : ذهبت مع صديق لي الى دار سعد بك زغلول في (الظاهر) ليلة فوجدت عنده الشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين وآخرين ، وكانوا يتكلمون في سوء حال المسـلمين وما ينتقد عليهم من أمور دينهم ودنياهم، فرأيت أنهم مخطئون في بعض ما يقولون ، وقد أردت أن أجول معهم فيما رأيته خطأ من أقوالهم وما يقرره الشيخ فيوافقونه عليه فألفيتني عاجزا عن الرد عليهم وضقت بهم ذرعا فرأيت من الدهاء أن أورطهم فيما يظهر به خطأ رأيهم للناس فقلت للاستاذ بعـد جولة قصيرة معه : اذا كان المسلمون بحيث تذكرون فما بالـكم لا تبينون لهم ضلالهم وتدلونهم على المخرج منه بمقالات تنشرونها في الجرائد ؟ — وكنت أمكر به ليكتب فيتصدى للرد عليه من هم أقدر مني على ذلك — فقال الاستاذ : قد صدرت هنـا جريدة جديدة لاجل هذه المباحث فيحسن بك أن تقرأها ؟ وذكر (المنار). . .

كان هذا القول سبب اشتراك الفقيد في المنار منذ السنة الاولى وتلا ذلك تعارفنا وتآلفنا ، وكان في أول العهد به يجادلني في بعض مباحث المنار التي يرى فيها نظرا أو خطأ ، وكانت طريقته في المذاكرة أو المناظرة أنه يحفظ لنفسه خط الرجعة غالبا فلا يظهر رأيه بصيغة الجزم ، حتى اذا ظهر له أنه مخطيء لم يشق عليه أن يعترف بالحق ، وكان هـذا دأبه طول عمره ، وكان يسر بالفلج والاحسان والاصـابة و يدلّ به فيبتسم وتبرق أساريره فاذا جاراه جليسه وشاركه في تبسمه ضحك فاذا شاركه فيه أطال وأغرب، وكان يكتئب اذا أخطأ فتراه قد تخاوص وقطب

وقد حمد رحمه الله تعالى صحبتي وحمدت صحبته ، ولما اقترحت على الاستاذ الامام عقد مجالس خاصة يتلقى عنه فيها الحكمة العالية بعض خواص المستنيرين

من أساتذة المدارس وغيرهم كان الشيخ مهدي أول من ذكرت له منهم فقال لي إن هذا من الجامدين ، قلت لا بل هو مستقل الفكر ، حريص على حقائق العلم . وكان سبب هذا الظن فيه سمره تلك الليلة معهم في دار سعد باشا زغلول — ثم كان من أحظى الاخوان عند الامام رحمهما الله تعالى

كان الفقيد يحضر معنا دروس الاستاذ الامام في الازهر : رسالة التوحيد والتفسير والمنطق والبلاغة ، ولما خرجنا من الدرس الاول من دروس كتاب أسرار البلاغة قال لي : اننا في هذه الليلة قد اكتشفنا معنى علم البيان . وكان يحضر الدروس أو المجالس العالية الخاصة التي كان الاستاذ يلقيها على فئة مختارة في دار أحمد بك تيمور (هو أحمد باشا تيمور عضو مجلس الشيوخ) في شارع درب سعادة ، ثم في داره هو بعين شمس — فبهذا كان الفقيد من خواص مريدي الاستاذ الامام الذين وردوا حوضه وشربوا نهلا وعلا ، وأشربوا آراءه الاصلاحية فنشروها قولا وفعلا ، الا أنه لم يكن يتحرى الدعاية لها ، ولم يكن يجهر بنضال الخصوم دونه ودونها ، بل كان يوردها في الاكثر من تلقاء نفسه ويجادل فيها على طريقته التي بيناها آنفا

وكذلك كان شأنه في آراء المنار ، كان معجبا بها ومظاهرا لي عليها ، وكان يقول لي اننا نرى في كل جزء من المنار شيئا جديدا ما كنا نعلمه ، وكان يحب نشر ذلك والدفاع عنه بما بينا من أسلوبه وطريقته . فاذا تصدى له بعض خصوم الاستاذ الامام أو خصوم المنار منكرا ومجادلا تحرى في الدفاع أن يكون محايدا لاضلع له معناه، الا أن يكون المنكر من تلاميذه أو ممن هم كتلاميذه في توقيره واحترام رأيه، فقد يصرح حينئذ بالانتصار والثناء، وكان يرى ان هذا الاسلوب وهذه الطريقة أقرب وسائل الاقناع ، وهو الذي كان يخبرني بهذا عن نفسه ، وكنت أرى ان هذا من الضعف الناشىء عن تحاميه أسباب الانتقاد عليه والتخطئة له، فانه لم يكن يطيق هذا، فكان البون بيننا في هذه الخليقة واسعا ،

وكان بعض إخوانه يتهمه بحب الانفراد ولو تشبعا. قال لي أستاذ في الذروة منهم علما واستقلالا وصراحة: فاجأنا أخونا فلان بآراء جديدة ومباحث طريفة يلقيها علينا

في سامرنا لم نكن نعهدها منه، ونحن أعلم الناس به، فكنا نجادله فيها ولم نعرف مصدره حتى اشتركنا في المنار (وكان اشتراك هذا الاستاذ في أثناء السنة الثانية) وعندي من النظر في إطلاق هذه التهمة ان الانسان اذا قنع بشيء وتمكن من نفسه صار رأيا له ومذهبا، وصار يتحدث به من عند نفسه، فهي التي تلقى على لسانه وتملى على قلمه، مالم له في غفلة عن مصدره، وتكثر هذه الغفلة اذا طال العهد على تلقي ذلك الشيء ولاسيما اذا كان من المسائل التي تتكرر بالاساليب المختلفة لاجل الاقناع بها وتعميم نشرها، دع ما كان من توارد الخواطر، ووقع حافر في إثر حافر

تلك المباحث الاصلاحية التي كانت جديدة في اول العهد بظهور المنار هي ما أشرنا اليه في فاتحته وشرحناه بالتدريج في المقالات المتسلسلة والمتفرقة كمقالات منكرات المولد ومقالات الاصلاح الاسلامي التي انحينا فيها على رؤساء الدين والدنيا من الخلفاء والملوك والمتكلمين والفقهاء والمتصوفة وأهمها مسألة التقليد وتفرق المذاهب. ولما عزمت على بسط هذا البحث واقامة الحجج عليه ووصف العلاج للتفرق بجمع الكلمة على المجمع عليه في الاسلام وجعل المسائل الخلافية في الدين كامثالها في اللغة والعلوم والفنون البشرية لاتقتضي تفرقا ولا عداوة ولا طعنا في المخالف — كاشفت الفقيد بذلك فنصح لي بان لا اصرح بذلك لئلا تقوم قيامة الشيوخ على المنار، فقلت له سأكتب ذلك بصفة مناظرة بين مصلح ومقلد — وافتح باب الرد عليها لمن شاء. وقد نفذت ذلك في المجلدين الثالث والرابع وجمعت تلك المقالات في كتاب (محاورات المصلح والمقلد) التي طبعت في كتاب مستقل كان له في العالم الاسلامي تأثير عظيم . ولقد كنت ارجو عند انشاء المنار ان اجد من هؤلاء الدارين في مصر حزبا كبيرا يشد ازري في عملي فلم اجد الا افرادا كان الفقيد ارجم واوفاهم واوصلهم فجزاه الله خير الجزاء . وقد كان من حبه لي ان سمى نجله الوحيد باسمي فاسأله ان يجعله خير خلف له

وجملة القول في نشأة الفقيد الادبية الاصلاحية أنه كان من خيرة الذين تخرجوا في دار العلوم وأرقاهم تحصيلا وأحسنهم تعليما، ومن وسط المستعدين للاصلاح، وأوائل الفئة التي اتصلت بالاستاذ الامام في عهدنا فأشربت طريقته

المعتدلة في الاصلاح ومذهبه الوسط الجامع بين هداية الدين على منهاج السلف الصالح وتجديد حضارة الامة بما يقتضيه ترقي العلوم الكونية والفنون الحديثة ،

ومن أكبر الآيات على ذلك تربيته وتعليمه لكريمته (أسماء) فقد رباها تربية اسلامية فاضلة وعلمها تعليما عصريا راقيا. وكان من شجاعته الادبية ان أرسلها الى انكلترة لاتمام تعلمها واثقا بدينها وأدبها ، فحقق الله ظنه فيها وهي الآن ناظرة لمدرسة من مدارس البنات الاميرية تديرها أحسن إدارة .

ومسألة المرأة أهم مسائل تجديد الحضارة في الشرق والمذاهب فيها ثلاثة: مذهب ملاحدة المتفرنجين وهو جعلها كالمرأة الافرنجية حتى في الخلاعة والرقص مع الرجال نصف عارية ومعاقرة الراح معهم وما وراء ذلك من وقاحة وإباحة، ومذهب الجامدين وهو أن تكون جاهلة مظلومة مستضعفة ، ومذهب حزب الاصلاح والتجديد المعتدل وهو أن تربى البنات على التدين والفضيلة والعفاف والتقوى وتعلم القراءة والكتابة بلغة امتها وملتها وامور الدين وكل ما تحتاج اليه للقيام بتكوين الاسرة ونظامها من امور الصحة وتربية الاطفال وتدبير المنزل الخ وأن لا يحرم المستعدات منهن للعلوم العالية منها ولاسيما الطب وآكده مايختص منه بالنساء وادارة مدارس البنات والملاجيء الخيرية للنساء ، وكل ماتمس اليه حاجة الامة

حسبك ياقاريء المنار في الآفاق أن تعرف مما ذكرنا ان الفقيد كان من مريدي الاستاذ الامام أي من الحزب الاسلامي المعتدل الذي لا يرجى بدونه صلاح حال المسلمين وارتقاؤهم المدني والاجتماعي والسياسي مع بقائهم مسلمين كما شهد بذلك بعض أقطاب السياسة من الاوربيين أولي العلم والاختبار لامور الشرق الذين وصفوه بالحزب الوسط بين جمود السواد الاكبر وبين غلاة المتفرنجين. صرح اللورد كرومر بهذا في تأبينه للاستاذ الامام في تقريره عن مصر سنة ١٩٠٥ وسبقه الى ذلك مراسل جريدة الطان الفرنسية بتونس

بعد هذا أنقل اليك ما كتبه أحد تلاميذ الفقيد من دعاة التفرنج أنصار الجديد أعداء القديم فيه من هذه الجهة

رأي تلميذ له فيه

كتب الدكتور طه حسين مقالا فيه نشره في جريدة السياسة وهو أحد كتابها ذكر فيه ان الاستاذ المهدي كان له تأثير عظيم في أنفس تلاميذه الكثيرين وأنهم كانوا يحبونه حبا شديدا وان منهم كثيرا من كبار المعلمين والقضاة والمحامين من شيوخ مصر وشبانها ثم قال:

« ولقد أريد أن أترك منه في هذه الكلمة صورة قريبة من الصدق، أريد أن أكون مؤرخا لا مداحا ولا راثيا، وأشعر بأن عمل المؤرخ في مثل هذا المقام ليس بالشيء السهل

« لم يكن الشيخ محمد مهدي من أنصار القديم ولكنه لم يكن من أنصار الجديد، وانما كان وسطا بين هاتين الطائفتين، كان يزدري أنصار القديم ويغلو بعض الشيء في ازدرائهم، وكان يراهم خطرا على الرقي العقلي وعلى الحياة الصالحة، كما أنه لم يكن يحب الغلاة من أنصار الجديد بل كان يتبرم بهم كثيرا ويراهم خطرا على الحياة الاجتماعية والدينية بنوع خاص. كان شديد الاعجاب بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وبعض تلاميذه، بل كان اعجابه هذا لا حد له، وكان سببا من أسباب قصوره عن إدراك الحياة الجديدة، فكان يخيل اليه أن المثل الاعلى من الرقي العقلي ومن الحرية العقليه انما هو ما وصل اليه الشيخ محمد عبده، وان الذين ينحرفون عن طريق الاستاذ الشيخ محمد عبده الى ناحية الجمود كالذين ينحرفون عن طريقه الى ناحية التقدم خطرون على الحياة الاجتماعية والدينية والعقلية. أولئك يؤخرونها والتأخر شر، وهؤلاء يثبون بها والوثوب خطر. ثم كان الاستاذ الشيخ مهدي يمثل جيلا خاصا من الاساتذة والادباء هو أقرب الآن الى أن ينتهي ويترك مكانه لجيل من الشبان يخالفه المخالفة كلها. كان قد أدرك ذلك العصر الذي لم تكن فيه حياتنا العقلية والادبية راقية ولا مرضية، وكان من الذين ظهر فيهم الرقي الجديد فكان معجبا بهذا الرقي مفتونا به، وحفظ هذا الى آخر أيامه، فكان يرى نفسه خيرا من غيره، وكان لا يتكلف الاحتياط في اخفاء ذلك أو الاقتصاد فيه، وكان أصدقاؤه وتلاميذه الذين يحبونه ويميلون اليه يسمعون

منه ذلك راضين بل متفكهين، كانوا يبسمون له ويستعيدونه فاذا انصرف عنهم الاستاذ أعادوا ما سمعوا منه وضحكوا لا ضحك سخرية وازدراء بل ضحك عطف وحب» اه

(المنار) هذا قول صريح من الدكتور طه حسين في رأيه ورأي أمثاله من غلاة التفرنج في حزب الاستاذ الامام الذي بينا أساسه آنفا واذا كان الدكتور طه يعد الفاسق الخليع أبا نواس من المصلحين في عصره ، فلا غرو ان يعد الاستاذ الشيخ محمد مهدي ممن يضحك منهم في هذا العصر ، ومن آرائهم في الاعجاب بالشيخ محمد عبده ومبادئه في الجمع بين هداية لدين والترقي لدنوي. وانما نود من الدكتور وشبان حزبه أن يبينوا لنا بمثل هذه الصراحة وجه تفضيل جيل الشبان الجديد على جيل المعتدلين المصلحين؟ وهل منه ان السيدة أسماء كريمة المهدي التي تربأ بشرفها ودينها أن تتعلم الرقص مع الرجال الذي شرحته لنا السياسة من عهد قريب تعد من نساء العهد القديم الذي يدعون الى القضاء عليه ؟ أم تعد كأبيها ممن يضحك منهن ويعطف عليهن لانهن تعبن في اقتباس العلوم العصرية ولم يقدرن أن يصلن بها الى « الرقي الجديد »فوجب عليهن أن يتركن مكانهن لبنات الجيل الجديد اللواتي يرقصن مع الرجال الاجانب والوطنيين في مصر الجديدة وشارع عماد الدين كما يرقص أخواتهن التركيات في مراقص غلطه وبيرا مع رجال الروم والافرنج باغواء ملاحدة المتفرنجين هنالك ؟

ان شأن غلاة التفرنج في مصر لعجيب، وأعجب منه تفضيل مثل لدكتور طه المدرس في الجامعة المصرية والمحرر في جريدة السياسة هؤلاء الغلاه على المعتدلين الذين يرشدون الامة الى كل نافع ويزجرونها عن كل ضار من قديم وجديد

ان هؤلاء الغلاة في التفرنج اشد افسادا لامهم من الجامدين على كل جديد فهم الذين يبددون ثروتها في الفسق والفجور ، وهم الذين يفسدون أخلاقها وآدابها وأعراضها ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من مقوماتها ومشخصاتها فان كانوا على شيء من العقل والفضيلة فليبينه لنا لدكتور طه وأمثاله لنقيم له ميزان المناظرة ، ونحكم فيه مصلحة الامة (للترجمة بقية)

باب الانتقاد على المنار (*)

﴿ تحريم المسلمات على غير المسلمين ﴾

النص الاصولي القطعي والنص اللغوي — الوصف الذي يتخذ علماً وعنواناً على أمة أو أهل ملة والوصف الذي يطلق بمعنى قيام الحدث بالموصوف والفعل المسند الى القوم او الأمة — إنكاح المشركين المؤمنات محرم بالنص القطعي وانكاح غيرهم من الكفار محرم بنصوص لغوية لا اصولية قطعية وباجماع المذاهب والقياس

قد عرض في أثناء إصدارنا لاجزاء المجلد الرابع والعشرين أحداث سياسية واجتماعية اسلامية شغلتنا عن إتمام عدة أبواب من أبواب المباحث التي كنا دخلنا فيها كالرحلتين السورية والاوربية ومنها ما كتب الينا من الانتقاد على المنار وأهمه ما كتبه الينا الشيخ محمد عبد الظاهر من خواص اخواننا في الدين وأولادنا في العلم انتقاداً على قولنا في مقالة (مدنية القوانين) التي نشرت في ج٦م ٢٣ من أن النص القطعي في القرآن انما ورد بالنهي عن نكاح المشركات وإنكاح المشركين وبحل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم انكاحهم — وان التحقيق أن المشركين والمشركات في آية البقرة خاص بالعرب منهم — أعني قوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) الآية — فهو يرى أن عنوان (المشركين) فيها وفي غيرها يعم جميع أهل الملل غير المسلمين ومن الدلائل على هذا عنده اسناد القرآن الشرك الى أهل الكتاب في قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله — الى قوله — سبحانه وتعالى عما يشركون) كما نزه نفسه عن شرك مشركي العرب بمثل هذه الجملة في سورة المائدة — وان الوعيد على الشرك المطلق يشملهم — وأن كونهم صنفا مستقلا لا ينافي دخولهم في الجنس العام وان ابن جرير ذكر وروى عن قتادة ان لفظ المشركين في آية (ولا تنكحوا المشركين) يشمل أهل الكتاب ولم يذكر مخالفا « فعدم ذكره مخالفا دال على الاجماع » !!

كان أخونا المذكور كتب الينا انتقاده هذا مختصراً فكتبنا اليه كتابة

---

*) كتب هذا الباب للجزء الاول ثم اضطررنا الى تاخيره الى الثالث

تبعثه على المراجعة والبحث في بعض المسائل كمعنى النص الاصولي القطعي المراد والفرق بين عنوان المشركين واسناد فعل الشرك الى أهل الكتاب وغير ذلك لانه يُعنى بعلم الاثر دون علم الاصول وغيره من كتب المعقول — وهذا دأبنا مع إخواننا — فبحث كثيراً ثم كتب الينا مقالا طويلا يبلغ ٨ صفحات مزج فيه المسائل ، وخلط الدلائل، وشنع على علماء الاصول ، وجعل التحاكم اليهم تحاكما الى أهل الطاغوت ، وابطالا لكلام الله عز وجل ، برأهم الله تعالى من ذلك، ومن جهل شيئا عاداه ، وكنا نريد أن ننشره ونتكلم على مسائله وأدلته وما فيها وان كان أكثره لا يفيد جمهور القراء بل يكرهه أكثرهم لانه مناقشات لفظية واصطلاحية في شأن فهم باحث أخطأ في فهمه واستدلاله — ولذلك طال الزمان ولم نجد الفرصة وخشينا أن يطول الزمان على ذلك في المستقبل أيضاً فرجحنا أن نكتب مانرى فيه الفائدة العامة في المسألة وهو:

(١) ان النص الاصولي لذي نعنيه هو عند أهله ما يحتمل معنى واحدا لا يحتمل غيره حقيقة ولا مجازا ولا كناية — وهو انما يشترط في أصول الدين التي يطلب فيها القطع ويعد جاحدها خارجا من الملة فلا يقبل له عذر بالتأويل ، وأما الاحكام العملية فيكتفى فيها بالنصوص اللغوية من منطوق ظاهر ومفهوم موافق، وفي المفهوم المخالف الخلاف المشهور في الاصول وهو ان أبا حنيفة ينفيه والجمهور يثبتون ما عدا مفهوم اللقب منه ، فاستعظام صاحبنا لنفي نص أصولي قطعي في حكم شرعي عملي من الامور الشخصية — استعظام لما ليس بعظيم في نفسه، فان اهل السنة يذكرون في العقائد السمعية مسائل ليس فيها نص قطعي بل يثبتونها بظواهر النصوص اللغوية كميزان الاعمال يوم القيامة ولا يعدون من يتأولها خارجا عن الملة فالاحكام العملية أولى بذلك اذ لم يشترط القطع العقلي في إثباتها أحد من المسلمين — فاضاعة الوقت وكثرة الجدال في محاولة اثبات هذه المسألة بنص قطعي اصولي لا يحتمل التأويل لا حاجة اليهما فحسبنا الظواهر واتفاق المذاهب الاسلامية على هذا الحكم، الا اذا كان المنتقد يرى أن للمسلمين مصلحة راجحة في تكفير من يتأول شيئا من أمثال هذه الظواهر أو ينكر دلالة مثل هذا الاجماع متأولا لا مكابرا ولا معاندا . ونحن نحرص على اتقاء الجزم باخراج أحد المسلمين من ملة الاسلام ما استطعنا

(٢) الفرق بين الوصف الذي يتخذ علما وعنوانا على طائفة او شخص

وبين الوصف أو المصدر أو الفعل الذي يراد به قيام المعنى بالموصوف -- ظاهر ، ولكل منهما موقع في الكلام. مثال ذلك ان الكفر والشرك والفسق والظلم وما شتق منها قد أطلقت في الكتاب والسنة بحسب معانيها اللغوية على الكفار إطلاق المترادفات، وقوبلت بالايمان والاسلام مقابلة المتضادات، وإطلاقا يشمل بعض منافقي المسلمين الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم وبعض من صح إيمانهم ولكن بمعنى قول العلماء « كفر دون كفر وشرك دون شرك » أي لا بالمعنى المقابل للاسلام والايمان، وقد بين ذلك مفسرون وشراح الصحيحين وغيرهم من كتب السنة وسبق لنا الالمام به مرارا آخرها البحث المستفيض الذي نقلناه عن كتاب الصلاة للمحقق ابن القيم (ص ٦٧٠ ج٩م٢٤) واصطلح علماء الشرع على تخصيص لفظي الكفر والشرك بما يقابل الاسلام ولفظي الفسق والظلم بما يقابل الصلاح والعدل

والملل المخالفة للاسلام كثيرة ومن المخالفين له من ليس لهم ملة ينتمون اليها كمنكري الالوهية . فاذا صح أن يسمى كل من ليس بمسلم كافرا اصطلاحا كان لهذه التسمية وجه في اللغة — وان كان الاصطلاح الغالب عند أهل هذا العصر ان لفظ الكافر لايطلق الا على المعطل الجاحد لكل الاديان — ولا مشاحة في الاصطلاح — ولكن لا وجه في اللغة لتسمية كل من ليس بمسلم مشركا، فان من غير المسلمين المعطل الجاحد، ومنهم الموحد الذي توحيده أرسخ وأصح من توحيد الكثير من طائفة المسلمين الجاهلين بحقائق الاسلام، وما أكثرهم في هذا الزمان

ان الفلاسفة الالهيين ومن يعرفون في أهل أوربة بالعقليين وجملة اليهود والآريوسيين من النصارى المتقدمين وأكثر نصارى هذا العصر الذين تعلموا تعليما راقيا ولم يمرقوا من الدين — كل هؤلاء وطوائف غيرهم من العلماء المستقلين في العلم والدين موحدون ليس في عقولهم شيء من الشرك بالله بالمعنى المعروف في القرآن : سألت عجوزا إفرنسية كانت جارة لنا: مالي أراك لا تذهبين الى الكنيسة يوم الاحد ؟ الست متدينة ؟ قالت بلى وانى اصلي لله في بيتى وما الكنيسة ورجالها الا جماعة احتيال على المال والجاه والله يعلم بصلاتي حيث كنت .قلت وما تقولين في السيد المسيح عليه السلام ؟ أهو إله أم لا ؟ قالت الاله واحد والمسيح مثل نبي — أي هو نبي او من قبيل الانبياء ، وقالت ان اكثر المتدينين المتعصبين عندهم يعتقدون اعتقادها ، ومنه ان لا احد من

لانبياء ولا القديسين يقدر على نفع أو ضر او أي عمل مخالف لسنن الكون

والتوحيد هو أصل دين جميع الرسل عليهم السلام وما طرأ على أهل الكتاب من الشرك هو عين الذي طرأ على كثير من المسلمين الذين لم يتلقوا التوحيد الخالص تلقيا صحيحا عن أهل العلم والبصيرة في الدين، وهو لم يكن مستغرقا لجميع افرادهم حتى ما اسنده الله تعالى اليهم في القرآن فهو كاسناده الى اليهود قتل الانبياء عليهم السلام بغير حق وهو إنما وقع من بعضهم ووجهه في اللغة معروف مبين في التفسير وقد قال الله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) ثم قال بعد ذكر كفرهم وقتلهم الانبياء (ليسوا سواء، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر) الآيات — قال ابن عباس (رض) في تفسير أمة قائمة: على أمر الله لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه، ولم يقل مثل هذا في المشركين

لاجل هذا جعل الله تعالى لفظ المشركين لقباً وعلماً لمن كان الشرك قاعدة دينهم والوصف العام لجماعتهم وجعل العلم لليهود والنصارى «أهل الكتاب» وما اسنده اليهم أو وصفهم به من الشرك فلم كان عرضا طارئا لم يجعله علما ولا لقبا ولا وصفا عاما يطلق عليهم في كل حال أو يميزهم عن غيرهم من أهل الملل بل هو من قبيل ما بيناه في أول هذه المسألة ومن اطلاق ما صدر من البعض على الكل كقتل الانبياء وأكل السحت

مثال ذلك قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم — الى قوله — سبحانه وتعالى عما يشركون) فسر النبي (ص) هذا الشرك بقوله «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه واذا حرموا عليهم شيئاً حرموه» رواه مخرجو التفسير المأثور والترمذي والطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في سننه من حديث عدي بن حاتم ورواه أكثرهم عن حذيفة أيضاً — وهذا النوع من الشرك طرأ على المسلمين أيضاً فكثير منهم — ان لم نقل أكثر المتأخرين منهم — يستحلون ما أحل لهم رؤساؤهم الدينيون، ومنهم شيوخ الطريق الجاهلون — ويحرمون ما حرموه عليهم ولكنه من الشرك الذي لا يعده الفقهاء خروجا من الملة الا اذا كان في أمر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة. وهذه الآية

اقوى مااستدل به المنتقد على كون أهل الكتاب من المشركين - وقد وردت بعد قوله تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله) ومن المعلوم أن هذا القول قد يطلق عندهم اطلاقا مجازيا لا يعد من الشرك في شيء كقوله تعالى حكاية عنهم (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) وقد ورد في التفسير المأثور وغيره أن من قال من اليهود: عزير ابن الله — بعضهم وروي أنه واحد منهم اسمه فنحاص فهو من باب اسناد ما كان من البعض الى الجنس أو القوم وهو كثير كما تقدم آنفاً

وجملة القول أن اهل الكتاب قد فشا فيهم الشرك وهو ليس من أصل دينهم ولا عاما فيهم بل جميع أهل الملل القديمة كالمجوس والبوذية كانوا أهل كتاب وأتباع رسل ثم طرأ عليهم الشرك والوثنية بالتأويل ولم يعد يعرف لكتبهم أصل لطول العهد، وأما اليهود والنصارى فقد دل القرآن على أن كتبهم لم تذهب كلها بل أوتوا نصيبا منها ونسوا آخر — وما بقي لهم طرأ عليه التحريف فلذلك ميزهم عن سائر أهل الملل بتسميتهم (أهل الكتاب) وهو يعطيهم هذا اللقب في مقابلة المشركين تمييزاً لهم كما ميزهم بأحكام خاصة بهم من دون مشركي العرب وغيرهم — والمنتقد يعترف بهذا للآيات الصريحة فيه ولكنه يجعله كاللغو الذي لا يترتب عليه حكم ولا يراد به بيان حقيقة ولا يصح أن يستدل به على أنهم لا يعدون من جنس المشركين عند إطلاق كلمة المشركين على الجنس المعين من أهل الملل — وهو مخطيء في هذا

فعلى هذه التفرقة بين الامرين نقول في قوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ) الآية — إما أن يراد بالمشركين والمشركات فيه معنى اسم الفاعل وهو من اتصف بالشرك بالفعل واما أن يراد أهل الملة الذين أطلق عليهم في كتاب الله لقب المشركين — فان أريد به الاول فهو لا يشمل الا من كان مشركا بالفعل، ويخرج من مفهومه من لم يكن كذلك من بقايا الحنفاء الموحدين الذين كانوا يهزؤن بالاصنام وعبدتها من جاهلية العرب والموحدون من سائر الامم — وهو ظاهر البطلان ولم يقل به احد - فتعين ان يراد به من جعل لفظ المشركين علماً لهم ولقباً يميزون به من غيرهم ولذلك جعل غاية النهي دخولهم في اهل الايمان المراد بهم المسلمون - والظاهر بناء على ما تقدم أن المشركين بهذا المعنى هم اهل الاوثان الذين لا يعرف لدينهم اصل من كتاب منزل كاليهود والنصارى

ولا شبهة كتاب بحيث يكون لدينهم لقب خاص كالمجوس على قول الجمهور (وقال بعضهم انهم كانوا اهل كتاب) ولذلك خصوا بلقب مميز في مقابلة المشركين وغيرهم بقوله تعالى في سورة الحج (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ـ ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) وانما ذكر المشركون في هذه الآية دون آية البقرة التي ذكر فيها بقية الاصناف لان سياق آية الحج لبيان الحساب والجزاء المطلق وهو عام، وسياق آية البقرة لبيان اجر من اقام اصول دينه الصحيحة وانتفاء الخوف والحزن عنهم يوم القيامة اذ كانت كلها اصولا صحيحة، والمشركون لا يشاركون هذه الاصناف فيها وهي قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

واذا امكن المراء في ان يكون هذا هو الظاهر المتبادر من لقب المشركين والمشركات فلا يمكن المراء في انه ليس نصا اصوليا قطعيا فيما عدا المسلمين من اهل الكتاب وغيرهم، والقول باتحاد الحكم وتحريم انكاح اهل الكتاب لا يقتضي ذلك لجواز ان يكون قد ثبت بدليل آخر ـ فهذا الوصف ليس نصا لغويا ولا شرعيا في ذلك، بدليل ما بيناه من معناه اللغوي ومن استعماله في الكتاب العزيز، ومثله في كتب السنة كثير، ومنه بعض ما نقله المنتقد من صحيح البخاري كقوله (باب اذا اسلمت المشركة او النصرانية) الخ. فالعطف يقتضي المغايرة ـ وهذا هو اصطلاح الشرع في اللقب وجعله عنوانا على اهل الملة ـ فكيف يقال إنه نص اصولي قطعي في كل كافر لا يحتمل غير ذلك لغة ولا عرفا ولو بطريق التجوز وغيره من طرق التأويل؟ هذا لا يمكن ان يقوله احد يفهم معنى النص القطعي. ولا يحتاج اليه من ذهب الى عموم الحكم في آية البقرة فقد يكون كلامهم من باب التفسير بالمراد. وما نقل عن ابن عمر من تأوله الآية وتحريمه للكتابيات لم يوافقه عليه أحد من الصحابة فهو شاذ وله نظائر عنهم (رض) وما هم بمعصومين، وإنما الحجة اجماعهم على امر ديني، ويقرب منه ماثبت عن جمهورهم ولا عبرة بشذوذ الافراد كقول ابن مسعود (رض) إن المعوذتين ليستا من القرآن مثلا

نعم إننا نعترف بأننا اخطأنا فيما عزوناه الى قتادة من القول بأنه خص

المشركين والمشركات في آية البقرة بوثني العرب فأن الذي روي عنه أنه قال في المشركات « يعني مشركات العرب اللائي ليس لهن كتاب يقرأنه » ولم يقل مثله في المشركين — ولكن التفرقة بين مدلول « المشركات » ومدلول المشركين في آية واحدة تحكم وعدم نقله عنه لا يدل على أنه يقول بالتفرقة -- ومسألة الحكم ليست موضوعنا هنا بل لا خلاف فيها بيننا وبين المنتقد

ولم يكن قتادة هو الذي قال هذا وحده ففي الدر المنثور عن سعيد بن جبير في تفسير « ولا تنكحوا المشركات » الآية — قال يعني أهل الاوثان وعن مجاهد: نساء أهل مكة من المشركين : وعن حماد قال سألت ابراهيم (يعني النخعي) عن تزويج اليهودية والنصرانية فقال لا بأس ، قلت أليس الله يقول (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)؟ قال انما ذاك المجوسيات وأهل الاوثان

وقال أبو بكر الجصاص من أئمة الحنفية في القرن الرابع في كتابه أحكام القرآن ما نصه : « وقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) غير موجب لتحريم الكتابيات من وجهين — أحدهما — ان ظاهر لفظ المشركات يتناول عبدة الاوثان منهم عند الاطلاق ولا يدخل فيه أهل الكتاب إلا بدلالة ، ألا ترى الى قوله (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) وقال (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين) ففرق بينهم في اللفظ وظاهره يقتضي أن المعطوف غير المعطوف عليه الا أن تقوم الدلالة على شمول الاسم للجميع » اه

وقد قالوا مثل هذا في عهود المشركين والامر بعموم قتالهم في أول سورة براءة وانه نزل في مشركي العرب ولا يتناول أهل الكتاب

وجملة القول ان « لقب المشرك » لا يصح اطلاقه على جميع الكفار لغة ولا شرعا وأن الفرق بين المشركين وأهل الكتاب عظيم جداً : أصول الدين الالهي الاجمالية ثلاثة الايمان بالله والايمان باليوم الآخر والعمل الصالح على الوجه المشروع ابتغاء مرضاة الله وثوابه . كما في آية البقرة ويدخل في التفصيل الايمان بالملائكة والكتب الالهية والرسل (عليهم السلام) ودار الثواب ودار العقاب . وأهل الكتاب يؤمنون بهذه الاصول كلها بالاجمال ، وأما المشركون فلا يؤمنون بشيء من تلك الاصول ومن آمن منهم بالله أشرك معه غيره من خلقه فجعل له انداداً يزعمون أن من تقرب اليهم يشفعون له عنده فيقضي لهم حاجتهم لاجلهم .

وأما مادخل على كثير من أهل الكتاب من مثل هذا الشرك وغيره مما ينافي هداية الرسل فقددخل على المسلمين مثله وصدق عليهم قوله (ص) « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لوسلكوا في جحر ضب لسلكتموه» قالوا يارسول الله : اليهود والنصاري ؟ قال « فمن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري وغيره بالفاظ متفقة في المعنى وهذا لفظ البخاري عنه. وانما نفضلهم بأن كتابنا قد حفظ بلفظه ونقل باللسان والكتابة تواترا وبأن سنة نبينا (ص) ضبطت ونقلت بالاسانيد المتصلة ، فالرجوع الى أصل الدين ممكن في كل وقت . والاسلام حجة عليهم فمن كفر به بعد بلوغ الدعوة بشرطها لايعتد بايمانه بغيره، كما اننا نكفر من جحد نبوة موسى وعيسى عليهما السلام ولا نعتد باسلامه

لهذا الفرق العظيم بين أهل الكتاب والمشركين خص الله تعالى على أهل الكتاب ببعض الاحكام كأكل طعامهم وصحة ذبائحهم والتزوج منهم وفي هذا وذاك من اسباب المودة معهم ماهو معروف بالبداهة وبالتجربة ، وبما بينه الله تعالى من سنته في الزواج بقوله (ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقال في بعض العاملين بدينهم منهم (ولتجدن أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى. ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لايستكبرون) وأقرهم على دينهم حتى ان بعض الصحابة كانوا قبل الاسلام اعطوا اطفالهم ليهود بنى النضير ليربوهم لهم فلما كتب الله عليهم الجلاء ارادوا أن يستردوا ولئك الاولاد وكانوا قد كبروا وتهودوا فانزل الله تعالى في ذلك الوقت (لااكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) فأمرهم النبى (ص) أن يخيروهم ، فمن اختار اليهودية جلا مع اليهود ومن اختار الاسلام بقي مع المسلمين ، ولم يعامل المشركين بشيء من هذا ، بل قال(ص) في بيان العداوة بينهم وبين المسلمين والبعد الشاسع الذي لاتستقيم معه معاشرة «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين» قالوا يارسول الله ولم؟ قال «لاتتراءى ناراهما» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جرير بن عبد الله (رض) ورجال اسناده ثقات ولكنهم صححوا ارساله ورواه الطبراني موصولا . وفي معناه أحاديث اخرى (له بقية)

زيارة ملك الحجاز لشرقي الاردن

﴿ مقدماتها وأسبابها ونتيجتها ﴾

كان الشريف حسين ولا يزال يمني نفسه بملك عظيم توسسه له الدولة البريطانية جزاء له على ثورته العربية وموالاته لها في قتال الترك بأن تجعله خليفة المسلمين وملكا على البلاد العربية المؤلفة من جزيرة العرب كلها والعراق وسورية وفلسطين وتمده بالمال والسلاح لتوطيد سلطانه في هذه البلاد تحت حمايتها وبمساعدة رجالها. وكان يعتقد أن حلفها أقوى من الحلف الالماني ولذلك لم يقبل ما عرضته عليه الدولة العثمانية من الاستقلال بضمان المانية. وكان يهنئها بكل فتح في البلاد العربية: القدس وبغداد ودمشق!! ولذلك سمى نفسه ملك العرب وبعد احتلال سورية اعتقد أن أحلامه جاء تأويلها، وكان يشتهي أن يزور البلاد السورية بعد توطيد سلطانه فيها، وتكرر وعده لاناس من أهلها بذلك وفي جريدته (القبلة) حتى إنه صرح بأن سيزور كل بلد وقرية فيها، اي ليراه جميع أفراد رعيته، ويتمتعوا ببهاء جلاله وعزته.

أفلت ملك سورية من قبضة وهمه (أولا) بقرار المؤتمر السوري العام الذي أعلن فيه استقلال جميع البلاد السورية دون الحجاز وغيره (وثانيا) بتنفيذ انكلترة وفرنسة لما كانتا قد اتفقتا عليه من اقتسام بلاد الحضارة العربية سورية والعراق بينهما، رأى أن ملكه لم يتجاوز امارة الحجاز التي كانت له من قبل الدولة العثمانية على أنها منقوصة الاطراف غير تامة الحدود على ما يدعي — فكان المعقول أن يتناسى ذلك الوعد أو الوعود ويتحول عنها.

ولكن الرجل يحيا حياته السياسية بشيئين (أحدهما) نفسي وهو الاماني والاوهام (وثانيهما) عملي وهو الدعاية (البور بغندة) التي لم يحذق من شؤون سياسة هذا العصر غيرها، وهو قد أوتي غريزة الثبات والاصرار التي هي أعظم الغرائز مساعدة لصاحبها على النجاح اذا هو طلب الامور بأسبابها، وأتاها من أبوابها

أصر على تسمية نفسه بملك العرب وأمكنه بالدعاية أن يحمل بعض أصحاب الجرائد في سورية وغيرهم أن يتبعوا جريدته (القبلة) في تحليته بهذا اللقب وبلقب المنقذ ، وإن كان الحق الواقع المشاهد أنه لم ينل بلقب ملك العرب تصرفا ولا سيادة على شبر من أرض العرب لم يكن تحت سيادته قبله ، وأنه لم ينقذ بلدا من بلاد العرب ولا قرية من سيادة أجنبية ولا مهلكة ، فان كان أحد يسمى انتقال البلاد السورية والعراقية بمساعدته من سيادة الدولة العثمانية المؤلفة من الترك والعرب وغيرهم الى سيادة انكلترة وفرنسة إنقاذا فلا أنقذه الله من الذل في الدنيا ولا من العذاب في الآخرة ، على أن هذا الابسال (١) الذي سماه إنقاذا لم يقع الا بترجيح دولة الولايات المتحدة لاحدى كفتي الحرب على الاخرى لا بترجيحه ، ولكن هذه الحقائق لا تمنع الملك حسينا من التلذذ باللقبين كما رآهما في جريدته (القبلة) وفي بعض الجرائد المأجورة أو المغرورة

وهنالك دعوى أخرى ظاهرة البطلان كظهور كذب اللقبين الضخمين الفخمين ولكنه فاز بتكرار الدعاية واصطناع بعض الجرائد من غش كثير من الناس فيها حتى صاروا يصدقونها كما يصدق الغافلون الاعلانات التجارية التي تنشر في الجرائد زمنا طويلا ولا يبحثون عن مصدرها ليعلموا أنها شهادة من صاحب الدعوى لنفسه .

تلك دعوى قيامه بأمر الوحدة العربية بجمع كلمة العرب وتوحيد قوامهم وترقية شؤونهم ، والامر بالضد ، فهو هو المفرق لكلمة العرب والمحدث للشقاق بينه وبينهم ، فانه بتوهم كونه ملكا للعرب وثبوت هذا الخيال في مخه تخيل أيضا أن الوحدة العربية انما تكون أو ستكون بقبول أمراء جزيرة العرب وأئمتها لسيادته السياسية والعسكرية عليهم طوعا أو كرها وتحكيمه في شكل ادارة البلاد ونزع ما شاء منها من أيدي من شاء ليولي عليه من شاء حتى حمله الخيال على مخاطبتهم بذلك كتابة ، فضحكوا ساخرين . وطالما بينا هذا في المنار وفي غيره من الصحف ولكن

(١) أبسله أسلمه للهلاك ومنه قوله تعالى : (وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله من ولي ولا شفيع) الآية وفيها ما فيها من العبرة

بياننا لم يحل دون تأثير دعايته المتصلة الدائمة حتى إنه صرح في جريدته (القبلة) تصريحا رسميا بما صدق أقوالنا الماضية لما سأله رئيس مؤتمر الجزيرة الذي هو من أبواق دعايته عن مراده بالوحدة ، ونشرنا تصريحه في المنار والاهرام فقرأه الكثيرون في البلاد السورية كما قرأه آخرون في الجزء الذي صدر من جريدة القبلة في ٦ ربيع الآخر من هذه السنة ، ولم يكن هذا ولا ذلك بصارف المخدوعين بالدعاية السابقة من طلاب الوحدة العربية أن يظنوا أنه يسعى لها ، وأن يوجهوا وجوههم اليه فيها

فهذه الوقائع زادت الملك حسينا إيمانا وتسليما بأن الدعاية (البوربغنده) تقلب الحقائق فتجعل الحق باطلا والباطل حقا عند الجماهير من الناس ، بل هي كالسحر تخيل الى المسحور أنه يرى بعينيه ما لا حقيقة له في الخارج .

على أنه خاب مرة في دعايته ولم يلبث أن تدارك الخيبة وجعلها نسيا منسيا عند كثير من السوريين وخاصة الفلسطينيين منهم

ذلك بأن الدولة البريطانية اختارت أن تعقد معه معاهدة تثبت بها اعترافه بانتدابها على فلسطين وما تريدان يكون لها من الحقوق في الحجاز والتصرف في شؤون الحجاج وتقطع بها لسانه وألسنة الفلسطينيين دون الاحتجاج عليها بما سبق لها معه من اتفاق ووعود . وقد طالت المراجعة بينها وبينه في ذلك ، حتى اذا ما أرسل الدكتور ناجي الاصيل الموصلي الى لندن للبحث معها في صيغة هذه المعاهدة في العام الماضي قامت قيامة لدعاية حوله وامطرت شركة روتر الانكليزية على البلاد العربية وغيرها برقيات خادعة فيما ينتظر من الوحدة العربية واستقلال العرب بسعي الاصيل . . وكانت الجرائد العربية في مصر وسورية والعراق تنشر هذه البرقيات وتعلق بعضها عليها من الشروح ما يكبر شبح الوهم ، وكان بعضها ينشر مقالات مستقلة في ذلك ، ولما عاد الاصيل الى مكة يحمل نص المعاهدة كان له من الحفاوة فيها ما كان ، وتلى نص المعاهدة المترجم بالعربية في حفلة رسمية فخمة واطلقت المدافع وصدرت الارادة الهاشمية بجعل ذلك اليوم عيداً رسميا للامة العربية باسرها . . . ثم ماذا كان ؟ ظهرت الفضيحة للعيان ورفض أهل فلسطين

مايتعلق بهم منها ، واضطر الملك الى عدم الامضاء النهائي عليها

بعد هذه الفضيحة استأنف الملك دعاية جديدة في المسألة الفلسطينية قدم بين يديها مساعدة لاهل فلسطين بما جمعه من الاعانة القهرية لعمارة الحرم الاقصى من أهل الحجاز والاختيارية من الحجاج ، وسمح لوفد منهم بالطعن في وعد بلفور في الحجاز ، فوضعت خطة جديدة لبث الدعاية له في سورية وفلسطين يقوم بها نفر ممن كان بمكة من حجاج البلاد مع صنائعه فيها تكون تمهيدا لزيارته لاطراف سورية لاجل ان يتقرر في هذه الزيارة مع زعماء البلاد امر الوحدة العربية (!!) وما يتعلق بها من المسألة الفلسطينية . . . بل وجد له دعاة من حجاج المصريين يمدحونه ويدافعون عنه ايضا

ولا ندري هل كوشف أحد من الدعاة الذين كانوا في مكة بمسألة المبايعة بالخلافة أم لا ؟ . ويجزم بعض أذكياء المصريين أن الانكليز كانوا قد اتفقوا مع عصمت باشا على إلغاء الخلافة التركية في زمن لايتأخر عن أول سنة الترك الجديدة (مارس) وأحبوا أن تكون زيارة ملك الحجاز لاطراف سورية قبل ذلك الوقت ، وأن يظل هنالك الى أن تلغى الخلافة التركية فيجعل ذلك سببا لتأسيس الخلافة العربية — كما انهم قرروا أن تجتمع جمعية العراق التأسيسية للنظر في المعاهدة العراقية البريطانية التي أمضاها الملك فيصل والسير برسي كوكس المندوب البريطاني السامي في العراق في الوقت الذي يجتمع فيه المؤتمر البريطاني التركي لحل مشكلة الموصل ووضع الحدود بين العراق والاناضول ليخوفوا العراقيين بالتفريط بولاية الموصل اذا هم رفضوا المعاهدة التي تضيع جميع العراق لاولاية الموصل وحدها .

مهما يكن من الامر في هذا وذاك ، فالدعاية لتشريف الملك قد بثت قبل مجيئه ، وفي أثناء وجوده ، حتى وصلت هينمتها في الحالين الي ، وعرضت شبهاتها وأمانيها علي ، واقترح علي أن أكون من الزائرين له ، وسئلت عما اشترطه في ذلك ، وقنع احذق من كلمني في ذلك بأن اسكت عنه ، ولو ريثما تظهر نتيجة مايرجى منه ، وزعموا انه قد اتعظ واعتبر بأغلاطه السابقة . وقال بعضهم : ان

الانكليز قد غيروا سياستهم معه ، وانهم سيمنحون البلاد ما يرضيها على يده ، اذا رأوا ان الامة تؤيده ، (قالوا) ولا تكن من اسباب حرمانها من ذلك . فقلت إني سأصبر في هذه المرة كما صبرت فيما قبلها حين بثت لدعاية لسعي نجي الاصيل ، وانا لا ارجو لهذه الامة خيرا على يده ، ولا آمن عليها من شر عمله ، فتجربة المجرب تحصيل حاصل ، بل عبث يتنزه عنه العاقل و « المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين » وانما اسكت لاقيم الحجة بعد الحجة عليكم ، واعدكم بأن ابذل جهدي في تأييده اذا كذب ظني وصدق ظنكم ، وان ظل يؤذيني هو واولاده وحاشيتهم ، فأنا أعمل لامتي لا لهم ...

هكذا كانت الدعاية تنشر ، وكان من حسن حظ دعاتها أن وقع تنازع بين فرنسة والترك حمل من في سورية من الفرنسيس على الاغماض عن هؤلاء الدعاة لاضعاف ما كان قوي من نفوذهم ، فنجحوا وأوهموا أكثر أهل البلاد الغافلين بأن السعادة للعرب ستتم بتشريف ملكهم الى ضواحي سورية

تحرك الركاب الهاشمي — كما يقولون — متنقلا في البلاد الحجازية الى أن وصل الى شرق الاردن ، وهو يقابل في كل مكان بالحفاوة والتكريم والدعوات والخطب والقصائد ، وجرائد مسلمي سورية تحلق في فضاء الخيال ، وتصور فيه ما تصور من الاماني لا الآمال ، وأرسلت المكاتيب الى شرقي الاردن ليحصوا الها ما يكون هنالك من عظمة (ملك العرب ومنقذهم) وما يقرره المؤتمر العربي الذي زعموا أن سيعقده من وفود الاحزاب وزعماء البلاد ، تنجيزا للوعود التي بشرهم بها الدعاة

وقد أعد الوجهاء ولجان الاحزاب المختلفة عدتهم للقاء الملك وعرض مطالبهم القومية على مسامعه ، بناء على ما صدر به الوعد من أنه يريد أن يعمل في هذه المرة بالشورى (خلافا لعادته) وكان أحسن ما قرروه — لو صادف محله — أن يتفقوا على برنامج عام لمصلحة العرب العامة يكتبونه و يوقعه مندوبون من كل حزب و يرفعونه اليه — وأن يكون ما يعرضه بعضهم من الاقتراحات الموضعية الخاصة ، غير معارض لهذه المطالب العامة — وقد فعلوا — ومما اتفقوا على أن يكاشفوه متفقين بما يشكون من سوء سيرة نجله الامير عبد الله في أقواله وأفعاله المنافية للمصالح الوطنية العربية ، والمؤيدة للسلطة الاجنبية — وقد فعلوا كما أخبرنا الرواة عنهم — ثم كان ماذا ؟....

كان أن شغلت جرائد سورية وفلسطين عدة أشهر بأخبار الوفود ووصف الاحتفالات والسمط (أو السماطات) ونشر القصائد والوعود وحكايات الاقوال والمفاخر الهاشمية ، حتى اذا ازدوجت المخيلات بالواهمات ، ولقحت بالاماني المستعذبات ، جاءها المخاض بسقوط الخلافة التركية ، فأجهضت فوضت الخلافة العربية ، فالتقطها « ملك العرب الخيالي » سقطا لم يستهل ، ومضغة لم تكتمل ، معتقدا ان الدعاية (ابور غندة) تتم خلقها ، وتنفخ الروح فيها ، كما فعلت بمنصب « ملك البلاد العربية » قبلها (؟؟) ويكفي في هذه الحياة عنده أن يبث لها دعاية جديدة بين حجاج الآفاق ، ويستعين بها في الجزيرة على بث الشقاق ، وأن تقول جريدة القبلة بمكة ، وجريدة الشرق العربي الرسمية في عمان ، وجرائد الطبل والزمر ولسان العرب بفلسطين ، وجريدة الحقيقة ببيروت ، وأمثالهن من جرائد سورية والعراق : ان صاحب الجلالة الهاشمية ، هو خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وملك العرب أجمعين ؟ بل يقدر الملك حسين ودعاته ان يستأجروا في مصر وغيرها امثل هذه الجرائد لذلك

حمل الرجل اللقب وانقلب الى بلده مسروراً ، وظل الامير عبدالله حيث كان ، بالرغم من أنوف السكان والجيران ، وصارت إمارته شرا مما كانت وأبعد عن الاستقلال ، واشتد ضغط الفرنسيس على المسلمين الذين بايعوه ، فاعتقل افراد من الوجهاء ، واخرج آخرون ، وفر دعاته اصحاب جريدة الحقيقة هاربين من بيروت ، وازدادت المسألة العربية بعدا عن الوحدة بفشل مؤتمر الكويت الذي كان سببه اقتراحات (منقذ العرب ومؤسس وحدتهم) واقتراحات ولده الامير عبد الله التى أملاها الغرور بالاتكال على الانكليز في تمليكهم لنجد وغيرها من الجزيرة ، وما كان لهذا الشقاق من سبب ، الا الغرور بلقب ملك العرب ، فكيف وقد ضم لقب الخليفة الاعظم وأمير المؤمنين ، الى لقب ملك العرب أجمعين ؟ دع الغرور بلقب الشريف ، الذي يدعي هو ودعاته أنه هو المؤهل للملك والخلافة ولكن له ولاولاده دون سائر شرفاء الامة !!

إننا لنقول والحزن يملأ قلوبنا : ان الترك قد فضحوا العالم الاسلامي بما

فعلوا بخلافتهم شرا مما فضح به الملك حسين بمبايعته الاولى والثانية ؟ اذ ظهر للافرنج أن مبايعة الملايين لرجل بالخلافة ليس الا كلاما لغوا لايترتب عليه عمل يذكر، وقد أدرك الانكليز ذلك قبل غيرهم فلم يبالوا بمبايعة الجماهير من مسلمي مصر والهند لخليفة تركي، ولا مبايعة أهل فلسطين لخليفة عربي، وقد عد العقلاء منهم ومن غيرهم اهتمام فرنسة بمبايعة مسلمي سورية رعونة وخفة من رجالها هنالك، ولو كانت انكلترة تعتقد أن هذه البيعات حقيقية، يترتب عليها ما في كتب الشرع من الاحكام الشرعية، لبذلت كل نفوذها في إبطالها، ولما تجرأ الملك حسين حينئذ على التصدي لها، فان أول ما يترتب عليها قتاله اياها في فلسطين لاخراجها منها، وهي الآن ترجو أن تنتفع من الخلافة الحجازية حتى بتوطيد نفوذها فيها، على ان يكون للخليفة وأولاده شركة في ذلك

ولما طفقت السلطة الفرنسية في سورية تعارض مسلميها في المبايعة لحسين والدعاء له في خطبة الجمعة احتجوا عليها بأنها تمنعهم من حريتهم الدينية المحضة وذلك أنهم عالمون بأنهم لم يكونوا بهذه المبايعة تابعين له في السياسة ولا الادارة ولا الحرب ولا القضاء. ونحن نزيد على ذلك انهم غير تابعين له في صلاتهم ولا صيامهم ولا زكاتهم، حتى ما هو من شأن الخليفة من ذلك كتعيين الائمة والخطباء للصلاة واخذ مال الزكاة. واما الدعاء للخلفاء في خطبة الجمعة فليس من أركانها ولا من شروط صحتها، فلم يبق لفرنسة عذر في معارضة القوم في مبايعتهم، ولا في الدعاء له في خطبهم، وما تكرهه من قوة نفوذه الروحي بذلك فالمعارضة لهم أشد تأثيرا في زيادته

ومما يؤيد قولنا في رأي مسلمي سورية في الخلافة انها أمر ديني لا علاقة له بالسياسة ما يقوله و يكتبه بعض المصريين في ذلك بعد ان كان من مبايعتهم لعبد المجيد أفندي ما كان، ثم من اقتراح بعضهم دعوته للاقامة بمصر، فأنصاره يعدون معارضة الحكومة المصرية لهم في الدعوة له اضطهادا للحرية الدينية، ولو كانوا يفهمون معناها الشرعي و يريدونه لعلموا ان عملهم يقتضي اسقاط الحكومة المصرية وجعلها تابعة لعبد المجيد افندي !!! وهل هذا الا أساس السياسة الذي تبني عليه جميع أركانها ؟

انني مضطر الى اظهار الحق عريانا في هذه المسألة كما فعلت في مسائل كثيرة

ولم اخف في الله لومة لائم ، حتى ان شيخنا الاستاذ الامام كان اول من وصفني بهذا وانتقده علي في بعض المسائل وما ابرزته عريانا في مسألة الا بعد ان عرضته مزينا بالحلي والحلل ، فلم يعرفه ممن عرضته عليهم احد ، فأقول :

انه لا خوف على سلطة فرنسة في سورية من مبايعة هذا الرجل الا اذا استعمله الانكليز في مقاومتها ، ما دام الفرنسيس متكافلين مع الانكليز فيما اعتدوا به علينا باسم الانتداب فلا خوف منه ، فان تحرش هو واولاده بهم ، فانما يفعلون ذلك لجر مغنم يريدونه منهم ، ولا يجهل الفرنسيس انهم يبيعون العرب والاسلام بلقب ملك او سلطان ، وقد جربوا فيصلا من قبل عبد الله في ذلك ورأوا تجربة الانكليز من قبلهم . على اننا نحمد الله تعالى ان بعض هذا الاسرة التي رزئت بها الامة العربية الى الفرنسيس فلم يقبلوا إبقاء فيصل في سورية لاخضاعها لهم وفاء باتفاقه مع كليمنصو بعد اسقاطهم لحكومتها الاستقلالية ، وتوطين نفسه على أن يبقى ملكا في ظل الانتداب الذي قبله أولا وآخرا ، ثم لم يقبلوا استخدام أخيه عبد الله بمثل ذلك وقد بذل شرفه وكرامته في السعي له ، نحمد الله على ذلك لأن اكثر مسلمي سورية لا يزالون يخدعون بلقب شريف ، ولم يبطل خداع الشيعة في العراق به كما طال خداعهم . ولو كان سائر المسلمين كذلك لوجب على عقلاء طلاب الاصلاح واعادة مجد الاسلام ان يقرروا حرمان كل من يحمل هذا اللقب من كل رياسة في هذه الامة ، ولا سيما اذا كان مفتونا به كشرفاء مكة ، أقول هذا وانا شريف مقابل

أما والله لو كنت اعلم انه يرجى منهم اخراج فرنسة من سورية على ان تكون مستقلة دون نفوذ اجنبي آخر ولو تابعة للحجاز لبذلت كل ما استطيع في تأييدهم ومساعدتهم على ذلك بدلا من مجاهدتهم على تمكين نفوذ الاجانب فيها وفي غيرها ، فانني أعلم أن ملك الحجاز لا يستطيع أن يستبد في سورية ، ولا أن يحول دون حريتها

ووالله لو كنت اعلم انهم يستطيعون جمل جزيرة العرب وغيرها مملكة واحدة خاضعة لهم وحدهم بدون نفوذ اجنبي لتمنيت نجاحهم على ما اعلم من ظلمهم واستبدادهم ، لاعتقادي انهم لا يستطيعون الاستبداد بهذه الامة بعد جمع كلمتها وتوحيد حكومتها ، وان المصلحة في ذلك أرجح من المفسدة في كثرة الحكومات المتعادية

ثم والله لو كنت اعلم انه يرجى من حسين جمع كلمة المسلمين كلهم او اكثرهم او عدة شعوب منهم باسم الخلافة على الحق والاصلاح لوددت تقمصه إياها، ولو نهض بها كما يجب لبذلت وسعي في تأييده، وان كنت اعلم انه فاقد لسائر شروطها. وحسبي هذا منها والحصول ولكنني أعتقد أنه يخشى ضرره، ولا يرجى نفعه. وقد بينت هذا بالبراهين الكثيرة ولم اره أجاب عن شيء منها في جريدته جوابا معقولا ولا غير معقول، ولا اجاب عنها أحد من أنصاره، وانما سبوني تبعا له وشتموني، وادعوا انني ناقضت نفسي بأن مدحته ثم ذممته، وأيدته ثم خذلته، وان لي هوى في ذلك، وليس هذا من الرد على براهيني بشيء. فان صح قولهم الاول فما هو من التناقض المنطقي الذي يبطل به الدليل، لان من شروطه اتحاد الزمان والموضوع وغير ذلك من «الوحدات الثمان». وان صح الثاني فحسابي فيه على الله تعالى ويبقى عليهم أن يبطلوا براهيني في الطعن في سياسته وبيان ضررها. وكثيرا ما قلت ان كلمني من أنصارهم ولا أزال أقول أقنعوني ببطلان ما أثبته والكم علي أن أرجع عنه وأخطئ نفسي، فلم يقدروا، كما عاهدتهم بأن أنصرهم اذا هم رجعوا الى الصواب الذي قام عليه البرهان عندي وعند جميع من أعرفه من العقلاء حتى ممن يرجون الخير منهم أو يدعونه لهم، ولا أريد على ذلك جزاء ولا شكورا

اننا قرأنا ما فيه العبرة من احداث التاريخ ولا سيما تاريخ الاستعمار للبلاد الشرقية عامة والاسلامية خاصة ورأينا كيف ضرب المستعمرون بعض أمرائها وملوكها ببعض، وهكذا يفعلون اليوم في جزيرة العرب، وأخشى ان تكون هذه الخلافة الباطلة من شر آلاتهم في ذلك فيجب علي أن أنكر هذا المنكر العظيم ويحرم علي أن أسكت عنه، لكيلا أكون شريكا لهم في اثمه

ان الدولة البريطانية لم تستهن بأمر (الملك حسين) في السنين الاخيرة الا لانها رأت انه لم يبق له شيء من النفوذ يمكن أن تستفيد منه، وهي الدولة العريقة في التجارة بالسياسة، وكان أول غرض له من زيارة أطراف سورية وما بذله في سبيلها ان يريها نفوذه فيها، وستستأنف العمل معه وأرضاءه بعد هذه المبايعة، فان الخلافة بضاعة ثمينة قد طفقت تجرب نفوذ اسمها في الشافعية من أهل تهامة اليمن وحضرموت

بعد أن فشلت فيما كانت تسعى اليه منذ هدنة الحرب العظمى من عقد اتفاق مع الامام يحيى حميد لدين يجعل له من الحقوق والامتيازات في بلاده المستقلة مايكون بابا للتدخل في شؤونها ، والعبث باستقلالها، فخاب سعيها، وعاد مندوبها (الكولونيل جاكوب) من روضة صنعاء بخفي حنين ، وسنعود الى هذه المسألة بعد تمحيص ماجاءنا من أخبارها

وغرضنا الآن أن نثبت أن اخواننا في فلسطين وسورية قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، ولم يصغوا الى نصيحة الناصح الأمين انخداعا بالدعاية الحجازية، فبايعوا حسينا بالخلافة بدون أن يقيدوه بقيد ما يصلح به ما أفسده من قبل ، كما ذكرناهم في المقال الذي نشرناه في الاهرام

بل اعطوه سلاحا يزيده قوة في عداوة جيرانه ائمة الجزيرة العربية المستقلين المسلحين ، وهي لدعوة الى الشقاق والفتن باسم امير المؤمنين . فالحكم الشرعي ان من صحت إمامته وجبت طاعته في قتال من شذ عن جماعته المفروض انهم اهل الحل والعقد في الامة واولو الامر منها، فاذا امكنه بالدعاية والدنانير الانكليزية ان يجعل هذا الهزل جداء وهذا الباطل حقا، وعجز معشر العلماء الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم أن يظهروا الحق للناس — فلا يخشى ان يقضي بخلافته الباطلة، على ما للعرب من هذه القوة الباقية، فيتغلغل الاجانب فيما بقي من الجزيرة المقدسة التى احاطوا بها بمساعدته ومساعدة ولديه عبد الله وفيصل من الشمال والشرق، كما يحيط بها البحر من الجنوب والغرب؟ فما لاخواننا هؤلاء لا يتفكرون، ويرون العبر بأبصارهم ولا يعتبرون

اما كان يجب عليهم أن يتروا في درس هذه المسألة ، وأن يقترحوا على الرجل اقتراحات يجعلون تنفيذها شرطا مقدما على عقد البيعة، ان قنعوا بعد التروي بترجيح مبايعته؟ بلى واهم ماكان يجب عليهم اخذ الميثاق عليه فيه وانتظار تنفيذه الامور الآتية :

(١) نبذ الحماية البريطانية التى تقيد بها فيما يسميه مقررات النهضة، وعدم تقييد البلاد بمعاهدة أخرى تجعل للاجانب نفوذا في البلاد

(٢) الاعتراف بالحالة الحاضرة في إمارات بلاد العرب وإلغاء ماصرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة من عقده العزم على جعل جميع أمارات الجزيرة من نجد واليمن

وتهامة تابعة لحكومة ملك العرب في السياسة الخارجية والعسكرية والادارة العامة .. الخ

(٣) السعي لعقد محالفة بين هذه الامارات كلها يتقرر فيها اتفاق الجميع على الدفاع عن جزيرة العرب والتعاون فيما بينهم على عمرانها ، وعقد مجلس تحكيم للفصل في كل نزاع يقع بينهم، وتفصيل ذلك باتفاق يوقعه الجميع وقد سبق لنا تفصيله

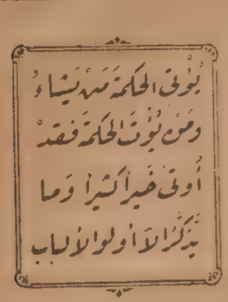
(٤) السعي لجعل بلاد الحجاز قطر سلام وحياد لا يعادي ولا يعادى ولا يقاتل ولا يقاتل ، وأن تعترف بذلك الدول الاسلامية وغيرها

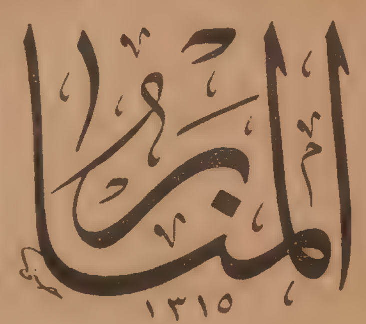
(٥) وضع نظام للخلافة يعلم كل مطلع عليه أن الخليفة لا يمكنه أن يستبد في عمل من الاعمال وانه يرجى أن ينفذ لعقلاء الامة وحكمائها ما يطلبون لها من الاصلاح، وغير ذلك مما ذكرناه بعضه في كتاب (الخلافة) ولا محل للخوض فيه هنا

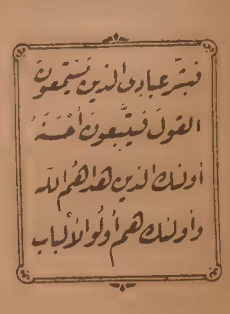
وانهم سيقرءون في باب الفتوى من (ج٤) ان مبايعة هذا الرجل بالامامة العظمى باطلة شرعا من بضعة وجوه، وانها على بطلانها شرعا ضارة قطعا، وإن اكبر عار وخزي على امتنا ان توجد فيها كل هذه المهلكات ولا يتصدى احد لانكارها والتحذير منها،

ولا يحسبن أحد أننا علمنا الاجانب بما كتبنا ما لم يكونوا يعلمون، ويا ليت الذي يظنون ذلك يعلمون ما يعلمه الاجانب من أحكام الخلافة وأحوال المسلمين فيها. اننا نعلم أن الانكليز قد استكتبوا في سنة ١٩١٤ كثيراً من علماء الاقطار الاسلامية هذه الاحكام والفوا الجنة أو لجانا لدرسها وقد اطلعت مرة على نصوص فيها كتبها لهم بعض كبار علماء الازهر ولا أدري من طلب لهم ذلك

هذا واننا نطالب من يزعم ان ما كتبناه خطأ من الجهة الشرعية أو الجهة السياسية الدائرة على مصلحة العرب والمسلمين أن يبين لنا ذلك بابطال أدلتنا واقامة أدلة اخرى على صحة خلافة الرجل وعلى فائدتها و كونها غير معارضة بمفسدة تقدم عليها فان فيمن بايعوه افرادا من أصدقائنا وغيرهم نجلهم ونحترمهم، إما لعلمهم واخلاقهم، وإما لوطنيتهم ، ولكننا نقول إنهم قد اخطأوا في مبايعة حسين كما أخطأ امثالهم من علماء مصر في مبايعة عبد الحميد ، أو في القول بصحة خلافته ووجوب طاعته على أهل مصر وغيرهم ، ونحن مستعدون لمناظرة الفريقين، في موضوع الفتوى التي بينا فيها بطلان البيعتين ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)







قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٣٠ رمضان ١٣٤٢ — ١٤ الثور ١٣٣٠ هـ ش — ٤ مايو ١٩٢٤

تفسير القرآن الحكيم

(١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ
(١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ
تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا
سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا
الَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ
الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا
صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ

﴿ وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ﴾ اي

وجاء فرعون السحرة الذين حشرهم له اعوانه وشرطته ولم يذكر الكتاب الحكيم ولا الرسول المعصوم عددهم اذ لا فائده منه وكل ماروي فيهم من أنهم عشرات الالوف فهو من الاسرائليات التى لا اصل لها عندنا ولا في التوراة التى بين ايديهم . فلما جاؤا قالوا لفرعون ان لنا لاجرا وجزاء عظيما يكافيء ما يطلب منا من العمل العظيم ان كنا نحن الغالبين لموسى. ذكر قولهم هنا بأسلوب الاستئناف البياني كأنه جواب سائل ماذا قالوا. وجاء في سورة الشعراء بصيغة الشرط والجزاء (فلما جاء السحرة فرعون قالوا) وهو تفنن في العبارة. قرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم (ان لنا لاجرا) بهمزة واحدة قيل انه على الاخبار الدال على ايجاب الاجر وكونه لابد منه فهو انشاء وطلب معنى نكتته إفادة الجزم بوقوعه. وقيل انه على حذف همزة الاستفهام الذي يكثر في كلام العرب ليوافق قراءة ابن عامر باثباتها هنا وهو ما اتفقوا عليه في سورة الشعراء

﴿ قال نعم وإنكم لمن المقربين ﴾ أي قال فرعون مجيباً لهم الى ما طلبوا نعم إن لكم لاجراً عظيما وانكم مع ذلك لاجر المالي والمادي لمن المقربين من جنابنا السامي، فيجتمع لكم المال والجاه وذلك منتهى نعيم الدنيا ومجدها أكدلهم نيل ما طلبوه منه وما زادهم عليه تأكيداً بعد تأكيد لاهتمامه بهذا الامر وخوفه من عاقبته ، فانه لو قال لهم نعم ولم يزد عليها لافاد إجابة طلبهم، ولو قال في منحة القربى : وتكونون من المقربين، لكفى ولكنه عبرعنها بالجملة الاسمية المؤكدة بإن وبتحلية الخبر باللام وبعطف التلقين أي عطف «وانكم لمن المقربين» على الجملة المقدرة التي دل عليها حرف الايجاب «نعم» وهي «ان لكم لاجراً» فما عطف عليها الا وقد قدر اعادتها . وفي سورة الشعراء زيادة « إذن » أي وانكم في هذه الحالة وهي كونكم أنتم الغالبين دون موسى لمن المقربين وحذفها من هذه السورة دليل على إنه قالها مرة دون اخرى فأفاد أنه كرر لهم الاجابة والوعد وذلك تأكيد آخر

﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ﴾ استئناف بياني كنظائره أي قال السحرة لموسى عليه السلام بعد أن وعدهم فرعون ما وعدهم. إما أن تلقي ماعندك أولا، واما أن نكون نحن الملقين لما عندنا من دونك. اما تخييرهم اياه فلثقتهم بأنفسهم، واعتدادهم بسحرهم، اوإرهابا له، واظهاراً لعدم

المبالاة به، مع العلم بأن المتأخر يكون ابصر بما تقتضيه الحال بعد وقوفه على منتهى شوط خصمه، وما قيل من ان علة التخيير مراعاة الادب لا وجه له البتة، بل مقامهم بحضرة ملكهم الذي يدعي الالوهية والربوبية فيهم وما طلبوه منه وما وعدهم إياه - كله يقتضي ان يحتقروا خصمه لا ان يتأدبوا امامه كما يتأدب اهل الصناعة الواحدة بعضهم مع بعض اذا تلاقوا للمباراة وهو ما وجه الزمخشري به التعليل، وما قاله البيضاوي وغيره من ان علته إظهار التجلد فضعيف اذلم يروا من موسى شيئاً بأعينهم يقتضيه وانما سمعوا انه ألقى عصاه بحضرة فرعون فصارت ثعبانا فاستعدوا لمقابلته بعصي وحبال كثيرة يخيل اليه والى كل ناظر انها ثعابين تسعى فيبطلون سحره بسحر مثله كما قال ملكهم (فلنأتينك بسحر مثله)

وذهب الزمخشري ومن تبعه الى ان هـذا التعبير عن إلقائهم يدل على رغبتهم في البدء بما ينبيء عنـه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل «نحن» وتوكيد الضمير المستتر به. وفي سورة طه (اما ان تلقي واما أن نكون اول من القى) وفيه من التوكيد ما يدل على الرغبة في الاولية التي صرحوا بذكرها هنا. فلا فرق بين التعبيرين في المعنى فلا بأس حينئذ بجعل الاختلاف اللفظي في الحكاية عنهم لمراعاة الفواصل، وقد اختلف فيه على اقوال ثالثها وهو الصحيح المعتمد انه جائز وواقع فيما لا يخل بأداء المعنى، ولا ينافي البلاغة العليا، فكيف اذا كان مزيد تفنن قد يصل الى حد الاعجاز فيها، وذلك ان تأدية دقائق المعاني مكررة بألفاظ مختلفة في منتهى العسر وكثيراً ما يكون متعذراً، فلو لم يؤكد الضمير المتصل ههنا بالضمير المنفصل «نحن» لما افاد معنى الرغبة في اولية الالقاء المصرح به في سورة طه، وبذلك علم ان مراعاة الفاصلتين في الموضعين هو الذي وحد بينهما بجعل كل منهما دالا على رغبة السحرة في التقدم والاولية، فأي خطيب او كاتب يقـدر على افادة هذا المعنى بأسلوبين مختلفين في اللفظ من غير تصريح به، واي مترجم تركي او افرنجي يفقه هذا ويؤديه في ترجمته للقرآن؟

﴿قال القوا﴾ وفي سورة طه (قال بل القوا) وهو ادل على رغبته عليه السلام في سبقهم للالقاء. ولعله نطق اولا بما فيـه الاضراب فقال بل القوا انتم من دوني ثم اعاد كلمة القوا وحدها لتأكيد رغبته والايذان بعدم

مبالاته . وفي سورتي يونس والشعراء (قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون) فأظهر اسم موسى الذي أضمره هنا وفي سورة طه لانه جواب لخطابهم اياه باسمه بالتخيير ، فالمقام فيها مقام الاضمار حتما . واما اظهاره في سورتي يونس والشعراء فسببه انه ليس فيهما ذكر لنداء السحرة اياه وتخييرهم له فأول آية يونس (فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا) وقبلها طلب فرعون للسحرة فلو لم يصرح باسم موسى لكان المتبادر ان الذي امرهم بالالقاء هو فرعون حسب قاعدة عود الضمير الى اقرب مذكور ، وكذلك آية الشعراء جاءت بعد ذكر طلب فرعون للسحرة ومجيئهم وسؤالهم اياه الاجران كانوا هم الغالبين واجابته إياهم، فهي أولى من آية يونس بما ذكر . واما زيادة (ما انتم ملقون) فانها فائدة نافلة ذات شأن تدل على عدم مبالاته بما يلقون مهما عظم امره وكان مجهولا عنده ، وهي لا تنافي عدم ذكرها في آية الاعراف فيجمع بينهما

وقد قيل كيف أمرهم موسى عليه السلام بالقاء ما عندهم وهو من السحر المنكر؟ وأجيب بأنه لم يأمر بفعل السحر ابتداء وانما أمر بأن يتقدموه فيما جاؤا لاجله ولا بد لهم منه، واراد التوسل به الى إظهار بطلان السحر لا اثباته، والى بناء ثبوت الحق على بطلانه،ولم يكن ثم وسيلة لابطاله الا ذلك، وقد صرح به فيما حكاه تعالى عنه في سورة يونس (قال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله، ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) ومثله توسل ابراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وآلهما الى اظهار حقيقة التوحيد لعبدة الكواكب من قومه لما رأى كلا من الكواكب والقمر والشمس بازغا فقال «هذا ربي» ثم تعقبه بما يدل على كونه لا يصح أن يكون ربا واسماعه إياهم بعد ابطال ربوبيتها كلها حقيقة التوحيد بقوله (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين)

﴿ فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ﴾ أي فلما ألقوا ما ألقوا من حبالهم وعصيهم كما في سورتي الشعراء وطه سحروا اعين الناس الحاضرين ومنهم موسى عليه السلام ففي سورة طه (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) واسترهبوهم أي اوقعوا في قلوبهم الرهب والخوف كما قال تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخف انك أنت الاعلى) واصل الاسترهاب محاولة الارهاب وطلب وقوعه بأسبابه،

وقد قصدوا ذلك فحصل. وجاؤا بسحر عظيم أي مظهره كبير، وتأثيره في أعين الناس عظيم، قال الحافظ ابن كثير: اي خيلوا الى الابصار ان مافعلوه له حقيقة في الخارج ولم يكن الا مجرد صنعة وخيال. ثم ذكر عن ابن عباس « رض » انهم القوا حبالا غلاظا وخشباطوالا «قال» فأقبلت يخيل اليه من سحرهم انها تسعى. ثم ذكر عن ابن اسحق ان السحرة كانوا خمسة عشر الف ساحر وان الحيات التى اظهروها بخيال سحرهم كانت كأمثال الجبال قد ملأت الوادي - وعن السدي ان السحرة كانوا بضعا وثلاثين الفا، وعن القاسم بن أبي بزة ٧٠ الفا. وذكر غيره ما هو اعظم من ذلك من المبالغة والتهويل ولا يصح شيء من ذلك في خبر مرفوع وانما هي من الاسرائيليات الباطلة المروية عن اليهود كما تقدم، على انه ليس في توراتهم منها شيء وانما جاء في الفصل السابع من سفر الخروج منها ان فرعون دعا الحكماء والسحرة « ففعل عرافو مصر أيضا بسحرهم كذلك: طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم »

وقد ذكر بعض المفسرين سر صناعتهم في ذلك بما اراه استنباطا علميا لا نقلا تاريخيا. قال الامام الجصاص في احكام القرآن: قال الله تعالى (سحروا اعين الناس) يعني موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى، وقال (يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) فأخبر ان ماظنوه سعيا منها لم يكن سعيا وانما كان تخيلا. وقد قيل إنها كانت عصيا مجوفة قد ملئت زئبقا وكذلك الحبال كانت معمولة من أدم (اى جلد) محشوة زئبقا، وقد حفروا قبل ذلك تحت المواضع أسرابا وجعلوا آزاجا وملؤها نارا فلما طرحت عليه وحمي الزئبق حركها لان من شأن الزئبق اذا أصابته النار أن يطير، فأخبر الله ان ذلك كان مموها على غير حقيقته، والعرب تقول لضرب من الحلي مسحورا اى مموه على من رآه مسحور به اه فعلى هذا يكون سحرهم لاعين الناس عبارة عن هذه الحيلة الصناعية اذا صح خبرها، ويحتمل أن يكون بحيلة أخرى كاطلاق الابخرة أثرت في الاعين لجملتها تبصر ذلك أو بجعل العصي والحبال على صورة الحيات وتحريكها بمحركات خفية سريعة لا تدركها أبصار الناظرين، وكانت هذه الاعمال من الصناعات وتسمى السيمياء

﴿ وأوحينا الى موسى أن الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون ﴾ أي أوحينا اليه بأن ألق عصاك فقد جاء وقتها فألقاها كما أمر فاذا هي تلقف ما يأتون

به من الافك ذكر هنا وفي سورة طه امر الله تعالى لموسى بالالقاء وفي سورة الشعراء أنه فعل الالقاء الذي أمر به ولم يذكر الامر فحذف من كل سورة ما ثبت مقابله في الاخرى وهو من قبيل الاحتباك في السور والايجاز المؤدي للمعاني المتعذرة بأخصر عبارة.

ما معنى لقف العصا للافك؟ الافك بالكسر اسم لما يؤفك أي يصرف ويحول عن شيء الى غيره ويستعمل في التلبيس والشر وقلب الحقائق، وبالفتح مصدر افك « بالفتح كجلس وضرب » ويقال افك بالكسر « كتعب » قال في الاساس: افكه عن رأيه صرفه، وفلان مأفوك عن الخير. وقال الراغب الافك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب مؤتكفة قال تعالى (وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة) وقال تعالى (والمؤتكفة أهوى) وقوله تعالى (قاتلهم الله انى يؤفكون) أي يصرفون عن الحق في الاعتقاد الى الباطل، وعن الصدق في المقال الى الكذب، وعن الجميل في الفعل الى القبيح. ومنه قوله تعالى (يؤفك عنه من افك * انى يؤفكون) وقوله (أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) فاستعملوا الافك في ذلك لما اعتقدوا ان ذلك صرف عن الحق الى الباطل — فاستعمل ذلك في الكذب لما قلنا اه ويعلم منه ومن استعمال المادة في القرآن وغيره ان الافك يكون بالقول ومنه الكذب وما يؤدي المراد من الكذب كالايهام والتدليس والتجوزات والكنايات والمعاريض التي توهم السامع أو القاريء لها مايخالف الحق، وقد يكون بالفعل كعمل سحرة فرعون

واما لقف الشيء فهو تناوله بحذق وسرعة كما قال الشاعر

كرة حذفت بصوالجة فتلقفها رجل رجل

قال الراغب لقفت الشيء القفه «أي من باب علم» وتلقفته تناولته بالحذق سواء في ذلك تناوله بالفم أو اليد قال (فاذا هي تلقف ما يأفكون) اه ومن مجازه تلقف العلم أي تلقيه بسرعة وحذق. وما في قوله تعالى « ما يأفكون» إما موصولة واما مصدرية وعلى الاول يتخرج ما نقل عن ابن عباس وقتادة والحسن والسدي من كون عصا موسى عليه السلام التقمت حبال السحرة وعصيهم واسترطتها أي ابتلعتها فهو مما يحتمله اللفظ، والراجح انه مأخوذ عن اليهود لما علمت آنفا من نص سفر الخروج فيه. وينافيه كونها مصدرية إذ المعنى عليه انها تناولت عملهم هذا فأتت عليه بما أظهرت من بطلانه وحقيقة الامر في

نفسه بسرعة، فان كان إفكهم عبارة عن تأثير أحدثوه في الاعين فلقفها إياه عبارة عن ازالته وابطاله ورؤية الحبال والعصي على حقيقتها — وان كان تحريكا لها بحركات خفية سريعة فكذلك — وان كان قد حصل بجعلها مجوفة محشوة بالزئبق وتحريكه إياها بفعل الحرارة سواء كانت ناراً اعدت لها او الشمس حين اصابتها فلقفها لذلك يجوز ان يكون بعمل من الحية اخرجت به الزئبق من الحبال والعصي فانكشفت به الحيلة. قال الشيخ محيي الدين بن العربي ما ممناه أو محصله على ما نتذكر ان إبطالها السحر السحرة انه ترتب على القائها ان رأى الناس تلك الحبال والعصي على أصلها ولو لا بتلعتها لبقي الامر ملتبسا على الناس اذ قصاراه ان كلا من السحرة وموسى قد اظهر امرا غريبا ولكن احد الغريبين كان أقوى من الآخر فأخفاه على وجه غير معلوم ولا مفهوم وهذا لا ينافي كونهما من جنس واحد . ولكن زوال غشاوة السحر وتخييله حتى رأى الناس ان الحبال والعصي التي القاها السحرة ليست الا حبالا وعصيا لا تسعى ولا تتحرك، وان عصا موسى لم تزل حية تسعى هو الذي ماز الحق من الباطل ، وعرفت به الآية الالهية ، والحيلة الصناعية . وكل ما في الامر ان عصا موسى ازالت هذا التخييل بسرعة وهو معنى اللقف ولكن لا يعلم بم كان لها هذا التأثير لانها آية الهية حقيقة لا امر صناعي حتى نعرف صفته وحقيقته .

وقوله تعالى ﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ﴾ اظهر في هذا المعنى منه في ابتلاع العصا للحبال والعصي اذا فسرت الفاظه بمعانيها الحقيقية فالذي بطل كان عملا عملوه، وكيدا كادوه، وليس شيئا ماديا اوجدوه، كما علم من سورة طه وسورة يونس ، اي فثبت الحق وفسد ما كانوا يعملون من الحيل والتخيل وذهب تأثيره

﴿ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ اي فغلب فرعون وملؤه في ذلك الجمع العظيم الذي كان في عيد لهم ويوم زينة من مواسمهم ضربه موسى موعدا لهم بسؤالهم كما بين في سورة طه (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) لتكون الفضيحة ظاهرة مبينة لجماهير الناس، وانقلبوا اي عادوا من ذلك الجمع صاغرين اذلة ، بما رزئوا به من الخذلان والخيبة ، أو صاروا صاغرين ، وانما خص هذا بفرعون وملئه وكان المتبادر ان يكون للسحرة

اولا وبالذات ولفرعون بالتبع أو للجميع على سواء ، لانه تعالى بين ما كان من عاقبة السحرة بقوله

﴿ وألقي السحرة ساجدين ﴾ فسره في الكشاف بقوله : وخروا سجدا كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم ، وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم القوا اه. والمراد ان ظهور بطلان سحرهم وادراكهم لحقيقة آية موسى « ع . م » وعلمهم بأنها من عند الله تعالى لا صنع فيها لمخلوق قد ملأت عقولهم يقينا وقلوبهم ايمانا فكان هذا اليقين في الايمان البرهاني الكامل، والوجداني الحاكم على الاعضاء والجوارح، هوالذي ألقاهم على وجوههم سجدا لله رب العالمين، الذى بيده ملكوت الخلق أجمعين ، ولم يبق في انفسهم ادنى مكان لفرعون وعظمته الدنيوية الزائلة، ولاسيما وقد ظهر لهم صغاره أمامهذه الآية . وفي آية سورة طه (فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى) فالفاء تدل على التعقيب ومثلها في سورة الشعراء .

(فان قيل) ولم قال هنا (وألقي) ولم يقل « فألقي » ليدل على التعقيب أيضاً (فالجواب) ان ألقي هنا عطف على قوله تعالى (فغلبوا) فهي يشاركه بما تفيده فاؤه من معنى التعقيب على ماقبله وكونه مثله أثراً لبطلان سحر السحرة ووقوع الحق بثبوت آية موسى (ع.م) ولوعطف عليه بالفاء لدل على كون السجود أثراً للغلب والصغار لا لظهور الحق وبطلان كيد السحر ، وحينئذ يكون منافيا لما في سورتي طه والشعراء

﴿ قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون ﴾ الجملة إما بيان مستأنف وإما حال من السحرة أي حال كونهم قائلين في سجودهم آمنا ... ومثله في سورة الشعراء

(فان قيل) ولم لم يذكر في سورة طه إيمانهم برب العالمين ؟ ولم أخرفيها اسم موسى وقدم اسم هارون؟ (فالجواب) عنهما أن سبب ذلك مراعاة فواصل السور بما لا يعارض غيره مما ورد في غيرها ، ولا سيما وقد نزل قبلها، فالايمان برب هارون وموسى هو الايمان برب العالمين لانهما قالا لفرعون (إنا رسول رب العالمين) وقد بينا مراراً أن القرآن ليس كتاب تاريخ تدون فيه القصص

بحكايتها كلها كما وقعت ويذكر كل ما قيل فيها بنصه أو بترجمته الحرفية — وانما هو كتاب هداية وموعظة، فهو يذكر من القصص ما يثبت به الايمان، ويتزكى الوجدان، وتحصل العبرة، وتؤثر الموعظة، ولا بد في ذلك من تكرار المعاني مع التفنن في الاسلوب والتنويع في نظم الكلام وفواصل الآي، وتوزيع الفوائد وتفريقها، بحيث يوجد في كل قصة ما لا يوجد في غيرها

---

(١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ؟ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

بعد ما كان من إيمان السحرة كان أول ما يخطر في البال، ويتوجه اليه السؤال، ما فعل فرعون وما قال ؟ وهاك البيان ﴿ قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ؟ ﴾ قرأ حفص آمنتم بصيغة الخبر ويحتمل فيه تقدير همزة الاستفهام فهو قياسي يعتمد في فهمه على صفة الاداء وجرس الصوت فيه . وبذلك يوافق سائر القراء في المعنى فهو عندهم استفهام إنكاري توبيخي أثبت همزته حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهي مقدرة عند الآخرين، وروي في اثباتها تحقيق الهمزتين بالنطق بهما وتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين، وقرىء بذلك في أمثالها. والمعنى أآمنتم بموسى أو برب موسى وهارون قبل أن آذن لكم وآمركم بذلك ؟ وفي سورة طه (قال آمنتم له) والضمير فيه لموسى قطعاً لان تعدية الايمان باللام تضمين يفيد معنى الاتباع والخضوع والمعنى : أآمنتم به متبعين له إذعانا لرسالته قبل أن آذن لكم ؟

ولذلك يتعين استعمال هذا التضمين في الايمان بالرسل والاتباع لهم كقوله تعالى حكاية عن فرعون (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ؟) وقد اقتبس المعري هذا الاستدلال في قوله

أعبَّاد المسيح يخاف صحبي ونحن عبيد من خلق المسيحا

ومثله قوله تعالى في سورة الشعراء حكاية عن قوم نوح عليه السلام (أنؤمن لك واتبعك الارذلون ؟) وقوله حكاية عن كفار قريش (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) وليس منه قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف (وما أنت بمؤمن لنا) بل هذه لام التقوية أي وما أنت بمصدق لنا. وقد بين فرعون علة إيمانهم بما ظنه أو أراد أن يعتقده قومه فيهم فقال مواصلا تهديده ﴿ إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها ﴾ أي ان هذا الصنيع الذى صنعتموه انتم وموسى وهارون بالتواطؤ والاتفاق ليس الا مكراً مكرتموه في المدينة بما أظهرتم من المعارضة والرغبة في الغلب عليه مع إسرار اتباعه بعد ادعاء ظهور حجته ، زاد في سورة طه (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) فأجمعتم كيدكم لنا في هذه المدينة لاجل أن تخرجوا منها أهلها المصريين بسحركم — وهو ما كان اتهم به موسى وحده — ويكون لكم فيها مع بني اسرائيل ما هو لنا الآن من الملك والكبرياء كما حكاه تعالى عن فرعون وملئه في سورة يونس — ﴿ فسوف تعلمون ﴾ ما يحل بكم من العذاب، جزاء على هذا المكر والخداع ، وبين ذلك بقوله : ﴿ لاقطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم أجمعين ﴾ أي أقسم لافعلن كذا وكذا في عقابكم والتنكيل بكم وهو قطع الايدي والارجل من خلاف كأن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس ، ثم لاصلبن كل واحد منكم وهو على هذه الحالة المشوهة لتكونوا عبرة لمن تحدثه نفسه بالكيد لنا ،أو بالخروج عن سلطاننا ، والترفع عن الخضوع لعظمتنا. وقد تقدم الكلام على هذه الالفاظ في العقاب الذي هدد به البغاة من سورة المائدة. ومن المعقول ما قاله بعض المفسرين من كون اتهام فرعون للسحرة بالمكر والكيد له وللمصريين، وبتواطئهم مع موسى للاداله منهم لبني اسرائيل — انما كان تمويهاً على قومه المصريين لئلا يتبعوا السحرة في الايمان، ويقع ماخافه وقدره واتهم به موسى عليه السلام، فهو على عتوه على الخلق ،

وعلوه في الارض ، قد خاف عاقبة ايمان الشعب ، وافتقر على ادعائه الربوبية الى إيهامهم بأنه لا ينتقم من السحرة الاحبا فيهم ، ودفاعا عنهم ، واستبقاء لاستقلالهم في وطنهم ، ومحافظتهم على دينهم و كذلك يفعل كل ملك و كل رئيس مستبد في شعب يخاف أن ينتقض عليه باجتماع كلمته على زعيم آخر بدعوة دينية أو سياسية ، وما من شعب عرف نفسه وحقوقه وتعارف بعض أفراده وتعاونوا على صون هذه الحقوق ، الا وتعذر استبداد الافراد فيهم وان كانوا ملوكا جبارين

﴿ مباحث لغوية بيانية فيما اختلف فيه التعبير من قصة موسى في السور المتعددة ﴾

ومن مباحث المقابلة والتنظير بين سياق هذه السورة في القصة وسياق غيرها أنه زاد في سورة الشعراء اللام في حرف التسويف فقال : (فلسوف تعلمون) ولم يذكر هذا التسويف في سورة طه. قال الاسكافي في هذه اللام إنها تدل على تقريب ما خوفهم به حتى كأنه حاضر موجود (قال): «واللام للحال والجمع بينها وبين سوف التي للاستقبال إنما هو تحقيق الفعل وادناؤه من الوقوع كما قال تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة) فجمع بين اللام وبين يوم القيامة على ما قاله تعالى (وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب) وقد بينا أن سورة الشعراء أكثر اقتصاصاً لاحوال موسى عليه السلام في بعثه وابتداء أمره وانتهاء حاله مع عدوه فجمعت لفظ الوعيد المبهم مع اللفظ المقرب له المحقق وقوعه — الى اللفظ المفصح بمعناه ، ثم وقع الاقتصار في السورة التي لم يقصد بها من اقتصاص الحال ما ذكر في سورة الشعراء على نقص مّا في موضع البسط والشرح وهو التعريض بالوعيد مع الافصاح به

(قال) «فأما في سورة طه فانه اقتصر فيها على التصريح بما أوعدهم به وترك « فسوف تعلمون » وقال (فلاقطعن أيديكم . . .) الا أنه جاء بدل هذه الكلمة ما يعادلها ، ويقارب ما جاء في سورة الشعراء التي هي مثلها في اقتصاص أحواله من ابتدائها الى حين انتهائها ، وهو قوله بعده (ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) فاللام والنون في « لتعلمن » لادناء الفعل وتوكيده كما أتى باللام في قوله (فلسوف تعلمون) لادناء الفعل وتقريبه ، فقد تجاوز ما في السورتين المقصود فيهما لى اقتصاص الحالين من إعلاء الحق وإرهاق الباطل » اه

أقول من المعلوم أن هذه اللام لام الابتداء وأن فائدتها المتفق عليها

توكيد مضمون الجملة وقد سكت الاسكافي عن التعليل بها على ظهورها وعدم خفاء شيء من شواهدها واقتصر على توجيه ما ذكروا لهذه اللام من معنى الحال اذ قالوا ان الفائدة الثانية لها تخليص معنى المضارع للحال ، نقله ابن هشام في المغني وقال إن ابن مالك اعترضه بقوله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة) وبقول يعقوب عليه السلام فيما حكاه الله عنه (إني ليحزنني أن تذهبوا به) فان الذهاب كان مستقبلا فلو كان الحزن حالا لزم تقدم الفعل في الوجود على فاعله مع أنه أثره (قال) والجواب عن الاول ان الحكم في ذلك اليوم واقع لا محالة فنزل منزلة الحاضر المشاهد — وان التقدير في الثاني قصد أن تذهبوا به والقصد حال اه

وأنت ترى أن تعبير الاسكافي في هذه الفائدة أوسع من التعبير الذي ذكره ابن هشام وغيره وأبعد عن الاشكال فقد قال هو إن معنى الحال فيها عبارة عن تحقيق الفعل وادنائه من الوقوع. وهو يصدق بجعل المضارع للحال حقيقة أو بجعل معنى الاستقبال فيه قريباً جدا حتى كانه حال ، ولا يرد على هذا ما يرد على قولهم: تخليص معنى المضارع للحال . وجوابهم عن الآيتين لا يظهر في تعبيرهم كما يظهر في تعبيره هو بغير تكلف ما .

ثم انه لا بد في صدق التعبير بقوله (فلسوف) من كون فرعون ذكر في وعيدهم المستقبل أنه قريب وأنه قطعي لامردّ له، سواء قاله على سبيل الايضاح أو على سبيل الاستدراك . ورب جملة أو جمل طويلة تؤدى في القرآن بجملة قصيرة أو كلمة أو حرف في كلمة كاللام هنا ، وهذا من دقائق إيجاز القرآن وهو ضرب من ضروب إعجازه اللفظية في غير الاسلوب والنظم، كلها دون إعجازه في حقائق الشرع والعلم،فكيف يمكن لبشر أن يؤدي هذه الدقائق بالترجمة؟ ومثله في هذا ماسبق وما يأتي من تتمة هذه المباحث

(ومنها) — أي مباحث المقابلة والتنظير بين السور — أنه قال هنا (ثم لاصلبنكم) وقال في طه والشعراء (ولاصلبنكم) ولا تعارض بين العاطفين فان العطف بالواو مطلق يصدق بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء وبالتراخي الذي تدل عليه ثم وليس مقيدا بأحدهما، وغايته أنه أفاد بثم معنى خاصا وهو ماتدل عليه من التراخي في الزمن أو الرتبة وكلاهما جائز هنا فانه بعد أن أفاد بقوله (فلسوف) وقوله (فلاقطعن) ان الوعيد سينفذ حالا في المجلس بقطع الايدي والارجل

من خلاف — أفاد بقوله (ثم لاصلبنكم) ان التصليب نوع آخر ومرتبة ثانية من التنكيل بهم سيتأخر عن التقطيع في الزمن بأن يظلوا بعده مطروحين على الارض إهانة لهم ثم يعلقون على جذوع النخل ويجوز الجمع بينهما. وكون التصليب في جذوع النخل فائدة أخرى زادها في سورة طه وتخصيصها بها مناسب لنظمها ولعلك تدرك ذلك بالذوق كما تدرك به التفرقة بين بحور الشعر.

أوردنا هذا البحث الفني وأمثاله من هذه القصة على اجتنابنا للاصطلاحات الفنية والعلمية في الغالب لثلاثة أسباب

(١) إن هذه المسائل مما يقع فيه الاشتباه ولم نر لها بيانا في التفاسير المتداولة حتى التى تمتاز بالعناية بمثلها

(٢) بيان ما فيها من الدقة في تحديد المعاني، وغرائب الايجاز، والاتفاق في مظنة الاختلاف، وهو المعهود في كل موضوع طويل يعبر عنه بعبارات مختلفة (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) اذ ليس في استطاعة بشر أن يحكي قصة كقصة موسى بعبارات مختلفة بمثل هذا التحديد للمعاني مع سلامتها كلها من التعارض والتناقض وغيرهما من أنواع الاختلاف وان كتب ذلك كتابة وقابل بعضه ببعض منقحاله ومصححا، فكيف اذا كان يرتجل الكلام ارتجالا في أوقات مختلفة كما كان النبي (ص) يتلو القرآن كالمرتجل له، وانما كان يلقاه فيؤديه كما تلقاه فيعجل به خائفا أن ينسى منه شيئا حتى لقن فيه نبأ عصمته من نسيان شيء منه، وانه تعالى كفل حفظه (سنقرئك فلا تنسى * لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه * ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) وتلك ضروب من اعجازه اللفظي ، ولضروب اعجازه المعنوي اكبر

(٣) إثبات عجز البشر عن ترجمة القرآن بلغة أخرى تؤدي معانيه كلها، واذا كان من المتعذر أداؤها بمثلها من لغتها ، فترجمتها بلغة أخرى أولى .

وقد تصدى بعض المغرورين في هذه الايام لترجمته باللغة التركية الفقيرة الملفقة من عدة لغات لاجل أن يستعين بهذه الترجمة الملاحدة من زعماء الترك على ما يبتغون من سل الشعب التركي من الاسلام بأن يحمله على الاستغناء بهذه الترجمة عن كتاب الله المنزل من عند الله تعالى (بلسان عربي مبين) كما ثبت في عدة آيات

فان انخدع هذا الشعب المسلم بهذا سهل على هؤلاء الملاحدة أن يحولوا بينه وبين السنة النبوية العربية أيضا لانها في المرتبة الثانية ، ثم أن يحولو

بينه وبين آثار الصحابة والتابعين فانها في المرتبة الثالثة — ثم أن يحولوا بينه وبين ما كتبه أئمة العلماء في التفسير وشرح الحديث وما استنبط منهما في أمور الدين من العقائد والآداب وأحكام العبادات والمعاملات ، وبعد هذا يتحكمون في تفسير هذه الترجمة له بما شاؤا، ويوردون الشبهات على الاسلام المشوه المأخوذ من ترجمتهم القابلة لذلك — وحينئذ يتم لهم ما يريدون من جعل الترك أمة لادينية. ولكن لن يتم لهم ذلك ان شاء الله تعالى، فالشعب التركي راسخ في الاسلام، ومتى عرف كيد هؤلاء الملاحدة المضلين فانه ينبذهم نبذ النواة.

*

تتمة تفسير الآيات

وههنا يرد سؤال : ما ذا كان من أمر السحرة عند ما سمعوا هذا التهديد والوعيد ؟ وبم أجابوا ذلك الجبار العنيد ؟ وجوابه هنا ﴿ قالوا إنا الى ربنا منقلبون ﴾ يجوز أن يكونوا قد عنوا بقولهم هذا أنفسهم وحدها وأرادوا أنهم لا يبالون ما يكون من قضائه فيهم وقتله لهم لأنهم راجعون الى ربهم، راجون مغفرته ورحمته بهم ، وحينئذ يكون تعجيل قتلهم سببا لقرب لقائه ، والتمتع بحسن جزائه . ويجوز أن يكونوا قد عنوا أنفسهم وفرعون جيماً وأرادوا اننا واياك سننقلب الى ربنا ، فلئن قتلتنا فما أنت بخالد بعدنا، وسيحكم عز وجل بعدله بينك وبيننا ، وفيه تعريض بكذبه في دعوى الربوبية ، وتصريح بايثارما عند الله تعالى على ما عنده من الشهوات الدنيوية، وفي سورة الشعراء (قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون * انا نطمع أن يغفر لنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) وهو يؤيد المعنى الاول ولا ينافي الثاني لانه يشمل الاول

﴿ وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ﴾ قال الراغب : نقمت الشيء ونقمته (أي من بابي فرح وضرب) اذا أنكرته اما باللسان واما بالعقوبة قال تعالى (وما نقموا الا أن أغناهم الله * وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله * هل تنقمون منا) الآية والنقمة العقوبة قال (فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم) الخ وتفسيره هذا لنقم أدق وأشمل من قول الزمخشري في الاساس : ونقمت كذا — انكرته وعبته. فانه لم يذكر الا القولي منه وقد استشهد له

بقوله تعالى (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا) وهو في أصحاب الاخدود وكان النقم منهم بالفعل لا بالقول ، فسبحان من لا ينسى ولا يغفل . وما ذكره السحرة من نقم فرعون منهم كان بالقول وهو الاستنكار التوبيخي لايمانهم والتهمة فيه والوعيد عليه . والظاهر أنه نفذ الوعيد بالانتقام بالفعل واستنبط بعض المفسرين من قوله تعالى لموسى وهارون (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) ان فرعون لم يقدر على تنفيذ الوعيد فيهم . وأجيب عن هذا بأن المراد الغلبة بالحجة والبرهان وفي عاقبة الامر ونهايته والا لم يقتل أحد من أتباع الرسل عليهم السلام ، وهو صريح قوله تعالى في أول هذه القصة الذي ذكرنا أنه بيان لنتيجتها ووجه العبرة فيها (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني فرعون وملاه ، ويؤيده ما ورد في معناه من الآيات الكثيرة كقوله تعالى حكاية عن شعيب في قصته التي مرت في هذه السورة أيضا (وانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وقوله قبله في قصة لوط منها (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) وقوله تعالى فى مكذبي الرسل عامة بعد ذكر تكذيب قوم خاتم الرسل (ص) (كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) ويجوز أن يراد بمن اتبع موسى وهارون قومهما خاصة وهم الذين بشرهم موسى بأن العاقبة لهم بعد وعيد فرعون لهم عقب خبر السحرة وهو ما تراه في الآية الثانية بعد هذه الآية التي نحن بصدد تفسيرها . وهذه العاقبة قد بينها الله تعالى بقوله في سورة القصص (فأخذناه — يعنى فرعون — وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)

وقد ختم تعالى ما قصه هنا من كلام السحرة بهذا الدعاء فنذكره تالين داعين

﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾ أي ربنا هب لنا صبراً واسعاً تفيضه وتفرغه علينا افراغا بتثبيتك إيانا على الايمان وتأييدنا بروحك فيه كما يفرغ الماء من القرب، حتى لا يبقى في قلوبنا شيئاً من خوف غيرك ، ولا من الرجاء فيما سوى فضلك ونوالك . وتوفنا اليك حال كوننا مسلمين لك مذعنين لامرك ونهيك متسلمين لقضائك، غير مفتونين بتهديد فرعون، وغير مطيعين له في قول ولا فعل . جمعوا بدعائهم هذا بين كمال الايمان والاسلام

يدل على ما قررناه من المبالغة في طلب كمال الصبر-تنكيره والتعبير عن ايتائه بالافراغ وهو صب الماء الكثير من الدلو ونحوه وأما تصويرنا لحصول

ذلك بقوة الايمان فمأخذه من العقل والتجارب ان الصبر من صفات النفس وهو عبارة عن قوة فيها على احتمال الآلام والمكاره بغير تبرم ولا حرج يحملها على ما لا ينبغي من ترك الحق أو اجتراح الباطل ، ولا شيء كالايمان بالله والخوف منه والرجاء فيه يقوي هذه الصفة في النفس ، ومأخذه من النقل آيات كقوله تعالى في بيان المؤمنين الذين عملوا الصالحات فوجبت لهم الجنة ٢٩ : ٢٩١ (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله فيهم (وتواصوا بالحق وتوصوا بالصبر) ومما يناسب المقام قوله (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)

ولدينا من نقول التاريخ القديم والحديث مايؤيد ذلك وقد صرح الذين كتبوا أخبار الحروب الاخيرة بعللها وفلسفتها أن المؤمنين بالله وباليوم الآخر من جميع الملل أعظم شجاعة وأشد صبراً على مشاق الحرب من غيرهم ، ولذلك يحرص أوسع الناس علما بسنن الخلق ، وأشدهم عناية بفنون الحرب ، -كالشعب الالماني - بالمحافظة على الدين في جيشهم . وللبرنس بسمارك وزيرهم الاعظم ومؤسس وحدتهم بل أكبر ساسة أوربة في عصره كلمة في هذا المعنى أثبتناها في المجلد الاول من المنار من ترجمة الاستاذ الامام رحمه الله تعالى عن كتاب (وقائع بسمارك ومذكراته) التي نشرها كاتم سره مسيو بوش بعد موته نكتفي منه هنا بقوله

« جلس البرنس بسمارك على مائدة الطعام فرأى بقعة من الدهن على غطاء المائدة فقال لاصحابه : كما تنتشر هذه البقعة في النسيج شيئا فشيئا كذلك ينفذ الشعور باستحسان الموت في سبيل الدفاع عن الوطن في أعماق قلوب الشعب ، ولو لم يكن هنالك أمل في الجزاء والمكافأة (أي في الدنيا) ذلك لما استكنّ في الضمائر من بقايا الايمان — ذلك لما يشعر به كل أحد من أن واحداً مهيمنا يراه وهو يجالد ويموت وان لم يكن قائد يراه

فقال بعض المرتابين أتظن سعادتكم ان العساكر يلاحظون في أعمالهم تلك الملاحظة ؟

فأجابه البرنس: ليس هذا من قبيل الملاحظات، وانما هو شعور ووجدان ، هو بوادر تسبق الفكر ، هو ميل في النفس وهوى فيها كأنه غريزة لها ، ولو لاحظوا لفقدوا ذلك الميل وأضلوا ذلك الوجدان ، هل تعلمون انني لا أفهم كيف يعيش قوم وكيف يمكن لهم أن يقوموا بتأدية ما عليهم من الواجبات ، أو كيف يحملون غيرهم على أداء ما يجب عليه — ان يكن لهم ايمان بدين جاء به وحي سماوي ، واعتقاد بإله يحب الخير ، وحاكم ينتهي اليه الفصل في

الاعمال في حياة بعد هذه الحياة ؟»

ثم أطال في ذلك بأسلوب آخر صرح فيه بأنه لولا عقيدته الدينية لما خدم سلطانه وعاهله (الامبراطور) ساعة من الزمان الخ ما قاله فيراجع في محله [1]

فتاوى المنار

الخلافة والخليفة الامام الحق في هذه الايام

(س ١٣ - ١٦) من صاحب الامضاء في حمص (سورية)

حضرة الاستاذ الفاضل صاحب المنار الشيخ العلامة محمد رشيد رضا وفقه الله، وأمتعه بتقواه

ان ثقتنا بدرجتكم العلمية العالية، واعتقادنا باحاطتكم الكاملة لقواعد الشريعة المحمدية، دعتنا ان نوجه لحضرتكم الاسئلة الآتية، آملين الاجابة عليها بسرعة، دون احتراز من ملامة، أو اكتراث لغاية، بل لانقاذ المسلمين من الضلالة، وازالة الفتن، وتنوير البصائر، وأجركم وحسابكم على الله:

١ — هل للخليفة عبد المجيد اليوم - في هذه الحالة - من بيعة له في أعناق المسلمين. أسباب بقائها أو زوالها مفصلا ؟

٢ — هل تصح إمامة المسلمين للملك حسين - وهو والاسلام في هذه الحالة ؟ أسباب صحتها أو عدم صحتها مفصلا ؟

٣ — من هم اليوم أهل الحل والعقد في جميع الاقطار الاسلامية المستقلة أو غيرها الذين في استطاعتهم نصرة وارشاد من أرادوا مبايعته، والذين يعدون حائزي الشروط لان يكونوا «أولي الامر»

٤ — من هو الامام المسلمين (اذا لم تصح الخلافة لعبد المجيد والحسين)

(١) ص ٨٤٦ من الطبعة الثانية للمجلد الاول من المنار

الذي يجب أن يعرفه كل مسلم — ليبنما يجتمع اهل الحل والعقد ، أو يعقد مؤتمر اسلامي للبت في الخلافة — لئلا تموت الناس ميتة جاهلية .

محمد فوزي القاوقجي

خلافة عبد المجيد التركي

١ — الجواب عن السؤال الاول هو أن عبد المجيد افندي المسؤل عنه لم تنعقد له خلافة فيسئل عن بقائها أو زوالها . ذلك بأنهم لم يبايعه أهل الحل والعقد من أهل بلاده بالخلافة الاسلامية التي هي الامارة العليا ورئاسة الحكومة في أمورها الدينية والدنيوية من سياسية وحربية وقضائية وادارية ، بل أسسوا حكومة جمهورية جعلوا لها رئيسا آخر ، وجعلوا هذه الحكومة مدنية غير دينية ، أي ليست مقيدة بأحكام الشرع الاسلامي ، ولا مرماسموا عبد المجيد افندي المشار اليه خليفة بعد إقراره إياهم على حكومتهم الجديدة ، وصرحوا بأنهم أرجؤا بيان معنى هذه الخلافة الجديدة التي ليس لها أدنى علاقة بحكومتهم ، وأذيع عنهم أنهم سيشاورون بعض كبراء الشعوب الاسلامية في ذلك لجعله خليفـة للجميع بمعنى ديني أو روحاني جديد مبهم أي كخلفاء مشايخ طرق المتصوفة ، وكان كثير من أهـل الرأي يرون ان هذه التسمية مؤقتة لامر ما . ثم ظهر السر في ذلك وهو أنه لما تم لهم الامر ورأوا ان جمهوريتهم قد توطدت أركانها ألغوا هذه الخلافة أيضا وطردوا المسمى بالخليفة من بلادهم مع جميع أهل بيته والأسرة العثمانية بأسرها

واذ كان الذين انفردوا بالشوكة فصاروا بها أهل الحل والعقد في الترك لم يبايعوا عبد المجيد افندي بالخلافة الشرعية فهو لم يكن خليفة فيهم ، ولو بايعوه بها لرضوا أن يكون هو رئيس حكومتهم سواء سميت جمهورية أم لا ، وأن تكون حكومتهم مقيدة بنصوص الشرع القطعية المجمع عليها ، والاحكام الاجتهادية التي ثبتت عند الخليفة وأهل الشورى في حكومته دون غيرها من آراء المجتهدين ، ولما جاز أن يجعلوا حق التشريع فيها للمجلس الوطني بلا شرط ولا قيد كما نصوا عليه في قانونها الاساسي . على أن خلافته تكون فيهم خلافة تغلب ولا تكون هي الامامة الحقيقية التي تجب طاعة صاحبها بأنه خليفة الرسول (ص) والامام الحق لجميع المسلمين . إذ

يشترط في الامام الحق شروط أخرى أجمع عليها أهل السنة كالنسب القرشي الذي يماري فيه اليوم بعض الجاهلين، وبعض الذين يحكمون أهواء السياسة في الدين ، وعبد المجيد افندي غير مستجمع لهذه الشروط كالقرشية والعلم الاجتهادي والعدالة الشرعية التي ينافيها رضاه بالحكومة اللادينية — وفيهما خلاف لبعض الحنفية — وكذا عنايته بالتصوير والعزف على الآلات الوترية عند جمهور فقهاء المسلمين . على أنه من أفضل أسرته وغيرها سيرة وسريرة وتدينا ورغبة في خدمة المسلمين كما نقل الينا الثقات الذين عرفوه . دع كون أهل الحل والعقد في الترك ليسوا أهل الحل والعقد في سائر الشعوب الاسلامية المستقلة كعرب الجزيرة وغيرهم ، ودع كون بيعتهم مسبوقة ببيعة غيرها أقرب الى الشرع منها كما تراه في الجواب عن السؤال الثاني

وأما بيعة من بايع عبد المجيد افندي من مسلمي مصر والهند وأفريقية فهي باطلة لا يثبت بها شيء لانهم ليسوا أهل الحل والعقد في بلادهم الذين يترتب على بيعتهم نفوذ أحكام من بايعوه فيها ، ولم تكن بيعتهم تابعة لبيعة أهل الحل والعقد في بلاده هو ولا في غيرها لتكون مؤكدة لها ، وانما تنعقد البيعة شرعا بمبايعة أهل الحل والعقد من أهل الاختيار الذين بينا شروطهم وما يعتبر فيهم في كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى) كما بينا فيه شروط الخليفة وما تنعقد به البيعة وما يجب بها على المبايع والمبايعين له

واعلم ان الحكم الشرعي في خلافة التغلب كالخلافة العثمانية السابقة ان الطاعة فيها للخليفة انما تجب على من هو متغلب عليهم بشوكته دون غيرهم من المسلمين ، وإنما ذلك لدفع الفوضى فهو ضرورة تقدر بقدرها ، وانه اذا وجد في بلاد أخرى خلافة صحيحة ودعا الامام الحق فيها هذا الخليفة المتغلب وقومه لطاعته وجب عليهم ذلك ، فان أبوا وجب عليه قتالهم ان قدر ، ووجب على كل من دعاه الى ذلك من المسلمين أن يقاتلهم معه أي تحت لوائه

وقد صرح شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث الثاني من كتاب الاحكام من صحيح البخاري بأن الذين انتحلوا منصب الخلافة من غير

قريش بشوكة التغلب حكمهم حكم البغاة أي قطاع الطريق الذين يخرجون عن طاعة الامام الحق

خلافة حسين العربي المكي

وأما السؤال الثاني فصحته كما يفهم بالقرينة لضعف عبارته العربية : هل تصح إمامة الملك حسين للمسلمين ؟ أو هل تصح توليتهم اياه اماماً عليهم ؟ وهو يريد بذلك مبايعة بعض اهل فلسطين وسورية والحجاز والعراق له

والجواب عنه ان هذه المبايعة لاتجعله اماماً للمسلمين فهي بيعة غير صحيحة وبيان ذلك من وجوه

(الوجه الاول) أنه يوجد بجوار بلاده امام آخر قد ولي الامامة قبله بسنين كثيرة في اليمن وهو قرشي علوي مستجمع للشروط الشرعية التي يفقدها هو كالعلم والعدالة والشوكة كما يعلم مما يأتي . ومن المعلوم ان النبي (ص) أمر بقتل من يبايع بالخلافة مع وجود امام آخر بويع قبله والحديث في ذلك مشهور رواه مسلم في صحيحه

فان قيل ان امام اليمن زيدي غير سني - أجيب من قبل جماعته

(اولا) بأنه من أهل العلم الاجتهادي ولا يبايع علماء الزيدية انفسهم أحدا الا اذا ثبت عندهم اجتهاده

(وثانيا) بأن علماء السنة اشترطوا في الامام الاسلام ولم يشترطوا مذهبا معينا ، بل اشتراطهم للاجتهاد في الدين ينافي اشتراط المذهب ، وأما ما يسمونه البدع وخاصة ما كان منها محل النظر والاجتهاد كاختلاف المذاهب فلا يعدون مخالفة السنة فيه بالتأول مانعا من صحة الخلافة كما في شرح البخاري للحافظ ابن حجر واستدل على هذا بأن كبار أئمة السنة كالامام احمد لم يقولوا ببطلان خلافة المأمون والمعتصم اللذين حملا الناس على القول بخلق القرآن ، وربما يدل على ذلك أو يشير اليه حديث حذيفة في الخير الذي يخالطه الدخن وسيأتي في جواب السؤال الرابع

(وثالثا) ان حسين بن علي ليس من علماء أهل السنة المجتهدين ولا المقلدين لاحد مذاهبهم عملا وحكما كما يعلم مما يأتي ، وان كان قد نشأ في قوم يسمون

سنية وحنفية وشافعية فذلك لايقتضي ان يكون ملتزما لمذهب الحنفية أو الامام الشافعي ، وسنبين هذا بالاجمال هنا ، وقد بيناه بالتفصيل مراراً آخرها الخطاب الذي نوجهه في شأنه الى العالم الاسلامي وينشر في المنار تباعا ، ومما فيه أنه يحكم بين الناس فى الحضر برأيه وهواه،وبين البدو بقانون أبي نمي المخالف لنصوص القرآن واجماع المسلمين

(فان قيل) ان امامة يحيى محصورة في بلاده ولم يعترف بها غير أهلها (فالجواب) ان امامة حسين محصورة كذلك بل دون ذلك ففي اليمن من أهل الحل والعقد ما ليس في الحجاز وهم أكثر عدداً، وأشد بأسا وشوكة من أهل الحجاز (ومن أهل سورية وفلسطين ان فرضنا أن لاعترافهم تأثيرا شرعيا) بدليل ان الدولة العثمانية قاتلتهم عدة قرون ولم تقدر على ازالة امامتهم. فيحيى يرجح على حسين من وجوه وحجته عليه بمبايعته بالامامة قبله قائمة ، (وللكلام فيها بقية تأتي في جواب السؤال الرابع) . وبهذا يعلم خطأ الذين بايعوا حسينا بدعوى أن الخلافة التركية قد سقطت وأصبح منصب الخلافة معطلا وأنه يجب التعجيل باقامة إمام المسلمين لئلا يصدق على من يتأخر عن ذلك حديث «من مات وليس في عنقه بيعة لامام مات ميتة جاهلية» فقدغشوا الناس بهذا القول ، كما غشوهم بأنه لا يوجد أحد مستجمع لشروط الامام غير هذا الرجل ويعلم هذا بما يأتي :

(الوجه الثاني) إن الملك حسينا فاقد للعلم الشرعي اجتهادا وتقليدا كما يعلم بالقطع من مكتوباته الرسمية وغير الرسمية فانها مشتملة على الاغلاط اللغوية الفاحشة في المفردات والجمل والاسلوب، وفهم الكتاب والسنة وكتب أئمة العقائد والفقه يتوقف على اتقان اللغة العربية – ومشتملة على تحريف فظيع للآيات والاحاديث ،وعلى تفسيرها بالرأي بل الهوى ،وعلى أحكام باطلة لادليل عليها ، وأحاديث موضوعة لا أصل لها، وقد أوردنا فيمواضع متعددة من المنار بعض ذلك ، فاذا وجد من أدعياء العلم المتحيزين اليه من ينكر علينا ذلك فاننا نجمعه في كتاب نطبعه على حدته ونطالبهم بالرد عليه ان استطاعوا

(الوجه الثالث) أنه فاقد للعلم بالسياسة العامة وشؤون الدول والامم التي

صارت تتوقف في هذا الزمان على علم واسع، وهو مع ذلك ينفرد بعقد الاتفاقات مع الدول فيقع فيما يضيع به حقوق المسلمين ومصالحهم كما يعلم بالقطع من الاتفاق مع الانكليز على ما يسميه « مقررات النهضة » وفيها التصريح بجعل البلاد العربية وفي مقدمتها الحرمان الشريفان تحت حماية دولة أجنبية غير مسلمة تجتهد في ازالة ملك الاسلام وشرعه من الارض . وقد نشرنا هذه المقررات مرارا و بينا مفاسدها، ومثلها المعاهدة الاخيرة المبنية على اساسها التي كان أعلن قبولها بادىء بدء في أول شوال من السنة الماضية - ١٣٤١ — ولكن كان من توفيق الله تعالى ان علم بجل مضمونها أهل فلسطين وغيرهم فانتقدوها وصرحوا برفض مايتعلق بهم منها، و بينا نحن وغيرنا سائر مفاسدها، فاضطر الملك حسين الى الامتناع من امضائها النهائي بعد ان أمضاها الامضاء المبدئي وأمر باتخاذ يوم اعلانها عيدا رسميا للامة العربية . وقد أرسل قبل سفره الى شرق الاردن خطابا الى الامة الانكليزية اعترف فيه بموالاة حكومتها — خلافا لنص القرآن — وبأنه أضاع بذلك استقلال من تبعه في ذلك من الامة العربية ونشر هذا الخطاب في الجرائد العربية واشتهر

(الوجه الرابع) فقده للعدالة من شروط الخلافة والدلائل على ذلك كثيرة جدا من أهمها استبداده الذي لا يكابر فيه أحد يعرف حاله، وظلمه الذي نذكر منه منعه لشرفاء قومه الذين كانوا في الاستانة وغيرهم من الرجوع الى بلادهم واستيلاؤه على أموالهم من أملاكهم وأوقافهم وعدم اعطائهم شيئا منها، وناهيك بما ذكرناه آنفا من حكمه بما يخالف كتاب الله واجماع المسلمين. ومن أشهر أعماله الاستبدادية ضربه الضرائب على الحجاج، وظلمه لاهل الحرمين الشريفين (ومنه) حرمانهم من مئات الالوف من الدراهم والغلال التي كانت ترسلها اليهم الحكومة المصرية في كل عام، وقد رأينا ما دافع به عنه بعض المأجورين والمنافقين في العام الماضي، وملخصه أنه ملك للحجاز ومالك له وله أن يمنع من دخوله ولو لاداء فريضة الحج من شاء ويأذن لمن شاء (وقد صرح بهذا ولده الامير عبد الله ونشر في الجرائد) وان يشترط ما شاء على من شاء من الحجاج كمنع ركب الحج المصري من وضع أدويته وأدواته

الصحية في جدة ومكة وغير ذلك، مع أن المعلوم من الدين بالضرورة أنه ليس لاحد أن يشترط على مؤدي ركن من أركان الاسلام شروطا أو يضع عليه ضريبة ولو جاز هذا في أداء الحج لجاز في أداء الصلاة فاذا لا يجوز له أن يتحكم في حرية الحجاج بشيء الا اذا ارتكب أحد ذنبا يعاقب عليه الشرع، فله أن يحاكمه وينفذ ما يحكم به عليه بالعدل. وأما استصحاب الحجاج للاطباء وللادوية والعقاقير واستخدامهم المطوفين أو غيرهم من أهل البلاد في أعمال مشروعة بالتراضي — فليس له ان يمنع أحداً منها

(الوجهان الخامس والسادس) فقده للشوكة والقوة المالية والجندية اللتين يتوقف عليهما حفظ البلاد وحماية الثغور والجهاد المشروع، وجعله البلاد تحت حماية الدولة البريطانية بنص مقررات النهضة، وقد رفع استقالته المرة بعد المرة الى الحكومة الانكليزية وطلب منها أن تولي غيره على الحجاز وتختار له ولاولاده مكانا يقيمون فيه، ونشر هذا في جريدته (القبلة) ونقلناه عنها في المنار مرارا، ولو لم يكن له الا هذه الخزية لكفت مانعا من جواز خلافته، فان المراد من الخلافة اعزاز الاسلام والمسلمين بالاستقلال والحرية الشرعية، لا جعلهم أذلة تحت سلطان دولة غير اسلامية

(الوجه السابع) إن الذين بايعوه ليسوا أهلا لان يبايعوا كما أنه هو ليس أهلا لان يبايع، اما حضر الحجاز منهم فهم تحت سيطرته وقهره فليسوا أحرارا ولا مختارين، وليس لهم صفة أهل الحل والعقد كما يعلم مما بيناه مفصلا في كتاب (الخلافة — أو الامامة العظمى) وأما من بايعه من أهل سورية وفلسطين والعراق فهم تحت سيطرة دولتين أجنبيتين قويتين لا يملكون من أمرهم طاعة حاكم آخر وإنما المبايعة على السمع والطاعة في الجهاد وأموال الزكاة واقامة الحدود وغير ذلك من الاحكام، فلا الملك حسين يستطيع أن يقيم شيئا من هذه الاحكام في هذه البلاد ولا أهلها قادرون على اعطائه هذه الاستطاعة، ولا على طاعته اذا هو امر بشيء منها. والمبايعة في عقد الخلافة كالمبايعة في عقد البيع بل هذا هو الاصل وذلك وما في معناه مأخوذ منه، قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين

اموالهم وانفسهم بأن لهم الجنة — الى ان قال — فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) ولا تتحقق المبايعة في هـذا ولا ذاك الا اذا كان كل من المتبايعين اهلا للقيام بنصيبه من العقد — كأهلية الخليفة لاقامة احكام الله تعالى كما انزلها بما له من صفتي العلم والعدالة ، واهليته لتنفيذها بماله من القوة والشوكة — واهلية المبايعين لهالقبول احكامه وطاعته فيها واعانته عليها — ومثال ذلك في بيع الاعيان ملك البائع لما يبيعه وقدرته على تسليمه ، وقدرة المشترى على اداء الثمن — ومن المعلوم بالضرورة لكل من الملك حسين ومن بايعوه فيشونة شرق الاردن كما بايع سلفهم فيهذه البلاد مروان بن الحكم - ان كلا منهما عاجز عما توجبه عليه البيعة ، فمثلهما كمثل من قال لآخر بعتك هـذا الطائر في الفضاء ، بهذا القمر الذي يلوح في السماء . فقال قبلت

على انني اعلم ان اكثرهم لا يعرف معنى الخلافة ولا معنى المبايعـة ولا ما توجبه عليهم وان من يعرف ذلك منهم لم يقصدوه بمبايعتهم حتى فيما يستطيعونه منه كان ينفروا الى قتال سلطان نجد او امام اليمن اذا استنفرهم خليفتهم ولم تمنعهم الدولة المسيطرة على بلادهم من القتال معه . والدليل على ذلك ان هذه البلاد كلها كانت قدبايعته من قبل وكان أهل سورية وفلسطين يظنون عقب احتلال ولده الامير فيصل للبلاد مع جيوش الحلفاء أنه تنفيذ لما كانوا يعدونهم به فى زمن الحرب ، من أن الشريف يحارب لاستقلالهم وانه هو ملكهم فلهذا بايعوه، وخطبوا باسمه في طول البلاد وعرضها، ولما انعقد المؤتمرالسوري لتقرير استقلال البلاد واعلانه لم يجعل له شيئا من الامر فيها لا بلقب الخليفة ولا غيره ، وقد استنجد ولده فيصـلا ملك سورية لحرب النجديين مرة فقررت وزارة هاشم بك الاتاسي رفض الطلب وانما سمحت بالتطوع لمن شاء من السوريين باختياره على نفقة الحجاز ولو كانوا بايعوا على علم وعزم لربطوا سورية بالحجاز في ذلك العهد ، ولكانوا أجدر بالنجاح يومئذ منهم اليوم .

ما بايع القوم أولا ولا ثانيا لهذا . وانما بايع بعضهم لهوى او منفعة شخصية ، وبعضهم لنكاية الدولة الاجنبيـة المسيطرة . ولا سيما الذين صـدقوا قول دعاة

الرجل انه هو القادر وحده على انقاذهم من هذه السيطرة ، وبايع بعضهم لتصديق من قال له ان هذه المبايعة فرض عليه لايترتب عليها غرم ولا تخلو من غنم ، وانه اذا امتنع منها ومات من ليلته مات ميتة جاهلية وكان من اهل النار ، وقد يوجد في هؤلاء العوام المخلصين من اذا دعي بمثل هذه الدعوة الى القتال مع الخليفة استجاب على غير علم ولا هدى

وهنالك اناس آخرون بايعوا لغرض سياسي عام او خاص : اما الخاص فهو غرض من ظن من اهل فلسطين ان تقوية رابطتهم بملك الحجاز بالخلافة يحمله على مساعدتهم ولو فيما يغضب الدولة البريطانية ، او يمنعه ان يعقد معاهدة معها يوافقها فيها على الحالة الحاضرة وهي حالة الانتداب المرتبط بوعد بلفور بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود الصهيونيين ، وقد كان رضي بالمعاهدة المشتملة على هذا واعلنها رسميا بمكة في اول شوال من السنة الماضية ثم اضطر الى طلب تعديلها كما تقدم آنفا

واما الغرض العام فهو ما اراده اولو العصبية العربية من اعادة الخلافة الرسمية العامة الى العرب وقد ظنوا ان الفرصة قد سنحت لهم بما فعل الترك . واكثر اهل البصيرة والمعرفة والاخلاص من هؤلاء يعلمون أن هذا الرجل ليس أهلا للخلافة ولا للملك ، ولكنهم يقولون ان مركزه البارز في الحجاز جعله مرجحا على غيره من العرب وهو شيخ كبير اذا لم ينتفع العرب بهذا المركز في حال حياته لما نعلم من صفاته ، فلا يمنع ذلك من انتفاعهم به بعد وفاته ، ومهما يطل اجله الشخصي فهو قصير في جانب اجل الامة ، وقد خاطبني بعضهم بهذا قولا وكتابة . ولكن المبايعة لاجل العصبية باطلة ، والعصبية محرمة ، والاحاديث فيها معروفة في الصحاح والسنن ، وهي تضر العرب بتنفير الاعاجم منهم وهم في غنى عنها بجعل الشارع الامامة في قريش ، وما على قريش وغيرهم الا أن يرشحوا من أفضل رجالات قريش من تقوم الحجة على قدرتهم على النهوض بهذا الامر وأما إلصاقه برجل يمقته أكثر مسلمي الارض ، ويرمونه بأقبح الطعن كخيانة العرب والاسلام واضاعة ملكهم ـ كما اعترف به في خطابه الاخير للشعب البريطاني — فهو أكبر العقبات في سبيل اعادة هذا الحق الى أهله

حفظ هؤلاء السياسيون شيئا وغابت عنهم اشياء لامحل لبيانها هنا ، وانما نقول ان إعطاء لقب الخلافة لهذا الرجل سيكون اضر على الامة العربية عامة من إعطائه لقب ملك العرب ومن جعله زعيما للامة العربية من قبل بما يزيد هذه الامة تفرقا وعداوة وضعفا في أنفسها ، وكراهة واحتقارا من جميع الشعوب الاسلامية الذين ارادوا ان يجعلوه إماما لها ، وخايفة مطاعا أو محترما عندها ، ومن ثم يزيد نفوذ الاجانب قوة فيها ، ودسائسهم توغلا في بلادها ، وهو قد بدأ يبث الدسائس في شافعية اليمن العليا والسفلى لايقاع الفتن بينهم وبين الامام يحيى وايقاد نار الحرب ، إذ بلغهم دعاته بأنه سينقذهم من سلطان هذا الامام الزيدي ، ويقيم لهم حكاما شافعيين من اهل مذهبهم يكونون تابعين له ومستمدين للسلطة منه ، وهذا يوافق ما صرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة بمكة ونشر في جريدة القبلة في أوائل ربيع الآخر من هذه السنة — أعني أنه لابد من اعطاء أهل هذه البلاد من اليمن مايطلبون من شكل الحكومة الداخلية التابعة لملك العرب ! ! !

وان من اعجب العجائب واغرب الغرائب ان يوجد رجل عربي يحب امته ويعمل لها باخلاص يزيد في غرور هذا الرجل وتجرئته على المضي في سياسته العربية بعد ان صرح في جريدته القبلة تصريحا رسميا بأنها قائمة على أساس عداوته لجميع أمراء الجزيرة اصحاب القوة والبأس فيها ، مع العلم بأنه أضعف من كل واحد منهم ، وانه لا اتكال له ولا اعتماد في هذه العداوة الا على قوة الاجنبي الطامع في استذلال جميع العرب والسيطرة على جميع بلادهم ، وانه لاوسيلة لهذا الاجنبي الى غرضه الا هذا الشقاق الذي يعتمد فيه على هذا الملك وأولاده ، ولذلك جعل واحدا منهم ملكا في العراق ليقنع أهله بعقد محالفة العبودية والاسترقاق لاهله ، والتصرف في أرضه ـ ويطمع الآخرون أن يصيروا ملوكا في سورية وفلسطين واليمن ونجد تحت ظل هذا الاجنبي وحمايته، وهذا ما يبغونه من الوحدة العربية

أمثل هذا يعطى لقب الخلافة ليتخذه آلة الدعاية المروجة لهذه السياسة ؟ أبمثل هذا تتحد الامة العربية وتستعيد مجد الخلافة وتعيد بها مجد العرب ؟ ألا ان الامة العربيه لم تصب بمصيبة اشد ضررا واعظم خطرا عليها من هذا الرجل

واولاده ، وانه لا احد من اشياعهم اجدر باللوم على مبايعته وموالاته من اخواننا الفلسطينيين والسوريين الذين كنت اجل كثيرا من اذكيائهم واولي الخبرة والاطلاع منهم أن يظلوا منقادين بالدعاية الكاذبة الخاطئة الى هؤلاء الافراد ، بعد أن افتضح أمرهم فعرفه كل حاضر وباد ، ولم أر أحدا منهم استطاع أن يدافع عنهم بكلمة حق ، وكان يجب على من يظنون منهم انه يمكن استصلاحهم والانتفاع منهم — وقد خاطبنا بعضهم بذلك قولا وكتابة — أن يحتفظوا بمبايعة كبيرهم بالخلافة (التي هي منتهى أمانيه وأول ما خاطب به أولياءه الانكليز قبل الاتفاق معهم) ليمهدوا لها بنظام معقول وضمان يوثق به ، فماذا أبقوا بأيديهم، بعد أن أعطوه حق الولاية الشرعية عليهم ، ان كانوا يعدون بيعتهم له صحيحة ؟ وسيبث هو الدعاية بأنه لامعنى لها الا وجوب طاعته في كل مستطاع يأمر به بلا شرط ولا قيد ولا نظام ولاقانون ، إنا لله وإنا اليه راجعون

(الوجه الثامن) حرصه على السلطة وتهالكه على لقب خليفة وملك حتى إنه اعتمد فيه على موالاة دولة غير مسلمة كما ثبت من المكاتبات الرسمية بينه وبينها التي انتهت بقبوله لحمايتها كما أشرنا اليه في هذه الفتوى وفصلناه بالوثائق الرسمية في عدة أجزاء من المنار

وما كان يدعيه من التعفف وعدم الرغبة في الخلافة يوجد في قوله وفعله ومنشوراته وأقواله المطبوعة في جريدته ما يناقضه أو يعارضه . وذلك شأنه في جميع أقواله وأعماله كالوحدة العربية وغيرها : صرح بأن الخلافة قد ماتت ، وصرح بأنه لا يقبل أن يبايع بها الا اذا أجمع المسلمون على اختياره لها، وكان يسمى لها هو وأولاده قبل ذلك وفي أثنائه ، ثم قبل المبايعة من بعض أهل فلسطين وشرقي الاردن وسورية المستعبدين للاجانب بشؤم نهضته، وقد كان أهل هذه البلاد بايعوه في عهد وجود ولده فيصل في سورية، وصرح أهل مكة في مبايعته بأنهم قد كانوا بايعوه من قبل وهم يبايعونه الآن تجديداً و توكيداً . وقد نشرت هذا المعنى جريدته القبلة ، فأين الاجماع من المسلمين وما ثم شيء جديد

وأما الدليل على أن طالب الولاية والحريص عليها لا يولى فأحاديث منها

قوله صلى الله عليه وسلم لرجلين طلبا منه ان يؤمرهما « انا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه » رواه الشيخان في الصحيحين واللفظ لمسلم ، وفي رواية للامام احمد « ان أخونكم عندنا من يطلبه » وقد ورد أنه (ص) لم يستعن بأحد من الرجلين حتى مات . وحكمة ذلك ومدركه أن حب الملك والرياسة هو أكبر أسباب الفتن التي سفكت فيها الدماء أنهارا ومزقت الامة شر ممزق وأفسدت عليها أمر دينها ودنياها وجعلتها أمما وشعوبا متعادية ، والله يقول : (ان هذه أمتكم أمة واحدة) وهي التي أخضعت أمثال هؤلاء الامراء للاجانب في الاجيال الاخيرة وكانوا أولياء وأنصاراً لهم على سلب سيادة الاسلام عن بلادهم وغير بلادهم . وقد آن للمسلمين أن يقيموا شرعهم باختيار أهل الحل والعقد لائمتهم بنظام تضمن فيه حريتهم وحرية الامة ، وتلتزم فيه أحكام الشرع وحكمه ، وان لم يمكن تنفيذه الا بعد زمن طويل ، وهذا أهم ما يطلب من المؤتمر الاسلامي المقترح .

٣ — أهل الحل والعقد

وأما الجواب عن السؤال الثالث وهو تعريف أهل الحل والعقد في هذا العصر فنجيب عنه بما يتعلق بالمقام فنقول : إن من عرف المراد من كلمتي الحل والعقد في اللغة يعرف أهلهما ، وكذلك كلمة الامر : الحل والعقد عبارة عن التصرف في الامور العامة . والامر هو الشأن والمراد به شأن الامة العام من سياستها وادارة مصالحها ونظام أحكامها ، ويؤخذ هذا من تعريف الكلمة بالالف واللام ، وهو المراد من قوله تعالى (وشاورهم في الامر) وقوله (وأمرهم شورى بينهم) وقوله (ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) والضمير في قوله ردوه يرجع الى أمر الامن والخوف وخاصة في حال الحرب ، فأولو الامر هم أصحاب الرأي والمكانة الذين تثق بهم الامة وتعول على تدبيرهم وتتبعهم فيه . وكانوا موجودين مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان يستشيرهم في كل شيء ليس فيه وحي من الله تعالى ويعمل برأي من اتضح له صواب رأيه منهم ، كما عمل برأي الحباب بن المنذر في غزوة أحد لما راجعه في المكان الذي أمر (ص)

بنزولهم فيه - ويعمل برأي الاكثرين وان لم يره صوابا كما وقع في مسألة الخروج من المدينة في غزوة أحد وكان مخالفا لرأيه ورأي بعض كبراء الصحابة كأبي بكر (رض) ولكن الاستشارة في أحد كانت للامة لا للزعماء المعبر عنهم بأولي الامر وأهل الحل والعقد فقط . والامة هي الصاحبة الشأن والسلطة في أمرها العام بنص آية الشورى ولما كان من المتعذر أن يقوم جميع أفرادها أو أكثرهم بالامور العامة من حربية وسياسية وقضائية وادارية كان المشروع المعقول أن ينوب عنها من يكونون محل ثقتها من الافراد الممتازين فيها بالعلم والتجارب والاستقامة فيكونوا هم أرباب الحل والعقد فيها الذين يختارون لها الرئيس (الخليفة أو الامام) المنفذ لشريعتها ويؤيدونه بالرأي والعمل فيكون منهم أهل الشورى له والوزراء والقوادوالقضاة وغيرهم . وقد بينا ذلك بالتفصيل في المبحث الثالث « من ينصب الامام ويعزله » والمبحث الرابع «سلطة الامة ومعنى الجماعة » والمبحث الخامس « شروط أهل الاختيار للخليفة » من كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى) ثم عقدنا المبحث التاسع عشر (وطبع ١٧ غلطا) (لاهل الحل والعقد في هذا الزمان ، وما يجب عليهم في أمر الامة والامام)وقد صرحنا فيه بأن أهل الحل والعقد قلما يوجدون في غير الامم الحرة الا أفرادا يكون لهم هذا الوصف بالقوة لا بالفعل

والقول الفصل في النازلة التي هي موضوع الفتوى والشغل الشاغل لا كثر المسلمين اليوم هو أن أهل الحل والعقد بالفعل في العالم الاسلامي الآن هم رؤساء الحكومات الاسلامية المستقلة وأركان دولتهم وأصحاب الزعامة الذين يوجدون في بعضها دون بعض ، وتوجد الشروط الشرعية في بعضهم دون بعض ، وهم على ما هم اذا بايعوا رجلا بالخلافة ، وعاهدوه على السمع والطاعة ، وكان مستجمعا للشروط الشرعية المجمع عليها عندأهل السنة والجماعة ، صار هو الامام الحق الذي تجب طاعته على كل مسلم في الحق والمعروف ، وان لم يكن كذلك وجبت طاعته على البلاد التي بايعه أولو الامر والحل والعقد فيها دون غيرهم .

في مصر الملك فؤادووزراؤه وكبار العلماء وأعضاء مجلسي النواب والشيوخ

وفي الافغان الامير أمان الله خان وأركان دولته ، وفي الترك أعضاء المجلس الوطني الكبير ، وفي جزيرة العرب أمراؤها وأئمتها المعروفون : امام اليمن وسلطان نجد وملك الحجاز وأمير تهامة ، ولدى كل من هؤلاء زعماء وعلماء اذا لم يوافقوه على البيعة لاتنفذ الاحكام في بلادهم فهم من أهل الحل والعقد فيها، الا ملك الحجاز فهو المستبد المطلق الذي ليس لاحد من مدن بلاده معه أمر ولا رأي. وأما القبائل فأهل الحل والعقد فيهم شيوخهم واكثرهم غير خاضعين له

٤ — إمام المسلمين الذي تجب معرفته اليوم

وأما السؤال الرابع وهو تعيين الامام الذي يجب أن يعرفه كل مسلم موقتا الخ فنقول في جوابه :

— أولا — ان السؤل يشعر بأن السائل يعتقد أنه لا بد من وجود إمام المسلمين بالفعل في كل وقت تجب عليهم معرفته والاعتراف بامامته وان لم يكن له فيهم أمر ولانهي الى أن يقوموا بنصب الامام الحق باختيار المؤتمر الاسلامي العام الذي يجب اتباعه على جميع المسلمين. وفي هذا مباحث لاتتسع لبسطها هذه الفتوى (منها) هل يجوز خلوّ الارض من إمام يقيم الحق والعدل في جماعة من المسلمين ؟ في الاحاديث الصحيحة أنه لاتزال طائفة من هذه الامة ظاهرين على الحق يقاتلون عليه لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله . والظاهر انهم الامام وجماعته، وقيل ان المعنى أعم مما ذكر. وحديث الصحيحين «لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان » وهذا لفظ مسلم - يدل على ذلك ان عد خبرا . والاظهر انه انشاء حكم أي يجب ذلك .

وفي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان (رض) قال : كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت : يارسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « نعم » قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال « نعم وفيه دخن » (١) قلت : وما دخنه ؟ قال « قوم يهدون بغير هدي

---

(١) الدخن بوزن جبل الغش والفساد واصله لون في الدابة غير لونها يشبه الدخان

تعرف منهم وتنكر » قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال « نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها » قلت : يارسول الله صفهم لنا قال « هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » قلت : يارسول الله فما تأمرني ان أدركني ذلك ؟ قال « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » وهذا محل الشاهد ، واللفظ للبخاري في كتاب الفتن من صحيحه ، وهو يدل على جواز خلو الارض من الامام والجماعة ، الا أن يقال انه ذكر على سبيل الفرض والاحتمال العقلي

أما الشر الاول في هذا الحديث فهو الفتن التي نجمت في خلافة عثمان واشتدت في خلافة علي . وأما الخير الذي بعده فهو الرجوع الى السنة والجماعة ونبذ البدع في خلافة عمر بن عبد العزيز ومن بعده من الامويين والعباسيين ما كان المسلمون على امام واحد . و لدخن الذي في هذا العهد ما دخل على بعض الخلفاء من الفسق وعلى بعضهم البدع الاجتهادية، فكان منهم مايعرفه الشرع وماينكره. وأما الدعاة على أبواب جهنم ، فهم الذين فرقوا الكلمة وتعمدوا صدع وحدة الامة والامامة بتعدد السلطة ، اتباعا لعصبيات المذاهب والاجناس ، فكان منهم القرامطه وغيرهم من الباطنية (الزنادقة) الذين يدعون الى الايمان بالائمة المعصومين، ويؤولون النصوص القطعية حتى في أركان الاسلام وأصول الدين ، ومنهم المبتدعة فيما دون الكفر ، ووصفه (ص) إياهم بقوله « من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » قيل معناه من العرب ، وقيل من بني آدم ، ويؤيده جمع الالسنة ، وليس للعرب الا لسان واحد ، وهو صريح أو كالصريح في عصبية الاجناس اللغوية التي سنها الفرس وتبعهم فيها الترك وغيرهم

— وثانيا — مذهب أهل السنة والجماعة في الامامة أنها من أمور الاسلام العملية لا الاعتقادية فليس الواجب على كل مسلم في كل زمن أن يعتقد بوجود إمام وأن يعرفه بالعيان أو بالوصف والاسم حتى يخرج من الاثم لانه اعتقاد مطلوب لذاته . وانما يجب على المسلمين في جملتهم أن ينصبوا لهم إماما يكون رئيسا لاولي الامر وأهل الحل والعقد في إقامة أمور دينهم ونظام حكومتهم وحفظ بيضتهم.

فان تعدد الحكام في المسلمين ووجد الامام الحق والجماعة أولو الامر وجب على المسلم أن يعتزل سائر الفرق وحكوماتها ، و يلزم الامام والجماعة ولو بالهجرة اليهم . فان تعددوا وجب الوفاء للاول وقتل من يبايع بعده كما أمر النبي (ص)وقيدوه بما اذا لم يندفع الا بالقتل . وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا «كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وانه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر» قالوا فما تأمرنا؟ قال «فوا ببيعة الاول فالاول» الحديث وان لم يوجد فيهم الامام الحق والجماعة الذين يقيمون الحق والعدل بشرع الله وجب على الفرد اعتزالهم جميعهم ان استطاع والا أطاع المتغلب على بلاده في غير معصية الله. وعلى مجموع الامة أن يسعوا لايجاده والا كانوا آثمين. والمطالب بذلك أهل الحل والعقد منهم، فان فقدوا وجب على سواد الامة السعي لايجادهم، و يحصل ذلك بوضع نظام كنظام الاحزاب والجمعيات في هذا العصر يختارون بها زعماء من أمثل أهل العلم والرأي والاستقامة ويعضدونهم بشروط يحصل بها المقصود.

(وثالثا) اذا كان غرض السائل أن يعلم هل يوجد امام المسلمين في أي بقعة من بقاع الارض، ليطمئن قلبه بأن الامة الاسلامية كلها غير آثمة كلها، وان لم يعترف غير أهل بلاده بامامته — فقد علم أن في اليمن اماما ، وقد ذكرنا في كتاب الخلافة أن في نجد إماما حنبليا ، وفي تهامة إماما شافعيا ، وكل من الثلاثة مبايع قبل حسين الذي في مكة، ولكنه هو أبرع وأحذق منهم في بث الدعاية لنفسه ومقامه في مكة المكرمة يساعده على ذلك ، فهو يجتهد في تكثير أفراد مبايعيه من الحجاج وغيرهم و ينشر ذلك في جريدته (القبلة) و ربما يعبر فيها عن مبايعة فرد أو أفراد من عامة السوقة في بلدة بمبايعة البلدة أو القطر التي هي فيه ، وهذا ضرب من ضروب اللذة والجاه وهو ما أنشأ جريدة القبلة الا لاجل إطراء نفسه فيها ووصفه بملك العرب ومنقذهم وامام المسلمين وخليفتهم. . . وأكثر ما ينشر فيها من ذلك فهو الذي يكتبه أو يأمر بكتابته، لخلافته المسلمين كملكه للعرب سيظلان حيث هما من الحجاز وجريدة القبلة الى أن يقوم العرب مع الرأى الاسلامي العام ، بما يجب عليهم لمهد الاسلام ، و بلد الله الحرام ، وعسى أن يكون قريبا

الانقلاب الديني السياسي

في الجمهورية التركية

(الدسائس الاوربية، في الدولة العثمانية، تأثير التعليم الاوربي والمدارس في حل المسألة الشرقية . طلاب الاصلاح للدولة مقلدون . مدحت باشا وعصبته ، جمعية الاتحاد والترقي ، الكماليون . إلغاء الخلافة العثمانية وطرد الخليفة الوهمي وعشيرته من البلاد التركية واستصفاء اموالهم . إلغاء نظارة الامور الشرعية ، إلغاء وزارة الاوقاف ، إلغاء المدارس الدينية . جعل التعليم بجميع انواعه لنظارة المعارف التركية .
همه المسلمين واضطرابهم)

(تمهيد ومقدمات)

مازالت الدسائس الاوربيـة تتغلغل في مدارس الدولة العثمانيـة فتفسد الافكار الدينية التي خولت هذه الدولة انتحال مقام الخلافة الاسلامية ، وتفسد المقومات الاجتماعية وتقطع الروابط السياسية التي كانت بها هـذه الدولة سلطنة (امبراطورية) اسلامية عظيمة يخضع لها كثير من الشعوب المختلفة في الانساب واللغات والاديان والاقاليم — مازالت كذلك حتى صارت مصداقا لقول بعض عقلاء الاوربيين: ان المدارس الثانوية قد عملت في حل المسألة الشرقية ما عجز عن مثله جميع سفراء الدول في الآستانة .

بدأ ساسة أوربة وأساتذتهـا ينفثون سم العصبيتين الدينيـة والجنسية فى الشعوب الاوربية المسيحية العثمانية كاليونان والصرب والرومان والبلغار حتى نهضوا بهما الى طلب استقلال بلادهم وساعدتهم الدول الاوربية على ذلك حتى نالوه ، ثم طفقوا ينفثون هذا السم في أرواح سائر الشعوب العثمانية عامة ، وعصبة الجنس واللغة في شعب الترك خاصة ، حتى صار المتعلمون من هؤلاء أشد كراهة للسلطنة العثمانية من الروم والارمن فيها ، فعفق بعض هؤلاء الترك الذين لقبوا أنفسهم

بالاحرار يسعون لاسقاط هذه الدولة العظيمة ليبنوا من أنقاضها دولة تركية محضة يكرهون جميع أهلها على قبول الجنسية التركية وماتعذر تتريكه منها يجعلون بلادها مستعمرة للترك، ولم يكتفوا ببقاء السلطنة كلها والرضا بمالهم من الامتياز فيها بكون لغتهم هي الرسمية لها وشعبهم هو الشعب الممتاز فيها بلغته وبحصر الملك والخلافة في بيت من بيوته وبجعل العاصمة في بلاده

فتن المتفرنجون من الترك بتقليد الاوربيين في نظم حكوماتهم وقوانينها وفي أزيائهم وعاداتهم في مجامعهم وأكلهم وشربهم ولهوهم ولعبهم فجروا على ذلك جيلا بعد جيل وهم يزدادون ضعفا وفقرا كلما أوغلوا فيه لان التقليد الاعمى لا يأتي بخير وانما ترتقي الامم بالعلم الاستقلالي مع البصيرة والروية في وضع كل شيء في موضعه بقدر الحاجة اليه مع مراعاة استعداد الامة ومقوماتها، واتقاء ضرر التحول والانقلاب فيها . ومن غريب هذا التقليد أن أنفع ما أخذته الدولة عن أوربة به وهو النظام العسكري ظلت عالة على الاوربيين فيه الى هذا اليوم فلم تكن مستقلة دونهم بعلم ولا عمل ولا صناعة مما يتعلق به

وكانوا كلما فشلوا وخابوا في تجربة من تجارب التفرنج يحسبون أن سبب ذلك من رسوخ الاستبداد في سلاطينهم، المؤيد بتقديس منصب الخلافة لهم بمقتضى تعاليم دينهم ، لا من جهلهم هم في أخذ النافع وترك الضار ، وضلالهم في ظنهم أن الاسلام يؤيد الاستبداد ، فجزموا بأن التفرنج المطلوب لهم لا يتم الا بترك التقيد بالاسلام في حكومتهم، وأن الاسرة السلطانية العثمانية قد رسخت في الاسلام وما فيه من رياسة الخلافة حتى صار يتعذر سلها منه والاستعانة بأفرادها على سل سائر الشعب التركي منه ـ فقرروا اسقاط الدولة ، والقضاء على هذه الاسرة

يقول الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وهذه قاعدة اجتماعية لا يختلف فيها عاقلان ، ومن فروعها ما أفاده قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وهي قاعدة أخرى ولكنها أخص من الاولى التي تشمل النعم والنقم ، والرغائب والمصائب . وهما يطردان في الامم دون الافراد ، فقد تمس الفرد نعمة أو تصيبه مصيبة بغير سعي منه ولا كسب

لسبب هذه أو تلك، بأن يرث مالا من قريب، أو يقع عليه ظلم من معتد أثيم. وأما الامم فلا تتغير احوالها من خير أو شر الا بعمل منها ناشيء عن تغير ما في نفس السواد الاعظم من أفرادها من العقائد والافكار والملكات والوجدانات التي هي مصادر أفعالها سواء كان هذا التغير بالاستقلال أو باتباع الدهماء الزعماء والكبراء من رؤساء الدنيا والدين.

وقد كان الذين شعروا بحاجة الدولة العثمانية الى الاصلاح في القرن (الثالث عشر الهجري) الماضي يجهلون أولا هذه القاعدة الاجتماعية فلم يبحثوا عن علل الضعف وأسباب الفساد كالجهل والخلل والرشوة، وعن علاجها اللائق بها في أنفس الامة أولا و بالذات وفي نظام الدولة ثانيًا وبالتبع لحال الامة، بل حصروا وجهة نظرهم في مظاهر قوة الافرنج الحادثة بعد ضعف ، وفي اعراض ضعف دولتهم الطاريء بعد قوة ، فاستنبطوا من هذا النظر في المظاهر والاعراض أن الدولة تقوى وتعتز بتقليد الافرنج في قوانين حكوماتهم ونظمها ومظاهر حياتها، ولكن لم يراعوا ما في ذلك من الموافقة لمقوماتها ومشخصاتها من عقائد وتقاليد وآداب وأخلاق وعادات موروثة ومكتسبة بالتربية والتعليم، ولم يفطنوا لما بينهم و بين الافرنج من الاختلاف والفروق في ذلك، ولا تأملوا في الاطوار التي تنقل فيها الافرنج من حال الى حال، ولا قدروا ما يحيط بدولتهم من الامور السياسية وغيرها ، وكذلك شأن المقلد ، وناهيك بمقلد يسترشد برأي أعدائه من حيث لا يدري

وكان من معلولات هذا الجهل أن كل مانع يعرض لهؤلاء المتصدين للاصلاح يظنون أنه من أسباب الفساد ويحاولون ازالته وان كان من مقومات الامة التي لم تكن هي إياها الا به — فكان مثلهم كمثل من رأى حلة على امرأة مهفهفة القوام فاشترى مثلها لامرأته الضخمة فلما تعذر عليها لبسها رأى أن لا سعادة له ولها الا بترقيق بدنها باذابة لحمه وشحمه ليمكنها لبسها ، فان لم يمكن وجب إلقاء الحلة عليها وان لم تلبسها لبسًا.

هذا مثل من كان مخلصًا في محاولة اصلاح هذه الدولة من رجالها لما له فيها من عرق راسخ أو دين ثابت ، وكأي من متصد لذلك وهو يبغي الافساد ،

لانه دخيل فيها وهو من أعدائها الذين تربوا في مدارسها التقليدية . وكم تخرج في هذه المدارس من عدو للدولة دسه فيها قومه الاعداء ثم تعاهدوه وسعوا الى ترقيته في المناصب الملكية والعسكرية بالرشوة والشفاعات حتى صار من كبار رجالها الذين يسعون في خرابها بما في أيديهم من أزمة أمورها

مدحت باشا والانكليز

كان مدحت باشا من هؤلاء المخلصين المقلدين المخدوعين . قال حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني فيه وفي رجاله من مقال له عنوانه (الشرق والشرقيون) ضرب فيه الامثال بجهل حكومات الهند وايران والافغان وبخارى والقوقاس والعثمانيين والمصريين الذي كان سبباً لضرب الافرنج المستعمرين بعضهم ببعض للاستيلاء على ممالكهم — ما نصه :

« وان مدحت باشا وأعوانه لو نظروا بعين بصيرتهم الى أركان سلطنتهم المتداعية الى السقوط ، وشعروا بهداية عقولهم ان دعائم حكومتهم كادت تنهد بما ألمّ بها من المصائب ، وعلموا بتدبرهم ان البلايا تترصدهم من جوانبهم — لما تقحموا غروراً وضلالة في خلع السلطان عبد العزيز وقتله وقتما تترقب الاعداء سقطاتهم ، وتغتنم هفواتهم ، ولكنهم اعتماداً على واهي آرائهم ، واغتراراً بدسائس الحكومة الانكليزية قد جلبوا الهلاك على أمتهم ويظنون أنهم هم المصلحون »

وقد كان من رأي مدحت باشا يومئذ الفصل بين الدولة والخلافة وكلم الشريف عبد المطلب في جعله خليفة في مكة تابعا للدولة في السياسة الخارجية ومحميا بقوتها فأبى واحتج بأن مصلحة الدولة والعرب تأبى ذلك ، ولما طفق يشرح رأيه قال له مدحت باشا : شريف افندي ! نحن جئنا بك لنعرض عليك أمراً لا لنطلب رأيك فيه ، واذ أبيت ، فتفضل بالرجوع من حيث أتيت

وكان الشريف عبد المطلب أعقل شرفاء مكة ، ولم ينل أحد منهم مثل

منزلته عند رجال الدولة ، وهو لم يكاشف السلطان بهذه المسألة ، ولكن السلطان عبد الحميد كان منذ نزل بعمه عبد العزيز ثم بأخيه مراد مانزل يذكي العيون ويصطنع الجواسيس لاخباره بما يدبر رجال الدولة، وصار أقدر الناس وأحذقهم في ذلك بعد توليه أمر السلطنة، فعلم ان «الجون ترك» يكيدون له ولاسرته كالهافاج في مطاردتهم، فكان له من مكايدتهم في الداخل ، ومكايدة الدول من الخارج ، ماصرفه عن اصلاح الدولة ، واضطره الى الاسراف واتباع الوساوس التي يثيرها في خياله مرتزقة الجواسيس وصنائع الاعداء منهم ، حتي صار كل مخلص للدولة من أهلها يتمنى زواله ، ويعتقد أن جميع أنصاره في بلاد الدولة منافقون أو مأجورون ، وجميع أنصاره في الاقطار الاخرى جاهلون ، أو مغلوبون على أمرهم بين آلام من استذلال الاجنبي لهم ، وآمال في الدولة الاسلامية المستقلة يكرهون أن ينغصها البحث في عيوبها عليهم

مقاصد الانكليز من الترك والعرب والاسلام

وكان عطف الدولة البريطانية على « الجون ترك » ومساعدتها لهم من دلائل استخدامها اياهم في سياستها من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون، ولكن سياستها العثمانية كانت موضع الخلاف ومثار الشبهات، فكان بعض رجال الدولة يرون هذه الدولة صديقة لدولتهم بما كانت تعارض روسية في محاولة فتح القسطنطينية والاستيلاء على زقاقي البوسفور والدردنيل ، وبما كانت تقاوم محمد علي باشا الكبير واحفاده في تأسيس مملكة عربية جديدة في مصر، ثم تبين انهذه السياسة كانت مبنية على القواعد الآتية

(١) يجب أن تكون الدولة العثمانية في الارض كأهل جهنم : لاتموت فيها ولا تحيا - لاتموت لئلا تحل الروسية محلها من الآستانة ، فهو على حد المثل « لاحبا في علي ولكن بغضا في معاوية » ولا تحيا لئلا يعتز بها المسلمون فيحول ذلك دون مطامعها في استعباد من بقي منهم ، وتتعلق آمال مسلمي الهند بالتحرر من رقهم . وقد هدمت هذه القاعدة بالاتفاق البريطاني الروسي على التوازن في الشرق والبدء باقتسام ايران بجعلها منطقتي نفوذ لهما ، ثم بالاتفاق معها ومع فرنسة سنة ١٩١٢

على تقسيم الدولة بينهن

(٢) التوسل باظهارها المساعدة لهذه الدولة الى اصطناع كثير من رجالها والاستعانة بالملاحدة منهم على افساد أمر الخلافة عليها، وبالمتدينين على جعل الخليفة عضدا لها ، قبل قضاء الملاحدة عليها . وقد ثبت عندنا ان ساسة الانكليز قالوا : ان قوة الاسلام في الشرق لا يمكن القضاء عليها الا بتولي ملاحدة الترك لامور دولتهم ، وانها لهذا كانت تعطف عليهم في كل زمان ومكان ، حتى إنها لم تقطع آمالها منهم بتحيز من تحيز من زعمائهم الى الالمان، ولكنها بعد الحرب طفقت تصطنع بعض الرجال المتدينين لان زعماء المتفرنجين صاروا مع أعدائها عليها.

(٣) التوسل بسيادة هذه الدولة على مصر والحجاز وسائر البلاد العربية الى احباط كل سعي لتأسيس دولة عربية جديدة في مصر أو غيرها

(٤) انتهاز الفرص من وراء كل ما ذكر الى الاستيلاء على مصر فالعراق فجزيرة العرب، وقد تم لها جل ما كانت تنويه وتقصد قصده حتى القضاء على خلافة الترك فقد تعددت الروايات بانهم هم الذين أقنعوا الكماليين بالاقدام على الغائها

نقف عند هذا الحد من التمهيد للانقلاب و نعود الى بيان جهل الذين تصدوا لاصلاح الدولة وما فعلوه فنقول :

الطور الاستقلالي للانقلاب التركي

ما زالت الحال في متفرنجة الترك على ماذكرنا من التقليد الصوري حتى نبتت فيهم نابتة تلقوا عن أساتذتهم من الافرنج ماجهله من قبلهم، وهو ان تغيير حال الدولة، لا يتم ولا يثبت الا بتغيير حال الامة ، وان الواجب عليهم أن يجعلوا هذه الدولة تركية محضة لا بلغتها فقط ، فان كون لغة الدولة العثمانية هي التركية لم يجعلها تركية محضة ، بل هي بعد بضعة قرون من تكوينها مشتركة بين الترك والعرب والكرد والالبان والروم والارمن والجركس وغيرهم ، وقد جعل لهم الدستور من الحقوق فيها ما لم يكن لهم . وانما تكون الدولة تركية محضة اذا كانت أمتها تركية محضة ، وانما تكون كذلك اذا كانت سائر مقوماتها تركية ، وهي التشريع والتهذيب والتقاليد التاريخية ، وهذه المقومات في الدولة العثمانية عربية محضة لانها مستمدة

من الدين الاسلامي- فتوجهت وجوه هذه النابتة الى تكوين أمة تركية جديدة لا تستمد تشريعها ولا تهذيبها ولا تقاليدها من الاسلام، ولكن لا بأس عندها باستمداده من الافرنج، وطفقت تبث الدعاية لذلك في مدارس الدولة وأكثر طلابها من الترك، وفي الجيش أيضا. وألفوا في ذلك الكتب ونظموا القصائد والاناشيد وكانوا في عهد السلطان عبد الحميد يتحامون الدعوة الصريحة الى ترك الاسلام والطعن فيه، الا فيما ينشرونه في أوربة أو غيرها من البلاد، حتى اذا زالت دولته، وورثت جمعية الاتحاد والترقي نفوذه، ظهرت الدعاية الصريحة ودخل الانقلاب في طور عملي عاجل

جمعية الاتحاد والترقى

لما ظفر السلطان عبد الحميد بمدحت باشا وكبار حزبه وداس دستوره واستبد بجميع أمور الدولة وتفرق طلاب الانقلاب في بلاد أوربة وغيرها انحصر همهم في اسقاطه واعادة القانون الاساسي، ولما أديل لهم منه باعادة الدستور وانتخب النواب لمجلس المبعوثين ورأوا كثرة نواب العرب وغيرهم فيه ورأوا من معارضتهم فيه ما أثبت لهم ان الدولة ليست تركية محضة، وان جعل المجلس آلة في أيديهم للتصرف فيها كما يشاؤون ليس بالخطب السهل — لما رأوا ذلك عزموا على تنفيذ مقاصدهم بقوة الجيش التي قضوا بها على سلطة عبد الحميد الراسخة، وكان من أمرهم ما هو معروف وقد شرحنا ما يتعلق منه بالاسلام في مجلدات المنار السابقة

ألفوا الجمعيات واللجان فنشرت الكتب الطاعنة في الاسلام الداعية الى استبدال الرابطة التورانية بالاسلامية، ولكنهم كانوا يخافون عاقبة تنفيذ مقاصدهم حتى اذا تهوكوا في الحرب الاوربية الكبرى مع الحلف الجرماني ولاحت لهم مخايل النصر في أوائل العهد بالحرب شرعوا في التنفيذ، أعني انهم شرعوا في إذابة بدن هذه العجوز العفضاج الشرقية، ليلبسوها ثوب تلك المهفهفة الغربية.

كانت عاقبة إصلاح مدحت باشا ورجاله فقد الدولة لبعض من ممالكها، وتأليف دول منها في أوربة يهددون بمساعدة بعض الدول الكبرى حياتها

وكانت عاقبة إصلاح جمعية الاتحاد والترقي فقد الدولة لسائر ممالكها في أوربة وأفريقية وآسية، بل لى سقوط هذه السلطنة (الامبراطورية) العظيمة وزوالها، وكاد الشعب التركي ان يفقد كل سلطة في عقر داره من الاناضول والآستانة وما جاورها من بقية الروملي وهو القطعة المعروفة بتراقية الشرقية ، ولكن الله سلم

قضت الاقدار الربانية بوقوع الشقاق والتنازع بين دول الحلفاء الذين مزقوا هذه الدولة (بمعاهدة سيفر) شر ممزق حتى صار بعضهم يساعد الترك على اليونان الذين توغلوا في بلاد الاناضول وجاسوا خلالها مخربين مدمرين محرقين هاتكين للاعراض ، تجاه مساعدة الآخرين لليونان ، - وبما سخر الله دولة الروس البلشفية لمساعدة الترك أيضا — وبما ارتفع من الصياح في وجه الدولة البريطانية المتصدية للاجهاز على الدولة من صياح مسلمي الهند وهندوسها وتهديدها بالخروج عليها — هذه الاقدار وغيرها مكنت الترك المستبسلين ، من النصر على اليونان المتهوكين ، ثم من عقد صلح شريف مع دول الاحلاف

تقرر في معاهدة الصلح بلوزان استقلال ما بقي للترك مما أشرنا اليه ، وإلغاء الامتيازات الاجنبية منه ، وكان على رأس هؤلاء الغزاة من الترك قائد باسل حازم اسمه مصطفى كمال باشا ألف عصبة من الضباط الموافقين له في الرأي ومن غيرهم من كبراء المجلس الوطني الذي تولى إدارة البلاد في اثناء الحرب الدفاعية فأطلق على هؤلاء اسم « الـكماليين »

الـكماليون

الـكماليون هم الاتحاديون لافرق بينهما في المقصد ولا في الوسائل وانما كانوا ينسبون الى معنى فصاروا ينسبون الى جثة أو شخص ، وهذه النسبة تنافي مايتبجحون به من القضاء على نفوذ الاشخاص وسلطتهم واحلال سلطة الامة محلها ، فما تغير شيء الا التسمية التي صارت ممقوتة عند الامة بما جنته الجمعية عليها — والا رؤساء الزعماء ، واما العاملون بنفوذ الرؤساء في الانقلاب الديني والاجتماعي فهم هم ، وكون كل عمل يعملونه في الحكومة والامة بالاعتماد على قوة الجيش فهو هو . وحل اسم حزب الشعب محل اسم جمعية الاتحاد والترقي ، واسم

مصطفى كمال باشا وعصمت باشا وغيرهما محل اسم طلعت باشا وجمال باشا والدكتور ناظم وغيرهم .

بل اقول قد كنا نظن ان الكماليين ربما يكونون اقل من الاتحاديين جرأة على التغيير والتبديل المراد بهذا الشعب الذي اتي من طاعته العمياء لرؤسائه، لما كان للاتحاديين من سوء الخاتمة ، فاذا هم شد منهم جرأة ، وسبب الجرأة في الفريقين واحدة وهي القبض على أعنة السلطة بالقوة العسكرية ، وقد تم هذا للاتحاديين في عهد الحرب وهو آخر العهد بهم ، ولكن الكماليين نالوه في أول العهد بسلطتهم ولا نعلم متى يكون آخرها

سهل عليهم اسقاط نفوذ السلطان محمد وحيد الدين عقب تحرير البلاد بالانتصار على اليونان ، لانه كان مقاوما لهم باجتهاد منه اخطأ فيه واحبطه عليه ظفرهم وخذلانه ، كما أشرنا اليه في تعليقنا على الوثائق الرسمية لهذه المقاومة وتمثلنا بقول الشاعر .

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولأم المخطيء الهبل

وكانوا كلما ازدادوا تمكنا من السلطة ينفذون من برنامجهم شيئا — أعني برنامج غلاة المتفرنجين الذي اشرنا اليه في صدر هذا المقال — بعد تمهيد قليل، وإلباس الباطل ثوبا يشبه الحق بضرب من التأويل ، فكانوا يرون ان الشعب التركي يرضى و يستكين في الداخل ، والعالم الاسلامي يهلل و يكبر من الخارج، فجروا في الميدان الى آخر الشوط أو الى مقربة منه . فان وراء إبطال تعليم الدين بلغته ترجمة القرآن المجيد وإلزام الترك بالتعبد بالقرآن التركي الذي ينشئه بعض رجالهم ، وترك القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى على خاتم رسله محمد النبي العربي بلسان عربي مبين . وما يتبع ذلك من الكفر والضلال .

كانت الخطوة الاولى لالغاء الخلافة أن وضعوا قانون الدولة الاساسي في أول سنة ١٣٢١ الميلادية وصرحوا في المادة الاولى منه بأن « السيادة للشعب ، بلا قيد ولا شرط » وفي المادة الثانية باجتماع القوة التنفيذية والقوة

التشريعية في الجمعية الوطنية الكبرى » فلم يبحث معهم أحد : ألا يجب أن تكون السيادة والسلطة التشريعية مقيدتين بالشريعة الاسلامية التي يدين بها الشعب صاحب السلطة ربه ، ويعتقد أنها مناط سعادة الدنيا والآخرة ؟

أولا يجب أن يكون بعض أعضاء الجمعية — على الاقل — عارفين بأصول هذه الشريعة وفروعها بتلقيها عن أهلها فيشترط ذلك في قانونها ؟ ؟

ربما يكون الناس قد استغنوا عن هذا السؤال بما في المادة السابعة من ان تنفيذ الاحكام الشرعية خاص بالجمعية الوطنية كسن القوانين وتعديلها ، ومن ان الاحكام الفقهيـة والحقوقيـة الموافقة لمعاملات الناس وحاجيات الزمان والمكان والآداب تتخذ اساسا لوضع القوانين والنظم — وان كان هذا يحتاج الى البحث فيه كالذي سبقه . ولكن هذه السلطة لمطلقة للجمعية تقتضي إلغاء الخلافة وان لم تذكر في ذلك القانون البتة فلم لم يسأل عنها احد ؟

وكانت الخطوة الثانية أنهم قبل مضي سنتين على وضع هذا القانون وضعوا قرارا في الجمعية الوطنية ونشروه في اول نوفمبر سنة ١٩٢٣ من التاريخ الميلادي صرحوا فيه بتأييد ذلك القانون وبأنه قد ترتب عليه ان الشعب التركي يعتبر ان الحكومة التي في الآستانة المستندة على السيادة الشخصية قد زالت وانتقلت الى التاريخ انتقالا ابديا من يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ — وان الخلافة في آل عثمان فتنتخب الجمعية الوطنية لها من آل هذا البيت ارشدهم واصلحهم علما واخلاقا . والدولة التركية سناد مقام الخلافة .

وقد تلقى جماهير المسلمين في البلاد التركية وغيرها هذا العمل بالقبول ولم ينتقده الأفراد منهم كما بيناه في المنار (ج ١٠ م ٢٣) بل زعم بعضهم انه احياء لخلافة الراشدين ، وتجديد لمجد للدين (!!!) حتى فسره أعلم الناس بمعناه من أساطين الكماليين ، اذ كان هو المقترح الاول له مع جماعة من أصحابه في الجمعية الوطنية وهو الدكتور رضا نور بك فانه بعد أيام من وضع القرار مر بالآستانة في طريقه الى لوزان اذ كان عضوا مع عصمت باشا في مؤتمر الصلح ، فسأله أحد محرري الصحف أسئلة في الموضوع أجاب عنها بصراحة ، ومما قاله :

« من الحقائق الثابتة أن الامة التركية لا تعيش
في داخل دائرة امتزج فيها الدين بالدنيا »

ثم صرحت الحكومة بفصل الدولة من الدين ، وجعل الحكومة بمعزل من الخلافة، وسموا عبد المجيد افندي بن السلطان عبد العزيز خليفة ثم أقاموا له حفلة سموها حفلة المبايعة بأن مرّ أمامه الكبراء والوجهاء والعلماء مسلمين ، وذهب الى صلاة الجمعة باحتفال جميل، ولكن لم يقل له أحد : بايعناك على السمع والطاعة ، ولا على السنة والجماعة ، اذ لا أمر له فيطاع ، بل قرروا التصريح بجعل حكومتهم جمهورية وبفصل الخلافة منها ، فهنأ الخليفة رئيسها مصطفى كمال باشا بها ، مقرا له عليها ، داعياً لهم بالتوفيق فيها ، ولم يسم خليفة الا بعد اقراره ورضاه بأبطال مسمى الخلافة وتحليته بلفظها ، وماذا فعل غيره من المسلمين ؟

ضجت أكثر البلاد الاسلامية لهذه المبايعة بالتهليل والتكبير ، والفرح والسرور ، وتجاوبت أسلاك البرق من أقطار العالم الاسلامي بتهنئة (الغازي مصطفى كمال باشا بطل الاسلام) باحيائه لسنة الخلفاء الراشدين في إقامة كل من الدولة والخلافة على أساس الشورى ، وبالمبايعة لعبد المجيد افندي بالخلافة الكبرى والامامة العظمى ، وتلقيبه بأمير المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ، وبالسلطان الاعظم ، وبحامي الحرمين الشريفين . وكان أسرع الناس الى هذه التهاني وأشدها مبالغة فيها مسلمو الهند وفي مقدمتهم أعضاء جمعية الخلافة ، وجمعية العلماء ، ومسلمو مصر وجمهور الجماعات الراقية فيها كالعلماء وأساتيذ المدارس والمحامين الشرعيين والقانونيين وفي مقدمتهم علماء الدين في الازهر والمعاهد الملحقة به في الاسكندرية وطنطا وأسيوط وغيرها، للهم ماعدا الرؤساء الرسميين كشيخ الجامع الازهر رئيس هذه المعاهد كلها ومفتي الديار المصرية ومن تبعهم . وربما كان في الساكتين من كان سبب سكوتهم العلم ببطلان هذه المبايعة وكونها من العبث والاستهزاء بالاسلام وأهله ، ولكن لم نسمع لاحد منهم صوتا بذلك، وقد كلمت شيخ الازهر في الامر وسألته السعي لمنع العلماء من هذه المبايعة

الباطلة فلم يجب ، وأردت مخاطبة الملك بذلك وبسوء عاقبته فلم يسمح لي رئيس الامناء بذلك

نعم كتب في بعض الجرائد شيء من الانكار على ذلك ، بعضه بقلمنا أو بايعاز منا ، وهو غير ما كتبنا في المنار ثم في جريدة الاهرام بامضائنا ، وبعضه بامضاء مستعار وأقله بامضاء صريح

كان الكتاب الذين خاضوا في المسألة أزواجا أربعة

(١) الذين يقولون ان هذه البيعة صحيحة شرعا ، وان اشتراط الحكومة التركية على الخليفة أن لا يكون له في الدولة أمر ولا نهي فاسد ، ويجب على تلك الحكومة طاعته ، سمعت هذا القول من بعض الازهريين وقيل لي : ان الذين بايعوه يرون ذلك ولاجله بايعوا .

(٢) الذين يقولون ان البيعة صحيحة وان الخليفة لايجب أن يكون صاحب نفوذ ولا أمر ولا نهي بدليل مافعله سلف هؤلاء الترك الذين غلبوا الدولة العباسية على أمرها، بقوة الجند الذي اعتز به بعض خلفائها ، فسلبوا منها السلطة والنفوذ ، وكانوا يكرهون الخليفة على مايطلبونه ، واذا غضبوا عليه يقتلونه ، وقد بلغ من أمر الخليفة في مصر في بعض الاوقات أن صار يعيش من النذور والهبات ، وأكثر هؤلاء من الجاهلين بأحكام الشرع ، ولكن أبدهم الشيخ محمد الخضري بك المفتش في وزارة المعارف فزعم أنه يكفي في صحة الخلافة أن يكون الخليفة إماما في صلاة الجماعة ، ولبدر عبد المجيد افندي لم يعط هذه الامامة أيضاً .

(٣) الذين يقولون : ان مافعلته الحكومة التركية من الفصل بين الدين والدولة هو الصواب الموافق لما جرى عليه أحرار الاوربيين من الفصل بين الكنيسة والحكومة ، ومن هؤلاء من صرحوا بوجوب تصريح تلك الحكومة بأنه لادين لها البتة .

(٤) الذين يقولون ان هذا العمل باطل ، وان هذه البيعة باطلة ، وان الخلافة بهذا المعنى كخلافة مشايخ الطرق وهي مبتدعة ليست من الاسلام في شيء فالفريق الاول أيد حكومة أنقره وهو لا يدري من أمرها ولا من أمر العالم

شيئا ، وأكثر أفراده لم يكونوا يعرفون أحكام الخلافة الشرعية معرفة تامة وان كانوا معممين ، ومن عرفها منهم فهو لا يعرف وجه انطباقها على النوازل

والفريق الثاني أيدها بغير علم أيضا وانما قصارى احتجاجه لها أن سلفها من الترك جنوا على الخلافة العباسية مثل جنايتها على الخلافة العثمانية ، وهي أولى منهم بذلك ، وهذا رأي مصطفى كمال وحزبه كما يعلم من خطبته التي جعلها مقدمة لهذا العمل ، وعلى هذه القاعدة تباح كل جناية وفاحشة ومنكر في العالم لانه وجد في المتقدمين من فعله ، ولا سيما القتل . فان أحد أولاد آدم قتل أخاه بغيا وعدوانا فسن القتل لكل قادر عليه ، ولكن الباعث لهؤلاء على هذه الاقوال هو هوى السياسة الذي يفسد كل شيء دخل فيه

والفريق الثالث - أيدها وهو يعلم كنه ما عملت ويوافقها عليه لانه غير متدين ويكره أن تكون الحكومة مقيدة بدين أو منسوبة اليه ، لا يخاف في ذلك عذلا ولا انكاراً

والفريق الرابع — هو الذي خطأها على علم بما فعلت ، وعلى علم بأحكام الشرع ومصلحة المسلمين العامة ، ولعله لم يصل الى حكومة أنقره الا أسماء معدودة من أفراد هذا الفريق لقلة من كتب في الجرائد منهم ولم يكتب أحد فيه ما كتبنا فقد بلغت مقالاتنا في المنار وحده أن صارت مصنفا حافلا ، فلم ندع للذين على رأينا مجالا واسعا للكتابة فيه ، والا فهم ولله الحمد كثيرون

إلغاء الخلافة والمصالح الاسلامية الكبرى من الدولة

لهذا كله اعتقد هؤلاء الكماليون أن العالم الاسلامي يؤيدهم في كل مايعملون إما عن جهل وإما عن هوى وخضوع لسلطة القوي ، وأن الفرصة سانحة لاتمام تنفيذ برنامجهم باستسلام شعبهم الفقير المنهوك لهم ، وتأييد العالم الاسلام إياهم ، الا من شذ من الافراد الذين لا تحبط العمل معارضتهم ، بل أقول انهم أصبحوا لا يبالون بالعالم الاسلامي رضي أم سخط اذا كان رضاه أو سخطه لا يؤثر في الشعب التركي تأثيراً يحمله على معارضة الحكومة . وقد صرحوا بعدم مبالاتهم به مطلقا

يقول بعض علماء الاجتماع والباحثين في أخلاق الامم والشعوب ان الترك اذا ظفروا بطروا ، واذا غلبوا وخذلوا استكانوا واستخذوا ، فاذا ربحوا في الحرب يخسرون في الصلح

فعلى هذا لا يكثر على الكماليين وقد ربحوا في هذه المرة في الحرب والصلح معا أن ينتفخوا عجبا وغروراً ، وأن يطمع زعيمهم أن يفعل في الخلافة الاسلامية فوق ما فعله نابليون الاول في البابوية ، وأن يحدث في الشعب التركي أكبر مما أحدثه بطرس الاكبر أو لينين وتروتسكي في الامة الروسية ، منتهزاً الفرصة السانحة باضطراب الشرق والغرب من دوار الحرب ، مغتراً بظهور أفراد تمكنوا بقوة العزيمة أن يتصرفوا بارادتهم في أرقى أمم الغرب ، آمنا من كل مقاومة من الداخل ، محتقراً كل معارضة من الخارج - بعد أن اغتيل أحد أعضاء الجمعية الوطنية اغتيالا خفيا ، لاظهاره الانكار على ما تقرر من فصل الخلافة من الدولة - وبعد أن قضي على الحركة التي ظهرت في الآستانة تجاه الخلافة الاسمية ، بنصب محاكم الاستقلال الممنوحة حق الحكم بالقتل على كل معارض للجمهورية ، فسيق اليها أكبر أصحاب الصحف ومحرريها وغيرهم من قادة الافكار كلطفي بك نقيب المحامين - وبعد أن اتهم أحد أركان الدولة الجديدة ورئيس وزارتها السابق رؤوف بك بالخيانة ، لزيارته الخليفة عند إلمامه بالآستانة ، فنوقش الحساب لدى اخوانه من أعضاء الشعب في الجمعية الوطنية ، حتى آل أمره الى مغادرة البلاد الى أوربة بصفة اختيارية

بعد هذا كله جمع حزب الشعب أعوانه وأنصاره للخطوة الثالثة ، فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون ، ووضعوا قرارهم وهم يأتمرون ، وأعلنوا إلغاء الخلافة وطرد الخليفة وعشيرته من المملكة ، وإلغاء المصالح والاركان الكبرى للدين وهي التعليم الدينى والمحاكم الشرعية والاوقاف الاسلامية

قد مهد مصطفى كمال باشا للفصل بين الحكومة الجمهورية والخلافة الاسلامية بخطبة كتبها له الاستاذ سيد بك الازميري الذي هو وكيل (وزير) العدلية (الحقانية) في حكومته اليوم ، كما مهدوا لالغاء الخلافة بكتاب (خلافت وحاكميت

مليه) الذي لفقه لهم سيد بك هذا ونشروه في بلاد الترك وغيرها من الاقطار الاسلامية على نفقة الحكومة التي طبعته ولم تكتب عليه اسم المؤلف وتولت توزيعه (إدارة الاستخبارات التركية في أنقره)

وسيد بك هذا رجل عليم اللسان جريء الجنان ذكي الذهن اشتغل أولا بالعلوم الدينية ثم تعلم علم الحقوق وصار محاميا في المحاكم العدلية ونزع العمامة ثم انتخب مبعوثا، واتفق أن التقيت به في الباخرة (اسماعيلية) من بواخر الشركة الخديوية عند ما جرت بنا من ميناء أزمير في رحلتي الى الآستانة سنة ١٩٢٣ وكنت كلما رأيته في الآستانة يسألني عما تم في مشروع الدعوة والارشاد مظهرا الاهتمام به والرغبة في تنفيذه . ثم بلغني أن الاتحاديين استعملوه في وضع ما يريدون من الصيغ والتوجيهات والتأويلات لما يريدون التصرف فيه من أمور الشرع الاسلامي وأنه هو الذي وضع لهم (قانون العائلة) كما أنه هو الذي نقحه للكماليين

وقد رددت على خطبة مصطفى كمال باشا عند نشرها في أواخر المجلد الثالث والعشرين (ج ١٠ ص٧٧٢ — ٧٨٥) ثم رددت على كتاب (خلافت وحاكميت ملية) في المجلد الرابع والعشرين (ص ٦٩٢) وسأعود الى رد شبهات اخرى لهم في الخلافة وفي مسائل التعليم الديني والمحاكم الشرعية والاوقاف

ليس سيد بك وحده هو الذي يعمل للكماليين ما كان يعمل للاتحاديين بل أوى اليهم سائر دعاة الانقلاب الديني ودعاة تحويل الترك عن القواعد الاسلامية الى القواعد التورانية والافرنجية كضياء كوك آلب صاحب ديوان الشعر الذي سموه « قرآن الترك » وأحمد أغايف ويوسف أقشورا وآغا أوغلي احمد وحمد الله صبحي وكذا جلال نوري ، فهم الآن يتولون ادارة رحى الانقلاب الديني والاجتماعي ، في انقره ولهم من المكانة والحرية في الطعن في الاسلام والصد عن سبيل الله وابتغائها عوجا فوق ما كان لهم في عهد الاتحاديين

وقلما يعرف لاحد من هؤلاء المفسدين نسب صحيح وعرق راسخ في الترك ولكن نعلم أن منهم من قذفته البلاد الروسية الى عاصمة الترك لاجل هذه الاعمال، وكل من قال للترك إنني منكم يعدونه منهم اذا كان يتكلم بلغتهم ، وانما عني زعماء

الاتحاديين فالكماليين بما أشرنا اليه من عمل هؤلاء لاجل سل الشعب التركي من الاسلام ليكون الانقلاب بتغيير الامة ما في أنفسها فيدوم فانهم علموا أن ماوجد بقوة خارجية يزول بقوة مثلها معارضة لها وفاقا لما بيناه في المقدمة التمهيدية ، وأما مراعاة شعور العالم الاسلامي فلا قيمة لها عند هؤلاء بل يظهر لنا أنهم وازنوا بين مالهم من الفائدة السياسية والمادية من عطف العالم الاسلامي عليهم مع تقيدهم بالاسلام والخلافة التي تمثل حكومته أو هدايته و بين فوائد الانطلاق من هذا القيد فترجح عندهم هذا الانطلاق ، وقد خطأهم في هذا الترجيح العالم الاسلامي والعالم الاوربي كما علم مما نقلته البرقيات وصحف الاخبار من آراء العالمين في إلغاء الخلافة ، واننا ننشر نموذجا منها للاستدلال والاعتبار

﴿ تأثير الانقلاب التركي في العالمين ﴾

لقد رجفت في الترك الراجفة ، وتبعتها الرادفة ، فاذا قلوب أهل الشرق واجفة ، وأبصارهم خاشعة ، يقولون أإنا لمردودون في الحافرة ؟ ذهبت خلافة النبوة ، فانقطع سلك الجامعة الاسلامية ، وستبدها الحكومات الضعيفة أو المحمية بددا ، ويفرقون بها المسلمين طرائق قددا ، . . . .

واذا عيون أهل الغرب شاخصة ، وأذهانهم حائرة ، يتساءلون عن النبا العظيم ، متعجبين من تهوك الترك المغرورين ، مراقبين لما يكون من أمرهم وأمر المسلمين

لم تبق جريدة من جرائد الشرق والغرب للمسلمين أو الكتابيين أو الوثنيين الا وقد استكبرت هذا الخطب جدا ، وعدته أمرا إدا ، وان سر أقواما وساء آخرين ، ولكن كان أغرب أنبائه أنه أحدث هزة في جميع العالم الا في البلاد التركية التي فيها حدث وعنها صدر ، وهذا دليل على إحداثه بقوة الجندية ، وعلى فقد الحرية من البلاد التركية ، كما بيناه آنفا ، فنسبته الى الشعب التركي باطلة ، إذ لا يعقل أن يتجرد شعب من الشعوب في أيام أو أعوام معدودات مما رسخ في نفسه مدة بضع قرون من عقائد ونظم وأحكام وحكام ، توارثت اجلالها الاجيال بعد الاجيال

ان زعماء هذا الانقلاب يعترفون بأن أدنى شعوب أوربة أرقى من الشعب

التركي في علوم الحقوق وملكات الحكم الديمقراطي وفي الحرية بأنواعها ولذلك يريدون بكل ما عملوا ويعملون اللحاق بالاوربيين في ذلك وفي ثمراته — ولا يزال أكثر هذه الشعوب عدداً، وأرقاها أحكاماً ونظما، وأرسخها في الدمقراطية قدماً، راضية بأن يكون رئيس حكومتها عاهلا وملكا، وان يكون حامي الايمان ورئيس الكنيسة فيها، كالشعب الانكليزي وكذا الشعب الالماني الذي فاقه في العلوم والفنون، وانما جمهوريته الحادثة عرض من اعراض الخذلان في الحرب، تحافظ عليه الدول الظافرة المسيطرة على هذا الشعب، ولم تكن هذه الدولة ولا تلك كدولة آل عثمان فيما كان لها من النفوذ الديني والدنيوي، لو كانت ذات امة تحسن الانتفاع بهذا النفوذ، وتقيده بما شرعه الاسلام من الشورى وسيطرة اهل الحل والعقد

ليس من موضوعنا الاطالة في هذه المسألة ولا ننكر ان الحكم الاسلامي اقرب الى الجمهورية منه الى الملكية المطلقة، وانما موضوعنا تأثير الانقلاب التركي في العالم، واننا نذكر هنا بعض الشواهد على تأثيره في مصر، ونرجيء الشواهد على تأثيره وآراء غير المصريين فيه الى جزء آخر

﴿ رأي المصريين في الانقلاب التركي ﴾

ارسل افراد كثيرون وجماعات كثيرة برقيات الى مصطفى كمال باشا يصفونه فيها بضد ما كانوا وصفوه عند الصدمة الاولى التي لم يفقهوا المراد منها، فقد وصفوه الآن بالكفر والالحاد، وعداوة الاسلام، والظلم والطغيان، وقد نصح له بعضهم بوجوب الرجوع عن غيه وضلاله، وهدده آخرون بما هو جدير بأن يضحك منه، وكتب كثيرون مقالات في جميع الصحف نختار منها هنا بعض ما كتبه اشد كتاب المصريين المشهورين تأييداً للترك ومبالغة في الدعوة اليهم والدفاع عنهم: الاستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش — وقد صار اوسعهم بهم علما — والاستاذ امين بك الرافعي، والاستاذ محمد شاكر

رأي الشيخ شاويش في كمال والكماليين والاتحاديين

مما كتبه في جريدة الاخبار ثلاث مقالات عنوانها (القنبلة الكمالية) افتتح المقالة الاولى وقد نشرت في عدد الاخبار الذي صدر في ٣ رجب الموافق ٦ مارث بوصف ما ناله مصطفى كمال باشا من الشهرة والعظمة الاسلامية

والعسكرية والسياسية بحيث لو مات او اعتزل شؤون الدولة بعد ختام مؤتمر الصلح لكان له مقام لا يبلغه زعيم في التاريخ — وهذا راي قد شارك الشيخ فيه كثير من المفكرين ثم قال ما نصه :

« لقد كان يمكن أن يكتفي مصطفى كمال في مسألة الخلافة بالنحو الوسط الذي كان قائما لعهد جلالة الخليفة عبد المجيد ذلك الحل الذي منع الخليفة من التدخل و الاتصال بامر الدولة التركية السياسي والذي لم يحدث من الخليفة ولا من اسرة البيت العثماني مايدعو الى تغييره بله محوه

خرج الخاقان السابق وحيد الدين على النحو المعروف فكتب الغازي الى ولي العهد عبد المجيد خان يقترح بيعته بالخلافة على شريطة ألا يمس شؤون الدولة السياسية فلم يلبث عبد المجيد ان قبل البيعة على هذا الشرط وظل صادقا لوعده موفيا لعهده . حتى لقد أكد الخليفة لي ذات يوم انه قطع على نفسه ألا يفكر في شيء من أمور تركيا وان كل همه أن ينقطع لخدمة الاسلام . ولقد اعرب لي عن ضرورة إيجاد مجلس للخلافة تمثل فيه الشعوب الاسلامية ليتمكن بذلك من اصلاح شؤون المسلمين وترقيتهم ومحاربة البدع والخرافات والضلالات التي وجدت سبيلها بينهم ، واذهبت ريحهم

كان يذكر جلالة الخليفة ذلك وهو مطمئن القلب لايحلم بما كمن له وراء آكام انقرة فالخليفة كما أعلم يقينا لم يبدر بخلده أن يكيد للجمهورية ولا أن يشخص ببصره الى التدخل في شيء من امورها ولكن أبى الله لحكمة يعلمها الا أن يتقدم الغازي بما قرره اليوم فيصيب كبد الاسلام بتلك القنبلة القتالة ويزلزل صرح الوحدة الاسلامية ذلك الزلزال الشديد

لقد طمح الغازي ذات يوم أن يكون الخليفة كما علمت عند هبوطي انقرة فلم يمنعه من ذلك سوى خشيته ان يحدث اضطراب داخلي يهدد المملكة قبل تمام الصلح لما يعلمه من فرط تعلق الامة التركية بالبيت العثماني و بالخلافة الاسلامية فهل تبدلت اليوم ميول الامة التركية وعواطفها أزاء خليفتها والبيت الذي أورثها هذا الملك العظيم ؟ ان الغازي يعلم فيما اعتقد ان خطوته التي خطاها محفوفة بالاخطار في الداخل . وهذا يفسر لنا ما نشرته التلغرافات العمومية الخصوصية ، من أنه قررت كثير محاكم الاستقلال ومنحها حتى الحكم بالقتل وامتدادها حتى فوق ضفتي البسفور . ولكن هل يغني حذر من قدر ؟ ان الامة التركية فيما نعلم

أمة مسلمة ومحاربة . واذا اعتمد الغازي على بعض اللادينيين ممن حوله فان في الضباط من لا يزالون يعتصمون بالاسلام وينقشون على (قلابقهم) كلمة «ياغازي ياشهيد» (١)

ان الذين يزينون لمصطفى مافعل انما هم فئة التتار التي دستها روسيا القيصرية بين الترك لا لغرض سوى القضاء عليهم ، وافساد أمرهم ، وقطع ما يصلهم بالمسلمين

ذلك النفر من التتار لم يترب تربية اسلامية قط ولا أثر للروح الاسلامية في أفئدتهم ولكنهم مسلمون منبتا وروسيون روحا

جاء هؤلاء المفسدون الى الاستانة قبل الدستور العثماني فزينوا للاتحاديين مسألة العنصرية والتباعد عن الاسلام

وسوسوا للاتحاديين ان سبب تألب أوربة على تركية انما هو الاسلام وقيام الخلافة فيها . ثم أخذوا يزينون لهم أن تعتبر غير البلاد التركية من الامبراطورية العثمانية مستعمرات محكومة ، وأن يكون للعنصر التركي وحده حق الحكم غير مشارك . ساقوهم الى الطورانية ، وزينوا لهم ان ذلك يمكنهم من ضم عشرات الملايين من الاتراك القاطنين في آذربيجان والتركستان اليهم

كما استدرجوهم الى محاربة اللغة العربية بعد اذ صارت نحو ٧٠ ٪ من اللغة العثمانية والى استبدال الحروف اللاطينية بالحروف العربية ، مع ان اللغة التركية لم تكتب فيما نعلم بغير الحروف العربية منذ دخل الترك في الاسلام

لم يقف وسواس تلك الطائفة وإفسادها للامة العثمانية عند هذا الحد بل خاضوا في الشريعة ومسألة المرأة وجرأوا الترك على الفساد واعلان الالحاد ولما لها من سعة الاطلاع والدرس استطاعت أن تسوق ذوي الرأي من الترك وجلهم قليل التحصيل محدود الدراسة لم تثقفه العربية ولم تنضجه التجارب ولم تفقهه بأمر

(١) المنار : يا في التركية كاما العربية ، والغازي المجاهد الذى يظفر في القتال في سبيل الله . والمعنى أطلب اما شرف لقب الغازي وإما شرف الشهيد وثوابه ، وهذا ماخوذ من أمر الله تعالى لنبيه « ص » أن يخاطب الكفار بقوله : « قل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين » أي الخصلتين والعاقبتين اللتين تفضلان كل ما سواهما وهما النصر والشهادة - والقلبق كمة توضع على الرأس

الدين أو التاريخ مدرسة ولا كتاب

ولقد كادت تنجح تلك الفئة الضالة في زمن الاتحاديين لولا وجود المرحومين البرنس سعيد حليم وأنور باشا فان امتلاء قلوب هذين الرجلين بالاسلام ووفرة محصولهما التاريخي ويقينهما أن سلامة تركية لا تتحقق الا بارتباطها بالعالم الاسلامي وأن عظمتها لاتقوم الا على دعائم الخلافة كل ذلك حمل هذين الرجلين العظيمين على القيام في وجه أولئك الهادمين، ومن حذا حذوهم من الترك الغافلين، ولكن ذهب الناس وبقي النسناس ـ فقد حرمت المملكة العثمانيه المصلحين المفكرين

وخلا الجو لذلك النفر من التتار المارقين، فما لبثوا أن بطشوا بيد مصطفى بطشتهم بالاسلام وبتركية جميعا (ثم قال بعد كلام في تعظيم وقع الخطب وخطره على المسلمين)

«اما تركية فقدمادت بها انقرة ميداً هدم أركان عظمتها وهبط بها في الدول السياسية الى مادون منزلة بلغاريا. فلقد كانت معدودة من الامبراطوريات لا بواقعة سقاريا ولا بخرائب أنقره ولكن بقيام مقام الخلافة في ربوعها — ذلك المقام الذي ملك الترك القلوب والابصار من ثلثمائة مليون من المسلمين — ذلك المقام الذي جعل مسلمي الارض يدخلون فى الامبراطورية التركية ويدعون سليما وغير سليم لاستلحاق ممالكهم راغبين، فلم يكن يجد هؤلاء في آسيا وافريقيا الشمالية ما يضطرهم الى امتشاق الحسام وسوق الفيالق بل كانوا يدعون الى دخولها كما يدعى الاخ الى منزل أخيه، ولو لا ما كان لبعض أمراء تلك البلاد من المقاومات التي لم تؤيدها شعوبهم، ما وجد الترك في صدر دولتهم ببركة الخلافة عقبة مافي نشر رواق سلطانهم على تلك الممالك

فقدت تركية اليوم ذلك المقام (مقام الخلافة) ففقدت بفقده تلك الرابطة القدسية التي كانت سياجاً لها في أحرج أوقاتها فهل تستطيع جمهورية مصطفى كمال اليوم وهي ذات خمسة ملايين من النفوس أن تحمي نفسها أمام مطامع الطامعين بعد اذ حرمت عطف العالم الاسلامي» اه

ثم ختم المقال بتهديد الكماليين بانفصال الكرد عنهم وتألب العنصر التركي عليهم — وتهديد تركية بالتردي في الحفرة التي حفرها لها سادتها وكبراؤها

القنبلة

رواية الشيخ شاويش عن مصطفى كمال

ومما قاله في المقالة الثانية التي نشرت في الاخبار بتاريخ ٣ شعبان الموافق ٩ مارس « هبطت أرض أنقرة في السابع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٢ وبعد بضعة أيام ذهبت مع صديق لي من الوزراء الى دار المجلس الوطني الكبير لزيارة مصطفى كمال باشا وقد كنت عاهدت نفسي ألا أتكلم معه في أمر الخلافة لما اتصل بي من نيته تجاه البيت الشاهاني قبل ذلك بأيام أي يوم هبطت مدينة أزمير ولكن لم نكد نأخذ مجالسنا في حضرته حتى استقبلني بهذا السؤال . ما رأيك يا فلان في أمر الخلافة وفصلها عن سياسة الدولة ؟ فاستقلته الجواب معتذراً بأن في المجلس الوطني الكبير من العلماء وذوي الرأي ما يغنونه عن رأيي ولكنه أصر علي الا أن أبسط له ما لدي من الرأي ولقد علمت من بعد أنه ما كان يريد من استفتائي الوقوف على ما حُف به ذلك الامر الخطير من المحاذير والاخطار أو العلم بما جاء في الشريعة من أحكام الخلافة والخلفاء ولكن كان كل همه أن يسبر غوري و يعرف مجرى فكري ولذلك ألح في سؤالي وأبى الا أن أصارحه برأيي . فلما لم أجد بدا من القول أجبته انه « ليس في الاسلام خلافة بلا قوة كما انه ليس في الاسلام خلافة مستبدة » أجبته بهذه العجالة الوجيزة وكنت أرجو أن يجد فيها من المعاني والمغازي ما يصدفه عن الاسترسال في المساءلة ولكنه عاد فسألني : اذن بم تفسر ما فعله عبد الحميد وغيره من الخلفاء العثمانيين ؟ والام تعزو ما أصابوا به الدولة من النكبات والارزاء ؟ أليس أولئك الخلفاء هم الذين كانوا مصدر شقائنا و بلائنا ؟ أوليسوا هم الذين ساقونا الى تلك الحرب الطاحنة وضاعفوا مصابنا بما أصدروا من فتوى الجهاد وأمثالها ؟ فلما فرغ من أسئلته هذه قلت ان الخلفاء الذين قاموا في السنوات الدستورية لم تطلق أيديهم في تدبير البلاد ولا كانوا مستبدين بأمرهم بل كانت تجري الامور في المملكة لا يحيطون بها علما . وكلنا يعلم كيف تقرر اعلان الجهاد وكيف كانت حادثة البحر الاسود التي انتهت باعلان الحرب وكيف جرد المرحوم السلطان محمد الخامس من القوة حتى لقد

رأينا الدكتور ناظم بك احد اركان الاتحاديين يذهب الى سراي الخليفة عام ١٩١٦ لينقص اعطية من فيها من الرجال والنساء و يفرض لهم من الرزق مثل ما كانوا يفرضون للعامة والآفاقيين، على انه اذا كان لهؤلاء الخلفاء في زمن الدستور شيء من الامتيازات القانونية، فما ذلك الا لكون الدستور جعلهم خلفاء على الاصول الرومانية، لا خلفاء وفق الشريعة الاسلامية:

«فلما بلغت هذه العبارة تخاجت عينا الباشا واخذه ما يأخذ المستفسر العجل من الحركات المضطربة وسألني متخازراً وكيف ذلك؟

«قلت ذلك ان الاسلام انكر الفروق الطائفيـة وامتياز الطبقات والافراد بعضها عن بعض في الاحكام والتكاليف الشرعية بل اقام سائر العوالم البشرية في مستوى من تكاليفه تتحاذى فيه الاقدام والرؤس فلا يمتاز في احكام دين الاسلام رجل عن امراة ولا امير عن سوقة ولا فقيه عن غيره بل كلهم خاضعون للقانون السماوي « ليس بأمانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به . ولا يجد له (١) من دون الله وليا ولا نصيرا» بذلك سوى الاسلام بين الرعاة والرعايا في سائر الاحكام والتكاليف فقضى بمجازاة من يعتدون حدود الله بلا تفرقة ولا تفاوت، فاذا أصاب امير او سلطان او خليفة اي فرد بأذى كان عليه من الجزاء مثل ما على غيره من عامة الناس، سواء كان ذلك الاذى عدوانا على نفس او جارحة او عرض او مال . فليس في دين الاسلام فوق الشرائع والاحكام امير ولا خليفة ولا سلطان، ولـكن تركية التي قلدت أوربا اقتبست من القوانين الرومانية قاعدة ان الخلفاء فوق القانون والشرائع فأصبح الخلفاء بهذا خلفاء رومانيين لا خلفاء اسلاميين، ولو عقل رجال النهضة الدستورية اذ ذاك لادركوا ذلك الفرق البعيد بين دين يقول (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) و يقول (ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) و يقول « كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته » و بين شرائع قامت في اقوام كانت تعبد الملوك والبراطرة وتعدهم مصدر الاشتراع والحكم فرفعتهم الى مستوى الاله الحق الذي هو وحده يحكم لا معقب لحكمه

«١» وفي جريدة الاخبار «ولن تجد له» وهو غلط

اوجب دين الاسلام طاعة اولي الامر ولكن على شريطة الا يأمروا بما يخالف اوامر الخالق، ثم ابان لنا انه اذا وقع تنازع بين الراعي والرعية وجب ان يتحاكموا الى كتاب الله وسنة رسوله فلم يبح لاحد مهما بلغ سلطانه وصولته ان يحكم الناس بما تهواه نفسه وتستطيبه شهوته حتى لقد اجاز للناس الخروج على غير العدول الذين لا يقفون عند حدود الله من السلاطين والامراء مبيحاً لاولي الامر مقاتلتهم بل وقتلهم . ولقد قتلت طائفة من المسلمين اجتهاداً منهم الخليفة عثمان بن عفان ومنزلته من الدين وبلاؤه في نصرة الرسول ما نعلم. وكذلك ألزم الناس علي بن ابي طالب ان يقبل التحكيم عند ما رفعت المصاحف على اسنة الرماح وطلب خصومه التحاكم الى كتاب الله فلم يسعه وهو يعلم ان ذلك خدعة منهم دبروها لبلوغ حاجاتهم ، لم يسعه الا ان ينزل على ما طلبوا من الرجوع الى كتاب الله ليفصل فيما شجر بينهم ولم يغنه ان كان خليفة الرسول وزوج ابنته وصاحب الحق في ذلك المقام

« وبينا نحن كذلك دخل علينا احد النواب فقال يا حضرة الباشا ان اعضاء المجلس قد اختلفوا أمن قيام يقرأ تلغراف الخليفة الذي ارسله بقبول بيعته ام من جلوس ؟ فسأله الباشا وكم القائلون بالقيام ؟ قال النائب فوق الثمانين ، فما لبث مصطفى ان اقبل علي وقد قطب غضباً يسألني : احكومة شعب هذه التي تريد قراءة تلغراف الخليفة من قيام ؟ فأجبته « انه ليس في الشريعة يا حضرة الغازي ما يوجب القيام ولا يمنعه وانما يرجع في امثال هذه الحالة الى ما يجري به العرف والعادة في الناس . وهنا احس مصطفى باشا عين ما احسست اننا لا نتفق اصلا فهم بالوقوف ايذانا بالانصراف فخرجت من عنده وانا اذكر ما قصه علي صديق لي في برلين خلال الحرب الكبرى ايام كان مصطفى باشا ياورا لولي العهد اذ ذاك وحيد الدين افندي إذ قال له ان الاتحاديين دعوني ذات يوم للدفاع عن جبهة العراق فأجبتهم الى ذلك وكنت اضمر ان استقل بالعراق اذا ما امكنوني من السلاح والاموال الكافية قال ولكنهم فيما اظن شعروا بذلك يوم عرضت

عليهم مطالبي فانهم بعد اذ تدبروها أعرضوا عن تعييني في ذلك الميدان واستبدلوا بي غيري . فهم الغازي مما دار بيننا كنه رأيي وفكري ولكنه لم يكتف بذلك فاقداوعزالى فرقته في المجلس ان تدعوني ذات يوم للاستفتاء رسميا فجاءني كتاب من أحد أعضاء هذه الفرقة جلال نوري بك لاكون بمركزها في يوم ٢ يناير سنة ١٩٢٣ وهنالك جرى ما سأقصه على العالم الاسلامي فيما يلي مما يتبين منه جليا ان سبب شقاء الترك وتأخرهم لم يكن دين الاسلام ولا قيام الخلافة في ديارهم كما يزين لهم التتار الواغلون ويتوهمه الرهط المارقون، ولكنها الامراض الاجتماعية والجهالة الفاشية الفاعلة فيهم ما تعجز عنه الاوبئة القتالة مما سنأتي بعد على شيء من تفصيله عبد العزيز جاويش

(المنار) إنما بدأنا بايراد بعض ما كتبه هـذا الاستاذ لثلاث (١) أنه كتب عن علم وخبرة لانه عاشر كبار الاتحاديين وخدمهم بضع سنين في عاصمة الدولة خدمة سياسية ثم خدم الكماليين وأحاط خبراً بنشأتهم وكنـه حالهم (٢) إنه غير متهم في انتقاد هؤلاء ولا أولئك لان كلا منهما أكرم مثواه وقلده أعمالا عظيمة كان يأخذ عليها راتباً كبيراً (٣) العبرة بما كان من الخلاف بيننا وبينه في الاتحاديين في المسألتين الاسلامية والجنسية فاننا قد سبقناه الى معرفة كنه حالهم وما يكيدون للاسلام وما يسيئون به الى الامة العربية المشاركة لهم في الجنسية العثمانية السياسية وكتبنا في ذلك منتقدين وناصحين فأنكر ذلك علينا الاستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش وأساء فينا الظن بقدر ما كان يحسنه في الاتحاديين ورد علينا وطعن فينا بل كان خصما لكل العرب المستائين من معاملة الاتحاديين وعونا لهؤلاء عليهم ثم ظهر له أنهم شر مما كنا نقول فيهم وأكبر وجوه العبرة في هذه المسألة ما نبهت عليه من قبل وهو أننا معشر العرب أو المسلمين أو الشرقيين لا نزال بعداء عن العمل المنظم المشترك إذ لا يكاد أحد منا يهتم بأن يبني عمله في خدمة أمته على اختبار من سبقه من قومه في تمحيص بعض الامور بل يعمل كل متصد للعمل عملا مستأنفا فاذا دمنا على هذا فلا يمكن أن نتقن عملا ولا أن نرتقي فيه إذ لا يمكن لكل فرد منا أن يحيط علماً واختباراً بكل شيء بنفسه ، ولو استفاد المصريون والهنود من اختبارنا السابق واختبار الشيخ شاويش اللاحق لما رأيتهم اليوم يطمعون في تحويل مصطفى كمال عن رأيه في الخلافة والدين والدولة . .

ما هذه العاصفة الهوجاء

(أول مقالة للاستاذ الشيخ محمد شاكر في الانقلاب نشرها في المقطم)

خليفة يخلع ، وخلافة تلغى ، وأموال تصادر ، وأوقاف تضم الى أملاك الدولة ، وتعليم ديني يمحى ، ومحاكم شرعية تغلق ، وأسرة عثمانية تطرد من آفاق البلاد ، وتحرم حتى من جنسيتها التركية ، فما هذه العاصفة الهوجاء ؟ عاصفة الجنون التي تهب على العالم في مشارق الارض ومغاربها من عاصمة الجمهورية التركية بقرارات الجمعية الوطنية في انقره كما تقول جريدة الجورنال الباريسية

رحم الله زمانا كنا نعطف فيه على هذه الفئة إبان تمردها على السلطنة العثمانية وهي تجالد مجالدة الابطال لطرد الاعداء من الاناضول ، وزحزحة الحلفاء عن دار الخلافة . والله يشهد أن الذي حدا بنا الى العطف على هؤلاء المتمردين انما هو الاشفاق على الخلافة العظمى أن تمتد اليها يد المهانة والاستذلال . وهي البقية الباقية من مجد الاسلام وعهد النبوة الاولى . وهي العزاء الوحيد الذي كنا نتعزى به في نكبات الايام وصروف الليالي (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

عاصفة جنون هذه التصرفات التي بها دمر المجلس الوطني في عاصمة الجمهورية التركية مجد السلطنة العثمانية حتى جردها من تاج الخلافة العظمى وقد احتمانه رؤس العظماء من آل عثمان اكثر من أربعة قرون

عاصفة جنون هذه التصرفات التي ألغى بها المجلس الوطنى نظاما كان ولا يزال من مقومات العالم الاسلامي في تكوينه الحيوي . وأنى لهؤلاء المتمردين على النظام الديني أن يقتطعوا من مقومات الحياة الاسلامية نظام الخلافة فيقرروا الغاءه

حقا ان التمرد اذا انتهى بالبطولة استحال الى العبث بكل نظام يعترضه في طريقه . فالابطال من المتمردين ينقلبون مدمرين اذا لم تقلم أظفارهم هيمنة الامم والشعوب بقوتها القاهرة . وسوف يرى هؤلاء المدمرون من المتمردين كيف تقلم الامم الاسلامية أظفارهم ، وكيف يرتدون على أعقابهم خاسرين أمام العالم

الاسلامي حتى من الشعب التركي نفسه (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون)

عجيب أمر هؤلاء الذين تسللوا في جنح الظلام الى كهوف الاناضول وظلوا يهتفون باسم الاسلام حتى حازوا فخار النصر كيف ارتدوا على أدبارهم يحاربون الاسلام بأسوأ أداة ملكتها أيديهم في أعز عزيز على العالم الاسلامي وهو نظام الخلافة

ما كانت الخلافة يوما ما نظاما قوميا تتقاذفه أيدي المتسلطين في الجمعيات الوطنية حتى يتسنى لزعماء الجمهورية التركية أن يقرروا إلغاءه

انما الخلافة نظام ديني عام لا يحل لرجل يؤمن بالله ورسوله أن يتخلى عن الاندماج في دائرته المرنة . كذلك كان نظام الخلافة منذ تولاها أمير المؤمنين أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وهو أول خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن تقلدها بالبيعة العامة أمير المؤمنين عبد المجيد بن عبد العزيز (فمن نكث فانما ينكث على نفسه . ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما)

ماذا تركته حكومة الجمهورية التركية من التقاليد الاسلامية لم تنقضه رأسا على عقب بعد خلع الخليفة والغاء الخلافة وهي تضم أوقاف المسلمين الى أملاك الدولة. وتقرر الغاء المحاكم الشرعية واغلاق معاهد التعليم الديني. وتضع للنظام العائلي قانونا يهدم أصول الشريعة الاسلامية في كثير من أحكامه. وبذهب بتلك الفضائل والآداب التي أفاضها الاسلام على المستمسكين بعروته الوثقى والمستعصمين في حرز صيانته الحصين (من يهدي الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)

عاصفة جنون هذه التى هبت على العالم الاسلامي من عاصمة الجمهورية التركية في نظامه الدولي ، ونظامه الحكومي ، ونظامه العائلي . ولكنها ستنقشع بتوفيق الله وحكمة عظماء الاسلام وقادته المحنكين في مشارق الارض ومغاربها (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)

محمد شاكر وكيل الجامع الازهر سابقًا

(كلمة الاستاذ أمين بك الرافعي)

(من مقالة له في جريدة الاخبار بتاريخ ٢٩ رجب الماضي)

يعمل الكماليون بسرعة على تنفيذ قرارهم الطائش بالغاء الخلافة وعزل الخليفة، وقد استعملوا في اقوالهم عبارات تدل على غرورهم وجهلهم بعاقبة ماارتكبوه ضد الاسلام والمسلمين فعصمت باشا يزعم في خطبته التي نقلت الينا التلغرافات خلاصتها ونشرناها في باب التلغرافات : ان العالم الاسلامي لم يصادق تركيا إلا لانها قوية ! ! لالانها دولة الخلافة!! فهل بعد ذلك جهل وغرور ؟ !

وقد ذهبوا الى جلالة الخليفة في ساعة متأخرة من الليل وأمروه بالجلوس فوق العرش وبعد أن تلوا عليه قرار العزل أنزلوه وساروا به في سيارة الى الحدود، ومنها الى سويسرا، فعلوا به ذلك في جنح الظلام لانهم يعلمون أنهم يرتكبون جريمة شنيعة ومن اجل ذلك تراهم ايضا يعقدون محاكم التفتيش في جميع انحاء البلاد ويخولونها سلطة الحكم بالاعدام ليملأوا النفوس ارهابا حتى لاتثور على قرارهم

ولكن هل مثل هذه التدابير الارهابية تحول دون اظهار الاستياء العام من فعلتهم القبيحة ؟

وبهذه المناسبة لانرى بدا من توجيه نظر علمائنا الافاضل الى ضرورة قيامهم بواجبهم الديني في هذه الحادثة الخطيرة فقد سبق لهم ان اعلنوا بيعتهم لجلالة الخليفة. ولما كانت البيعة قائمة بالرغم من قرار اولئك الملحدين الخارجين على الاسلام فيجب على العلماء ان يعلنوا ذلك في اجتماع كبير يعقدونه و يبرقون بقراراته الى حكومة انقرة لتعلم ان العالم الاسلامي ساخط على اعمالها المنكرة

كما نرجو من علمائنا ان يدعوا جلالة الخليفة للحضور الى مصر ليعيش واسرته في بلد اسلامي و يكون متصلا بالمسلمين في مشارق الارض ومغاربها لان فكرة ابعاده الى سويسرا لايقصد منها سوى الحيلولة بينه وبين المسلمين

وبالجملة فان على علماء المسلمين في الظرف العصيب الذي يجتازه الاسلام الآن فروضا مقدسة يجب عليهم ان يقوموا بها بلا توان ولا تردد لدرء الخطر الذي يتهدد الاسلام والمسلمين

أمين الرافعي

رسالة ملك الحجاز

الى الامة البريطانية

لما أراد ملك الحجاز زيارة شرقي الاردن من أطراف البلاد السورية قدم بين رحلته هذه الرسالة متوهما أن يكون حاملا للحكومة الانكليزية على العطف عليه بما يتقرب به الى أهل فلسطين وينال موافقتهم على المعاهدة العربية ، فجاءت هذه الرسالة حجة لنا عليه وعلى أنصاره ، ولو كانوا منصفين أو مخلصين لقلنا * أقر الخصم وارتفع النزاع * ولكن كم أقر الخصم قبل هذا بما كان حجة لنا في سائر ما انتقدنا عليه ولم يرتفع النزاع بيننا وبين المارين والمغرورين من أنصاره . وأما المخلصون فهم يرجعون الينا آن بعد آن (والعاقبة للمتقين) وقد نشرت الرسالة في جرائد لندن فرد عليها (اللورد رجلان) بمقالة شديدة اللهجة في إهانة ملك الحجاز وأولاده الملوك والامراء خلاصتها أنهم كانوا أجراء للدولة البريطانية ووفتهم أجورهم بأكثر مما يستحقه عملهم اذ جعلت حسينا ملكا للحجاز وفيصلا ملكا في العراق وعبدالله أميرا في شرق الاردن ... واننا ننقل ترجمة الرسالة بالعربية عن المقطم وهذا نصها :

تلغراف خصوصي للمقطم

لندن الاثنين في ٣١ ديسمبر الساعة ٩ صباحا

تلقت الصحف الكبرى بلندن نداء بالانكليزية من جلالة ملك الحجاز وجه فيه الخطاب الى الامة البريطانية وقد أرسلت نسخ منه الى أعضاء مجلس الاعيان وغيرهم من الكبراء وأصحاب الكلمة النافذة فرأيت أن أرسل اليكم صورته كما تلقيناه وهو :

الى الامة البريطانية الكريمة

من الحسين بن علي

بناء على ما اشتهر به الشعب البريطاني الكريم من الثبات والنزاهة وهي الصفات المعروفة لي شخصيا رأيت أن أعرض على ضميره الصادق وحكمه السليم آرائي في الحيف الذي أصاب قومي العرب فى بلدانهم المختلفة

لقد لبيت دعوة حكومة جلالة الملك لاني كنت أعتقد أن فى دعوتها منافع مادية وأدبية متبادلة وهو اعتقاد أعترف بأن الحكومة البريطانية كانت تشاطرني اياه

ولم تكن لتلبيتي لهذه الدعوة تنافر ما مع شيء من العواطف القومية أو الدينية بدليل ما جاء فى منشوراتي الرسمية العديدة فنهضت مع شعبي بعد نيل ضمانات تضمن مصالحهم ومستقبلهم وخضت معهم غمار القتال جنبا الى جنب وكنت وطيد الايقان بأننا نحارب فى جانب شرف الامة البريطانية كلها لا بجانب أفراد تنفصم العرى التي تربطنا بزوالهم ، ومثل لعيني شرف الامة البريطانية وشهامتها وعظمتها فأقدمت على خوض القتال وأنا ممتلىء ثقة فى حين كانت فيه كفة الخصم راجحة في كوت الامارة والقنال والدردنيل وجميع ساحات الحرب فى أوربا وواصلت شترا كي وشعبي الى النهاية والى أن تقشعت السحب السوداء الملبدة التي كانت تنذر بحرب دينية فى الشرق تكون بعيدة المدى والعواقب، وضربت المثل الاعلى للعالم فى سعة الصدر والتسامح والدفاع عن المبادىء السامية، فلبى العرب دعوتي فى العراق وفلسطين وسورية، وكان بيدي وثائق الساسة المسئولين وتصريحاتهم الرسمية والخصوصية التي فاهوا بها على رؤوس الاشهاد ، وكلها مجمع على أن العرب سيفوزون بوحدتهم واستقلالهم مكافأة على ولائهم ، وان مصائبهم ومحنهم ستزول. وقد وضعوا أقصى ثقتهم وآمالهم بعد الله فى شرف الامة البريطانية . ومما يشهد بذلك ويثبته أيضا أنهم أبوا صلحا منفرداً يعقد مع العدو الذى عرض عليهم أن ينيلهم استقلالهم ، وقطع لهم المواثيق الرسمية والضمانات المؤكدة، وذلك لان العدو أخذ يشعر بتأثير الصدمة الشديدة الادبي والمادي من

جراء قتال العرب فى جانب بريطانيا العظمى وحلفائها

وكان من نتائج هذا الولاء والوفاء تلغراف رسمي ورد من وزير الخارجية البريطانية يؤكد به وحدة العرب واستقلالهم وتصميم الحلفاء على تحقيقهما وأنه يستحيل أن يعقدوا صلحا الا اذا نص فى شروطه الاساسية على حرية شعوبنا واستقلال بلدانهم ، وقد أرسل هذا التلغراف باسم حكومة جلالة الملك البريطانية وأبلغنيه المعتمد البريطاني فى جدة يوم ٨ فبراير ١٩١٨

فلهذه الاسباب ألفت نظر الامة البريطانية الى ما حل بحلفائها العرب الذين لا يزالون يعدون أنفسهم حلفاءها على قلة ما فى العالم من الحلفاء الحقيقيين اليوم فقد مزقت وحدتهم وقطعت أوصالها ، وتفككت بلدانهم وصارت محتلة ، وأخذ العالم الاسلامي خاصة والسواد الاعظم من قومي يرميانني بتهمة أني بعت بلدانهم ابريطانيا العظمى وحلفائها وهي تهمة تكفي لتلطيخ كرامة بيتي وتسويد تاريخه ، وصمة لا يصبر عليها حتى الذين تجردوا من كل معاني الشرف وكرم الشيم (١) ولا أعرف أن العرب ارتكبوا ما يستحقون أن يعاملوا لاجله هذه المعاملة الا ثقتهم المطلقة ببريطانيا العظمى ووفاؤهم لها ان صح أن يعد هذا جناية حقيقة (٢)

فالعرب المدفوعون بآخر شرارة في جوانحهم من الوفاء لحليفتهم العظيمة ، وبما فطر عليه جنسهم من عرفان الجميل والوفاء بالعهود ، يرغبون الي أن أبلغ الشعب البريطاني أنهم لا يبغون بهذه الاقوال أن يباهوا بفعلهم أو يمنوا بمساعدتهم أو ينكروا على بريطانيا العظمى حقها في ضمان مصالح شعبها أو يعارضوا في صدق وطنية الامة البريطانية، ولكنهم يرون من الانصاف أن لا تنحصر هذه الصفات فيها بل أن تكون في سواها أيضا، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف « حب الوطن من الايمان » (٣) فالعرب والحالة هذه حائرون كيف يوفقون بين وطنيتهم ووفائهم وولائهم لحلفائهم

المنار : «١» حكم الشيخ على نفسه .... «٢» لاشك انها من اقبح الجنايات «٣» هذا ليس بحديث قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة : لم أقف عليه ومعناه صحيح

ولهذا أرغب في أن أصف في رسالتي هذه دهشتي وحالتهم الحاضرة للشعب البريطاني الكريم لئلا يقع عليهم لوم ما اذا توسلوا بوسائل أخرى الى درء هذا الذل العظيم الذي يسود تاريخهم المجيد غير مكترثين للعواقب مهما كانت والا انطبق عليهم بحق المثل القائل « فر من الموت وفي الموت وقع » وهذه أبسط تهمة يلصقها بهم أعداؤهم اذ يحق لهم أن يخاطبوهم بقولهم « لو بقيتم كما كنتم قبلا لنجوتم من جميع هذه البلايا والرزايا »

أما الحجاز فقد كان متمتعاً بامتيازاته واستقلاله في الماضي

ويستحيل الصبر على موقف الامة العربية في عيون العالم الاسلامي والشرق عامة وفي عيونهم أنفسهم وفي مرآة تاريخهم وأن ينظر اليهم كخونة ظالمين . إن هذا الموقف الشائن مما يستحيل قبوله والتسليم به

ولست في ما أقول منذرا، ولكنني مذكر فقد كانت شهرة بريطانيا العظمى أساس عظمتها في الشرق وهذه الشهرة أعظم نفوذا من أساطيلها العظيمة وجيوشها الجرارة، فهي في حاجة عظيمة الى تجديد مكانتها. أقول ذلك بصراحة العربي واخلاصه وعلى بريطانيا العظمى أن تبدأ بمعاملة العرب الذين حالفوها ووالوها الى يومنا هذا مع كل ما طرأ من الطوارىء من اليوم الذي كانت فيه الحرب حقيقة بادية للعيان الى ان صارت خفية مستورة . ولا أطيل الكلام في هذا الصدد ولكني ارجو أن تشرع الامة البريطانية في أن تلقي عن عاتقها جميع هذه الاعباء، وان تنصف العرب حلفاءها الاوفياء، وخير لها أن يكون لها حليف متحد قوي مستقل، من ان يكون هذا الحليف ممزقا مقطع الاوصال ذليلا كما هي حالة العرب الآن، ولا يعلم الا الله الى اين يسوقهم قنوطهم بعدما طفح الكيل

اقول ما تقدم مدفوعا اليه بعامل الاخلاص والوفاء لما علي من العهود والواجبات

البلاط الهاشمي بمكة في ٢٤ نوفمبر سنه ١٩٢٣

(المنار) ان هذا الخطاب يشرح للناس كنه عقل السيد حسين المكي ومبلغه من العلم والسياسة فهو صريح في أنه قد أسس سياسته في نصر الانكليز على الترك على شفا جرف هار من تخيل مايسميه « الحسيات النجيبة البريطانية »

وتوهم أن الانكليز يعاملون الناس بمقتضى الحس والشعور بالوفاء والنجدة والكرم والايثار على انفسهم والوفاء بوعودهم وعهودهم مضاعفة. وجميع ذوي الالمام بشؤون العالم في الشرق والغرب يعلمون أن السياسة ليس فيها عواطف ولا فضائل ولا تقرب الى الله تعالى باسداء المعروف الى الناس - وأن الانكليز خاصة ابعد البشر عن بناء أي عمل من اعمالهم على الشعور والعواطف وانهم تجار ماديون قليلو التأثر والشعور ولذلك لقبوا في كل العالم باصحاب الدم البارد — وانهم ابعد خلق الله تعالى عن الوفاء فيما لا يعدونه من مصلحتهم التي يفتدون بها مصالح الخلق كله ولكنهم لبراعتهم في الرياء الفريسي كما يصفهم أهل اوربة يدعون الوفاء بتأويل مايقع منهم من الغدر والاخلاف، كتأويل معاوية وعمرو بن العاص لقتل عمار، وقد قال فيهم امام السياسة الاوربية ودهقانها في عصره (البرنس بسمارك) إن الانكليز ابرع الامم في التفصي من المعاهدات بالتأويل. ونقول نحن ان هذا شأنهم مع الدول العظمى وأما الضعفاء فانهم لايهتمون بتأويل غدرهم واخلافهم معهم،

ولنا من سياستهم في مصر والسودان مئات من الادلة القطعية على ذلك ولكن هذا الرجل لايعرف من تاريخ مصر المجاورة له دع تاريخ الهند وغيرها من البلاد التى ابتليت بالانكليز اعترف الزعيم العربي بهذا الاساس الخيالي لسياسته وانه لم يبال برمي امته له بالخيانة لثقته بهذه الخيالات وانه مصر على ذلك الى الآن، فهل يجوز أن يتخذ مثل هذا زعيما لشعب أو أمة وخليفة للرسول الاعظم على امته وهو يخالف كتاب الله وسنته في كل خطوة من خطوات سياسته؟

سيقول الجاهلون بالتاريخ الحديث والسذّج الذين لايتفكرون في عواقب احتلال الاجانب لاخصب البلاد العربية، والطامعين في الاستيلاء على مابقي منها وهو مركز القوة الدفاعية، مابال صاحب المنار يوالي الطعن في الملك حسين واولاده دون غيرهم؟ ... ونقول لهؤلاء؟ أن الامر اعظم مما وصلت اليه عقولكم، وان خطر هؤلاء على امتكم ابعد مما تصورته افكاركم، فانظروا وتفكروا، ثم انظروا وتفكروا، ثم انظروا وتفكروا

خطاب عام للمسلمين

— ٣ —

وجاء في الرسالة المطولة التى اشرنا اليها من قبل ما يأتي :

﴿ الحدود ﴾ سمع مولانا المنقذ بان امام اليمن يحكم بالشرع المنيف ويقيم الحدود فعمل شر المنكر ليذكر فكل من ساء حظه امسكه المنقذ بتهمة سرقة يأمر بقطع يده أو يده ورجله اعتباطا و بدون محاكمة ولا مراعاة لشروط الحد من حرز أوعدالة للشهود والامر بدرء الحدود بالشبهات واليك اشارة الى التنفيذ الفظيع

﴿ التنفيذ ﴾ تأخذ الزبانية هذا التعس فيضعون العضو المأمور ببتره على خشبة ويمسكون المسكين كما يمسك العصفور للذبح ويقوم على رأسه احدهم شاهرا سيفه ممسكا له بكلتا يديه فيهوي به الى ذلك العضو فان اصاب مفصلا أبانه وذلك من رحمة الله بالمسكين ولكن الغالب انه يصيب محلا آخر فوق المفصل او دونه فتتهشم العظام ولا ينقطع العضو الا بعد ضربات عديدة يذوق ذلك المنكود الحظ منها الموت الزؤام مرارا عديدة ، ولذلك لا يسلم من الموت ممن قطعهم ذلك القاطع الا نحو العشر ، ولا بد أن يقلقوا بصياحهم أهل الحارة التي يكونون فيها . أفهذا حكم الشرع المنيف ؟ حاشى لله الف الف مرة . ان الشرائع كلها السماوية والوضعية تتبرأ من هذه الوحشية السبعية الابليسية فانا لله وانا اليه راجعون . أي جناية على الدين ، وأي ازدراء به شر من هذا ؟ ان أكبر أعدائنا لا يقدر أن يذمنا وينفر عن ديننا بمثل ما يصنعه « سيدنا وسيد الجميع » ؟ ؟

السجن الهاشمي

أخبرنا الثقات من المكيين ان هذا السجن شر من سجن الحجاج ففيه ضروب من التعذيب لم يبق لاقلها وجود في منشوريا ولا غيرها - بل هنالك سجنان (أحدهما) سجن المجرمين العادبين وهو بناء كان مخازن للغلال ذات رواق فبني الرواق وجعل له باب أو بابان وهو مع المخازن لا يسع مئة رجل ولكن له رحبة أو حوشا تسع مئة أو اكثر ، وهو ليس لها سقف يقي هاجرة الحر المحرقة في الصيف وبرد الليل في الشتاء والمسجونون فيه خمسمائة أو يزيدون

(وثانيهما) القبو وما ادراك ما القبو وهو سجن الذين ينزل عليهم الغضب الهاشمي كالاستاذ العلامة الشهير الشيخ أبو بكر خوقير علامة الحنابلة ومفتيهم الذي كان يتهمه بانه وهابي — وهو قبو مظلم تحت دار الامارة له منفذ ودرج بل درك للنزول الى اسفله وارضه رطبة عفنة كثيرة الحشرات والغازات السامة قلما يعيش أحد فيه عدة أيام وليس له نوافذ غير مدخله فلا يدخله نور الشمس المطهر ولا الهواء المنقي للهواء من الابخرة السامة وليس فيه مرحاض ولا مكان للطهارة

ومن ضروب الفظاعة المشتملة على عدة محرمات ان زبانيته يسلكون الآحاد والعشرات من المسجونين في سلسلة واحدة من الحديد آناء الليل والنهار فكلما ذهب واحد لقضاء حاجته جرهم كلهم معه . ويؤيد هذا ما كتبه ذلك العالم الفاضل من جزائر الهند الشرقية في مذكرته المذكورة آنفا وهو :

« ومما اختصت به مكة صانها الله تعالى دون سائر الارض ان العقوبات

تجري فيها بمنتهى الوحشية استبداداً ولو راى احد المنصفين السجن بمكة لبكى الدم حنانا على من أوقعه نحس الطالع فيه فان اكثره لا سقف له يقي من تلك الشمس المحرقة نهاراً والبرد القارص فى ايامه ليلا وهو محل قذر للغاية وضيق لا يتسع لا كثر من ٧٠ شخصاً وقد حشروا فيه نحو الف انسان والحكومة لا تعطيهم طعاما وكثير منهم يموتون جوعا وقل اسبوع لا تحدث فيه حوادث من هذا القبيل ومن ارسل له اهله قوتا تخاطفه عليه الجياع هذا ان سلم من حراس السجن فان لهم حتما اطايبه ومن مات يبقى بين من هم هناك نحو يومين حتى تفوح رائحته لشدة الحرارة وكثرة التحلل من الجيفة بسببها وذلك حتى يحصل الاذن من الذات المقدسة بالدفن وليس لمن في السجن محل للغسل ولا لهم بيت للراحة الا محلا واحداً يؤمه الف شخص ...

ومن رحمة سيدنا المنقذ انه يطوق بعض رعاياه المحكوم عليهم بالسجن بأطواق من الحديد ويعلق فيها من القلل ما تنوء بحمله العصبة اولو القوة وينظم الخمسة الى العشرة فى سلسلة واحدة الى ما أخاف ان لا يصدقنى القارىء ان ذكرته من الفلكة الهاشمية والقبو وما ضاهى ذلك مما لم يتفطن له الحجاج ولا نيرون ولا نمرود ولا وسوس لهم به ابليس فليبحث عن هذا من يحب معرفة الحقيقة » اه وفيه خطأ بتقدير ما يسع السجن وعدد المسجونين والصواب ما قلناه ومسألة القلل لم تبلغنا عن غيره

ظلمه للاشراف

اختارت الدولة العثمانية بطنين من بطون شرفاء مكة لامارتها تولى واحدا من هؤلاء مرة ، وواحدا من الآخرين مرة - فأوقعت به التعادي والتنافس بينهما ، وأغرتهما باحتكار الجاه والرفاهة دون سائر الشرفاء الذين أصبحوا في دركة من الجهل والفقر ، تحول دون كل مطمع في نباهة الذكر . وكان الملك حسين من أشد من ولي الامارة بغضا في البطن الآخر ، ولا سيما آل الشريف عبد المطلب الشهير ، فهو يتصرف في أملاكهم وأوقافهم كما يشاء . وقد أشرنا الى ذلك في الشاهد

العاشر من شواهد المظالم المالية في الحجاز

وقد كان نفر من كبار هؤلاء الشرفاء يقيمون في الآستانة مكرمين منعمين بما تجريه الدولة العثمانية عليهم من الرواتب الكافية وقد منعتهم دولة الجمهورية من ذلك فأمسوا في أسوأ حال وتعذر عليهم السكنى في الآستانة وفي غيرها ولم يعد يسعهم الا وطنهم (مكة) ولهم فيه أملاك وأوقاف ، ولكن رئيس اسرتهم وملك العرب ومنقذهم ، لا يأذن لهم بالعودة الى بلدهم ، ولا يرسل اليهم شيئا من حقوقهم ، على ان الذين يعيشون هنالك في أسوأ حال كما أشرنا الى ذلك في الشاهد (١٠) شواهد الجناية الثالثة وهم أحق من سائر العرب بما يدعيه من انقاذهم واسعادهم ، ومن لا يصل رحمه ولا يغار على شرف أهله فكيف يصدق بدعوى الغيرة على غيرهم ؟

وقد ختم ذاك العالم الجنوبي مذكرته بوصف حالهم وهذا نص ماكتبه :

«ولو اردت ان اكتب ماعرفته من فضائح جرك جدة لاضجرت القارىء ولكنى اختم مقالي بالاشارة الى حالة اشراف الحجاز الذي ينتمي اليهم مولانا المنقذ فانهم في احط الحالات دينا ومعاشا وكل ذلك سببه الآن اهمال هذا المنقذ فان سلفه قد تعمد وحتم بقاء سائر الاشراف الا قرابته الادنين على شر حالات البداوة جهالة وقذارة وغباوة وبعدا عن العلم والمعارف لئلا يشاركوه في امور الامارة ، وليتسنى له الاختصاص بالظلم ليشبع نفسه الامارة ، وقد زاد « منقذنا » على هذا بأن مد الى مكاسبهم فوضع عليهم اتاوات ثقيلة ثم فرض مناصفة ما تنتجه زروعهم من قصب وحشيش يحملونه ويسلمونه مجانا للاصطبل الهاشمي وما بقي لهم يدفعون عليه اتاوة دخولية تستغرق جل الثمن وقد كانوا يكسبون من كراء جمالهم اما الآن فقد مر بك ما يختص بالجيب او الجراب العلي الشأن وذلك مما يؤخذ من كرى الجمال ا كثره فلا يبقى لصاحب

البعير الا ما يكفي اكل الجمل بشرط انه هو وعياله يجوعون او يقتل الجمل جوعا ليسد رمقه ورمق عياله ولذلك صار الجمالة يستجدون الحجاج في محلات الامن وينهبونهم في خارجها إذ لم يبق لهم الا تلقيهم بعر الجمال برؤسهم اذ يسوقونها والكرى الصافي « لسيدهم وسيد الجميع »

ويكفي ان اقول ان الاشراف عدد عديد وجلهم امي ومن يكتب ويقرا منهم فكتابتهم ضعيفة كانها العبرانية ، ولا ارى الباحث يجد منهم من يخرجه عن حكم الامية ان انصف فضلا عن ان يجد منهم عالما او عارفا بأحوال الوقت، وقد عرفت بعض الاشراف وخضت معه لحاول ارسال اولاده الى مصر ليتعلموا فمنعهم من ذلك (مولانا المنقذ) وقال ان اعلى مدارس الدنيا تلك الكتاتيب القذرة التي يقيمها بمكة لذر الرماد * هكذا وهكذا والا فلا لا *

الجناية الرابعة

معاملته للحجاج وسلب أموالهم

نحمد الله تعالى أن وفقنا لقول الصدق ، والتزام الحق ، ومنه أن صرحنا مرارا بما ثبت عندنا من عناية الملك حسين بأمر الحجاج ما استطاع مع مراعاة غاية الدقة واللطف فيما يناله منهم من المنفعة. وسبب هذا ظاهر وهو أن جاهه وكرامته وثروته رهينة بتسهيل الحج وارضاء الحجاج ، ولكن تسمية نفسه بملك العرب وسعيه الدائم لصدق التسمية اقتضيا منعه أهل نجد من ارسال ركب للحج — كما أن سخط مسلمي الهند عليه وطعنهم في سياسته البريطانية حملاه على ايذاء حجاجهم كما روته مجلة الجامعة الهندية المشهورة وغيرها — وحاجته الى الدراهم الكثيرة لجعل الحجاز دولة عسكرية مستعدة لاخضاع الامارات المجاورة له في نجد واليمن وتهامة وجعلها تابعة له (كما علم من كلامه في الوحدة العربية الذى نقلناه فى الوثيقة الخامسة) حملته على زيادة ما ياخذه على نقل الحجاج من مكان

الى آخر ، وعلى فرض ضرائب جديدة عليهم لا تحل له شرعا وهي أنواع:

الضرائب على الحجاج

(١) قد فرض على كل حاج ضريبة لا يؤذن له بدخول الحجاز الا اذا أداها لعماله وعند النزول في ثغر جدة أو غيره الا أن يكون قد دفعها لوكيله في القطر المصري ووقع له على جواز السفر باستيفائها منه وهذه الضريبة جنيه انكليزي على من يجيء من الجنوب كاهل الهند وجاوه وغيرهم ونصف جنيه على من يجيء من الشمال كمصر وغيرها أو تزيد فهو يجبي منها مئات الالوف من الجنيهات في كل سنة

(٢) قد فرض على كل حاج ضريبة أخرى برسم الحجر الصحي ولها شروط مخصوصة مدونة باوراق رسمية

(٣) قد فرض عليهم ضريبة ثالثة يؤديها كل خارج من جدة قبل خروجه باسم الشهادة الطبية وقدرها ريالان مجيديان أو ٣٠ قرشا مصريا صحيحا ، ويعطى بها ورقة رسمية

هذه الضرائب تعد في حكم الشرع من أكل أموال الناس بالباطل المنهي عنه بنص القرآن ، وأخذها من الحجاج يعد من الالحاد في الحرم بالظلم وهي أولى بذلك مما ورد في الاحاديث المرفوعة والموقوفة في تفسير (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) كالاحتكار وتجارة الامير وقد تقدم — وتعد أيضا من الصد عن المسجد الحرام فان من الفقراء من لا يستطيع دفعها على أن بعض الفقهاء قالوا بسقوط الحج عمن تصادر أمواله بسببه ولاجل انتفاع الملك من هذه الضرائب أسس محجرا صحيا يكره

الحجاج على الدخول فيه ولا يعتد بدخولهم قبله في المحجر المصري في الطور من جهة الشمال والمحجر البريطاني في قمران من جهة الجنوب مع العلم بانه عاجز عن اتقان محجره كاتقانهما . هذا اذا فرضنا أنه فوض أمر محجره الى أطباء ثقات ولم يكن له رأي ولا أمر في أعمالهم الفنية المحضة ، أما اذا كان المحجر يدار برأيه فهنالك البلاء المبين ، اذ يخشى أن يمنع بعض الادوية المتفق عليها بين الاطباء ويستبدل بها بعض مجرباته أو ماء زمزم الذي صرح في جريدته القبلة بانه شفاء من كل داء وان كان مشوبا بقذر المصابين بالهيضة الوبائية وأمثالها من الامراض التي أجمع أطباء هذا العصر من مسلمي جميع الشعوب ومن غيرهم على أنها معدية، وان أسباب العدوى فيها ثابتة بالتجربة وبالمشاهدة بالمناظر المكبرة

ثم إنه لاجل هذه المنافع المالية بينه وبين الدولة البريطانية قد وضعا لها مواد في مشروع المعاهدة البريطانية الحجازية أو العربية ليتقاسما المنفعة على ما في هذا العمل من التضييق على الحجاج وتنفيرهم من الحج ، وقد بينا في تعليقنا على هذه المواد ما فيها من الضرر على الحجاج والدلالة على كون الحجاز تحت سيادة الانكليز

أجور نقل الحجاج

(١) جعل أجرة الجمل بين الحرمين الشريفين أربعة عشر جنيها انكليزيا وريالين مجيديين يأخذ هو نصفها أو أكثرها والباقي لصاحب الجمل ولسائقه ولمن يتبعهما في خدمة الحجاج كالمطوف . وهو يساوم أصحاب الجمال فمن كان منهم بليداً جبانا يأخذ منه أكثر مما يأخذه من الجرىء المجادل

وهو يأخذ على كل جمل ينقل الحجاج من جدة الى مكة والعكس ومن مكة الى عرفة والعكس نصف جنيه مصري أو اكثر — فهو بهذا يأخذ من كل حاج جنيهين من هذا الباب وحده وذلك انه جعل اجرة الجمل جنيها يأخذ صاحبه ربعه في الغالب والباقي للملك ، وان من الحجاج من يحتاج كل واحد منهم الى جمل خاص لاجل حمل زاده ومتاعه فان حجاج جاوه يحملون كل مايحتاجون اليه من الزاد من بلادهم . ولحجاج جاوه معاملة خاصة وذلك ان لهم بمكة مطوفين يسمون مشايخ الجاوه وهم يتولون خدمتهم في مسكنهم وتنقلهم وكان الشريف أو الملك قد جعل لهم على كل حاج ثلاثة جنيهات ونصف انكليزية يأخذ منها لنفسه جنيها واحداً وقد سمح لهم منذ سنتين بأخذ اربعة جنيهات ونصف من كل حاج على أن يكون له اثنين منها . وقد بلغ حجاجهم في الموسم الماضي ٣٥ الفا

ولولا مقاسمته لاصحاب الجمال لامكنه جعل أجور نقل الحجاج رخيصة جدا ، ولكن هذه شنشنة قديمة له ولسلفه وما هي بالجديدة

الامن في الحجاز

هو والحق يقال يعني بحفظ الأمن في المنطقة التي ينفذ حكمه فيها من جدة الى مكة الى عرفات ولكن لانفوذ له ولاسلطان على الاعراب بين الحرمين الشريفين ، وانما الوسيلة لتأمين الطرق هنالك واحدة وهي بذل مبالغ معينة من المال لهم بدلا مما كانوا يأخذونه من الدولة العثمانية والحكومة المصرية

وقد كان الشريف وعدهم عند دعوتهم الى الثورة والخروج معه على الدولة بأنه يعطيهم تلك المخصصات مضاعفة . وكانت الاموال

الانكليزية في مدة الحرب تغدق عليه إغداقا فكان يفيض عليهم منها ويرضيهم، ثم أعطى قليلا وأكدى — أي منع الباقي — وهم يعلمون أنه أخذ باسم ثورتهم عشرات الملايين من تلك الجنيهات، وأنه ما زال يأخذ الاموال من الحكومة المصرية، وأنه يأخذ أكثر أجور نقل الحجاج بغير حق، فلم يجدوا ابدا من مطالبة الحجاج ببعض نصيبهم من ذلك وبيان سببه لهم. وقد بلغنا انهم كانوا في الموسم الاخير (سنة ١٣٤١) يعطون الحجاج سندات بما أخذوا منهم ويحولونهم به على الملك حسين ليدفعه لهم من الاموال المستحقة لهم عنده بحسب الاتفاق معه المبنى على التعامل السابق، وهم يرون أن أخذ المال منهم كاخذه منه، إذ كان من الواجب عليه المحافظة على أموال الحجاج وأنفسهم وضمان ما يؤخذ منهم — وهو قد أعلن في جريدته أنه يعطي ذلك ولكنه أوعز الى المطوفين بأن ينصحوا لمن أخذ منهم المال بأن يتعففوا عن تكليف الملك دفعه فكان نصحهم مقبولا

كان الزوار في الموسم الماضي يدفعون لكل قبيلة ماتطلبه منهم وأقله ريالان مجيديان وهو ما كان يأخذه بنو عوف الذين لم يكن لهم مرتبات على الدولة وأما أصحاب المرتبات الرسمية كقبائل الاحامدة فقد كانوا يأخذون من كل حاج من ٢٠ — ٢٥ ريالا مجيديا ومن حجاج إيران خاصة ستين ريالا مجيديا وقد كان من جملة الزائرات الاميرة الافغانية زوجة الامير عبد الرحمن خان جد أمير الافغان لهذا العهد، وقد اوقفها الاحامدة في الطريق أياما حتى افتداها جلالة الملك المنقذ حامي الحرمين الشريفين بالفي جنيه وخمسمائة جنيه ارسلها اليهم من مكة. ولا بد أن تكون الاميرة قد أعادتها اليه مع الهدايا اللائقة

هذا ما كنا كتبناه منذ بضعة أشهر مما جاءنا عن موسم سنة ١٣٤١ وتريثنا في نشره، وقد حدث فى أثناء العام انتحاله لمنصب الخلافة فصار خطره أشد، والسعي لتلافيه أوجب، ونبين ذلك بالاجمال فنقول:

(له بقية)

باب الانتقاد على المنار

تحريم المسلمة على الكتابي

بقية مافي ص ٢٢٢ من ج ٣ م ٢٥

دين الله على ألسنة رسله واحد وما الاسلام إلا اصلاح وتكميل للشريعة الموسوية الشديدة الوطأة الخاصة بشعب واحد في تاريخ خاص وتكميل للآداب المسيحية الشديدة المبالغة في الفضيلة لما كان عليه الروم واليهود من المبالغة في الطمع والشهوات، فأجدر باهل الكتاب اذا عرفوا الاسلام حق المعرفة بمعاملته إياهم بالعدل والحرية والالفة، أن يعرفوا بفهمهم له انه هو دين انبيائهم الذي نسوا حظا منه وحرفوا شيئاً منه، وان الله تعالى اكمله لهم بحسب سنته تعالى في الترقي الانساني كما بشروهم به، ففي الانجيل ان المسيح عليه السلام صرح بأنه لايستطيع ان يقول لهم كل شيء لعدم استعدادهم وعدم حرية حكومتهم، ولكن سيأتي بعده روح الحق الذي يقول لهم كل شيء أي لظهوره في امة حرة ولاعداد الله الامم كلها لاستقلال الفكر، وكذلك فعل غير المتعصبين الموثقين بالتقليد، وقد آمن بهذه المعاملة ألوف الالوف من المستقلين الذين قال الله تعالى فيهم (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) الآية، ولو أن المسلمين يدعون اليه في شعوب الافرنج دعوة صحيحة تؤيدها افعالهم واخلاقهم لدخل الناس فيه افواجا لشدة الحاجة الى الدين المعقول الذي يتفق مع العمران في هذا العصر بعد ظهور مفاسد التعاليم المادية ولقوة استقلال أفكار تلك الشعوب الغربية ولو اعطي مشركو العرب هذه الحرية وعوملوا هذه المعاملة لبقيت عبادة

الاصنام سائدة في جزيرة العرب كلها، وفي مكة نفسها. ونتيجة ماشرحناه ان التسوية بين المشركين واهل الكتاب باطلة لاتصح بحال، ويترتب عليه ان ما ورد في المشركين من النصوص لايجري على اهل الكتاب بذلك النص بل يحتاج اجراؤه عليهم الى دليل آخر

وما نقل مخالفا لهذا التحقيق من بعض الآثار أو اقوال العلماء فهو إما خاص باناس باعيانهم أوتساهل في اطلاق الخاص على العام فيما يرى المطلق له أن الحكم في العام والخاص واحد، وقد يكون مخطئا في ذلك وقد يكون مصيبا

حكم الزوجية مع اختلاف الدار والدين

بقي ادعاء المنتقد ان آية الممتحنة (فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) نص أصولي في المسألة وهي قد نزلت عقب صلح الحديبية في النساء المؤمنات اللاتي هاجرن من بلاد الشرك الى دار الاسلام والهجرة وطلبهن أزواجهن، نهى الله تعالى عن إرجاعهن الى الكفار في دار الشرك عملا بما اشترطوه في الصلح من إرجاع من يجيء النبي (ص) منهم مسلما تخصيصاً لعموم الشرط بجعله للرجال المحاربين، وسورة الممتحنة نزلت بعد سورة البقرة التى حرمت المؤمنات على المشركين فهي في واقعة معينة مع المشركين سبق فيها نص قطعي فبنيت عليه فالمراد بالكفار فيها المشركون بدليل نزولها في واقعة معهم وسبق بيان حكم الله تعالى في تحريم مناكحتهم بعد ان كانت مباحة قبل نزول التحريم في المدينة

والاصل في وقائع الاعيان أنها لاعموم لها فان تسامحنا وقلنا بجواز عمومها فلا يمكن أن نقول إنه نص أصولي قطعي والاحتمال قائم وقد صرح المفسرون بنزولها في المشركين خاصة وهو مروي عن مجاهد كما في صحيح البخاري. وقد اختلف الفقهاء في الموجب لفرقة المرأة من زوجها في مثل هذه الحالة هل هو اسلامها أو هجرتها؟ فقال أبوحنيفة ومن وافقه هو اختلاف الدارين اذ لم يكن النبي (ص) يفرق بين المرأة التي تسلم وبين زوجها المشرك في الدار الواحدة كمكة وقد أطال الامام الجصاص الحنفي فى ترجيح هذا القول فى تفسير الآية من كتابه أحكام القرآن. وقال الجمهور ان الموجب لذلك الايمان، قال ابن العربي بعد ذكره هذا الحكم في كتابه أحكام القرآن:

(المسألة التاسعة) (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن) يعني اذا أسلمن وانقضت عدتهن لما ثبت من تحريم نكاح المشركة والمعتدة فعاد جواز النكاح الى حالة الايمان ضرورة

(المسألة العاشرة) قوله (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) هـذا بيان لامتناع نكاح المشركة من جملة الكوافر وهو تفسيره والمراد به قال أهل التفسير أمر الله تعالى من كان له زوجة مشركة أن يطلقها وقد كان الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون الكافرات ثم نسخ الله ذلك في هذه الآية وغيرها . اهـ المراد منه

فهذا المفسر المحقق القائل بأن علة التحريم ايمان المرأة يقول ان الآية خاصة بنكاح المشركة من جملة الكوافر ومثله قول البيضاوي في تفسير (ولا تمسكوا بعصم الكوافر قال «والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات» والاول أصرح في التخصيص. وكل منهما يؤيد قولنا إن كلمة الكفار والكوافر لا عموم لها هنا وانما هي خاصة بأهل الشرك من الكفار فان ساغ لنا أن نرد هذا القول فلا يمكن أن نعلل الرد بأن العموم فيها نص أصولي لا يحتمل غير هذا المعنى . ويؤيد هذا ما اقره المنتقد من الروايات في الاستدلال على تحريم المسلمة على الكتابي بالسنة فكانت حجة عليه لا له وهي

(١) ما رواه البخاري عن ابن عمر من تحريم النصرانية وتعليله بأنها مشركة وقد تقدم أنه أثر شاذ مخالف لاجماع الصحابة ونص آية المائدة ، وقد صرح بهذا القسطلاني وغيره من شراح البخاري وذكروا في رده أيضاً ان بعض السلف قالوا إن المراد بالمشركات في آية البقرة عبدة الاوثان — وقول من قال من العلماء إن الذين قالوا من اليهود والنصارى العزير ابن الله والمسيح ابن الله طائفتان منهما لا كلهم - - فهل يدخل عند المنتقد في مفهوم السنة رأي شاذ لصحابي أجمع السلف والخلف من أهل السنة على رفضه وغلطه في تأوله الآية له ؟ ؟

(٢) مارواه البخاري في باب (نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن) عن ابن عباس قال: كان المشركون على منزلتين من رسول الله (ص) والمؤمنين — كانوا مشركي أهل حرب يقاتلهم ويقاتلونه، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه . . (قال المنتقد) فلم يذكر ابن عباس قسما ثالثاً للمشركين فدل على أن اهل الكتاب منهم

ونقول إن ابن عباس لم يذكر قسما ثالثاً لان أهل الكتاب ليسوا من صنف المشركين وإلا لجعلهم ثلاثة أقسام الثالث أهل الذمة الذين أقرهم (ص) على دينهم وعقد بينه وبين من يجاوره منهم اتفاقا معروفا في كتب الحديث والسير فليراجعه في الهدي النبوي ليعلم الفرق بين معاملته لهم ومعاملته للمشركين

(٣) ما ذكره البخاري عن ابن عباس تعليقاً لا مسنداً كما توهم المنتقد في (باب اذا اسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي) وهو حجة عليه بعطف النصرانية على المشركه فان العطف يقتضي المغايرة

واما المسألة أو المسائل التى أورد البخاري هذه الآثار فيها فهي ماتقدم آنفا في الكلام على آية الممتحنة من الخلاف في المسلمة اذا هاجرت من دار الحرب الى دار الاسلام هل ينقطع نكاحها اذا كانت متزوجة حالا أو بعد انقضاء العدة أو يستمر الى ما بعد ذلك بحيث اذا أسلم زوجها وهاجر تحل له بالنكاح الاول ؟ وهل الانقطاع باختلاف دار الحرب أم باختلاف الدين ؟ ويتبعها ماهو أعم منها وهو الحكم في اسلام المرأة قبل زوجها ولو في دار الاسلام ومذهب البخاري في هذا الباب موافق لما نقله عن عطاء ومجاهد من كون انقطاع النكاح باختلاف الدين . وهو قد نقل في هذا الباب عن مجاهد أن آية الممتحنة نزلت في العهد الذي كان بين النبى (ص) ومشركي مكة — ولم ينقل المنتقد هذه الجملة عنه (!!) ومن أهم ماورد في السنة في أصل المسألة مارواه احمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس أن النبي (ص) رد ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع بالنكاح الاول بعد سنتين وفي رواية ست سنين من اسلامها ولم يحدث عقداجديدا ولاصداقا — قيل إن رواية ست سنين هي مابين اسلامها واسلامه ورواية سنتين مابين نزول آية التحريم واسلامه، ويحتمل أن يكون مرادهم بآية التحريم آية البقرة وهي لا تنافي قول أهل السير انه اسلم قبل صلح الحديبية. والتحقيق في حكم المسألة كماقال ابن القيم أن الكافرة اذا اسلمت وبقي زوجها كافرا يكون نكاحها موقوفا الى انقضاء العدة فان انقضت ولم يسلم كان لها أن تتزوج فان احبت انتظاره واسلم بعد انقضائها كانت زوجته بالعقد الاول

وأما ماذكر في هذه الآثار من تحريم المسلمة على الكتابي فليس من نصوص الكتاب ولا من نصوص السنة ، فهو ليس من موضوع انتقاده علينا إذ لسنا نحل المسلمة للكتابي، ولو كان إثبات تحريمها عليه مقصوراً على هذه الآثار لكان في غاية الضعف

أدلة تحريم المسلمة على الكتابي

قلنا في تفسيرنا لقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) مانصه:

وأما الكتابيات فقد جاء في سورة المائدة أنهن حل لنا وسكت هناك عن تزويج الكتابي بالمسلمة وقالوا — ورضيه الاستاذ الامام — إنه على

أصل المنع وأيدوه بالسنة والاجماع . ولكن قد يقال ان الاصل الاباحة في الجميع فجاء النص بتحريم المشركين والمشركات تغليظاً لامر الشرك ، وبحل الكتابيات تألفا لاهل الكتاب ليروا حسن معاملتنا وسهولة شريعتنا، وهذا إنما يظهر بالتزوج منهم لان الرجل هو صاحب الولاية والسلطة على المراة فاذا هو احسن معاملتها كان ذلك دليلا على أن ما هو عليه من الدين ، يدعو الى الحق والى طريق مستقيم ، واما تزويجهم بالمؤمنات فلا تظهر فيه هذه الفائدة لان المراة اسيرة الرجل ولا سيما في ملل ليس للنساء فيها من الحقوق مثل ما اعطاهن الاسلام — فقد يصح ان يكون هذا هو المراد من النصين فى السورتين . واذا قامت بعد ذلك ادلة من السنة او الاجماع او من التعليل الآتي لمنع مناكحة اهل الشرك على تحريم تزويج الكتابي بالمسلمة فلها حكمها لا عملا بالاصل اونص الكتاب بل عملا بهذه الادلة اه (ص ٣٥٥ ج٢ تفسير)

ونقول الآن اما كونه غير عمل بالاصل فلان المسلمين كانوا يتزوجون بالمشركات قبل نزول الآية— واما كونه غير عمل بالنص فالمراد به القطعي وهو موضع الخلاف وقد بينا وجهه ودفعنا الشبهات عنه . واما التعليل الذي قلنا انه يؤيد السنة والاجماع فى تحريم المسلمة على الكتابي فهو قوله تعالى (اولئك يدعون الى النار) وقد بينا فى تفسير الآية انه يتحقق فى تزوج الكتابي بالمسلمة دون تزوج المسلم بالكتابية فراجعه فى محله (ص ٣٥٩ منه)

ويجوز أن يستدل على ذلك بقوله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) وهو ليس نصا قطعيا في المسألة لاظاهراً فيها ولكنه دليل صحيح يثبت الحكم مع عدم معارضته بنص اقوى منه .

واذا كان المنتقد لا يرضيه من الادلة على حظر تزويج المسلمة للكتابي السنة المتبعة وإجماع الامة والقياس الجلي المأخوذ من العلة المنصوصة في القرآن وان شئت قلت وفحوى القرآن وبعض الظواهر العامة — بل يطلب عليه نصا اصوليا لايحتمل التأويل فهذا التزام لم يلتزمه أحد من السلف ولا من الخلف في شيء من أحكام الدين العملية ، فهذه هيئة الصلاة التي هي عماد الدين لم ترد في نصوص القرآن القطعية ولا غير القطعية فأين النص فيه على ان الصلوات خمس واحدة منها ركعتان وواحدة ثلاث ركعات والبواقي رباعيات؟ واين النص فيه على توحيد الركوع وتثنية السجود؟ وانما ثبتت هذه الاركان بالسنة والاجماع . والفقهاء متفقون على

ان احكام الفروع تثبت بالادلة الظنية ، ومرادهم بالفروع ما يتعلق بالعمل من عبادات ومعاملات لا ما فهمه المنتقد ، وقد زاد هذا الرد على ما قدرنا فعسى أن يكون مقنعا له ، ووفقنا الله تعالى وإياه لاتباع الحق في كل حال .

﴿ موقف العالم الاسلامي مع الجمهورية التركية ﴾

ان كل ما قرر في الجمعية الوطنية للجمهورية التركية من إلغاء الخلافة والمحاكم الشرعية والتعليم الديني والاوقاف قدحف في أثناء المناقشة بتأويلات وتمويهات مما لفقه سيد بك وامثاله لاقناع المتدينين من اعضائها أو إلزامهم الحجة بأنه لا ينقض شيئا من عرى الاسلام ولا يهدم شيئا من أركانه وانما هو اصلاح لحال الامة التركية اذا لم يوافق نصوص الشرع فانه يوافق مقاصده والظاهر أنهم تحروا في انتخاب الاعضاء أن لا يكون فيهم أحد من علماء الشرع الاعلام، الجامعين بين قوة الايمان وطلاقة اللسان وجراءة الجنان، اذلم ينقل الينا عن أحد منهم دفاع يدل على ذلك

ولما كانت هذه التأويلات الخادعة مضلة للمسلم الجاهل، وشبهة للمنافق الضال، ومزلة للمحب الغال، وجب علينا أن نفندها، ونبين الحق الصراح فيها، كافندنا بدعة الخلافة الروحانية التي بدؤا خطتهم بها،ونحن لا نكفر شخصاً معيناً الا بكفر بواح باجماع اهل الحق ، وانما نبين الاحكام ونترك تطبيقها الى القارىء

ورأينا أنه يجب على العالم الاسلامي أن يزداد عطفا على الشعب التركي وعناية بأمره ودفاعاعنه، وأن لا يقصر في الدفاع عن حكومته أيضاًفيما تختلف فيه مع الاجانب، ولكن من أكبر الجنايات عليه وعلى الاسلام أن يتأولوا لهذه الحكومة ويواتوها في أي عمل من الاعمال التي تضعف الدين أو الشرع في هذه الامة بل من أكبر المحرمات ان يسكتوا لها عن شيء من ذلك كما كان يفعل أكثرهم من قبل في الدفاع عن السلطان عبد الحميد ثم عن الاتحاديين الذين تغلبوا عليه وخلعوه فكانوا شراً منه، وقد خلفهم الكماليون فكان الافتتان بهم أشد منه بمن قبلهم، ولم يلبثوا أن هتكوا الستر فانقلب العالم الاسلامي كله عليهم، وبعد ان أشبعوهم طعناولعنا وتكفيرا عاد بعضهم الى نوط الآمال بهم ، والتأول لهم ، والرضى منهم بأسماء يسمونها ماأنزل الله بها من سلطان

هذا النوع من المحبة والعطف الذي جرى عليه الكثيرون من مسلمي الهند ومصر وتونس قد أضر الترك ولم ينفعهم ؛ وهو هو الذي أنطق عصمت

باشا بأن العالم الاسلامي لم يكن يعطف على الدولة التركية ويظاهرها لانها دولة الخلافة بل لانها قوية ، وقد أنكر عليه الكثيرون هذه الكلمة وعدوها من الغرور ، وهو فيها معذور أي معذور ، فان العالم الاسلامي لم يكن يشعر بخلافة العثمانيين في وقت من الاوقات كما يشعر بها في عهد السلطان عبد الحميد، ولم يلقب أحد بالخليفة في الجرائد والقصائد غيره أو مثله، ثم أسقطته جمعية ماسونية إلحادية ونصبت بعده آخر لم تجعل له أمراً ولا نهياً ، فلم تر من العالم الاسلامي الا مدحاً وإعجابا ، ثم جاءت شيعة الكمالية فجعلت الحكومة جمهورية ، وأزالت سلطة الخلافة من الدولة ، ولكنها سخرت من هذا العالم الاسلامي بتسمية خليفة أخذت عليه العهود والمواثيق بأن لا يكون خليفة فرضي، فصفق لها الجماهير، وقالوا إن هذه إلا خلافة الراشدين ! !

ومن العجيب ان بعض المتحككين بالسياسة من المسلمين لا يزالون يحمدون كل ما تفعله بشرط ان تحافظ على بعض الالفاظ الاسلامية محافظة رسمية كأن تسمي الحكومة الجمهورية التي تعطي جمعيتها الوطنية حق التشريع والتنفيذ بلا شرط ولا قيد «حكومة الخلافة» — وتسمي إلغاء المحاكم الشرعية توحيداً للقضاء، وإبطال المدارس الدينية تنظيما للمعارف . . . ولا يعقل لهذا سبب الا الاعتزاز بالقوة ولو وهميا ، ومن هؤلاء السياسيين من يفهم الحقائق ولكنهم كانوا قد ألقوا انفسهم في ورطة ثم راوا انفسهم عاجزين عن الخروج منها بغير التأويل لمصطفى كمال وشيعته كل ما يفعل الا إلغاء كلمة «خلافة» !!!

(تصحيح او تنقيح)

عند جمع ما نشر من التفسير في هذا الجزء وما قبله وطبعه على حدته صححنا ونقحنا بعض عباراته وقد تكرر ولا يزال يتكرر مثل هذا فلا نضمه في تصحيح اغلاط المنار

وقد اعدنا النظر في فتوى الخلافة فصححنا ونقحنا فيها ما يأتي :

حذف في السطر ١٣ ص ٢٦٠ عبارة «من قبل جماعة» لان هذه الاجوبة يقولها كل احد. وحذف من س ٢١ و ٢٢ منها جملة : وربما يدل الخ ووضع بدلها : وقد استدل الحافظ بامامة اليمانيين على بقاء الامامة في قريش الى عصره وكانوا زيدية فيراجع في شرح حديث «لا يزال هذا الامر في قريش...» من شرحه للبخاري

وحذف من س ٢٤ ص ٢٦٤ «اولا ولا ثانيا لهذا» ووضع بدلها « لاجل السمع والطاعة » فيحسن بكل قاريء ان يصحح نسخته بما ذكر



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومناراً » كمنار الطريق

٢٩ ذي القعدة ١٣٤٢ — ١٠ الجوزاء ١٣٠٣ — ٢ يوليه ١٩٢٤

تفسير القرآن الحكيم

(١٢٦) وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ؟ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا . قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

خاف ملأ فرعون عاقبة تركه لموسى حراً مطلقا في مصر فكلموه في ذلك وقد أخبرنا الله تعالى بما قالوه له وما أجابهم به وما كان من تأثير جوابه في

موسى وقومه من نصحه لهم وما دار بين موسى وبينهم في ذلك فقال

﴿ وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك ؟ ﴾ اي قالوا له أتترك موسى وقومه أحرارا آمنين لتكون عاقبتهم ان يفسدوا قومك عليك في أرض مصر بادخالهم في دينهم ، وجعلهم تحت سلطانهم ورياستهم ، ويتركك مع آلهتك كالشيء اللقاء فيظهر للمصريين عجزك وعجزها، وقد رأيت ما كان من أمر ايمان السحرة — إذ الظاهر من السياق أن هذا القول كان بعد قصة السحرة — وسيأتي ما فيه . وجمهور المفسرين على المراد بتركه وآلهته عدم عبادته وعبادتها ، وقرأ ابن عباس (وإلاهتك) أي عبادتك . ومن المعلوم من التاريخ المستمد من العاديات المستخرجة من أرض مصر انه كان للمصريين آلهة كثيرة منها الشمس فان اسمها في لغتهم (رع) وهو متضمن في لقب فرعون فهو عندهم سليل الشمس وابنها ، وسننقل بعد جوابه لهم أثرا يدل على ذلك ويذكر فيه بعض هذه الآلهة

﴿ قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم ﴾ أي قال مجيبا الملأ سنقتل أبناء قومه تقتيلا ما تناسلوا — فتعبيره بالتقتيل يدل على التكثير والتدريج — ونستبقي نساءهم أحياء كما كنا نفعل من قبل ولادته حتى ينقرضوا .

﴿ وانا فوقهم قاهرون ﴾ وانا مستعلون عليهم بالغلبة والسلطان قاهرون لهم كما كنا من قبل فلا يستطيعون افسادا في ارضنا ، ولا خروجا من حظيرة تعبيدنا . ولكنه سكت عن موسى نفسه فلم يعد ملأه بعقابه ، لأنه شعر بأنه معصوم منه ، ورأى ان هذه العصمة خاصة به ، فلا تتعداه الى حفظ قومه

والمرجح عند المتأخرين من المؤرخين الواقفين على العاديات المصرية ان فرعون موسى هو الملك (منفتاح) وكان يلقب بسليل الاله (رع) وقد جاء في آخر الاثر المصري الوحيد الذي ذكر فيه بنو اسرائيل (وهو المعروف برقم ٣٤٠٢٥ المحفوظ في متحف مصر) ان مصر هي السليلة الوحيدة للمعبود (رع) منذ وجود الآلهة وان « منفتاح » سليله ايضا وهو الجالس على سدة المعبود « شو » وان الاله « رع » التفت الى مصر فولد « منفتاح » ملك مصر وشيء له ان يكون مناضلا عنها فتخنع له الولاة ولا يرفع أحد من البدو

رأسه تخضع له القبروانيون والحيثيون والكنعانيون وعسقلان وجزال وينمام

وفيه: وانفك الاسرائيليون فلا بزرلهم وأصبحت فلسطين خلية لمصر (١) والاراضي كلها مضمومة في حفظه، وكل اسم وعفه «اضعفه واذله» الصيدن القب (منفتاح) سليل الشمس معطي المعيشة كل نهار مثل الشمس اه (٢) وماذكر لا ينافي ادعاءه الانفراد بالالوهية والربوبية العليا بعد وقوله: فلا بزر لهم هو بمعنى قولنا انقطع دابرهم يستعمل في الحقيقة وفي المجاز من باب المبالغة او بالنظر الى المآل

ومن البديهي أن يخاف بنو اسرائيل هذا الوعيد وان يطمأنهم موسى عليه السلام وهو ما بينه تعالى بقوله ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا، ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ أي اطلبوا معونة الله تعالى وتأييده لكم على ما سمعتم من الوعيد واصبروا ولا تجزعوا، فان سألتم لماذا والى متى؟ أقل لكم إن الارض — جنسها أو الارض التي وعدكم ربكم إياها وهي فلسطين - لله تعالى الذي بيده ملكوت كل شيء يورثها من يشاء من عباده لا لفرعون فهي بحسب سنته تعالى دول والعاقبة الحسنة التي ينتهي اليها التنازع بين الامم للمتقين أي الذين يتقون الله بمراعاة سننه في أسباب ارث الارض كالاتحاد وجمع الكلمة، والاعتصام بالحق، وإقامة العدل، والصبر على المكاره، والاستعانة بالله ولا سيما عند الشدائد، ونحو ذلك مما هدى اليه وحيه وايدته التجارب. ومراده عليه السلام ان العاقبة ستكون لكم بارث الارض ولكن بشرط أن تكونوا من المتقين له تعالى باقامة شرعه، والسير على سننه في نظام خلقه، وليس الامر كما تتوهمون ويتوهم فرعون وقومه من بقاء القوي على قوته والضعيف على ضعفه، او ان الآلهة الباطلة ضمنت لفرعون بقاء ملكه، على عظمته وجبروته وظلمه

ماذا كان من تأثير وصية موسى عليه السلام لقومه؟ وهل فهموها وقدروها قدرها؟ وبم اجابوه؟ ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾ يعنون أنهم لم يستفيدوا من إرساله لانقاذهم من ظلم فرعون شيئاً فهو يؤذيهم

(١) الخلية التي لا زوج لها وهذا كناية عن كون فلسطين تحت كفالة مصر وتصرف فرعونها ويؤيده ما يجيء بعد فليحفظ

(٢) تراجع ترجمه هذا الاثر في ص ٣٨٧ م ١٨ من المنار

ويظلمهم بعد إرساله كما كان يؤذيهم من قبله أو أشد — وهذا الايذاء مبين في الفصل الخامس من سفر الخروج من التوراة ففيه ان موسى وهارون لما طلبا من فرعون إطلاق بني اسرائيل لكي يعبدوه ويعيدوا له في البرية ويذبحوا له، قال لهما لماذا تعطلان الشعب عن أعماله — وأمر فرعون في ذلك اليوم مسخري الشعب ومدبريه أن يمتنعوا من اعطائه التبن الذي كانوا يعطونه إياه ليعمل به اللبن (الطوب النيّ) الذي كان مفروضا عليهم كل يوم وان يكلفوه جمع التبن من البلاد ولا ينقصوا من عدد اللبن المفروض عليه شيئا ، فتفرق الشعب في جميع ارض مصر ليجمعوا جذامة *) عوض التبن فعجزوا عن تمام المقدار المفروض عليهم من اللبن والمسخرون يلحون عليهم : أكملوا فريضة كل يوم كما كانت عند ما كنتم تعطون التبن، فجاء مدبرو بني اسرائيل الذين ولاهم عليهم المسخرون لهم من قبل فرعون واستغاثوا فرعون نفسه قائلين (١٥) لماذا تصنع بعبيدك هكذا؟ (١٦) انه لا يعطى لعبيدك تبن وهم يقولون لنا اعملوا لبنا، وها ان عبيدك يُضربون وشعبك يعاملون كمذنبين (١٧) قال انما انتم مترفهون ولذلك تقولون نمضي ونذبح للرب (١٨) والآن فامضوا اعملوا ، وتبن لا يعطى لكم، ومقدار اللبن تقدمونه (١٩) فرأى مدبرو بني اسرائيل نفوسهم في شقاء اذ قيل لا تنقصوا من لبنكم شيئا بل فريضة كل يوم في يومها (٢٠) وصادفوا موسى وهارون وهما واقفان للقائهم عند خروجهم من عند فرعون (٢١ فقالوا لهما ينظر الرب ويحكم عليكما كما افسدتما أمرنا عند فرعون وعند عبيده وجعلتما في أيديهم سيفا ليقتلونا » انتهى المراد منه

﴿ قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ﴾ اي قال موسى عليه السلام ان المرجوّ من فضل ربكم ان يهلك عدوكم الذي سخركم وآذاكم بظلمه ويجعلكم خلفاء في الارض التي وعدكم إياها، ويمنعكم فرعون من الخروج اليها ، فينظر سبحانه كيف تعملون بعد استخلافه اياكم فيها : هل تشكرون النعمة أم تكفرون ؟ وهل تصلحون في الارض أم تفسدون ؟ ليجازيكم في الدنيا والآخرة بما تعملون

*) الجذامة بالضم ما بقي من الزرع في الارض بعد الحصد

وقد عبر بعسى ولم يقطع بالوعد لئلا يتكلوا ويتركوا ما يجب من العمل او لئلا يكذبوه لضعف أنفسهم بما طال عليهم من الذل والاستخذاء لفرعون وقومه واستعظامهم لملكه وقوته وفي التوراة ما يؤيد هذا وما قبله

جاء في آخر الفصل الخامس من سفر الخروج بعد ما نقلناه آنفا (٢٢) فرجع موسى الى الرب وقال يارب لماذا ابتليت هؤلاء الشعب لماذا بعثتنى (٢٣) فاني منذ دخلت على فرعون لاتكلم باسمك أساء الى هؤلاء الشعب وانت لم تنقذ شعبك »

وفي اول الفصل السادس منه (١) فقال الرب لموسى: الآن ترى ما أصنع بفرعون انه بيد قديرة سيطلقهم وبيد قديرة سيطردهم من أرضه» —واعلمه بأنه اعطى ابراهيم واسحق عهدا بأن يعطيهم ارض كنعان وانه سمع أنين اسرائيل الذين استعبدهم المصريون فذكر عهده ـ ثم قال (٦) لذلك قل لبنى اسرائيل أنا الرب لاخرجنكم من تحت اثقال المصريين واخلصكم من عبوديتهم وافديكم بذراع مبسوطة واحكام عظيمة (٧) وأتخذكم لي شعبا وأكون لكم آلها وتعلمون اني انا الرب آلهكم المخرج لكم من تحت اثقال المصريين (٨) وسأدخلكم الارض التي رفعت يدي مقسما ان أعطيها لابراهيم واسحق ويعقوب فأعطيها لكم ميراثا أنا الرب (٩) فكلم موسى بذلك بنى اسرائيل فلم يسمعوا لموسى لضيق ارواحهم وعبوديتهم الشاقة » اه المراد منه ، وهو من ترجمة اليسوعيين كالذي قبله . ويليه عودة موسى الى فرعون ومطالبته باخراج بنى اسرائيل وامتناعه واظهار الرب الآيات له واحدة بعد اخرى كما يأتي مجملا في الآيات التالية

(فان قيل) ظاهر ترتيب الآيات هنا يفيد ان هذه المراجعة بين فرعون وملئه من جهة وبين موسى وبنى اسرائيل من جهة اخرى وقعت بعد قصة السحرة ، وسياق التوراة صريح في وقوعها قبلها وبعد تبليغ اصل الدعوة — فهل يجب ان نقول ان ظاهر السياق هنا غير مراد وهو معطوف بالواو التى لاتدل على الترتيب — أعني قوله (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه) الخ ليوافق التوراة وتتم به الحجة على رسالة نبينا (ص) من هذا الوجه وهو أنه كان أميا لا اطلاع له على التوراة ولا غيرها من كتب أهل الكتاب ولا غيرهم وانه لم يعلمه الا بوحي الله اليه ؟ كما قال تعالى عقب قصة نوح (ما كنت تعلمها أنت

ولا قومك من قبل هذا) وما في معناه من قصة موسى في سورة القصص؟

(قلنا) انه لا مانع من هذا الجمع ولا تتوقف الحجة عليه ، فان القرآن مشتمل على حجج كثيرة من هذا النوع ومن غيره تدل على كونه وحيا من الله تعالى لا يقدر على مثله محمد الامي (ص) ولا غيره من القارئين الكاتبين ايضا وهو على كونه كما قال مصدقا لكون تلك الكتب من عند الله تعالى اي في الاصل قد قال أيضا ان أهل التوراة والانجيل اوتوا نصيبا منهما ونسوا حظا ونصيباً آخر وانهم حرفوا بعض ما عندهم منها، وإنه هو اي القرآن مهيمن عليها، فما أقره منها فهو الذي لا شك فيه ، وما صححه بايراده مخالفا لما عندهم فهو الصحيح سواء كان بايراده إياه مخالفا لما فيها من بعض الوجوه ككون موسى هو الذي ألقى العصا فاذا هي حية واذا هي تلقف ما يأفكون لا هارون كما في التوراة ، أو دلت قواعده أو نصوصه على امتناعه كما جاء في اول الفصل الثامن من سفر الخروج من ان الرب جعل موسى إلها لفرعون ويكون اخوه هارون نبيه !! فأصول القرآن — وكذا التوراة — تمنع ان يكون إله غير الله عز وجل . وقد ثبت في تواريخ اهل الكتاب وغيرهم ان التوراة التي كتبها موسى عليه السلام قد فقدت وأن عزرا الكاتب هو الذي كتب الاسفار المقدسة بعد السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد وهو الذي استبدل الحروف الكلدانية بالعبرانية ، على ان ما كتبه عزرا قد فقد ايضا ولكن جميع نسخ التوراة الموجودة في العالم مستمدة مما كتبه وفيها تحريف كثير لا يمكن أن يكون من الاصل ويسمونه مشكلات يتكلفون الاجوبة عنها وقد بينا نموذجا منها من قبل ومنها ان الفصل الاخير من سفر التثنية وهو الاخير من التوراة قد ذكر فيه وفاة موسى عليه السلام وانه لم يقم بعده نبي مثله والمرجح عندهم ان يشوع هو الذي كتبه على أن فيه ذكر يشوع ..

ومما يوضح معجزة القرآن فيما أخبر به عن التوراة ويؤكدها خطأ المفسرين الكثيرين من المتقدمين والمتأخرين في تفسير بعضه وتعيين المراد منه لعدم اطلاعهم على ما عند أهل الكتاب منها ومن سائر كتبهم المقدسة وغيرها من التواريخ و العاديات المستخرجة من آثار قدماء المصريين والبابليين وانما كان جل ما يعرفون عن بني اسرائيل ما سمعوه ممن اسلم منهم وما كل من أسلم منهم بحفيظ عليم ثم ما اخذوه عن كتب تاريخية غير موثوق بها ، فكان

أكثر ما كتبوه في التفسير منها مشوها له وحجة لاهل الكتاب علينا — فاذا كان هذا حال علمائنا في اخبار اهل الكتاب بعد انتشار العلوم في الاسلام فكيف حال أهل مكة عند ظهوره ولم يكن فيها كتاب يقرأ ولا أحد يقرأ ويكتب قبل الا ستة نفر من التجار كانوا ممن يقال فيهم اليوم «يفكون الخط» فانى لمن كان أبعدهم عن ذلك وهو محمد بن عبدالله (ص) ان يعرف هذه الدقائق المفصلة السالمة من الشوائب التي لا يصدقها العقل أو لا تتفق مع توحيد الانبياء وفضائلهم لولا ما انزل عليه من الوحي الالهي ؟

(١٢٩) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ، أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

هذه الآيات تفصيل لمقدمات الهلاك الموعود به فيما قبلها وإنجاز وعد الله تعالى لبني اسرائيل بالاستخلاف في الارض

﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ﴾ صدرت الجملة بالقسم الدالة عليه لامه لتأكيد مضمونها وتعظيم شأنه وكيف لا وهو من أظهر آياته سبحانه على تأييد رسله وقدرته على الادالة للمظلومين المستضعفين من الاقوياء الظالمين . وقد كثر استعمال مادة «الاخذ» في العذاب وما في معناه كقوله تعالى (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد * فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر * فأخذناه أخذاً وبيلا (يعني فرعون موسى) فأخذهم أخذة رابية) وآل فرعون قومه كما أطلقه المفسرون، أو خاصته وأعوانه في أمور الدولة وهم الملا من قومه الذين كثر ذكرهم في قصته ووجهه أنهم هم المذنبون المعاندون لموسى وانما وقوع العذاب على غيرهم بالتبع لهم لانهم كانوا موافقين ومقرين لهم على ظلمهم وقد قال تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة) وهذه سنة من سنن الاجتماع العامة. وسيأتي توجيه القول الاول

وأصل اللغة أن آل الرجل أهل بيته وأقاربه الذين يضافون الى اسمه ، وهو لا يضاف الا الى أعلام شرفاء قومهم وكبرائهم كالانبياء والملوك والرؤساء ، ثم أطلق على أهل الاختصاص بهم او جميع أتباعهم ، ومن هنا قالوا ان آل النبي (ص) يطلق على جميع أتباعه وان هذا هو المراد بالصلاة على آل النبي في التشهد وغيره. قال الراغب: الآل قيل مقلوب عن الاهل ويصغر على هيل إلا أنه خص بالاضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات ودون الازمنة والامكنة يقال آل فلان ولا يقال آل رجل ولا آل زمان كذا أو موضع كذا ولا يقال آل الخياط بل يضاف الى الاشرف الافضل يقال آل الله وآل السلطان، والاهل يضاف الى الكل يقال أهل الله وأهل الخياط كما يقال أهل زمن كذا وبلد كذا. وقيل هو في الاصل اسم الشخص ويصغر أويلا ويستعمل فيمن يختص بالانسان اختصاصاً ذاتيا إما بقرابة قريبة أو بموالاة قال عز وجل (وآل ابراهيم وآل عمران) وقال : (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قيل وآل النبي عليه الصلاة والسلام أقاربه وقيل المختصون به من حيث العلم وذلك أن أهل الدين ضربان ضرب متخصص بالعلم المتقن والعمل المحكم فيقال لهم آل النبي وأمته وضرب يختصون بالعلم[1] على سبيل التقليد ويقال لهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام ولا يقال لهم آله، فكل آل للنبي أمة له وليس كل أمة له آله. وقيل لجعفر الصادق رضي الله عنه: الناس يقولون المسلمون كلهم آل النبي عليه الصلاة والسلام، فقال كذبوا وصدقوا، فقيل ما معنى ذلك ؟ فقال كذبوا في ان الامة كافتهم آله وصدقوا في أنهم إذا قاموا بشرائط شريعته آله. وقوله تعالى (رجل مؤمن من آل فرعون) أي من المختصين به وبشريعته وجعله منهم من حيث النسب أو المسكن لا من حيث تقدير القوم أنه على شريعتهم اه

بعد هذا نقول إن « آل فرعون » أطلق في القرآن على أهل بيته خاصة في موضع واحد لا يحتمل غيرهم وفي موضع آخر يحتمل لغيرهم فالاول قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا) والثاني قوله (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) وأطلق كثيراً بمعنى ملئه وخاصة أتباعه أو جملتهم كقوله

(١) كذا في النسخة المطبوعة ولعل الصواب بالعمل فان التقليد لا يسمى علما

(وأغرقنا آل فرعون * أدخلوا آل فرعون أشد العذاب * وإذ نجينا كم من آل فرعون * وحاق بآل فرعون سوء العذاب * ولقد جاء آل فرعون النذر) كذلك كثر ذكر ملاء فرعون في إرسال موسى اليهم وما دار بين فرعون وبينه وهم أشراف قومه ورجال دولته كما تقدم ولولا أن ورد ذكر قومه في بعض الآيات لحملنا الآل في الآية التي نحن بصدد تفسيرها وفي أمثالها عليهم دون سائر قومه فقد قال تعالى في أول قصة موسى من سورة الشعراء (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين * قوم فرعون ألا يتقون) وقال في سورة الدخان (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) الخ ومن الواضح أن عامة قوم فرعون يناهلم من عذاب الاخذ بالسنين ونقص الثمرات ما لا ينال فرعون وأهل بيته وخاصة ملئه فالمراد باله قومه وهم أهل مصر في عهده ، وهم مؤاخذون بظلمه وطغيانه لان قوته المالية والجندية منهم ؛ وقد خلقهم الله أحراراً وكرمهم بالعقل والفطرة التي تكره الظلم والطغيان بالغريزة فكان حقا عليهم أن لا يقبلوا استعباده لهم وجعلهم آلة لطغيانه وإرضاء كبريائه وشهواته

وأما السنون فهي جمع سنة وهي بمعنى الحول ولكن أكثر ما تستعمل في الحول الذي فيه الجدب كما قال الراغب وغيره أي الا اذا ذكرت في مقام العدد والاحصاء . والاخذ بالسنين صريح في ارادة العقاب بالجدب والضيق ويؤيده نقص الثمرات ، وهل يدخل نقص الثمرات في عموم المراد من السنين أم هي خاصة بنقص الغلال التي عليها مدار الاقوات دون الفاكهة التي لا تكفي للقوت وان كان منها النخيل والاعناب ؟ وجهان ونقص الثمرات نص على شدة الضيق في كل حال ، وهذا إجمال يفسره قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) وما هو ببعيد

وجملة معنى الآية أنه تعالى أخذ آل فرعون بالجدب وضيق المعيشة لعلهم يتذكرون ضعفهم أمام قوة الله وعجز ملكهم الجبار المتغطرس وعجز آلهتهم ولعلهم اذا تذكروا اعتبروا واتعظوا فرجعوا عن ظلمهم لبني اسرائيل وأجابوا دعوة موسى عليه السلام ، فان الشدائد من شأنها أن ترقق القلوب وتهذب الطباع وتوجه الانفس الى مرضاة رب العالمين والتضرع له دون غيره من المعبودات التي اتخذت في الاصل وسائل اليه وشفعاء عنده ، ثم صار ينسى

في وقت الرخاء لانه غيب لا يرى وتذكرهي لانها مشاهدة مجانسة لعابديها بل هي أو اكثر هادونهم لوكانوا يعقلون، فاذا بلغ الشرك من الناس ان ينسوا الله تعالى حتى في أوقات الشدائد فذلك هو الضلال البعيد

كذلك كان دأب آل فرعون بعد إنذار موسى إياهم ﴿فاذا جاءتهم الحسنة﴾ من خصب ورخاء وهو الغالب ﴿قالوا لنا هذه﴾ دون غيرنا ونحن المستحقون لها بما لنا من التفوق على الناس ﴿ وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ﴾ أي وان اتفق ان أصابتهم سيئة أي حالة تسوءهم كجدب أو جائحة أو مصيبة أخرى في الابدان أو الارزاق تشاءموا بموسى ومن معه من الانصار كأخيه هارون أو جميع قومه ويرون أنهم انما اصيبوا بشؤمه وشؤمهم ، ويغفلون عن سيئات أنفسهم وظلمهم لقوم موسى لان هذا عندهم من الحقوق ، كما هو شأن الافرنج في ظلمهم لمن يستضعفونهم من أهل الشرق

أصل يطيروا يتطيروا فأدغمت التاء في الطاء وسبب استعمال التطير بمعنى التشاؤم أن العرب كانت تتوقع الخير والشر مما تراه من حركة الطير حتى انها تزجرها اذا لم تمر من تلقاء نفسها فاذا طارت من جهة اليمين تيمنت أي رجت وقوع اليمن والبركة والخير — واذا طارت من جهة الشمال تشاءمت وتوقعت الشر والمصيبة ، ويسمى الطائر الاول السانح والآخر البارح ، ثم إنهم سموا الشؤم طيراً وطائراً والتشاؤم تطيراً ، ولذلك قال تعالى في رد خرافتهم

﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ ابتدأ الرد عليهم بأداة الافتتاح « ألا » للاهتمام به إذ المراد بها توجيه ذهن القارىء لما يلقى بعدها حتى لا يفوته شيء منه ، أي الا فليعلموا ان الشؤم الذي نسبوه الى موسى وعدوه من آثار وجود فيهم هو عند الله تعالى لا عند موسى ومن معه ، فهو تعالى قد جعل لكل شيء قدرا من حسنة وسيئة بمعنى انه وضع لنظام الكون سننا تكون فيها المسببات على قدر الأسباب ، ولكل منها حكم ، فبمقتضى هذه السنن والاقدار ينزل البلاء عليهم ، وهو امتحان واختبار لهم بما يسوءهم ، ليتوبوا ويرجعوا عن ظلمهم وبغيهم على بني اسرائيل وطغيانهم واسرافهم في كل امورهم ، ولكن اكثرهم لا يعلمون حكم التصرف الرباني في الخلق ولا اسباب الخير والشر الصورية ولا المعنوية وكون كل شيء في هذا الكون بمشيئته تعالى وتدبيره

وفى الآية من نكت البلاغة انه عبر عن مجيء الحسنة باذا الدالة على تحقق الوقوع وعرّفها لافادة انها الاصل الثابت الغالب بغلبة رحمة الله وفضله على سخطه وعقابه ، وعبر باصابة السيئة بان التي هي اداة الشك — اي إن شرطها إما مشكوك في وقوعه وإما منزل منزلة المشكوك فيه لندرته أو لسبب اخر — ونكر السيئة لافادة ان وقوعها قليل وخلاف الاصل الغالب . وافاد بالتعبيرين ان القوم لم يتربوا بالحسنات ولا بالسيئات ، وان الحسنة على عظمتها وكثرتها ما زادتهم إلا غروراً بحالهم ، وتماديا في ظلمهم ، وإصراراً على بغيهم ، وان السيئة لم تفدهم عظة ولا عبرة ولم تحدث لهم توبة، وهاك تفصيل ذلك

(١٣١) وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (١٣٢) فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين

قلنا ان القوم لم يتربوا بالحسنات ولا بالسيئات . ولم يذعنوا لما ايد الله به تعالى موسى من الايات ، بل اصروا بعد ايمان كبار السحرة على عد آيتي موسى من السحر ﴿ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ﴾ «مهما» اسم شرط يدل على العموم ، والمعنى إنك إن تجئنا بكل نوع من انواع الآيات التي تستدل بها على حقية دعوتك لاجل ان تسحرنا بها اي تصرفنا بها بدقة ولطف في التأثير عما نحن عليه من ديننا ومن تسخيرنا لقومك في خدمتنا وضرب اللبن لمبانينا — فما نحن لك بمصدقين ، ولا لرسالتك بمتبعين

﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾ اي فأنزلنا عليهم هذه المصائب والنكبات حال كونها آيات بينات على صدق رسالة عبدنا موسى بأن توعدهم بها قبل وقوع كل واحدة منها تفصيلا لا إجمالا، لتكون دلالتها على صدقه واضحة لا تحتمل التأويل بأنها وقعت بأسباب لها لا دخل لرسالته فيها — فاستكبروا عن الايمان به استكباراً، مع اعتقاد صحة رسالته وصدق دعوته باطنا، وكانوا

قوماً راسخين في الاجرام والذنوب مصرين عليها فلا يهون عليهم تركها

جاء في سورة الاسراء — أو بني اسرائيل — أن الله تعالى أعطى موسى تسع آيات بينات وقد عد هنا منها خمساً وهي مذكورة في التوراة على غير هذا الترتيب وهو غير مراد وعطف بعضها على بعض بالواو لا يقتضيه :

فأما الطوفان فمعناه في اللغة ما طاف بالشيء وغشيه وغلب في طوفان الماء سواء كان من السماء أو الارض وكذا كل ما ينزل من السماء . قال ابن كثير اختلفوا في معناه فمن ابن عباس في روايات كثيرة : الامطار المغرقة المتلفة للزرع والثمار وبه قال الضحاك بن مزاحم ، وعن ابن عباس رواية أخرى هو كثرة الموت وكذا قال عطاء ، وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال، وقال ابن جرير : حدثنا ابن هشام الرفاعي حدثنا يحيى بن هيمان(١) حدثنا المنهال بن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن ميناء عن عائشة (رض) قالت قال رسول الله (ص) « الطوفان الموت » وكذا رواه ابن مردويه من حديث يحيى بن هيمان به وهو حديث غريب . وقال ابن عباس في رواية أخرى هو أمر من الله طاف بهم ثم قرأ (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) اه

أقول أما حديث عائشة المرفوع فهو ضعيف لا يثبت بمثله قول مخالف للمتبادر من اللغة — فيحيى بن هيمان الذي انفرد به هو الكوفي العجلي كان من العباد ضعفه الامام احمد وقال حدث عن الثوري بعجائب وقال غيره : إنه كان صدوقا لا يتعمد الكذب ولكنه كثير الخطأ والنسيان وقد أصيب بالفالج فتغير حفظه وهذا هو الصواب . والمنهال بن خليفة العجلي الكوفي الذي روي عنه ضعفه ابن معين وغيرهما وقال البخاري حديثه منكر وقال ابن حبان كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير فلا يجوز الاحتجاج به. وهذا طعن مبين السبب فهو مقدم على توثيق البزار له وكذلك الحجاج وهو ابن ارطاة الكوفي القاضي مدلس ضعيف لا يحتج به ، وأولى الآثار بالقبول قول ابن عباس الاول الموافق للمتبادر من اللغة اي طوفان المطر، وماعدا ذلك فمن الاسرائيليات واولاها بالقبول مالا يخالف القرآن من اسفار التوراة نفسها وهو ما ننقله عنها :

جاء في الفصل التاسع من سفر الخروج : (١٣) ثم قال الرب لموسى بكر

---

(١) في النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية يحيي بن سمان وهو غلط

في الغداة وقف بين يدي فرعون وقل له : كذا قال الرب اله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني (١٤) فاني في هذه المرة منزل جميع ضرباتي على قلبك وعلى عبيدك وشعبك لكي تعلم انه ليس مثلي في جميع الارض (١٥) وأنا الآن أمد يدي وأضربك أنت وشعبك بالوباء فتضمحل من الارض * (١٦) غير اني لهذا ابقيك لكي أريك قوتي ولكي يخبر باسمي في جميع الارض (١٧) وأنت لم تزل مقاوماً لشعبي (١٨) ها أنا ممطر في مثل هذا الوقت من غد برداً عظيما جدا لم يكن مثله في مصر منذ يوم أسست الى الآن » ثم ذكر وقوع البرد مع نار من السماء ووصف عظمته وشموله لجميع بلاد مصر وان فرعون طلب موسى وهارون واعترف لهما بخطئه وطلب منهما أن يشفعا الى الرب ليكف هذه النكبة عن مصر ووعدهما باطلاق بنى اسرائيل وقال في ختام ذلك

(٣٣) فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون وبسط يديه الى الرب فكفت الرعود والبرد ولم يعد المطر يهطل على الارض » اه ولم يذكر المطر عند الوعيد بل ذكر هنا عند كف النكبة

وأما الجراد فهو معروف وقد ذكر في التوراة بعد الطوفان ففيها بعدما تقدم أن فرعون قسا قلبه فلم يطلق بنى اسرائيل فأخبر الرب موسى في الفصل العاشر بأنه قسى قلبه وقلوب عبيده ليريهم آياته ولكي يقص موسى على ابنه وابن ابنه (كذا) مافعل بالمصريين وأمره بأن ينذره بارسال الجراد عليهم فيأكل ماسلم من النبات والشجر فلم يحسه البرد ويملأ بيوته وبيوت عبيده وسائر بيوت المصريين ففعل — فرضي فرعون أن يذهب الرجال من بنى اسرائيل ليعبدوا ربهم دون النساء والاولاد والمواشي - - فمد موسى عصاه بأمر الرب على أرض

---

*) هذا نص ترجمة اليسوعيين التي نقحها وصححها الشيخ ابراهيم اليازجي وهى مخالفة فى المعنى لترجمة الامريكان ونصها : « ١٥ فانه الآن لو كنت أمد يدي وأضربك وشعبك بالوباء لكنت تباد من الارض » فالأولى جزمت بالضرب بالوباء والثانية علقته بلو الدالة على عدم وقوعه والمتبادر أنها هي الصحيحة المعنى فتامل ولا تظن أن الترجمة التي صححها اليازجي خالية من الخطأ اللغوي كما يظن الغالون فيه وأقرب غلط فى هذا السياق أول الجملة ١٨ ها أنا .. فها التنبيهية تدخل على ضمير الرفع المخبر عنه باسم الاشارة فيقال ها أنا ذا (وقد تكتب هاء نذا اختصارا) — وها أنتم أولاء. وهذا الغلط قد تكرر فيها كغيرها وله أمثال

مصر فأرسل الرب ريحاً شرقية ساقت الجراد على أرض مصر (١٥) فغطى جميع وجه الارض حتى أظلمت الارض وأكل جميع عشبها وجميع ما تركه البرد من ثمر الشجر حتى لم يبق شيء من الخضرة في الشجر ولا في عشب الصحراء في جميع أرض مصر» وفيه أن فرعون استدعى موسى وهارون واعترف لهما بخطئه وطلب منهما الصفح والشفاعة الى الرب الههما أن يرفع عنه هذه التهلكة ففعلا فأرسل الله ريحاً غربية فحملت الجراد كله فألقته في بحر القلزم

وأما القمل بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة فمن ابن عباس هو السوس الذي يخرج من الحنطة وعنه أنه الدَّبى وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعن الحسن وسعيد بن جبير انه دواب سود صغار، وعن ابن جرير انها دابة تشبه القمل تأكل الابل، ونقل عن بعض علماء اللغة البصريين ان القمل عند العرب الحمنان واحدتها حمنانه وهي صغار القردان — ذكر هذا كله ابن كثير. وجزم الراغب بأن القمل صغار الذباب وهو موافق لما في التوراة ففيها ان البعوض والذبان كان من الضربات العشر التي ضرب الرب بها فرعون وقومه ليرسلو بني اسرائيل مع موسى ففي الفصل الثامن من سفر الخروج أن موسى انذر فرعون ان الذبان سيدخل بيوته وبيوت عبيده وسائر قومه فيفسدها ولا يدخل في بيوت بنى اسرائيل المقيمين في ارض جاسان وان ذلك وقع وفسدت الارض من تأثير الذبان.

وأما الضفادع فهي المعروفة لا خلاف فيها وفي أول الفصل الثامن من سفر الخروج (١) وقال الرب لموسى ادخل على فرعون وقل له كذا قال الرب أطلق شعبي ليعبدوني (٢) وان أبيت أن تطلقهم فها أنا (ذا) ضارب جميع تخومك بالضفادع (٣) فيفيض النهر ضفادع فتصعد وتنتشر في بيتك وفي مخدع فراشك وعلى سريرك وفي بيوت عبيدك وشعبك وفي تنانيرك ومعاجنك» الخ وكذلك كان ولكن فيها أن السحرة فعلوا مثل ذلك وأصعدوا الضفادع، وان فرعون طلب من موسى أن يشفع له عند ربه برفع الضفادع فأجابه الى ذلك قال (١٣) ففعل الرب كما قال موسى وماتت الضفادع من البيوت (؟) والاقبية والحقول (١٤) فجمعوها أكواماً وأنتنت الارض منها»

وأما الدم ففسره زيد بن أسلم بالرعاف وأكثر أهل التفسير المأثور أنه كان في مياه المصريين وهو موافق لما جاء في التوراة وهو فيها أول الضربات

العشر التي أنزلها الله على فرعون وقومه بعد انقلاب العصا ثعبانا ففي الفصل السابع من سفر الخروج أن الرب أمر موسى أن ينـذر فرعون ذلك ففعل (١٩) ثم قال الرب لموسى قل لهارون خذ عصاك ومدّ يدك على مياه المصريين وأنهارهم وخلجهم ومناقعهم وسائر مجامع مياههم فتصير دماً ويكون دم في جميع أرض مصر وفي الخشب وفي الحجارة » وفيه أن موسى وهارون — فعلا ذلك وان سمك النهر مات وأنتن النهر فلم يستطع المصريون أن يشربوا منه ، وفيه أن سحرة مصر فعلوا مثل ذلك (؟ ؟) وان الدم دام سبعة أيام

هذه الخمس جملة ماذكره القرآن من الآيات التسع التى أيد بها عبده ورسوله موسى عليه السلام وليس فيها شيء من المبالغات التي في التوراة فلاهو ينفيها ولا يؤيدها، ومقتضى أصول الاسلام الوقف فيها الا ما دل دليل من القرآن على نفيه كما تقدم . وفيها أن من تلك الآيات أوالضربات (البعوض)وذلك أن هارون ضرب بأمر الرب تراب الارض «فكان البعوض على الناس والبهائم ، وكل تراب الارض(؟) صار بعوضاً في جميع أرض مصر » (كذا في ٨ : ١٧ خر) وفيها أن السحرة فعلوا مثل ذلك !! (ومنها الوباء) وقع على دواب المصريين وأنعامهم فماتت كلها من دون مواشي الاسرائيليين فانه لم يمت منها شيء(ومنها البثور والقروح المنتفخة) أصابت الناس والبهائم،ومن أين جاءت البهائم بعد أن ماتت بأسرها ؟ (ومنها الظلام) غشي جميع المصريين ثلاثة أيام كان الاسرائيليون فيها يتمتعون بالنور وحدهم (ومنها إماتة جميع أبكار الناس والبهائم) وهي الضربة العاشرة ففيها « وقال موسى كذا قال الرب إني نحو نصف الليل أجتاز في وسط مصر فيموت كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشه الى بكر الأمة التي وراء الرحى وجميع أبكار البهائم (من أين جاءت بعد ان ماتت منذ ايام؟) ويكون صراخ عظيم في جميع أرض مصر لم يكن مثله ولن يكون مثله « ١١ : ٤ — ٦ خر)

---

(١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ

اذا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ

بعد بيان تلك الايات ذكر ما كان من تأثيرها وتأويلها معطوفا عليها فقال عز وجل ﴿ ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك : لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل ﴾ قال في الاساس : ارتجز الرعد اذا تداوك صوته كارتجاز الراجز . . والبحر يرتجز بآذيه أي موجه . . . فمادة الرجز تدل في أصل اللغة على الاضطراب كما قال الراغب وهو يكون في النفس كما يكون في الاجسام ومنه قوله تعالى في وصف الماء الذي أنزله على المسلمين في بدر (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته لهم بأن يأخذهم العطش فلا يستطيعون الصبر على القتال وقيل غير ذلك . وقد يكون في الصوت ومنه الرجز في الشعر سمي بما كان لهم من اضطراب الصوت في إنشاده ، وقد سمي عذاب قوم لوط رجزاً بقوله تعالى في سورة العنكبوت (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) وفي سورتي سبأ والجاثية انذار للكافرين بعذاب من رجز أليم . وفسر الرجز هنا بالعذاب وروي عن قتادة وفيه حديث مرفوع عن عائشة عند ابن مردويه ، وعن ابن عباس وسعيد بن جبير أن المراد به الطاعون . وكأنهما أخذاه من حديث أسامة بن زيد مرفوعا « الطاعون رجز أرسل على بني اسرائيل — أو على من كان قبلكم — فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » رواه مسلم عنه بهذا اللفظ وألفاظ أخرى بمعناه منها « الطاعون آية الرجز ابتلى الله به عز وجل أناساً من عباده » الخ وفي رواية له « هو عذاب أو رجز أرسله الله على طائفة من بني اسرائيل أو ناس كانوا قبلكم » الخ وأوله في بعضها « ان هذا الطاعون » الخ ورواه احمد والنسائي ومصنفو التفسير المأثور عنه وعن سعيد بن مالك وخزيمة بن ثابت ووجهه في اللغة أن الطاعون من الاوبئة التي تضطرب لها القلوب لشدة فتكها وذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية — الى قوله — فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون)

وهو يصدق بطائفة من بني اسرائيل وقد نزل الطاعون بهم كغيرهم مراراً

ولا يوجد حديث مرفوع يدل على أن الطاعون هو المراد بالرجز في الآية نفسرها وضربة القروح المذكورة في التوراة يجوز أن تكون هي الطاعون ، وموت الابكار يحتمل أن يكون بالطاعون أيضاً

والمتبادر من عبارة الآية أن المراد من الرجز جنسه وهو كل عذاب تضطرب له القلوب أو يضطرب له الناس في شؤونهم ومعايشهم وهو يشمل كل نقمة وجائحة أنزلها الله تعالى على قوم فرعون كالخمس المبينة في هذا السياق وفي التوراة أن فرعون كان يقول لموسى عند نزول كل منها ادع لنا ربك واشفع لنا عنده أن يرفع عنا هذه، ويعده بأن يرسل معه بني اسرائيل ليعبدوا ربهم ويذبحوا له ثم ينكث ، فاذا أريد بالرجز افراده وافق التوراة في ان فرعون وملأه كانوا يطلبون من موسى عند كل فرد منها ان يدعو ربه بكشفها عنهم، ولفظ « لما » لا يمنع من ذلك كما صرح به المفسرون الذين قالوا بهذا ، وان اريد به جملته ومجموع افراده او فرد آخر غير ما تقدم فالمتبادر ان يكون طلب كشفه قد وقع مرة واحدة ، والاول اظهر ويرجحه التعبير عن نكثهم بصيغة المضارع (ينكثون) فانه يدل على الاستمرار

ومعنى النظم الكريم : ولما وقع على فرعون وقومه ذلك العذاب المذكور في الآية السابقة فاضطربوا اضطراب الارشية في البئر البعيدة القعر، وحاصوا حيصة الحمر فوقعوا في حيص بيص — وهو ما يدل عليه تسمية ذلك العذاب بالرجز — قالوا عند نزول كل نوع منه بهم: يا موسى ادع لنا ربك واسأله بما عهد عندك من امر إرسالك الينا لانقاذ قومك ليعبدوه وحده — فالنبوة والرسالة عهد من الرب تعالى لمن اختصه بذلك يدل عليه قوله تعالى لابراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم (إني جاعلك للناس إماماً ، قال ومن ذريتي ، قال لا ينال عهدي الظالمين) — او ادعه بالذي عهد به اليك ان تدعوه به فيعطيك الآيات ويستجيب لك الدعاء — ان يكشف عنا هذا الرجز ، ونحن نقسم لك لئن كشفته عنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل قال تعالى:

﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون ﴾ اي فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد مرة الى اجل هم بالغوه ومنتهون اليه في كل

مرة منها — وهو عود الحال الى ما كانت عليه — او في مجموعها وهو الغرق الذي هلكوا فيه — اذا هم ينكثون عهدهم ويحنثون في قسمهم في كل مرة . اي فاجأوا بالنكث ، وبادروا الى الحنث ، بلا روية ولا ريث . واصل النكث في اللغة نقض ما غزل او ما فتل من الحبال ليعود انكاثا وطاقات من الخيوط كما كان . والانكاث ما نقض من الغزل ليغزل ثانية (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا)

﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ اي فانتقمنا منهم عند بلوغ الاجل المضروب لهم بأن اغرقناهم في اليم — وهو البحر في اللغة المصرية الموافقة للعربية في الالوف من مفرداتها [1] وهو يطلق على النيل وغيره — والفاء الداخلة على انتقمنا تفسيرية كقوله تعالى : (ونادى نوح ربه فقال . . .) وعلل هذا الانتقام كما علل امثاله بأنهم كذبوا بآيات الله وتكرر هذا اللفظ في قصص الانبياء من هذه السورة اكثر من غيرها وان لم يؤت بعضهم غير آية واحدة فان تكذيب الواحدة كتكذيب الكثير ويقتضيه باتحاد العلة ، كما أن تكذيب احد الرسل كتكذيب الجميع اذا كان بعد ظهور آيته ، وقيام الحجة على دعوته . وكذلك تكرر في القرآن كون الغفلة على الحق ودلائله من صفات الكفار . واما جمع الآيات هنا فلأنها متعددة . واما عطف الانتقام بالفاء فليس تعليلا آخر وانما هو تعقيب على كونه وقع بعد التكذيب بتلك الآيات كلها ، والمعنى انهم كانوا يظهرون الايمان عند كل آية من آيات العذاب ثم يكذبون حتى اذا انقضى الاجل المضروب لها انتقمنا منهم بسبب انهم كذبوا بها كلها وكانوا غافلين عما تقتضيه وتستلزمه من عذاب الدنيا والآخرة، إذ كانت في نظر أكثرهم من قبيل السحر والصناعة ، وكانوا قد بلغوا فيهما الغاية ، ولذلك كانوا يكابرون انفسهم فى كل آية ، ويحاولون ان يأتي سحرتهم وعلماؤهم بمثلها، ويحملون عجزهم على تفوق موسى عليهم فيها، ويعدون إسناده كل شيء الى ربه من قبيل اسنادهم الامور الى آلهتهم الباطلة بحسب التقاليد

---

(١) قد اكتشف هذه الموافقة علامة العاديات المصرية احمد باشا كمال الاثري المصري صاحب المعجم الكبير للغة الهير وغليفية (رحمه الله تعالى) ومنه يعلم ان أصل اللغتين واحد وأن اصل الامتين واحد

التى لم يكن حكماؤهم يؤمنون بها ، وانما يحافظون عليها لاجل خضوع عامة الشعب لها ، ومن ظهرت لهم دلالة آيات موسى على الحق فمنهم من آمن جهراً ككبار السحرة ومن آمن فكتم إيمانه كالذي عارض فرعون وملاه في قتل موسى بالحجة والبرهان - كما في سورة غافر وذكرناه في هذا السياق ومنهم من جحد بها لمحض العلوّ والكبرياء ، كفرعون وأكابر الوزراء والرؤساء

ومن العبرة في مجاراة الحكومة الفرعونية للعوام على خرافاتهم أن حكومات هذا العصر توافق العامة على كل مايعدونه من الدين وان لم يكن منه كما تفعل الحكومة المصرية في بعض الاحتفالات الموسمية المبتدعة في الاسلام كالموالد بالتبع لجمهور الشعب من كبار علمائه الى أجهل عوامه وهي مشتملة على كثير من المعاصي المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة التى يعد مستحلها مرتدا عن الاسلام باتفاق المذاهب ، والجمهور غافلون عن ضرر هذه البدع التى جعلت من قبيل شعائر الاسلام بالاحتفال بها وشد الرحال اليها ، وانفاق الاموال العظيمة في سبيلها، وتعطيل كبرى شعائر الاسلام وهي الصلاة وابطال دروس العلوم الدينية من المساجد التى تقام فيها لاجلها، كالمسجد الاحمدي في طنطا والمسجد الابراهيمي في دسوق . وان اكبر ضررها تشويه الاسلام في نظر العقلاء من اولي العلوم الاستقلالية حتى كثر فيهم المرتدون عنه ، وصد غير المسلمين عن الاسلام لان القاعدة التى يجري عليها عرف الامم أن دين كل قوم ما هم عليه من التعبدات والشعائر ، وقد تكرر منا اقناع بعض مستقلي الفكر من غير المسلمين بحقية دين الاسلام المقرر في القرآن الحكيم والسنة السنية وتنزهه عن هذه البدع فاقتنعوا بأن ما قررناه لهم حق ولم يقتنعوا بأنه دين الاسلام الذي عليه المسلمون، وقد سبق ان نقلت عن رجل من فضلاء الانكليز منهم انه قال لي ان كان الاسلام ما ذكرت فأنا مسلم. وكان نعوم بك شقير المؤرخ المصري يقول لي اكتب عقيدتك وأنا أمضي عليها بخطي انها عقيدتي

---

(١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ

لما ذكر تعالى عاقبة تلك الآيات وتأويلها في المصريين عطف عليه بيان عاقبتها وتأويلها في بني اسرائيل بهذه الآية الجامعة البليغة فقال عز وجل :

﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ﴾ تعدد في القرآن التعبير عن استخلاف الله قوما في أرض قوم بالايراث أي وأعطينا القوم الذين كانوا يستضعفون في مصر بما تقدم بيانه جميع الارض التي باركنا فيها بالخصب والخير الكثير مشارقها من حدود الشام ومغاربها من حدود مصر ، تحقيقا لوعدنا (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)

روي عن الحسن البصري وقتادة أنهما قالا في تفسير (مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها : هي أرض الشام ، وعن زيد بن أسلم قال : هي قرى الشام ، وعن عبد الله بن شوذب : فلسطين ، وعن كعب الاحبار قال ان الله بارك في الشام من الفرات الى العريش . ويؤيد هذه الروايات قوله تعالى في ابراهيم عليه الصلاة والسلام (ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) وقوله تعالى (ولسليمان الريح تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها)وقوله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله)

وروي عن الليث بن سعيد أنها أرض مصر التي كان فيها بنو اسرائيل وأطلق بعض المفسرين القول بأنها أرض مصر وفلسطين جميعا. وربما يتراءى أن ارادة أرض مصر هي الظاهر المتبادر من قوله تعالى في قوم فرعون من سورة الشعراء(٢٦ : ٥٧ فأخرجناهم من جنات وعيون ٥٨ وكنوز ومقام كريم ٥٩ كذلك -وأورثناها بني اسرائيل)وقوله فيهم من سورة الدخان(٤٤ : ٢٤ كم تركوا من جنات وعيون ٢٥ وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ٢٦ كذلك وأورثناها قوما آخرين لان فرعون خرج بمن معه من الملا والجند من مصر وتركوا ما كانوا فيه من النعيم، الى الغرق المؤدي الى الجحيم، ولكن هذا الوصف ظاهر في بلاد الشام ذات الجنات الكثيرة ، والعيون الجارية ، ومعنى اخراج المصريين منها ازالة سيادتهم وسلطانهم عنها فقد كانت بلاد فلسطين

الى الشام تابعة لمصر . وكان من عادة فراعنة مصر كغيرهم من الامم المستعمرة أن يقيموا في البلاد التي يستولون عليها حكاما وجنودا لئلا تنتقض عليهم ، وأن يسكنها كثيرون منهم يتمتعون بخيراتها . وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) جملة من الاثر المصري القديم الوحيد الذي وجد فيه ذكر لبنى اسرائيل تنطق بأن هذه البلاد كانت تابعة لمصر

على أنه وجد في بعض التواريخ القديمة ما يدل على صحة ما قاله بعض مفسرينا من أن موسى استولى على مصر وتمتع هو وقومه بالسيادة فيها طائفة من الزمن نذكره للاعتبار به وان كان صدق الآيات غير مقصور صحة على مضمونه وهو ما جاء في حاشية لاحد مباحث الدكتور محمد توفيق صدقي (رحمه الله تعالى) في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ، وهذا نصه (كما في ص ٤٤٦ و ٤٤٧ من مجلد المنار السادس عشر) :

«جاء في كتاب (الاصول البشرية) صفحة ٨٨ لمؤلفه لينج أن يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير نقل عن (مانيثو) هذه الرواية المصرية القديمة التى ملخصها « أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر — الذي فر الى بلاد الحبشة — حكم مصر ١٣ سنة وبعد ذلك عاد اليه فرعون هو وابنه ومعهما جيش عظيم فقهروه وأخرجوه منها الى بلاد الشام » وجاء في قاموس الكتاب المقدس لبوست مجلد ١ ص ٤١٠ أن هيرودوتس المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد قال « أن ابن سيسوسترس ضرب بالعمى مدة عشر سنين لانه رمى رمحه في النهر وقد ارتفعت أمواجه وقت فيضه بسبب نوء شديد الى علو غير اعتيادي » اه ويقول المؤرخون ان ابن سيسوسترس هذا (وهو منفتاح الثاني) هو فرعون الخروج ويتخذون هذه العبارة اشارة الى غرقه في زمن موسى . ولكن يرى القارىء منها أنها لو كانت اشارة الى الغرق لكان الغرق في النيل [1] ومن الرواية الاولى يعلم أن موسى حكم بعد فرعون ١٣ سنة في مصر . وهاتان الروايتان هما من أقدم الروايات المصرية وأصحها وربما كانتا الوحيدتين في هذه المسألة ، ولعل المصريين استغاثوا بمملكة الحبشة

---

(١) ويجوز أن تكون عبارة هيرودتس : رمي رمحه في البحر ، ثم ترجمت بالنهر لأن النهر الكبير يسمى بحراً ككل ماء كثير مستبحر

فأرسلت اليهم جيشا فأوحى الله الى موسى بالخروج حينئذ من مصر وتركها لاهلها ، وعليه يجوز أن المصريين كتموا خبر غرق ملكهم واستبدلوا به دعوى تقهقره الى الحبشة وقالوا إنه هو الذي عاد بعد ذلك وأخرج موسى بالقوة ستراً لخزيهم وخذلانهم وارضاء لملوكهم وأسر (جمع اسرة بالضم) هؤلاء الملوك وربما أنه لولا عظم هذه الحادثة وشهرتها بينهم لانكروها بالمرة

«ومن ذلك تعلم أن الخروج لم يكن عقب غرق المصريين مباشرة كما يفهم من التوراة ولم يكن السبب فيه هذه الحادثة التي غرق فيها فرعون وجيشه بل كان بعد ذلك ببعض سنين

«ويرى المطلع على القرآن الشريف أن هاتين الروايتين صادقتان في مسألة غرق فرعون في النيل ومسألة حكم موسى في مصر ١٣ سنة . وأما الغرق في النيل فيفهم من قول القرآن مثلا في سورة طه (اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم) ثم قوله في آخر هذه القصة (فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم) فالمتبادر من ذلك أن فرعون غرق في نفس اليم الذي ألقي فيه موسى وهو النيل ، ومثل ذلك أيضا ما جاء في سورة القصص وهو قوله (فاذا خفت عليه فألقيه في اليم) ثم قوله فيها بعد (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم)

« وأما مسألة حكم موسى في مصر والتنعم بها هو وقومه مدة من الزمن بعد الغرق فهو أيضا المتبادر من نحو قوله تعالى (فأراد أي فرعون ان يستفزهم من الارض فأغرقناه - الى قوله - وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض) وقوله (فأخرجناهم من جنات وعيون، وكنوز ومقام كريم ، كذلك وأورثناها بني اسرائيل) ويجوز أن الشريعة أعطيت لموسى في الطور قبل تركه حكم مصر

«وفي زمن موسى أعطى الله بني اسرائيل — بدلا عن مصر التي أمرهم بتركها — الممالك التي في شرق الاردن كما في كتبهم وفي زمن يشوع أعطاهم كل أرض كنعان الا بعض أجزاء منها (يش ١٣ : ١) وهذه الارض التي أعطيت لهم هي من أخصب أراضي العالم وأحسنها وهي المسماة عندهم بأرض الموعد لانهم كانوا وعدوا بها من قبل

«فأين لمحمد صلى الله عليه وسلم علم ما بيناه من ذلك التاريخ وهو أجنبي عنه وعن قومه ومغاير للتوراة ومخالف لما يعتقده جميع اليهود والنصارى

من قديم الزمان ولكنه موافق لاقدم الروايات المصرية وأصحها التى لا يعرفها — حتى الآن — الا واسعوا الاطلاع من محققي المؤرخين ؟

«وأما مانيثو (Manetho) المذكور هنا الذي وافقت روايته ما جاء في القرآن الشريف فكان كاهنا لمعبد من أقدم المعابد وأشهرها ، وقد كتب تاريخ مصر بأمر بطليموس فيلادلفوس في القرن الثالث قبل المسيح وكان من أدق مؤرخي القدماء وأصدقهم وقد أخذ بأوثق المصادر وأصحها في كتابة تاريخه، الا أن هذا التاريخ فقد مع ما فقد في حريق مكتبة الاسكندرية ولم يبق منه سوى مقتطفات في بعض الكتب القديمة اليونانية وقد أيد أكثر هذه المقتطفات ما اكتشفت حديثا من الآثار المصرية والمكتوبات العتيقة مع أن آباء النصرانية كيوسيبيوس حرفوا كعادتهم كثيرا مما نقلوه منها لتطابق نصوص العهد القديم كما ذكره العلامة لينج في كتابه « الاصول البشرية » ص ١١ منه » اهـ

﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ﴾ تمام الشيء وصوله الى آخر حده ، وكلمة الله وعده لبني اسرائيل باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض . وفي مجاز الاساس : وتم على امر مضى عليه وتم على امرك، وتم الى مقصدك . والمعنى نفذت كلمة الله ومضت على بنى اسرائيل تامة كاملة بسبب صبرهم على الشدائد التى كابدوها من فرعون وقومه إذ كان وعد الله تعالى إياهم بما وعدهم مقرونا بامرهم بالصبر والاستعانة به والتقوى له كما أمرهم نبيهم عليه السلام تبليغا عنه تعالى راجع (وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) — الآية — من هذا السياق . واذ كان قد تم وعد الله تعالى لهم بذلك ثم سلبهم الله تلك الارض بظلمهم لانفسهم وللناس فلم يبق من مقتضى الوعدان يعودوا اليها مرة أخرى لانه قد تم ونفذ صدقا وعدلا .

﴿ ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ التدمير ادخال الهلاك على السالم والخراب على العامر ، والعرش رفع المباني والسقائف للنبات والشجر المتسلق كعرائش العنب ومنه عرش الملك . والمراد بما كان يصنع فرعون وقومه أولا وبالذات ماله تعلق بظلم بني اسرائيل والكيد لموسى عليه السلام فالاول كالمباني التي كانوا يبنونها للمصريين أو يصنعون

اللبن لها ومنها الصرح الذي أمر هامان ببنائه له ليرقى به الى السماء فيطلع الى إله موسى ، والثاني كالمكايد السحرية والصناعية التي كان يصنعها السحرة لابطال آياته أو التشكيك فيها كما قال تعالى (انما صنعوا كيد ساحر * وقال فرعون ياهامان بن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب ـ أسباب السموات ـ فاطلع الى إله موسى واني لاظنه كاذبا ، وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب) والتباب بمعنى الدمار

وأما اسباب هذا التدمير لذلك الصنم والعروش فأولها لآيات التي أيد الله تعالى بها موسى عليه السلام من الطوفان والجراد وغيرهما — وتسمى في التوراة الضربات وفيها من المبالغة في ضررها وتخريبها ما أشرنا اليه وذكرنا بعضه — ويليها انجاء بني اسرائيل وحرمان فرعون وقومه من استعبادهم في اعمالهم ، وثالثها هلاك من غرق من قوم فرعون وحرمان البلاد وسائر الامة من ثمرات أعمالهم في العمران — هذا هو المعروف منها ، وما ظلمهم الله تعالى بذلك ولكنهم ظلموا انفسهم فقد انذرهم موسى عليه السلام كل ذلك ليتقوا سوء عاقبته فكذبوا بالآيات وأصروا على الجحود والاعنات

والعبرة في هذه الآيات من وجهين (الاول) ان يتفكر تالي القرآن في تأثير الايمان والوحي في موسى وهارون عليهما السلام إذ تصديا لاعظم ملك في أعظم دولة في الارض قاهرة لقومهما ومعبدة لهم في خدمتها منذ قرون كثيرة فدعواه الى الرجوع عن الكفر والظلم والطغيان وتعبيد بني اسرائيل وأنذراه وهدداه ومازالا يكافحانه بالحجج والايات البينات حتى أظفرهم الله تعالى به وأنقذا قومهما من ظلمه وظلم قومه

فجدير بالمؤمنين بالله تعالى ورسله من المسلمين ان ينتقلوا من التفكر في هذا الى التفكر في وعد الله تعالى للمؤمنين بالنصر كما وعد المرسلين اذا هم قاموا بما امرهم تعالى به على ألسنتهم ـ وان لايستعظموا في هذه السبيل قوة الدول الظالمة لهم ، فان قوة الحق التي نصرها الله تعالى برجل او رجلين على اعظم الدول لا تغلب اذا نصرناها ونحن مئات الملايين والله تعالى يقول (ان تنصروا الله ينصركم — ويقول — وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

﴿ الوجه الثاني ﴾ إنه تجدد عندنا في هذا الزمان أمر عظيم يتعلق بهذه الارض المباركة المقدسة وهو محاولة اليهود انتزاعها من أيدي أهلها العرب وتنازع الفريقين في التعارض والترجيح بين وعد الله لكل منهما بهذه الارض وما أنجزه لكل منهما ومن المستحق لها في هذا العصر، فليتأمل المعتبر في وعد الله تعالى بها لبنى اسرائيل من ذرية ابراهيم ثم وعده بها وبغيرها للعرب من ذريته على لسان خاتم الرسل صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، وآلهم الصالحين المصلحين . ولعنته وخزيه على الفاسدين المفسدين . فقد انجز الله تعالى وعده للفريقين عند ما كانوا متقين ، وأخطأ فريق منهم في عصر رسولهم فأدبهم الله تعالى بما هو منصوص في الكتاب المبين :

أراد بنو اسرائيل الذين أخرجهم موسى من مصر أن تكون لهم تلك الارض ، بغير عمل منهم ولا سعي ، فامتنعوا من قتال من فيها من الجبارين وقالوا لموسى (اذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) فحرمها الله تعالى عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض — كما عرض الغرور لبعض بني اسماعيل في عصر الرسول الاعظم بما كان من نصر الله تعالى لهم في غزوة بدر مع قلة المدد والعدد والزاد، وظنوا انهم ينصرون كما وعدوا، وان قصروا فيما أمروا، فلما اصيبوا بما اصيبوا به في غزوة أحد تعجبوا واستفهموا ، فأجابهم الله تعالى بما علموا به ان وعده المطلق في قوله (كتب الله لاغلبن انا ورسلي) وقوله (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) مقيد بما في الآيات الاخرى كقوله (ان تنصروا الله ينصركم * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) أجابهم بقوله (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) الى آخر ما فصلنا في تفسيرها مع سياقها من الجزء الرابع .

نعم ان الله تعالى أنجز وعده الاول لابراهيم صلوات الله وسلامه عليه بجعل هذه الارض لذريته فجعلها أولا للمتقين من آل اسحق، ثم نزعها منهم بظلمهم وافسادهم في الارض مرة بعد أخرى . ثم أعطاها للمتقين من آل اسماعيل ، ثم انتزع السلطان عليها منهم أيضا بظلمهم لانفسهم ، وتجدد التنازع في رقبتها بين الفريقين- بنى اسرائيل وبنى اسماعيل -باغراء الانكليز الذين استولوا عليها وأوقعوا الشقاق بين الفريقين فيها ، وهم أحذق الخلق ، في ضرب الشعوب بعضها ببعض ، وستكون العاقبة للمتقين ، بحسب سنة الله في البشر أجمعين .

فلا يغترن قومنا بالاوهام ، ولا يتكلن على المتجرين بالاقوام ، ولا ينخدعن بعد بشقاشق الكلام ، ولا ينوطن الزعامة بأصحاب الانساب ، الفاقدين للعلم والاستقامة وسائر الاسباب ، ولاسيما من ثبتت موالاتهم لاعداء البلاد وسالبى استقلالها ، وواضعي الخطة الشيطانية لانتزاع رقبتها من أهلها ، والقضاء عليهم بالانقراض منها ، بتعذر الحياة عليهم فيها ، لا بالابعاد القسري عنها ، بأن يكون شأنهم في هذا كسكان امريكا قبل استعمار الانكليز وغيرهم لها ،

ولا منجاة لعرب فلسطين من هذا الخطر العظيم الآتي من قبل شعبين إثنين هما أشد شعوب الارض قوة وثروة ودهاء وكيدا وعلما وصبراً وجلداً الا باتحادهم مع سائر الشعوب والقبائل العربية على الاستبسال والاستقتال في الدفاع الحقيقي عن امتهم وبلادهم — ومع سائر الشعوب الاسلامية في الدفاع المعنوي عن الارض المقدسة والحرمين الشريفين اللذين لا استقلال لهما ولا أمن عليهما ، مع إحاطة هذه القوة الاجنبية بهما ، ولكنهم لم يخطو خطوة واحدة في طريق الوحدة العربية ، بل خطوا خطوتين واسعتين في سبيل الشقاق والتفرق بين الامارات المسلحة في الجزيرة العربية .

(الاولى) موالاة صاحب الحجاز الذي أعان الانكليز على فتح بلادهم ثم كان هو واولاده مثبتا لاقدامهم فيما جاورها ، وحائلا بينهم وبين سائرها ، بأن أقروه على انتحاله لنفسه ملك البلاد العربية وعلى سعيه لاخضاع تلك الامارات لحكمه بالاتكال على قوة الغاصب الاجنبية ؛ فلولا وجود أحد أولاده (عبدالله) في شرق الاردن من قبل الدولة الانكليزية الغاصبة لفلسطين والمنتزعة للسيادة العربية منها لأمكن ان يتحد عربها مع عرب نجد الاقوياء على إنقاذها . وكذا أهل العراق الذين سمى الانكليز ولده (فيصلا) ملكا عليهم . بل لولا افتتانه هو بما فتنوه به من جعله ملكا للعرب وخليفة على المسلمين ، لما ثبتت فى بلاد العرب قدم للمستعمرين .

(والثانية) مبايعة جمهور كبير منهم له بالخلافة التي يترتب عليها — لو صحت كما يدعي ويدعون له — انه يجب على تلك الامارات شرعا أن تخضع لحكمه والاوجب قتالها واخضاعها بالقوة ، وهل كان في مقدورهم سعي الى شقاق وتفرق شر من هذا ؟ على أنهم كانوا متحدين فانقسموا وصاروا أحزابا متنازعة ، فنسأله تعالى تغيير الحال بخير منها وحسن العاقبة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فتاوى المنار

﴿ الدعاء للميت في الصلاة واستغفار المؤمنين لمن سبقهم بالايمان ﴾

واستغفار الرسول (ص) للتائبين ولنفسه ولغيره من المؤمنين

(س ١٧ — ٢٠) من صاحب الامضاء في ولتفريدن (جاوه)

حضرة الفاضل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أقدم اليكم السؤل الآتي أرجو منكم الجواب ولكم الاجر والثواب

ما قولكم في الدعاء على الميت (؟) في التكبيرة الثالثة والرابعة من الصلاة على الميت ؟ وفي قوله تعالى : (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) ؟

وفي قوله تعالى (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) سؤالي مخصوص في استغفار الرسول لهم ؟

وفي قوله تعالى : (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات) أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لنفسه ولامته مع انه مغفور له : أما ذلك ليستنوا به ويقتدوا به ؟

أفتونا مأجورين — والسلام

انشروا الجواب على صفحات مناركم الغراء (كاظم وشركاه)

الجواب

الدعاء للميت في تكبيرات الصلاة عليه

(ج) أما الدعاء للميت — لا عليه — في التكبيرة الثالثة والرابعة فهو مشروع فقد روى الشافعي في مسنده عن أبي امامة بن سهل انه أخبره رجل من أصحاب النبي (ص) أن السنة في الصلاة على الجنازة ان يكبر الامام ثم يقرأ بفاتحة

الكتاب بعد التكبيرة الاولى سرا في نفسه ثم يصلي على النبي (ص) ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات ولا يقرأ في شيء منهن ثم يسلم سرا في نفسه. وأخرج نحوه الحاكم من وجه آخر وأخرجه ايضا النسائي وعبد الرزاق قال الحافظ في فتح الباري واسناده صحيح وليس فيه قوله بعد التكبيرة الاولى ولا قوله ثم يسلم سرا في نفسه

الاستغفار للسابقين الاولين

واما قوله تعالى (ربنا اغفر لنا) الخ فلم يذكر السائل وجه السؤال عنه وهذا الآية قد جاءت بعد آيتين في وصف المهاجرين والانصار رضي الله تعالى عنهم ويعلم المراد منها بايرادها فنذكر الثلاث من سورة الحشر وهي: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رؤف رحيم *)

جعل الله تعالى المؤمنين ثلاث درجات (الاولى) المهاجرون وهم السابقون الى الايمان والنهوض بنصر الرسول (ص) على نشر دعوته ومعاداة اهليهم واقوامهم في هذه السبيل سبيل الله عز وجل على ضعفهم وقوة قومهم (الثانية) الانصار الذين أظهر الله تعالى هذا الدين وأيده بهم (الثالثة) الذين جاؤا من بعدهم وهم سائر المؤمنين وصفهم الله تعالى بهذا القول الدال على علمهم بفضل السابقين الاولين عليهم وقدرهم قدرهم حبهم والدعاء لهم، وهو يتناول سائر مؤمني ذلك العصر من الصحابة وغيرهم كمن آمن في عصره (ص) ولم يره ويشتمل من بعدهم ان شاء الله تعالى بمشاركته لهم في وصفهم المذكور آنفا وقيل هو خاص بهؤلاء

روى الحاكم وصححه وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص (رض) انه قال: الناس على ثلاث منازل قد مضت منزلتان وبقيت منزلة فأحسن ما أنتم كائنون عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت — ثم قرأ الآيات الثلاث

وروى ابن مردويه عن ابن عمر انه سمع رجلا يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه (للفقراء المهاجرين) — الآية — ثم قال هؤلاء المهاجرون فمنهم أنت ؟ قال لا. ثم قرأ عليه (والذين تبوؤا الدار والايمان) — الآية— ثم قال هؤلاء الانصار أفأنت منهم ؟ قال لا . ثم قرأ عليه (والذين جاؤا) الآية وقال : من هؤلاء أنت ؟ قال أرجو ، قال لا . ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء . وفي رواية أخرى عنه انه بلغه ان رجلا يسب عثمان فدعاه فأقعده بين يديه فقرأ عليه هذه الآيات كما تقدم فقال الرجل بعد الاخيرة : أرجو ان أكون منهم — فقال ابن عمر لا والله ما يكون منهم من يتناولهم ويكون في قلبه الغل عليهم . ووصفه تعالى لاهل الدرجة الثالثة من المؤمنين بذلك شهادة لمن كانوا في عهد نزول الآيات بذلك وارشاد لمن بعدهم أو أمر بان يكونوا كذلك ليدخلوا في هذه الحظيرة الايمانية الشريفة . وقد قال الضحاك أمروا بالاستغفار لهم وقد علم ما أحدثوا — يعني ما أخطأ به بعضهم في عهد الفتنة اه . وذلك ان هؤلاء أحوج الى الاستغفار لهم ، والمؤمن الصادق في الايمان يحب ان يغفر الله تعالى لاخوانه المؤمنين اذا أذنبوا كما يحب ان يغفر له ولاولاده ولاخوته اذا أذنبوا ولا ينطوي على الغل والحقد عليهم ولا يقطع اخوتهم وقد قال (ص) «لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه» رواه احمد والشيخان وأصحاب السنن ما عدا أبا داود عن أنس (رض)

وروي عن بعض السلف ومنهم الامام مالك ان هذه الآية في التابعين ومن بعدهم واستدل بها مالك على ان من سب الصحابة فلا حق له في الفيء فان الآية نزلت في قسمة الفيء . وجملة القول ان من شأن المؤمنين التحاب والتواد والرأفة والرحمة (اشداء على الكفار رحماء بينهم) ومنه نصيحة من حضر والاستغفار لمن غبر ، ومن رأيته يحمل عليهم الغل ويذكرهم بالسوء فهو منافق

استغفار الرسول لمن تاب من المنافقين

وأما استغفار الرسول (ص) لمن ذكر في الآية فلم يبين السائل مراده منه أيضاً ، وهو في نفسه ليس محل اشكال فالاستغفار دعاء وهو مطلوب شرعا ودعاء الرسول فالامثل من المؤمنين الصالحين ارجى للقبول ولعل وجهه المطلوب بيان

حكمة ضم استغفاره (ص) الى هؤلاء التائبين المشار اليهم في الآية وكونه لم يكتف فى توبتهم باستغفارهم كسائر المذنبين وقد سبق لنا بيان هذه النكتة والحكمة في تفسير الآية من سورة النساء ونمهد له هنا بان نقول :

(أولا) ان الذين نزلت فيهم هذه الآية هم الذين قال تعالى فيهم قبلها (٤ : ٥٩) الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به) الخ (وثانيا) ان هؤلاء كانوا من المنافقين وكانت رغبتهم عن التحاكم الى رسول الله (ص) وايثارهم التحاكم الى الطاغوت اظهاراً للكفر والعصيان فكان لا بد في قبول توبتهم من اعتداد الرسول (ص) بها وحكمه بصحتها واستغفاره لهم بأن يقبلها الله تعالى منهم لتظل احكام الاسلام جارية عليهم وليست كالمعاصي الشخصية التي يكره الشرع اظهارها ويكتفي من صاحبها بتوبته فى خاصة نفسه . وقد كان بعض المنافقين يطلبون استغفار الرسول (ص) في امثال هذه الذنوب المتعلقة بالمصالح العامة ومنه قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم)وربما دعي بعضهم الى ذلك ارشادا له واختبارا لايمانه فأبى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون)

بعد هذا التمهيد ننقل ما كتبناه فى تفسير الآية (من ص ٢٣٤ ج ٥ تفسير) وهو :

وانما قرن استغفارهم الذي هو عنوان توبتهم باستغفار الرسول (ص) لان ذنبهم هذا لم يكن ظلما لانفسهم فقط لم يتعد منه شيء الى الرسول فيكفي فيه توبتهم بل تعدى الى ايذاء الرسول من حيث انه رسول له وحده الحق فى الحكم بين المؤمنين به، فكان لا بد في توبتهم وندمهم على ما صدر منهم أن يظهروا ذلك للرسول ليصفح عنهم فيما اعتدوا به على حقه ، ويدعو الله تعالى ان يغفر لهم اعراضهم عن حكمه ، ومن هذا البيان تعرف نكتة وضع الاسم الظاهر موضع الضمير اذ قال « واستغفر لهم الرسول » ولم يقل « واستغفرت لهم » فان التوبة عن المعاصي المتعلقة بحقوق الناس لا تكون مقبولة ولا صحيحة الا بعد استرضاء

صاحب الحق . وجعل بعض المفسرين نكتة وضع الظاهر موضع الضمير اجلال منصب الرسالة والايذان بقبول استغفار صاحب هذا المنصب الشريف وعدم رد شفاعته والظاهر ما قلناه والمنصب هو هو في شرفه وعلوه ، ولكن الله لا يغفر للمنافقين اذا لم يتوبوا وإن استغفر لهم الرسول لان الله تعالى قال له فيهم «استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» والآية ناطقة بأن التوبة الصحيحة تكون مقبولة حتما اذا كملت شرائطها ، وظاهر الآية ان منها ان تكون عقب الذنب كما يدل الشرط والعطف بالفاء وهو بمعنى «ثم يتوبون من قريب» وتقدم تفسيره . وذكر الاستاذ الامام أنه تعالى سمى ترك طاعة الرسول ظلما للانفس أى افسادا لمصلحتها لان الرسول هاد الى مصلحة الناس في دنياهم وآخرتهم ، وهذا الظلم يشمل الاعتداء والبغي والتحاكم الى الطاغوت وغير ذلك . والاستغفار هو الاقبال على الله وعزم التائب على اجتناب الذنب وعدم العود اليه مع الصدق والاخلاص لله في ذلك . واما الاستغفار باللسان عقب الذنب من دون هذا التوجه القلبي فليس استغفارا حقيقيا .

أقول يعني ان ما اعتاده الناس من تحريك اللسان بلفظ « استغفر الله » لا يعد طلبا للمغفرة لان الطلب الحقيقي ينشأ عن الشعور بالحاجة الى المطلوب فلا بد ان يشعر القلب أولا بألم المعصية وسوء مغبتها ، وبالحاجة الى التزكي من دنسها ، ولا يكون هذا الا بما ذكر الاستاذ من التوجه القلبي الى الله بالصدق والاخلاص والعزم القوي على اجتناب سبب هذا الدنس والمعصية ، وكيف يكون متألما من القذر الحسي من ألفه وعرض بدنه له اذا طلب غسله باللسان ، وهو لا يترك الالتياث به ولا يدنو من الماء ؟

وقال في استغفار الرسول انكم تعلمون أن مشاركة الناس بعضهم لبعض في الدعاء مسنونة وان من سنته تعالى ان يتقبل من الجماعة بأسرع مما يتقبل من الواحد، فدعاء الجماعة أرجى للاجابة وان كان كل داع موعودا بالاستجابة . وحقيقة الدعاء اظهار العبودية والخضوع له تعالى ، والاجابة التى وعد بها هي الاثابة وحسن الجزاء فمتي اخلص لداعي اجاب الله دعاءه سواء كان باعطائه ما طلب أو بغير

ذلك من الاجر والثواب ، وإنما كانت المشاركة فى الدعاء ارجى للقبول لان الداعين الكثيرين لشخص يؤدون هذه العبادة بسببه أي ان ذنبه يكون هو السبب في شعورهم واحساسهم كلهم بالحاجة الى الله تعالى والخضوع له والاتحاد المرضي عنده فكأن حاجته حاجتهم كلهم . فاذا كان الرسول (ص) هو الداعي والمستغفر لاولئك التائبين من ظلمهم لانفسهم مع استغفارهم هم فذلك من اشتراك قلبه الشريف مع قلوبهم بالحاجة الى تطهير الله لهم من دنس الذنب وطلب النجاة من عقوبته وناهيك بقرب الرسول (ص) من ربه ، والرجاء فى استجابة دعائه ،

وأما اشتراط ضم استغفار الرسول الى استغفارهم فمعناه ان توبتهم لا تتحقق الا اذا رضي عنهم رضاء كاملا بحيث يشعر قلبه الرحيم بالمؤمنين بحاجتهم الى المغفرة لصحة توبتهم واخلاصهم فذنبهم ذلك لا يغفر الا بضم استغفاره (ص) الى استغفارهم وليس كل ذنب كذلك بل يكتفى فى سائر الذنوب بتوبة العبد المذنب حيث كان والاخلاص لله تعالى اه

استغفار الرسول لذنبه

واما استغفار الرسول (ص) لذنبه فللعلماء فيه أقوال منها ما ذكر السائل وسبب الاشكال الذى أثار ذلك أن الانبياء معصومون من المعاصي وهي قاعدة قطعية يجب تأويل ما عارضها ، وظنوا ان منها أمر الله لخاتم رسله (ص) بالاستغفار لذنبه وليس منها في الحقيقة فان الذنب أعم من المعصية كما حققناه في مواضع من التفسير وغيره فهو عبارة عما تكون له تبعة أوعاقبة تستوخم أو تضر أو تنافي المصلحة وقال المحقق الراغب في مفردات القرآن : والذنب في الاصل الاخذ بذنب (بالتحريك) الشيء يقال ذنبته ـ أصبت ذنبه ، ويستعمل في كل فعل تستوخم عقباه اعتبارا بذنب الشيء ولهذا يسمى الذنب تبعة اعتبارا لما يحصل من عاقبته اه فالذنب قد يكون قولا وقد يكون عملا بدنيا أو نفسيا وقد يكون امرا سلبيا كترك ما ينبغي ، والتقصير فيما يضر التقصير فيه في المعاش أو المعاد ، وهو أعم من المعصية فانها خاصة بمخالفة ما أمر الله تعالى به أو نهى عنه ، وترى جميع الناطقين بالعربية يستعملون الذنب فى هذا المعنى العام فيقول احدهم لمن أساء

اليه أو قصر في شيء من حقوقه العرفية كحقوق القرابة والصداقة انني مذنب أو معترف بذنبي فلا تؤاخذني . والانبياء عليهم السلام معصومون من عصيان الله تعالى فيما شرعه لهم أمر ونهي ، وليسوا معصومين من كل عمل أو ترك قد تكون له عاقبة غير حسنة اذ لم يعلموا ذلك لان هذا من الاجتهاد الذي يجوز عليهم فيه الخطأ بمقتضى الطبيعة البشرية وانما قال العلماء ان الله تعالى يبين لهم هذا النوع من الخطأ اذا وقع ولا يقرهم عليه

ويؤيد هذا ما ورد في الكتاب العزيز من معاتبة الله تعالى خاتم رسله على أمثال هذه الذنوب وأمره بالاستغفار منها كقوله تعالى في سورة النساء (٤ : ١٠٤) إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ولا تكن للخائنين خصيما (١٠٥) واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما (١٠٦) ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لايحب من كان خوانا أثيما) — الآيات — وسببها قضية أراد بعض المنافقين فيها أن يخدعوا النبي (ص) ليحكم على يهودي بريء بالسرقة انتصارا لبعض المسلمين وكاد (ص) يصدقهم ويحكم على اليهودي وكان هذا هو الظاهر من الدعوى ومال قلبه (ص) اليه لان المسلمين كان يغلب عليهم الصدق واليهود بالعكس، وكان المنافقون اكذب الكاذبين فنزلت الآيات مبينة له الحق في القضية

ومنها اذنه (ص) لبعض المنافقين في التخلف عن الخروج معه الى غزوة تبوك حين استأذنوه في ذلك وكان وجه اجتهاده صلى الله عليه وآله وسلم صحيحا من وجه أيده القرآن بعد ذلك بقوله (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) الآية ولكن كانت المصلحة الراجحة أو أرجح المصلحتين أن لا يأذن لهم فعاتبه الله تعالى وبين له ذلك بقوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم ؟ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ومثل ذلك اجتهاده (ص) في فداء أسرى بدر الموافق لاجتهاد أبي بكر الصديق (رض) وكان العتاب عليه أشد وهو قوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض ـ الى قوله ـ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)

وهذا الوجه لا ينافي حكمة اقتداء الامة به (ص) وأن لا يدعي احد مهما تكن درجته في المعرفة والصلاح أنه لاذنب له يستغفر الله منه - ولا قول من خرج المسألة على قولهم : حسنات الابرار سيئات المقربين . فان ماعد من ذنوب النبي (ص) لم يكن الا اجتهادا في إقامة الدين بحسب ما وصل اليه علمه وعلم الله تعالى فوق كل علوم خلقه ، فهو في نفسه حسنة له عليها أجر الاجتهاد ، وباعتبار آخر ذنب لا معصية ، وحسبنا هذا هنا فقد تكرر بسط المسألة في المنار

أسئلة في الهبة والميراث

من صاحب الامضاء — في كلوغ بنكوك نوى (سيام)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا للواحد الخلاق ، وصلاة وسلاما على سيدنا محمد أفضل الخلق على الاطلاق ، وعلى آله وصحبه أئمة أعلام الهدى في الانحاء والآفاق .

وبعد فياحضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا المحترم أرشدنا الله برشدك، وأسعدك في الدارين، ودمت مصباح النيرين، وعلوت معالى الفرقدين، آمين آمين

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته !

ولاي ! إني أتشرف أن أرفع لمسامع فضيلتكم أمرا أرجو أن تبينوا لي حكم الله تعالى فيه وهو ما يأتي :

(١) كان حضرة ولدي العزيز رحمه الله تعالى قبل وفاته الى رحمة الله تعالى وهب من ملكه قطعة الارض هبة شرعية بلا عوض وهو صحيح عقلا وجسدا فذهب معي الى مصلحة التملك (Title deeds Department) طلبا من بعض موظفي هذه المصلحة أن يكتبوا اسمي على صك الملكية (حجة التملك) لتحويل الملك فيها وجعلوه مكتوبا فيها وهم شاهدون على ذلك . وذلك بامضاء اسم والدي المرحوم واسمي فيها بتمام الايجاب والقبول لدى الشهود الموظفين في تلك المصلحة وهم متدينون بدين البوذ !

(٢) ثم وهب لحضرة والدتي المحترمة (زوجته الاولى) داره المبنية على

قطعة الارض المذكورة هبة شرعية بلا عوض وهو سليم العقل والجسم . وذلك بأن والدي المرحوم كتب لوالدتي العزيزة كتابا أمضى فيه اسمه على أنه قد جعل داره المذكورة مملوكة لوالدتي المحترمة بتمام الرضاء والايجاب والقبول ولكن لاشاهد على ذلك .

(٣) وقد اتفق والداي الكريمان علي شراء قطعة الارض من المزارع (Farm Yards) برأس مالها الذي قد استعاراه من الغير ويقضيان بما يستفيدانه من أجرات هذه المزرعة فالى الآن لم يتخلصا بينهما (كذا)

فلما توفي والدي الى رحمته تعالى حكم بعض علماء بلادي بأن قطعة الارض والدار الموهوبتين لنفسي ولوالدتي المحترمة لا تصح هبتهما وأن المزرعة لا تصح أن تملكها والدتي ولا يصح أن يقسم نصفها لحضرتها قبل أن تكون وقعة في الميراث بل تكون هذه الاشياء الثلاثة (أي قطعة الارض والدار والمزرعة) كلها مما تركه حضرة والدي من ميراثه فيضمونها إلى تركته ليقسموها لزوجتيه الاولى والثانية ولجميع أولاده من جهتهما .

فلذلك - ياسيدي الاستاذ المخلص - أحرر هذا راجيا من فيض علومكم وملتمسا من فضل فضيلتكم أن تشرفوني بالجواب الشافي والبيان الكافي فيما يأتي :

(ا) هل تصح هبة قطعة الارض والدار للتين وهبهما لي ولحضرة والدتي أم لا ؟

(ب) هل تصح أن تكون قطعة الارض ملكا لي أم لا ؟

(ج) هل تصح أن تكون الدار مملوكة لوالدتي أم لا ؟

(د) هل تصح أن تكون قطعة الارض والدار مما تركه والدي أم لا ؟

(ه) هل يصح أن تحصل والدتي على نصف الملك في المزرعة أم لا ؟

(و) هل تصح أن يقسم نصفها لحضرتها أم لا ؟

(ز) هل تصح أن تكون المزرعة كلها ميراثا أم لا ؟

فهل تسمحون لي بذلك فلكم مني خالص الشكر ومن الله جزيل الاجر والثواب وأستسمحكم العفو عما زل قلمي من الخطأ والنسيان وسوء العبارة التي قد تكون في كتابي هذا لاني مع صغري لفي دراستي للغة العرب

وختاما أرجو سيدي المفضال أن يتفضل حضرته بقبول عاطر سلامي وفائق احترامي وإخلاصي

ولدكم المخلص بالشرق الاقصى

محمد علي الكريمي

(ج) ان السؤال مجمل ولم يذكر السائل فيه ما بنى عليه بعض علماء بلده إبطال الهبة والشركة في شراء الارض المذكورة ليعلم أصواب هو أم خطأ؟ وهل هو مبني على الدليل أم على أحد المذاهب المتبعة في تلك البلاد ؟ـ فالهبة للوارث في حال الصحة صحيحة وهي تنعقد بالايجاب والقبول، ولكن يشترط في الموهوب له أن يكون أهلا للقبول وللقبض بصحة تصرفه فهل كان السائل كذلك أم لا؟ . ويقول أكثر العلماء : إن الهبة تتم بالقبض فهل قبض كل من السائل ووالدته ما وهبه لهما والده وتصرفا فيه أم لا؟ وجملة القول : ان بيان الحق في هذه المسائل يتوقف على الاطلاع على صورة الحكم الذى حكم به بعض علماء بلاد السائل والوقوف على أدلته ولا سيما الارض التي اشتراها الزوجان بمال اقترضاه وهما يؤديانه مما يستغلانه من الارض . وليت شعري هل يعني بالحكم معناه القضائي أم يريد به الفتوى وبيان حكم الشرع في هذه الوقائع؟ واذا كان هذا حكما قضائيا فمن الذي نصب هذا العالم قاضيا ؟ أحكومة البلاد الوثنية أم المسلمون أنفسهم ؟ وما فائدة استفتائه ايانا ان كان حكم ذلك العالم نافذا ؟ . وهل المسلمون هنالك يلتزمون العمل بفتوى علمائهم اختيارا أم تلزمهم الحكومة إياها إلزاما ؟ . أم لا يعملون إلا بما يعتقدون أنه صواب منها؟ نرجو السائل أن يبين لنا ذلك وكل ما يتعلق بهذه المسائل، وان كان لذلك العالم فتوى مكتوبة فيما ذكر فليرسل الينا صورتها بحروفها، هذا اذا كان لبياننا الحكم الصحيح فائدة له ، والا فهو مخير، وقد طال العهد عندنا على هذه الاسئلة فمضى على وصولها الينا بضعة أشهر ولم نجد فراغا نكتب اليه فيه بذلك

اهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفى الاولياء وأصنافهم و الدعاوي فيهم)

لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس سره

تتمة لما في الجزء ٧ م ٢٤ (ص٥٠٨)

﴿فصل﴾ وليس في أولياء الله المتقين بل ولا انبياء الله ولا المرسلين من كان غائب الجسد دائما عن أبصار الناس بل هذا من جنس قول القائل بان عليا في السحاب وان محمد بن الحنفية في جبال رضوى ، وان محمد بن الحسن في سرداب سامرا ، وان الحاكم في جبل مصر ، وان الابدال رجال الغيب في جبل لبنان . فكل هذا ونحوه من قول أهل الافك والبهتان، نعم قد تخرق العادة في حق الشخص فيغيب تارة عن أبصار الناس اما لدفع عدو عنه وإما لغير ذلك . وأما أنه يكون هكذا طول عمره فباطل ، نعم يكون نور قلبه وهدى فؤاده ومافيه من أسرار الله وأمانته وأنواره ومعرفته غيبا عن الناس، ويكون صلاحه وولايته غيبا عن أكثر الناس، فهذا هو الواقع. وأسرار الحق بينه وبين اوليائه وأكثر الناس لا يعلمون

﴿فصل﴾ وقد بينا عن بطلان اسم الغوث مطلقا واندرج في ذلك غوث العرب والعجم ومكة والغوث السابع ، وكذلك لفظ خاتم الاولياء لفظ باطل لا أصل له ،وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي ، وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي انه خاتم الاولياء كابن حمويه وابن العربي وغيرهما وكل منهم يدعي انه أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الوجوه الى غير ذلك من الكفر والبهتان وكل طمعا في رياسة خاتم الانبياء

وقد غلطوا فان خاتم الانبياء انما كان أفضلهم للادلة الدالة على ذلك ، وليس كذلك الاولياء فان أفضل اولياء هذه الامة السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وخير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وخير قرونها القرن الذي بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم . وخاتم

الاولياء في الحقيقة هو آخر مؤمن تقي يكون من النـاس ، وليس ذلك بخير الاولياء ولا أفضلهم بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر ثم عمر اللذان ما طلعت الشمس وما غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما

﴿ فصل ﴾ وأما هؤلاء القلندرية المحلقين اللحى فمن أهل الضلالة والجهالة وأكثرهم كافرون بالله ورسوله لا يرون وجوب الصلاة والصيام ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، بل كثير منهم أكفر من اليهود والنصارى وهم ليسوا من أهل الملة ولا من أهل السنة ، وقد يكون فيهم من هو مسلم لكن مبتدع ضال أو فاسق فاجر . ومن قال ان قلندر كان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب وافترى بل قد قيل أصل هذا الصنف أنهم كانوا قوما من نساك الفرس يدورون على ما فيه راحة قلوبهم بعد اداء الفرائض واجتناب المحرمات ، هكذا فسرهم الشيخ أبو حفص السهروردي في عوارفه . ثم إنهم بعد ذلك تركوا الواجبات وفعلوا المحرمات بمنزلة الملامية الذين كانوا يخفون حسناتهم ويظهرون ما لا يظن بصاحبه الصلاح من زي الاغنياء ولبس العامة ، فهذا قريب وصاحبه مأجور على نيته ، ثم حدث قوم فدخلوا في أمور مكروهة في الشريعة ثم زاد الامر ففعل قوم المحرمات من الفواحش والمنكرات، وترك الفرائض والواجبات ، وزعموا ان ذلك دخول منهم في الملاميات. ولقد صدقوا في استحقاقهم اللوم والنـدم والعقاب من الله في الدنيا والآخرة . وتجب عقوبتهم جميعهم ومنعهم من هذا الشعار الملعون كما يجب ذلك في كل معين ببدعة أو فجور وليس ذلك مختصا بهم بل كل من كان من المتنسكة والمتفقهة والمتعبدة والمتفقرة والمتزهدة والمتكلمة والمتفلسفة ومن وافقهم من الملوك والاغنياء والكتاب والحساب والاطباء وأهل الديوان والعامة خارجا عن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله باطنا وظاهرا مثل من يعتقد ان شيخه يرزقه وينصره أو يهديه أو يغيثه ، أو كان يعبد شيخه ويدعوه ويسجد له ، أو كان يفضله على النبي صلى الله عليه وسلم تفضيلا مطلقا أو مقيدا في شيء من الفضل الذي يقرب الى الله تعالى ، أو كان يرى انه هو وشيخه مستغن عن متابعة الرسول ، فكل

هؤلاء كفار ان أظهروا ، ومنافقون ان ابطوا ، وهؤلاء الاجناس وان كانوا قد كثروا في هذه الازمان، فلقلة دعاة العلم والايمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى وكثير منهم لم يبلغهم ذلك . وفي أوقات الفترات وأمكنة الفترات يثاب الرجل على ما معه من الايمان القليل ويقضي الله فيه لمن لم يقم الحجة عليه ما لا يغفر به لمن قامت الحجة عليه كما في الحديث المعروف «يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولاصياما ولاحجاولا عمرة الا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة ويقولون ادركنا آباءنا وهم يقولون لا إله الا الله» فقيل لحذيفة بن اليمان ما تغنى عنهم لا إله الا الله ؟ فقال تنجيهم من النار تنجيهم من النار تنجيهم من النار

وأصل ذلك ان المقالة التي هي كفر بالكتاب أو السنة أو الاجماع يقال هي كفر قولا يطلق كما دل على ذلك الدال الشرعي فان الايمان من الاحكام المتلقاة عن الله ورسوله ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم .ولا يجب ان يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنفى موانعه ، مثل من قال ان الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالاسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة، أوسمع كلاما(١) أنكره ولم يعتقد انه من القرآن ولا انه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان بعض السلف ينكر اشياء حتى يثبت عنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قالها وكما كان الصحابة يشكون في اشياء مثل رؤية الله وغير ذلك حتى يسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثل الذي قال اذا أنا مت فاسحقوني وذروني في اليم لعلي أضل عن الله ونحو ذلك فان هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال الله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقد عفا الله لهذه الامة عن الخطا والنسيان وقد اشبعنا الكلام في القواعد التي في هذا الجواب فى أماكنها والفتوى لاتحتمل البسط أكثر من هذا

﴿ فصل ﴾ واما النذر للقبور أو لسكان القبور أو العاكفين على القبور سواء كانت قبور الانبياء أو الصالحين فهو نذر حرام باطل يشبه النذر للاوثان

(١) لعله سقط من هنا وصف لهذا بانه « من كلام الله أو رسوله (ص)

سواء كان نذر زيت أو شمع أو غير ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم «لعن الله زوارت القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» (١) وقال «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا (٢) وقال «ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك» (٣) وقال «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد من بعدي» (٤)

وقد اتفق ائمة الدين على انه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا أن تعلق عليها الستور، ولا ان ينذر لها النذور، ولا ان يوضع عندها الذهب والفضة. بل حكم هذه الاموال ان تصرف في مصالح المسلمين اذا لم يكن لها مستحق معين. ويجب هدم كل مسجد بني على قبر كائنا من كان الميت فان ذلك من أكبر أسباب عبادة الاوثان كما قال تعالى (وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا) وقال طائفة من السلف هذه أسماء قوم صالحين لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم عبدوهم. ومن نذر لها نذرا لم يجز له الوفاء لما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه» وعليه كفارة يمين (٥) ولما روى عنه انه قال «لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين» (٦)

ومن العلماء من لا يوجب عليه الا الاستغفار والتوبة. ومن الحسن ان يصرف ما نذره في نظيره من المشروع مثل أن يصرف الدهن الى تنوير المساجد والنفقة

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث ابن عباس بلفظ زائرات وسنده صحيح، و «لعن الله زوارات القبور» حديث آخر صحيح أيضا

(٢) رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة وفي بعض الروايات تعليل آخر لهذا اللعن غير تحذير المسلمين عن اتخاذ القبور مساجد وهو قولها: ولولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجدا

(٣) هذه جملة من حديث آخر لها في هذا الموضوع عند مسلم وهنالك الفاظ أخرى بمعنى واحد وصرحت بانه (ص) قال ذلك في مرضه الاخير قبل وفاته بخمسة ايام (٤) رواه مالك في الموطا (٥) رواه احمد والبخاري وأصحاب السنن الاربعة عن عائشة (٦) رواه احمد وأصحاب السنن عنها ايضا وهو صحيح

الى صالحة فقراء المؤمنين وان كانوا من أقرب الشيخ ونحو ذلك . وهذا الحكم عام فى قبر نفيسة ومن هو أكبر من نفيسة من الصحابة مثل قبر طلحة والزبير وغيرهما بالبصرة وقبر سلمان الفارسي وغيره بالعراق والمشاهد المنسوبة الى علي رضي الله عنه والحسين وموسى وجعفر وقبر مثل معروف الكرخي واحمد بن حنبل وغيرهم رضي الله عنهم

ومن اعتقد ان المنذور له نفعا أو أجراً ما فهو ضال جاهل . فقد ثبت فى الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال « انه لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل » (١) وفي رواية « انما يلقي ابن آدم الى القدر » فاذا كان هذا في نذر الطاعة فكيف في نذر المعصية ؟ فيعتقدون انها باب الحوائج الى الله وانها تكشف الضر وتفتح الرزق وتحفظ العمر فهذا كافر مشرك يجب قتله وكذلك من اعتقد ذلك في غيرها كائنا من كان (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا * قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له * الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون * وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين انما هو إله واحد فاياي فارهبون * وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا ، أفغير الله تتقون * وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون * ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون)

والقرآن من أوله الى آخره وجميع الكتب والرسل انما بعثوا بأن يعبد الله

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمر الا الترمذي ومن حديث أبي هريرة الا أبا داود - وفي رواية « أنه لا يرد شيئا » بدل لا يأتي بخير

وحده لاشريك له ، وأن لا يجعلوا مع الله إلها آخر . والاله من يألهه القلب عبادة واستعانة وإجلالا وإكراما وخوفاورجاء كما هو حال المشركين في آلهتهم، وان اعتقد المشرك ان مايألهه مخلوق مصنوع كما كان المشركون يقولون في تلبيتهم: لبيك لاشريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين الخزاعي « يا حصين كم تعبد » ؟ قال أعبد سبعة آلهة ، ستة في الارض وواحد في السماء . قال « فمن ذا الذي تعبده لرغبتك ورهبتك » قال : الذي في السماء قال « ياحصين فاسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن » فلما أسلم قال « قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي »

﴿ فصل ﴾ وأما من زعم أن الملائكة والانبياء تحضر سماع المكاء والتصدية(١) محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مفتر ، بل إنما تحضره الشياطين وهي تنزل عليهم وتنفخ فيهم كما روى الطبراني وغيره عن ابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان قال : يارب اجعل لي بيتا قال : بيتك الحمام قال : اجعل لي قرآنا قال : قرآنك الشعر، قال : اجعل لي مؤذنا قال : مؤذنك المزمار » وقد قال تعالى في كتابه مخاطبا للشيطان (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) وقد فسر ذلك طائفة من السلف بصوت الغناء وهو شامل له ولغيره من الاصوات المستفزة لاصحابها عن سبيل الله . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت لهو ولعب ومزامير الشيطان ، وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية ذات المكاء والتصدية» وكيف يذر الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني حتى إن بعضهم صار يرقص فوق رؤس الحاضرين . ورأى بعض المشايخ المكاشفين ان شيطانه قد حمله حتى رقص به فلما صرخ قال : هرب شيطانه وسقط ذلك الرجل

وهذه الامور لها أسرار وحقائق لايشهدها الا أهل البصائر الايمانية والمشاهد

(١) المكاء بالضم هو صفير الطائر والتصدية الصوت الذي يجري مجرى الصدى وهو مايرجع عن غيره بالانعكاس وفسر بالتصفيق قال تعالى في الجاهلية (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية)

الايقانية، ولكن من اتبع ماجاءت به الشريعة ، وأعرض عن السبل المبتدعة، فقد حصل له الهدى وخير الدنيا والآخرة ، وان لم يعرف حقائق الامور . بمنزلة من سلك السبيل الى مكة خلف الدليل الهادي فانه يصل الى مقصوده ويجد الزاد والماء في مواطنه ، وان لم يعرف كيف يحصل ذلك وسببه ، ومن سلك خلف غير الدليل الهادي كان ضالا عن الطريق ، فاما أن يهلك ، وإما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق ، والدليل الهادي هو الرسول الذي بعثه الله الى الناس بشيرا نذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وهاديا الى صرط مستقيم ، صراط الله الذي له ملك السموات والارض . وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الازباد والارعاد والصرخات المنكرة ونحو ذلك مايجدون في نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت ، إما وجد في الهوى مذموم ، وإما غضب وعدوان على من هو مظلوم ، وإما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم ، الى غير ذلك من الآثار الشيطانية التي تعتري أهل الاجتماع على شرب الخمر اذا سكروا بها فان السكر بالاصوات المطربة قد تصير من جنس الاسكار بالاشربة المطربة فتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه واتباعه، فيصيرون مضارعين الذين يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله، ويقع بينهم العداوة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضا بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل العائن من أصابه بعينه ، ولهذا قال من قال من العلماء : ان هؤلاء يجب عليهم القود أو الدية اذا عرف أنهم قتلوا بالاحوال الشيطانية الفاسدة لانهم ظالمون وهم انما يغتبطون بما ينفذونه من موادهم المحرمة كما يغتبط الظلمة المسلطون

ومن هذا الجنس حال خفراء الكافرين والمبتدعين والظالمين فانهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمة كما يكون المشركين وأهل الكتاب ، وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم ، يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، أينما لقيتموهم فقاتلوهم فان في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة » وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون

لهم ملكة ظاهرة فإن سلطان الباطن معناه السلطان الظاهر ولا يكون من اولياء الله الا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون . وما فعلوه من الاعانة على الظلم فهم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب وباب القدرة والتمكن باطنا وظاهرا ليس مستلزما لولاية الله تعالى بل قد يكون ولي لله متمكنا ذا سلطان وقد يكون مستضعفا الى ان ينصره الله، وقد يكون عدو الله مستضعفا وقد يكون سلطانا الى ان ينتقم الله منه، فخفراء التتار في الباطن من جنس التتار في الظاهر ، هؤلاء في العباد، بمنزلة هؤلاء في الاجناد . وأما الغلبة فان الله قد يديل الكافرين على المؤمنين تارة كما يديل المؤمنين على الكافرين ، كما كان يكون لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع عدوهم، لكن العاقبة للمتقين . فان الله يقول (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) واذا كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظهرا عليهم كان ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم اما تفريطهم في اداء الواجبات باطنا وظاهراً . واما لعدوانهم بتعدي الحدود باطنا وظاهرا، قال الله تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقال تعالى (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) وقد قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز * الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) .

﴿ فصل ﴾ وأما هذه المشاهد المشهورة فمنها ما هو كذب قطعا مثل المشهد الذي بظاهر دمشق المضاف الى أبي بن كعب والمشهد الذي في ظاهرها المضاف الى أويس القرني والمشهد الذي في سفح لبنان المضاف الى نوح عليه السلام والمشهد الذي بمصر المضاف الى الحسين — الى غير ذلك من المشاهد التي يطول شرحها بالشام والعراق ومصر وسائر الامصار حتى قال طائفة من العلماء منهم عبد العزيز الكناني كل هذه القبور المضافة الى الانبياء لا يصح فيها الاقبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اثبت غيره قبر الخليل عليه السلام ايضا، واما مشهد علي فعامة العلماء على انه ليس قبره بل قد قيل انه قبر المغيرة بن شعبة وذلك انه انما

ظهر بعد نحو ثلثمائة سنة من موت علي في امارة بني بويه. وذكروا ان أصل ذلك حكاية بلغتهم عن الرشيد انه أتى الى ذلك المكان وجعل يعتذر الى من فيه مما جرى بينه وبين ذرية علي . وبمثل هذه الحكاية لا يقوم شيء فالرشيد أيضا لاعلم له بذلك ولعل هذه الحكاية إن صحت عنه فقد قيل له ذلك كما قيل لغيره

وجمهور أهل المعرفة يقولون ان عليا انما دفن في قصر الامارة أو قريبا منه وهذا هو السنة ، فان حمل الميت من الكوفة الى مكان بعيد ليس فيه فضيلة أمر غير مشروع فلا يظن بآل علي رضي الله عنهم أنهم فعلوا به ذلك . ولا يظن أيضا ان ذلك خفي على أهل بيته والمسلمين ثلاثمائة سنة حتى أظهره قوم من الاعاجم الجهال ذوي الاهواء ، كذلك قبر معاوية الذى بظاهر دمشق قد قيل أنه ليس قبر معاوية وان قبره بحائط مسجد دمشق الذي يقال انه قبر هود

وأصل ذلك ان عامة هذه القبور والمشاهد مضطرب مختلف لا يكاد يوقف منه على علم الا في قليل منها بعد بحث شديد وهذا لان معرفتها وبناء المساجد عليها ليس من شريعة الاسلام ، ولا ذلك من حكم الذكر الذي تكفل الله بحفظه حيث قال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) بل قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عما يفعله المبتدعون عندها مثل قوله الذي رواه مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وقال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »

وقد اتفق ائمة الاسلام على انه لا يشرع بناء هذه المشاهد التي على القبور ولا يشرع اتخاذها مساجد ، ولا تشرع الصلاة عندها ، ولا يشرع قصدها لاجل التعبد عندها بصلاة واعتكاف أو استغاثة وابتهال ونحو ذلك ، وكرهوا الصلاة عندها ، ثم كثير منهم قال : الصلاة باطلة لاجل النهي عنها

وانما السنة اذا زار قبر مسلم ميت اما نبي أو رجل صالح أو غيرهما ان يسلم عليه ويدعو له بمنزلة الصلاة على جنازته كما جمع الله بين هذين حيث يقول في المنافقين « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » فكان

دليل الخطاب ان المؤمنين يصلى عليهم ويقام على قبورهم ، وفي السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم ، كان اذا دفن الميت من أصحابه يقوم على قبره ثم يقول « سلوا له التثبيت فانه الآن يسئل »

وفي الصحيح انه كان يعلم أصحابه ان يقولوا اذا زاروا القبور « السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم »

واما دين الله تعالى تعظيم بيوت الله وحده لا شريك له وهي المساجد التي تشرع فيها الصلوات جماعة وغير جماعة والاعتكاف وسائر العبادات البدنية والقلبية من القراءة والذكر والدعاء لله قال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) وقال تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) وقال تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) فهذا دين المسلمين الذين يعبدون الله مخلصين له الدين

وأما اتخاذ القبور أوثانا فهو من دين المشركين الذي نهى عنه سيد المرسلين ، والله تعالى يصلح حال جميع المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا كما هو اهله

(تمت الرسالة)

(طبعت عن نسخة كتبت في بغداد بقلم محمد صالح المصطفى الوتار)
فيها شيء من الغلط والتحريف
عفا الله عنا وعنه

الخلافة والمؤتمر الاسلامي

﴿ قرار كبار العلماء الرسميين في القاهرة ﴾

بلاغ رسمي للصحف

في يوم الثلاثاء ١٩ شعبان ١٣٤٢ — ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ اجتمعت بالادارة العامة للمعاهد الدينية هيئة علمية دينية كبرى تحت رياسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الشريف ورئيس المعاهد الدينية العلمية الاسلامية وبعضوية أصحاب الفضيلة رئيس المحكمة العليا الشرعية ومفتي الديار المصرية ووكيل الجامع الازهر ومدير المعاهد الدينية والسكرتير العام لمجلس الازهر الاعلى والمعاهد الدينية وشيوخ المعاهد الدينية الكبرى ومشايخ الاقسام بالجامع الازهر والكثير من هيئة كبار العلماء (١) وغيرهم من العلماء والمفتشين بالمعاهد الدينية للمداولة في شؤون الخلافة الاسلامية وقر قرارهم بعد بحث طويل على ما يأتي:

١ — كثر تحدث الناس في أمر الخلافة بعد خروج الامير عبد المجيد من الاستانة واهتم المسلمون بالبحث والتفكير فيما يجب عليهم عمله قياما بما يفرضه عليهم دينهم الحنيف : لذلك رأينا أن نعلن رأينا في خلافة الامير عبد المجيد وفيما يجب على المسلمين اتباعه الآن وفيما بعد

٢ — الخلافة - وتسمى الامامة - رياسة عامة في الدين والدنيا قوامها النظر في مصالح الملة وتدبير الامة . والامام نائب عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم في حماية الدين وتنفيذ أحكامه وفي تدبير شؤون الخلق الدنيوية على مقتضى النظر الشرعي

٣ — الامام يصير إماما بالبيعة من أهل الحل والعقد أو استخلاف إمام

(١) هيئة كبار العلماء جماعة رسمية منهم معدودون يلقبون هذا اللقب بنص قانون الازهر ولهم رواتب معينة من الحكومة

قبله ولا بد مع هذا من نفاذ حكمه في رعيته خوفا من قهره وسلطانه فان بايع الناس الامام ولم ينفذ حكمه فيهم لعجزه عن قهرهم أو استخلفه امام قبله ولم ينفذ حكمه في الرعية لعجزه لا يصير إماما بالبيعة أو الاستخلاف

وتستفاد الامامة أيضا بطريق التغلب وحده فاذا تغلب شخص على الخليفة واغتصب مكانه انعزل الاول . وقد يوجد التغلب مع البيعة أو الاستخلاف كما حصل لاكثر الخلفاء في العصور الماضية وهذا كله مستفاد صراحة من نصوص السادة الحنفية

٤ — ولما كان الامام صاحب التصرف التام في شؤون الرعية وجب أن تكون جميع الولايات مستمدة منه وصادرة عنه كولاية الوزراء وكولاية أمراء الاقاليم وولاية القضاء وولاية نقباء الجيوش وحماة الثغور

٥ — وينحل عقد الامامة بما يزول به المقصود منها كأسره بحيث لا يرجى خلاصه وعجزه عن تدبير مصالح الملة والامة . ومتى وجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين وانتكاس أمور الدين جاز للامة خلعه ما لم يؤد ذلك الى فتنة ، فان أدى اليها احتمل أخف الضررين

٦ — رضي المسلمون الذين كانوا يدينون لخلافة الامير وحيد الدين عن خلعه للاسباب التي علموها عنه واعتقدوا أنها مبررة للخلع ثم قدم الاتراك للخلافة الامير عبد المجيد معلنين فصل السلطة جميعها عن الخليفة ووكلوا أمرها الى مجلسهم الوطني وجعلوا الامير عبد المجيد خليفة روحيا فقط

٧ — وقد أحدث الاتراك بعملهم هذا بدعة ما كان يعرفها المسلمون من قبل ثم أضافوا اليها بدعة أخرى وهي الغاء مقام الخلافة

٨ — لم تكن خلافة الامير عبد المجيد والحالة هذه خلافة شرعية فان الدين الاسلامي لا يعرف الخليفة بهذا المعنى الذي حدد له ورضيه ولم تكن بيعة المسلمين له بيعة صحيحة شرعا

٩ — واذا غضضنا النظر عن هذا وقلنا إن البيعة صحت له فانه لم يتم له نفوذ الحكم الذي هو شرط شرعي لتحقيق معنى الخلافة

١٠ — واذا فرض أنه تم له وصف الخلافة بمعناها الشرعي فقد انحل عنه ذلك الوصف بعجزه حقيقة عن القيام بتدبير أمور الدين والدنيا وعجزه عن الاقامة في بلده ومملكته وعن حماية نفسه وأسرته بعد أن تم للاتراك تغلبهم عليه

١١ — والنتيجة لهذا كله أنه ليس للامير عبد المجيد بيعة في أعناق المسلمين لزوال المقصود من الامامة شرعا ، وأنه ليس من الحكمة ولا مما يلائم شرف الاسلام والمسلمين أن ينادوا ببقاء بيعة في أعناقهم لشخص لايملك الاقامة في بلده ولا يملكون هم تمكينه منها

١٢ — ولما كان مركز الخلافة في نظر الدين الاسلامي ونظر جميع المسلمين له من الاهمية مالا يعدله شيء آخر لما يترتب عليه من اعلاء شأن الدين وأهله ومن توحيد جامعة المسلمين وربطهم برباط قوي متين وجب على المسلمين أن يفكروا في نظام الخلافة وفي وضع أسسه على قواعد تتفق مع أحكام الدين الاسلامي ولا تتجافى مع النظم الاسلامية التي رضيها المسلمون نظما لحكمهم

١٣ — غير أن الضجة التي أحدثها الاتراك بالغاء مقام الخلافة والتغلب على الامير عبد المجيد جعلت العالم الاسلامي فى اضطراب لايتمكن المسلمون معه من البت في هذه النظم وتكوين رأي ناضج فيها وفيمن يصح أن يختار خليفة لهم الا بعد الهدوء وبعد الامعان في الروية وبعد معرفة وجهات النظر في مختلف الجهات

١٤ — لهذه الاسباب نرى أنه لابد من عقد مؤتمر ديني اسلامي يدعى اليه ممثلو جميع الامم الاسلامية للبحث فيمن يجب أن تسند اليه الخلافة الاسلامية ويكون بمدينة القاهرة تحت رياسة شيخ الاسلام بالديار المصرية وذلك نظرا لمكانة مصر الممتازة بين الامم الاسلامية وأن يكون عقد المؤتمر فى شهر شعبان سنة ١٣٤٣ ه (مارس سنة ١٩٢٥ م)

١٥ — ولا بد لنا من اعلان الشكر لكل من أبدى غيرة دينية إسلامية فى امر الخلافة وأظهر اهتماما بهذا الواجب

١٦ — ونعلن أيضا شكرنا للامم التي تدين بأديان أخرى غير الدين الاسلامي ولدول تلك الامم على ما أظهروه الى الآن من ابتعادهم عن التدخل

في شئون الخلافه الاسلامية ، ونرجو منهم أن يلاحظوا أن مسألة الخلافه مسألة اسلامية محضة لايجوز أن تتعدى دائرتها ، ولا أن يهتم بها أحد من غير أهلها . والعالم الاسلامي جميعه يريد أن يعيش بسلام مع الامم الاخري وأن يحافظ على قواعد دينه الحقة ونظامه البريئه بطبعها من العدوان

١٧ — هذا ما رأينا من الواجب الدينى علينا اذاعته الى العالم الاسلامي في مختلف البقاع والى الامم الاخرى ليكون الجميع على بينة من الامر

القاهرة فى ١٩ شعبان سنه ١٣٤٢ و (٢٥ مارس سنه ١٩٢٤)

(ويلي ذلك الامضاءات)

موافقة علماء الاسكندرية على قرار علماء الازهر

(اجتمع جمهور علماء معهد الاسكندرية ووضعوا البيان التالى بعدان كثر القول في مخالفتهم لعلماء الازهر)

«نحن علماء معهد اسكندرية نظرنا في القرار الذى وضعه أصحاب الفضيلة العلماء الذين اجتمعوا في الادارة العامة للمعاهد برئاسة صاحب الفضيلة مولانا شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية فوجدناه مشتملا على مرضين (أحدهما) الحكم الشرعي في خلافة الامير عبد المجيد (وثانيهما) لزوم عقد مؤتمر إسلامي عام للنظر فيمن تسند اليه الخلافة بعد ما تنحى الاتراك عنها

«أما الاول فقد راجعنا بشأنه قرارات الجمعية الوطنية بأنقره واطلعنا على قرارها الصادر بتاريخ ١ نوفمبر سنة ١٩٢٢ المندرج بجريدة المقطم الصادر بتاريخ ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ القاضي بسحب السلطة بنوعيها التشريعية والتنفيذية من الخليفة وجعلها حقا خاصا بالجمعية المذكورة وجعل الخلافة في آل عثمان وجعل حماية الخلافة راجعة للجمعية والذى يقضي بتجريد الخليفة من كل اشتراك أو تدخل في تدبير شئون الرعية وحراسة المسلمين بما يقتضيه النظر الشرعي في مصالحهم . واطلعنا أيضا على قرار الجمعية المذكورة الصادر في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٢ المندرج بجريدة الاهرام عدد ١٣٩١٧ الصادر في ٨ دسمبر سنة ١٩٢٢ القاضي بخلع الامير وحيد

الدين وتولية الاميرعبد المجيد خليفة مع مراعاة الاصول المرعية في قرار أول نوفمبر السالف الذكر . واطلعنا على صورة التلغراف الصادر من الامير عبد المجيد الى رئاسة مجلس الامة الكبير المنشور بجريدة المقطم عدد ١٠٢٦٢ الصادر بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ردا على التلغراف الصادر من مجلس الامة الكبير بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٢ الذي جاء فيه : ان الامة قد احتفظت لنفسها بالسيادة في تركيا بلا قيد ولا شرط طبقا لاحكام دستورها الذي يوحد بين القوتين التشريعية والتنفيذية ويجمعهما في مجلس الامة الكبير شاكرا المجلس على انتخابه لمقام الخلافة مع تجريده عن السلطتين التشريعية والتنفيذية . وحيث ان انتخابه لمقام الخلافة كان على شرط انه ليس له من الامر شيء ، وقد أقرهم على ذلك وشكرهم عليه فقد تبين انه وقع انتخابه لوظيفة لم يبق فيها لاعمال الخلافة الشرعية شيء فلا تعد البيعة التي حصلت من المسلمين له بيعة بالخلافة

« نعم إن المسلمين ما كانوا في غفلة عن هذا حينما بايعوه ولكن دعاهم الى البيعة بل الى الاسراع بها ذلك الظرف العصيب والمحنة التي تجهمت للمسلمين إذ ذاك بفرار وحيد الدين على ظهر مركب أجنبي منادياً بأنه لا يزال خليفة المسلمين فلم يشك أحد في أنه بعد أيام سيكون في الهند مثلا بهذا اللقب . وهذا مما يفت في عضد الاسلام وأهله ويحدث صدعا خطرا في بناء الهيئة الاسلامية ، ثم في الوقت نفسه انهالت الطلبات على كبار حكام الترك لتعيين امتيازات الخليفة الجديد لتحقيق مبدأ الخلافة في حدود الشورى ، فكانت أجوبتهم متحدة بأن الخليفة الآن محصور بجيوش الحلفاء بالاستانة فلا نأمن أن يتخذوا مقام الخلافة سلاحا للنكاية بالترك وبعد جلاء الجيوش تعين له الامتيازات ، فهذا طمأن المسلمين على أنها ستكون خلافة شرعية وان تجريدها مؤقت وذلك ما أوجب سرعتهم في البيعة حتى يقطعوا السبل في وجه الغادر بالمسلمين وحيد الدين

« وحيث ان الامير عبد المجيد بويع في هذه الظروف وليس له من رئاسة المسلمين شيء ولم يحقق الاتراك وعدهم بشأنه للمسلمين بل شردوه من بلاده - فانا نوافق على القرار القاضي بأنه لا بيعة له في رقاب المسلمين ، وان مقام الخلافة الآن خال

لا يشغله إمام . وأما (الثاني) وهو لزوم الدعوة لمؤتمر الاسلامي العام فانا نحبذه كل التحبيذ لان الحالة التي أصبح فيها المسلمون توجب عليهم شرعا التذرع بجميع الوسائل النافعة لخلوصهم من هذه الورطة الشديدة التي وقعوا فيها وليس أمامهم منها الا عقد مؤتمر إسلامي عام يعالج حل هذه المعضلة وكشف هذه البلية

والله سبحانه يتولى المسلمين بعنايته ويوفقهم لجمع الكلمة على مابه سعادتهم في الدنيا والآخرة اه

وضع هذا البيان أصحاب الفضيلة علماء الاسكندرية في ٢٧ رمضان الماضي (٢ ابريل) وقدموه ممضيا منهم الى مشيخة الاسكندرية ، وأرسله مراسل جريدة الاهرام في الاسكندرية اليها في ١٩ ابريل فنشرته على الناس

﴿ تأثير قرار كبار العلماء ، وفوضى العلم والدين في هذه الديار ﴾

لما أذاعت الجرائد تسمية منح حكومة انقرة لعبد المجيد افندي نجل السلطان عبد المجيد لقب خليفة لموافقته اياها على الفصل بين الدين والدولة وبين الخلافة والحكومة . بادر كثير من علماء الازهر وعلماء سائر المعاهد الدينية التابعة له الى مبايعة عبد المجيد بالخلافة الاسلامية النبوية ونشروا نصوص مبايعتهم في الصحف اليومية كغيرهم من الطبقات التي لا تعرف أحكام الامامة الاسلامية وشروطها بل اغتر بهم أكثر الذين بايعوا واتبعوهم

وإننا على علمنا بان مبايعتهم هذه لغو لا يترتب عليها حكم ولا تجعل الرجل خليفة مطاقا ولا إماما متبعا في الدولة التركية ولا في غيرها بالاولى ، لانهم ليسوا أهل الحل والعقد هنالك ولا هنا ، - إننا على علمنا بهذا تألمنا لوقوع هذه المبايعة ضنا بكرامة علماء مصر ان يصدر من الجماعات الكثيرة العدد منهم مبايعة باطلة شرعا ، ولما يترتب على ذلك من تأييد جماعة انقرة العابثين بهذا المقام الاعلى في الأمة الاسلامية ، وقد عجبنا أشد العجب من اقدامهم على هذا العمل ولم نجد له الا أحد تعليلين لا مانع من اجتماعهما للبعض : الغفلة المطلقة عن أحكام الخلافة ونسيانها لعدم وضعها موضع البحث والعمل - أو الجريان في تيار

السياسة ومجاراة الدوام فيها . وإنا لنكره لهم كلا منهما ونود تكريمهما وتنزيههما عنه ، وانما اخطر ببالنا التعليل الاول ما كان وقع لنا مع عالمين من أذكى علماء الازهر أحدهما من قضاة الشرع والآخر من المدرسين كانا قد زارانا قبل حادثة الخلافة بسنين فكان من شجون الحديث بيننا ان ذكرت مسألة الخلافة وشرط النسب القرشي فيها فقال الشيخان ان مذهبنا الحنفي لا يشترط هذا الشرط - قلت لا خلاف في هذه المسألة بين مذاهب أهل السنة الاربعة ولا غيرهم بل هي اجماعية عندهم فأنكرا ذلك فجئتهم بالنص عليه من شرح البخاري والمواقف والمقاصد وغيرها ، وقد بينا مسائل الخلافة مفصلة تفصيلا و نشرناها في المنار وكلمنا بعض الازهريين في خطئهم وأقمنا لهم الحجج على بطلان مافعلوه فأصروا عليه

ثم بطشت انقره بطشتها الكبرى فألغت خلافتها أصلا وفرعا ، وطردت صاحب لقب الخلافة من بلادها وسائر الاسرة السلطانية فرادى وجمعا ، ولكن علماءنا المبايعين ثبتوا على بيعتهم وزعموا ان عبد المجيد افندي المنفي في سويسرة من بلاد اورية لا يزال كما لقبوه هم وأمثالهم من غير قومه : إمام المسلمين ، وخليفة رسول رب العالمين ، وان بيعته لا تزال في الاعناق ، وطاعته واجبة على الشعوب والافراد ، ونصرته على حكومة بلاده محتمة ولو بالقتال ، فعمدنا الى الكتابة في المسألة ونشرنا بعض المقالات في جريدة الاهرام ، ورغبنا الى شيخ الازهر في تلافي هذه الفوضى وحفظ كرامة العلماء .

ثم اجتمع كبار العلماء تحت رياسته عند وجود الباعث ووضعوا قرارهم ونشروه في الصحف اليومية كلها وأيدهم فيه كبار علماء الاسكندرية ، واعتذر هؤلاء عن مبايعة جمهور العلماء بما هو صريح تعليلنا الثاني وهو اعتذار يصدق في بعض اولئك المبايعين دون بعض ، ويؤيد هذا ما حدث بعد ، وهو انكار الكثيرين منهم لقرار كبار العلماء ، ثم أن هؤلاء ألفوا لجنة المؤتمر ودعوا اليها بعض أولئك المصريين فرجعوا عن رأيهم وقولهم . وأصر آخرون وأنشؤا ينشرون المقالات في الجرائد في الرد على القرار ، وشايعهم على ذلك آخرون من سائر الطبقات ، ولا سيما الذين سبقوا الى تأليف لجنة أو لجان لاجل المؤتمر المقترح

ساءتنا هـذه الفوضى وساءنا تصدي بعض الازهريين أنفسهم الرد على شيوخهم وكبار معدهم حتى بالباطل ، وبالخروج عن الادب اللائق ، حتى إننا كنافي أواخر رمضان شرعنا في كتابة مقالة في تأييد كبار العلماء والدفاع عنهم من غير أدنى طعن فيغيرهم فأمسكنا عن إتمامها قرفا من هذه الفوضى التي أحدثتها حرية النشر في البلاد . ومن يضلل الله فما له من هاد

عالم العراق * ورحلة اهل الآفاق

السيد محمود شكري الالوسي

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعـه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو « رض »

وقد قبض الله تعالى اليه في الرابع من شهر شوال الماضي عالم العراق ، ورحلة أهل الآفاق ، ناصر السنة ، قامع البدعة ، محيي هدي السلف ، حافظ فنون الخلف ، علامة المنقول ، دراكة المعقول ، دائرة المعارف الاسلامية ، نبراس الامة العربية ، حجة العترة النبوية ، عميد الاسرة الالوسية ، صديقنا وأخانا في الله عز وجل السيد محمود شكري الالوسي قدس الله روحه

كان رحمه الله تعالى إماما يقتدي به في علمه وعمله وهديه وآدابه وفضائله وقف جميع حياته على علوم الاسلام وفنون اللغة العربية في هذا العصر الذي قل فيه الاشتغال بالعلم والادب في تلك البلاد بين أهل السنة ، وكاد ينحصر في الشيعة ، فبعد ان كانت بغداد في عهد العباسيين عاصمة العلوم والفنون في الارض ، وكانت المدرسة النظامية فيها أول مدرسة جامعة في العالم ، ثم بعد ان كان يوجد فيها في كل عصر افراد نابغون كجد الفقيد صاحب روح المعاني « رحمه الله تعالى » استقبلنا هذا القرن الرابع عشر للهجرة من أوله في الاشتغال بالعلم وصار لنا بنشر المنار وبالسياحة علم واختبار باحوال الاقطار الاسلامية فلم نسمع للعلوم العربية والدينية على مذهب السنة صوتا الا من هذا الرجل ، لهذا لقبناه في مكتوباتنا له بعالم العراق ، كما لقبنا المرحوم جمال الدين القاسمي بعالم الشام

انما العالم من كان مستقلا في فهمه للعلم واستدلاله على مسائله وقدمات العلم الحي المنتج في بلاد الاسلام بالتقليد رويداً رويدا حتى صار وجود العالم (المستقل) نادرا ، وصار اذا وجد متهما في دينه من أهل الحشو والجمود من اصحاب العمائم المكورة والاردان المكبرة ، والاذيال المجررة

إن التعليم في المدارس الدينية الاسلامية كله تقليدي فاذا رأيت عالما مستقلا فاعلم أنه لافضل لمدرسته ولا لشيوخها في ذلك بل سببه استعداد خاص فيه قارنه إرشاد مرشد من غير العلماء الرسميين في الغالب — أو اطلاع على بعض المصنفات التي ترشد الى العلم الصحيح فتقحه فأثمر وأنتج ، وحسب فقيدنا الكريم أنه كان في أثناء طلب العلم يراجع تفسير جده أو يطالع كتاب استاذه وعمه (جلاء العينين) فهما يرشدانه الى ترك التزام ماقرره أفراد من العلماء لتسميتهم علماء مذهبه ونبذ كل ما أثر عن غيرهم من علماء الملة وان وضح دليلهم لانهم أئمة مذاهب أخرى أو منسوبون اليها وما يدرينا لعل عمه السيد خير الدين كان يرشده الى الاستدلال والاستقلال ولو في الاصول ، وان كان كوالده صاحب التفسير يلتزمان التقليد في الفروع ، فمهما تكن حالهما في التدريس والفتوي فقد كانا غريبين في عصرهما لما اوتيا من سعة الاطلاع وعدم الجمود على المألوف عند الاشياخ ، دع التعصب الذميم للمذهب .

والذي يظهر لنا أن الاستاذ رحمه الله لم يعن بالدعوة الى الاستقلال وترك التقليد وتربية نشء جديد يقوم بذلك على ما كان عليه من الشجاعة وعدم المبالاة بالدنيا وأهلها ، ولو عني بهذا لكان له به شغل عن شرح فاتحة الكتاب المطول للسعد وأمثالها ، ولعل عذره أنه لم يجد في بغداد طلابا مستعدين ولذلك لم نر له غير تلميذ واحد يرجي أن يكون خلفا صالحا له في التدريس والتصنيف وإحياء موات الكتب النافعة بالتنقيب عنها واستنساخها والسعي لطبعها ، وفي غير ذلك من فضائله ، ألا وهو الاستاذ الشيخ محمد بهجت الاثري — فقد عهد الفقيد اليـه بمكاتبتنا بالنيـابة عنه لما تناوبته الامراض في السنين الاخيرة فرأينا من مكتوباته خير مثال لمكتوبات استاذه في اللفظ والمعنى ، وفي الخط أيضا ، فخطـه كخطه كأنه هو ، ولو لا آمالنا بهذا لكان حزننا على فقيدنا العزيز مضاعفا أضعافا كثيرة ، وهو الذي تفضل علينا بترجمته المفصلة الآتية ، فنبدأ بنشرها ثم نقفي عليها ببعض الفوائد في جزء آخر ان شاء الله تعالى

ترجمة الفقيد

هو العالم الكبير ، التقي الورع الزاهد ، تذكرة السلف ، وحجة الله على الخلف ، الامام السيد محمود شكري ؛ بن العالم الصوفي السيد عبدالله بهاء الدين ابن امام القرن الثالث عشر أبي الثناء السيد محمود شهاب الدين صاحب تفسير (روح المعاني) ابن السيد عبد الله رئيس المدرسين في بغداد ومدرس المدرسة العظمى في جامع الامام أبي حنيفة ، ابن السيد محمود الخطيب الالوسي البغدادي ، وينتهى نسبه الى الامام الحسين رضي الله عنه .

ولد ببغداد في (١٩ رمضان سنة ١٢٧٣ هـ) . في بيت عريق في الحسب والنسب ، ضليع في العلم والادب ، ينسب الى ألوس (بالقصر على الاصح) وهي قرية على الفرات ، قرب عانات نبغ فيها قديما كثير من الفضلاء كمحمد بن حصن بن خالد ، والمؤيد الشاعر المتوفي سنة ٥٥٧ هـ الذي اتهمه المقتفي لامر الله بممالاة السلطان ومكاتبته فأمر بحبسه في خبر ليس هذا محله

وقد فر اليها أحد أجداده من وجه هولا كو عنـد ما دهم بغداد وفتك بأهلها ، ومنذ نحو ثلثمائة سنة رجع أبناؤه الى بغداد ولبثوا فيها وبنوا لهم بجدهم واجتهادهم مجداً رفيعا * يبلى الزمان وحسنه يتجدد *

نشأ رحمه الله في حجر والده كما ينشأ ربيب العز والمجد ، وتلقى عنه القراءة ومبادىء النحو والصرف والحساب وأتقن عليه الخط فاشتهر وهو صغير باجادته وكان يعتني بتربيته وتهذيبه لما يتوسم فيه من أمارات

النباهة والذكاء ، ثم بعد وفاة أبيه لازم عمه العلامة السيد نعمان الآلوسي وأكب على المطالعة وعكف على اكتساب العلم وأكمل دروسه على سائر علماء بغداد فأتقن علوم الادب والفقه والحديث والتفسير والهيئة والحكمة الطبيعية والالهية ومنطق اليونان والجبر وغير ذلك، وتعلم من اللغات الفارسية والتركية . وألف وهو ابن عشرين عاما وكان كتاب (شرح الثناء) باكورة مؤلفاته . ودرس في بادىء أمره في بيته ثم انتقل الى مدرسة (جامع العدلية) ثم أسند اليه تدريس مدرسة (السيد سلطان علي) وتدريس المدرسة الداودية (الحيدرخانة) وأخيراً أحيل اليه تدريس (مدرسة مرجان) فترك تدريس (السيد سلطان علي) لاحد أبناء أسرته اكتفاء بمدرسة مرجان والحيدرية ، وقد تخرج به كثيرون اشتهروا بالعلم أو الادب كابن عمه شيخنا العالم الاديب الكبير المغفور له السيد علي علاء الدين الآلوسي ، ومعروف الرصافي الشاعر المشهور . وأخذ اسمه ينتشر وشهرته تتعاظم يوما بعد يوم بدروسه التي يلقيها على تلامذته الكثيرين ، ومؤلفاته التي تنمقها أنامله وتدبجه يراعته العسالة ، ولا سيما كتابه (بلوغ الارب في لسان العرب) الذي ألفه تلبية لنداء لجنة الالسنة الشرقية المنعقدة في (استوقهلم) بدعوة (اسكار الثاني) ملك أسوج ونروج . فقد اقترحت هذه اللجنة منذ نحو أربعين عاما على علماء الشرق والغرب تأليف كتاب يعرب عن أحوال العرب قبل الاسلام ويستوعب بيان ما كانوا عليه في جاهليتهم من العوائد والاحكام وغير ذلك فأجاب هذا الاقتراح كثير من علماء الشرق والغرب ومن بينهم المترجم وعرض كل منهم مؤلفه على تلكم اللجنة ولدى السبر

أدركت ان أجمعها مادة ، وأوسعها جادة ، وأغزرها فائدة ، وأجزلها عائدة ، وأزيدها ايضاحا ، وأقربها مراعاة للشروط التي ألزمتها اللجنة من يريد الخوض في عباب هذا البحث - هو كتاب (بلوغ الارب) فاستحق الكتاب التقريظ والاطراء كما فاز مؤلفه دون سواه بالوسام الذهبي والجائزة

وقد بعث اليه (الكونت كرلودي لندبرج قنصل أسوج ونروج العام في مصر ووكيلها السياسي) برسالتين فيما أعلم أثنى بهما عليه وشكر له عنايته ووعده بطبع كتابه تخليداً لما ثره في خزائن الآداب ، وقد نشرت احداهما في أواخر الكتاب والثانية في جريدة (الزوراء) التي كانت تصدر في بغداد

هنالك — بعد ما طبع الكتاب ونشر اسم الفائز في ذلك المضمار البعيد المدى — كتبت الصحف والمجلات السيارة في الشرق والغرب الفصول الضافية الذيول في تقريظ الكتاب وإطراء مؤلفه النابغة الذي نشأ في بيئة منحطة علما وأدبا فسبق بجده واجتهاده كل من حبر وكتب، من أبناء البلاد المتقدمة في مضمار العلم و الادب ، فطار صيته في الآفاق ، وعرف فضله الخاص والعام حتى يكاد لم يبق أحد لم يسمع باسمه . وتعرف به كثير من أفاضل المستشرقين واستفادوا من فضله وسعة اطلاعه نخص منهم بالذكر العلامة مرغليوث الانجليزي صاحب المؤلفات الكثيرة وصديقنا الجهبذ البارع لويز ماسنيون الفرنسي

وقد عرف الامراء والولاة فضله فقربوه منهم وعرضوا عليه مناصب في الحكومة سامية فزهد فيها ورغب عنها لانصرافه بكليته الى العلم ومقته الاشتغال في المناصب والتزلف من الحكام وكل ما يصده عن

خدمة العلم والادب حتى إنه رغب عن لذات الدنيا ولم يتزوج قط .

ولما جاء الوزير سري باشا التركي واليا على بغداد أدناه منه كثيرا دون غيره من علماء بغداد واستفاد من محاضراته الادبية ومحاوراته العلمية ، ثم اقترح عليه بالحاح بأن يتولى ادارة جريدة (الزوراء) وهي أول جريدة أنشئت في بغداد أنشاها الوزير مدحت باشا الشهير . وأن ينشيء فيها القسم العربي فلما لم يجد منه بدا لباه ، وأجاب نداه ، فتولى شؤونها وكتب فيها بعض المقالات الادبية ونشر قسما من بلوغ الارب وأعمل حركة أدبية في ذلك الجو الساكن القاتم ذلك اليوم بما كان يعرضه فيها من الاسئلة في شتى العلوم على علماء البلد

وقد كان عصر الفقيد الذي تلقى فيه العلم عصر تقليد وجمود على الرث البالي : يتلقى الطالب ما يقرؤه في كتب الاعاجم المؤلفة في عصور التاخر والتقهقر بالتسليم ، ويأخذ ما يتلقفه من مشايخه بالقبول من غير نقد أو تمحيص ، ويحرص عليه حرصا يجره الى تكفير كل من يخالفه غالبا ، فاستمر الفقيد على هذه الطريقة العوجاء متاثراً بها حتى برقت له بارقة اليقين ، وقد تجاوزت سنه الثلاثين ، فهدته بنورها الخلاب الى المحجة البيضاء التي لا يضل سالكها ، وكسر أغلال التعصب وفك ربقة الجمود من عنقه ، وأطلق طائر فكره من قفص التقليد الاعمى الى فضاء التساهل والتيسير ، والتبشير دون التنفير ، وطفق يأخذ بالكتاب والسنة ، وبما يوافقهما من كلام سلف الامة من غير تحزب لشيعة أو مذهب ، فصدع بعد أن رسخت قدماه بالاخذ بالدليل - بالحق . وشن غارات شعواء على الخرافات المتغلغلة في النفوس والتقاليد الذميمه بمؤلفاته العديدة ،

تلك المؤلفات التي زعزعت أسس الباطل ، وأحدثت بين حين وآخر انقلابا عظيما في الافكار ، ككتاب المنحة الالهية وغاية الاماني والسيوف المشرقة وصب العذاب وفتح المنان وغيرها ،

ودعا المقلدين الجامدين الى الهدى وترك ما وجدوا عليه آباءهم ، فشالت نعامتهم وصبوا عليه جام التشنيع في المجالس ، ونبزوه بالوهابية وهي كلمة يعظم وقعها على الهمج والرعاع ، وناصبوه العداء ، غير أنهم لم يجدوا لانفسهم عليه سبيلا الى أن كانت سنة ١٣٢٠ فسعوا به الى والي بغداد وهو يومئذ عبد الوهاب باشا وكان من الحشوية الضالين يناصب كل من يدعو الى الاصلاح ، المتوقف عليه الفلاح والنجاح ، فاتخذ بعض التدابير السيئة وكتب لعبد الحميد ولابي الهدى يخبرهما (بان الفقيد له تأثير كبير على نفوس العراقيين لمنزلته العلمية الكبرى وانه أخذ ينشر مبادىء الوهابيين ويؤسس مذهبا جديدا مخالفا لمذهب أهل السنة ! ! وان دعوته أخذت بالانتشار في سائر أنحاء العراق ، فمن الخطر العظيم اذا ظل الرجل ينشر دعوته ومبادئه » ! فجاء الامر من عبد الحميد بنفيه ونفي كل من ينتمي اليه فنفي هو وابن عمه السيد ثابت الآلوسي والحاج حمد العسافي من التجار الصالحين الى الاناضول وما كادوا يصلون الموصل حتى قام رؤساؤها لهذا الظلم وقعدوا فكتبوا لعبد الحميد يكذبون ما نسب للفقيد ويطلبون اليه ارجاعه ومن معه الى وطنهم فقبل شهادتهم فيه وأمر بارجاعهم بعد أن قضوا في الموصل الحدباء شهرين لاقوا فيهما من حفاوة أهلها الكرام ما يعجز عن بيانه اللسان ، ويكل دون سطره البنان فعادوا سالمين غانمين ، وعاد الشامتون نادمين على ما فرطوا في جنب الشيخ قارعين سن الندم على ما عملوا

أكب رحمه الله بعد عودته على التدريس والتاليف والنشر وخدمة العلم الصحيح بكل ما يصل اليه جهده الى أن كانت سنة ١٣٣٠ ﻫ فادناه الوالي (وهو يومئذ جمال باشا) منه ، فكان يشاوره في الامر ، وياخذ منه الراي السديد فى الحادثات ، ثم اتفق أن ناصب الوالي بعض أعداء الفقيد من وجهاء بغداد ففصله عن منصبه (وهو عضوية مجلس الادارة) فعرضه على الفقيد فزهد فيه فالح عليه الا القبول فلما لم يجد منه بدا قبله وبقي فيه مدة من الزمن كان فيها نصير الحق وحليف الانصاف ، وسار كما هي شيمته سيرة مرضية ، وأخذ بضبع المظلومين ولم يمكن منهم الظالمين ، الى أن كانت السنة الاولى من سني الحرب العامة فندبته الحكومة للذهاب الى صاحب نجد فى أمر سياسي خطير ليس هذا محل ذكره فرحل اليه عن طريق سورية فالحجاز فنجد واجتمع به فاكرم نزله واحتفى به حفاوة عظيمة لعظم منزلته العلمية وكبير تاثيره ففاوضه الفقيد فى الامر الذي جاءه به من قبل الحكومة العثمانية ثم رجع أدراجه وتفقد معاهد العلم وخزائن الكتب الحافلة بالآثار الجليلة النادرة فى سورية والحجاز ونجد واجتمع به أكابر علماء هاتيك الاقطار فاستفادوا منه علما جما وأدبا غضا . وهنالك عند ما وصل الى الشام عائدا بخفي حنين ظن الناقمون عليه أنهم وجدوا لهم سبيلا لايذائه فاغروا به جمال باشا السفاح الذي استدنى الفقيد منه يوم كان واليا على بغداد ، زاعمين — وبئس الزعم ما زعموا — أنه هو الذي متن(١) صاحب نجد على الحكومة فلم يصغ اليهم لما يعهد فيه من الصدق مع الحكومة والحرص على جمع كلمة المسلمين

(١) يقال متن فلان الشيء أى صلبه وقساه

ثم عاد رحمه الله بعد أن نجا من كيد الجاهلين الى بغداد وعاد الى سيرته الاولى ودرس وألف وأفتى حتى سقوط بغداد بيد الانجليز فعرضوا عليه القضاء وغيره فزهد فيه وامتنع عن التدخل معهم ، ثم عرض عليه زمن تشكيل الحكومة العربية المؤقتة الافتاء فرياسة مجلس التمييز الشرعي فالقضاء فالمشيخة الاسلامية وغيرها فرفض كل وظيفة غير خدمة العلم الصحيح ونشره باخلاص وصدق بين أفراد الامة تدريسا وتصنيفا . وانتخب أخيراً عضوا لمجلس المعارف كما انتخبه المجمع العلمي العربي الزاهر في دمشق عضو شرف . ولم يزل يخدم العلم والادب باخلاص وشأنه يزداد يوما فيوما علوا ورفعة حتى توفاه الله (يوم الخميس ٤ شوال سنة ١٣٤٢ هـ)

وقد كان رحمه اماما في معرفة مذهب السلف ، يأخذ بالدليل دون التقليد ، شديد الانكار على الحشويين لا يعرف المحاباة ولا المداجاة ؛ يقول للمصيب : أصبت ، وللمخطيء : أخطات ، وللصادق : صدقت ، وللكاذب : كذبت

وكان مستجمعا للفضائل عظيم التواضع كثير الحياء غض الادب أبي النفس عزيز الجانب أريحيا لطيف المعشر ساعة الرضى . يقتبس منه الجليس النادرة أثر الشاردة ولا يمله بل يود لو أنه يصاحبه الدهر ، يورد النكتة في حديثه فيطرب لها السامع ولا يكاد ينساها

وكان قوي الشكيمة شديد الغضب سريع الرضى طاهر القلب لا يفتر لحظة عن التفكر في مستقبل الاسلام واهله وقد بالغ في ذلك حتى أدى به الى ذهاب الخاطر ونحول الجسم . وكان مهيبا وقورا ولا اتذكر

اني ملأت عيني يوما .

وكان بعيدا عن التأنق في المأكل والملبس والاغترار بالمظهر الكاذب ، و لن رائيه — لولا ما عليه من نور النبوة — ليحسبه من سائر الناس لعدم اعتنائه بنفسه ولكن لسان حاله يقول نحو ما قاله الامام الشافعي نفسه :

علي ثياب لو يباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا

وفيهن نفس لو تباع بمثلها نفوس الورى كانت أعز وأكبرا

وقد خدم رحمه الله العلم والادب خدمة قل من تسنى له مثلها ومؤلفاته الكثيرة في شتى الابواب شاهد عدل على ما أقول واليك أسماءها :

﴿ مصنفات الفقيد ﴾

(مرتبة على الحروف)

(١) اتحاف الامجاد في ما يصح به الاستشهاد : رسالة صغيرة فرغ من تأليفها في ٢١ صفر سنة ١٣٠١ هـ » .

(٢) الاجوبة المرضية عن الاسئلة المنطقية : في « ٤٢ صفحة » فرغ منه في ١٣ صفر سنة ١٣٤٠ هـ .

(٣) اخبار بغداد ، في ثلاثة اجزاء

(الاولى) في « بيان حال بغداد » ومحالها وقصورها وقراها المجاورة لها ووصف مبانيها وما آل اليه « امرها على سبيل الاجمال ولم يستوعب الكلام على ما جرى عليها في عنفوان شبابها وايام هرمها » وهو في نحو ١٥ كراسة

(الثاني) في تراجم العلماء والادباء الذين اشتهروا في القرن الثالث عشر في بغداد . وقد سماه « المسك الاذفر » وهو في ٤٥٠ صفحة بقطع الربع
(الثالث) في وصف مساجد بغداد وتاريخ بنائها الخ في نحو ١٤٠ صفحة
(٤) اخبار الوالد : جزء لطيف في ترجمة ابيه .
(٥) ازالة الظماء بما ورد في الماء : في نحو كراسة .
(٦) الاسرار الآلهية شرح القصيدة الرفاعية : طبع بمصر سنة ١٣٠٥ هـ وهو من مؤلفاته في نشاته الاولى !
(٧) امثال العوام في مدينة دار السلام : مجموع ما يدور على ألسنة العوام من الامثال المشهورة — نقل اللفظ العامي من غير تغيير وربما غيره الى مايقاربه التعبير تحاشيا عن بعض الالفاظ العجمية . . . رتبه على حروف الهجاء ، وهو في نحو ٨٠ صفحة .
(٨) الآية الكبرى ، على ضلال النبهاني رآئيته الصغرى : كتاب جدلي في نحو (٥٠ صفحة) فرغ من تأليفه سنة ١٣٣٠ هـ
(٩) بدائع الانشاء : في جزئين (١) مجموع رسائل والده في (٠٠) صفحة . (٢) مجموع مكاتباته ادباء العصر في (٣٤٠) صفحة .
(١٠) بلوغ الارب في احوال العرب : طبع في بغداد سنة ١٣١٨ هـ في ثلاثة مجلدات ويطبع اليوم في مصر مصححاً ومشروحاً بقلم كاتب السطور . وكان قد نقل بعضه الشاعر البليغ عبد الحميد الشاوي الحميري - الى التركية وأسماه « منتهى الطلب في ترجمة بلوغ الارب » ونشر طرفا منه في جريدة (الزوراء)
(١١) بنان البيان : متن صغير في علم البيان

(١٢) تاريخ نجد: طبعت مقدمته في احدى المجلات البغدادية وفقد باقيه

(١٣) تجريد السنان في الذب عن أبي حنيفة النعمان : رد على بعض غلاة الشافعية فى نحو مائتي صفحة بالقطع الكبير وهو كتاب جليل يشتمل على مطالب في الفقه مهمة فرغ منه في أواخر شعبان سنة ١٣٠٦ هـ

(١٤) ترجمة رسالة للقوشجي : فى ٧ كراسات ولم أره ولعله فقد

(١٥) الجواب عما استبهم، من الاسئلة المتعلقة بحروف المعجم : جواب عن أسئلة السيوطي السبعة التي لم يجب عنها أحد في زمانه فرغ منه في ١٥ رمضان سنة ١٣١٩ هـ وهو فى ٤٠ صفحة

(١٦) الجوهر الثمين، في بيان حقيقة التضمين : في ٥٠ صفحة

(١٧) الدر اليتيم ، في شمائل ذي الخلق العظيم : لم يتمه

(١٨) الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية : في نحو ٤٠ صفحة فرغ منه في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣١٧ هـ

(١٩) رسالة في كيفية استخراج القياس : أظنها فقدت

(٢٠) رياض الناظرين، في مراسلات المعاصرين: في نحو ٥٦٠ صفحة

(٢١) الروضة الغناء، شرح دعاء الثناء: هو باكورة مؤلفاته ألفه سنة ١٢٩٤ هـ

(٢٢) سعادة الدارين ، في شرح حديث الثقلين : هو رسالة في الرد على الرافضة باللغة الفارسية للشيخ عبد العزيز الملقب بغلام حليم ابن الشاه ولي الله احمد بن عبد الرحيم الدهلوي الفاروقي مصنف حجة الله البالغة ، وقد عربها المترجم وضم اليها بعض الفوائد المتعلقة بهذا الحديث

ورتبها على مقدمة ومقصد وخاتمة. فرغ منه في شهر رمضان سنة ١٣٣٦ ه وهو في ٤٠ صفحة

(٢٣) السيوف المشرقة ، مختصر الصواعق المحرقة ، للشيخ محمد الشهير بخواجه نصر الله الهندي : رد على الرافضة في ٣٠٠ صفحة بالقطع الكبير فرغ منه سنة ١٣٠٣ ه

(٢٤) شرح أرجوزة تأكيد الالوان : نشر في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق (م ١ ص ٧٦)

(٢٥) شرح خطبة المطول : لم أره

(٢٦) شرح منظومة عمود النسب : في نحو ١٠٠٠ صفحة وقد وصفناه في مجلة المجمع العربي (م ٣ ص ١٠٥)

(٢٧) شرح القصيدة الشاوية : في نحو ٨٠ صفحة والقصيدة للاديب الكبير احمد بك الشاوي الحميري رحمه الله في مدح الشارح

(٢٨) شرح منظومة الشيخ حسن بن العطار في الوضع أحد الفنون العربية

(٢٩) صب العذاب، على من سب الاصحاب : رد على أرجوزة لبعض الرافضة من سكان كربلاء ، في مئة صفحة وصفحتين . فرغ منه في ١١ جمادى الاولى سنة ١٣٠٤ ه

(٣٠) الضرائر ، فيما يسوغ للشاعر دون الناثر : كتاب جليل كنت قد شرحته في أوائل ملازمتي له وعنيت بنشره . وطبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٠ ه

(٣١) عقد الدرر شرح مختصر نخبة الفكر : في مصطلح الحديث

والمتن للشيخ عبد الوهاب بركات الشافعي الاحمدي

(٣٢) عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم : رسالة لطيفة نشرتها في ممتاز جريدة العراق لعامها الخامس

(٣٣) غاية الاماني، في الرد على النبهاني . كتاب اصلاحي جدلي في سفرين كبيرين رد بهما على ماجاء به الشيخ يوسف النبهاني من الآراء السخيفة والنقول الواهية فى جواز الاستغاثة والاستعانة بغير الله تعالى وما تجاوز به دائرة الادب في سب كبار أئمة الدين كالامام ابن تيمية والامام ابن قيم الجوزية من المتقدمين والامام السيد صديق حسن خان والمصلح السيد نعمان الآلوسي وأبيه أبي الثناء من المتأخرين الخ وقد طبع في مصر بمطبعة كردستان العلمية

(٣٤) فتح المنان، تتمة منهاج التأسيس رد صلح الاخوان: كتاب اصلاحي جدلي رد به على بعض متصوفة بغداد . طبع في الهند سنة ١٣٠٩ على نفقة الامير الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني

(٣٥) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للامام محمد بن عبد الوهاب

(٣٦) القول الانفع، في الردع عن زيارة المدفع(١): في كراسة ولم أره

(٣٧) كتاب ما اشتمل عليه حروف المعجم ، من الدقائق والحقائق والحكم . في ١١٥ صفحة

(٣٨) كتاب ما دل عليه القرآن، مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة

---

(١) مدفع من مدافع الايرانيين يعرف (بطوب أبي خرامة) تزوره النساء وتوقد له الشموع وتعلق عليه التمائم والاحجار

البرهان. في ١٠٠ صفحة وقد فرغ من إملائه علي في ٦ شوال سنة ١٣٣٩ هـ

(٣٩) كشف الحجاب، عن الشهاب في الحكم والآداب. للقضاعي لم أره ولعله فقد

(٤٠) كنز السعادة، في شرح كلمتي الشهادة. في ٥٤ صفحة وقد فرغ منه في ٦ ج ٢ سنة ١١٩٨ هـ

(٤١) لعب العرب . رسالة لطيفة « اقتطفها من لسان العرب » أثناء مطالعته له عام ١٣٢٦ هـ

(٤٢) اللؤلؤ المنثور، وحلي الصدور. مجموع مكاتيب والده وجده في نحو ١٧٠ صفحة

(٤٣) مختصر الضرائر ، فيما يسوغ للشاعر دون الناثر (*

(٤٤) مختصر مسند الشهاب للقضاعي

(٤٥) المسفر عن الميسر

(٤٦) المفروض، في علم العروض اقتطفه من لسان العرب أثناء مطالعته له

(٤٧) المنحة الالهية تلخيص ترجمة التحفة الاثنى عشرية . رد على الرافضة طبع في الهند في ٢٠٠ صفحة بقطع كبير

(٤٨) منتهى العرفان والنقل والمحض، في ربط بعض الآي ببعض، شرع فيه في أوائل الماضي فوافته المنية قبل إتمامه

(٤٩) كتاب النحت في ١٣ صفحة

وله مجموعات ومؤلفات أخرى فقدت أثناء نفيه منها (٥٠) كتاب جليل في بيان سرقات اليازجى فى مقاماته (مجمع البحرين) وقد وجدت منه

*) المنار من الغريب ان يختصر المؤلف كتابه الضرائر ويشرحه تلميذه وقد كان الاصل مغنيا عن الشرح ، ولكنها شنشنة مصنفينا في القرون الوسطى

بعض الاوراق ولعلي أعثر عليه بجملته

هذا ما أردت كتابته بايجاز وتفصيل ترجمته وأحواله وأطواره وآرائه وغير ذلك في كتابنا « ذكرى الامام الالوسي » الذي شرعنا في تأليفه م

بغداد : محمد بهجت الاثري

(المنار) نشكر للاستاذ الاثري عنايته بتتبع آثار الفقيد وبيان فضله وسنقفي على ترجمته ببعض الفوائد في جزء آخر ان شاء الله تعالى

غلط مهم في التفسير

بعد طبع التفسير في هذا الجزء من المنار نظرنا فيه قبل طبعه ثانية لجزء التفسير المستقل فألفينا فيه غلطاً مطبعيا ومعنويا فأما المعنوي فهو قولنا بعد كلمة من السطر ١٨ من ص ٣٢٢ : ولكنه سكت عن موسى — الى آخر السطر ١٩

كان هذا الاستنباط خطأ منا فطنا له فألغيناه واستبدلنا به في نسخة التفسير ما نصه :

وفي سورة المؤمن (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه : إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد) وهو يدل على أنه كان لديه من يدافع عن موسى ممن آمن به سرا وممن كان يحبه وان لم يؤمن به فقد قال تعالى له (وألقيت عليك محبة مني)وفيه تصريح بما كان له في أنفس المصريين من المحبة والاحترام ، وقد حكى الله تعالى لنا دفاع واحد ممن آمن به فقال (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وإن يك صادقا يصبكم الذي يعدكم ، إن الله لا يهدي من هو مسرف مرتاب)

فأما العبارة التي ألغيناها فيجب على مقتني المنار ترميجها (شطبها) وأما هذه الزيادة فيحسن أن يكتب تجاه العبارة المرمجة من الحاشية (نراجع ص ٣٨٩)

انتحال السيد حسين امير مكة للخلافة

إننا لم نر في كل ما علمناه من عبر التاريخ أدل على الحكمة النبوية في منع طلاب الولاية منها وعدم توليتهم شيئًا من امور الناس كالعبرة التي رأيناها في السيد حسين المكي واولاده

رأينا اناسا تعدى الاجانب على بلادهم وغلبوهم على السلطان فيها فساعدوهم على ادارتها ليشاركوهم في التمتع بنصيب من أموالها ولذة الحكم الصوري فيها ، ولكننا لا نعرف في التاريخ القديم ولا الحديث رجلا وضع بسوء اجتهاده ومحض اختياره خطة لجعل أمته وملته وبلاده تحت سيادة دولة أجنبية مخالفة له في الدين والجنس واللغة والاشتراع والآداب — لاجل أن يكون تحت ظل حمايتها متمتعاً هو وأولاده بألقاب الامارة والملك كما فعل حسين المكي بمقررات نهضته المخزية الخاسرة

وأغرب من ذلك وأخزى أنه قد أسرف هو وأولاده في التبجح بنسبهم وادعاء انحصار حق الملك والامارة والامامة فيهم دون من هم أصح وأصرح منهم نسباً وأكرم حسباً بما لهم مع شرف النسب من شرف الوراثة النبوية بالعلم والعمل ثم أنه على هذا الاسراف يسعى لنيل خلافة النبوة بنفوذ أعدى أعداء النبي صلى الله عليه وسلم في أمته وملته وقومه وشرعه ولغته

أما (مقررات النهضة) فقد وضعها بنفسه واختياره بدون مشاورة احد من العرب او غيرهم من المسلمين حتى ان ولده فيصلا قد صرح واذن بنشر تصريحه بأنه لم يطلع على هـذه المقررات الا بعد ذهابه الى لندن عقب هدنة الحرب وهو الذي نشرها في جريدة المفيـد بدمشق

وقد جاء في أول المادة الاولى منها « تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة » . . . وفي أول الثانيـة « تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه وهذه المساعدات في

القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية » اهـ بنصه ومعناه الصريح أن الانكليز يظلون محتلين للبلاد العربية التي عهد اليهم ايجاد حكومتها وحامين لها الى أن يصير عند حسين أو خلوفه أسطول كأسطولهم وجيوش يقهر بها أعداء أمراء العرب!!

وقد كان وضعه لهذه المقررات إثر مراسلات بينه و بين المعتمد البريطاني بمصر أقرته فيها الحكومة البريطانيـة على انتحال الخلافة كما صرح به السير هنري مكماهون في الكتاب الذي أرسله اليه في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥ وهذا نص عبارته العربية بالحرف (من ص ٦١٦ ج ٨ م ٢٣ المنار)

« فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت الى سيادتكم عن يد (علي افندي) وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها ، واننا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى رحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة » !!!

اعتقد هذا الرجل منذ وصل اليه هذا الكتاب أنه لم يبق بينـه وبين منصب الخلافة إلا أن يخرج الترك من الحجاز أو من مكة وما حولها فان ترحيب ملك الانكليز باستردادها كاف بعد ذلك لنيلها وكان قد تقرر أن يبايع بها في موسم الحج الذي أخرج الترك في أيامه من مكة وجدة والطائف ولكن الله سلم وكان من فضله تعالى على كاتب هذا أنه كان سبباً لصرفه عن تلك المبايعة كما بيناه في المنار مراراً ، وهو لم يقبل نصحنا له بترك مسألة الخلافة الى ما بعد الحرب الا لاننا أقنعناه بأن العالم الاسلامي كله ساخط عليه وكاره لثورته ويرجو انتصار الدولة العثمانيـة مع حلفائها والعاقبة مجهولة وبأن فشل انتحاله للخلافة معلوم بالقطع . على أنه كان مطمئنا بما يتمناه من انكسار الدولة لانه يعتقد ان الدولة البريطانيـة لا تغلب ، فانتظر وأعلن في بعض منشوراته الرسمية ترك مسألة الخلافة الى العالم الاسلامي ثم صرح مراراً بأنه لا يقبل منصب الخلافة الا اذا أجمع المسلمون على تقليده إياه ، ونقل عنـه هذا كثير من الجرائد كما أنه صرح مراراً تصريحا نقلته عنه جريدته (القبلة) بأن

الخلافة قد ماتت وصارت الى رحمة الله تعالى ، وذلك شأنه ودأبه في الاتيان بالنقائض، والكلام المتعارض، وقد يتعمد بعض هذا لاجل أن يحتج لدى كل قوم من المختلفين في الرأي بما يراه مقبولا عندهم ، أو لدفع بعض التهم، كما يكتب ويقول كثيرا انه لا يطمع في ملك ولا جاه ولا مال وانما يريد الخدمة العامة ، وانه مستعد لمبايعة كل من يرضاه المسلمون للخلافة ولكن اعماله وكذا اقواله تنقض هذا كله وآخره انتحاله للخلافة الآن

على إنه كان منذ ذلك العهد يسعى للخلافة سعيها ، ويبث الدعاة لها، وأول من عرفناه منهم (رضا افندي الصبان الدمشقي) الذي كان يتردد في أثناء الحرب بين سورية ومكة ، وقد أطلعنا مرة على (ورقة مبايعة) فيها أسماء كثير من أهل الشام ودعانا الى إمضائها مع بعض وجهاء السوريين الذين كانوا هنا فأبينا (شرعا وطبعا) وقال لنا بعض فضلاء أهل دمشق الذين اطلعوا على تلك الورقة إن بعض الاسماء التى فيها قد مات أصحابها وبعضها لا مسميات لها، وأكثرها أسماء بعض العوام الذين لا يفهمون معنى المبايعة ولا يمتنعون من كتابة أسمائهم أو اذن الامي منهم بكتابة اسمه بأدنى استمالة

ولما دخل الامير فيصل سورية مع الفاتحين من الحلفاء اعتقد أهلها أن البلاد السورية بل العربية كلها قد استقلت وخلصت السيادة عليها لابيه إنجازاً لما وعدت به على ألسنة دعاة الحجاز والانكليز ونصوص جرائدهم كالقبلة في مكة والكوكب في مصر ونصوص المنشورات الهاشمية والمنشورات المبهمة التى كان الانكليز يمطرونها على جميع البلاد العربية في زمن الحرب — وكانت الثقة بصدق الانكليز يومئذ لا تقل عن الثقة بكذبهم الآن — لهذا دعا فيصل ورجاله المسلمين الى مبايعة والده بالخلافة فلبوا الدعوة مسرعين يقلد بعضهم بعضاً . وقلما كان يوجد أحد منهم يشك في كون الملك حسين حل محل السلطان العثماني في البلاد العربية فصار يسمى ملكا وخليفة وكان خطباء المساجد يذكرون اسمه في دعاء الخطبة ويلقبونه بأمير المؤمنين ويذكرون بعده اسم الامير فيصل، وكان السيد حسين نفسه يعتقد ذلك ايضاً حتى أنه أصدر أمره مرة بهبة بعض المباني الاميرية في الشام لاجل أن يتخذ مدرسة — ولكن لم ينفذ — وكان يصدر ارادته بتوجيه الرتب العسكرية وترقية الضباط: حدثني ياسين باشا الهاشمي أن الامير فيصلا بلغه مرة نص ارادة هاشمية بنقل بعض الضباط

الى رتب فوق رتبهم فرد عليه بما معناه إن هذا إفساد للنظام العسكري لا يمكن تنفيذه (قال) ولكم أنتم أن تعطوهم من الالقاب والرواتب المالية ماشئتم على شرط ان لايعدو احد طوره ولا لقبه ولا راتبه عندي في الجيش الا بمقتضى القانون العسكري

ذلك — وانى لما امكنتنى زيارة سورية بعد الهدنة وكانت فرنسة قد استولت على سواحلها من حدود فلسطين الى حدود الاناضول كان مسلمو سواحل ولاية بيروت يعتقدون انها ستكون مع البلاد الداخلية إمارة واحدة يتولاها فيصل من قبل والده « ملك العرب وخليفة المسلمين » بمساعدة الدولة البريطانية !! غروراً بشهادة فيصل الذي كان يقول لهم يجب أن تربوا أولادكم على حب الانكليز ! ! وكان من النادر ان ترى فيها من يفهم كنه اتفاق هذه الدولة مع فرنسة على اقتسام البلاد العراقية والسورية وعزم انكلترة وحدها على سلب استقلال جزيرة العرب نفسها واستعباد أهلها

وكان أذكياء الناس يستغربون ما نبينه لهم من الحقائق عن الحجازيين والبريطانيين — وهو ما لو سمعوه من غيرنا لكذبوه وعادوه — وكان بعضهم يناشدنا أن لا نذيع عن الشريف ما يبطل الثقة به لئلا يشمت النصارى بالمسلمين ! ! ولكن لم تمض بضعة أشهر حتى عرف المتمرسون بالسياسة كثيراً من الحقائق ظهر أثرها في قرار المؤتمر السوري العام الذي أعلن به استقلال البلاد ووحدتها فانه لم يجعل لحكومة الحجاز ولا لملك الحجاز أدنى شأن في سورية لا باسم الخلافة ولا باسم السيادة ولا باسم الاتحاد ، فكان وقع ذلك الاستقلال كالصاعقة على الملك حسين وغضب على الملك فيصل غضبة مضرية عرفها جميع الناس ، على أن فيصلا لم يكن يقدر على أن يجعل لابيه من الامر شيئا لو أراد ذلك وهو لم يكن يريد لانه أعلم الناس بأن سلطة والده لا تطيقها الحجارة الصم ، على أنه لم يستطع إقناع اخواننا بقبول ما سموه «العلم العربي» الا بعد عناء عظيم فقبلوه على شرط زيادة نجم فيه تفرقة بينه وبين علم الحجاز

ولما تمكن الامير عبد الله من أرض شرق الاردن ليصد للانكليز تعدي العرب على فلسطين ويؤمن لهم اختراق قلب صحراء العرب الى العراق طفق يبث الدعاية فيها وفي فلسطين وسائر سورية لخلافة والده وصرح بذلك لمراسل جريدة اللواء المصري وغيره في الاسكندرية إذ مر بها مسافراً الى انكلترة

وفرنسة . . . وقد بلغت دعايته ما كان مجالا للسخرية والانتقاد الادبي إذ وضع فوق باب مسجد قرية عمان عاصمة شرق الاردن عند ترميمه حجراً نقش فيه أبياتا نظمها له قاضي قضاته الشيخ سعيد الكرمي قال فيها :

حسين بن عون من بني مجد عدنان فأضحى امير المؤمنين بلا ثاني
اعاد له عرش الخلافة بعد ما ثوت زمناً بالغصب في آل عثمان

فعجب الادباء كيف خفيت على القاضي والامير وشاعره الشريقي وغيرهم النكتة التي في البيت الاول (امير بلا ثان) ولها حكاية مشهورة مع بعض الشعراء

ثم كثر الدعاة لذلك توطئة لقدوم الملك حسين الى اطراف البلاد السورية ولا سيما في موسم الحج الماضي (اي سنة ١٣٤٢) كما اشرنا اليه في المقال الذي عقدناه لزيارته هذه واسبابها ونتيجتها ونشرناه في الجزء الثالث من هذا المجلد وقلنا فيه : ان التخيلات ازدوجت بالواهمات ، ولقحت بالاماني المستعذبات ، حتى جاءها المخاض بسقوط الخلافة التركية ، اجهضت فولدت الخلافة العربية ، فالتقطها (ملك العرب الخيالي) سقطاً لم يستهل ، ومضغة لم تكتمل ، معتقداً ان الدعاية تتم خلقها ، وتنفخ الروح فيها ، كما فعلت بمنصب (ملك البلاد العربية قبلها) !! الخ

﴿ كيف كانت مبايعة السيد حسين المكي في شونة شرق الاردن ﴾

بعد ان مهد الدعاة السبل اولا في القدس الشريف مع رجال الوفد الفلسطيني المرتبطين بالملك بالمساعدات المالية والسياسية وهم الذين تولوا جمع الوفود من فلسطين ثم في سائر سورية ، وبعد اعداد حكومة شرق الاردن وسائل الاحتفال لاجل البيعة ، بدأ البيعة اهل شرق الاردن ووفد المؤتمر الفلسطيني وخالفه كثير من اهل البلاد وجمعياتها واحزابها وتلا ذلك ارسال برقيات الدعاة الى مدن سورية المشهورة وغيرها بأن اهل الحل والعقد في فلسطين وسائر البلاد العربية وغيرها قد بايعوا فلانا ، فكانت كل برقية تصل الى بلد توهم أهلها ان هذه البيعة عامة اشترك فيها ممثلو جميع شعوب العالم الاسلامي وقد ساعدتهم وكالة البرقيات الفلسطينية على هذه الدعاية . حتى كان في تلك البرقيات ان الخليفة التركي عبد المجيد ومسلمي مصر والهند قد بايعوا وهم ابعد الخلق عن هذه المبايعة

نموذج من برقيات الدعاية

جاء في جريدة (الجزيرة) الفلسطينية ما نصه :

تلقينا يوم ١٠ الجاري آذار (مارس) من القدس التلغراف الآتي :

بايعت وفود فلسطين جلالة الحسين بالخلافة . «يونس الخطيب»

وتلقينا يوم ١١ الجاري من شونة عمان التلغراف الآتي :

اليوم بايع مندوبو فلسطين وقضاتها وأهل الحل والعقد جلالة الملك حسين بالخلافة في مقره بالشونة بحفلة بالغة منتهى الجلال. البطاركة ورؤساء الاديان (!!) ومراسلو الصحف ومشايخ العشائر كانوا حاضرين - أمير إحدى مقاطعات الهند شجاع الملك وحاشيته بايعته وشهدت الحفلة ، الحماس شديد ، والسرور عام ، والمظاهرات على ساق وقدم - سورية بايعت وخطب باسم جلالته في الجامع الاموي . (١) «المظفر»

(الخليفة السابق يبايع الخليفة العربي)

روت وكالة البرقيات الفلسطينية انه شاع ان الخليفة السابق عبد المجيد أرسل برقية الى الملك حسين يبايعه فيها بالخلافة باسم آل عثمان

مبايعة الهند

وروت ان الهنود أرسلوا برقية الى الملك حسين يبايعونه فيها بالخلافة

*

ومن البرقيات التي نشرتها الجرائد السورية والفلسطينية ما ننقله عن مراسل جريدة المقتبس الدمشقية في عمان وهي التي أرسلها اليها في ١٣ شعبان — ٢٠ آذار (مارس) مع «منشور العودة» وهذا نصه :

(بيعة الهند) وردت على جلالة الملك برقية من الهند تفيد بمبايعة (؟) الهند لجلالته وهم يذكرون جلالته بلزوم تأسيس مجلس شورى عام من جميع الاقطار الاسلامية مركزه للنظر في شؤون الاسلام بصورة عامة . كما أن برقية وردت على جلالته من الوفد الفلسطيني الموجود في الهند تفيد مبايعة الاهالي لجلالة

(١) المنار : ظاهر هذا ان سورية بايعت قبل فلسطين غيا باو ١١ مارس يوافق ٥ شعبان وسترى ما كتب في مبايعة بيروت في غرة شعبان

أمير المؤمنين ، وعند انعقاد المؤتمر الاول في الهند يدعون بالخلافة لصاحب الجلالة بدون ريب » اه

وهاتان البرقيتان من أغرب الا كاذيب الصريحة التى أحاطت بهذا الرجل ولا سيا في مبايعته فأهل الهند أشد المسلمين كرهاً له وطعناً فيه وإنكاراً على خلافته . ولكن صح أنه هنأه وبايعه رجلان من زهاء تسعين مليون مسلم في الهند احدهما يسمى الشيخ عبد الحي اللكنوي من شيوخ الجمود والحشو والثاني احد انصار الانكليز في بمبى وهو وأعوانه لا يمتنعون عن التعبير عن ذلك بأهل الهند ورأينا لذلك نظائر في التعبير عن اهل مصر وغيرها، اذهنأه وبايعه رجل واحدا من المعروفين فيها . وقد اذاعت جريدة القبلة تلك البرقيات الكاذبة واغرب ما جاء فيها ما يأتي :

(نموذج من برقيات جريدة القبلة غير السرية)

ورد في آخر الصفحة الرابعة من عدد جريدة القبلة الذي صدر بمكة في ٣٠ رجب متضمناً مبايعة الحجاز ثلاث برقيات من (شونة عمان) نص الاولى « أصبح في حكم المقرر إلغاء الخلافة وإخراج الخليفة وكافة الاسرة العثمانية من تركيا وربما أعلن هذا بعدغد فالرأي تعجيل العرب بمبايعة ملكهم الحسين بن علي بها بمجرد اعلان مصطفى كمال لذلك » ومضمون الثانية أن مجلس أنقرة قد قرر ما أشير اليه في الاولى وهذا نص الثالثة :

﴿ ترشيح المقطم أمير الحجاز بالمبايعة وشهادته بأهلية حسين للخلافة ﴾

« أمر مدير البوليس باخراج الخليفة والاسرة . الصحف اليوم طافحة بالسخط والآراء في الموضوع . صرحت المقطم بأن (الملك حسين) خير كفء للخلافه مستجمع لشروطها »

﴿ مقدمة مبايعة وفد مؤتمر فلسطين ونص المبايعة ﴾

اجتماع الوفود في القدس للنظر في أمر الخلافة [1]

« اجتمع في القدس وفود المدن الفلسطينية ، خلا طبرية وبئر السبع ، للمذاكرة في أمر الخلافة ، وقد امتنع وفد نابلس عن الاشتراك في المذاكرة لان

(١) ننقل ما يأتي عن جريدة الجزيرة ونشر في سائر جرائد سورية وفلسطين

النابلسيين يرون: إما عقد مؤتمر فلسطيني إسلامي للنظر في هذا الامر أو انتظار ماتفعله بقية الاقطار الاسلامية ، ولكن بوجود أهل الحل من كل مدينة (؟) تم انعقاد المؤتمر الذى يقولون عنه فلم يبق من داع للتأخير ، بيد انهم أصروا على رأيهم ، على ان معظم أهل نابلس يريدون مبايعة جلالة الملك حسين وانما هم يستحسنون التربص في الامر . أما رأي سائر الوفود فهو مبايعة الملك حسين بالخلافة بعد مفاوضته في بعض الشؤون التي تهم فلسطين والامة العربية والعالم الاسلامي

وقد عقد الوفود الجلسة الاولى في الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين برئاسة الحاج امين افندي الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وانتخب السيد شكري افندى التاجي كاتبا لضبط مقررات الجلسة، فشرح سماحة الرئيس الغاية من الاجتماع وما آلت اليه الخلافة وانه لا يجوز بقاؤها عاطلة وطلب الى الوفود المجتمعة أن تنظر في الامر ، فقال بعضهم : اننا جميعا نؤيد فكرة مبايعة جلالة الحسين ، ولكن يجب أن نتفق وإياه على شروط البيعة . وسأل آخر عما اذا كان يحق لنا انتخاب الخليفة باجتماعنا هذا مع اننا جزء صغير من العالم الاسلامي؟ فأجيب بأن أمامنا ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب باختياره ستة من خيرة الصحابة لانتخاب خليفة بعد وفاته ، وذلك خير منهج تنهج عليه الامة (١) وقد أقر المجتمعون هذا الرأي ، ثم دار البحث حول اشتراك وفد نابلس في الجلسة ووجوب جمع الرأي الفلسطيني في الامر وعدم تفرقه ، وأخيراً تقرر تأجيل الجلسة الى الساعة الثانية بعد الظهر

---

(١) المنار: قد جهل الذي أجاب هذا الجواب ان اولئك الستة كانوا أعظم زعماء قريش المرشحين للخلافة بحيث لا تخالفهم غيرهم اذا اتفقوا وتتفرق الكلمة اذا اختلفوا. وقد وصفهم عمر بان رسول الله (ص) مات وهو راض عنهم. ومن المعلوم انه بشرهم بالجنة فصار مقطوعا لهم بها. فهل لاولئك النفر من فلسطين هذه المنزلة في العالم الاسلامي؟ وكيف يدعون الحل والعقد في الامة الاسلامية أو في بلادهم وهم مستعبدون فيها للاجنبي ؟ ولم يتبعهم جميع أهل بلادهم في مبايعتهم كما تبع الستة جميع المسلمين

(الجلسة الثانية)

افتتحت الجلسة الثانية الساعة الثالثة بعد الظهر في دار المجلس الاسلامي الاعلى فأعرب سماحة رئيس المجلس عن أسفه لان أهل نابلس ومفوضيهم مصرون بكل أسف على عدم الاشتراك مالم يعقد مؤتمر إسلامي غير هذا ، فطلبت الهيئة البت في أمر البيعة فوافق الجميع عليها واقترح شكري افندي التاجي مندوب الرملة أن يكلف جلالة الملك تأليف مجلس من ثلاثين مندوبا من الاقطار الاسلامية يستشيره في أمور المسلمين فأيد رأيه سليم افندي عبد الرحمن ورفيق بك التميمي ، وهنا بين الشيخ محيي الدين افندى الملاح عدم جواز البيعة بشروط فأجابه فضيلة مفتي عكا الشيخ عبد الله افندى الجزار : إن الآية الكريمة (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم) هي من قبيل نص الشروط في البيعة فاذا أمر الله النبي بذلك في المبايعة فلماذا نحيد نحن عنها ؟ .

وهنا طلب البعض عدم وضع قيد أو شرط في المبايعة ثم اتفق الرأى على أن توضع شروط في مصلحة الامة ووضعت صيغة المبايعة وهذا نصها :

﴿ نص صيغة المبايعة التي قررت في القدس ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه اجمعين

«نحن مفتي وقضاة وعلماء واشراف ووفود البلاد الفلسطينية اهل الحل والعقد(١) بايعنا صاحب الجلالة الهاشمية ملك العرب الحسين بن علي بن عون الهاشمي بالخلافة الاسلامية على ان يكون الامر شورى كما أمر الله تعالى ، وعلى أن لا يجري ما يخالف المصلحة العامة للمسلمين ، وأن لا يكون البت في أمر البلاد الفلسطينية

---

(١) أهل الحل والعقد هم الذين اذ بايعوا أحدا نفذت أحكامه فهل تنفذ أحكام حسين في فلسطين بمبايعة من ادعوا هذه الدعوى ؟ دع العالم الاسلامي كله

وفي شكل حكومتها ورأسها الا برأي أهلها (ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما)

ثم يلي ذلك أسماء الموقعين ، ولكثرة المواد لم نستطع سردها

﴿ البيعة في دمشق ﴾ (١)

«أرسل بعض أفاضل دمشق وادبائها وتجارها البرقية الآتية :

عمان : أمير المؤمنين وخليفة المسلمين الحسين بن علي نصره الله وأبقاه

« نحيي جلالتكم بتحية الخلافة ونبايعكم البيعة الشرعية على السمع والطاعة عاقدين على ناصيتكم الغراء الآمال بعزة الاسلام ومجد العرب

عثمان الشراباتي . الحاج ياسين دياب . سعيد الباني . محمد علي دياب . شكري الشربجي . عبد الغني العسلي . موفق الحسيبي . محمد صائب العظم . درويش البكري . شفيق دياب . عبد القادر راضي . زكي الركابي . فهمي قزما احمد المنجد . محمد سعيد عبيد . اكرم الركابي . حمدي الشبندر . توفيق القباني محمد الامام . وجيه المالكي . نسيب شهاب . منير العيطه . اديب الصفدي . ثابت القباني . عبد الوهاب أبو السعود . عبد الوهاب مغربية . حسام الدين الكزبري . احسان العابد . ياسين الخانجي . رشدي الدقر . جميل الموره لي . فوزي الدقر .

«واتصل بالصحف ان وفدا كبيرا يتألف من علماء دمشق ومفكريها يبرحها قريبا الى عمان يحمل مضبطة موقعة من العلماء والاعيان وهيئات الطبقات الاجتماعية لمبايعة جلالته وتقديم التهاني باسم السوريين لعودة الامامة الكبرى الى أصحابها » اه (٢)

﴿ صورة بيعة مسلمي بيروت وملحقاتها ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث

(١) منقولة عن جريدة المقتبس الدمشقية (٢) هذا الخبر لم يتحقق

فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما)

هذه بيعة رضوان تشهدها الجماعة ، ويشهد عليها الرحمن ، ويلزم طائرها العنق ، بيعة شريفة بها السلامة في الدين والدنيا مضمونة

ولما أصبح مقام الخلافة شاغراً بسبب طرد الخليفة وعجزه عن القيام بالامر

ولما كان نصب الامام واجبا على الامة

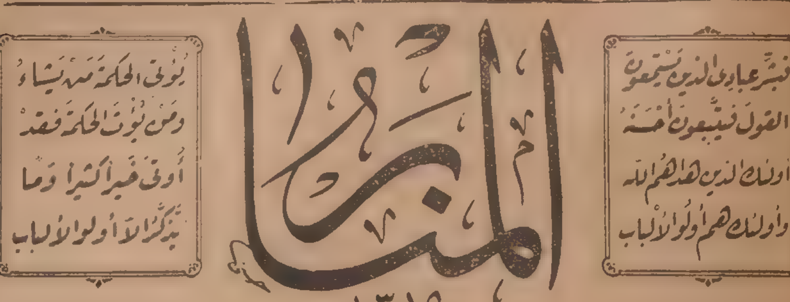
وحيث لم يكن في البيت القرشي ولا في الاقطار الاسلامية من تسلم اليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم مقاليد أمورها الاوهو (كذا) من انحصر فيه استحقاق ميراث أجداده الاطهار المجتمع فيه شروط الامامة والقائم بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته سيدنا ومولانا عبد الله ووليه (الحسين بن علي) أمير المؤمنين أيد الله تعالى ببقائه الدين، وكتب له النصر الى يوم الدين، وأعاد بعدله أيام الخلفاء الراشدين، والائمة المجتهدين

وحيث قد صحت امامته وانعقدت له البيعة من أهل الحل والعقد والعلماء وذوي الرأي والعقل في كثير من الاقطار الاسلامية

وحيث أصبحت طاعته واجبة للحديث الشريف (من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية) فاننا نحن مسلمي بيروت نبايع جلالته على ان يهتم بمصالح الاسلام ويقدم الفتوى امامه، ويقرن عليها أحكامه (كذا) ويتبع الشرع الشريف ويقف عنده ويوقف الناس، وان جلالته يشهد وخليفته (كذا) على انه لا يريد سوى وجه الله (كذا) ولا يحابي أحداً في دين ولا يحامي عن أحد في حق (كذا) وان يسير بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بيعة صحيحة شرعية انعقد عليها الاجماع ووصل بها الحق الى مستحقه ان شاء الله تعالى »

بيروت في غرة شعبان المعظم سنة ١٣٤٢

(المنار) هذه الصيغة منقولة عن جريدة الحقيقة البيروتية التي كانت أشد الصحف اسرافا في الدعاية لهؤلاء الحجازيين وعلمنا ان المفتي وكبار العلماء وأكثر الفضلاء لم يوقعوها بغير توقيع . وهي أشد الصيغ خطأ وكذبا ولا سيما الجيثيات فكلها كذب كما سنبينه . وسنذكر في الجزء التالي بقية مبايعة سورية وصفة المبايعة في الحجاز ثم نعلق على المسألة ما نبين به الحق ان شاء الله تعالى



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى «ومنارا» كمنار الطريق

٣٠ صفر سنة ١٣٤٣ — الميزان ١٣٠٤هش ٢٩ سبتمبر ١٩٢٤

تفسير القرآن الحكيم

(١٣٧) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَاءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ، قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ

﴿ قصة موسى مع بني اسرائيل ﴾

هذه الآيات وما بعدها شروع في قصة موسى عليه السلام مع قومه بني اسرائيل معطوفة على قصته مع فرعون وقومه على اكمل وجوه العبرة مع السلامة من لغو القصص والتاريخ . قال عز وجل

﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ﴾ جاز الشيء وجاوزه وتجاوزه عداه وانتقل عنه ، والعكوف على الشيء الاقبال عليه وملازمته على سبيل التعظيم ومنه العكوف والاعتكاف في المسجد وهو ملازمته لاجل العبادة. قرأ حمزة والكسائي يعكفون بكسر الكاف من باب جلس يجلس والباقون بضمها من باب قعد يقعد. والاصنام جمع صنم وهو مايصنع من الخشب أو الحجر أو المعدن مثالا لشيء حقيقي أو خيالي أو مذكرا به ليعظم تعظيم العبادة ، واتخذ بعض العرب في الجاهلية صنما من عجوة التمر فعبدوه ثم جاعوا فأكلوه . والفرق بينه وبين التمثال ان هذا لا بد أن يكون مثالا لشيء - وأنه قد يكون للعبادة وحينئذ يسمى صنما وقد يكون للزينة كالذي تراه على جدران بعض القصور المشيدة أو ابوابها أو في حدائقها ، وقد يكون للتعظيم والتكريم غير الديني كالتماثيل التى تنصب لبعض الملوك وكبار علماء الدنيا أو القواد والزعماء للتذكير بتاريخهم واعمالهم للاقتداء بهم، ويكثر هذا في بلاد الافرنج وقلدهم بعض بلاد الشرق كمصر فنصبت حكومتها تماثيل لبعض امراء بيت الملك الحاضر وغيرهم من رجالهم . والفرق بين هذا التعظيم السياسي أو العلمي وبين تعظيم العبادة أن الغرض من الاول اما رفعة شأن الدولة وتمكين سلطانها في انفس الامة بمشاهدة صور ملوكها وكبراء رجالها وتماثيلهم وهو قصد سياسي صحيح عند اهله — واما بعث شعور حب العلم والاقتداء بالعلماء والادباء والزعماء الذين نفعوا امتهم عسى أن يوجد في المستعدين من يكون مثلهم أو خيراً منهم ، وهو قصد اجتماعي صحيح عند علماء التربية. وأما تعظيم العبادة فالغرض منه التقرب من المعبود وطلب ثوابه بدفع خير أو جلب منفعة من طريق الغيب لا الكسب والتعاون عليه من طريق الاسباب. فتعظيم المخلوق أو تعظيم مايذكر به من صورة أو تمثال أو قبر أو ثوب أو غير ذلك من آثاره لاجل التقرب اليه وقصد الانتفاع به في الامور التى لا تنال بالاسباب العامة — وهي مالا يطلب إلا من الله تعالى — أو لاجل التقرب الى الله تعالى بجاهه — كل ذلك عبادة ظاهرة ، فان قصد المعظم لذلك الشخص أو لما يذكر به الانتفاع به نفسه بما ذكر من التعظيم بالقول كالدعاء والاستغاثة أو بالفعل كالطواف بتمثاله أو قبره وتقبيله والتمرغ بارضه- كانت العبادة خالصة

له من دون الله، وان قصد التقرب به الى الله تعالى ليحمله بجاهه على اعطائه ما يريد كانت العبادة له ولله تعالى بالاشتراك، وهذا من مظاهر الشرك الجلي، لا يخرجها تغيير التسمية عن كونها كفراً أو شركا

(استطراد فقهي)

حظر الشرع الاسلامي نصب التماثيل لانها إما شرك أو ذريعة له أو تشبه بأهله وهي على هذا الترتيب في التدلي فأغلظها أولها وأخفها ثالثها. وللتشبه درجات في الحظر أشدها ما كان في أمور الدين فانه قد يكون كفرا، وأهونها ماكان في العادات وأمور الدنيا فنجتنب منه مالنا غنى عنه وماكان نافعا غير ضار بنفسه لا نأخذه بقصد التشبه فقط لانه لا يكون الا من تعظيم المتشبه لغير أهل ملته وهو يتضمن أو يستلزم احتقارها أو احتقارهم والشعور بأنهم دونهم. وأما اقتباس العلم والحكمة والفنون والصناعات النافعة لاجل منفعتها بقدرها فليس من التشبه ولا من تفضيل المقتبس منهم على أهل ملته لان هذه الامور ليست من أمور الدين ولا اقتبست لاجل التعظيم بل لفائدتها، وقد تكون هذه الفائدة مما تعتز به ملة المقتبس المستفيد وأهلها . ومن ذلك أخذ النبي (ص) عمل الخندق عن الفرس اذ أخبره سلمان (رض) عنهم بذلك وقد يكون هذا الاخذ واجبا شرعا ومنه أخذنا لفنون الحرب وصناعاتها وآلاتها عن الافرنج اذ أتقنوها قبلنا، فهو فرض كفاية بلا نزاع فالامة الحية تقتبس كل شيء نافع يغذي حياتها ويزيدها قوة وعزة، وتتقي في ذلك كل ما فيه ضعف لها في مقوماتها أو مشخصاتها ولا سيما اذا كان فيه تفضيل لخصومها أو غيرهم عليها ، وقد فطن اليابان لهذه القاعدة فحافظوا على شؤونهم الملية والقومية عند اقتباسهم لعلوم الفرنجة وفنونها فصاروا مثلهم في ثلث قرن . وغفل عنه الترك والمصريون فأضاعوا ملكهم.

وليس في نصب التماثيل فائدة ومنفعة ذات بال لا تحصل بغيرها تبيح للمسلمين تقليد الوثنيين والنصارى فيها ولو في جعلها لغير رجال الدين بعدا عن شبهة عبادتها، ومن ذا الذي يأمن هذا وقد عبدت قبور الاولياء وأئمة آل البيت كما عبد غلاة الشيعة من الباطنية أشخاصا منهم احياء وامواتا، ونرى الشيعة المعتدلين الذين استباحوا نصب التماثيل غير الدينية قد تخذ بعضهم في هذه الايام تمثالا لامير المؤمنين علي كرم الله وجهه في بلاد إيران كما نقلت صحف الاخبار عنهم. وأما الصور فلها فوائد في الحرب وحفظ الامن وتحقيق معاني اللغة وكثير من العلوم ولا سيما

الطب والتشريح .. . . فلا يحظر منها ما ليس عبادة ولا تشبها بعبدة الاصنام بدليل ماثبت في السنة الصحيحة من أمر النبي (ص) بهتك القرام (الستار) الذي نصبته (عائشة) في حجرتها اذ كان على هيئة الصور والتماثيل المعبودة فلما جعلت منه وسادة كان صلى الله عليه وسلم يستعملها وفيها الصور اذ كان الاتكاء والنوم عليها امتهانا لا تعظيما ولا يشبه التعظيم الوثني وقد حققنا هذا البحث ببيان ماورد فيه من الاحاديث والآثار وأقوال العلماء في فتاوي المنار مرارا

عود الى تفسير الآية

ومعنى النظم الكريم : « وجاوزنا ببني اسرائيل البحر » انهم تجاوزوه بعنايته سبحانه وتأييده اياهم بفلق البحر، وتيسير الامر، حتى كانه كان معهم بذاته فجاوزه، صاحبا لهم، أو المعنى اننا أيدناهم ببعض ملائكتنا، فجاوز بهم البحر بأمرنا ، فمن المعهود في اللغة أن ينسب الى الملوك ورؤساء القواد ماينفذه بعض اتباعهم بامرهم ، وما يقع بجاههم وقوة سلطانهم، ويجوز الجمع بين المعنيين. ففرق البحر بهم كان بعناية الله وقدرته. وفي آخر السفر الثالث عشر من سفر الخروج ذكر خبر ارتحال بنى اسرائيل وقال « ٢٠ وكان الرب يسير امامهم نهارا في عمود من غمام ليهديهم الطريق وليلا في عمود من نار ليضيء لهم ليسيروا نهارا وليلا (٢١) لم يبرح عمود الغمام نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب » ثم جاء في الفصل الرابع عشر منه بعد ذكر إتباع فرعون ومن معه بنى اسرائيل « ١٩ فانتقل ملاك الله السائر امام عسكر بنى اسرائيل فصار وراءهم وانتقل عمود الغمام من امامهم فوقف وراءهم (٢٠) ودخل بين عسكر المصريين وعسكر اسرائيل ، فكان من هنا غماما مظلما ، وكان من هناك ينير الليل ، فلم يقترب أحد من الفريقين طول الليل »

وهذا بعض ماجاء في التوراة مما يصح أن يكون تفسيرا لقوله تعالى في القرآن (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) فالباء هنا للمصاحبة كقولك سافرت به وجئت به ، واسناد المسير في عمود الغمام الى الرب مجازي كقوله تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) « فأتوا » عقب تجاوزهم إياه ودخولهم فى بلاد العرب من البر الاسيوي « على قوم يعكفون على أصنام لهم » يعبدونها ، فاذا كان من شأنهم اذا رأوهم يعبدون غير الله تعالى كالمصريين الذين انقذهم الله تعالى منهم ، وأراهم آياته على وحدانيته فيهم ؟ هل استهجنوا

شركهم وانكروه كما هو الواجب عليهم والمعقول ممن رأى ما رأوا من سوء مصير المشركين، وحسن عاقبة الموحدين؟ الجواب انهم لم ينكروه بألسنتهم ولا قلوبهم، بل « قالوا ياموسى اجعل لهم إلها كما لهم آلهة » حنينا منهم الى ما ألفوا في مصر من عبادة آلهة المصريين وتماثيلها وانصابها وقبورها، فعلم بهذا الطلب انهم لم يكونوا فهموا التوحيد الذي جاء به موسى كما فهمه من آمن من سحرة المصريين، لان السحرة كانوا من العلماء فامكنهم التمييز بين آيات الله تعالى التي لا يقدر عليها غيره وبين السحر الذي هو من صناعات البشر وعلومهم، وأما هؤلاء الاسرائيليون فكانوا من العامة الجاهلين الذين بلد الذل افهامهم ، وانما تبعوا موسى لانقاذه اياهم من ظلم فرعون وتعبيده لهم، لا لفهمهم حقيقة التوحيد بالآيات الدالة عليه ولذلك قيل انهم بعض القوم لا جميعهم ، فالتوحيد المحض الخالص من شوائب الشرك والوثنية هو غاية ما يرتقي اليه عرفان البشر، وهو المراد من قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) على القول بأن اللام للغاية ، وهو لا يقتضي حصوله لكل فرد منهم ، ولو عقل جميع بنى اسرائيل كنه التوحيد لما وقع من تبرمهم بالتكاليف وتمردهم على موسى عليه السلام ماقصه الله تعالى علينا في كتابه، وفي التوراة التى لديهم من الزيادة عليه والتفصيل له ماهو من مواطن العجب، وقد ابتلاهم الله تعالى وربام بالحسنات والسيئات ، وحرم الارض المقدسة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض، حتى انقرض ذلك الجيل الذي نشأ في حجر الوثنية ، وشب أو اكتهل اوشاخ في ذل العبودية الفرعونية .وقد رأينا نموذجا لذلك في شعوب من امتنا ولدوا في مهد الظلم، وشبوا في حجر النفاق والفسق، فسنحت لاعلمهم بشؤون الاجتماع والعمران فرص متعددة كان يرجى أن يحرروا فيها أنفسهم من رقها السياسي ويستقلوا بأمرهم، فأضاعوها واحدة بعد اخرى، وكان هذا من عبر التاريخ التي تثبت أن فلاح الامم باخلاقها وعقائدها، وأن العلم الناقص شر من الجهل المطلق، وان العلم الصحيح في الرجل أو الشعب الفاسد الاخلاق كالسيف في يد المجنون ربما جنى به على صديقه أو على نفسه وربما نصر به عدوه

ولم يبين لنا كتاب الله تعالى ولا رسوله (ص) شيئا من امر القوم الذين أتى عليهم بنو اسرائيل عقب خروجهم من مصر الى ارض العرب والظاهر انهم من العرب الذين كانوا يقيمون بقرب حدود مصر روي عن قتادة انهم من عرب لخم وعن أبي عمران الجوني لخم وجذام . وعن ابن جريج أن اصنامهم كانت

تماثيل بقر من نحاس ، فلما كان عجل السامري شبه لهم أنه من تلك البقر فذلك كان أول شأن العجل لتكون لله عليهم حجة فينتقم منهم بعد ذلك (أقول) ولم يكن ابن جريج يعلم أن قدماء المصريين كانوا يعبدون عجلا اسمه (أبيس) وكان بنو اسرائيل يعبدونه معهم كغيره من معبوداتهم، ويرون تماثيله منصوبة في معابدهم ، وان السامري لم يصنع لهم العجل بعد ذلك الا لما كان من إلفهم لعبادته ، وتأثر اعصابهم بما ورثوا من مظاهر روعته ، ولذلك قال تعالى فيهم (واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) والمراد عجل السامري وقد علل اشرابهم اياه في قلوبهم بما كان من كفرهم السابق أي بالوراثة المتغلغلة في النفس بطول الزمان وتعاقب الاجيال ، فذلك الذي يطول تأثيره في الاعقاب والانسال ؛ ألم تر الى ما استحدثه بعض المبتدعة في الاسلام وقلدهم فيه بعض الملوك من المنسوبين الى السنة: من تشييد القبور ، وتزيينها بالعمائم والستور، وبناء القباب فوقها، واتخاذها مساجد يصلى اليها أولديها ، وايقاد السرج والشموع عليها، انه قد جعل لها مكانة دينية كبيرة في قلوب عامة المسلمين، حتى صارت عندهم من شعائر الدين، بحيث يعدون من روى لهم الاحاديث الصحيحة في لعن الله ورسوله لمن يفعل ذلك مبتدعا فيه أومارقا منه، وينبزونه في بعض البلاد بلقب «وهابي» اذ كانت طائفة من الحنابلة في بلاد العرب سميت الوهابية قد عمدوا الى ازالة هذه المنكرات بأيديهم ، لما لم يؤثر في ازالتها انكار علماء السنة المصلحين لها بألسنتهم وأقلامهم، عملا بقوله (ص) « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » يعني الانكار بالقلب وحده ، ولو مع العجز عما فوقه . والحديث رواه احمد ومسلم واصحاب السنن الاربعة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

اذا علمنا هذا الشأن من شؤون الضعف البشري فلا نعجب أن روي عن بعض حديثي العهد من الصحابة بالاسلام، مثل ماطلب بنو اسرائيل من موسى عليه السلام، بما كان من تأثير مظاهر الوثنية في قلوبهم: روى احمد والنسائي واكثر مصنفي التفسير المأثور عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله (ص) قبل حنين فررنا بسدرة فقلت يارسول الله اجعل لنا هذه ذات انواط كما للكفار ذات انواط، فقال «الله اكبر، هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا الها كما لهم آلهة) انكم تركبون سنن من قبلكم » وروى نحوه ابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني

عن كثير بن عبدالله بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعا وذكر أن المكان الذي طلبوا فيه ذلك بين حنين والطائف. والعبرة في هذا أن للمسلمين الآن ذوات انواط في بلاد كثيرة كشجرة «ست المنضورة» وشجرة الحنفي بمصر، ونحو من ذلك ما اتخذوه من القبور والاشجار والاحجار والآبار يعكفون عليها، ويطوفون حولها، ويقبلونها ويتمرغون بأعتابها، ويتمسحون بها خاضعين ضارعين، خاشعين داعين، راجين شفاء الادواء، والانتقام من الاعداء، والغنى والثراء، وحبل العقيم، ورد الضالة، وغير ذلك من النفع وكشف الضر، خلافا لنصوص كتاب الله عز وجل. ولكنهم لا يعلمون أنها تسمى في اللغة العربية آلهة وأن جل ما يأتونه عندها يسمى عبادة، وأنه شرك جلي لا يغفر، ولا فرق بينه وبين شرك عرب الجاهلية وأمثالهم الا الاختلاف في التسمية، فأولئك كانوا يسمون الاشياء بأسمائها لانهم أهل اللغة، وهؤلاء تحاموا اطلاق لفظ الاله والمعبود والعبادة في هذا المقام، واستباحوا غيرها من الالفاظ كالاولياء والشفعاء والوسيلة والتوسل وهي مشتركة أيضا ولكنها استعملت في الاسلام بغير المعاني التي كانت تستعمل بها في الجاهلية، كأن الله تعبد الناس باطلاق الالفاظ دون حقائق المعاني. وحقيقة معنى العبادة في اللغة العربية وكذا في غيرها من اللغات يشمل كل قول أو عمل يوجه الى معظم يرجى نفعه أو يخشى ضره وحده - وهذا توحيده - أو يرجى ويخاف بالتأثير عند الله تعالى - وهذا هو الشرك - بشرط أن يكون هذا الرجاء فيه أو الخوف منه لامر غيبي خارج عن الامور الكسبية والاسباب الدنيوية، وقد سبق شرح هذا مرارا، ويظن أهل العلم بكتب الفقه والكلام الذين لم يطلعوا على ملل الوثنيين أنهم يعبدون الاصنام وغيرها من المخلوقات التي يتبركون بها لذاتها، ويعتقدون أنها تضر وتنفع بقدرتها وارادتها، والصحيح أنهم يتوسلون بها الى الخالق كما حكى الله تعالى عن مشركي قريش وغيرهم وقد سمعت هذا من بعض علمائهم في الهند.

ماذا كان جواب موسى عليه السلام ﴿ قال إنكم قوم تجهلون ﴾ وصفهم بالجهل المطلق غير متعلق بشيء وهو على طريقتنا وطريقة ابن جرير والحصاف يشمل كل ما يصلح له من الجهل الذي هو فقد العلم والجهل الذي هو سفه النفس وطيش العقل، وأهمه المناسب للمقام جهل التوحيد وما يجب من افراد الرب

تعالى بالعبادة من غير واسطة، ولا التقيد بمظهر من المظاهر يتوجه اليه معه، ولا سيما مظهر الاصنام والتماثيل لبعض المخلوقات التي اغتر الجاهلون من قبل بنفعها أو الخوف من ضررها، فالاول كالكواكب والنيل والعجل (أبيس) والثاني كالثعبان – ثم جهل ما كرم الله تعالى به البشر فجعلهم أهلا لمعرفته ودعائه ومناجاته كفاحا بغير واسطة يقربهم اليه فانه اقرب اليهم من حبل الوريد، وهو الاحد الصمد الذي يتوجه اليه ويقصد وحده ولذلك قال اماما الموحدين، ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والتسليم (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين)

وهذا النوع من الجهل هو الذي قال الله تعالى فيه (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه) واسناد الجهل الى القوم ابلغ من اسناده الى ضمير المخاطبين لانه حكم على جماعتهم بما هو كالمتحقق المعروف من حالهم، الذي هو علة لمقالهم، يدخل فيه الذين سألوه ذلك منهم دخولا اوليا

وبعد أن ذكرهم بسوء حالهم من جهلهم وسفاهة انفسهم بين لهم فساد ماطلبوه في نفسه عسى أن تستعد عقولهم لفهمه واستبانة قبحه فقال باسلوب الاستئناف المفيد للتعليل والدليل ﴿ إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ﴾ التبار والتبر الهلاك والتتبير الاهلاك والتدمير يقال تبر الشيء من بابي تعب ونصر وتبره – بالتشديد: اهلكه ودمره. أي ان هؤلاء القوم الذين يعكفون على هذه الاصنام مقضي على ما هم فيه بالتبار، بما سيظهر من التوحيد الحق في هذه الديار، وباطل ما كانوا يعملون من الاصنام، وعبادة غير الله ذي الجلال والاكرام، أي هالك وزائل لابقاء له، فانما بقاء الباطل في ترك الحق له أو بعده عنه، وهذا يتضمن البشارة منه عليه السلام بزوال الوثنية من تلك الارض وكذلك كان

قال البغوي في تفسيره ان طلب بني اسرائيل للآلهة لم يكن عن شك منهم بوحدانية الله تعالى وانما كان غرضهم إلها يعظمونه ويتقربون بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا أن ذلك لايضر بالديانة وكان ذلك جهلهم كما آذنت به الآيات

وقال الرازي: اعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) وخالقاً مدبرا لان الذي يحصل بجعل موسى وتدبيره لا يمكن أن يكون خالقا للعالم ومدبرا له، ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل،

والاقرب انهم طلبوا من موسى أن يعين لهم اصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى ، وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الاوثان حيث قالوا (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) اذا عرفت هذا فلقائل أن يقول: لم كان هذا القول كفرا ؟ فنقول اجمع كل الانبياء عليهم السلام على أن عبادة غير الله تعالى كفر سواء اعتقد في ذلك الغير كونه الها للعالم أو اعتقدوا فيه ان عبادته تقربهم الى الله تعالى - لأن العبادة نهاية التعظيم ، ونهاية التعظيم لاتليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام والاكرام .

ثم قال بعد أن جزم بأن هذا القول صدر عن بعضهم لا كلهم وانه كان فيهم من يترفع عنه مانصه : ثم إنه تعالى حكى عن موسى عليه السلام انه أجابهم فقال : (انكم قوم تجهلون وتقرير هذا الجهل ماذكر من أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تليق إلا بمن يصدر عنه غاية الانعام وهي بخلق الجسم والحياة والشهوة والقدرة والعقل وخلق الاشياء المنتفع بها، والقادر على هذه الاشياء ليس الا الله تعالى فوجب أن لا تليق العبادة الا به ، (فان قالوا) اذا كان مرادهم بعبادة تلك الاصنام التقرب بها الى تعظيم الله تعالى فما الوجه في قبح هذه العبادة ؟ (قلنا) فعلى هذا الوجه لم يتخذوها آلهة أصلا وانما جعلوها كالقبلة، وذلك ينافي قولهم (اجعل لنا الها كما لهم آلهة) اه

أقول من العجب أن يقع امام النظار في علم العقائد على طريقة الفلسفة والكلام في مثل هذا الخطإ في اسئلته واجوبته والتناقض في كلامه، ومنشأ هذا الخطأ الغفلة عن مدلول ألفاظ القرآن في اللغة العربية واستعمالها بلوازم معناها العرفية كلفظ « لاله » فان معناه في اللغة المعبود مطلقا لا الخالق ولا المدبر لامر العالم كله ولا بعضه ، ولم يكن أحد من العرب الذين سموا أصنامهم وغيرها من معبوداتهم آلهة يعتقد أن اللات أو العزى أو هبلا خلق شيئا من العالم أو يدبر امرا من اموره ، وانما تدبير امور العلم يدخل في معنى الرب تعالى . والشواهد على هذا في القرآن كثيرة ناطقة بأنهم كانوا يعتقدون ويقولون ان خالق السموات والارض ومدبر أمورها هو الله تعالى وإن آلهتهم ليس لها من امر الخلق والتدبير شيء، وإن شركهم لاجل التقرب اليه تعالى وابتغاء الشفاعة عنده بعبادة ماعبدوه ، ولذلك كانوا يقولون في طوافهم : لبيك لا شريك لك ،

الاشريكا هو لك، تملكه وما ملك. ولذلك يحتج القرآن عليهم في مواضع بأن غير الخالق المدبر لا يصح أن يكون الها يعبد مطلقا، وهو معنى قول بعض المحققين انه يحتج بما يعترفون به من توحيد الربوبية ، على ما ينكرون من توحيد الالهية ، واذ كنا بينا هذا مرارا بالشواهد نكتفي بهذا التذكير هنا

ثم إن عبارة طلاب الاصنام من بني اسرائيل لم تنقل الينا بنصها في لغتهم فنبحث فيها أخطأ ام صواب وانما حكاها الله تعالى لنا بلغة كتابه فمعناها صحيح قطعا فان الاله في هذه اللغة هو المعبود بالذات او بالواسطة وان كان مصنوعا وإنما جهلهم موسى بطلب عبادة احد مع الله لا بتسمية ماطلبوا منه صنعه إلها فانه هو سمى المعبود المصنوع إلها ايضا في قوله للسامري الذي حكاه الله عنه في سورة طه (وانظر الى الهك التى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه) الآية وانما كان عجل السامري من صنعه ـ وان جميع من عبدوا الاصنام من قبلهم ومن بعدهم كانت اصنامهم مجمولة مصنوعة متخذة من هذه المخلوقات كالحجر والخشب والمعدن. أنسي امام النظار وصاحب التفسير الكبير ماحكاه الله تعالى من تسمية قوم ابراهيم لاصنامهم بالآلهة ؟ أم نسي ماحكاه الله من حجته عليهم بقوله (قال أتعبدون ماتنحتون ، والله خلقكم وما تعملون ؟) ومن محاجته إياهم بقوله (واتل عليهم نبأ ابراهيم ، اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون ؟ قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم اذ تدعون ؟ أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون * (سورة الشعراء ٢٦ : ٦٩ ـ ٧٤) وجملة القول أن هذا القول الذي قاله الرازي من اظهر هفواته الكثيرة بطلانا وسببه امتلاء دماغه عفا الله عنه بنظريات الكلام وجدل الاصطلاحات الحادثة وغفلته عن معنى الاله في أصل اللغة وعن آيات القرآن الكثيرة فيه، ومنها قوله تعالى

﴿ قال أغير الله ابغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين ﴾ أي قال لهم موسى أأطلب لكم معبوداً غير الله رب العالمين وخالق السموات والارض وكل شيء والحال انه فضلكم على العالمين بما جدد فيكم من التوحيد وهداية الدين ، على ملة ابراهيم وسنة المرسلين ، ؟ فماذا تبغون من عبادة غيره معه أومن دونه ؟ والاستفهام في الآية للانكار المشرب معنى التعجب ، وانما هو انكار ابتغاء اله غير الله المستحق وحده للعبادة لا انكار تسمية المعبود المصنوع الها . وأبغي ينصب مفعولين بنفسه كقوله تعالى (يبغونكم الفتنة)

بدأ موسى عليه السلام جوابه لقومه باثبات جهلهم بربهم وبأنفسهم، وثنى ببيان فساد ماطلبوه وكونه عرضة للتبار والزوال، وباطلا في نفسه على كل حال، فلا الطالب على علم وعقل فيما طلب، ولا المطلوب مما يصح أن يطلب، (ضعف الطالب والمطلوب) فهذا ملخص معنى الآية السابقة

ثم انتقل في هذه الآية الى المطلوب منه جعل الاله لهم — وهو هو عليه السلام — والمطلوب لاجله هذا الجعل — وهو الله تعالى — وموسى على الحق والله تعالى هو الحق والذي يحق الحق، وبين هذين الحقين وذينك الباطلين غاية المباينة فلذلك كان هذا جوابا مستقلا مباينا لما قبله بحيث لا ينبغي أن يعطف عليه نظما، ولا أن يعد معه عدا، ولهذا أعاد فيه كلمة «قال» كما سنبينه وقد قدم فيه ذكر الاهم الافضل المقصود بالذات من هذين الحقين فقال (أغير الله) فغير الله أعم الالفاظ فهو يشمل اخس المخلوقات واعجزها عن النفع والضر كالاصنام وما وضعت لاجله ويشمل أفضلها وأكملها كالملائكة والنبيين عليهم السلام، ليثبت أنه لا يوجد مخلوق يستحق العبادة مع الله تعالى وان علا قدره، وعظم أمره، وان تجهيلهم بما طلبوا لا لان المطلوب كالاصنام خسيس وباطل في نفسه، وعرضة للتبار فلا فائدة فيه لغيره — لا لهذا فقط — بل لان العبادة لا يصح أن تكون لغير الله تعالى البتة، مهما يكن غيره مكرما عنده، ومفضلا على كثير من خلقه، على أن طلب عبادة الاخس، دليل على منتهى الخسة والجهل، اذ لا شبهة توهم قدرته على الاثابة أو التقريب من الله عز وجل، كشبهة من عبدوا الملائكة وبعض النبيين والصالحين، زاعمين انهم بكرامتهم عند الله يقربون اليه من قصر به إيمانه وعمله ان يتقرب اليه بنفسه، مع إصراره على خبثه ورجسه، جاهلين ان الله تعالى امر المشركين والفاسقين، ان يتوبوا اي يرجعوا اليه لا الى غيره من عباده المكرمين، وان يدعوه وحده كدعائهم مخلصين له الدين، وان يخصوه مثلهم بالعبادة والاستعانة وذلك ما فرضه علينا في صلاتنا بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين)

وبعد ان قدم المقصود بالذات من الانكار وهو جعل غير الله الها ذكر من أرادوا ان يكون الواسطة في هذا الجعل، الذي دعا اليه ذلك الجهل، وهو نفسه عليه السلام بقوله (أبغيكم إلها) ليعلمهم أن طلب هذا الامر الإمر

والشيء الإد والمنكر الفظيع منه عليه السلام جهل بقيمته، وبمعنى رسالته، وبما رأوه من جهاده لفرعون وقومه، من غير حول ولا قوة له في شخص اخيه ولا في شخصه، بل بالاتكال على حول الله وقوته، ولولا ارادة انكار الامرين معا: طلب آله مع الله، وكونه بجمله عليه السلام — لقال: أغير الله تبغون الها. كقوله تعالى (أفغير دين الله يبغون)

ثم ايد هذا الانكار بما يعرفون من آيات الله تعالى فيهم، وهو تفضيلهم على اهل زمانهم، فقد كان ارقى الناس في ذلك العصر فرعون وقومه بما اوتوا من العلم والقوة والحضارة وسعة الملك والسيادة على بعض الشعوب، وقد فضل الله بني اسرائيل عليهم، برسالة موسى وهارون منهم، وتجديد ملة ابراهيم فيهم، وايتائهما من الآيات ما تقدم بيانه وأثره في السياق الذي قبل هذا، وقيل ان المراد تفضيلهم على العالمين مطلقا بكثرة الانبياء والمرسلين منهم، والاول أظهر، لانه عليه السلام احتج عليهم بما عرفوا فيبعد أن يراد به تفضيلهم على القرون الاولى واقوام رسلهم وعلى من سيأتي بعدهم، وحال كل منهما مجهول عنده وعندهم، فقد سأل فرعون موسى عن القرون الاولى فقال (علمها عند ربي) والقرون الآخرة بذلك أولى. وانت اذا قلت لغني أو عالم انك اغنى أو أعلم الناس أو لملك انك أقوى الملوك، أو في شعب انه ارقى الشعوب — فان أحداً لا يفهم من مثل هذا تفضيل من ذكر على غير أهل زمانهم، ولا سيما من يأتي بعدهم، وأهل الحضارة في زماننا يعتقدون أن الاجيال الآتية سيكونون خيراً من هذا الجيل، وكان موسى يعلم أن هداية الدين، سترتقي الى أن تكمل برسالة خاتم النبيين، ولكنه اوتي هذا العلم بما اوحاه الله اليه في التوراة ولم يكن نزل منها شيء عند طلب بني اسرائيل منه ما ذكر

والدليل على أن المراد بتفضيلهم على العالمين ما ذكرنا انه عطف عليه أعظم مظاهره الحديثة العهد بقوله ﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ قرأ ابن عامر (واذ نجاكم) على أنه من مقول موسى عليه السلام قطعا والباقون (أنجيناكم) وذكروا فيه احتمالين (احدهما) وهو الاظهر ما يتبادر أن يكون مسنداً الى الله تعالى متمما لكلام موسى ومبينا للمراد منه على طريقة الالتفات عن الحكاية عنه، ولهذا الالتفات نظائر في التنزيل وفي كلام بلغاء العرب، ومنه قوله تعالى في قصة موسى من سورة طه (الذي جعل لكم الارض مهداً وسلك

لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى) الخ
فأول الآية من قول موسى في جواب فرعون وقوله «فاخرجنا» التفات عن الحكاية وانتقال الى كلامه تعالى عن نفسه، خاطب به من انزل اليهم هذا الوحي من خلقه، تنبيها لهم بتلوين الكلام، وبما في مخاطبة الرب لهم كفاحا من التأثير الخاص، الى كونه هو المسدي لهذا الانعام. واقتصر بعض المفسرين على أن المخاطب بهذه القراءة من كان من بني اسرائيل في زمن النبي ص' فأفادت قراءة ابن عامر أن موسى قالها لقومه في ذلك الوقت، وأفادت قراءة الآخرين أن محمداً (صلى الله عليهما وسلم) ذكر بها قوم موسى في زمنه كما تقدم في سورة البقرة وهذه فائدة الجمع بين القراءتين وهي من اعجاز إيجاز القرآن

(الثاني) أن قراءة الالتفات من جملة الحكاية عن موسى (ع. م) اسند الانجاء فيها الى الله تعالى مع حذف القول للعلم به من القرينة او بدونه أو الى نفسه وحده أو مع أخيه للاشارة الى جعله تعالى هذا الانجاء بسبب رسالتهما وتأييده تعالى لهما بتلك الآيات

والمعنى واذكروا اذ أنجاكم الله تعالى بفضله - او اذ انجيناكم بارساله تعالى إيانا لاجل ذلك وبما أيدنا به من الآيات - من آل فرعون حال كونهم يسومونكم سوء العذاب بجعلكم عبيدا مسخرين لخدمتهم كالبهائم فلا يعدونكم منهم، وخص بالذكر من هذا العذاب شر أنواعه بقوله: يقتلون مايولد لكم من الذكور - ويستبقون نساءكم بترك الاناث لكم لتزدادوا ضعفا بكثرتهن - وهذا بدل بعض من كل. وفي ذلكم العذاب والانجاء منه بفضل الرب الواحد عليكم وتفضيله اياكم على اولئك العالين في الارض وعلى غيرهم كسكان البلاد المقدسة التي سترثونها بلاء عظيم أي اختبار لكم من ربكم المنفرد بتربيتكم وتدبير أموركم ليس وراءه بلاء واختبار؛ فان أجدر الناس بالاعتبار والاستفادة من احداث الزمان، من يعطى النعمة بعد النقمة، وأحق الناس بمعرفة وحدانية الله تعالى واخلاص العبادة له من يرى من آياته في نفسه وفي الآفاق ماقن به انه لا يمكن ان يكون لغيره شركة فيه أي فكيف أطلبون بعد هذا كله ممن رأيتم هذه الآيات على يده ليس لها فيها اقل تأثير ان يجعل لكم إلها من أخس المخلوقات تجعلونه واسطة بينكم وبين الله تعالى وهو قد فضلكم عليها وعلى عابديها ومن هم ارقى منهم؟

وقد غفل الشهاب الخفاجي عن كون تفضيلهم على العالمين لم يكن الا بدعوة

التوحيد المؤيدة بتلك الآيات ، فزعم أن الاحتجاج به من خطابي لا برهان عقلي ، واعتذر عن عدم احتجاج موسى ببرهان التمانع بأنهم من العوام ، وهو لا ينكر أن تلك المعجزات من البراهين القطعية ، وان اختلف المتكلمون في دلالتها هل هي عقلية أو وضعية ،. . وغفل أيضا عن كون برهان التمانع انما يحتج به على المشركين في الربوبية دون العبادة فقط . وقد تعقبه في هذا الالوسي فقال : وفي اقامة برهان التمانع على الوثنية القائلين (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) والمجيبين اذا سئلوا . من خلق السموات والارض؟ بخلقهن الله ـ خفاء ، والظاهر اقامته على الثنوية كما لا يخفى اه ووجهه أن الثنوية يقولون بوجود ربين الهين اشتركا في خلق العالم وتدبير أمره أحدهما رب النور والخير ، والثاني رب الظلمة والشر ، ويحتج عليهم بأنه لو كان في العالم خالقان مدبران أو اكثر لامتنع ان يوجد فيه نظام يصلح به امره اذا فرض جواز وجوده ، لان تعدد المدبرين لامر الشيء كتعدد الخالقين يقتضي تعدد العلم والارادة والقدرة التي يكون بها التدبير ؟ أو الخلق والتقدير ، وتعددها يقتضي التغاير والاختلاف فيها والا فلا تعدد ، وهذا الاختلاف يقتضي التعارض في متعلقاتها بأن يتعلق بعضها بغير ما علق به الآخر من ضد ونقيض ، وأي فساد في النظام وموجب للاختلال أشد من هذا؟ وانما قلنا اذا جاز وجوده لان الاشارة الى البرهان في قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) قد بني على أن السموات والارض موجودتان والنظام فيهما مشاهد بالابصار والبصائر ، وكما يمتنع استقامة النظام وصلاح التدبير الصادر عن علوم وارادات مختلفة متعارضة يمتنع صدور الكون نفسه عنها بالاولى

وفي الآية التي قبل الاخيرة من نكت البلاغة انه أعيد لفظ «قال» في أولها لما أشرنا اليه من ان هذا جواب مستقل لا يشترك مع ما قبله فيعطف عليه ، ولا هو معه من قبيل سرد الصفات والاعداد التي يطلب فيها الفصل ، اي كقوله تعالى (التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون) الخ وقولهم : الاول كذا ـ الثاني كذا الخ فلم يبق الا اعادة « قال » لامتناع الفصل والوصل كليهما بدونها ، وأن تكون « قال » مفصولة لا معطوفة لافادة هذا الاستقلال في الجواب ، اذ لا فرق بين عطف القول وعطف الجملة الاستفهامية بدونه في ان كلا منهما يقتضي الاشتراك بين المعطوف والمعطوف عليه كما

حققه عبد القاهر في دلائل الاعجاز

ولما كان كل من له ذوق في أساليب هذه اللغة يشعر بأن البدء بهذا الاستفهام هنا بدون « قال » غير مستعذب ولا مستساغ وان لم يعرف سبب هذا و نكتته ـ بحث طلاب نكت البلاغة في التفسير عن نكتة هذه الاعادة فلمح بعضهم ماقررناه ولم يتبينه واضحا ليبينه : قال الالوسي : قيل هذا هو الجواب وما قبله تمهيد له ولعله لذلك اعيد لفظ قال اه فنقل هذه النكتة بصيغة التمريض « قيل » اذ كانت اخفى عنده منها عند صاحبها الذي قال : ولعله . . . فلم يجزم ـ ثم نقل عن أبي السعود قوله في هذا الجواب : هو شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به سبحانه بعد بيان أن ماطلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا اصلا ، ولذلك وسط بينهما « قال » مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام اه : ثم نقل تعليلا آخر للشهاب وهو : اعيد لفظ قال مع اتحاد مابين القائلين (؟) لان هذا دليل خطابي بتفضيلهم على العالمين ولم يستدل بالتمانع العقلي لانهم عوام انتهى

وأقول إن العبارة الاولى أصح وأسلم من هذين القولين المعترضين على أنهما مبنيان على لمح مالمح صاحبها اذ لو سلم للاول أن الآية في بيان شؤون الله الخ وللثاني انها دليل خطابي لا برهاني لما كان هذا ولا ذاك مقتضيا لاعادة فعل القول لذاته وانما العبرة بموقعه وامتناع كل من فصله بدون القول ووصله بالعطف على ما قبله كما علم مما بيناه والحمد لملهم الصواب ، وقد بينا بطلان قول الشهاب آنفا ، وضعف قول أبي السعود لا يحتاج الى بيان .

فتاوى المنار

﴿ الوصية المزورة ، باسم المدينة المنورة ﴾

(س ٢١) من صاحب الامضاء في (ميت غمر)

سيدي الاستاذ الجليل محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار حرسه الله

تحية الله وسلامه اليك وبعد :

الدين الاسلامي الذي جاء فاصلا بين الحق والباطل، وعلم الناس ان هناك إلها لا يطلع أحدا على غيبه، وانه لا يظلم مثقال ذرة، لدين الاسلامي الذي أنقذ الناس من جاهليتها الاولى، وأبطل الخرافات والاعتقادات الباطلة، دين هدى لمن يريد ان يهتدي، دين توحيد لمن يريد ان يوحد ربا واحداً، دين وجهة واحدة لمن يريد ان يولي وجهه شطره. إلا أن الناس الذين يدينون به وينتسبون اليه لم يحافظوا عليه ولم يحترموا تعاليمه

وبذلك حقت علينا كلمة العذاب لأن أكثر المسلمين لا يعقلون

سيدي: أكتب اليك هذا وأنا في ذهول مستمر وحزن دائم لما وصلت اليه حالة المسلمين، حتى أصبحت حياتنا الدينية والدنيوية تشبه؟ الكفار من كل الوجوه. وان المنشور المرسل طيّ هذا الكتاب لأكبر دليل على صدق هذا القول حتى لا يقال بأننا نكتب على غير حق، فهل يصح يافضيلة الاستاذ لأمة دينها الاسلام، وكتابها القرآن، ان يوزع بينها هذا المنشور ويلصق على أبواب بيوت العبادة؟ فباسم الاسلام الذي وقفت حياتك على خدمته والمحافظة عليه، وباسم العلم الذي أخذت منه قسطاً وافراً، وبحق مالك علينا من فضل بمباحثك الدينية القيمة، التي كثيرا ما هدت ضلا وعلمت جاهلا، ان تبين لنا صحة هذا المنشور وأصل مصدره والغاية التي يرمي اليها ناشره، وذلك يكون بنشر الرد بجريدة الاهرام حتى يطلع الناس عليها، ويقفوا على حقيقتها، ولك من الله حسن الجزاء، ومن الناس أجمل الثناء، وانا لذلك لمنتظرون، والله المسئول الذي بيده المصير أن يتولاك برعايته. واقبل احترام واخلاص مسلم معجب بعلمك ودينك.

ميت غمر في ٢٧ مارس سنة ١٩٢٤ الخاضر زكي محمد عبد الله

معاون سلخانة ميت غمر وأمين مخزن البلدية

وهذا نص الوصية المزورة المرسلة مع هذا السؤل

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين على القوم الكافرين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ هذه وصية من المدينة المنورة ﴾

عن الشيخ أحمد خادم حرم النبي الشريف قال: كنت ساهرا ليلة الجمعة أتلو القرآن وبعد تلاوته قرأت أسماء الله الحسنى فلما فرغت من ذلك تهيأت للنوم فأخذتني سنة من النوم فرأيت الطلعة البهية رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أظهر الآيات القرآنية والاحكام الشرعية رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال لي ياشيخ أحمد قلت لبيك يارسول الله ويا أكرم خلق الله. فقال لي أنا خجلان من أعمال الناس القبيحة ولن أقدر أن أقابل ربي ولا الملائكة، ووقف على قدم لانه مات من الجمعة الى الجمعة مائة وستون الفا على غير الاسلام وواحد مات على الاسلام فنعوذ بالله من شر ذلك وصار غنيهم لا يرحم فقيرهم وأصبح كل شخص لا يسأل الا عن نفسه وقد ارتكبوا المعاصي والكبائر والزنا وأنقصوا المكيال والميزان وكثرت المعاصي وأكلوا الربا وشربوا الخمور وتركوا الصلاة ومنعوا الزكاة فهذه الوصية لاجل أن يتعظوا لاني في شدة التعب من أجلهم فاخبرهم ياشيخ أحمد قبل أن ينزل بهم العذاب من ربهم العزيز الجبار وتغلق أبواب الرحمة، فنعوذ بالله من شر هذا القرن وأهله لانهم عن طريق الحق ضالون، وبالله تعالى يشركون، وبالدين الحنيف ينكرون، وبأديانهم الباطلة يجحدون، وان الساعة قد قربت وفي سنة ١٣٤٠ هجرية تخرج النساء من غير إذن أزواجهن وفي سنة ١٣٥٠ هجرية تظهر علامة في السماء مثل بيض الدجاج وهي علامة القيامة وفي سنة ١٣٧٠ هجرية تغيب الشمس ثلاثة أيام بلياليها وبعد ذلك تشرق من المغرب وتغلق أبواب التوبة وفي سنة ١٣٨٠ هجرية يرفع القرآن العظيم من صدور الرجال، ويظهر المسيخ الدجال، وتتفان النساء والرجال، ويعود الاسلام كما كان خرابا. فأخبرهم ياشيخ احمد بهذه الوصية وعرفهم بأنها منقولة «بقلم القدرة من اللوح المحفوظ»

ومن يكتبها ويرسلها من بلد الى بلد أو من محل الى محل كتب الله له قصر في الجنة ومن لا يكتبها ولا يرسلها حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة، ومن لا يعرف

أن يكتبها يأمر كاتبا بكتابتها بثلاثة دراهم، ومن كتبها وكان فقيرا أغناه الله، او كان مديونا قضى الله دينه عنه، أو عليه ذنب غفر الله له ولو لديه ببركة هذه الوصية، ومن يكتمها عن عباد الله اسود وجهه في الدنيا والآخرة

وقال الشيخ احمد والله العظيم ثلاثا ان هذه حقيقة وان كنت كاذبا أخرج من الدنيا على غير الاسلام. ومن يصدق بها ينجو من عذاب النار ومن كذب بها كفر وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم (مؤمن مصدق)

(جواب المنار) جاءنا هذا السؤال فقدمنا عليه في النشر والجواب أسئلة أخرى جاءت قبله، ثم أطلعنا قلم التحرير في جريدة الاهرام على كتاب يقترح فيه مرسله نشر هذه الوصية في الاهرام ومطالبة العلماء ببيان ما يجب في شأنها — فتذكرنا أننا قد سئلنا عنها هذه الوصية

هذه الوصية فرية ملفقة سبقها أمثال لها كثيرة وكلها معزوة الى اسم الشيخ احمد خادم الحرم النبوي الشريف أو خادم الحجرة النبوية الطاهرة، وأذكر أني رأيت أول وصية منها بين أوراق لوالدي من زهاء أربعين سنة أو أكثر فصدقتها واهتممت بأمرها وكان ذلك قبل طابي للعلم بل في اول العهد بالقراءة.

ومنذ عشرين سنة أرسل الي امين افندي السرجاني الصائغ المشهور بمصر وصية أخرى منها وسألني عن رأيي فيها فنشرتها في باب الفتوى من المجلد السابع (غرة شعبان سنة ١٣٢٢) وأجبت عنها بما سأعيده هنا، ثم ارسلت الي نسخة أخرى من السويس بعد سنة ونصف من نشر تلك الفتوى فاعتذرت عن نشرها في فتاوي (ج ٣ م ٩ الذي نشر في ربيع الاول سنة ١٣٢٤)

والظاهر ان الذين يلفقون هذه الوصايا من الجهال يظنون أنه ربما يكون لنشرها تأثير عظيم في المسلمين، وأنهم يقصدون النفع ويستحلون في التوسل اليه تعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يفعل بعض الوضاعين لاحاديث الترغيب والترهيب، مع علم أولئك بقوله (ص) « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فانه روي متواترا في الكتب الستة وغيرها من المسانيد والمعاجم عن عشرات من الصحابة؟. ثم ينسخها بعض العوام حيث لا مطابع

ويطبعونها في مثل هذه البلاد لتصديقهم بما في آخرها من الوعد والوعيد ، ومن العجب ان الذين يجددون تلفيق اوصية لا يتركون اسم الشيخ احمد كانه خالد في الحرم النبوي الشريف وكأنه أعطي خدمة الحجرة الطاهرة خالدة تالدة لا تؤثر فيها احداث الزمان ولا مرور السنين ولا تغير الحكومات . ويلوح في ذاكرتي أن بعض زوار المدينة سأل عن الشيخ أحمد هذا منذ سنين كثيرة فلم يجد في الحرم النبوي من يعرفه

ومن دلائل كذب هذه الوصايا أسلوبها العامي على ان الوصية الجديدة دون ما سبقها في اللحن والاصطلاحات العامية (ومنها) وهو أقواها زعم مختلقها ان النبي (ص) صار محجوبا عن ربه وعن الملائكة بسبب ذنوب الناس . وهذه أعظم العقوبات التى توعد الله تعالى بها الفجار الكفار بقوله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فجميع ما نعاه على المسلمين من المعاصي هو دون الكذب على الرسول باصل الوصية والكذب على الله بزعمه انه عاقب أفضل رسله بذنب غيره كما يعاقب الكفار في الآخرة وهو مغفور له بنص القرآن ، على انه لا يعاقب أحد من الخلق لذنب غيره بالنص أيضا ومن جهله تعبيره عن التجلي الرباني بالمقابلة كما يعبر أهل هذا العصر عن لقاء بعض الناس لبعض .

وقوله: وفي سنة ١٢٤٠ تخرج النساء من غير اذن أزواجهن يدل على ان الوصية لفقت قبل هذا التاريخ ولما وصلنا اليه لم نر شيئا لم يكن قبله فقد كان كثير من النساء يخرجن قبله بدون إذن أزواجهن ولم يخرج فيه جميعهن ولا فيما بعده فنقول انه مصداق الجملة. وماذكر قبله من المعاصي فهو قديم أيضا ولكنه يزداد بلاشك كما انه قد تجدد من علم السنة ومحاربة البدع والدعوة الى الاصلاح الديني والتوفيق بينه و بين الحضارة والقوة مالم يكن. وقاعدة هؤلاء المصلحين ان الله تعالى قد أكمل دينه فلا نزيد في الامور الدينية المحضة شيئا لم يرد في الكتاب او السنة الثابتة او اجماع الصدر الاول ،

وأن اسعد السعداء من يعبد الله تعالى كما عبدوه ، فعلا وتركا حسب الامر والنهي وأن في الكتاب والسنة وهدي السلف الاول غنى عن كل ما عداها في النصح والارشاد ، والزجر عن الفساد ، فمن كان مخلصا في نصح المسلمين ، فليعضد

هؤلاء المصلحين، فهو خير له من اختراع الرؤى الباطلة، والوصايا السخيفة المزورة التي صار يقل في العوام من يصدقها، وجميع الخواص يلعنون مزورها . وانا نذكر هنا ما اجبنا به السائل عن هذه سنة ١٣٢٢ إتماما للفائدة - وكانت تلك في منتهى السخف لفظا ومعنى - وهذا نصه :

اننا نتذكر أننا رأينا مثل هذه الوصية منذ كنا نتعلم الخط والتهجي الى الآن مرارا كثيرة وكلها معزوة كهذه الى رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية . والوصية مكذوبة قطعا لا يختلف في ذلك أحد شم رائحة العلم والدين، وانما يصدقها البلداء من العوام الاميين ، ولا شك ان الواضع لها من العوام الذين لم يتعلموا اللغة العربية ولذلك وضعها بعبارة عامية سخيفة لا حاجة الى بيان أغلاطها بالتفصيل. فهذا الاحمق المفتري ينسب هذا الكلام السخيف الى أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء صلى الله عليه وآله وسلم ويزعم أنه وجده بجانب الحجرة النبوية مكتوبا بالخط أخضر يريد أن النبي الامي هو الذي كتبه ثم يتجرأ بعد هذا على تكفير من أنكره. فهذه المعصية أعظم من جميع المعاصي التي يقول انها فشت في الامة وهي الكذب على الرسول عليه الصلاة والسلام وتكفير علماء أمته والعارفين بدينه فان كل واحد منهم يكذب واضع هذه الوصية بها وقد قال المحدثون ان قوله (ص) : من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» قد نقل بالتواتر ولا شك ان واضع هذه الوصية متعمد لكذبها ولا ندري أهناك رجل يسمى الشيخ أحمد أم لا

وأما تهاون المسلمين في دينهم وتركهم الفرائض والسنن وانهماكهم في المعاصي فهو مشاهد وآثار ذلك فيهم مشاهدة فقد صاروا وراء جميع الامم بعد ان كانوا بدينهم فوق جميع الامم « ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » الا ان يتوبوا .ولا حاجة لمن يريد نصيحتهم بالكذب على الرسول ووضع الرؤى التي لا يجب على من رآها ان يعتمد عليها شرعا بل لا يجوز له ذلك الا اذا كان ما رآه موافقا للشرع فالكتاب والسنة الثابتة بين أيدينا وهما مملوآن بالعظات والعبر والآيات والنذر . اهـ

خطاب عام للمسلمين

في شأن الحجاز

(٤)

مفاسد الطاغوت بعد ادعائه للخلافة

ذكرنا في الفصول السابقة بعض الحقائق عن سلب الملك حسين أموال أهل الحجاز والحجاج والظلم في الحرم وفقد الأمن بين الحرمين التي جاءتنا من أخبار موسم الحج (سنة ١٣٤١) وقلنا إنه قد صرح في اثناء السنة الماضية قبل موسمها بانتحاله لمنصب الخلافة فصار خطره أشد ، والسعي لتلافيه أوجب، وذلك ان الرجل كلما كبرت مطامعه وتنفج وانتفخ في مظاهره يزداد احتياجه الى النقود ولا مستغل له الا الحجاج وأهل الحرمين، لان الانكليز منعوه ما كانوا يعطون، ولا بد من مورد غزير يقوم بنفقات الجمع بين عظمة الملك وخفخفته ، واخضاع امراء العرب المنكرين لامبراطوريته وخلافته، ونشر دعاية الخلافة ومقاومة خصومها في الشرق والغرب الى ان تستقر وتكون مستغلا جديداً وما هي بالمستقرة او يهلك العرب والمسلمون ، فخصومه في الملك والسلطان امراء جزيرة العرب المستقلون ، وكل واحد منهم يفوقه قوة وادارة وعدلا، وخصومه في الخلافة الشعوب الاسلامية ماعدا بعض أهل فلسطين وسورية والعراق من المنتفعين بماله ، والراجين لنواله ، أو المخدوعين بدعايته ودعاية رجاله ، أو المتلذذين بنكاية فرنسة،

والخائفين من شماتة جيرانهم من النصارى الذين عادوا ولده فيصل في تلك الايام ، التي كان المسلمون فيها سكارى بخمرة الاوهام ، أو عائشين في غمرة من اضغاث الاحلام ، على ان هؤلاء الانصار يقلون عاما بعد عام ، لان جناياته ظهرت للخواص والعوام ، وطفقت تتبرأ منه الجماعات والاحزاب كالافراد .

كان هذا الرجل المفتون بالالقاب الضخمة والمظاهر الفخمة أميراً للحجاز وكان بدو البلاد كحضرها يخضعون له ، ويخشون بأسه ، ويقبلون حكمه لعلمهم بأن وراءه دولة يرجى برها ، ويخشى ضرها ، وقد صلي نار الحرب العامة باسم العرب وهو لم يعمل ولا يعمل ولن يعمل إلا لنفسه وولده ، ولم يكن إلا متجراً بالعرب وبلاد العرب ، وبدين الاسلام أيضا كما ظهر ، واتضح لغير العميان المنكوسين من البشر ، استبد بالامر وحده على جهله وعجزه ، فأضاع الفرصة التي سنحت لاستقلال العرب واتساع مالكه ، ولم ينل شيئا من مطامعه الواسعة لنفسه ، بل لم يبق له من امارة الحجاز الا هذه المدن والقرى المعدودة على الاصابع وأما القبائل القوية فليس له عليها من سلطان

ولكن افتتانه بعظمة الملك وفخامة الالقاب وغروره بالوعود الشيطانية ، والاماني فيما يسميه « الحسيات النجيبة للعظمة البريطانية » جرآه على تسمية نفسه ملك العرب وصاحب البلاد العربية ، وصار يمتع نفسه بما تصبو اليه من عظمة الملك الصورية ، فاحدث اوسمة ورتبا متعددة تصدر جريدته « القبلة » آونة بعد آونة وفي صدرها إما عنوان (توجيهات) الذي كان يعهد في الجرائد العثمانية الحميدية ، وتحته : وجه

وسام النهضة أو وسام الاستقلال العلي الشأن الى فلان ووجه ...الى... وإما نبأ من انباء القصر العالي ومن تشرف بتقبيل اعتابه حتى ان أولاده يقبلون فيما يكتبون اليه الاعتاب ، ويعبر أحدهم عن نفسه بخادم تراب الاقدام (!!) ولم يدع سيئة من سيئات عبدالحميد إلا وتقلدها حتى اذكاء الجواسيس على رجال حكومته وأولاده ، دع غيرهم من الناس الذين قد يعذر بعدهم اعداء له لانه لهم عدو مبين . وقد حمله ادعاؤه هذا الملك وافتتانه به الى ما تقدم بيانه من مصارحة جميع امراء جزيرة العرب بالعداوة وانذارهم اسقاط إماراتهم وضمها الى ملك البلاد العربية كلها

كان هذا بعض شأنه ، على ضعفه وعجزه ، وخيبة آماله في « العظمة البريطانية وحسياتها النجيبة » - الا ان يقال - ولا يعوز الدليل من قال: انه لا يقنط من رحمتها ، ولا ييأس من روحها، فانه تبرأ من رحمة الله ان كان يقبل بقرار الدول كلها أضعاف ماتعطيه هي ان لم يكن بواسطتها ، - فماذا ينتظر من غروره وطمعه وعنجهيته وكبريائه وقد ادعى الخلافة العربية ، وطفق ينشر في جريدته الكاذبة الخاطئة دعاوى مبايعة جميع الشعوب الاسلامية، « لصاحب الجلالة الهاشمية ، امير المؤمنين ، وخليفة رسول العالمين ، المنقذ الاعظم » كقولها (مبايعة أهل مصر - مبايعة بلاد جاوه . مبايعة بلاد السودان) الخ ؟

ألا انه لا ينتظر منه بعد هذا الا الاسراف في الظلم والالحاد في الحرمين الشريفين، وتثقيل الغرامات على الحجاج ، وبث الفساد السياسي في سائر بلاد العرب ، وتمكين النفوذ الاجنبي فيها ، ومقاومة الاصلاح ونشر الخرافات في العالم الاسلامي كله

وقد أخرنا اتمام هذا الخطاب في العام الماضي لنقف على ما يكون له من التأثير في عمله بعد لقاء أنصاره وأصحاب الآمل فيه بزيارته لشرق الاردن ثم بعد تنحله لمنصب الخلافة ، حتى تكون النتيجة من خطابنا هذا بعد استيفاء المقدمات، فجاءتنا اخبار موسم الحج الاخير (سنة ١٣٤٢) بشر مما نشرنا خلاصته في أوائل هذا الخطاب من الاصرار على ما تقدم او الزيادة عليه ، وشرها قطعه لماء عين زبيدة في يوم عرفة لاجل أن يبيع اعوانه الماء المدخر باغلى الاثمان، واتفق ان كان حر الصيف شديداً حتى في البلاد المعتدلة ، فكان موقف عرفة كموقف الحساب يوم القيامة ، شغلت شدة الحر وشدة الظمأ أكثر الناس عن أداء العبادة براحة وحضور قلب ، ومات ألوف من الناس في عرفات وفي الطريق بينها وبين مزدلفة فمنى فمكة ، اخبرنا الكثيرون من الحجاج بذلك ، ونشره بعضهم في الجرائد وقالوا ان قربة الماء قد صارت تباع بعشرين قرشا وثلاثين قرشا في الغالب واشتراها بعض الاغنياء باكثر من ذلك

ومن الشواهد على الافساد السياسي مانقله الجرائد من ارسال دعاته الى عدن وبلاد الشافعية من تهامة اليمن ليأخذوا له البيعة ويخدعوا الناس بأن خليفة المسلمين وملك العرب سيجعل امرهم بايديهم وحكامهم من أهل مذهبهم ، وادارتهم كما يرغبون ويقترحون، وهذا موافق لتفسيره الرسمي للوحدة العربية الذي بيناه في الوثيقة الخامسة المتعلقة بالجناية الثانية من هذا الخطاب

وقد تثبتنا في نشر هذه المفسدة فكتبنا الى اليمن بالسؤال عن ذلك فجاءنا نبأ رسمي لاشك فيه بتأييد الخبر

ومن الشواهد على مقاومة الاصلاح ونشر الخرافات وتحكم الجهل في العلم والدين ما قرأناه في انباء الحجاز من جريدة المقتبس الدمشقية من تصدي الخليفة (خليفة الشيطان) لاستخدام مجلس شورى الخلافة الذي استحدثه لمنع انتشار الكتب والرسائل التي اشتهرت في بلاد جاوه من قبل الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا، كما منع من قبل ذلك كتب شيخي الاسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرها من الكتب القديمة التي لا توافق هواه، ولا نقول رأيه أو فهمه اذ هو عامي لا رأي له ولا فهم في علم ولا دين

ثم أخبرنا أحد علماء الازهر الذين حجوا في الموسم الاخير انه علم من الثقات في الحجاز ان حسينا كلف بعض علماء حكومته ومجلس شورى خلافته كتابة فتوى يطعنون فيها بالشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا صاحب المنار تبعا لتهم دونها لهم في الاسئلة الذي كلفهم الجواب عنها، فكتبوا له ما لا يرضيه تمام الرضا لان ما يرضيه يغضب الله تعالى - واتقوا شره بأن كتبوا انهم لم يطلعوا على شيء من كتب الشيخين المذكورين مشتملة على ما ذكر في الاستفتاء - هذا ملخص الخبر بالمعنى

علاوة

﴿ من روايات الحجاج في ظلم حسين ، في الحرمين الشريفين ﴾

عهدنا الى أحد علماء الازهر الذين ذهبوا الى الحجاز في الموسم الاخير أن يستقصي لنا أعمال هذا الطاغوت وذكرنا له بعض الثقات الذين يعرفون هذه الحقائق ولا يبخلون بها على من يثقون بأمانته ، ويأمنون شر سعايته ، فجاءنا بمسائل كثيرة. ثم جاءنا بيان آخر من بعض سكان المدينة المنورة الذين حضروا موسم الحج الاخير أيضا — فنلخص البيانين لاطلاع العالم الاسلامي عليهما ،

ودعوته الى القيام بما يجب عليه من العمل لمهد الاسلام، وحرم الله تعالى وحرم رسوله عليه الصلاة والسلام ، وخدمة للتاريخ الخاص والعام

ملخص ما جاء به العالم الازهري من مكة

(١) صدرت أوامر الملك حسين بمنع مشتري الاعشاب قبل أخذ مايلزم لحيواناته فتجاسر احد التكارنة واشترى فقبض عليه وسجنه عاماً واحداً وقال انه سجنه بمقتضى الوجه الشرعي من الكتاب والسنة فاستفتى ابو المسجون المفتين الاربعة بمكة فافتوه انه لا يستحق الحبس شرعا فاطلع الملك عليها فغضب وقال انه يخالف الشرع ولا يطلقه من الحبس وصار يكرر قوله: إشهد اني اخالف الشرع في أحكامي

(٢) في شعبان سنة ١٣٤٢ اشتكت فتاة امرأة من موالي الشناقطة أحد موالي العربان بانه اغتصبها بعد ان تهددها بالقتل في طريق الوصفة وهو حمى الملك الذي لا يدخله سوى جماله وأي حيوان يدخله يصادر — وقد وصفت الفتاة المتهم فقبض الملك على غيره من المغضوب عليهم فقطع يده ورجله من خلاف من غير ان تراه الفتاة وتشهد انه هو الجاني وهذا حكم الشرع

(٣) جعل رسما على كل جمل وحمار وبغل يجيء من جدة الى مكة نصف جنيه انكليزي وريالين مجيدين ومن مكة الى عرفات نصف جنيه انكليزي ومن مكة الى المدينة ثلاثة جنيهات جنيها برسم الحكومة والخزينة الخاصة

(٤) لاجل جمع الاعانات من الحجاج وضع في مجاري عين زبيدة أكياسا من الرمل فوق عرفة بقليل وذلك قبل يوم عرفة فلم يأت وقت الظهر حتى نضب الماء من حياض عرفة ونشأ عن ذلك عطش شديد جداً مات بسببه خلق كثير من الفقراء ولما ظهر سره امتنع عن جمع

الاعانة وعلى ذلك أدلة (منها) ان الماء كان فوق عرفة طافيا في الآبار على وجه الارض حتى كان من أخبر بذلك من العرب يملأ بيديه من غير دلو ولا رشاء (ومنها) أثناء نزولنا الى منى وجدنا الماء فيها كثيرا وما كان غلاء ماء منى الا من توهم الناس ان الماء مقطوع مما جرى لهم بعرفة . ولكن الذي كان يشاهد الآبار بنفسه وهي تجيش بالماء الغزير يعلم الحقيقة (ومنها) انه قبل خروج الناس الى عرفة بأيام طلب من مطوفي الجاوه والهنود جمع حجاجهم له في الحرم ليكلمهم في أمر مهم . ثم قال للمطوفين تدرون هذا الامر ؟ فقالوا لا . فقال لاجل جمع إعانة لتصليح عين زبيدة

(٥) طريقته في جمع الاعانة للعين أن ما زاد على عشرين جنيها يوضع في صندوقه الخاص وما نقص عنها ففي صندوق العين واذا احتاجت العين للتعمير لا يعطيها شيئاً واذا طُلب من صندوقه للحاجة يغضب ، وحصل ذلك مرة فغضب وحاسب أمين الصندوق وعطل أعمال لجنة العين أحد عشر شهرا . وبعض الحجاج لجهل أو غفلة أو حب رياء وظهور يدفعون له مباشرة ما يتبرعون به فيكون خالصاله والمعروف منه لا يقل عن ٥٠٠ جنيه

(٦) عند مبايعته بالخلافة في عمان وصلت منه برقية لقاضي القضاة بمكة بانه اذا امتنع أحد عن البيعة يقتل رميا بالرصاص

(٧) لما وصلت الكسوة من مصر أغرى بعضهم ان يحضروا له بعض المصريين ليقولوا له انه بلغهم انه يريد رد الكسوة وانه سيكسو الكعبة من عنده كما كساها في العام الماضي وان يسترحموا جلالته ويرجوه عدم ردها ، يلحوا عليه في ذلك فيقبل رجاءهم . وأظهر للناس انه في غنى عن كسوة مصر ولولا إلحاح المصريين لم يقبلها . والكسوة التي جاء بها

في العام الماضي ثمنها ٣٠٠ جنيه وهي من الصوف السيلان وكانت عند مادخلنا مكة باهتة وشكلها في غاية الكآبة

(٨) كان حول المسجد الحرام ميضأة من أوقاف سلاطين مصر والاتراك فهدمها وجعل محلها دكاكين لملكه وصار الناس يبولون في الشوارع ويتوضؤن على أبواب المسجد الحرام ورأيت بعيني ناسا كثيرا يفعلون ذلك

(٩) أمر أن لا يتجاوز الحمل ٢٠ أقة والجمل يستطيع حمل ٧٠ فأكثر فصار أكثر الحجاج يضطر لترك كثير من حاجاته في جدة، وهو يدعي انه فعل ذلك شفقة على الجمال، والحق انه أراد كثرتها لاجل المال. ومن جراء ذلك تعطل في العام الماضي عدد غير قليل عن الحج وفاتهم يوم عرفة وهم بجدة ينتظرون عودة الجمال التي رحلت بهذه الاحمال الخفيفة

(١٠) إنه يأخذ من اصحاب الخيام المعدة للاجرة مايحتاج اليه لاكرام ضيوف منصبي الملك والخلافة بغير اجرة (وذكر الكاتب حكاية طويلة سمعها من رجل كردي فقير كلفه الملك الخليفة الاتيان بخمس خيام فاعتذر بفقره وغربته فوضعه في سجنه الذي سماه هذا المسكين جهنم ووصف مافيه من السلاسل والاغلال ... ثم افتداه بعض الموسرين باستئجار الخيام المطلوبة له ولكن لما آن وقت إرجاعها بعد عرفة ارجعوا ثلاثا واغتصبوا اثنتين

(١١) اذا حكمت المحكمة الشرعية حكما وصدق عليه قاضي القضاة والتدقيقات الشرعية ووسط المحكوم عليه واسطة أو رشوة أو نفاقا أو أو تجسسا أو اطراءا انعكست القضية واصبح المحكوم عليه محكوما له. وهذا الباب مفتوح للجميع وبعد قليل يصل الآخر الى ماوصل اليه المحكوم عليه فتنعكس القضية مرة ثانية وبعد مدة تنقلب اخرى وهلم جرا

(١٢) القاضي لا يحكم الا بامر الملك، وحجته انه هو الذي ولاه فكيف يحكم بغير امره واستحسانه . واذا شهد شاهد فتزكيته أن يكون مخلصا لسيدهم وبذلك يكون اعدل الناس ويقوم مقام اثنين واكثر

(١٣) كان على سواري المسجد الحرام كتابات من قبل سلاطين مصر وتركية وغيرهما بابطال المكوس بمكة والمدينة فطمس الكتابة بالجير ولكنها لا تزال ظاهرة الأثر

(١٤) اذا أراد اغتصاب قطعة ارض من صاحبها تذرع بالطرق العامة وانه يريد أن يفتح طريقا أو يوسعه فيكره صاحب العقار على تركها له في مقابل شيء لا يذكر ثم يأخذ الملك منها قطعة صغيرة للطريق والباقي يبنيه لنفسه بيوتا ودكاكين، وبهذه الطريقة صار له عقار كثير جداً وإنما ياخذ ذلك باسمه بناء على فتوى من القضاة بأن التمليك للحكومة لا يصح لانها هيئة وانما يصح لشخص بعينه

(١٥) اذا اضطر أحد الاعيان من شدة تضييقه عليهم الى عرض بعض الحلي والجواهر للبيع فللشريف دلال مخصوص لا يمكن أن يباع شيء من ذلك حتى يعرض عليه وهو يأخذها بابخس الاثمان لحساب سيده بعد أن يحذر الدلالين من المساومة فيها والمزايدة

(١٦) اذا ورد رقيق يأخذ لنفسه الوصائف والغلمان الحسان بابخس ثمن فاذا تظلم النخاس يقال له هذه عشور الحكومة التي تحافظ عليك من قناصل الدول ومراراً طلب قنصل الانكليز تسليم النخاسين من رعاياهم ورعايا الحكومة الايطالية فلم تسلمهم الحكومة

(١٧) كان له دار في المسعى جعلها مدرسة بعد أن جمع لها اعانات

كثيرة وسلب الاوقاف من اهلها وحبسها على المدرسة وشرط لها شروطا تجعل المدرسة في أي وقت عرضة الاغلاق وطرد المدرسين والطلبة ، ويرجع بناءها لملكه الخاص بؤجره وزاد ان ضم هذه الاوقاف الكثيرة الى ملكه - أو أوقافه - أيضا

(١٨) أسس شركة تجارية سماها (الشركة الوطنية) رئيسها أحد صنائعه يدعى عبدالوهاب قزاز ولا مال لهذه الشركة وإنما رأس مالها ما تأخذه من التجار من البضائع بالطريقة الآتية: اذا وصلت البضائع الي الجمرك فللملك عمال هناك يعرفون البضائع الرائجة فيحجزونها على اسم الشركة وترسل الى مكة في أول قافلة وتمنع البضائع الاخرى من الخروج حتى تباع هذه كلها وبعدذلك يسمح للبضائع الاخرى بالخروج الى مكة، والبضائع التي أخذتها الشركة هي من اموال التجار ولكن لا يدفع ثمنها اليهم الا بعد بيعها بأشهر ونادر جداً أن يدفع الثمن كله، وهذه الشركة تخلط الزيت مع السمن والماء مع الغاز وتتطفف الكيل والميزان وقد صار الآن رأس مالها عظيما وهي ملك خالص للشريف لاشريك له فيها

(١٩) يقول دائما (جوع كلبك يتبعك) فلذلك تراه دائماضد التجار ويسعى في معاكستهم وفي كل شهرين أو ثلاثة يزيد رسم الجمرك والغرامات عظيمة والبضائع متراكمة بدون بيع لانه لايسمح لهم الا بالكاسد بعدأن يبيع هو ماانتقاه من بضائعهم، وان دام هذا الحال على التجار فعاقبتهم الافلاس حتما

وكذلك يضيق على العربان أولا في بيع مايجلبونه الى مكة من غنم وغيرها ، فلا يأذن لهم أن يبيعوها الا بالسعر الذي يسمح لهم به ، ولا يسمح لهم بشراء الطعام الا بمقادير قليلة جداً ، فمن طلب ارزاً

أو دقيقا لا يعطى الا الربع ومن طلب ثوب قماش لا يسمح له الا بالربع حتى اصبح العربان في ضيق شديد وضنك من العيش حتى قال بعضهم: انه يمنعنا طعامنا الذي نأخذه بدراهمنا حتى صرنا نهرب من الضيوف لاننا لا نجد ما نطعمهم بعد أن كنا في كل ليلة نذبح الخرفان و نطبخها بالارز وثانيا في أجور جمالهم للحجاج والقوافل لاجل سمسرته كما تقدم. وقصده من كل ذلك جعل جميع الناس فقراء حتى يتبعوه ويجند منهم من يشاء بمرتب عشرة ريالات مجيدية ليقاتل بهم ابن السعود والامام يحيى والادريسي

(٢٠) سبب منع العربان للحجاج من زيارة المدينة المنورة الا بجعل يأخذونه منهم أنه كان لقبائل حرب منذ القدم مرتبات من الدول الاسلامية وآخرها الدولة العثمانية (٤٠) الف جنيه سنويا في مقابل امن الطرق وحفر الآبار واحضار الحطب والماء للحجاج في الطريق ومحطاتها ولما ثار الشريف على الدولة العثمانية كان يعطيهم اياها للاستعانة بهم على فتح المدينة بعد حصارها فلما فتحت المدينة بالهدنة قطع تلك المرتبات وصار العربان من حرب وغيرهم يتعرضون للحجاج في طريق المدينة ويأخذون من كل شخص جنيهين فاكثر وفي كل سنة يكون عدد الزائرين (٣٠) الف جمل أو يزيدون ثم ما اكتفى بقطع المرتبات بل صار يجعل اجرة الجمل من مكة أو جدة الى المدينة (١٦) جنيها يأخذ منها (٦) لنفسه وللحكومة واحد وللمقدم والمطوف والرهينة (واحد) ولقائمقام القصر الشريف محسن (واحد) وللوسائط (واحد) فيبقى للجمال خمسة فتضرر العربان من هذه الحالة وطلبوا منه الانصاف فامتنع وامتنعوا هم ايضا من حمل الحجاج وذهبوا بجمالهم الى ديارهم فارسل لهم الوسائط

تسترضيهم فرجعوا وشرطوا شروطا منها منع السخرة على جمالهم وعدم تكليفهم بالذهاب بها الى مواقع الحرب جهة ابها عسير والطائف وعدم شراء جمالهم من المزاد واعطائهم المعاشات من رجب سنة ١٣٤٢ الى آخر سنة ١٣٤٢ مبلغ (١٨) جنيه مقدما وجعل كراء الجمل الصافي بيدهم (٨) ولغيرهم (٨) واذا وقع على القافلة تعد فهم يقاتلون التعدي الى آخر قطرة من دمائهم خلافا لما كان سابقا من عدم القتال، فخف لهم بالوفاء ولكنه لم يف واعطاهم من الثمانية عشر الف جنيه الفي جنيه فامتنعوا عن قبولها وخرجوا من مكة غضابا ولما وصلت القافلة الى رابغ أرجعوها الى مكة بدون زيارة وقد مكثت القوافل في رابغ عشرة أيام لان بعض الجمالة هربوا بجمالهم الى منازلهم التي حول المدينة وأما من كانت منازله حول جدة ومكة فقد عادوا بالحجاج وقد ارسلت الحكومة بواخرها الى ينبع ونقلت الحجاج على حسابها بزعمها مع انها كانت أخذت رسم الجمل (٨) جنيهات وزادت رسم الجمال الى مكة مجيديا ولما رجعت القوافل بهم خرج وقابلهم من الزاهر والشهدا راكبا حصانه وقد سبقه بساعتين محسن راكبا السيارة فلما سمع الجمالة صوت السيارة ايقنوا انه يريد أذاهم فقطعوا اربطة الاحمال وقلبوا الشقادف بمن فيها فنهم من جرح ومنهم من كسرت يده أورجله والقليل منهم سلموا ودخلوا مكة على حالة مبكية

هذا قليل من كثير من المظالم الواقعة على الحجاج والاهالي

لها بقية

ابطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

لشيخ الاسلام تقي الدين احمد ابن تيمية رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس احمد بن تيمية رضي الله تعالى عنه عن كراس وجد بخط بعض الثقات قد ذكر فيها كلام جماعة من الناس فيما فيه

(قال) بعض السلف : ان الله تعالى لطّف ذاته فسماها حقاً، وكثفها فسماها خلقاً ، قال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل : إن الله ظهر في الاشياء حقيقة واحتجب بها مجازاً ، فمن كان من أهل الحق والجمع شهدها مظاهر ومجالي ، ومن كان من اهل المجاز والفرق شهدها ستوراً وحجبا .

(قال) وقال في قصيدة له :

لقد حق لي رفض الوجود واهله   وقد علقت كفاي جمعا بموجدي

ثم بعد مدة غير البيت بقوله * لقد حق لي عشق الوجود واهله *
فسألته عن ذلك فقال : مقام البداية أن يرى الاكوان حجبا فيرفضها ، ثم يراها مظاهر ومجالي فيحق له العشق لها ، كما قال بعضهم :

أقبّل ارضا سار فيها جمالها   فكيف بدار دار فيها جمالها

(قال) وقال ابن عربي عقيب انشاد بيتي أبي نواس

رقّ الزجاج وراقت الخمر   فتشاكلا فتشابه الامر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

لبس صورة العالم فظاهره خلقه ، وباطنه حقه . وقال بعض السلف عين ماترى ، ذات لاترى ، وذات لاترى ، عين ماتري ؛ الله فقط والكثرة وهم . قال الشيخ قطب الدين ابن سبعين : ربٌّ مالك ، وعبد هالك ، وانتم ذلك ، الله فقط والكثرة وهم

للشيخ محيي الدين ابن عربي

ياصورة انس سرها معنائي ماخلقت للامر ترى لولائي

شئناك فأنشأناك خلقا بشراً تشهدنا في أكمل الاشياء

وطلب بعض أولاد المشايخ للحرمايرى من والده الحج(١) فقال له الشيخ طف يا بني ببيت ما فارقه الله طرفة عين

(وقال) قيل عن رابعة إنها حجت فقالت هذا الصنم المعبود في الارض وإنه ما ولجه الله ولا خلا منه . وفيه للحلاج

سبحان من أظهر ناسوته سر سناء لاهوته الثاقب

ثم بدا مستتراً ظاهراً في صورة الاكل والشارب

قال وله

عقد الخلائق في الآله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

وله أيضا

بيني وبينك إنيٌّ تزاحمني فارفع بحقك إنيي من البين

(قال) وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي الحلبي المقتول : بهذه البقية (٢) التي طلب الحلاج رفعها تصرف الاغيار في دمه . وكذلك قال

(١) كذا والعبارة غير ظاهرة فلعلها محرفة (٢) لعلها الانية

السلف : الحلاج نصف رجل وذلك أنه لم ترفع له الانية بالمعنى فرفعت له صورة . قالوا لمحيي الدين بن العربي

والله ماهي الا حيرة ظهرت وبي حلفتُ وان المقسمَ اللهُ

وقال فيه : المنقول عن عيسى عليه السلام أنه قال . ان الله تبارك وتعالى اشتاق أن يرى ذاته المقدسة نخلق من نوره آدم عليه السلام وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها ،واني أنا ذلك النور وآدم المرآة .

قال ابن الفارض في قصيدته (نظم السلوك) :

وشاهد اذا استجليت نفسك من ترى بغير مِراء في المراة الصقيلة
أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر اليك بها عند انعكاس الاشعة

(قال) وقال ابن اسرائيل : الامر أمران . أمر بواسطة وأمر بغير واسطة . فالامر الذي بالوسائط قبله من شاء الله ورده من شاء الله تعالى ، والامر بغير واسطة لا يمكن خلافه ، وهو قوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فقال له فقير ان الله تعالى قال لآدم بلا واسطة لا تقرب الشجرة فقرب وأكل ، فقال صدقت وذلك أن آدم انسان كامل . وكذلك قال شيخنا علي الحريري : آدم صفي الله تعالى كان توحيده ظاهراً وباطنا فقال فكان قوله تعالى « لا تأكل » ظاهراً ، وكان أمره « كل » باطنا ، فأكل فكذلك قوله تعالى. وابليس كان توحيده ظاهراً ، فأمر بالسجود لآدم فرآه غيراً فلم يسجد فغير الله عليه وقال (اخرج منها) الآية

(قال) وقال شخص لسيدي حسن يا سيدي اذا كان الله يقول لنبيه (ليس لك من الامر شيء) ايش نكون نحن ؟ فقال سيدي ليس

الامر كما تظن ، قوله (ليس لك من الامر شيء) أيش غير الاثبات للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى * إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)

وفيه لأوحد الدين الكرماني

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين

غيره

لا تحسب بالصلاة والصوم تنال قربا ودنوا من جمال وجلال

فارق ظلم الطبع تكن متحدا بالله والا كل دعواك محال

غيره للحلاج

اذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر

يشاهد حقا حين يشهده الهوى بأن صلاة العارفين من الكفر

للشيخ نجم الدين بن اسرائيل

الكون يناديك أما تسمعني من ألف أشتاتي ومن فرقني

أنظر لتراني منظرا معتبرا مافيَّ سوى وجود من أوجدني

وله

ذرات وجود هي للحق شهود أن ليس لموجود سوى الخلق وجود

والكون وان تكثرت عدته منه الى علاه يبدو ويعود

وله

برئت اليك من قولي وفعلي ومن ذاتي براءة مستقيل

وما أنا في طراز الكون شيء لاني مثل ظل مستحيل

للعفيف التلمساني

أحن اليه وهو قلبي وهل يُرَى سوايَ أخو وَجد يحنّ لقلبه
ويحجب طرفي عنه اذ هو ناظري وما بُعده الا لإفراط قربه

قال بعض السلف : التوحيد لا لسان له والالسنة كلها لسانه .

(وفيه) لا يعرف التوحيد الا الواحد ، ولا تصح العبارة عن التوحيد ، وذلك أنه لا يعبر عنه الا بغير ، ومن أثبت غيراً فلا توحيد له

(وفيه) سمعت من الشيخ محمد بن بشر النواوي أنه ورد سيدنا الشيخ علي الحريري الى جامع نوى قال الشيخ محمد فجئت فقبلت الارض بين يديه وجلست فقال يابنيّ وقفتُ مدة مع المحبة فوجدتها غير المقصود لان المحبة لا تكون الا من غير لغير وغير ما ثمّ ، ثم وقفت مدة مع التوحيد فوجدته كذلك لان التوحيد لا يكون الا من عبد لرب ، لو أنصف الناس ما رأوا عبداً ولا معبوداً

(وفيه) سمعت من الشيخ نجم الدين بن اسرائيل مما أسرّ الي أنه سمع من شيخنا الشيخ علي الحريري في الدام الذي توفي فيه قال يا نجم رأيت لهاتي الفوقانية فوق السموات وحنكي تحت الارضين ، ونطق لساني بلفظة لو سمعت مني ما وصل الى الارض من دمي قطرة. فلما كان بعد ذلك بمدة. قال شخص فى حضرة سيدي الشيخ حسن بن الحريري ياسيدي حسن اما خاق الله أقل عقلا ممن ادعى أنه إله مثل فرعون ونمرود وأمثالهما . فقلت أنا هذه المقالة ما يقولها الا اجهل خاق الله او اعرف خلق الله . فقال صدقت . وذلك انه سمعت من جدك يقول رايت كذا وكذا . فذكر ما روا نجم الدين عن الشيخ

(وفيه) قال بعض السلف : من كان عينَ الحجاب على نفسه فلا

حاجب ولا محجوب

(والمطلوب من السادة العلماء) ان يبينوا لنا هذه الاقوال وهل هي حق او باطل ؟ وما يعرف به معناها وما يبين انها حق أو باطل وهل الواجب انكارها؟ او اقرارها؟ او التسليم لمن قالها؟ وهل لها وجه سائغ ؟ وما حكم من اعتقد معناها . إما مع المعرفة بحقيقتها ، وإما مع التأويل المجمل لمن قالها والمتكلمون ارادوا لها معنى صحيحا يوافق العقل والنقل ويمكن تأويل ما يشكل منها وحملها على ذلك المعنى ؟وهل الواجب بيان معناها وكشف مغزاها ، اذا كان هناك ناس يؤمنون بها ، ولا يعرفون حقيقتها ؟ أم ينبغي السكوت عن ذلك وترك الناس يعظمونها ويؤمنون بها مع عدم العلم بمعناها ؟

(فأجاب شيخ الاسلام) أبو العباس تقي الدين احمد ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه :

الحمد لله رب العالمين . هذه الاقوال المذكورة تشتمل على اصلين باطلين مخالفين لدين المسلمين واليهود والنصارى مخالفتهما للمعقول والمنقول

(أحدهما) الحلول والاتحاد وما يقارب ذلك كالقول بوحدة الوجود كالذين يقولون إن الوجود واحد فالوجود الواجب للخالق هو الوجود الممكن للمخلوق، كما يقول ذلك أهل الوحدة كابن عربي وصاحبه القونوي وابن سبعين وابن الفارض صاحب القصيدة التائية (نظم السلوك) وعامر البوصيري السيواسي الذي له قصيدة تناظر قصيدة ابن الفارض

والتلمساني الذي شرح مواقف النفري (١) وله شرح الاسماء الحسنى على طريقة هؤلاء وسعيد الفرغاني الذي شرح قصيدة ابن الفارض والششتري صاحب الارحال الذي هو تلميذ ابن سبعين وعبد الله البلباني وابن أبي منصور المصري صاحب (فك الازرار ، عن اعناق الاسرار) وامثالهم

ثم من هؤلاء من يفرق بين الوجود والثبوت كما يقوله ابن عربي ويزعم أن الاعيان ثابتة فى العدم غنية عن الله في انفسها ، ووجود الحق هو وجودها ، والخالق مفتقر الى الاعيان في ظهور وجودها ، وهي مفتقرة اليه في حصول وجودها الذي هو نفس وجوده ، وقوله مركب من قول من قال المعدوم شيء وقول من يقول وجود المخلوق هو وجود الخالق . ويقول فالوجود المخلوق هو الوجود الخالق ، والوجود الخالق هو الوجود المخلوق ، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع

وفيهم من يفرق بين الاطلاق والتعيين كما يقوله القونوي ونحوه فيقولون ان الواجب هو الموجود المطلق لا بشرط . وهذا لا يوجد مطلقا إلا في الاذهان فما هو كلي في الاذهان لا يكون في الاعيان إلا معينا ، وان قيل إن المطلق جزء من المعنى لزم أن يكون وجود الخالق جزءاً من وجود المخلوقات ، والجزء لا يبدع الجميع ويخلقه ، فلا يكون الخالق موجوداً

ومن قال ان الباري هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق كما يقوله

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري الصوفي المتوفى سنة ٣٥٤ والتلمساني شارحه عفيف الدين سليمان بن علي الصوفي الشاعر صاحب الديوان المشهور توفي سنة ٦٩٠

ابن سيناوأتباعه فقوله أشد فساداً فان المطلق بشرط الاطلاق لايكون إلا في الاذهان لا الاعيان ، فقول هؤلاء بموافقة من هؤلاء الذين يلزمهم التعطيل شر من قول الذين يشبهون أهل الحلول

وآخرون يجعلون الوجود الواجب والوجود الممكن بمنزلة المادة والصورة يقولها (١) المتفلسفة أو قريب من ذلك كما يقوله ابن سبعين وامثاله

وهؤلاء اقوالهم فيها تناقض وفساد ، وهي لا تخرج عن وحدة الوجود أو الحلول أو الاتحاد وهم يقولون بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد المطلق ، بخلاف من يقول بالمعنى كالنصارى والغالية من الشيعة الذين يقولون بالاهية علي أو الحاكم أو الحلاج أو يونس القبي أو غير هؤلاء ممن ادعيت فيه الالهية ، فان هؤلاء قد يقولون بالحلول المقيد الخاص ، واولئك يقولون بالاطلاق والتعميم ، ولهذا يقولون النصارى انما كان خطأهم للتخصيص ، وكذلك يقولون عن المشركين عباد الاصنام انما كان خطأهم لانهم اقتصروا على عبادة بعض المظاهر دون بعض ، وهم يجوزون الشرك وعبادة الاصنام مطلقاً على وجه الاطلاق والعموم ، ولا ريب أن في قول هؤلاء من الكفر والضلال ما هو أعظم من اليهود والنصاري ، وهذا المذهب كثير في كثير من المتأخرين وكان طوائف من الجهمية يقولونه. وكلام ابن عربي في (فصوص الحكم) وغيره (٢) وكلام ابن سبعين وصاحبه الششتري وقصيدة ابن الفارض (نظم السلوك) وقصيدة عامر البصري وكلام العفيف التلمساني وعبد الله البلبالي والصدر القونوي وكثير

(١) لعل اصله التي يقولها الخ «٢» قوله وكلام ابن عربي مبتدأ خبره مع ما عطف عليه قوله بعد : وهو مبني على هذا المذهب

من شعر ابن اسرائيل وما ينقل عن شيخه الحريري ، وكذلك يوجد نحو منه في كلام كثير من الناس غير هؤلاء هو مبني على هذا المذهب مذهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكثير من أهل السلوك الذين لا يعتقدون هذا المذهب يسمعون شعر ابن الفارض وغيره فلا يعرفون أن مقصوده هذا المذهب ، فان هذا الباب وقع فيه من الاشتباه والضلال ، ما حير كثيراً من الرجال

وأصل ضلال هؤلاء أنهم لم يعرفوا مباينة الله سبحانه للمخلوقات وعلوه عليها ، وعلموا أنه موجود فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودها ، بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أنه الشمس نفسها

ولما ظهرت الجهمية المنكرة لمباينة لله وعلوه على خلقه افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال . فالسلف والائمة يقولون : إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه (١) كما دل على ذلك الكتاب والسنة

(١) هذه الكلمة المأثورة بالروايات الصحيحة المسندة الى أئمة السلف قد جمعت في صفات الله تعالى بين قبول نصوص الكتاب والسنة وبين التنزيه المطلق الذي اراده الجهمية والمعتزلة وبعض نظار الاشعرية بتأويل النصوص بالتحكم والتكلف المؤدي الى تعطيلها وجعلها كاللغو حتى لا يذكرونها في عقائدهم ويسمون من يذكرها على اطلاقها مشبها - فمباينة الله تعالى لخلقه ابلغ مايقال في تنزيهه عن مشابهتهم في شأن ما من شؤون الربوبية والالوهية أو مشابهته لهم في شأن ما من شؤون المخلوقين، فعلوه تعالى على خلقه واستواؤه على عرشه فوق جميع سماواته لايقتضي مع ماذكر من المباينة أن يكون محصوراً أو محدودا أو متحيزا، إنما علوه سبحانه علو مباينة لها لا كعلو بعضها على بعض، فان هذا امر إضافي لا حقيقة له في نفسه، يعترف بهذا جميع الفلاسفة وعلماء المعقول في كل زمان

وإجماع سلف الامة . وكما علم العلو والمباينـة بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه في إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى

والقول الثاني : قول معطلة الجهمية ونفاتهم وهم الذين يقولون لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايث له، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم

والقول الثالث : قول حلولية الجهمية الذين يقولون أنه بذاته في كل مكان كما تقول ذلك النجارية أتباع حسين النجار وغيرهم من الجهمية وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس هؤلاء فان الحلول أغلب على عُبَّاد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم ، والنفي والتعطيـل أغلب على نظارهم ومتكلميهم كما قيل : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا ، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء ، وذلك لان العبادة تتضمن القصـد والطلب والارادة والمحبـة وهذا لا يتعلق بمعدوم . فان القلب يتطلب موجوداً فاذا لم يطلب ما فوق العالم طلب ما هو فيه

وأما الـكلام والعلم والنظر فيتعلق بموجود ومعدوم. فاذا كان أهل الكلام والنظر يصفون الرب بصفات السلب والنفي التي لا يوصف بها الا المعدوم لم يكن مجرد العلم والـكلام ينافي عدم المعلوم المذكور بخلاف القصد والارادة والعبادة فانه ينافي عدم المعبود ولهذا تجد الواحد من هؤلاء عند نظره وبحثه يميل الى النفي وعند عبادته وتصوفه يميـل الى الحلول واذا قيل هذا ينافي ذلك.قال ذاك مقتضى عقلي ونظري ، وهذا مقتضى

ذوقي ومعرفي . ومعلوم أن الذوق والوجدان لم يكن موافقا للعقل والنظر وإلا لزم فسادهما أو فساد أحدهما

والقول الرابع : قول من يقول إن الله بذاته فوق العالم وهو بذاته في كل مكان . وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ وأمثاله . وقد ذكر الاشعري في (المقالات) هذا عن طوائف ويوجد في كلام السالمية كأبي طالب المكي وأتباعه مثل أبي الحكم ابن برجان وأمثاله مايشير الى نحو من هذا كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا

وفي الجملة فالقول بالحلول أو ما يناسبه وقع فيه كثير من متأخري الصوفية . ولهذا كان أئمة القوم يحذرون منه كما في قول الجنيد لما سئل عن التوحيد فقال: التوحيد افراد المحدث عن القدم ، فبين أن التوحيد أن تميز بين القديم والمحدث وقد أنكر عليه ذلك ابن عربي صاحب الفصوص وادعى أن الجنيد وأمثاله ماتوا وما عرفوا التوحيد ، لما أثبتوا الفرق بين العبد والرب، بناء على دعواه أن التوحيد ليس فيه فرق بين الرب والعبد ، وزعم أنه لا يميز بين القديم والمحدث الا من يكون ليس بقديم ولا محدث. وهذا جهل فان المعرفة بأن هذا ليس ذاك والتمييز بين هذا وذاك لا يقتضي أن يكون العارف المميز بين الشيئين ليس هو أحد الشيئين بل الانسان يعلم أنه ليس هو ذلك الانسان الآخر مع أنه أحدهما فكيف لا يعلم أنه غير ربه وان كان هو أحدهما؟

من الخرافات الى الحقيقة (*

(١٠)

ان الائمة في نظر طائفة (الامامية) يأتون على هذا الترتيب : (١) سيدنا علي (٢) الحسن (٣) الحسين (٤) علي زين العابدين (٥) محمد الباقر بن زين العابدين (٦) جعفر الصادق بن محمد الباقر (٧) موسى الكاظم بن جعفر الصادق (٨) علي الرضا بن موسى (٩) محمد بن علي النقي (١٠) علي بن النقي (١١) حسن بن علي الزكي (١٢) محمد بن حسن العسكري

يعتقد الاماميون أن الامام الثاني عشر وهو محمد بن حسن العسكري حيّ الى اليوم (وهو الامام المهدي المنتظر عندهم)

ومن مطالعة مؤلفاتهم يرى الانسان عقائد غريبة مثل قولهم : غيبة صغرى ، وغيبة كبرى

الغيبة الصغرى : يزعمون أنه كان في عام ٢٦٦ هجرية في زمان المعتمد العباسي مناسبات وعلائق بين الامام وصلحاء الامـة . وكان بينهما سفراء ووكلاء ودام هذا ٧٣ سنة

الغيبة الكبرى : ابتدأت في خلافة الراضي بن المقتدر وانقطعت بعد ذلك المناسبات بين الائمة والامة وكان أول وكيل للامام عند الخلفاء (عثمان ابن سعيد العمري الاسدي) ثم انتقلت هذه السفارة بأمر الامام الى ابنه أبي جعفر — وظل هذا وكيلا عن الامام خمسين سنة : ثم انتقلت الى أبي القاسم حسين بن روح بن أبي بحر النوبختي. وبوفاته انتقلت وكالة الامام الى (أبي الحسن علي بن محمد السميري) وعند مامرض هذا مرض الموت سألته الشيعة لمن يجب توجيه الوكالة ؟ فاعطاهم مكتوبا زعم أنه أخذه من الامام المخفي هذه صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . ياعلي بن محمد السميري عظم الله أجر اخوانك فيك ، فانت ميت ، مابيني وبينك ستة أيام — فاجمع امرك ولا تعرض الى أحد فيقوم مقامك . وبعد وفاتك قد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور بعد إلا باذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الامد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الارض

*) تابع لما سبق من الكتاب المترجم عن التركية (راجع ص٣٨٨ م ٢٤)

جوراً . وسيأتي من شيعتى من يدعى المشاهدة ، ومن يدعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »

وبهذا المكتوب يدعى الامامبون أن الغيبة الصغرى قد انتهت ، وان الامام اختفى ، وان الغيبة الكبرى قد ابتدأت

ان هذه العقائد ليست من الاسلامية في شيء ، وهي إرانية بحتة

ان الامام الثاني عشر توفى عام ٢٦٠ في زمان الخليفة العباسي المعتمد وما رآه هؤلاء الاكارم من الاذى حقيقة يحرق الفؤاد ، ان والد حسن جلب بأمر الخليفة المتوكل من المدينة الى (سر من رأى) وحبس هناك وظل في السجن حتى مات. وهكذا عومل حسن ، وحينما حبس الامام حسن خرج ابنه البالغ من العمر خمس سنين ليفتش على أبيه .ثم دخل في مغارة ـ أو سرداب ـ ولم يخرج منها

وظل الامامية يذهبون مدة طويلة يوميا لباب المغارة ينتظرون خروج الامام منها .كما ذكر ابن خلدون

ان الامامية لم يكتفوا بتصديق الاوهام وادخالها بين قواعد الدين ، بل اخترعوا أحاديث مالها اصل وقدموها للعوام كصحيحة تأمينا لمنافعهم وتهويشا لبساطة الدين ، الاحاديث التى تبحث عن فضائل الطعام والتى قيل فيها إن كذا وكذا من طعام أهل الجنة وامثال ذلك من الخرافات جميعها من تلفيقات الاماميين . (١)

ان هذه الاحاديث الموضوعة تجاوزت الحد وأضرت بالمسلمين اضراراً اقتصادية ايضاً . مثلا : ماذا تظن باصل الاستمداد من الاموات ؟ وبجمع الاعانات لهم ؟ رجل كسلان لا يقدر ان يحسن عملا يرى في المنام قبراً لا يعلم احد ما في داخله (٢) فيتخذه ذريعة للمعيشة بدون تعب ، يعلق هناك قنديلا، ويرفع على اطرافه حائطا «٣» ثم يكتب لوحا بأن زيارته تشفي الامراض وتقضي الديون . ثم يضم جملة توافق هواه ويسميها حديثاً . ويكتبها بخط جلي ويعلقها في محل مرتفع . عندئذ يصدقه البله ويهرعون للزيارة وللاعانة ولتقديم النذور؟؟؟؟

---

(١) هذا من تحامل المؤلف فوضاع الاحاديث من غيرهم كثيرون (٢) قد يكون ما فيه حمار أو كلب وقد يكون خاليـا ولذلك وقائع معروفة في بلاد مصر وغيرها (٣) نسي المؤلف بناء القبة فوقه

فهذا الحال اضر بالمسلمين اضراراً عظيمة – اولها مخالفة حكام الدين وثانيها إغراء الناس بالمطل والاحتيال وثالثها تعطيل قسم عظيم من الثروة العمومية ورابعها أنه يسوق الناس للاوهام ويبعدهم عن الجزم بأن (ليس للانسان إلا ماسعى) فالعمدة في الرزق الكسب من طريق الاسباب ، لا ما عطاه الاموات

أما آن الاوان أيها المسلمون لنبذ هذه الخرافات ؟ أليس قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ابلغ من جميع هذه الترّهات ؟

فرقة الكاملية

من الشيعة من غالى وزعم أن كل من لم يبايع علياً رضي الله عنه عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر حتى إن عليا نفسه لم يسلم من اتهامهم منهم الكاملية رجل اسمه أبو كامل كان يقول بالتناسخ وهذه خلاصة تعاليمه : «الامامة نور تنتقل من شخص الى آخر ، ويتجلى هذا النور في شخص بشكل النبوة وفي آخر بشكل الامامة . وفي بعض الاحايين ينقلب نور الامامة الى نور النبوة) هذه اصول خرافاته . يراها الاوربي ويظن بنا الظنون «١»

فرقة البيانية

هؤلاء يقولون بتجسد الله . « سبحانه وتعالى»

رئيسهم رجل اسمه (بيان بن سمعان التميمي) . وهذه خلاصة مذهبه : ان الله بصورة الانسان . ولا أحد يبقى غيره «٢» وان روحه حلّت أول الامر في على ابن أبي طالب . ثم انتقلت الى ابنه محمد بن الحنفية ثم الى أبي هاشم وأخيراً الى بيان بن سمعان . أي اليه نفسه . (بيان) هذا كان يزعم تجدادا له بشخص علي

عجبا من أين اتيت هذه لخرافات الى ديننا الحنيف ؟ أمن من إيران واليونان ومن النصارى لان زعم بيان بنصف ألوهية علي هو عين اعتقاد الايرانيين في (ميترا) والنصارى في عيسى .

(١) هذه الفرقة وامثالها من الغلاة ليسوا من فرق المسلمين وقد انقرض اكثرهم

(٢) وقع غلط في اسم صاحب هذه النحلة ونسبته فهو بيان التميمي بباء فياء لا «بنان» بالنون ومن كما كان في الاصل وهو القائل بالتناسخ . وان الرب رجل من نور يفني فلا يبقى الا وجهه .

فرقة العليائية

أسسها علياء بن ذراع الاسدي. وكان هذا يزعم بأن علياء هو الله . وكان يزعم أن محمدا (ص) بعث من قبل على

فرقة المغيرية

رئيسها المغيرة بن سعيد العجلي . كان يبالغ اكثر من بيان بما يبين شكله تعالى وحدوده . وهذه نظريته : ان الله انسان من نور وعلى رأسه تاج نوراني. وعند ما أراد أن يخلق البشر تكلم باسمه الاعظم . وعند ما بلغه عمل الناس السيء غضب وعرق . وحصل من عرقه بحران أحدهما مالح والآخر حلو . وكان البحر الاول مظلما والثاني نورانيا . ثم نظر للبحر النوراني فرأي ظله. فأخذ منه شيئاً وخلق الشمس والقمر «٢». ثم قال لايجوز أن يشاركني في الالوهية أحد، واعدم باقي الظل . ثم خلق المؤمنين من البحر الحلو والكافرين من البحر المالح . اه

لا أشك في أن دماغ الانسان يجمد عند ما يتصور ان اوربيا يقرأ هذه الترهات باسم طائفة اسلامية . وأظن أن القرد يفكر احسن من ذلك .

وهذه النظرية أيضا إيرانية لان الايرانيين كانوا يعتقدون مثل ذلك . وهو وصف الله بما كان يصف الفرس (هرمز) معبودهم ولقد وصف البحار. انما كان الفرس يسمونه (آهريمان)

كان الايرانيون يعتقدون بأن خالق كل شيء هو (هرمز) ثم قال هرمز لزردشت بلغ الناس أن كل شيء يلمع على وجه الارض هو مقتبس من نوري. ولا يوجد في الكون ابهى من ذلك النور . خلقت الجنة والملائكة وكل شيء حسن من هذا النور . وخلقت جهنم وجميع الشرور من بحر الظلمة. فيظهر أن المغيرة أراد أن يقلد (هرمز) ولكنه لم يحسن التقليد أيضا .

فرقة المنصورية

مؤسسها أبو منصور العجلي . ظهر هذا في زمان عبد الملك الاموى . وادعى الامامة . فاجتمع حوله خلق كثير . وشغل الامة وقتا بما لا يفيد .

(١) لا ذكر شيئا عن هذه الفرقة (٢) وفي كتاب الفرق بين الفرق أن ظله طار فانتزع منه عينيه وخلق منهما الشمس والقمر وافني باقيه —

وهذه نحلته قال: صعدت الى السماء ورأيت الله ووضع يده على رأسي وقال لي انزل الى الارض وبلغ الناس أوامري

وهذه خرافة مأخوذة من الكلدانية والمصرية ولكنها صيغت بصبغة اسلامية . ياللاسف

فرقة الجناحية

رئيسها عبد الله بن معاوية . زعم أن روح الله انتقلت الى الانبياء ثم الى الائمة ثم حلل جميع المحرمات وقسم نظريته الاول مأخوذ من عقيدة قدماء المصريين بالتناسخ وقسم نظريته الثاني أخذه من نظرية (مزدك) الايراني

فرقة الخطابية

أسسها أبو الخطاب محمد بن زينب الاسدي. هذا كان يقول بنبوة الائمة وبالوهيتهم . وكان يدعى بأنه أفضل من على نفسه .

فرقة الهشامية

مؤسسها هشام بن سالم الجواليقي . ونظرية هذه الفرقة : لله جسد طوله وعرضه وعمقه متساوية، وهو سبعة اشبار. يشبه الاجسام وجامع للاوصاف الحسية ، وهو جالس على العرش بالتماس . لايعرف الاشياء إلا بعد ظهورها وقبل ظهورها لايعرف عنها شيئا) .اهذه نظرية هشام بن الحكم . وأما نظرية هشام بن سالم فهي :

«زعمه» أن الله بصورة الانسان وله يد ورجل وانف واذن وعين وفم. ونصفه الاعلى مجوف . ولكنه ليس لحما ودما .

إن هذه النظريات التى تضحك القرود كانت قصدية لاشغال المسلمين عن الاشياء النافعة ولقد نالوا مايبغون وا أسفاه !!!

فرقة اليونسية

مؤسسها يونس بن عبد الرحمن القمي زعم أن الله جالس على العرش والملائكة تجره من مكان الى آخر . ثم يقول : مع أن الملائكة تجر عرش الله فهو اقوى منهم كلهم .

فرقة المفوضة

يزعم هؤلاء أن الله بعد أن خلق محمداً (ص) فوض اليه خلق كل شيء. فالخلاق هو محمد. وبعضهم ينسب خلقه العالم الى علي

ان هذا ليس من الاسلام بشيء. بل هو نصرانية بثوب اسلامي.

فرقة المشبهة

اشهر اركان هذه الفرقة احمد الهيجمي. زعم هذا بأن الله جسم. يلامس ويصافح وحتى يعانق من يريد من أهل الدنيا.

ومنهم عبد الله بن محمد بن كرام أسس شعبة لهذه الفرقة وسماها (المشبهة الكرامية). وقال ان العرش هو قطر الالوهية. ؟

أرأيت أيها القاريء المحترم ماذا كان يشتغل اجدادنا ؟ اتظن أن هناك سبب اقوى مما ذكر أدى لتأخرنا وضعفنا؟ أنظن أن هناك سبب لتشوش افكارنا وتردد اعمالنا غير هذه النظريات المخلة المختلة

لاتقل أيها القاريء اللبيب هذا شيء مضى. وهو من بقايا القرون القديمة ان آثاره لحد اليوم حاكمة علينا. لماذا يقتل الاتراك والزيديين في اليمن ؟ لماذا اتفق الادريسي مع النصارى ؟ لماذا يقتل الاتراك الدروز ؟ لماذا يشتغل المسلمون حتى اليوم في ترهات كهذه والاوربي يشتغل بالبخار والحديد ؟ كل هذا لان الاسلامية أضاعت شيئاً مهما من نبالتها الاصلية واصبحت اعجوبة ممزوجة بالخرافات. والامر من كل هذا أن العوام اصبحوا خاضعين للخرافات اكثر من الحقائق. وكل من حاول ارجاع المسلمين الى دينهم الصافي يحكم عليه بضعف الاعتقاد !! وهؤلاء المساكين لا يدرون انهم يدينون بخرافات اليونان وإيران.

ثم ان لمبشري النصارى تأثيرا عظيما في اكمال ماغاب عن ذهن مؤسس الفرق المبحوث عنها. نعم اولئك كانوا يبتدعون بدعات جديدة وهؤلاء يأتون من طريق منحن أهم مايرمون اليه التشكيك باسم الدين. وأغرب أمرهم انهم فيما يريدون اقناع الذى يجدونه ساذجا باسم امايتكلمون على الاديان كلها ويجرحون قواعد الاسلامية والنصرانية معا ليحسن السامع الظن بهم وينالون مأربهم

المسألة العربية في طور جديد

دخلت المسألة العربية في طور جديد بخروج حكومة نجد من عزلتها وتعرفها الى العالم الاسلامي والشعوب العربية ، ومد يدها القوية الى مساعدة البلاد العربية على الاستقلال المطلق الذي عبثت به خيانة امراء الحجاز ، والالقاء بدلوها بين دلاء الشعوب الاسلامية في مسألة الخلافة ، وقد صدر بذلك أول بلاغ عام من عاصمة نجد بامضاء نجل سلطانها ارسل الى اشهر الصحف في العالم الاسلامي في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٢ وهذا نصه :

للحقيقة وللتاريخ

بعد العنوان

نرجو من جنابكم ان تفتحوا صدر جريدتكم للكلمة التالية خدمة للتاريخ

نشرت جريدة المقطم بتاريخ ٢١ جمادى الثانية ١٣٤٢ - ٢٧ يناير ١٩٢٤ مقالا بعنوان حديث (ملك الحجاز) وقد اطلعنا في بعض الجرائد السورية والعراقية على احاديث وتصريحات تكاد تتفق مع هذا الحديث . ان هذه الاحاديث قد تضمنت أشياء عن سلطان نجد وموقفه في القضية العربية والاتحاد العربي تخالف الحقيقة والتاريخ وانا لنأسف ان يتجرأ المسؤلون على الاختلاق على الاحياء

لقد سعى سلطان نجد في الحرب العالمية وبعد الحرب العالمية لبناء الوحدة العربية فأرسل الكتب العديدة والرسل لابن الرشيد وملك الحجاز وأمير عسير والكويت ولكن ملك الحجاز من بين أمراء العرب قابل الدعوة بالاستهزاء بل سعى لنقض بنيانها بما كان يسعره من نيران الفتن والدسائس في عسير وغيرها وكتبه المرسلة منه الى آل عائض والرشيد محفوظة لدينا . وماذا يقولون في الكتب التي أرسلها سلطان نجد مع مساعد بن سويلم الى ملك الحجاز وأولاده ؟ تلك الكتب نشرت في الصحف في حينها والتي نشرت جريدة المقطم لا تبطن تلك الكتب بما تنطوي عليه جوانح سلطان نجد وميله الشريف الى التصافح مع جيرانه والاتحاد معهم . هل علموا أن ملك الحجاز لم يسمح لاولاده باجابة سلطان نجد

وهو (أي ملك الحجاز) قد تخطى حدود اللياقة بان جعل جوابه لا لكل السعود كافة لا للجالس على عرش نجد . هل هذه الاعمال مما تقرب زمن الاتحاد العربي؟ وهل بمثل هذه السياسة تجتذب قلوب أمراء العرب ؟

يصرح ملك الحجاز أنه خاطب سلطان نجد بانه مستعد للتنازل عن عرشه وتسليم زمام الامر لمن يستطيع ان يقود العرب الى طريق النجاة والسلامة ، وهذا أمر لا أساس له بالمرة بل الواقع يخالفه تمام المخالفة . نعم إن ملك الحجاز قد صرح أمام بعض الجماهير بمثل هذه التصريحات للتمويه على البسطاء . إن ملك الحجاز يحاول أن يتولى الزعامة غير المقيدة في جزيرة العرب كلها ، ليستذل أمراء العرب ويقتطع بلادهم ويتدخل في شؤونهم الداخلية ، وهذا ما لا يمكن أن يوافقه عليه أحد ، وان مكاتبات ملك الحجاز الى أهل القصيم وحثهم على نقض ولائهم لسلطانهم لدليل بين على ما يخفيه وينويه لسلطان نجد وبلاده .

أن تحت يدنا من الكتب والرسائل التي وجدت في تربة وخرمة وعسير ما يفيد أن ملك الحجاز وولده عبد الله لا يسعون الا لشهواتهم ومصالحهم ولو أدى ذلك الى هدم بناء العرب ولكننا نمسك عن نشرها الآن فان سمح لنا ملك الحجاز بنشرها نشرناها . وهنالك يعلم العالم الاسلامي والعربي تلك الجنايات والدسائس التي يقوم بها أولئك القوم الذين اتخذوا الصياح وقلب الحقائق ديدنا لهم ، وسيعلمون أي الفريقين يجني على أمته العربية ووحدتها ، وأيهم سبب هذا الانقسام وألقى النفرة بين الامراء وأشعل نيران الفتن والحروب بينهم ، نعم سيعلمون أن سلطان نجد لم يكن في جميع مواقفه الا مدافعا عن نفسه وبلاده وشرفه ، وأنه كان ولا يزال راغبا من صميم فؤاده في انشاء الوحدة العربية على أساس يجعل للعرب قوة ومكانة تليق بتاريخهم المجيد »

٢٠ رجب ١٣٤٢   (فيصل بن عبد العزيز بن سعود)

(المنار) نشر هذا البلاغ في جرائد مصر وسورية وسائر الاقطار العربية والاعجمية ولم ننشره في الوقت الذي نشرته فيه اكتفاء بها وكان له تأثير حسن وعلقت عليه الجرائد الحرة تعليقا مقرونا بالتفاؤل والرجاء في دخول قوة نجد في السياسة العربية

العامة . وانا ننشر هنا تعليق جريدة (اتحاد الاسلام) التي تصدر في طهران عاصمة الدولة الايرانية لقلة اطلاع الناس عليها فانها صحيفة جديدة تنطق بلسان محبي الجامعة الاسلامية ، وهذا نص تعليقها على البلاغ عقب نشرها له

رأي لمسلمي إيران في ثالوث الحجاز وصاحب نجد

هذا المكتوب يعرب عن دسائس ملك الحجاز لامراء العرب وسعيه بتفريق الكلمة العربية ، وما هي بأول قارورة كسرت في الاسلام ، ولا تلك بأول جناية هذا الانسان الشرير على أمته، فان كل مايعرفه المسلمون عن ملك الحجاز دسائس وحيل وجنايات يقفو بعضها بعضا

بنى عرشا موهوما لملكيته وانما أقام بنيانه على أساس الخداع والنفاق وشق عصا الطاعة حتى اسال الى جوانبه أنهارا من دماء المسلمين الذين كانوا مرابطين في الثغور لحفظ الحرمين من عادية اعداء الاسلام . ولم يزل يدس هو وأولاده الدسائس للمسلمين ، لا يرعون في مؤمن إلاّ ولا ذمة. كل ذلك في منفعة الانكليز وغاية ما يقنعهم من دنياهم وآخرتهم أن يقال لاحدهم ملك الحجاز وآخر ملك العراق والثالث ملك الاردن ، وان لم يكن لهذه الالفاظ معنى ولا مصداق ، اذ لا حكم ولا أمر ولا نهي ولا حول لهم ولا قوة وليس لاحدهم من السلطان مقدار ما لاحد صغار مأموري الانكليز الذين يسعى ملك الحجاز وأولاده في تثبيت سلطانهم على المسلمين ، وإحكام طوق العبودية لهم في رقاب المؤمنين

كل ذلك ليقال لاحدهم ملك وهذه اللفظة اصبحت في البلاد التي يوجد فيها هؤلاء الاشرار مرادفة للفظ خادم الانكليز

ويكفي من دسائس الانكليز ما عمله فيصل ابن ملك الحجاز (!!) في العراق فانه بايع رئيس العراقيين آية الله الخالصي على ان يسعى في سبيل استقلال العراق وقطع نفوذ الانكليز فاذا لم يستطع مضى من حيث أتى ، وبايعه العراقيون على ذلك وما تمت له البيعة حتى نكثها وأخذ يسعى لهدم استقلال العراق وتثبيت نفوذ الانكليز فيه بنفي العراقيين وحبسهم وقتلهم بأيدي الانكليز ، حتى انه مد يد العدوان الى آية الله الخالصي نفسه ونفاه من العراق الى الحجاز ولولا جميل

مساعي الدولة الايرانية لبقي فيه منفيا الى الآن ، ولكنها اتخذت جميع الوسائل لمجيئه الى ايران وهو فيها الآن لا يسمح له بالرجوع الى العراق . لماذا ؟ لانه يطالب باستقلال العراق ، وفيصل يسعى ضده ، وكفى من دسائسه ان الانكليز يسعون لقتل المسلمين ونهب أموالهم وهتك أعراضهم بيد الاشوريين وفيصل ساعدهم القوي في ذلك تثبيتا للمعاهدة العراقية الانكليزية . وهذه حادثة كركوك الاخيرة تذيب قلب كل مسلم يسمع ان الاشوريين الذين امدهم الانكليز بالسلاح خربوا المدينة بقتل رجالها ونهب أموالها حتى انهم كانوا يهجمون على الحمامات فيبقرون بطون نساء المسلمات فيها . وما كان من فيصل الا أنه عاون الاشوريين لما هاجت القبائل لرد عاديتهم ارضاء لساداته الانكليز

يشكو آل السعود من دسائس ملك الحجاز في العسير ونحن نعلم من جناياتهم أكثر من ذلك والمسلمون قاطبة يعلمون ان ألد أعدائهم ابو جهل القرن الرابع عشر وأولاده ، ولكن هذه حقيقة يجب ان يعلمها آل السعود وكل مسلم وهي ان ملك الحجاز وأولاده آلة صماء بيد الانكليز ، وكل ما رآه العالم العربي والاسلامي من دسائسهم ما كان الا أمراً وتدبيرا من الانكليز أجروه على أيدي هؤلاء الاجلاف ، فاذا أراد آل السعود التخلص من تلك الدسائس فعليهم أن ينضموا الى غير الانكليز ليستطيعوا تشكيل وحدة عربية وإنهاض المسلمين في جزيرة العرب

وربما يجيب آل السعود بأنهم يتقاضون من الانكليز في كل سنة ستين ألف ليرة ولا يمكنهم صرف النظر عنها فحينئذ نقول لهم إن هذا المبلغ يعطى لابادة العرب وهو ثمن بخس ازاء تلك البضاعة الثمينة ، ولا يخدعنّ آل السعود بذلك فان الانكليز يجرون على أساس التفريق في سياستهم فاذا أعطوا شيئا من المال الى آل السعود فما ذلك الا تغرير وخداع يتظاهرون بسببه بصداقتهم لهم ومن جهة أخرى يغرون بهم مسيلمة الحجاز وأولاده ، وهكذا يصنعون في جميع العالم يمدون كل متخاصمين ليطول الخصام ويدوم الدمار حتى يفنى الفريقان . هذه

مدنية الانكليز فلماذا ينخدع لها ملوك الشرق؟ (١)

إن ملك الحجاز وأولاده قد تمحضوا لعبودية الانكليز فلا يتوقعن ملوك نجد اصلاحهم اذ قد استحوذ عليهم الشيطان (الانكليز) فأنساهم ذكر الله . وان المسلمين في شرق الارض وغربها قد علموا خياناتهم فلا تؤثر تصريحاتهم على المسلمين الا زيادة نفرة وسوء ظن فلا يهتم بتصريحات أولئك الدجالين ملوك نجد

ولكن اذا أراد آل السعود قيادة العرب فعليهم ان يناطوا الانكليز ويتخذوا سياسة العطف والحنان تجاه العرب كافة ويحذروا كل الحذر من التعصب الديني تجاه طوائف المسلمين فان ذلك أقوى باعث على ابتعاد المسلمين عن ملوك نجد .

وجه ملك نجد حملة الى العراق سنة ١٣٤٠ هجرية بقيادة فيصل الدويش (٢) ولو انه كان استعمل العطف والحنان وترك لجميع طوائف المسلمين حريتهم الدينية لما عاقه عائق عن الاستيلاء على العراق ولاعانه على ذلك شدة نفرة العراقيين من الانكليز وخادمهم فيصل ابن ملك الحجاز، ولكن فيصل الدويش استعمل من القوة والشدة ازاء قبيلة البدور على ضفاف الفرات ما أجبر العراقيين كافة على المقاومة التي تمت بنفع الانكليز وفيصل وضرر عامة المسلمين . فعلى آل السعود ان يبدلوا تلك السياسة بسياسية اللبنى (كذا ولعلها اللين) والعطف التي كانت شعار أئمة المسلمين، ونحن نؤكد لهم انهم يستطيعون ان يتوددوا العرب كافة فانهم نافرون من سياسة ملك الحجاز وخداعه .

بقيت لنا كلمة نوجهها الى بعض البلاد العربية التي نسمع عن بعض أهلها انهم بايعوا مسيلمة الحجاز بالخلافة ، ونحن نعلم ان بعض السور بين اشدة حنقهم على

---

(١) المنار . ان سلطان نجد قد رفض الاعانة التى كان يقدمها الانكليز له ثمنا لترك العراق وشأنه وذلك من خريف السنة الماضية ١٩٢٣ فليقر اخواننا الغيورون فى ايران وغيرها عينا ولولا ذلك لما تصدوا الآن لتدمير عرش حسين الصوري

(٢) كان سبب تلك الحملة دسائس الحجازيين وعدوانهم كما علم بعد ونشر في الجرائد

الفرنساويين يريدون الانتقام منهم لبيعة خادم الانكليز ولكن ذلك لا يبرر هذه البيعة التعسة فان عداوة الفرنساويين لا توجب ان يقدم المسلمون على اهانة مقدساتهم ومحو دياناتهم ببيعة ضليل خان المسلمين وجني على العرب جنايات سياسية ولم يكفه ذلك حتى أقدم على جنايات دينية باسم الخلافة ، فكأنه آلى على نفسه ان لا يبقي للمسلمين دينا ولا وطنا الا امتلك الانكليز زمامه . أيرى السوريون أن عملهم هذا كان انتقاما من الفرنساويين ؟ كلا ! فانه انتقام من المسلمين قبل الفرنساويين .

صح الله عقول الشبيبة السورية وبصرها بواجبها الديني والوطني .

(انتهى من عدد اتحاد الاسلام الرابع الذي صدر في طهران في ذي القعدة سنة ١٣٤٣)

بلاغ آخر من عاصمة نجد

الى العالم الاسلامي والشعب العربي

(ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)

منذ بضع سنين قام نفر من إخواننا يطالبون باستقلال العرب وينادون بوجوب اتحاد امراء العرب فشكرنا سعيهم، وحمدنا عملهم، وسألنا الله أن يحسن قصدهم ويرشدهم الى خير العرب . عرضنا عليهم مساعدتنا على أن نضع حداً لمطامع الاجانب ومقدار مداخلتهم في بلاد العرب فأبوا الا أن ينفردوا بهذا العمل الخطير ويأخذوا على عاتقهم مسئوليته ويحوزوا هم وحدهم فخر تحرير بلاد العرب، فقلنا انجح الله استقلال العرب أياً كان المحرر والمنقذ، ولكن ما كاد السيف يوضع في غمده حتى رأينا الاستقلال والتحرير وصاية وانتدابا، وحتى رأينا شباب العرب واحرارهم يقادون الى السجون ويجلون عن بلادهم ويمنعون من الاقامة في ديارهم. فهل الاستقلال ان يصبح العرب غرباء في بلادهم ومرافق الحياة في يد غيرهم ؟ ولولا ان الحجاز يمس شعور المسلمين احتلاله لرأينا الانتداب قد ضرب عليه .

ظننا ان القوم بعد هذه الكوارث يفيقون من نومهم، ويثوبون الى رشدهم، فيعتصمون بحبل الله المتين ويستعينون باخوانهم لانقاذ البلاد العربية وتحريرها من كل مغتصب، ولكن القوم مازالوا في طغيانهم يعمهون، ماحرك شعورهم احتلال بلاد العرب، وما آلم نفوسهم مايعانيه اخوانهم العرب، ولكن استولى عليهم الهلع وفقدوا الراحة حينما رأوا جارتهم نجد قوية مستقلة لم تنفذ اليها مطامع المستعمرين، فقاموا يناوئونها، ويكدرون صفو راحتها، فهل هذا هو التحرير؟ وهل تعد هذه الاعمال من وسائل الاستقلال؟

أيها الشعب العربي الكريم

ان نجداً قد حافظت على استقلالها في جاهليتها واسلامها، ولم يدنس ارضها قدم اجنبي مغتصب، وستبقى محافظة على حقها ان شاء الله ما بقي في شعبها عرق ينبض

ان نجداً تمد يدها لكل من يريد خير العرب ويسعى لاستقلال العرب وتساعد كل من ينهض لتحرير العرب واتحاد العرب

ان نجداً ترحب بكل عربي ابي، وتعد ارضها وطنا لكل عربي سوري أو عراقي او حجازي او مصري. ان نجد لاتطمع في امتلاك ارض خارجة عن حدودها الطبيعية، ولكنها لاتقبل الا ان تستقل بلاد العرب كلها استقلالا صحيحا لايكون لغير ابنائها سلطان عليها

الخلافة

ليست الخلافة من الوظائف الروحية التي يقصد بها مجرد التبرك ولكنها وظيفة سامية لجميع المسلمين حق النظر فيها فليس لجماعة او شعب حق البت فيها بدون أخذ رأي باقي الشعوب الاخرى، ولذلك انكرنا على الحسين بن علي عجلته والحط من شأنها بقبوله هذا المنصب الذي لا يليق له، والذي حق البت فيه راجع الى جميع الشعوب الاسلامية.

ان أهل نجد يوافقون اخوانهم أهل مصر والهند في وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الاسلامية تمثيلا صحيحا، وهنالك يسند هذا المنصب الى الكفء الذي يستطيع ان يصون حقوق المسلمين ويبعث فيهم روح

الحياة والنشاط ويربطهم برباط الاخوة الذي كاد ينحل . وهنا لا يسعني الا ان أشكر اخواننا مسلمي الهند الحاملين علم الجهاد لاستقلال جزيرة العرب وحفظ الخلافة من عبث العابثين (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة)

فيصل بن عبد العزيز السعود

الرياض ٢٨ شوال سنة ١٣٤٢

مؤتمر الشورى

(بشأن الحجاز في عاصمة نجد)

﴿ورد في كتاب من الرياض الى البحرين وارسل منها الى جريدة الاخبار بمصر﴾

في أول شهر القعدة سنة ١٣٤٢ اجتمع في قصر الامام عبد الرحمن والد سلطان نجد جمع من العلماء والاعيان ورؤساء الاجناد، فمن العلماء الشيخ سعد بن عتيق والشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف والشيخ صالح بن عبد العزيز والشيخ عبد الله بن حسن. ومن رؤساء الاجناد والامراء سلطان بن بجاد بن حميد زعيم برقا من عتيبه وأمير هجرة غطغط (١) وعبد الرحمن بن ربيعان أمير هجرة لداهنة (٢) ورئيس الروقة من عتيبة وفيصل الدويش أمير الارطاوية ورئيس مطير وحزام بن هزاع بن عمر وفيصل بن حشر ومعيطي بن عبود وهذال بن سعيدان رؤساء قبائل قحطان وحجاب بن نهيت وهندى الذويبي وعبد المحسن العزم وعبد العزيز بن مضيان رؤساء حرب وقد حضر الاجتماع غيرهم ممن لم نقف على أسمائهم

افتتح الاجتماع الامام عبد الرحمن موجها كلامه الى العلماء والاخوان فقال:

---

(١) المنار : ان الذين يتدينون من الاعراب بدعوة النجديين يلقنون شرائع الاسلام أولا ثم يحملون على تعلم القراءة والكتابة وعلى ترك البداوة بالهجرة من البادية الى المدن والقرى عملا بسنة صدر الاسلام ويسمون كل قبيلة أو جماعة وحيث يقيم هجره وقد يكون كله أم بعضه من بنائها «٢» لعلها محرفة عن الدهناء

لقد جاءتني كتب عديدة من الاخوان يطلبون الغزو والحج وهذه الكتب قد أرسلتها في حينها الى ولدنا عبد العزيز حفظه الله وها هو اليوم أمامكم فاسألوه عن كل ما يبدو لكم

السلطان عبد العزيز. ان جميع ما كتبتموه قد وصل الي، وان شكاياتكم كلها من تعدي بعض المعتدين قد أحطت بها علما، واني لم أحل دون غرضكم من الغزو الا حقنا لدمائكم ودماء الامة العربية العزيزة، على ان كل شيء له نهاية والصبر له حد لا يتجاوزه، والامور مرهونة بأوقاتها، والفرص لا تهيأ في كل وقت

سلطان بن بجاد: أيها الامام، إننا نريد الحج لا محالة ولا نستطيع ان نصبر على ترك ركن من أركان الاسلام مع قدرتنا عليه. إن مكة ليست ملكا لاحد ولا يحق لاحد ان يمنع مسلما أو يصد مؤمنا عن أداء فريضة الحج. إننا نريد أن نحج، فان منعنا شريف مكة دخلنا مكة بالقوة وان لم يصدنا عن سبيل الله أو يلحق بنا أذى فنحن نحج ولا شأن لنا به، واذا كنتم ترون من المصلحة تأخير فريضة الحج فلا بد من غزو الحجاز وتخليص البيت من سيطرة طاغية مكة الذي أرهق العباد وضرب من المكوس والرسوم على قاصدي بيته ما تبرأ منه الشريعة الطاهرة.

السلطان عبد العزيز: إن مسألة الحج هي من أهم المسائل التي يرجع الفصل فيها الى علمائنا حفظهم الله وها هم حاضرون فليتكلموا ونحن نتبع خطاهم

الشيخ سعد بن عتيق: إن الحج من أركان الاسلام ومسلمو نجد والحمد لله يستطيعون ان يؤدوا هذا الركن على الوجه الاتم بالرضا أو القوة ولكن من لاصول الشرعية النظر الى المصالح أو المفاسد فالامر الذي قد يؤدى الى ضرر أو مفسدة يدفع فهل هنالك من مفسدة أو مضرة قد تنتج من الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب الى بيت الله؟ ذلك ما نريد ان نقف عليه من الواقفين على السياسة

السلطان عبد العزيز: أيها العلماء والاخوان لقد سعيت من مدة طويلة في بسط السلام والامان داخل الجزيرة فنحن لا نود ان نحارب من يسالمنا ولا نمتنع عن مصافاة من يصافينا. لقد أحببت ان نعيش مع أشراف الحجاز كما يعيش

الجيران الى المودة والمحبة ولكن شريف مكة كما تعلمون يسعى دائما لبث الدسائس والقاء بذور الخلاف بين عشائرنا، ولكنه كان دائما يبوء بالخسران، والله لا يترك الحق يصرعه الباطل. ان شريف مكة قد ورث من أسلافه بغضكم فهو لا يفتأ يطعن في طريقكم السوي وسيرتكم المحمدية، ولا يألو جهدا في الافتراء علينا والطعن على علمائنا ولكن أهل الحق لا يضرهم من ناوأهم، ولينصرنهم الله ما نصروا دينه، وظاهروا شريعته

ان شريف مكة لم يكفه ادعاؤه الزعامة على العرب مع أنه أضعفهم بل قام يلقب نفسه بامارة المؤمنين مع انه يعلم ان الاقطار الاسلامية كلها تبغضه، وان علماءكم قد أرسلوا التلغرافات الى مصر والهند ينكرون عليه هذه الدعوى التي لا نراه كفؤاً لها، ولا بد من وضع حد لاكاذيبه وافساداته

أما الحج هذه السنة فلا أراه من مصلحتكم. أنا لا أقبل ان تحجوا وبكم شيء من الضعف أو يلحق بكم نوع من الاذى والضرر واني على يقين ان أخذ مكة والمدينة لا يحتاج الى أكبر مجهود ولكن مكة ليست لنا وحدنا بل هي للمسلمين كافة، ومادمنا لم نضع خطة بالاشتراك مع المسلمين فانا لا أجيز لكم الاستيلاء على احدى المدن المقدسة

أن شريف مكة قد لا يمنعكم من الدخول الى مكة ولكن الرجل لا يعدم وسائل الشر فقد يدس من يتحرش بكم لتحدث فتنة في مكة في موسم الحج وفيه المسلمون من كل جنس واني أكاد أجزم ان هذه خير فرصة له ليهيج علينا العالم الاسلامي الذي أخذ يفهمنا ويقترب منا ونقترب منه، واعلموا ان الامر لا يطول فاصبروا ان الله مع الصابرين

عندئذ قال العلماء بصوت واحد انه لا حرج عليكم من تأخير الفريضة هذا العام، ما دام ان اداءها قد يؤدي الى فتنة في بلد الله الحرام

فيصل الدويش: لقد وردت الي كتب كثيرة من عشائر مطير الفارة في العراق تطلب العفو والامان لترجع الى أماكنها

أحد العلماء: أن هؤلاء الاشقياء قد خرجوا علي ولي أمرهم وعاثوا في

الارض فساداً، ولكن بما أنهم قد ندموا على فعلتهم ، وثابوا الى رشدهم ، فالعفو خير وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ولكن أرى ان الواجب يقضي بأنهم يردون ما نهبوا وما سلبوا الى أهله

رؤساء عتيبة : اذا كان الحجاز معاديا لنا ولا يبتغي الا الإلحاق الاذى بنا فلم لا تبيحوا لنا غزو عشائره التي لا تزال خاضعة

سلطان نجد والعلماء : ان هذه أشهر حرم اتركوا الغزو فيها حتى تمضي فاذا مضت فلا بد من النظر الى ما فيه المصلحة

ثم انفض الاجتماع وسافر كل زعيم الى هجرته ليخبر قومه بما وقع من البحث وما حدث من النتائج في المفاوضة اهـ

﴿ تاثير صوت نجد في العالم الاسلامي ولا سيما الهند ﴾

لقد كان الخطابان اللذان وجههما نجل سلطان نجد الى العرب والعالم الاسلامي كالرياح التي تهب قبل المطر بشرى بين يدي رحمة الرب الرحيم، ثم كان قرار مؤتمر الشورى — هذا — كالسحاب الثقال ذات الرعد والبرق ، فما عتم الغيث ان انبعق ، والغوث ان انسق

سر أهل الرأي والبصيرة من الشعب العربي وسائر الشعوب الاسلامية بهذا الطور الجديد لانقاذ جزيرة العرب ومشاعر الاسلام من طاغوت الحجاز واوليائه الاجانب، وقد رجعنا صدى جريدة اتحاد الاسلام الايرانية لصوت نجد الاول، فألق السمع اصدى صوت جمعية الخلافة في الهند الاول والآخر :

﴿ كتاب جمعية الخلافة الى سلطان نجد ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وبعد ان مسلمي الهند ، امراءهم وعلماءهم وتجارهم وجميع طبقاتهم قد راقبوا عن كثب مجرى أموركم وأقوالكم الصادرة من فؤادكم فتحقق لديهم ان في قلب

شبه جزيرة العرب ملة اسلامية، وشهامة قحطانية، ونهضة عربية، ولاسيما عندما انضممتم الى الوحدة العربية، وجاهرتم بحمايتها، وانكم ساعون لنصرتها

وكذلك أبت غيرتكم الاسلامية، وصفاتكم العبقرية، ان تروا الجامعة الاسلامية لافيادة لها وتجنحو للسكون! فتقدمتم الى العالم الاسلامي معلنين ومصرحين أنكم مع العلماء لتأييد الشرع منضمون، وفي المؤتمر الاسلامي العتيد داخلون ولحماية الخلافة مع ملوك الاسلام وامرائهم وقوادهم مدافعون ؟

فلا يسع علماء الهند الا أن يرفعوا أيديهم الى قبلة الدعاء في السماء داعين المولى عز وجل ان يكلل أعمالكم بالنجاح، ويلهم بكم الاسلام والعرب سبل الفلاح، انه مجيب الدعاء

كيف لا وقد زاد فرح وحبور مسلمي الهند عند ما تحققوا اخلاصكم وبطولاتكم لاحياء الجامعتين العربية والاسلامية . وها ان مسلمي الهند يعلقون الآمال الطوال على غيرتكم وفطنتكم في تشييد بناء الاتحاد العربي لتستطيعوا ان تقفوا بوجه كل أجنبي يقصد شبه جزيرتكم

أمدكم الله بنصره، وحرسكم بعنايته، وجعلكم الله مصباحا لانقاذ اخوانكم العرب من الذل والعار، اللذين دهماهم وخيما على بلادهم بجهل الحسين بن علي وأولاده ضروب السياسة (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * واملي لهم ان كيدي متين)

قرأنا خطابكم في صحيفة الاخبار الغراء الصادرة في ٦ محرم سنة ٣٤٣ الذي ألقيتموه في غرة ذي القعدة في مؤتمر رياض عاصمتكم فالفينا خطابكم مملوءأ حكمة وأخلاقا وسياسة . قل ان توجد هذه المقدرة بامثالكم

ولقد طلب القواد منكم ان تغزوا مكة وتستخلصوها من الحسين، فابيتم ان تحتلوا بلدا مقدسا قبل الاتفاق على احتلاله مع جميع المسلمين، واعتبرتم ان البلاد المقدسة للمسلمين عامة ولاتجرون عملا قبل مشاورتهم في الامر، فهذا برهان صادق على اتباعكم سبيل الشريعة السمحة، بنفس مرضية، ودمقراطية اسلامية

والهند ترى التريث ضروريا ريثما يرد الحسين على الجواب الذي ارسلته

اليه قبل تاريخه بعشرة أيام،فاذا انقاد للانضمام الى الحلف العربي ووقع معكم ومع جيرانه محالفات دفاعية هجومية ضد كل عدو أجنبي، فلاحاجة لسفك الدماء ولا ضرورة تسيغ احتلال بلاده . كما قال الله تعالى (وكفى الله المؤمنين القتال)

وعسى الله ان يهديه الى الطريق القويم بعد ان خانه حلفاؤه، وتسلط على الممالك العربية أهل وداده . انا لله وانا اليه راجعون

واذا رفض الحسين اقتراحاتنا جميعها فنرى مهاجمته واحتلال بلاده لازمين كي يستطاع ان توحد كلمة العرب في شبه جزيرتهم ويكون الحلف العربي متينا وشوكة الجامعة الاسلامية قوية . هذا (أي الهجوم عليه) لا نجيزه حتى يصلنا الجواب منه . أو يذهب خمسة عشر يوما عن ميعاد ورود الجواب . لان الحق قال في كتابه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)

ومسلمو الهند يسرهم ان تنظم حكومة نجد ادارتها وداخليتها وترسل سفراءها الى جميع الدول وتعرض عليهم استقلالها فيعترفون لها به وتنتظم مع التوازن الدولي الجديد وتوقع المحالفات الحبية الدفاعية معهم

ولقد استبشر مسلموا الهند بالنجاح عند ما فتح سلطان نجد أبواب بلاده الى أحرار سورية والعراق وفلسطين ولا جرم ان هؤلاء واقفون على سبيل الحضارة والتمدن الحديث وأفكارهم ثاقبة فسوف تستفيد الامة النجدية الفتاة منهم فوائد كبيرة تكون ان شاء الله سببا لرفاهية مجدها ورفع شأنها الى صفوف الدول الحية

وان مسلمي الهند يقترحون على دولتكم ان تجلبوا للرياض معامل للاسلحة من بلاد الغرب، وان ترسلوا بعثات علمية من الطلبة النجديين الى بلاد الغرب يتعلمون كيف تصنع المخترعات الحديثة والآلات الحربية والمواد الكيماوية. ويأمل مسلمو الهند ان يوقع سلطان نجد محالفات حربية دفاعية هجومية مع الامام يحيى والادريسي وباقي أمراء الجزيرة وان يعرض علينا شروط الاتفاقيات لتطمئن قلوبنا، ويهدأ روعنا على آخر قوات عربية اسلامية مستقلة مسلحة بقيت لحماية العرب، والانضمام مع الاتراك والافغان وايران وباقي ملوك وأمراء الاسلام المسلحين لحماية الاسلام. وفق الله العاملين. وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

﴿ مبايعة الحجاز لحسين بالخلافة ﴾

كان هذا الفصل وما بعده من أخبار خلافة حسين المكي التي حققنا انها «وضعت سقطا لم يستهل، ومضغة لم تكتمل» قد جمعت منذ ثلاثة اشهر وضاق عنها الجزء الماضي وجمع معها مواد اخرى في موضوعها ولكن تاخر هذا الجزء وسبقته الحوادث فاخرنا تاريخه حتى ظهرت طلائع انقاذ الحجاز والعرب من هذا الطاغوت الذي سمى نفسه « المنقذ » بسيف الحق الذي سله الله في نجد فوجب أن نختصر ما كنا جمعناه ونكتفي منه بالوثائق التاريخية للاعتبار بها دون استقصاء فنقول

صدر العدد ٧٦٩ من جريدة القبلة المؤرخ في ٣٠ رجب سنة ١٣٤٢ (٦ مارس سنة ١٩٢٤) مزيناً بذرور الذهب لانه خص بخبر المبايعة بالخلافة وما يتعلق بها . وافتتح بمقالة في (الخلافة والعرب) — وما العرب عندها الا حسين وأتباعه — فبعد التنويه بثورته الشؤمي، وأعماله القبحى، قال الكاتب المستأجر فيها ما نصه :

« وعند قيام جلالته بالنهضة بايعه أهل الحل والعقد في الحجاز كما بايعه بذلك أهل سورية (بما فيها فلسطين) قبل النهضة وبعدها وكذلك أهل العراق ووفود اليمن وغيرها من الاقطار العربية بيعة مستكملة لشرائطها الشرعية ولا تزال وثائقها بين أيدينا »

ثم قال انه هو لم يقبل تلك البيعة في حينها «تحاشيا عن التشويش والاضطراب في هذه المسألة الاسلامية الكبرى تاركا أمر البت فيها الى الرأي العام الاسلامي»

« ولكن مع الاسف « أن العالم الاسلامي ترك هذه المهمة الخطيرة هدفا للتلاعب حتى وصل بها الامر الى الحد الفظيع الذي أنبأتنا به البرقيات المنشورة في غير هذا المكان من هذا العدد » يعني ما فعله الترك وقد ذكرنا برقياتها هذه وهي من عمان في الجزء الماضي ومنها أن جريدة المقطم سبقت الى ترشيح حسين للخلافة (؟؟) ومن البرقيات التي لم تنشر برقية حسين لرئيس حكومة مكة بأن من امتنع من البيعة يقتل رميا بالرصاص فمبايعة الحجاز وقعت بالاكراه خلافا لما ذكرته قبلة الدعاية الحسينية المزورة الا في تعليلها المبايعة بعمل حكومة انقرة اذ قالت

«ان هذا سبب هبوب الشعب السوري المبايعة وأن هذه الانباء لما وصلت الى العاصمة (مكة) هب أهلها للمبايعة وإقامة الزينات والاحتفالات ثم قالت :

« ومما تقدم يتضح أن مبايعة الامة العربية لصاحب الجلالة الهاشمية بالخلافة ليست بالامر الجديد وانما كانت تأكيداً للبيعة السابقة »

ثم زعم الكاتب وهو محرر الجريدة المستأجر، الموظف لخليفته المزور، أنه صار مكلفاً شرعاً بقبول هذه البيعة ، فهو يرى أن تسمية خليفة تركي كان مانعاً شرعاً من هذا القبول! وكأنه نسي ما كتبه مولاه في قبلته نفسها من إثبات كفر الدولة العثمانية وبطلان خلافتها القديمة في الازمنة التي بايع خلفاءها هو واسلافه من قبله فيها ، ثم صرح مرارا بموت الخلافة، وجهل أن حكمه بوجوب قبول البيعة الثانية دون الاولى يتضمن جهل الامة العربية التى زعم أنها بايعته بأن تلك البيعة كانت باطلة لا يجوز قبولها، أو فسقه هو بترك القبول الذي يترتب عليه تعطيل أحكام الشرع! ولا غرو فكل من المبايعين والمبايع صدق عليهم الحديث النبوي الحكيم «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » متفق عليه من حديث أسماء بنت الصديق وعند مسلم عن عائشة أيضا (رضى الله عن أبيهما وعنهما) وذلك أن كلا منهما مفتئت على الشعوب الاسلامية كلها بما ليس له فيه حق بنفسه ولا بالشرع كما بيناه في الفتوى التي أقمنا فيها الدلائل على بطلان هذه البيعة وعلى كونها لم يقصد بها معنى الخلافة الشرعية لتعذره

ثم ان جريدة القبلة ذكرت بعد تلك المقولة ما كان من الاحتفال في مكة بالمبايعة العامة والخاصة تعني مبايعة أسرة حسين وعشيرته الشرفاء ورجال حكومته ومبايعة العامة . وإننا ننقل عنها نص الخطاب الذي نمقوه وتلاه على الناس قاضي القضاة ورئيس حكومة مكة ، حفظا لهذه الوثائق التاريخية وتذكيرا بما فيها من العبرة ، وهو :

﴿ الخطاب الذي أعلنت به المبايعة بمكة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، الحمد لله الذي وفق أهل الحل والعقد والتدبير ، لتنصيب إمام يقوم بمصالح أفراد المسلمين الكبير منهم والصغير ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل رحمة

وبشيرا ونذيراً، والقائل ارشادا لامته « أمروا عليكم أميرا » ، وعلى آله وأصحابنا وسلم تسليما كثيرا ، وبعد فبناء على انحلال الامامة الكبرى منذ زمن بعيد وقد نص الشارع صلى الله عليه وسلم على تنصيب المسلمين إماما لهم بقوله « أمروا عليكم أميرا، ذاك أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقوله صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » ونص العلماء على أنه لا بد شرعا للمسلمين من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم ، وإقامة حدودهم ، وسد ثغورهم، وتجهيز جيوشهم ، وحماية بيضتهم ، وقطع مادة شرور المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق، وإقامة الجمع والاعياد ، وأخذ العشور والزكاة ، وقطع المنازعات وقبول الشهادات ، وتزويج الصغار الذين لا أولياء لهم وقسمة الغنائم ، لوجهين (الوجه الاول) انه تواتر إجماع المسلمين في الصدر الاول بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على امتناع خلو الوقت عن خليفة وامام حتى قال ابو بكر الصديق في خطبته حين وفاته عليه الصلاة والسلام « الا أن محمدا قد مات ولا بد لهذا الدين من يقوم به » فبادر الكل الى قوله وتركوا له أهم الاشياء وهو دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل أحد من الصحابة لاحاجة الى ذلك ، بل اتفقوا عليه واستمر الناس بعدهم على ذلك (الوجه الثاني) ان في تنصيب الامام دفع ضرر مظنون ، ودفع الضرر المظنون واجب على العباد اذا قدروا عليه اجماعا لما نعلمه علما ضروريا أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمناكحات والجهاد والحدود والمقاصات واظهار شعار الشرع في الاعياد والجمعات انما هو مصالح عائدة الى الخلق معاشا ومعادا ، وذلك المقصود لا يتم الا بامام يكون من قبل الشرع، يرجعون اليه فيما يعن لهم، فتنصيب الامام من أتم مصالح المسلمين ، وأعظم مقاصد الدين ، فحكمه الايجاب السمعي وقد يتمسك على وجوبه بقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم).

وحيث ان شروط الامامة الكبرى قد توفرت في جلالة مليكنا ومنقذنا ملك العرب المعظم صاحب الجلالة الهاشمية الشريف الحسين بن علي تعينت مبايعته فبايعناه بالخلافة سنة خمس وثلاثين بعد الثلثمائة والالف على أن يعمل فينا بكتاب الله

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي يومنا هذا التاسع والعشرين من شهر رجب الحرام من عامنا الحالي اقتضى الحال تأييد تلك البيعة واعلانها للعموم فأكدناها اليوم ،

وحيث انه غائب في هذا الوقت ومولانا حجة الاسلام قاضي القضاة ومفتي السادة الحنفية ونائب رئيس وكلاء الحكومة العربية الهاشمية مفوض عام من قبل جلالته مدة غيابه في الامور الشرعية والادارية بايعه الرؤساء من الاشراف والسادة والعلماء والاعيان من أهل الرأي والتدبير من عموم أهالي الحجاز والمجاورين والوافدين على اختلاف طبقاتهم بالخلافة العظمى قائلين « نبايعك نيابة عن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين سيدنا الشريف حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون علي أن يعمل فينا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونقسم لك بالله العظيم على طاعته ورضاه والانقياد له في السر والعلانية وله علينا في ذلك عهد الله وميثاقه ما أقام الدين ، واجتهد فيما فيه صلاح حال المسلمين (فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) فقبل مولانا المومي اليه هذه البيعة لجلالته والاعلام بذلك صار تحريره. اه بنصه ويليه دعاء له بالظفر والفتح والنصر ومحق سيفه « رقاب الطائفة الباغية الكافرة» اه فياللفضيحة والخجل

(المنار) كنا عازمين على إحصاء كل ما في هذا الكتاب من مواضع النقد ، واذ كان حسين قد عجز عن إحياء سقط خلافته بالدعاية كما توهم وعن تحنيطه إبقاء لصورته ، واذ تفسخ وقرب دفنه ، نكتفي بالاشارة الى بعض المسائل المهمة .

فأما دعوى مبايعته بالخلافة سنة ١٣٣٥ فان نص تلك المبايعة الذي نشر في جريدة القبلة كان بالملك على العرب لا بالخلافة ، وادعوى أهليتهم المبايعة باطلة فانهم عاجزون مستعبدون له واعبيده لا حل ولا عقد لهم في بلدهم فضلا عن بلاد العرب كلهم الذين سخروا لمبايعتهم — فضلا عن العالم الاسلامي كله الذى حقره لقبوله هذه المبايعة - وقد بينا في فتوى الجزء الرابع بطلان هذه الدعوى ودعوى استجماعه لشروط الخلافة ، ومن المضحكات أن ذكروا فيها حماية الممالك الاسلامية وهو عاجز الا عن ظلمهم — وقد قرب عهد اسقاط البيعتين ، وطرده من الحرمين الشريفين.

منشور الخلافة

كتب الملك حسين منشورا أذاعه على أثر المبايعة الخادعة الباطلة التي مثلت في شونة شرق الاردن ونشر في بعض الجرائد وهذا نصه:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحسين بن علي

(الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله أفضل الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه وكافة أنبيائه ورسله صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين.

أما بعد فاني أسأله الرأفة والرحمة بعباده والهداية والتوفيق لهم وان يجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين، فانه هو البر الرحيم، والمنان الكريم، ثم انه لما كانت الامامة الكبرى، والخلافة العظمى، نظام عقد الامة، وسند قوام الملة، وكان أمر صيرورتها وكيفيتها وما جرى فيها مدونا ومنقولا عمن تلقينا عنهم ديننا القويم وكان كل ماجري من بعد عهدهم السعيد في كيفية حقوقها وصلاحيتها وسائر معاملاتها الى يومنا هذا موضحا في تواريخ العالم الاسلامي وسيره المعتبر فقدام حكومة أنقره بما أقدمت عليه على ذلك المقام المكرم كيفما كان شكله جعل اولي الرأي والحل والعقد من علماء الدين المبين في الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى وما جاورها من البلدان والامصار يفاجئوننا ويلزموننا ببيعتهم بالامامة الكبرى والخلافة العظمى حرصا على إقامة شعائر الدين وصيانة الشرع ، لعدم جواز بقاء المسلمين أكثر من ثلاثة أيام بلا امام كما يفهم صراحة من توصية الفاروق الاكرم رضي الله عنه لاهل شورى البيعة بعده كيفما كانت صيغة تلك الامامة واشكالها الى الآن وعليه

ولما كانت المملكة الهاشمية، والقطعة المباركة الحجازية، مهد الاسلام ومحل ظهوره ، ومطلع نوره، وكانت مصونة بعنايته تعالي من كل شائبة في حالتيها

السابقة والحاضرة ، ولا سيما العمل فيها باحكام كتاب الله وسنة رسوله بجميع خصوصياته وعمومياته وانطباق حكم البيعة المشروعة من المبايع والمبايع له انطباقا لا يتصور حصوله في أى مملكة أخرى في الوقت الحاضر كان حقا علينا اجابة ذلك الطلب الديني المشروع بعد الاتكال على الله سبحانه واستمداد روحانية نبيه صلى الله عليه وسلم. لذلك قبلنا البيعة متوكلين عليه عز وجل مستمدين منه الغوث والعون والتوفيق لما يحبه ويرضاه وانا نرجوه سبحانه وتعالى ان يكون هذا الامر الذي قضى به في حكمته الازلية وقدرته الصمدانية وأظهر حكمة قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) مضاعفا لنا باتباع مسالك السلف الصالح .

نعم انا لم نتعرض البحث في شؤون ذلك المقام الجليل ابان نهضتنا الا بل الى قبيل جرأة انقره على كرامته كيفما كانت وضعيته وذلك حذراً من توسع شقة الاختلاف لئلا يتخذه اعداء الاسلام وسيلة لا عريض بمكانته ولا نكلف سوانا بما لا يراه عملا بقوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته فربكم (١) أعلم بمن هو أهدى سبيلا) ومع هذا فهو المسؤول أن يجعل هذه البيعة ألفة للمسلمين تضم قاصيهم ودانيهم وتسوقهم الى حسن التآلف، مع مجاوريهم من أبناء دينهم ، وسكان بلدانهم من أهل الكتب السماوية وسائر مواطنيهم بما ألقته اليهم الشريعة الاسلامية وتطبيق ما فرض في أمر «لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وكل ما أوجبه عليهم الشرع الشريف من الرفق بالبشرية وخدمة الانسانية وتجنب الشرور والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مؤملين منهم حسن القيام بكل ما هو في معنى هذا مما أوجبه الله عليهم فردا فردا وجماعة جماعة وبالاخص العلماء الاعلام في أقطار الاسلام كافة » .

حرر في ٥ شعبان سنة ١٣٤٢ هجرية

(المنار) هذا كل ما في المنشور من موضوع الخلافة وعبارته مفهومة في الجملة قليلة اللحن والغلط بالنسبة لكل ما اطلعنا عليه من كلام هذا الرجل ولعله

«١» في الاصل « فربك » وهو غلط لا يجوز لنا ابقاؤه على أصله

أملاه على أحد فحسن عبارته في الجملة والا فهي سخيفة ضعيفة في نفسها وانما هي كثيرة عليه هو وغرضنا من نقل هذا المنشور في المنار التعليق عليه بما هو حجة على المبايع والمبايعين له نوجز فيه لان أصل سقوط هذه الدعوى بالفعل صار قريبا

(١) اعتراف حسين بان سبب بيعته «إقدام حكومة انقره بما اقدمت عليه على ذلك المقام الكريم » أي الخلافة — دع سخافة عبارته « بما وعليه وعلى » وراجع عبارة جريدة (القبلة) تجده مكذباً لهذه الدعوى، ومصدقا لقولنا السابق المكرر ان هذه المبايعة ليست شيئا جديدا فما بايعه أخيراً في الشونة إلا بعض من بايعه أولا فان كانت البيعة الاولى صحيحة قامت بها عليه الحجة قبلها اولم يقبلها بانه غير أهل لها وعاجز عن القيام بأقل شؤونها اذ لم يعمل شيئا مما توجبه عليه، واعادتها حجة الزامية على المبايعين بما أسندوه اليه من الاهلية مع ظهور بطلانها بالفعل كما هو ظاهر وبأدلة الشرع التي بيناها في فتوى الجزء الرابع . وان كانت غير صحيحة فماذا صححها الآن ؟

(٢) قوله في توجيه صحة البيعة الجديدة انها الحرص « على إقامة شعائر الدين وصيانة الشرع لعدم جواز بقاء المسلمين أكثر من ثلاثة أيام بلا إمام »

ننتقد هذا التوجيه (أولا) بان فيه اعترافا بصحة خلافة عبد المجيد افندي العثماني وانه كان يقيم الشعائر ويصون الشرع . وهو كذب في نفسه فان عبد المجيد افندي لم يكن له من الامر شيء، وكانت حكومة انقرة تعبث بالشرع قبل تسميته خليفة بلا سلطة ولا عمل وفي أثنائها وبعدها (وثانيا) بان حسينا كان يقول ان هذه الخلافة باطلة وأشار الى ذلك هنا بقوله « كيفما كان شكله » واحترس واضعو خطاب المبايعة بمكة بمثله ايضا (وثالثا) بأن مبايعي علماء المسجد الاقصى ومن تبعهم من أهل سورية هم الذين كانوا يرون صحة تلك الخلافة وبنوا المبايعة عليها فهذا الاختلاف بينهم وبين خليفتهم وأهل الحرم المكي معه يقتضي جهل أحد الفريقين بالخلافة الصحيحة وغير الصحيحة وعدم أهليته للمبايعة وبطلانها من قبله ، ولما كان قبول حسين لمبايعة الفريق الاول مبنياً على ركن الايجاب الفاسد تعين ان يكون عقد البيعة فاسداً بفساد ركن الايجاب بالذات وركن القبول بالتبع

وهذا دليل إلزامي والا فقد بينا بالادلة التحقيقية بطلان الركنين مما

(٣) زعمه انه أحق الناس بان يبايع وان الذين بايعوه أحق المسلمين بان يبايعوا وانهم أهل الحل والعقد في الاسلام ، وهو ما كررنا فساده وبطلانه بالادلة الحقيقية والالزامية ومنها عجزه عن القيام بأحكام الخلافة فيهم وفي غيرهم وعجزهم عن تأييده ونصره — وقد وقع ما يظهر صدقنا فيهما بزحف النجديين لانقاذ الحجاز من هذه الخلافة الكاذبة الخاطئة ، دع ماظهر ولا من مخالفة العالم الاسلامي كله لهم .

(٤) قوله « اننا لم نتعرض البحث (كذا) في شؤون ذلك المقام الجليل » الى آخره.. ونكتفي فيه بتعليقناهنا على عدد (٢) وعلى ماسبق في خطاب بيعة مكة .

منشور العودة

(الذي اذاعه حسين المكي قبل عودته من شرق الاردن)

ان هذا الرجل لم يحذق شيئا من أمور سياسة العالم الا الدعاية لنفسه بالخداع وقول الزور والوعود التي تكذبها الاعمال والايام وقد نشر منشورا سماه منشور العودة وعد فيه بتأليف (مجلس شورى للخلافة) ولن يكون إلا آلة لدعايته وأهوائه، كمجلس وكلائه وقد استشهد فيه بحديثين يدلان على جهله بأشهر ما يدور على ألسنة العوام من الاحاديث النبوية ، فكيف يكون نائبا عن الرسول (ص) وهو أجهل من أكثر العوام بسنته

(الحديث الاول) ما أورده بهذا اللفظ « لا يتم إيمان أحدكم حتى يتمنى لاخيه ما يتمنى لنفسه » ولفظ الحديث في الصحيحين وغيرهما عن أنس مرفوعا «لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » والحب فوق التمني فقد يتمنى الانسان الخير لمن لا يحبه ولا يبغضه

(الثاني) لا يزال العبد مع مولاه ما زال في خدمة أخيه المسلم .وهذا مما يدور على ألسنة العوام بلفظ كان الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه . ولم

أسمعه من أحد بلفظ متنحل الخلافة ، وهو لا يوجد في الصحاح ولا السنن ولا المسانيد بل ورد ما في معناه في بعض الكتب التي تعني بجمع الروايات الشاذة والواهية وكذا الموضوعة في الترغيب والترهيب فقد روى ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج والخرائطي في مكارم الاخلاق عن أنس « من أعان مسلما كان الله في عون أخيه . ومن فك عن أخيه حلقة كف الله عنه حلقة يوم القيامة » والمراد بالحلقة الرق وحسين بن علي يسترق الاحرار والحرائر ويأذن ببيعهم وبيعهن في حرم الله تعالى . وقد غضب على بعض التكرور لرغبتهم في التطوع للحرب مع الدولة حين أمرته هو بالدعوة الى ذلك عند اعلان الحرب الاخيرة — فجازاهم على ذلك من حيث يظنون أنهم أطاعوه بان أمر بخطف أولادهم وبيعهم فنفذ أمره أحد الشرفاء الاشقياء مثله ولو شئنا لذكرنا اسمه وكنيته

التبرع بنسخ من المنار ، ومن شهد له من الكبار

سن بعض الادباء سنة حسنة في نشر العلم والادب والسياسة هي اهداء ما يعتقد نفعه من المجلات والجرائد لبعض أصدقائه أو بعض طلاب العلم من أولادهم أو لمن يحب لهم ذلك ولو من غيرهم ، وطالما رأينا في الجرائد العربية السورية التي تصدر في أقطار أمريكا أسماء كثير من هؤلاء المتبرعين

واننا نعلم أن كثيرا من الناس يعتقدون أن المنار أنفع الصحف وأهداها وكان شيخنا الاستاذ الامام في مقدمة هؤلاء ، ويرى القراء كلمة له فيه ننشرها في ديباجة الغلاف من كل جزء . وكان يرى هذا من كبار الرجال الذين توفاهم تعالى الى رحمته كثيرون نذكر بعض المصريين منهم .

(فمن الوزراء) شيخهم الاكبر مصطفى رياض باشا وهو أول من تبرع بالاشتراك بخمس عشرة نسخة كنا نوزعها على بعض طلبة الازهر فرحمه الله واجزل ثوابه

(ومنهم) الوزير الكبير ابراهيم فؤاد باشا المناسترلي الذي كان وزير الحقانية صرح لي ولغيري أن المنار ضروري للنهضة الاسلامية التي تجمع بين هداية الدين والرقي المدني وتؤلف بينهما، وقد فكر كثيرا في تعميم نشره واستشار يومئذ في ذلك

احمد فتحي زغلول باشا (وكان يومئذ رئيس محكمة مصر الاهلية ولقبه: بك) قالا: ان الاعانة الشخصية لاتستمر وصاحب المنار الابيّ لا يقبلها — كانا يعلمان مني ذلك وكان رياض باشا أول من عرضها عليّ واعتذرت عن قبولها — ثم قال الوزير لفتحي: فكر لي في طريقة لاعانة ثابتة يقبلها صاحب المنار بشرط أن يجعل بدل اشتراكه قليلا بحيث يسهل على طلاب الازهر وتلاميذ المدارس وغيرهم من الفقراء الاشتراك فيه فان هذا أنفع من الاشتراك في مئات أو الوف من النسخ ربما تعطى لمن لعله لا يقرأها — أخبرني فتحي رحمه الله بهذا، ومما أعترف به من ضرر الزهد الذي طبعت نفسي عليه قراءة إحياء العلوم وغيره من كتب التصوف أن كان من تأثيره أني لم أراجع أحدا من الرجلين في هذه المسألة على ما فيها من نشر تعاليم الاصلاح الذي أريده — ومات ابراهيم فؤاد باشا قبل أن يضع له الخطة احمد فتحي باشا رحمهما الله تعالى. ولم أندم على هذا التفريط الا بعد موت الوزير بسنين، أثابه الله على حسن نيته

(ومنهم) محمود سامي باشا البارودي الاديب الشاعر الاكبر والذي كان رئيس الوزارة في عهد الثورة العرابية — وقد بلغ من ولوعه به أن كان يرسل الى المطبعة من يطلب له ما طبع منه فيقرأ كراسة بعد أخرى. وكان يترجم بعض الموضوعات اصديق له من الانكليز وقد نقل لي عن هذا الانكليزي أنه قال: إن المسلمين غير مستعدين لهذه التعاليم والمبادىء الآن ولكنهم سيعيدون طبع المنار بعد خمسين سنة ويعملون به، وقد قال مثل هذه الكلمة من الاحياء سليمان افندي البستاني العالم السوري والوزير العثماني المشهور فكان من توارد الخواطر

ومن حملة الاقلام ورجال الصحافة الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد قال لي: ان المنار شيء غير اعتيادي ولا نعرف أحدا غيرك يقدر على القيام به . . . وان المسلمين في أشد الحاجة اليه، ومن الضروريّ أن يوجد في كل بيت من بيوتهم، ولكن كثرة تنويهه بالشيخ محمد عبده بالاطراء والتفضيل يوجد له أعداء كثيرين أصحاب نفوذ وتأثير يصدون الناس عنه، والشيخ جدير بما يقول المنار ولكنه في غنى عنه الخ وقد أجبته بأن تنويه المنار بالشيخ يراد به ترشيحه لزعامة الاصلاح في العالم

الاسلامي ولا نعرف أحدا جديرا بهذه الزعامة سواه وهي عندي أهم من كثرة المشتركين في المنار، فقال: لا انكر ان هذا غرض صحيح ولأن الشيخ أهل له . فعلمت باقراره هذا أنه لم يكن في قوله يقصد التفريق بيني وبين الاستاذ الامام لاجل الخديوي الذي تقرب اليه كثيرون بالسعي لهذا التفريق ومنهم بطرس باشا غالي الوزير المشهور

وممن وافق الشيخ عليا من حملة الاقلام من الاحياء في قوله يجب ان يكون المنار في بيت كل مسلم داود بك بركات رئيس تحرير الاهرام فقد قال لي مرة: لو كان المسلمون يعرفون مصالحهم — او ما هذا معناه — لدخل المنار كل بيت من بيوتهم . وكان هذا من توارد الخواطر ولا أذكر أي الرجلين سبق الى هذه الكلمة، وأنا لم أذكر له كلمة الشيخ علي يوسف ولم اكتبها الا في ترجمته بعد وفاته

ومن كبار العلماء إمام اللغة في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي كما يعلم من تقريظه له الذي نشر في المجلد الثاني منه (ص ٣٤٩ م ٢) ولقب صاحبه « بمفتي الآفاق ، على رغم أنف كل ذي حسد ونفاق » كتب ذلك بخطه على نسخة رحلته (الحماسة السنية ...) حين اهداها الي

ومن رجال القانون وعلماء الاجتماع عمر بك لطفي الواضع الاول لمشروع النقابات في مصر، كلمني في هذا الموضوع مرارا وبما انفرد به لومه إياي على العزلة أو قلة المخالطة التي تقرب منها ، وقال إن المنار لا يكفي لتعميم هذه الافكار فيجب أن تتعرف الى جميع الطبقات المتعلمة ولذلك وسيلتان الخطابة والمحافل الماسونية ، ولكنني لم أعمل بنصيحته الا في إلقاء بعض الخطب في بعض الجمعيات الادبية الدينية

وأما الاحياء فحسبي أن يكون رجل العصر بمصر صاحب الرياستين رياسة الامة ورياسة الحكومة سعد باشا زغلول وفقه الله تعالى وأيده موافقا لخطة المنار في الاصلاح الديني ، وقد سمعت منه مرارا أن ارتقاء المسلمين المدني متوقف على هذا الاصلاح ، كما أن أوربة لم يمكنها النهوض من الانحطاط الذي كانت مرتكسة فيه الا بعد اصلاح ديني ، وهذا الرأي كان أول من بثه في مصر وغيرها السيد جمال الدين ، وقد عرضت على سمعه في الربيع الماضي

خبر تأليف جمعية للاصلاح الديني والمدني في الحجاز وجعله قطر سلم وحياد ، فكان مما قاله ولم لاتجعلون هذا الاصلاح في مصر ؟ أليست هي محتاجة للاصلاح الديني ايضا ؟ ...

وقد كان هو أول من أمر باشتراك وزارة المعارف بنسخ من المنار لمدارسها في عهد توليه لوزارتها وكانت الوزارة قبله تشترك في جميع المجلات المشهورة بمصر من دونها ، لكراهة الانكليز كل اصلاح المسلمين ، ولذلك منعوا المنار من السودان من قبل الحرب بسنين بدسائس المبشرين

وانا لنرجو من دولته نظرة أخرى الى المنار عند سنوح الفرصة ولم نعرض عليه طابامكتوباولاشفويابه، كما أننالم نعرض مثل ذلك في عهدوزارته المعارف

ذكرنابتاريخ المناروآراء الكبار في تعميم نشره ماكتبه البناوكيله في بيروت من تبرع تاجر من خيار تجارها وأكارم وجهائها (أنيس أفندي الشيخ) بخمس نسخ توزع من قبله على بعض الخطباء والواعظين فيها . فجزاه الله تعالى خيرا وجعله قدوة صالحة وذكرى نافعة لمحبي العلم والاصلاح .

الشيخ سالم ابو حاجب

سبحان الحي الذي لايموت اننا قبل أن نفرغ من ترجمة عالم العراق ، وامام الشرق في تلك الآفاق (السيد محمود شكرى الالوسي) . لا ونعي بريد الغرب الاسلامي علامة الديار التونسية ، وإمام البلاد المغربية ، شيخ الشيوخ مفتي المالكية العلامة المستقل لاديب العاقل الشيخ سالم أبو حاجب ، تغمده الله برحمته ، وقد كان بين عالم الشرق والغرب تشابها عظيما وكان من حسن حظنا ان وجدنا صديقا لنا من تلاميذ كلا منهما يكتب لنا ترجمتهما وقد شاء الله تعالى أن يتأخر صدور هذا الجزء من المنار حتى تنشر فيه ترجمة علامة جامع الزيتونة الاكبر بقلم الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الخضر نزيل القاهرة وقد ألقاها في حفلة جامعة في الجامع الازهر وهذا نصها :

تأبين رئيس العلماء في الديار التونسية

أقام طلاب العلم من جاليات شمال أفريقية حفلة بالجامع الازهر مساء يوم الاثنين الحادي عشر من الشهر الجاري حفلة لتأبين المأسوف عليه الأستاذ الكبير الشيخ سالم أبي حاجب مفتي الديار التونسية

افتتحت الحفلة بقراءة آيات من الذكر الحكيم ثم قام محرر هذا المقال وألقى خطبة في نشأة الفقيد ومواهبه السامية وعلمه الغزير وهذه خلاصتها :

نعت الينا « هاﭬاس » والصحف التونسية فضيلة أستاذنا الشيخ سالم أبي حاجب واسطة عقد العلماء ورئيس المحكمة الشرعية المالكية بالديار التونسية ، فكان نعيه لدى العارفين بمقامه الاسنى كقبس من نار تذوب له القلوب لوعة وتتساقط له العبرات أسفا

كان الفقيد رحمه الله آية من آيات العبقرية، وأحد العلماء الذين لا تجود بهم يد الايام الا في أوقات معدودة ، فلا جرم أن أنثر على بساط هـذا الاحتفال الجامع شذرا من آثار حياته الزاهرة خدمة للعلم والادب والتاريخ، وان في سيرة العظماء من الرجال لعبرة لاولي الالباب

ولد الفقيد حوالي سنة ١٢٤٤ بقرية من قرى الساحل تسمى « بنبله » ثم ارتحل منها عند ما بلغ سن التعليم الى حاضرة تونس لتلقي العـلم بجامع الزيتونة الاعظم ، ولم يلبث أن سطع بين جدران ذلك المعهد شعاع ألمعيتـه ونبوغه ، وصلاحيته في أندية العلم والادب ولا سيما اذ كانت له في صناعة القريض براعة فائقة وفي نقده الشعر ذوق لا يقل عن ذوق العربي الصميم

ترقى الفقيد في مدارج العلم حتى تقلد وظيفة التدريس بالمعهـد الزيتوني، درس من علوم الشريعة والعربية كتبا عالية مثل شرح العضـد على مختصر ابن الحاجب وشرح القسطلاني على صحيح الامام البخاري والشرح المطول للسعد التفتازاني. وكان يجلس لدرس هذه الكتب وغيرها على منصة التحقيق ويخوض عبابها بنظر مستقل ، وينطق فيها بلهجة مجتهد نحرير ، فلا ينتهي من تقرير

موضوع الا بعد أن يعقد لما يجرى فيه من الخلاف محاكمة يدخل الى القول الفصل فيها من باب الحرية والانصاف

ولما وضع في فطرته من حب البحث والغوص في أغوار المسائل كان يتلقى أسئلة التلاميذ في الدرس بصدر رحب، وكثيرا ما يغمر الباحث النجيب بعبارات الثناء تشجيعا له على البحث، وأخذا بيده الى أن يسير مع أصحاب الآراء والمؤلفين على مقتضى حكمة من يقول « هم رجال ونحن رجال »

ولعلمه الراسخ وعبقريته البارزة كان بعض أقرانه مثل الاستاذ الشيخ مصطفى رضوان يقرر في درسه عازيا شيئا من الافهام التي انفرد بتحقيقها . وكثيرا ما يورد الفقيد في مجالسه أو دروسه في صدد الاستشهاد على بعض المعاني اللغوية عبارة القاموس بنصها حتى ظن كثير من أهل العلم أنه يحفظه على ظهر قلب . وأغلب مسائل الشرح المطول والمغني لابن هشام وشرح السيد على المفتاح وشرح الدماميني على التسهيل تجري على طرف لسانه مهما تدعو الحاجة الى الاستشهاد بشيء منها

ولم يكن الاستاذ ممن يسارع الى الاعتقاد بصدق من يخرج في زي المجذوبين أو يدعي أنه من أرباب الولاية والكرامة، وظهر منه هذا الخلق في مجلس بعض رجال الدولة فقال له : اعتقد ولا تنتقد. فقال الاستاذ : ليس الاعتقاد مما تمتنعه النفس بمجرد الاختيار، وانما هو من قبيل العلم الذي لا يرتسم فيها الا بمؤثر من حجة وبرهان . وكان يحارب الخرافات والآراء السخيفة والاقوال المسندة الى الشريعة بمجرد الدعوى أو بأحاديث غير ثابتة، وكان يبدي رأيه بكل صراحة وان صادم المعروف بين شيوخ عصره كانكاره لوجود جبل قاف ومشاهدة الجن بعين الباصرة، ويرى أن ما يزعم من ذلك انما هو من قبيل تأثير الخيال

أحرز الفقيد بين رجال الدولة مكانة إكبار وإجلال، وانتظم له هذا الاقبال إذ كان من أولي النظر الواسع في شؤون الاجتماع، وماتقتضيه المدنية الراقية ، وكذلك كانت دروسه في علوم الشريعة مملوءة بالبحث عن أسرارها من حيث المطابقة لما تستدعيه مصالح الشعوب . ومن هذا الوجه كان للاستاذ حياتان :

علمية وسياسية ، فاتخذه الوزير خير الدين باشا من مساعديه في تنظيم التعليم وإصلاح الادارة قبل الاحتلال : وتقلد وظيفة العمل بادارة المال مضافة الى وظيفة التدريس بجامع الزيتونة

سافر الاستاذ الى ايطاليا مبعوثا من طرف الحكومة التونسية قبل الاحتلال لينوب عنها في قضية أقامتها على ورثة أحد قابضي أموالها المدعو « نسيم » وأقام هنالك زمنا واسعا التقى في خلاله بكثير من علمائها ودارت بينه وبينهم محاورات علمية، وكانوا يلقون عليه أسئلة فيما يشكل عليهم من بعض الاحكام الاسلامية فيذهب في الجواب عنها الى طريق النظر الفلسفي حتى تقع أجوبته لديهم موقع القبول والتسليم . وكان الاستاذ يقول : إن هذه الرحلة مجموعة عنده في كتاب . وقص علينا انه دخل الى بعض المكاتب الحاوية لكتب عربية فتناول كتابا منها فكان أول جملة وقع عليها بصره « كان العرب اذا خطبهم لاعب الشطرنج منعوه وقالوا انه ضرة ثانية » وفي هذه الرحلة بعث الاستاذ بصورة فتوغرافية الى الوزير محمد البكوش وكتب عليها من نظمه :

لما شكت شحط النوى روحي التي أبقيتها عند الاحبة بالوطن
أرسلت تمثالي لها بوما عسى تسلو فلا تبغي التحاقا بالبدن

وسافر الفقيد رفيقا للوزير خير الدين باشا الى الآستانة وامتدح السلطان العثماني بقصيدة فأمر بمكافأته عليها بوسام فأبى وقال للمرسل من جانب السلطان ان حمل الوسام مما لا يرغب فيه أهل العلم ببلادنا بل يرونه بحكم العادة مزريا بمقامهم

وكان يلقي في شهر رمضان من كل سنة درسا من صحيح البخارى بجامع « سبحان الله » ودرسا من كتاب الموطأ في المدرسة المنتصرية ، ويشهدهما صاحب المملكة التونسية سمو الباى وكبير الوزراء في مجمع حافل من أعيان العلماء وتجري فيهما مباحثات من أقران الاستاذ أو نجباء تلاميذه ، وقد يورد بعض الابحاث الامير نفسه متى كان من رجال العلم مثل المغفور له الناصر باي وهذه الدروس التي كان يلقيها الفقيد بعناية لا تزل محفوظة إذ كان يحررها كتابة قبل يومها المشهود

واشتهر بالفلسفة في العلوم الاسلامية فكان مورد المستشرقين ومن تشتد عنايتهم للاطلاع على حقائق الاسلام من فرنسيين وغيرهم فيجاذبهم أطراف المحاورة بنفس مطمئنة وأدب جميل

وكان يقوم بالخطابة والامامة بالجامع المعروف بجامع سبحان الله ويلقي خطبا يراعي في إنشائها ما تستدعيه حال الزمان والمكان . ومما ابتكره في الخطابة أنه كان يعمد الى ما يرد في الخطبة من حديث أو آية يسبق الى ظنه أنه بعيد المأخذ من أفهام السامعين فيشرحه بعبارات يصوغها على طريقة بيانه في التدريس وقد ظهر قسم من هذه الخطب مطبوعا في تونس منذ ثلاث عشرة سنة

وكان يشد ازر القائمين على بعض الاعمال الاصلاحية وكان النشء الناهض يلتف حوله ولهذا انتخبوه للخطابة في حفلة افتتاح المدرسة الخلدونية التي تعد شعبة من جامع الزيتونة لدراسة العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخ . واذكر اني كنت انشأت مجلة علمية أدبية تسمى « السعادة » فتحركت بعض النفوس الحاملة لكتم انفاسها فقال لي الاستاذ حال انصرافنا من درس صحيح البخاري : لاتعبأ بما يلقيه هؤلاء في سبيل عملك وتأس بالنبي عليه الصلاة والسلام اذ قال له ورقة بن نوفل : لم يأت احد بمثل ماجئت به الاعودي .

وكان للفقيد عاطفة أدبية تسمو به الى لاحتفاء بالعلماء الوافدين على الحاضرة وبذل المستطاع في مجاملتهم . زار فيلسوف الاسلام الاستاذ الشيخ محمد عبده البلاد التونسية سنة ١٣٢١ ونزل ضيفا مكرما في بيت حضرة السيد خليل ابي حاجب نجل الفقيد وهو اليوم وكيل وزير الداخلية بتونس فعرف الفقيد فضل الاستاذ الشيخ محمد عبده وكان يقضي جل أوقاته في مؤانسته ومذاكرته العلمية أو الادبية أو الاصلاحية

وورد عالم الجريد الشيخ ابراهيم ابو علاق الحاضرة وأتى درس الفقيد بجامع لزيتونة ولم تنعقد صلة التعارف بينهما بعد ، فاخذ يناقش الاستاذ في المبحث الذي كان بصدد تقريره ولما طال أمد المناقشة ووقع في ظن الفقيد أن ليس الغرض منها طلب الحقيقة بدرت منه كلمة كبرت على مسمع الشيخ أبي

علاق فانصرف عن الدرس وقال

تقاصرتُ مذ ابدى التطاول سالم وسالمت والقاصي المكان يسالم

ولما وصل نبأ هذا البيت الى مجلس الفقيد نهض في الحال للقاء الشيخ أبي علاق فاسترضاه وخطب مودته ودامت بينهما الصداقة المحكمة

وتحلى الفقيد بآداب راقية مثل التواضع والحلم والصراحة فازداد شرفا على شرف العبقرية وانجذبت له القلوب بعاطفة المحبة بعد امتلائها بمهابته واجلاله حتى اذا حضر مجتمعا خاصا أو عاما مسك بعنان المجلس وأخذ ينشر على اسماع الحاضرين من غرائب المسائل ولطائف الادب ما يخيل اليهم انهم في جنة عالية، لا تسمع فيها لاغية ، وكنا نرى أهل العلم والادب يقصدون في الاحتفالات الجامعة الى ان تكون مجالسهم بمقربة من مجلس الفقيد حرصا على اقتباس أدب مؤنس أو اقتناص علم غريب

وانفرد بين علماء جامع الزيتونة بانه كان يتزيا في لباسه بزي علماء الشرق أي يلبس القفطان والجبة المفتوحة من أمام ويضع عليهما البرنس، ولم يكن يلتزم تقاليد أهل العلم وذوي المناصب الشرعية في بلاده حتى انه كان يلبس الجزمة ايام كان لبس أهل العلم لها شيئا نكرا ، ويتجول في بعض المتنزهات العامة راجلا، وغيره من ذوى المناصب العالية لا يغشونها الا مورا في عرباتهم

وكانت له عند افتتاح الكلام عقدة خفيفة لذيذة على السمع حتى اذا انطلق لسانه في التقرير سمعت العربية الفصحى ولهجة تتسوغها الاسماع بارتياح وإعجاب.

ومن المعروف عن الاستاذ انه كان يطمح الى طول الحياة ويمثل حركة الساعة الميقاتية بحسيس الارضة في كلها من عمر الانسان ، وينقل عنه في تعليل عدم حمله للساعة انه يكره ان يسمع أو يرى آلة تذكره كيف تنقضى حياته العزيزة شيئا فشيئا

هذا ما أجده في الذاكرة من مآثر حياة الاستاذ الذي فارقته — وبودي لا أفارقه — برحلتي الى بلاد الشرق سنة ١٣٣١ — وقد ناهز التسعين من عمره. اه

﴿ علاوة ﴾

حكي الاستاذ ان أحد الباشاوات من قواد الجند بالاستانة دعاه الى منزله

في طائفة من أهل العلم ومما دار بينهم في المذاكرة ان صاحب المنزل سأله عن حكم تعلم الجغرافية فقال له : ان تعلمها من فروض الكفاية. قال الاستاذ فالتفت ذلك الباشا الى أحد الفقهاء بالمجلس وقال له : لماذا كنت تقول لي ان تعلمها حرام ؟ فاقبل ذلك الفقيه على الاستاذ وقال له : مادليلك على ماتقول من أن تعلم الجغرافية من الواجبات ؟ قال فلم ارد ان أطيل الحديث في الاستدلال بمثل قوله تعالى (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) واخترت ان أورد كلمة تكون اقرب الى فهم السائل فقلت موجها الخطاب لصاحب المنزل: اذا صدرت ارادة السلطان يأمرك ان تسير بقسم من الجيش الى بعض بلاد العدو وكنت تجهل المسافة التي بينك وبين ذلك البلد ثم لم تكن على خبرة مما يوجد في تلك النواحي من ضروريات حياة الجند ومالا يوجد فانك بلاريب تذهب على غير هدى ولا تأمن ان يقع الجيش في تهلكة. فوقع الجواب من نفس الباشا موقع الارتياح والقبول .

وفيما حكى الاستاذ من هذه المحاورات أن أحد المستشرقين سأله عن الوجه في اباحة الاسلام تزوج المسلم بالكتابية من مسيحية أو اسرائيلية ، ومنعه المسلمة من أن تتزوج مسيحيا أو اسرائيليا . وقال السائل ماهذا الحكم الاضرب من التعصب في الدين : فاجابه الاستاذ بانه حكم قائم على حكمة عمرانية بالغة . وهي ان النكاح يقصد به التعاون على مرافق الحياة ، وهذا الغرض لايتحقق الا مع التآلف وانتظام حلة المعاشرة ، ومن المعروف أن المسلم يؤمن بالرسول الذي يؤمن به الكتابية ويعتقد بصحة دينها في الجملة ، فلا يتوقع ان يصدر منه مايجرح احساسها ويكدر صفو المعاشرة بينهما وأما الكتابي غير المسلم فانه لعدم ايمانه بصحة الاسلام وصدق الرسول الذي جاء بشريعته قد يؤذي المسلمة بما يقذفه من كلمات يطعن بها في أصل دينها أو ينال بها من كرامة الرسول الذي تعتنق شريعته

وحكى لنا الفقيد ان الاستاذ الشيخ محمد عبده تكلم على ضرورة الاجتهاد فقلت حكام الشرعية حتى قال ينبغي اهمال كتب الفقهاء واتلافها بالاحراق قال في الاله : لابأس بابقائها والاستعانة بها لانها لاتخلو من فوائد . فقال لي: فلتبق .



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٢٩ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ — ٥ العقرب ١٣٠٤هش ٢٨ اكتوبر ١٩٢٤

(١٤١) وَوٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هٰرُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ . قَالَ لَن تَرٰىنِي وَلٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرٰىنِي. فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا، فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يٰمُوسَىٰٓ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسٰلٰتِي وَبِكَلٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشّٰكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ، فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ الْفٰسِقِينَ

هذه الآيات نزلت في بيان بدء وحي الشريعة لموسى عليه السلام وقد

بدء الوحي المطلق اليه في جانب الطور الأيمن من سيناء منصرفه من مدين الى مصر ، وانما المذكور هنا بدء وحي كتاب التوراة بعد أن أنجى الله قومه بني اسرائيل من العبودية وجعلهم أمة حرة مستقلة قادرة على القيام بما يشرعه الله لها من العبادات وأحكام المعاملات ، والامة المستعبدة للاجنبي لا تقدر على ذلك ، ألم تر أن جميع أحكام المعاملات الدنيوية من شريعتنا المطهرة واكثر أحكام العبادات لم تشرع الا بعد الهجرة ؟ وأن الصلاة التي هي عبادة بدنية لما شرعت في مكة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي هو ومن آمن به في البيوت سراً اتقاء أذى المشركين الذين كانوا يمنعونهم من الصلاة في المسجد الحرام وقد صلى فيه النبي (ص) مرة فجاء المشركون بسلا جزور — أي كرش بعير بفرثه — فوضعوه عليه وهو ساجد فلم يستطع رفع رأسه حتى جاءت ابنته السيدة فاطمة عليها السلام فألقته عن ظهره؟ وهمّ ابوجهل مرة ان يجلس عليه وهو ساجد فكفه الله عنه

قال تعالى ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ هذا السياق معطوف على السياق الذي قبله المبدوء بقوله تعالى (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) الآيات . قرأ ابو عمرو ويعقوب (وعدنا) من الوعد والباقون (واعدنا) من المواعدة فقيل إنها هنا بمعنى الوعد وقيل إن فيها معنى صيغة المفاعلة باعتبار أن الله تعالى ضرب لموسى عليه السلام موعدا لمكالمته وإعطائه الالواح المشتملة على أصول الشريعة فقبل ذلك ثم صعد جبل سيناء في أول الموعد وهبط في آخره ، وفرق بين الاتفاق على الشيء بين اثنين أو أكثر كالتلاقي في مكان معين أو زمان معين و بين الوعد به من واحد لآخر لا يطلب منه شيء لاجل الوفاء كقولك لآخر سأدعو الله لك في البيت الحرام مثلا - فهذا وعد محض وذاك يحتمل الامرين باعتبارين كعبارة الآية . والميقات أخص من الوقت فهو الوقت الذي قرر فيه عمل من الاعمال كمواقيت الحج . وفي سورة البقرة (واذ واعدنا موسى أربعين ليلة) وهو إجمال لما فصل هنا من قبل لان الاعراف مكية والبقرة مدنية فهي متأخرة عنها في النزول

روى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في تفسير الآية أن موسى قال لقومه : ان ربي وعدني ثلاثين ليلة أن ألقاه وأخلف هارون فيكم ، فلما

وصل موسى الى ربه زاده الله عشرا فكانت فتنتهم في العشر التي زاده الله — وذكر قصة عجل السامري — وروى الثاني عن أبي العالية في قوله (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) يعني ذا القعدة وعشرا من ذي الحجة فمكث على الطور أربعين ليلة وأنزل عليه التوراة في الالواح فقربه الرب نجيا وكلمه وسمع صريف القلم، وبلغنا أنه لم يحدث في الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ،وفي معنى هذا روايات أخرى صريحة في أن هذا الزمن ضرب لمناجاة موسى ربه في الجبل منقطعاً فيه عن بني اسرائيل، وهو الحق الموافق لما ورد في هذه السورة وغيرها من قصة السامري وعبادة العجل في غيبة موسى ومنه قولهم لهارون (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) وأخرج الديلمي عن ابن عباس رفعه « لما أتى موسى ربه وأراد أن يكلمه بعد الثلاثين يوما وقد صام ليلهن ونهارهن فكره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتناول من نبات الارض فمضغه فقال له ربه : لم أفطرت ؟ وهو أعلم بما كان قال : أي رب ، كرهت أن أكلمك الا وفمي طيب الريح ، قال : أو ما علمت ياموسى ان فم الصائم عندي أطيب من ريح المسك؟ اذهب فصم عشرة أيام ثم ائتني . ففعل موسى الذي أمره ربه » وهذا الحديث ضعيف السند ومتنه معارض بما أشرنا اليه من آيات قصة السامري ومن الروايات التي بمعناها .

ويستدل الصوفية بهذه الرواية على أيام خلوتهم التي يصومون أيامها الاربعين لا يفطرون الا على حبات من الزبيب لما ورد في الاحاديث الصحيحة من النهي عن الوصال في الصيام . والاولى أن يستأنس بالروايات الصحيحة للتفرغ لذكر الله ومناجاته بالصلاة أربعين يوما وليلة فيجعل مقصدا لا وسيلة

وهذا ما ورد في التوراة الحاضرة في المسألة من سفر الخروج (٢٤: ١٢ وقال الرب لموسى اصعد الي الى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم ١٣ فقام موسى ويشوع خادمه وصعد

(١) استحسن علماء الرسم ان يكتب هارون بدون ألف واستحسنا نحن وكثير من الكتاب كتابته بالالف على الاصل كالحارث لان أكثر الناس لا يتعلمون الرسم او لا يلقنون مثل هذا الاصطلاح فيخطئون فيهما

موسى الى جبل الله ١٤ واما الشيوخ فقال لهم : اجلسوا ههنا ، وهوذا هارون وحور معكم ، فمن كان صاحب دعوى فليتقدم اليهما ١٥ فصعد موسى الى الجبل فغطى السحاب الجبل ١٦ وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاء السحاب ستة أيام وفي اليوم السابع دعي موسى من وسط السحاب ١٧ وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني اسرائيل ؛ ودخل موسى في وسط السحاب وصعد الى الجبل، وكان موسى في الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة) اه

وفي الفصل الرابع والثلاثين منه ما نصه أيضا (٣٤ : ٢٧ وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات قطعت عهدا معك ومع اسرائيل ٢٨ وكان هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء ، فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر) اه

﴿ وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ يعني أن موسى لما أراد الذهاب لميقات ربه استخلف عليهم أخاه الكبير هارون عليهما السلام للحكم بينهم والاصلاح فيهم ، اذ كانت الرياسة فيهم لموسى وكان هارون وزيره ونصيره ومساعده كما سأل ربه بقوله (واجعل لي وزيرا من أهلي: هارون أخي، اشدد به ازري، وأشركه في أمري) وأوصاه بالاصلاح فيهم وفيما بينهم ونهاه عن اتباع سبيل المفسدين في الارض. والافساد أنواع بعضها جلي وبعضها خفي ومن كل منهما وسيلة ومقصد ، فمنها الحرام البين ومنها الذرائع المشتبهات التي يختلف فيها الاجتهاد ، ويأخذ التقي فيها بالاحتياط ، واتباع سبيل المفسدين يشمل مشاركتهم في أعمالهم ، ومساعدتهم عليها ، ومعاشرتهم والاقامة معهم في حال اقترافها ، ولو بعد العجز عن ارجاعهم عنها ، ومن ذلك مايجوز وقوعه من الانبياء عليهم السلام فيصح نهيهم عنه تحذيرا من وقوعهم فيه بضرب من الاجتهاد كالذي وقع الاختلاف فيه بين موسى وهارون عليهما السلام في قصة عجل السامري الذي حكاه تعالى عنه في سورة طه بقوله (قال ياهارون : مامنعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني؟ أفعصيت أمري ؟ قال يا بن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي) فالرسالة كانت لموسى

بالاصالة ولهارون بالتبع ليكون وزيراً لا رئيسا ، وموسى هو الذي أعطى الشريعة (التوراة) وكان هارون مساعدا له على تنفيذها في بني اسرائيل كما كان مساعدا له على تبليغ فرعون الدعوة وانقاذ بنى اسرائيل .

وقد روى الشيخان وغيرهما من حديث سعد بن أبي وقاص (رض) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى » وذلك أنه استخلفه على المدينة في غزوة تبوك قبل خروجه فقال يارسول الله تخلفنى في النساء والصبيان؟ فقاله. وفي رواية لاحمد أن عليا (رض) قال : رضيت رضيت . وانما قال في النساء والصبيان لانه لم يتخلف عن الخروج مع النبي (ص) الى تبوك غير النساء والصبيان ومن في حكمهم من ضعيف ومريض الا من استأذن من المنافقين

قال القاضي عياض في شرحه لمسلم : هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والامامية وسائر فرق الشيعة في ان الخلافة كانت حقا لعلي وانه اوصى له بها . قال ثم اختلف هؤلاء فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لانه لم يقم بطلب حقه . وهؤلاء اسخف مذهبا وافسد عقلا من ان يرد عليهم الخ ما قال وقد ذكرت هذا من قوله لاذكر القارىء بأن هذين الفريقين لم يقولا ما قالا عن اعتقاد بل كانوا من جمعيات المجوس والسبأيين الذين يبغون الفتنة لابطال الاسلام وازالة ملك العرب بالشقاق الديني . وإما الاستخلاف فقد كان النبي (ص) يستخلف على المدينة بعض الصحابة كلما خرج الى غزوة ولم يكن يختار افضلهم لذلك ، وفي الحديث من المنقبة لعلي ما هو فوق استخلافه وهو جعله اخا للنبي (ص) ولا يتضمن ذلك استخلافه بعده (ص) لان هارون مات قبل موسى عليهما السلام قطعا

﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال : رب أرني أنظر اليك ﴾ أي ولما جاء موسى للميقات الذي وقتناه له للكلام وإعطاء الشريعة وكلمه ربه عز وجل من وراء حجاب بغير واسطة الملك(١) استشرفت نفسه الزكية العالية

«١» راجع تفسير (منهم من كلم الله) فى أول الجزء الثالث من تفسيرنا وتفسير «وكلم الله موسى تكليما » فى ص ٧١ ج ٦ منه

للجمع بين فضيلة الكلام الالهي والرؤية فقال : رب أرني ذاتك المقدسة بأن تجعل لي من القوة على حمل تجليك ما أقدر به على النظر اليك ورؤيتك وكمال المعرفة بك بالقدر الممكن أي دون ماهو فوق امكان المخلوقين من الادراك والاحاطة المنفي بقوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) فيراجع تفسير هذه الآية من سورة الانعام (ص ٦٥١ — ٦٥٧ م ٧ تفسير)

﴿ قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ﴾ أي إنك لا تراني الآن ، ولا فيما تستقبل من الزمان ، ثم استدرك تبارك وتعالى على ذلك بما يدل على تعليل النفي ، ويخفف عن موسى شدة وطأة الرد ، باعلامه مالم يكن يعلم من سنته ، وانه لا يقوى شيء في هذا الكون على رؤيته . كما قال (ص) في حديث ابي موسى عند مسلم «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه» فقال : ولكن انظر الى الجبل فانى سأتجلى له فان ثبت لدى التجلي وبقي مستقراً في مكانه فسوف تراني ، لمشاركتك له في مادة هذا العالم الفاني ، واذا كان الجبل في قوته ورسوخه لا يثبت ولا يستقر لهذا التجلي لعدم استعداد مادته لقوة تجلي خالقه وخالق كل شيء فاعلم أنك لن تراني ايضا وانت مشارك له في كونك مخلوقا من هذه المادة وخاضعا للسنن الربانية في قوتها وضعف استعدادها (وخلق الانسان ضعيفا) وقبولها للفناء

روى عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال : لما سمع الكلام طمع في الرؤية وروى أبو الشيخ عن ابن عباس قال حين قال موسى لربه تبارك وتعالى (أرني أنظر اليك قال) له يا موسى انك (لن تراني) قال يقول ليس تراني لا يكون ذلك أبداً ، يا موسى انه لن يراني أحد فيحيا ، قال موسى رب أن أراك ثم أموت أحب اليّ من ان لا اراك ثم احيا . فقال الله يا موسى (انظر الى الجبل) العظيم الطويل الشديد (فان استقر مكانه) يقول فان ثبت مكانه لم يتضعضع ولم ينهد لبعض ما يرى من عظمي (فسوف تراني) انت لضعفك وذلتك ، وان الجبل تضعضع وانهد بقوته وشدته عظمه فأنت اضعف واذل اه

﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخرّ موسى صعقا ﴾ يقال جلا الشيء والامر وانجلى وتجلى بنفسه او بغيره وجلاه فتجلى — اذا انكشف وظهر ووضح بعد خفاء في نفسه ذتى أو اضافي أو خفاء على مجتليه وطالبه . ويكون

ذلك التجلي والظهور بالذات وبغير الذات من صفة وفعل يزول به اللبس والخفاء ، وفي صيغة التجلي ما ليس في صيغة الجلاء والانجلاء من معنى التدريج والكثرة النوعية او الشخصية قال تعالى (والليل اذا يغشى ، والنهار اذا تجلى) فالليل يغشى النهار ويستره ثم يتجلى النهار ويظهر بالتدريج وفي الاحاديث ان للرب تعالى تجليات مختلفة كما سيأتي .

والدك الدق او ضرب منه . قال في الاساس : دككته دققته ، ودك الركية كبسها ، وجمل أدك وناقة دكاء : لا سنام لها ، واندك السنام : افترش على الظهر ونزلنا بدكداك : رمل متلبد بالارض اه واقول ان الفرق بين الدق والدك كما يؤخذ من الاستعمال العام الموروث عن العرب ان الدق ما يخبط به الشيء ليتفتت ويكون اجزاء دقيقة ومنه الدقيق . وكان القمح في عصور البداوة الاولى يدق بالحجارة فيكون دقيقا ثم اهتدوا الى الارحية التي تسحقه وتطحنه . واما الدك فهو الهدم والخبط الذي يكون به الشيء المدكوك ملبداً ومستوياً، يقال ارض مدكوكة وطريق مدكوكة ، ودك الحفرة والركية (اي البئر غير المطوية) دفها وطمها . ولا تزال سلائل العرب تستعمل هذه المادة بهذا المعنى ويسمون ما يوضع في الحفرة او الركية من الحصا والحصباء لاجل تسويتها « الدكة » . قرا حمزة والكسائي (جعله دكاء) بالمد والتشديد غير منون اي ارضا مستوية كالناقة التي لا سنام لها والجمهور (جعله دكا) بالمصدر اي مدكوكا دكا . ومثله في السد من سورة الكهف

والخرور والخر السقوط من علو والانكباب على الارض ، ومنه (يخرون للاذقان سجدا) والصعق بكسر العين صفة من الصعق وهو ما يكون من تأثير نزول الصاعقة من موت أو إغماء ثم توسع فيه باطلاقه على ما يشبه ذلك . قال الفيومي في المصباح : صعق صعقا من باب تعب : مات ، وصعق غشي عليه لصوت سمعه ، والصعقة الاولى النفخة ، والصاعقة النازلة من الرعد ، والجمع صواعق ، ولا تصيب شيئا الا دكته وأحرقته اه

وأحسن ما ورد في التفسير المأثور لهذه الآية مطابقا لمتن اللغة ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الرؤية عن ابن عباس (فلما تجلى ربه للجبل) قال : ما تجلى منه الا قدر الخنصر (جعله دكا) قال ترابا (وخر موسى صعقا)

قال مغشياً عليه. اه وما رواه ابن المنذر عن عكرمة أنه - أي الجبل - كان حجرا أصم فلما تجلى له صار تلا ترابا دكا من الدكاوات - اي مستويا بالارض ولولا ذلك لجاز أن يقال إن صيرورته ترابا وان كان بمعنى الدكاء والمدكوك لا ينافي استقرار الجبل مكانه وقد ورد في بعض الآثار والاحاديث المرفوعة أيضا انه ساخ أي غاص في الارض، وهو يتفق مع المعنى الاول ؛ أي أنه رج بالتجلي رجا، بست بها حجارته بسا، وساخ في الارض كله أو بعضه في اثناء ذلك حتى صار كما قال بعضهم ربوة دكاء كالرمل المتلبد.

والمعنى فلما تجلى ربه للجبل أقل التجلي وادناه انهدّ وهبط من شدته وعظمته وصار كالارض المدكوكة او الناقة الدكاء — وسقط موسى على وجهه مغشيا عليه كمن اخذته الصاعقة والتجلي انما كان للجبل دونه فكيف لو كان له ؟

وقد روي في تفسير هذه الآيات من الاخبار والآثار الواهية والموضوعة غرائب وعجائب اكثرها من الاسرائليات. أمثل المرفوع منها ما روي من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك (رض) قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال : ووضع الابهام قريبا من طرف خنصره « فساخ الجبل » وفي لفظ زيادة (وخر موسى صعقاً) فقال حميد الطويل لثابت : ما تريد الى هذا ؟ فضرب صدره أي صدر حميد وقال من أنت يا حميد ؟ وما أنت يا حميد ؟ يحدثني أنس بن مالك عن رسول الله ص) وتقول أنت ما تريد الى هذا ؟ رواه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه وأبناء جرير والمنذر وأبي حاتم وعدي في الكامل وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الرؤية وقد انفرد به عند مصححيه حماد ابن سلمة وهو من رجال مسلم الا أنه قد تغير حفظه في آخر عمره كما هو معلوم وله طريقان آخران عند داود بن المحبر وابن مردويه لا يصحان كما قال الحافظ ابن كثير . والمراد من التمثيل بالابهام والخنصر ان ذلك اقل التجلي وأدناه ، وسيأتي من الصحيح ما يؤيد معناه

ومن أنكر هذه الروايات وأوهاها ما روي عن أنس مرفوعا « لما تجلى الله للجبل طارت لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة ... » وذكرها قال الحافظ ابن كثير وهذا حديث غريب بل منكر . أقول ولا يدخل

من ألفاظ الآية ولا معناها في شيء

﴿ فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين ﴾ أي (فلما أفاق) موسى من غشيه والتعبير بالافاقة يدل على صحة تفسير ابن عباس والجمهور للصعق بالغشي وبطلان تفسير قتادة له بالموت وقال به بعض شذاذ الصوفية وادعوا انه رأى ربه فمات ، أو مات ثم رأى ربه، ولو مات لقال تعالى « فلما بعث » الخ كما قال في السبعين الذين اختارهم من قومه وذهبوا معه الى الجبل وطلبوا منه ان يريهم الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فانه قال « ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » كما في سورة البقرة، وسيأتي خبرهم في هذه القصة من هذه السورة — (قال سبحانك) أي تنزيهاً لك وتقديساً عما لا ينبغي في شأنك مما سألتك او من لوازمه — أو كما حكى تعالى عن نوح عليه السلام (أن أسألك ما ليس لي به علم) واكثر مفسري أهل السنة يجعلون وجه التنزيه والتوبة انه سأل الرؤية بغير إذن من الله تعالى و نفي العلم انما يصح عندهم بمعنى ان ماسأله غير ممكن أو غير واقع في هذه الحياة الدنيا، لانه غير ممكن في نفسه وغير واقع البتة ولا في الآخرة. ومعنى التوبة الرجوع والمراد هنا الرجوع عما طلب ، الى الوقوف مع الرب تعالى عند منتهى حدود الادب . قال مجاهد (تبت اليك) أن أسألك الرؤية (وانا أول المؤمنين) قال ابن عباس ومجاهد: أي من بني اسرائيل ، وفي رواية أخرى عن ابن عباس: وأنا أول المؤمنين انه لا يراك احد، ذكرهما الحافظ ابن كثير وقال : وكذا قال أبو العالية : قد كان قبله مؤمنون ولكن يقول انا اول من آمن بك انه لا يراك احد من خلقك الى يوم القيامة . قال : وهذا قول حسن له اتجاه . وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره ههنا اثراً طويلا فيه غرائب وعجائب عن محمد بن اسحق بن يسار وكأنه تلقاه من الاسرائيليات والله اعلم اه

خلاصة معنى الآية ان موسى عليه السلام لما نال فضيلة تكليم الله تعالى له بدون واسطة فسمع ما لم يكن يسمع قبل ذلك وهو من الغيب الذي لا شبه له ولا نظير في هذا العالم طلب من الرب تبارك وتعالى ان يمنحه شرف رؤيته وهو يعلم حتما انه تعالى ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته التي منها كلامه عز وجل فكما انه سمع كلاما ليس كمثله كلام بتخصيص رباني — استشرف لرؤية

ذات ليس كمثلها شيء من الذوات، كما فهم من ترتيب السؤال على التكليم، فلم يكن عقل موسى — وهو في الذروة العليا من العقول البشرية بدليلي العقل والنقل — مانعا له من هذا الطلب، ولم يكن دينه وعلمه بالله تعالى وهما في الذروة العليا ايضا ما نعين له منه. ولكن الله تعالى قال له (لن تراني) ولكي يخفف عليه ألم الرد وهو كليمه الذي قال له في اول العهد بالوحي اليه (واصطنعتك لنفسي) اراه بعينيه ومجموع ادراكه من تجليه للجبل ما لا يعلمه سواه ان المانع من جهته هو لا من جانب الجود الرباني، فنزه الله وسبحه وتاب اليه من هذا الطلب، فبشره الله تعالى بأنه اصطفاه على الناس برسالته وبكلامه اي دون رؤيته، وامره أن يأخذ ما اعطاه، ويكون من الشاكرين له،

﴿ قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ﴾ الاصطفاء اختيار صفوة الشيء وصفوه اي خالصه الذي لا شائبة فيه، ومنه الصفيّ من الغنيمة وهو مايصطفيه الامام أو القائد الاكبر من الغنيمة ويختاره لنفسه كاختيار النبي (ص) السيف المعروف بذي الفقار من غنائم غزوة بدر. وتعدية الاصطفاء هنا بعلى لتضمنه معنى التفضيل، فالمعنى إني اصطفيتك مفضلا إياك على الناس من اهل زمانك بالرسالة. قرأ ابن كثير ونافع «برسالتي» والباقون برسالاتي، فافرادها بمعنى الاسم من الارسال وجمعها باعتبار تعدد ما ارسل به من العقائد والعبادات والاحكام السياسية والحربية والمدنية والشخصية، وقيل بتعدد اسفار التوراه وهو ضعيف لان التوراة ما أوحاه من الشريعة الى موسى وهو موضوع رسالته وتسمية الاسفار الخمسة بالتوراة اصطلاحية وقد يطلقونها على جميع كتب أنبياء بني اسرائيل قبل عيسى عليهم السلام وبتكليمي لك بلا وحي الالهام من غير واسطة ملك وان كان من وراء حجاب وهو ما طلب رفعه لتحصيل الرؤية مع الكلام، ووحي الله تعالى ثلاثة انواع بينها بقوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم) فهذا النوع الاوسط هو الاعلى وقد اعطي لموسى عليه السلام بعد النوع الاول وقيل بالعكس، وقد بينا ما فيه من وجه الخصوصية في تفسير قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما من سورة البقرة

﴿ فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ أي فخذ ما اعطيتك من الشريعة «التوراة» وكن من الراسخين في الشكر لنعمتي بها عليك وعلى قومك، وذلك باقامتها بقوة وعزيمة والعمل بها، وكذا لسائر نعمي فان حذف متعلق الشكر يدل على عمومه، كما ان صيغة الصفة منه تدل على التمكن منه والرسوخ فيه

﴿ فصل ﴾

﴿ في اختلاف المسلمين في الرؤية وكلام الرب تعالى وتحقيق الحق فيهما ﴾

كان جماعة الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون هذه الآيات وامثالها ولا يرون فيها اشكالا وهم اعلم العرب بلغة القرآن وبمراد الله تعالى من آياته فيه لتلقيهم اياها من الرسول المنزلة عليه المأمور فيها ببيانها للناس، ثم انتشر الاسلام ودخل فيه من الاعاجم من كانوا على اديان مختلفة وصاروا يتلقون لغته بالتلقين ويقتبسونها بمعاشرة العرب الخلص ثم بالتعليم الفني، ثم صارت السلائل العربية كذلك. ثم حدثت في الجميع الاصطلاحات العلمية والفنية لما وضعوا من العلوم الشرعية كأصول العقائد والفقه والحديث واللغوية كالنحو والصرف والبيان، ولما ترجموا من كتب علوم الاوائل وما زادوا فيها من الرياضيات والعقليات والوجدانيات وسائر سنن الموجودات، فامتزجت هذه الاصطلاحات بلغة القرآن والحديث فصارت آلات لفهمهما، وسببا للخطأ في تعيين بعض المراد منها

ثم حدث ما هو أدعى الى الخطأ في الفهم وهو عصبية المذاهب والشيع التي فرقت بين المسلمين، على ما جاء في التفرق والتفريق من الوعيد الشديد، فصار كل منتم الى شيعة وحزب لا ينظر في الكتاب والسنة الا بالمنظار المعبر عنه بمذهب الحزب، وان كان من أهل النظر والاستدلال، ومدعي الاجتهاد والاستقلال، والبداهة قاضية بالتضاد بين التقيد بالمذهب، والاستقلال الصحيح المسمى عندهم بالاجتهاد المطلق.

وهنالك سبب آخر وهو حشر الاسرائيليات والروايات الموضوعة والواهية في تفسير القرآن وكتب السنة وتقاصر الاكثرين عن تمحيصها، والتمييز بين حقها

وباطلها ، فان بعض الاسرائيليات قد اشتبه بالاحاديث المرفوعة كما بينه بعض نقاد الحفاظ ومنهم ابن كثير في تفسيره

فبهذه الاسباب أبطلوا مزية كتاب الله وخاصيته في رفع الخلاف والتفرق المفسدين لامر الملة والامة اتباعا لسنن من قبلهم وهم لا يشعرون ، لانهم جعلوه هو موضع الخلاف أيضا ، قال تعالى (٢ : ٢١٣ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) الآية . وقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة) وقال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا)

فالرد الى كتاب الله وما بينه من سنة رسوله لازالة التنازع وحسم الخلاف تفاديا من التفريق والتفرق المنافي لوحدة الدين يتوقف على جعل الكتاب وبيان الرسول له فوق التنازع واختلاف المذاهب والشيع ، والا كان الدواء عين الداء

(فان قيل) إن القرآن ليس موضوع اختلاف بين الشيع والاحزاب المختلفين في المذاهب الاسلامية ، فهم مجمعون على أن من رد شيئا منه كان مرتدا عن الاسلام — ان كان قد عد من أهله — وانما الاختلاف في فهمه ، وأما السنة فاختلفوا في رواية بعضها وفي فهم بعض ، ومن صح عنده منها شيء يتعلق بأمر الدين وجب الاخذ به في كل مذهب من المذاهب التي يعتد باسلام اهلها. والاختلاف في فهم ماكان غير قطعي الدلالة ضروري لا يتناوله مثل قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

ونجيب عن هذا - أولا - بأنهم انما كانوا كذلك في كل ذلك قبل الفتن وعصبية المذاهب واما بعدها فقد صرح بعض كبار فقهاء الحنفية بأن الاصل عندهم في كل حكم كلام اصحابهم فان وجدوا آية تخالفه (!!) تلمسوا لها ناسخا فان لم يجدوا أولوها، وان وجدوا حديثا مخالفا له (!!) بحثوا في اسناده فان وجدوا فيه مطعنا نبذوه والا فعلوا في التفصي منه ما يفعلون في التفصي من القرآن !! وقد جرى على ذلك أهل كل مذهب الا أفرادا من كبار النظار خالفوا المذهب في بعض المسائل

الكلامية والاصولية بالدليل ، وبعض كبار المحدثين رجحوا بعض الاحاديث الصحيحة الصريحة على المذهب ، وان شئت فراجع بعض الشواهد على ردهم لها في «كتاب الموقعين» المحقق ابن القيم و — ثانيا — بان الله تعالى يكلفهم أن لا يجعلوا ما ليس قطعي الدلالة سببا للتفرق والتعادي وتأليف الاحزاب والشيع التي يلقن أتباع كل منها فهم رجل أو رجال يسمونه مذهبهم ويتعلمون معه الرد على مخالفيهم وتفسيقهم أو تكفيرهم ، وبهذا كان الاختلاف ضارا ومفسدا على المسلمين ومن كان قبلهم من أهل الملل أمور دينهم ودنياهم ، وهو المراد بقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) الآية ولولاه لما كان أولئك العلماء الاعلام من المعتزلة والاشعرية يتنابزون بالالقاب، ويتبارون بالسباب، ويتهاجون بالاشعار ، كقول الزمخشري المعتزلي بعد تفسيره لآية الاعراف التي نحن بصدد تفسيرها : ثم تعجب من المتسمين بالاسلام ، المتسمين بأهل السنة والجماعة ، كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ؟ ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة ، فانه من منصوبات أشياخهم — يعني بالبلكفة قولهم انه تعالى يرى بلا كيف أي إن رؤيته ليست كرؤية أهل الدنيا بعضهم لبعض فيما يلزمها من كون المرئي جسما كثيفا تحيط به أشعة البصر — ثم قال والقول ما قال بعض العدلية فيهم :

وجماعة سموا هواهم سنة لجماعة حمر لعمري موكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة

يعني بالعدلية جماعته المعتزلة فانهم سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد فانظر الى جعله اثبات الرؤية الثابتة في الاحاديث المتفق على صحتها منافيا للاتسام بالاسلام والتسمي بأهل السنة ، وهو يعلم أنهم ينفون التشبيه في الرؤية بالتصريح كما ينفيه هو ، فلو لا تعصب المذهب لما ألزمهم اياه بدلالة اللزوم الضعيفة التي قالوا فيها «لازم المذهب ليس بمذهب» قيل مطلقا وقيل فيما لم يدل الدليل على التزام صاحب المذهب له ، وأما ما صرح بنفيه فلا وجه لاسناده اليه البتة ، ومن نسبه اليه وذمه به كان ظلوما جهولا

ولو أن الزمخشري وشاعر العدلية لم يقولا ما قالا من الطعن والهجو في أهل السنة بأن اكتفى الزمخشري في تأويل أحاديث الرؤية بما أولها به من

كون الرؤية فيها عبارة عن كمال لمعرفة الجلية لما جوريا في ذلك بمثل ذنبهما أو أكثر كما قال أحمد بن المنير الاسكندري في (الانتصاف) حاشيته على الكشاف :

وجماعة كفروا برؤية ربهم   حقا ووعد الله ما لن يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل   عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا إنهم   إن لم يكونوا في لظى فعلى شفه

وللشيخ تاج الدين السبكي صاحب جمع الجوامع وغيره مثل هذا الشعر المحزن ، والبادىء بالشر أظلم ، وهؤلاء الذين هجوا عدلية المعتزلة بمثل ما هجا به شاعرهم أهل السنة كافة هم من الاشعرية الذين يقولون مثلهم بالتأويل ، ويشنعون على اخوانهم من الحنابلة وغيرهم من السلفيين في بعض مسائل التفويض ، كالنصوص في علو الله تعالى خلقه ، واستوائه على عرشه ، التي اتبعوا فيها اجماع السلف أو جمهورهم الاعظم في امرارها كما جاءت مع تنزيه الرب تعالى عن مشابهة الخلق والتحيز والحد والحلول ، لان أصل عقيدتهم أنه تعالى مباين لخلقه بذاته وصفاته (ليس كمثله شيء) بل أول الامام أحمد بن حنبل نفسه نصوص المعية كقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) فخصه بالعلم

فالحق الواقع أن المختلفين في فهم النصوص من المسلمين الصادقين يؤمنون بها ويعظمونها ولكن غلب على قوم ترجيح جانب التنزيه حتى انتهى ببعضهم الى التعطيل ، وجعل صفات الرب تعالى سلبية بضروب من التأويل ، وغلب على قوم جانب الاخذ بالظاهر في ذلك حتى وقع بعضهم في التشبيه فعلا ، لأن الكتاب والسنة خلو من المجاز والكناية في ذلك مع العلم بأن ما عدا اسم الجلالة من ألفاظ اللغة قد وضع قبل نزول القرآن للتعبير به عن المخلوقات وشؤونها ، فالفريقان أرادا تعظيم الرب تعالى وسد ذريعة القول في ذاته وصفاته بغير الحق الذي يرضيه ، هؤلاء خافوا التعطيل ورد شيء من النصوص أو تحكيم الاهواء في تأويلها — وأولئك خافوا الوقوع في تشبيه الرب سبحانه بخلقه ، وسد ذريعة ما يعد نقصا في حقه ، فالنية كانت حسنة من الجانبين كما قال شيخنا الشيخ حسين الجسر الطرابلسي رحمه الله تعالى في درسه عند قراءة شرحي السنوسية والجوهرة

ولكن الذين ضلوا بالتأويل والتعطيل كثيرون حتى خرجت به عدة فرق من الملة بعضهم باطنا لا ظاهرا وبعضهم باطنا لا ظاهرا كالباطنية الذين تركوا أركان

الاسلام، من صلاة وزكاة وحج وصيام، زاعمين أن لها معاني غير ما عمل به النبي (ص) وأصحابه وأجمع عليه المسلمون، وكغلاة الصوفية الذين ذهبوا في التأويل الى ما وراء طور العقل والنقل وأساليب اللغة، فادعوا أنهم يرون الله تعالى عيانا في جميع الصور، ويتلقون عنه كالانبياء، وأن فيهم من هم أفضل من الانبياء وأعلم بالله تعالى، ومنهم من ادعى رفع التكليف عمن بلغ مقاماتهم في المعرفة، بل منهم من غلا في وحدة الوجود الى ادعاء الربوبية للبشر والبقر، والحجر والمدر، وما يستحيي أو يتنزه قلم المتدين الاديب عن ذكره والى عدم التفرقة بين موحد ومشرك، ومؤمن وكافر، وبر وفاجر وعادل وجائر، وطيب وخبيث، ولا بين نافع وضار، وطهور ورجس. ويستدلون على عقائدهم أو مزاعمهم بالآيات والاحاديث، بضروب من التأويل، وقد قال بعضهم:

عقد الخلائق في الاله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ولم يقع من فرقة أحد بظواهر نصوص الكتاب والسنة من غير تأويل ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل، في مثل هذا الضلال البعيد، فهؤلاء الظاهرية ومن يسمونهم غلاة الحنابلة من أقوى المسلمين ايمانا، واصحهم اسلاما، وما رموا به من التشبيه والتمثيل الذي نفاه النص والعقل ظلم سببه التعصب المذهبي فاذا كانوا يثبتون للرب تعالى كل ما أثبته لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله فيما صح من حديثه، حتى فيما يفوضون كنهه اليه تعالى للاعتراف بأن عقولهم لا تحيط به، فهل يعقل أن يثبتوا له ما نفاه عن نفسه بقوله (ليس كمثله شيء) وهو مما يعقلونه ولا يعقلون ضده؟ كلا ان تعصب أصحاب النظريات الكلامية من المعتزلة ومن يقرب منهم من متأولة الاشعرية هم الذين افتأتوا عليهم بما الزموهم إياه مما نفوه من لوازم ما صح في الكتاب والسنة من علوه تعالى على خلقه، واستوائه على عرشه، وكونه ينزل الى سماء الدنيا ويحب ويبغض ويضحك الخ مع استصحاب نص التنزيه، فهم لا يرون فرقا بينها وبين كونه يسمع ويبصر ويتكلم، وكذا يعلم ويريد ويشاء ويقدر، فكل ذلك مما يطلق على الخلق والخالق مع انتفاء التشبيه. وانما ذنبهم عندهم أنهم لا يستعملون نظريات أفكارهم في التحكم بتأويل هذه النصوص، ولم يكلف الله تعالى أحدا من خلقه

هذه النظريات الفلسفية الكلامية ، وإنما كلفهم الإذعان بجميع ما جاءهم به رسله (ص) وأصل الدين الذي بعث الله تعالى به جميع رسله الى خلقه هو أن يعبدوا الله تعالى وحده ولا يشركوا به شيء من خلقه، وأن يعبدوه بما شرعه لهم دون غيره ، اذ ليس لغيره أن يشرع شيئا من الدين بدون اذنه . فالله تعالى قد شرع الدين لجميع أفراد الامة ، وهذه الفلسفة الكلامية من دقائق النظريات الفكرية التى انفرد بالغوص عليها أفراد معدودون من أذكياء الأمم فتفرقوا فيها واختلفوا لان التفرق والاختلاف من لوازمها البينة ، فعصوا الله تعالى في نهيه عن التفرق والاختلاف في الدين ، فكيف يقول عاقل ان جميع المؤمنين قد كلفوها ، واذا كانت صحة الإيمان تتوقف عليها فكم عدد المؤمنين في الامة كلها ؟ واذا كان الحق فيها واحدا كما يقولون فكم عدد أهل الحق منهم ؟ وكيف السبيل لدى كل من احتكر الحق فيها لنفسه الى تلقين السواد الاعظم من الامة ما يراه بحيث لا يقبل سواه؟ فان كان هو أصل الدين الذي لا يقبل الله غيره ففهم الدين متعذر على أكثر الامة ،

وأما ما كان عليه السلف الصالح في صدر الامة فكان سهلا ويسيرا كما وصف الله ورسوله هذا الدين وهذه الملة : كان جميع المسلمين في الصدر الاول يصفون الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله من غير تشبيه له بأحد من خلقه ، ومن غير هذه الفلسفة الكلامية التى لم يشرعها الله تعالى ولا أنزل بها من سلطان، ولذلك استنكر جميع أئمة السلف علم الكلام وعدوه بدعة سيئة ، ومن خاض فيه بعد ذلك من أتباعهم فلأنهم ظنوا انه يتوقف عليه ابطال البدع وازالة الشبهات المشككة في الدين لا لذاته، وأرادوا به ازالة الخلاف فزادهم خلافا وافتراقا، حتى صار أكثرهم يزعم أن العقائد الصحيحة لا تعرف الا به، ويحصرها كل فريق في مذهبه. ولا سلامة للمسلمين في دينهم ودنياهم الا بالرجوع في الدين المحض الى ما كان عليه السلف وفي أمور الدنيا الى ما أثبته العلم والتجارب في هذا العصر، وأن ينبذوا جميع الأسباب والكتب التى كانت مثار الخلاف والتفرق و[illegible] هم ، ولا يجعلوا قول عالم من علمائهم ولا فهمه سببا للتعادي والتفرق بينهم ، بل يعدوا ما ليس قطعيا من كتاب ربهم وسنة رسولهم واجماع سلفهم من الاجتهاد الذي يعذر به من قام دليله

عنده ومن وثق به ولا يكون حجة على غيره. وقد فصلنا القول في هذا في مجلتنا (المنار) مرارا. فبهذا يزول ضرر اختلاف المذاهب في الاصول والفروع، ويتراجع الجميع الى وحدة الدين وأخوّة الاسلام، فينالوا من سعادة الدنيا ثم الآخرة ما شرع الله لهم الدين لاجله

بعد هذا التمهيد نقول ان مسألة الكلام الالهي كمسألة الرؤية فيما اختلف فيه من تأويل وتفويض، اجتنابا من قوم للتعطيل ومن آخرين للتشبيه؛ وإنما الفرق بينهما ان إثبات الكلام والتكليم لله تعالى صريح في القرآن المجيد في آيات متعددة لا تعارض بينها، وأما رؤية الرب تعالى فربما قيل بادي الرأي إن آيات النفي فيها أصرح من آيات الاثبات كقوله تعالى (لن تراني) وقوله تعالى (لا تدركه الابصار) فهما أصرح دلالة على النفي من دلالة قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة، الى ربها ناظرة) على الاثبات فان استعمال النظر بمعنى الانتظار كثير في القرآن وكلام العرب كقوله (ما ينظرون إلا صيحة واحدة — هل ينظرون إلا تأويله — هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وثبت انه استعمل بهذا المعنى متعديا بالي ولذلك جعل بعضهم وجه الدلالة فيه على المعنى الآخر — وهو توجيه الباصرة الى ما تراد رؤيته — انه اسند الى الوجوه وليس فيها ما يصح اسناد النظر اليها إلا العيون الباصرة، وهو في الدقة كما ترى؛ ولذلك اختلف في فهمها العلماء قبل هذه المذاهب، فقد روى عبد بن حميد عن مجاهد تفسير (ناظرة) بقوله: تنتظر الثواب. قال الحافظ ابن حجر: سنده الى مجاهد صحيح، والجمهور يرون فهم مجاهد غير صحيح ولكن المعتزلة والخوارج والشيعة يرونه صحيحا، وفي الفريقين من أساطين علماء اللغة ما يسوغ لك أن تقول لكنه كما قاله ليس صريحا، أو ليس قطعي الدلالة بحيث يعد حجة على جميع المكلفين، ويمتنع جعل تأويله عذراً للمخالفين، وقد كان النبي (ص) يعذر اصحابه في اختلاف فهمهم للنصوص، ويقرهم على ما كان للاجتهاد فيه وجه وجيه، كاخذ بعضهم بظاهر نهيه إياهم عن صلاة العصر إلا في بني قريظة اذ ذهب بهم اليهم، وأخذ الآخرين بفحواه وهو عدم التخلف، فصلى هؤلاء في الطريق وادركوا معه بني قريظة في الموعد، ولم يصل اولئك العصر إلا فيها. وكفهم بعضهم تحريم الخمر والميسر من آية البقرة التي رجحت اثمهما على منافعهما

فتركوهما ، ولم يتركهما من لم يفهم ذلك وهم الاكثرون إلا بعد نزول النص القطعي باجتنابهما

فاذا محضنا أسباب الخلاف من جهة النصوص وحدها وجدنا لكل من النفاة للرؤية والمثبتين لها مايصح أن يكون له عذراً عند الآخر بمنع جريمة التفرق في الدين وجعل اهله احزابا وشيعا متعادية غير مبالية بما ورد فيه من الوعيد الذي كاد يجعله كالكفر ، ما دام كل منهم يعلم أن الآخر يؤمن بان جميع ماجاء به الرسول (ص) من الدين حق ، وان الخلاف محصور في اختلاف الفهم،

وما كفر بعض علماء السلف بعض منكري الرؤية وغلاة التأويل لصفات الله تعالى وغيرها من النصوص إلا لاعتقادهم أنهم زنادقة لبسوا لباس الاسلام للافساد ، وبث دعوة الالحاد ، والتجرئة على رد نصوص القرآن والسنن التى تلقاها الصدر الاول بالقبول، او تحريفها بالتأويل عما فهموه اوعما ثبت عندهم بالعمل .اذكانوا قدعلموا أن بعض اليهود كعبد الله بن سبأ وبشر المريسي وبعض المجوس ومن سلائلهم جهم بن صفوان قد بثوا في المسلمين دعوة الكفر او البدع الداعية الى النفاق، اوالمفضية الى الشقاق ، فالامام احمد كفر منكري الرؤية من هؤلاء لاعتقاده فيما نرى انها صادرة عن زندقة ،لا لان هذا الانكار نفسه زندقة، بحيث يرتد المسلم المؤمن بالنصوص كلها بقلبه ولسانه وعمله اذافهم أن ايات نفي الرؤية هو الاصل المحكم الذي يرد اليه ماورد من الآيات والاحاديث في اثباتها ، اذ الاول هو الموافق للعقل والنقل وهو التنزيه ، دون الآخر المستلزم عنده للتشبيه ، الواجب تأويله للجمع بين النصوص لالرد شيء منها

وأهل السنة يعذرون كل المتأول وكذا الجاحد لما ليس مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة فلا يكفرونه بمخالفته للظواهر، ولا يعدون البدعة من هذا القبيل مسقطة للعدالة في الرواية، قالوا إلا اذا كان صاحبها داعية ، لان الدعوة الى أمر ديني لم يؤثر عن الصدر الاول احداث لفتنـة وتفريق بين الموحدين كمسألة خلق القرآن، فما القول في الدعوة الى ما أثر عن الصدر الاول خلافه كالرؤية ؟ ثم ما القول في الدعوة الى مخالفـة النصوص القطعية التى لاتحتمل التأويل لغة ولا شرعا ومخالفة ما اجمع عليه المسلمون وهو معلوم من الدين بالضرورة كدعاوي الباطنية المعلومة، ومثلها دعوى المسيحية القاديانية الهندية ، التي يلقب اهلها بالاحمدية،

أن رئيس نحلتهم ميرزا غلام احمد القادياني هو المسيح المبشر بعودته الى الدنيا في بعض الاحاديث ، وانه كان يوحي اليه ، ونسخت فرضية الجهاد على لسانه فصار من الواجب على المسلمين عندهم أن يستسلموا للاجانب المستعبدين لهم ، السالبين لاستقلالهم ، المبطلين لشريعتهم ، ولا يجوز لشعب اسلامي عندهم أن يدافع بالقتال عن ملته ووطنه ، وإنما جعل القادياني هذا من اصول دينه خدمة للانكليز ، ولا يزال الباب مفتوحا عند اتباعه لمثل هذا بزعمهم أن وحي النبوة متصل في خلفائه وأتباعه ، فالقول بهذا خروج من ملة الاسلام ، لا تنفع معه صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صيام . وما أفضى الى هذا الضلال المبين إلا التوسع في باب التأويل ،

(فان قيل) إن كلا من مثبتي رؤية الرب تعالى في الآخرة ونفاتها قد ادعى بعضهم أن النصوص التي يستدل بها على مذهبه قطعية ، حتى إن النافي جعل نصوص الاثبات دالة على النفي ، والمثبت جعل نصوص النفي دالة على الاثبات ، كقول بعض النفاة ان قوله تعالى (الى ربها ناظرة) يفيد الحصر بتقديم الجار والمجرور على المتعلق أي تنظر الى ربها وحده دون سواه كقوله : ألا الى الله تصير الامور — وأن الى ربك المنتهى) أي لا الى سواه . ولما كان عدم نظرها الى غير ربها ممنوع عقلا ونقلا وجب حمل النظر على معناه الآخر وهو الانتظار بمعنى انها لا تنتظر الخير من غيره (راجع الكشاف)

ويقابل هذا من بعض أهل الاثبات الاستدلال بقوله تعالى (لا تدركه الابصار) على رؤيته تعالى من حيث إن الادرك معناه الاحاطة ، وادراك الابصار إنما احاطتها بالمرئي ، فنفي الادراك يستلزم اثبات رؤية لا ادراك فيها ، فكأنه قال لا تدركه الابصار التي تراه وهو يدرك الابصار التي يراها ويحيط بها . ونظيره قوله تعالى (يعلم مابين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) أي هو يحيط بهم علما لانه يعلم مابين ايديهم وما خلفهم (والله من ورائهم محيط) وهم لا يحيطون به علما لان إحاطة المحاط به بالمحيط محال ، وهو يستلزم اثبات أصل العلم به لا نفيه كآية نفي ادراك الابصار ؛ وكل منهما جار على قاعدة معروفة في اللغة وهي أن نفي المقيد يقصد به الى القيد وان نفي وصف خاص لمعنى عام يستلزم إثبات ذلك العام كقولك : فلان لا يشبع - فانه اثبات للاكل ونفي للشبع .

هذا توجيه لهذا الاستدلال فتح الله تعالى به علينا وقد رأينا للشيخ تقي

الدين بن تيمية توجيها آخر ماخصه أن الله تعالى ذكر هذه الآية في مقام التمدح وانه يكون المدح بالاوصاف الثبوتية لا بالعدم المحض ، وما تمدح تعالى بامر سلبي أوعدمي إلا اذا تضمن معنى ثبوتيا كنفي السنة والنوم المتضمن لكمال القومية ونفي الموت المتضمن لكمال الحياة ، ونفي الشريك والظهير المتضمن لكمال الربوبية والالهية ، ونفي الشفاعة عنده إلا باذنه المتضمن لكمال توحيده وغناه عن خلقه ، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ... قال فكذلك نفي ادراك الابصار ليس معناه انه لايرى بحال لان هذا يشاركه فيه العدم المحض والرب جل جلاله يتعالى أن يتمدح بما يشاركه فيه العدم المحض ، فالمعنى اذا أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به — كنظائره — فقوله (لا تدركه الابصار) يدل على غاية عظمته وانه أكبر من كل شيء ، وانه لعظمته لايدرك بحيث يحاط به ، * فان الادراك هو الاحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية . ثم استدل على هذا المعنى لغة بمانستغني عن ذكره بما أوردناه في تفسير هذه الآية من سورة الانعام فقد حققنا المعنى اللغوي للادراك وألممنا بمسألة الخلاف في الرؤية ووعدنا بتفصيل الكلام فيه عند تفسير آية الاعراف التي نحن في صدد تفسيرها الآن

(وجوابنا) عما ذكر ان هذه الدقائق اللغوية مما يخفى على اكثر علماء اللغة — وكذا أهل السليقة ايضاً — ولذلك اختلفوا في معناها فكيف يقال في شيء منها انه نص قطعي لا يحتمل التأويل

وغرضنا من هذا التطويل ببيان حجج كل فريق اقناع أهل البصيرة في الدين ، والاخلاص في جمع كلمة المسلمين ، من المستقلين في الفهم ، والراسخين في العلم ، حتى المولودين في مهود المذاهب ، والناشئين في حجور الاحزاب والشيع ، أن يجتهدوا في التوفيق والتأليف ، ومنع جعل هذه المسألة وأمثالها من أسباب التفريق ، فضلا عن جعلها من أسباب التكفير أو التفسيق ، وليعذرنا من يرانا نخالف فهمه أو مذهبه في ترجيحنا للمأثور عن جمهور

*) تعليلنا هذا لعدم ادراكه تعالى باحاطته بكل شيء اظهر وابعد عن الايهام من تعليل شيخ الاسلام اياه بعظمته سبحانه ، واظهر منه تعليل آية الاعراف نفسها اياه بلطفه وكل منهما صحيح ولكل منهما موقع — راجع ص ٥٦ ج ٧ تفسير

السلف الصالح فيها وفي جميع أمور الدين ، ثم لعذرنا اخواننا السلفيون في تقريب مذهب السلف الى العقول التي لا يرجى أن تهتدي به وتأخذه بالقبول الا باثباته بما ألفت من طرق الاستدلال ، وايضاحه بما يقربه اليها من ضرب الامثال، وقد سبق لنا تحقيق هذين الامرين معا بفتوى نشرت في ص ٢٨٢ — ٢٨٨ من المجلد التاسع عشر من المنار ، فيحسن ان تضاف الى هذا البحث، وان يلخص الموضوع في قضايا معدودة تكون اضبط له واجمع لما يحتاج اليه المسلمون منه في دنياهم وآخرتهم، وان كان فيه تكرار فان التكرار في ايضاح الحقائق ضروري

قضايا جامعة في مسألة الرؤية

(١) ان اثبات رؤية الرب تعالى في الدار الآخرة المخالفة لهذه الدار في شؤونها وشؤون أهلها وسنن الله تعالى فيهما بالقيود التى قيدها بها المثبتون لها من تنزيهه تعالى عن مشابهة خلقه — ليس من المحالات العقلية الثابتة بالضرورة والا لما وقع فيها خلاف البتة ، ولا بالبراهين العقلية التي تنتهي الى الضرورة والا لارتفع الخلاف فيها بين حذاق النظار عند وصول البرهان الى هذا الحد، ولم يقم هذا ولا ذاك

(٢) ان الآيات القرآنية فيها ليست نصوصاً قطعية الدلالة في الاثبات وحده ولا في النفي وحده ، والا لما وقع الخلاف فيها البتة ، وقد وقع هذا الخلاف فيها بين قليل من السلف وكثير من الخلف ،ففهم عائشة لآية الانعام ومجاهد لآية القيامة مخالف لراي جمهور اهل السنة . — فعلم انها غير قطعية الدلالة بحيث لا تحتمل الا أحد الوجهين ، فهي اذا ظنية والترجيح فيها بين ما ظاهره الاثبات وما ظاهره النفي محل الاجتهاد ، ولا شك في أن كلا من المثبتين والنفاة يعتقد صحة ترجيحه نظراً واستدلالا ، او اتباعاً وتقليدا . فالمسألة بينهما مشتركة الالزام، فلا وجه لطعن احدمنهما في دين الآخر ولا في علمه بها

(٣) ان في الاحاديث الصحيحة من التصريح في اثبات الرؤية مالا يمكن المراء فيه ولكن المراد من هذه الرؤية غير قطعي ، وفيها ما قد يدل على عدم الرؤية ، فيأتي فيها الخلاف بين السلف والخلف حتى من المنسوبين منهم الى السنة كالاشعرية بين التفويض والتأويل ، لانها بحسب اصطلاحهم من النصوص الموهمة للتشبيه ، وقد قال صاحب جوهرة التوحيد من الاشعرية :

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوّض ورُم تنزيها

(٤) ان جمهور السلف والحنابلة وأهل الأثر أهل الحديث يقرون في جملة النصوص الواردة في صفات الله تعالى وشؤونه وأفعاله بمعنى أنهم يمرونها كما جاءت من غير تحكم في تأويل يخرجها عن ظواهر معانيها وينزهونه سبحانه عن مشابهة خلقه فيما أطلق عليهم من مثل تلك الالفاظ الدالة على تلك الصفات والشؤون والافعال ، وان جمهور الخلف من سائر الفرق يتأولون ما عدا صفات المعاني كالعلم والقدرة والارادة حتى الاشعرية من أهل السنة وانما تراهم أقرب الى السلف في المسائل الكبرى التي اختلفوا فيها مع المعتزلة كالكلام الالهي ورؤية الرب سبحانه وتعالى . وقد شنع بعضهم على الحنابلة بأشد ما يشنعون به على المعتزلة ، ولكنهم لاتفاقهم على كون احمد بن حنبل من كبار أئمة السنة يسلونه ممن يشنعون عليهم من أتباعه سلا، ويبرؤنه من أقوالهم فرعا وأصلا

(٥) ان من أصح الشواهد على ما ذكرنا في هذه القضايا العامة مارواه الشيخان عن مسروق عن عائشة واللفظ لمسلم قالت : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية - - قلت : ما هن ؟ قالت : من زعم أن محمداً (ص) رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية — قال مسروق: وكنت متكئاً فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل (ولقد رآه بالافق المبين* ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول (ص) فقال « انما هو جبريل لم أره على صورته التي خلقه الله عليها الا هاتين المرتين : رأيته منهبطاً من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء الى الارض » فقالت أولم تسمع أن الله يقول (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) أولم تسمع أن الله يقول (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء إنه علي حكيم) ؟ قالت : ومن زعم أن محمداً (ص) كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون فقد أعظم على الله الفرية والله يقول (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله)

فعائشة وهي من افصح قريش تستدل بنفي الادراك على نفي الرؤية مع ما

علم من الفرق بينهما ، وتستدل على نفيها أيضاً بقوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب) وقد حملوا هذا وذاك على نفي الرؤية في هذه الحياة الدنيا ، ولكن ادراك الابصار الرب سبحانه محال في الآخرة كالدنيا ، والتعليل الصحيح لمثبتي الرؤية في الآخرة دون الدنيا أن البشر لا يقوى خلقه الدنيوي المعد للفناء ولا يطيق رؤية الرب تعالى كما تقدم ويقويه بعض الشواهد الاخرى ، وفيه بحث ذكرناه في الفتوي

(٦) ومنها مارواه مسلم من حديث أبي موسى (رض) قال : قام فينا رسول الله (ص) بخمس كلمات فقال (١) ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام (٢) يخفض القسط ويرفعه (٣) يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل (٤) حجابه النور — وفي رواية النار (٥) لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه »[1] والمعنى أن النور العظيم هو الحجاب الذي يحول بينه وبين خلقه وهو بقوته وعظمته ملتهب كالنار ، ولذلك رأى موسى عليه الصلاة والسلام عند ابتداء الوحي ناراً في شجرة توجه همه كله اليها فنودي بالوحي وراءها ، وفي التوراة ان الجبل كان في وقت تكليم الرب لموسى عليه السلام وإيتائه الالواح مغطى بالسحاب « وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على راس الجبل امام عيون بنى اسرائيل » (خرو ٢٤ : ١٧)

ورأى النبي الخاتم الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج نوراً من غير نار وربما كان هذا أعلى ولكنه كان حجابا دون الرؤية أيضاً فقد سأله أبو ذر (رض) هل رأيت ربك؟ فقال « نور أنى أراه » وفي رواية أخرى « رأيت نوراً » ومعناهما معاً رأيت نوراً منعني من رؤيته لا انه تعالى نور وأنه لذلك لا يرى ، وهذا يتلاقى ويتفق مع قوله « حجابه النور » ولذلك جعلنا أحاديث النور

---

(١) قول أبي موسى (رض) قام فينا بخمس كلمات معناه انه قام بهم مرة أو ليلة يعلمهم فيها هذه الكلمات الخمس ويشرح لهم معانيها . والقسط كما في نهاية ابن الأثير ميزان أعمال العباد المرتفعة اليه أو أرزاقهم النازلة من عنده اي يرفع درجات اعمال بعض العاملين وهم الصالحون المصلحون ويخفض درجات آخرين وهم اضدادهم — او يزيد وينقص في الارزاق كالوزان الذى يزن لكل مشتر بقدر ماله فالكلام تمثيل . وسبحات وجهه نوره وبهاؤه وجلاله ، قاله النووي

شاهداً واحداً في موضوعنا . وهي تدل على عدم رؤية ذات الله عز وجل وامتناعها كما يمتنع رؤية شيء تكون الشمس دونه حجابا له فمن ذا الذي تنفذ اشعة نور بصره من نور الشمس ونارها الى ما وراءها فتبصره ؟ وما هذه الشمس التي نراها على بعد قدّره علماء الهيئة الفلكية بأكثر من تسعين مليون ميل وسائر الشموس الكثيرة التي يرونها بالمناظر المقربة للابعاد والتي لا يرونها الا بعض ما أفاضه تعالى من النور على خلقه وهو (نور السموات والارض) وسبحات نور وجهه أعظم وأقوى ، وأجلّ وأعلى ، فلا تذكر معها أنوار الشموس الا من باب ضرب المثل الذي ورد (ولله المثل الاعلى)

وقوله (ص) « لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه » يدل على أن رؤية ذاته عز وجل رؤية إدراك مما يمتنع على جميع الخلق حتى الملائكة في الملا الاعلى لا في الدنيا فقط ، لان الوجه يعبر به عن الذات وفسروا وجه الله بذاته وان كان في أصل اللغة ما يواجه به الشخص غيره وفيه معارفه أي ما يعرف به ويمتاز عن غيره . ومعنى الجملة أنه تعالى لو كشف عن وجهه حجاب النور المخلوق الذي هو منتهى ما يصل اليه كل البشر عند ارتقائهم الى أعلى درجات المعرفة والعلم به عز وجل ، وتجلى سبحانه للخلق كافة بدون هذا النور الذي يحجبهم عنه ، لاحرقت سبحاته ما انتهى اليه بصره منهم ، أي لاحرقتهم كلهم فان بصره تعالى محيط بكل موجود في العالم كله من سمائه وأرضه ، وهو ضرب مثل خلاصته أن آخر ما يصل اليه العلم هو اكتشاف الحجاب الاخير الذي هو الفاصل بين المخلوق والخالق وهو النور الذي هو مبدأ التكوين ، ومصدر التطوّر والتلوين

قال الله تعالى (مالكم لا ترجون لله وقاراً ؟ وقد خلقكم أطواراً) وخلق الناس وكذا سائر المخلوقات أطواراً قد فصل في علوم سنن الله في التكوين ، ففي خلق الانسان من ذكر وأنثى أطوار ، وفي خلقه قبل ذلك من سلالة من طين أطوار ، وفي التكوين الاول للارض التي خلق منها أطوار ، وهي بعد المادة التي خلق منها السموات والارض المشار اليها بقوله (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) وقوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها

قالتا أتينا طائعين) الخ ، الظاهر أن هذه المادة المعبر عنها أو المشبهة بالدخان في هذه الآية هي المشبهة بالغمام المشابه للدخان في قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) فهذا كلام عن إعادة الخلق يوم القيامة وهي النشأة الاخرى، وذاك كلام في بدئه وهي النشأة الاولى ، وقد قال تعالى (ألم تروا كيف بدأ الله الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) وقال (كما بدأنا أول خلق نعيده)

اذا تذكرت هذا فاعلم أن كل ما يشغل الانسان عن معرفة الله تعالى ومراقبته من أطوار الخلق وشؤونه فهو حجاب له عنه فالحجب بين العبد و لرب كثيرة وطوبى لمن آمن وعرف أن له ربا وأن هذه المخلوقات حجب دونه، وانه فوقها بائن منها لا نشبهه ولا يشبهها، فانها حينئذ قد تكون من وسائل معرفته وشكره ومحبته، ولا تكون حجبا الا دون ادراك كنهه وحقيقته ؛ وان من الناس من تكون حجبا له دون الايمان والمعرفة، وسيأتي الفرق بين الفريقين في شاهد آخر. وقد روى الطبراني في الاوسط من حديث أنس (رض) مرفوعا «سألت جبريل هل ترى ربك؟ قال: ان بيني وبينه سبعين حجابا من نور لو رأيت أدناها لاحترقت» ورواه عنه تمام بلفظ « سبعين الف حجاب من نور ونار » وفي النهاية لابن الاثير أن جبريل عليه السلام قال « لله دون العرش سبعون حجابا لو دنونا من أحدها لاحرقتنا سبحات وجه ربنا » وهذه الروايات صحيحة المعنى وان كانت ضعيفة الاسناد لما يؤيدها من الصحاح . وعلماء الهيئة الفلكية يرون بما اكتشفوه بمناظرهم المكبرة عيانا ان أكثر هذه النجوم التى نراها أو ما عدا الدراري والاقمار منها كلها شموس منها ما هو أعظم من شمس عالمنا هذا وأبعد منه بسنين كثيرة من سني سير النور الذي يقطع به زهاء مئة مليون ميل في أقل من عشر دقائق، والنصوص تدل على انها كلها دون العرش

(٧) ومنها ما رواه الشيخان من حديث أبي موسى الاشعري مرفوعا « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم و بين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » قالوا ان الرداء هنا بمعنى الحجاب الذي ذكر آنفا وقد جعلوه من باب الاستعارة ولا اشكال في التعبير وانما الحديث صريح في عدم رؤية الذات

بدون حجاب . وقال الحافظ ابن حجر في شرحه من الفتح نقلا عن الكرماني بعد عده من المتشابهات: ظاهره يقتضي أن رؤية الله غير واقعة واجاب (اي الكرماني) بأن مفهومه بيان قرب النظر اذ رداء الكبرياء لا يكون مانعاً من الرؤية فعبر عن زوال المانع عن الابصار بازالة الرداء - وحاصله اذ رداء الكبرياء مانع عن الرؤية فكأن في الكلام حذفا تقديره بعد قوله « الا رداء الكبرياء » فانه يمن عليهم برفعه . . . الخ ماقاله - وفيه من التكلف ما لا ينبغي لحفاظ السنة الاعتداد به وهم ينكرون على الجهمية والمعتزلة مثله وماهو امثل منه من أويلاتهم

ثم ان الحافظ ابن حجر اعتمد في تأويل الحديث جعل رداء الكبرياء هنا عين الحجاب في حديث صهيب الذي اخرجه مسلم بعد حديث ابي موسى هذا كانه اراد تفسيره به - ورواه الترمذي والنسائي وغيرهما ايضا وهو قوله صلى الله عليه وسلم « اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون شيئا ازيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل» وفي رواية زيادة : ثم تلا (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) وفيه ان اهل الجنة هؤلاء لم يكونوا يعلمون انه سبحانه يرى بدون حجاب وان رؤيته في الموقف وملاقاته كانت مع الحجاب كهذه الملاقاة في الجنة عند سؤالهم عما يطلبون من زيادة النعيم

ولقائل أن يقول أيضا : إننا اذا قطعنا بأن المراد بهذا الحجاب رداء الكبرياء المذكور في الحديث الذي قبله وانه كان المانع من النظر فلا يمكننا أن نقول إنه هو حجاب النور المانع من الرؤية في الاحاديث الاخرى ، والنظر غير الرؤية ، فيمكن أن يقال إن رداء الكبرياء الذي كان مانعا من النظر يكشف فيقع النظر فيرى الناظرون النور الذي رآه النبي (ص) وأخبر أنه كان المانع من رؤية الذات . وسيأتي تحرير هذا البحث

(٨) - ومنها ما ورد في تجليه سبحانه في الصور واقواها واصحها حديثا ابي هريرة وابي سعيد الخدري (رض) الطويلين في الصحيحين وغيرهما ومحل الشاهد فيه ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال «هل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ » قالوا لا يارسول الله قال «فانكم ترونه كذلك : يجمع

الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول : انا ربكم . فيقولون نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه . فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم ، فيقولون انت ربنا ، فيتبعونه » اهـ المراد منه ويليه ذكر الصراط والجواز عليه والنار والحساب الخ وهذا لفظ مسلم عن أبي هريرة، وفي لفظ البخاري: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ وذكر بعدها القمر

وفي حديث أبي سعيد تشبيه رؤية الرب تعالى برؤية الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر ايضا أي في كونه لامضارة فيه ولا في التزاحم عليه — لا تشبيه المرئي بالمرئي — وفيه ذكر من عبد العزير والمسيح ودخول كل من عبد غير الله النار ويقول (ص) بعده « حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال : فما تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربكم. فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا - مرتين أو ثلاثا - حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب . فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد ان يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال انا ربكم ، فيقولون أنت ربنا » الحديث وفيه ألفاظ أخرى في الصورة ، ستأتي في آخر الكلام عليه

وهذا لفظ مسلم أيضاً ويخالفه لفظ البخاري في بعض التعبير ورواها غيرهما بألفاظ توافق كلا منهما وتخالفه بتعبير أو زيادة أو نقصان والمعنى العام واحد ، فمن أمثلة اختلاف اللفظ رواية «فيكشف عن ساقه» وهي لا تعارض رواية « فيكشف عن ساق » الموافقة للفظ القرآن (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون) ولكن تنكير الساق واسناد

كشفه الى المفعول اوسع مجالا للتأويل من اضافته الى الرب تعالى واسناده كشفه اليه فهو كالتشمير عن الساعد مثلا في كلام العرب للجد والاهتمام وشدة الخطب ، وسبب الاول أن من يريد الفرار من شيء مخوف يكشف عن ساقه ليسهل عليه العدو السريع فلا يتعثر بثوبه وسبب الثاني أن من يريد أن يعمل عملا باتقان وسرعة يشمر عن ذراعيه حتى لا يعوقه كمه ، وفي مجاز الاساس . قامت الحرب على ساقها ، وكشف الامر عن ساقه . قال :

عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومن طرادي الطير عن أرزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها اه

أقول نخرج بعضهم عبارة الحديث على هذا الاستعمال بمعنى أن أمر امتحان الله تعالى للناس والتزييل بين المؤمنين والمنافقين ينتهي الى آخر حده بتيسيره جلت حكمته السجود للمؤمنين دون المنافقين . وذهب بعضهم الى أن لفظ الساق ورد بمعنى الذات والنفس واستشهدوا له بقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في حرب الشراة لابد من قتالهم ولو تلفت ساقي . قالوا أي نفسي وعليه يصح أن يكون كشف الساق في الآية والحديث عبارة عن كشف الحجاب ويخرج عليه ما رواه عبد بن حميد عن الربيع بن أنس في تفسير (يوم يكشف عن ساق) قال : عن الغطاء فيقع من كان آمن به في الحياة الدنيا فيسجدون له . ويدعى الآخرون الى السجود فلا يستطيعون لانهم لم يكونوا آمنوا به في الحياة الدنيا ولا يبصرونه . والاول أقرب الى أساليب اللغة وعليه ابن عباس وجمهور مفسري السلف ، قال ابن عباس فيما روي عنه من طرق (يوم يكشف عن ساق) عن شدة الامر وجده ، هي أشد ساعة تكون يوم القيامة ، حتى يكشف الله الامر وتبدو الاعمال . وقال : هو الامر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة . وسئل عكرمة عن الآية فقال : ان العرب كانوا اذا اشتد القتال فيهم والحرب وعظم الامر فيهم قالوا لشدة ذلك : قد كشفت الحرب عن ساق ، فذكر الله شدة ذلك اليوم بما يعرفون . وهذا من التفسير الجلي ، لا من التأويل الخفي بالمعنى الاصولي ، وأما تأويله بالمعنى اللغوي أي ما يؤول اليه ويتحقق به في الآخرة فلا يعلمه البشر الا اذا وصلوا اليه .
وقد بين البيضاوي أصلا آخر لكشف الساق تتجه به رواية عبد بن حميد

في جمله بمعنى كشف الحجاب فنذكره مع عبارته في المعنى الذي عليه الجمهور لحسن بيانه له وهما قوله في تفسير (يوم يكشف عن ساق) يوم يشتد الامر ويعظم الخطب . وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم :

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

أو يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عياناً، مستعار من ساق الشجر وساق الانسان ، وتنكيره للتهويل او التعظيم اه

ومن ألفاظ الحديثين التى اضطرب فيها العلماء مسألة الاتيان في الصور المختلفة وانكار المؤمنين له في بعضها ومعرفته في بعض فاختلفوا في تفسيرها وتأويلها فمنهم من أبعد النجعة ومنهم من قارب، قال بعض المؤولين المراد باتيانه تعالى رؤيته - ولكن الاتيان كالرؤية في ايهام التشبيه فلم يخص دونها بالتأويل ؟ وقال بعضهم يأتي ملك بأمره لامتحانهم ، ولكن جاء في بعض النصوص الجمع بين اتيان الرب واتيان الملك فيمتنع أن يفسر الاول بالثاني كقوله تعالى (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) وقوله (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) على وجه. فمخالفة ظاهر الحديث للهرب من اسناد الاتيان الى الرب لا حاجة اليه مع هذا - فالاولى قول جمهور السلف إنه اتيان يليق به لا كاتيان الخلق

وقد اختلفوا في معنى الصورة وتأولوها ، والاظهر أنها عبارة عما يقع به التجلي من حجاب ومنه رداء الكبرياء الذي سبق الكلام فيه ، وقد ورد لفظ الصورة في عدة روايات في الصحيحين لحديثي أبي هريرة وأبي سعيد (منها) كما تقدم من حديث أبي سعيد « أتاهم رب العالمين سبحانه في أدنى صورة من التي رأوه فيها » (ومنها) « فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون» (ومنها) « في صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة » (ومنها) « ثم يتبدى الله لنا في صورته غير صورته التى رأيناه فيها أول مرة »وفي رواية هشام بن سعد « ثم نرفع رءوسنا وقد عاد لنا في صورته التى رأيناه فيها أول مرة فيقول : انا ربكم . فنقول نعم انت ربنا »وفي رواية الاعمش عن ابي صالح

عن ابي هريرة عند ابن منده « فيتمثل لهم ربهم »

ذكر النووي في شرحه لحديث ابي هريرة من صحيح مسلم مذهب السلف في امثال هذه الالفاظ والصفات وهو الايمان بها وحملها على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع التنزيه كما تقدم ، ثم مذهب جمهور المتكلمين القائلين بالتأويل ومنه انه يجيئهم ملك في صورة ينكرونها لما فيها من صفة الحدث ولا تشبه صفات الاله ليمتحنهم « فاذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة : أنا ربكم - رأوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه ويعلمون أنه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه، وقال في شرح «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون »: المراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته وان لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لانه يرونه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته فيعلمون أنه ربهم فيقولون أنت ربنا . وانما عبر بالصورة عن الصفة لمشابهتها إياها ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة اه وذكر الحافظ في الفتح تأويلات اخرى عن القرطبي والقاضي أبي بكر بن العربي من المالكية وابن الجوزي من الحنابلة تقرب مما اعتمده النووي

وغرضنا من هذه النقول بيان أن أهل السنة قد أولوا بعض أحاديث الرؤية كما أولت المعتزلة والخوارج والشيعة فلا مقتضي للتمادي والتفرق في الدين لاجل التأويل ، وبعض هذه التأويلات اعرق في التكلف من بعض، وما ساغ في بعض الروايات لا يسوغ في البعض الآخر . واذا كان الغرض من التاويل تقريب المعاني الى الاذهان حتى لا يبقى مجال واسع للتشكيك في النصوص فان الواقفين على علوم هذا العصر وفنونه قد يحتاجون الى ما لم يكن يحتاج اليه من قبلهم ، وقد بينا في مسألة الرؤية ما اشتدت اليه الحاجة في فتوى المنار التي أشرنا اليها في هذا البحث وفي مسألة الكلام الالهي ما فسرنا به الآيات التى سبقت فيه وسنزيد ذلك بيانا هنا

(٩) اختلف العلماء في رؤية النبي (ص) لربه ليلة المعراج بين إثبات ونفي ووقف ، واختلف المثبتون في الرؤية هل هي بعين البصر أم بعين القلب والبصيرة ؟ كما اختلفوا في المعراج نفسه هل كان يقظة أم مناما أم مشاهدة روحية بين اليقظة والنوم لاختلاف الروايات عن الصحابة والتابعين (رض)

فيها ولما ورد في الاحاديث المتعارضة في المسألة عاماً وخاصاً . والتحقيق أنه قد وردت أحاديث مرفوعة صحيحة في النفي دون الاثبات كحديث « نور أني أراه » المتقدم في النفي الخاص به (ص) وكحديث «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» رواه مسلم وكذا ابن خزيمة عن أبي امامة وعبادة بن الصامت

أما الصحابة فاشتهر الاثبات عن ابن عباس منهم وروي عن أنس أيضا وأخذ به بعض التابعين وقبله بعض المحدثين والمتكلمين الذين لا يدققون في تمحيص روايات الفضائل والمناقب واشتهر المنع عن عائشة والرواية عنها فيه أصح واصرح وتقدم ما رواه الشيخان عن مسروق عنها فيه ، وفي بعض رواياته ان مسروقا لما سألها هل راى محمد ربه ؟ قالت له . لقد قف شعري مما قلت . وروي النفي عن آخرين من الصحابة منهم ابن مسعود وابو هريرة وغيرهما

واما المحدثون الذين عنوا بالتعادل والترجيح او الجمع بين الروايات فمنهم من نظر فيها لاثبات ما سبق الى اعتقاده ومالت اليه نفسه كالحافظ ابن خزيمة وتبعه النووي مرجحا رواية ابن عباس على رواية عائشة التي هي اصح سنداً واقوى دليلا بحجة انها لم تنف الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط فتأولت آية (لا تدركه الابصار) وآية (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً) الخ وقد غفلا عما لم يجهلا من حديثها في الصحيحين وقولها لمسروق لما احتج عليها بدلالة آية سورة النجم على رؤيته «ص» لربه انها اول من سأله «ص» عن هذه الاية وتقدم لفظها في رواية الصحيحين ؛ وفيه رواية أخرى اصرح في المراد وهي ما أخرجه ابن مردويه باسناد مسلم قالت : أنا اول من سأل رسول الله «ص» عن هـذا فقلت يارسول الله هل رايت ربك ؟ فقال « لا ، انما رايت جبريل منهبطا » الخ

ومنهم من نظر في الروايات لاجل التمحيص وتحقيق الحق فيها كشيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ ابن حجر فبينا ان الروايات عن ابن عباس بعضها مطلق وبعضها مقيد بالرؤية القلبية لا البصرية فاذا حكمت فيها قاعدة حمل المطلق على المقيد زال التعارض بينها وبين حديث عائشة وما في معناه

قال الحافظ في شرح البخاري : جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها ، فمن ذلك ما أخرجه النسائي

بسند صحيح وصححه الحاكم من طريق عكرمة عنه : أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد . وأخرجه ابن خزيمة بلفظ : ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة الخ وأخرج ابن اسحق من طريق عبد الله بن أبي سلمة ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس : هل رأى محمد ربه ؟ فأرسل اليه أن نعم (ومنها) ما أخرجه مسلم من طريق ابي العالية عن ابن عباس «رض» في قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى - ولقد رآه نزلة اخرى) قال رأى ربه بفؤاده مرتين ، وله من طريق عطاء عنه قال رآه بقلبه . وأصرح منه ما اخرجه ابن مردويه عنه من طريق عطاء ايضا قال : لم يره رسول الله «ص» بعينه انما رآه بقلبه اه ملخصاً ، وقد روى الترمذي عن الشعبي ان ابن عباس «رض» سمع حديث قسمة الكلام والرؤية بين موسى ومحمد «ص» من كعب الاحبار في عرفة !!

فعلم مما تقدم ان ما روي عن ابن عباس من الاثبات هو الذي يصح فيه (ماقيل خطأ في نفي عائشة) انه استنباط منه ولم يكن عنده حديث مرفوع فيه، وانه على ماصح عنه من تقييده بالرؤية القلبية معارض مرجوح بما صح من تفسير النبي (ص) لآيتي سورة النجم وهو انهما في رؤيته (ص) لجبريل بصورته التي خلقه الله عليها

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : ان ابن عباس «رض» لم يقل انه (ص) رأى ربه بعيني رأسه يقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصوصه موجودة ليس فيها شيء من ذلك وقال : ما نقل عن الامام احمد من اثبات رؤية النبي «ص» لربه انما يعني رؤية المنام فانه سئل عن ذلك فقال نعم رآه فان رؤيا الانبياء حق. ولم يقل انه رآه بعيني رأسه. وقال بعد ذكر ماتقدم عن ابن عباس : ولفظ الامام أحمد كلفظ ابن عباس ، وأهل السنة متفقون على ان الله تعالى لايراه أحد بعينيه في الدنيا لا نبي ولا غيره ولم يقع النزاع الا في نبينا «ص» خاصة مع ان الاحاديث المرفوعة ليس في شيء منها انه رآه وانما روي ذلك باسناد موضوع باتفاق أهل الحديث اه

(لهذا الفصل بقية يذكر فيها تحقيق مسألة الرؤية والكلام)

ابطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

لشيخ الاسلام تقي الدين احمد ابن تيمية رضي الله عنه

الاصل الثاني

الاحتجاج بالقدر على المعاصي على المأمور(١) وفعل المحظور فان القدر يجب الايمان به ولا يجوز الاحتجاج به على مخالفة أمر الله ونهيه ووعده ووعيده

والناس الذين ضلوا في القدر ثلاثة اصناف ﴿قوم﴾ آمنوا بالامر والنهي والوعد والوعيد وكذبوا بالقدر وزعموا ان من الحوادث مالا يخلقه الله كالمعتزلة ونحوهم ﴿وقوم﴾ آمنوا بالقضاء والقدر ووافقوا أهل السنة والجماعة على انه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وان الله خالق كل شيء وربه ومليكه، لكن عارضوا بهذا الامر والنهي، وسموا هذا حقيقة، وجعلوا ذلك معارضا للشريعة، وفيهم من يقول ان مشاهدة القدر تنفي الملام والعقاب، وان العارف يستوي عنده هذا وهذا، وهم في ذلك متناقضون مخالفون للشرع والعقل والذوق والوجد فانهم لا يسوون بين من أحسن اليهم وبين من ظلمهم، ولا يسوون بين العالم والجاهل والقادر والعاجز، ولا بين الطيب والخبيث ولا بين العادل والظالم، بل يفرقون بينهما(٢) ويفرقون ايضا بموجب أهوائهم وأغراضهم لا بموجب الامر والنهي، فلا يقفون لا مع القدر ولا مع الامر بل كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق مذهبك(٣) تمذهبت به فلا يوجد أحد

«١» لعله: أي ترك المامور «٢» لعل الاصل: بل يفرقون بينهما بالطبع والعقل - أو ماهو بمعنى هذا بدليل ما بعده (٣) لعله هواك أو غرضك

بالفلك(؟) في ترك الواجب وفعل المحرم إلا وهو متناقض لا يجعله حجة في مخالفة هواه بل يعادي من آذاه وان كان محقا ويحب من وافقه على غرضه وان كان عدو الله ، فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه وغرضه وذوق نفسه ووجده ، لا بحسب أمر الله ونهيه ومحبته وبغضه وولايته وعداوته ، اذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد فان ذلك مستلزم للفساد الذي لا صلاح معه . وللشر الذي لا خير فيه . اذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ولا اقتص من باغ ولا أخذ لمظلوم من ظالم ، ولفعل كل أحد ما يشتهيه من غير معارض يعارضه فيه

وهذا فيه من الفساد ، مالا يعلمه إلا رب العباد . فمن المعلوم بالضرورة أن الافعال تنقسم الى ما ينفع العباد وما يضرهم والله قد بعث رسوله صلى الله عليه وسلم يأمر المؤمنين بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، فمن لم يتبع شرع الله ودينه اتبع ضده من البدع والاهواء ، وكان احتجاجه بالقدر من الجدل بالباطل ليدحض به الحق لا من باب الاعتماد عليه (١) لزمه أن يجعل كل من جرت عليه المقادير ، من أهل المعاذير ،

(وان قال) أنا اعذر بالقدر من شهده وعلم أن الله خالق فعله ومحركه

(١) الظاهر أن يقال : ولزمه - كقوله وكان احتجاجه عطفا على قوله اتبع ضده - الذي هو جواب فمن لم يتبع شرع الله ودينه . ولو قال : واتبع ضده ، عطفا على قوله : لم يتبع - لكان قوله : لزمه الخ هو جواب الشرط ولم يصح عطفه

لا من غاب عن المشهود ؛ أو كان من أهل الجحود . (قيل) فيقال لك وشهود هذا وجحود هذا من القدر فالقدر متناول لشهود هذا وجحود هذا . فان كان موجبا للفرق مع شمول القدر لهما فقد جعلت بعض الناس محموداً وبعضهم مذموما مع شمول القدر لهما ، وهذا رجوع الى الفرق ، واعتصام بالامر والنهي ، وحينئذ فقد نقضت اصلك وتناقضت فيه . وهذا لازم لكل من معك فيه. ثم مع فساد هذا الاصل وتناقضه فهو قول باطل وبدعة مضلة ،

فمن جعل الايمان بالقدر وشهوده عذراً في ترك الواجبات وفعل المحظورات(١) بل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات ، وهذه لا تنهض بدفع جميع السيئات، فلو اشرك مشرك بالله وكذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ناظراً الى أن ذلك مقدر عليه لم يكن ذلك غافرا لتكذيبه ، ولا مانعا من تعذيبه ، فان الله لا يغفر أن يشرك به سواء كان المشرك مقراً بالقدر وناظراً اليه، أو مكذبا به أو غافلا عنه ، بل قد قال ابليس (فبما اغويتني لأزيين لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين) فأصر واحتج بالقدر، فكان ذلك زيادة في كفره ، وسببا لمزيد عذابه. وأما آدم عليه السلام فانه قال (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو

---

(١) سقط من هنا جواب : فمن جعل - والمعنى من جعل الايمان بالقدر عذرا لمن عصى الله واشرك به - لزمه كون هذا الايمان منكرا من المنكرات وضلالة من الضلالات ؛ وليس الامر كذلك - بل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات الخ

التواب الرحيم) فمن استغفر وتاب كان آدميا سعيداً . ومن أصر واحتج بالقدر كان ابليسا شقيا . وقد قال تعالى لابليس (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين)

وهذا الموضع ضل فيه كثير من الخائضين في الحقائق فانهم يسلكون انواعا من الحقائق التي يجدونها ويذوقونها ويحتجون بالقدر فيما خالفوا فيه الامر فيضاهون المشركين الذين كانوا يبتدعون دينا لم يشرعه الله ويحتجون بالقدر على مخالفة امر الله

﴿والصنف الثالث﴾ من الضالين في القدر من خاصم الرب في جمعه بين القضاء والقدر والامر والنهي كما يذكر ذلك على لسان ابليس، وهؤلاء خصماء الله واعداؤه . وأما أهل الايمان فيؤمنون بالقضاء والقدر والامر والنهي ويفعلون المأمور، ويتركون المحظور، ويصبرون على المقدور، كما قال تعالى (من يتق ويصبر فان الله لايضيع اجر المحسنين) فالتقوى تتناول فعل المأمور ، وترك المحظور ، والصبر يتضمن الصبر على المقدور وهؤلاء اذا أصابتهم مصيبة في الارض أو في انفسهم علموا أن ذلك في كتاب ، وان ماأصابهم لم يكن ليخطئهم ، وما اخطأهم لم يكن ليصيبهم ، فسلموا الامر لله وصبروا على ما ابتلاهم به . وأما اذا جاء امر الله فانهم يسارعون في الخيرات ، ويسابقون الى الطاعات ، ويدعون ربهم رغبا ورهبا ، ويجتنبون محارمه ، ويحفظون حدوده، ويستغفرون الله ويتوبون اليه من تقصيرهم فيما أمر وتعديهم لحدوده ، علما منهم بأن التوبة فرض على العبد دائما واقتداء بنبيهم حيث يقول في الحديث الصحيح « أيها الناس توبوا الى ربكم فوالذي نفسي بيده اني لاستغفر الله وأتوب اليه اكثر من

سبعين مرة » وآخر سورة نزلت عليه (اذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)

*

واذا عرف هذان الاصلان فعليهما يبني جواب مافي هذا السؤال من الكلمات ، ويعرف مادخل في هذه الامور من الضلالات

بدء الجواب عن كلمات أهل الوحدة

فقول القائل « ان الله لطف ذاته فسماها حقا ، وكثفها فسماها خلقا » هو من أقوال أهل الوحدة والحلول والاتحاد وهو باطل فان اللطيف ان كان هو الكثيف فالحق هو الخلق ولا تلطيف ولا تكثيف. وان كان اللطيف غير الكثيف فقد ثبت الفرق بين الحق والخلق، وهذا هو الحق . وحينئذ فالحق لا يكون خلقا فلا يتصور أن ذات الحق يكون خلقا بوجه من الوجود كما أن ذات المخلوق لاتكون ذات الخالق بوجه من الوجوه

وكذلك قول الآخر ظهر فيها حقيقة واحتجب عنها مجازا فانه ان كان الظاهر غير المظاهر فقد ثبت الفرق بين الرب والعبد ، وان لم يكن أحدهما غير الآخر فلا يتصور ظهور واحتجاب

ثم قوله «فمن كان من أهل الحق شهدها مظاهر ومجالي، ومن كان من أهل الفرق شهدها ستورا وحجبا» كلام ينقض بعضه بعضا فانه ان كان الوجود واحداً لم يكن أحد الشاهدين عين الآخر ولم يكن الشاهد عين المشهود. ولهذا قال بعض شيوخ هؤلاء من قال ان في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له آخر فمن الذي يكذب؟ فأفحمه. وهذا لانه اذا لم

يكن موجود سوى الواجب بنفسه كان (هو) الذي يكذب ويظلم ويأكل ويشرب . وهكذا يصرح به أئمـة هؤلاء كما يقول صاحب الفصوص وغيره انه موصوف بجميع صفات الذم ، وانه هو الذي يمرض ويضرب وتصيبه الآفات ويوصف بالمصائب والنقائص، كما انه هو الذي يوصف بنعوت المدح والذم، قال فالعلي لنفسه هو الذي يكون له جميع الصفات الثبوتية والسلبية سواء كانت محمودة عقلا وعرفا وشرعا أو مذمومة عقلا وعرفا وشرعا، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة، وقال ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وقد اخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الذم؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق، فكلها حق له كما أن صفات المخلوق حق للخالق

وقول القائل * لقد حق لي عشق الوجود واهـله * يقتضي أن يعشق ابليس وفرعون وهامان وكل كافر ، ويعشق الكلاب والخنازير والبول والعذرة وكل خبيث ، مع انه باطل شرعا وعقـلا فهو كاذب في ذلك متناقض فيه، فانه لو آذاه مؤذ وآلمه ألما شديداً لا يغضب محرم شرعا

وما ذكر عن بعضهم من قوله: « عين ماترى ذات لاترى ، وذات لاترى عين ماترى » هو من كلام ابن سبعين وهو من أكابر أهل الالحاد، أهل الشرك والسحر والاتحاد ، وكان من أفاضلهم واذكيائهم واخبرهم بالفلسفة وتصوف المتفلسفة

وقول ابن عربي :ظاهره خلقه ، وباطنه حقه . هو قول أهل الحلول وهو متناقض في ذلك فانه يقول بالوحدة فلا يكون هناك موجودان أحدهما باطن والآخر ظاهر . والتفريق بين الوجود والعين ، تفريق

لاحقيقة له بل هو من اقوال أهل الكذب والمين

وقول ابن سبعين: «ربٌّ هالك، وعبد مالك، وانتم ذلك، الله فقط والكثرة وهم» موافق لاصله الفاسد في أن وجود المخلوق وجود الخالق ولهذا قال: وانتم ذلك، فانه جعل العبد هالكا أي لاوجود له فلم يبق إلا وجود الرب، فقال وانتم ذلك، وكذلك قال: الله فقط والكثرة وهم. فانه على قوله لاموجود إلا الله. ولهذا كان يقول هو واصحابه في ذكرهم ليس إلا الله بدل قول المسلمين لا إله إلا الله وكان يسميهم الشيخ قطب الدين ابن القسطلاني الليسية ويقول احذروا هؤلاء الليسية. ولهذا قال: الكثرة وهم. وهذا تناقض، فان قوله وهم يقتضي متوهما فان كان المتوهم هو الوهم فيكون الله هو الوهم وان كان المتوهم هو غير الوهم فقد تعدد الوجود. وكذلك: ان كان المتوهم هو الله فقد وصف الله بالوهم الباطل، وهذا مع انه كفر فانه يناقض قوله الوجود واحد. وان كان المتوهم غيره فقد اثبت غير الله وهذا يناقض اصله. ثم متى اثبت غيرا لزمت الكثرة فلا تكون الكثرة وهما بل تكون حقا

والبيتان المذكوران عن ابن عربي مع تناقضهما مبنيان على هذا الاصل فان قوله * ياصورة انس سرها معنائي * خطاب على لسان الحق يقول لصورة الانسان يا صورة انس سرها معنائي. أى هي الصورة وانا معناها. وهذا يقتضي أن المعنى غير الصورة وهو يقتضي التعدد والتفريق بين المعنى والصورة فان كان وجود المعنى هو وجود الصورة كما يصرح به فلا تعدد. وان كان وجود هذا غير وجود هذا تناقض وقوله * ماخلقتك للامر ترى لولائي * كلام مجمل يمكن أن يراد به معنى صحيح أي لولا

الخالق لما وجد المكلفون ولا خلق لامر الله. لكن قد عرف انه لا يقول بهذا . فان مراده الوحدة والحلول والاتحاد . ولهذا قال

شئناك فانشأناك خلقا بشرا كي تشهدنا في اكمل الاشياء

فبين أن العبيد يشهدونه في اكمل الاشياء وهي الصورة الانسانية وهذا يشير الى الحلول وهو حلول الحق في الخلق لكنه متناقض في كلامه فانه لا يرضى بالحلول ولا يثبت موجودين حل أحدهما في الآخر بل عنده وجود الحال هو عين وجود المحل لكنه يقول بالحلول بين الثبوت والوجود فوجود الحق حل في ثبوت الممكنات وثبوتها حل في وجوده وهذا الكلام لا حقيقة له في نفس الامر فانه لا فرق بين هذا وهذا لكنه هو مذهبه المتناقض في نفسه

وأما الرجل الذي طلب من والده الحج فأمره أن يطوف بنفس الاب: فقال طف ببيت ما فارقه الله طرفة عين قط ـ فهذا كفر باجماع المسلمين . فان الطواف بالبيت العتيق مما أمر الله به ورسوله . وأما الطواف بالانبياء والصالحين ، فحرام باجماع المسلمين. ومن اعتقد ذلك دينا فهو كافر سواء طاف ببدنه أو بقبره ، وقوله ما فارقه الله طرفة عين قط ان أراد به الحلول المطلق العام فهو مع بطلانه متناقض فانه حينئذ لا فرق بين الطائف والمطوف به. فلم يكن طواف هذا بهذا اولى من العكس بل هذا يستلزم أنه يطاف بالكلاب والخنازير والكفار والنجاسات والاقذار وكل خبيث وكل ملعون لان الحلول والاتحاد العام يتناول هذا كله وقد قال مرة . شيخهم الشيرازي لشيخه التلمساني وقد مر بكلب اجرب ميت: هذا أيضا من ذات الله. فقال: وثم خارج عنه؟ ومر التلمساني

ومعه شخص فاجتازا بكلب فركضه الآخر برجله فقال لا تركضه فانه منه . وهذا مع أنه من أعظم الكفر والكذب الباطل في العقل والدين فانه متناقض فان الراكض والمركوض واحد ، وكذلك الناهي والمنهي ، فليس شيء من ذلك بأولى بالامر والنهي من شيء ، ولا يعقل مع الوحدة تعدد . واذا قيل مظاهر ومجالى - قيل ان كان لها وجود غير وجود الظاهر المتجلى فقد ثبت التعدد وبطلت الوحدة وان كان وجود هذا هو وجود هذا لم يبق بين الظاهر والمظهر والمتجلي فيه (١) فرق ، وان أراد بقوله ما فارقه الله طرفة عين - الحلول الخاص - كما تقول النصارى في المسيح لزمه ان يكون هذا الحلول ثابتا له من حين خلق كما تقوله النصارى في المسيح فلا يكون ذلك حاصلا له بمعرفته وعبادته وتحقيقه وعرفانه وحينئذ فلا يكون فرق بينه وبين غيره من الآدميين فلماذا يكون الحلول ثابتا له دون غيره ؟ وهذا شر من قول النصارى فان النصارى ادعوا ذلك في المسيح لكونه خلق من غير أب والشيوخ لم يفضلوا في نفس التخليق وانما فضلوا بالعبادة والمعرفة والتحقيق والتوحيد وهذا امر حصل لهم بعد ان لم يكن فاذا كان هذا هو سبب الحلول وجب أن يكون الحلول فيهم حادثا لا مقارنا لخلقهم وحينئذ فقولهم إن الرب مافارق ابدانهم أو قلوبهم طرفة عين قط كلام باطل كيفما قدر

وأما ماذكر عن رابعة من قولها عن البيت انه الصنم المعبود في الارض - فهو كذب على رابعة ولو قال هذا من قاله لكان كافراً يستتاب

(١) لعل اصله :والمجلى والمتجلي فيه

فان تاب وإلا قتل وهو كذب فان البيت لا يعبده المسلمون ولكن يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة اليه، وكذلك ما نقل من قولها: والله ما ولجه الله ولا خلا منه . كلام باطل عليها. وعلى مذهب الحلولية لا فرق بين ذاك البيت وغيره في هذا المعنى فلاي مزية يطاف به ويصلى اليه ويحج دون غيره من البيوت؟

﴿ وقول القائل ﴾ ما ولج الله فيه - كلام صحيح، وأما قوله ما خلا منه فان أراد أن ذاته حالة فيه أو ما يشبه هذا المعنى فهو باطل وهو مناقض لقوله ما ولج فيه، وان أراد به أن الاتحاد ملازم له لم يتجدد له ولوج ولم يزل غير حال فيه فهذا مع انه كفر وباطل يوجب أن لا يكون للبيت مزية على غيره من البيوت اذا الموجودات كلها عندهم كذلك

وأما البيتان المنسوبان الى الحلاج

سبحان من اظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
حتى بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

فهذه قد تعين بها الحلول الخاص كما تقوله النصاري في المسيح وكان أبو عبد الله ابن خفيف الشيرازي قبل أن يطلع على حقيقة أمر الحلاج يذب عنه فلما انشد هذين البيتين قال لعن الله من قال هذا وقوله

عقد الخلائق في الاله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فهذا البيت يعرف لابن عربي فان كان قد سبقه اليه الحلاج وقد تمثل هو به فأضافته الى الحلاج صحيحة وهو كلام متناقض فان الجمع بين النقيضين في الاعتقاد في غاية الفساد . والقضيتان المتناقضتان بالسلب والايجاب على

وجه يلزم من صدق احداهما كذب الاخرى لا يمكن الجمع بينهما وهؤلاء يزعمون أنه يثبت عندهم في الكشف ما يناقض صريح العقل وانهم يقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين وأن من سلك طريقهم يقول بمخالفة المعقول والمنقول. ولا ريب أن هذا من أفسد ماذهب اليه أهل السفسطة ومعلوم أن الانبياء عليهم السلام اعظم من الاولياء ، والانبياء جاؤا بما تعجز العقول عن معرفته ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه فهم يخبرون بمحارات العقول ، لا بمحالات العقول ، وهؤلاء الملاحدة يدعون أن محالات العقول صحيحة ، وان الجمع بين النقيضين صحيح ، وأن ماخالف صريح المعقول وصحيح المنقول صحيح . ولا ريب أنهم أصحاب خيال واوهام يتخيلون في نفوسهم اموراً يتخيلونها ويتوهمونها فيظنونها ثابتة في الخارج وانما هي من خيالاتهم والخيال الباطل يتصور فيه مالا حقيقة له ولهذا يقولون ارض الحقيقة هي ارض الخيال كما يقول ذلك ابن عربي وغيره ولهذا يحكون حكاية ذكرها سعيد الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض وكان من شيوخهم. وأما قوله

بيني وبينك إنيّ تزاحمني فارفع بحقك إني من البين

فان هذا الكلام يفسر بمعان ثلاثة يقوله الزنديق ، ويقوله الصديق فالاول مراده به رفع ثبوت إنيته حتى يقال إن وجوده هو وجود الحق وانيته هي انية الحق فلا يقال إنه غير الله ولا سوى . ولهذا قال سلف هؤلاء الملاحدة إن الحلاج نصف رجل وذلك أنه لم ترفع له الانية بالمعنى فرفعت له صورة، فقيل وهذا القول مع مافيه من الكفر والالحاد فهو

متناقض ينقض بعضه بعضا فان قوله * بيني وبينك اني تزاحمني * خطاب لغيره واثبات انية بينه وبين ربه وهذه اثبات امور ثلاثة وكذلك يقول * فارفع بحقك اني من البين * طلب من غيره ان يرفع انيته وهذا اثبات لامور ثلاثة

وهذا المعنى الباطل هو الفناء الفاسد وهو الفناء عن وجود السوى فان هذا فيه طلب رفع الانية وهو طلب الفناء، والفناء ثلاثة أقسام فناء عن وجود السوى وفناء عن شهود السوى وفناء عن عبادة السوي فالاول هو فناء أهل الوحدة الملاحدة كما فسروا به كلام الحلاج وهو ان يجعل الوجود وجودا واحدا وأما الثاني وهو الفناء عن شهود السوى فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكي عن ابي يزيد وأمثاله وهو مقام الاصطلام وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته وبمشهوده عن شهادته وبمذكوره عن ذكره، فيفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل، وهذا كما يحكي ان رجلا كان يحب آخر فألقى المحبوب نفسه في الماء فألقى المحب نفسه خلفه فقال أنا وقعت فلم وقعت أنت؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك إني. فهذا حال من عجز عن شيء من المخلوقات اذا شهد قلبه وجود الخالق وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين ومن الناس من يجعل هذا من السلوك ومنهم من يجعله غاية السلوك حتى يجعلوا الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية، فلا يفرقون بين المأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه، وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر واحكام الربوبية عن شهود الشرع والامر والنهي وعبادة الله وحده وطاعة رسوله فمن طلب رفع انيته بهذا الاعتبار لم يكن محمودا على هذا ولكن قد يكون معذورا

مؤتمر الخلافة (*)

وأتمروا بينكم بمعروف

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله *

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي الى الصراط المستقيم ، وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان

كان للمسلمين ملك عظيم امتد يمينا وشمالا فبسط جناحيه على المشرق والمغرب فأظلتا أعظم ممالك العمران ما بين الطرف الغربي من أوربة وحدود الصين في الشرق الاقصى ، وما بين المحيط الجنوبي الى أحشاء أوربة في الشمال ، وكان لهم في هذا الملك العظيم من الدول العزيزة والسلطان الكبير ، ما فصلت أخباره في لاسفار الكثيرة من خزائن التاريخ ،

كانوا كلما سقطت دولة من دولهم بخروج أمرائها وسلاطينها عن هداية الشرع العدل ، وسنن الله المطردة في العمران ، خلفتها دولة أخرى أعز منها شأنا ، وأقوى سلطانا

كانوا أمة واحدة تدبر أمورها دولة واحدة ، ثم تعددت فيها الدول وهي أمة واحدة ، لأنها كانت لاتزال تحيا بروح الاسلام ، الذي ساوى بين الشعوب والاقوام ، وجعل التفاضل بين الناس بالعلم والعمل ، دون القومية والنسب ، حتى كان مثل البخاري وأبي حنيفة من سلائل الفرس ، معدودين من أكبر أئمة السنة والفقه ، ومثل نور الدين الشهيد وصلاح الدين الايوبي من سلائل

(*) رغب الينا السكرتير العام للجنة مؤتمر الخلافة أن نكتب مقالة فى موضوعه ووجه الحاجة اليه لتنشر في صدر الجزء الاول من مجلة المؤتمر التي تصدر فى هذا الشهر فكتبنا هذه المقالة ثم رأينا ان ننقلها فى مجلتنا ليطلع قراؤنا عليها وهى هذه :

الترك والكرد ، مفضلين على كثير من خلفاء قريش في الحكم

ومن طرائف شهادة التاريخ على هذا ما ذكره ابن جبير الاندلسي في رحلته واصفا خطبة الجمعة في الحرم المكي الشريف (سنة ٥٧٩) قال : ثم دعا الخطيب - للخليفة العباسي أبي العباس أحمد الناصر ثم لامير مكة مكثر بن عيسى بن فليته ابن قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم الحسني ، ثم لصلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب ولولي عهده أخيه أبي بكر بن أيوب . وعند ذكر صلاح الدين بالدعاء تخفق الالسنة بالتأمين عليه من كل مكان

واذا أحب الله يوما عبده ألقى عليه محبة للناس

وحق ذلك عليهم ، لما يبذله من جميل الاعتناء بهم ، وحسن النظر لهم ، ولما رفعه من وظائف المكوس عنهم ، وفي هذا التاريخ علمنا بأن كتابه وصل الى الامير مكثر وأهم فصوله التوصية بالحاج والتأكيد في مبرتهم وتأنيسهم ورفع أيدي الاعتداء عنهم ، والايعاز في ذلك الى الخدام والاتباع والاوزاع وقال : انما نحن وأنت متقلبون في بركة الحاج . — فتأمل هذا المنزع الشريف ، والمقصد الكريم — الى اخر ماقال

والعبرة فيه ظهور تفضيل حجاج الشعوب الاسلامية كلها مع أهل الحرم للسلطان الكردي ، على الخليفة القرشي والامير العلوي ، وذكر في غير هذا الموضع من الرحلة أن أمير مكة كان من أشد هؤلاء الامراء في الالحاد بالظلم في حرم الله تعالى وانه انتزع مفتاح بيت الله من وارثه زعيم الشيبيين محمد بن اسماعيل وأمر بالقبض عليه وانتهاب منزله وصرفه عن حجابة البيت الحرام طهره الله تعالى ، (قال) والحال يشبه بعضها بعضا (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) والى الله المشتكى من فساد ظهر حتى في أشرف بقاع الارض ، وهو حسبنا ونعم الوكيل اه

وأعظم مما ذكره ابن جبير رحمه الله في الاعتبار ان الظلم والفساد في الحرم تسلسل في هؤلاء الامراء المكيين ، الذين يفضلون أنفسهم بنسبهم على جميع الصالحين والمصلحين ، الى أن بلغ أشده في هذه السنين ، من المتغلب الذي

ادعى حق الملك على جميع العرب والخلافة على جميع المسلمين ، وصرحت جريدته بأنه نال هذا بالرغم من أهل السموات والارض أجمعين ، فأخرجه الله تعالى منها مذؤما مدحورا ، مأفونا مثبورا ، منبوذاً مهجوراً ، (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين)

* * *

ما فعل الله تعالى بذلك الملك العظيم ؟ وماذا بقي منه لا كثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين ؟ وكيف وجد من ضعف ، ثم كان من بعد ضعف قوة ؟ ثم ذهبت تلك الدول والشعوب شذر مذر ، وصارت عبرة لمن اعتبر ؟ وهل يرجى أن يعود الاسلام كما بدا ؟ وكيف السبيل الى ذلك؟ وكيف تفرقوا في الدين فكانوا شيعا والملة واحدة، وتفرقوا في الاجناس والاقوام والاوطان والامة واحدة؟

لقد نزل ما نزل بالمسلمين وهم غافلون ، وأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون ، وضحى وهم يلعبون ، فضرب على آذانهم في كهف الجهل بضعة قرون ، ثم تأذن الله تعالى ببعثهم من رقادهم ، وهداهم الى التفكر في حالهم وحال آبائهم الاولين ، وخلفائهم الراشدين ، وملوكهم الفاتحين ، فاختلفوا في أسباب ما كان من قوة وضعف ، وعز وذل ، بما رسخ في شعوبهم من الجهل ، وما طرأ عليها من البدع ، وما سرى اليها من نعرة الجنسية ، وعصبية الجاهلية ، وما تغلغل فيها من الدسائس الاجنبية ، والتعاليم المادية لالحادية ، فذهب أهل البصيرة منهم الى أن ترك هداية الدين الاولى والابتداع والتفرق فيه هو الذي أضاع ملكهم ، وذهب بمدنيتهم ، لان هذه الهداية كانت هي السبب لهما ، وما حصل بسبب زال بزواله . وزعم آخرون أن الاخذ بالدين هو سبب هذا الضعف والجهل لشبهة اشتراك جميع شعوب المسلمين فيه وليس بينهم جامعة مشتركة يعلل بها لا الدين ، وفاتهم أن الجهل بحقيقته والابتداع فيه والاعراض عن هدايته الاولى علة فاشية في جميع تلك الشعوب أيضا — فهؤلاء يقولون لا يمكن أن نسترجع مجدنا ونجدد ملكنا الا بنبذ الدين ظهريا كما فعل الفرنسيس ومن

تبعهم من الافرنج ، واستبدال الرابطة القومية والعصبية الوطنية بالجامعة الاسلامية ، وأولئك يقولون إنما لا ننال ذلك الا بما نال سلفنا ، وان الافرنج لم ينجحوا في دنياهم الا بعد الاصلاح الديني لا بعد نبذ هداية الدين ظهريا ، وانهم لا يزالون يبذلون الملايين من الجنيهات في تعليمه ونشره

ومن فروع هذا الخلاف قول متفرنجة الترك إن منصب الخلافة وشكل الحكومة الاسلامية علة العلل لضعفهم وزوال سلطتهم العظيمة ، ورد بعض العارفين عليهم بأن الاسلام هو الذي كان علة تأسيس تلك السلطنة العظيمة وان الخروج عن هدايته هو الذي كان علة ضعفها وزوالها ، وان منصب الخلافة لم يكن عندهم الا لقبا من ألقاب الفخر والشرف ، على أنه كان قوة معنوية لهم وان لم يترتب عليه عمل

وبين هذين الفريقين السواد الاعظم من الجامدين على ما ألفوا من حق وباطل ، وما تقلدوا من سنة وبدعة ، ينظرون الى كل منهما بمنظار واحد ، فمنهم من يرمي الفريقين بالكفر والالحاد ، وأقلهم جمودا من ينبز طلاب الاصلاح بلقب الابتداع ، ولم يبق للمسلمين رياسة عامة محترمة يرد اليها هذا النزاع لتفصل فيه فصلا معقولا ، يرجى أن يكون مقبولا ، مهتدية بقوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا *- ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض)، فلا يتكلم باسم الاسلام من ليس منه ولا يعطي فيه حق الحل والعقد

قد ظهر في المسلمين مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لتبعتموهم » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: اتبعوا سننهم في البدع حتى انتهت ببعضهم الى المروق من الاسلام نفاقا ثم جهارا ، ثم الى محاربته بدعوى إصلاح حكومته أو اصلاح أهله، وقد شرع الترك في تأسيس حكومة غير دينية في بلادهم

ان هذه الفوضى الدينية في العالم الاسلامي قد حيرت الباحثين في طرق الاصلاح الديني والمدني حتى كتب بعض الباحثين من كتاب المصريين بأنه قد ثبت عنده بعد التروي في السنين الطوال أن المسلمين لن يرجعوا الى دينهم ثانية الا بعد أن يتركوه تركا تاما، ثم هم يعيدون النظر فيه سالكين منهاجا غير المناهج المسلوكة منذ قرون في تلقينه ودرسه ! ! وإنه لرأي بمعزل من الصواب، رجحه في نظره فشل دعاة التجديد والاصلاح . وفشو الفسوق والالحاد . وسبق الملاحدة الى المناصب الدولية ، وفوزهم في أعمال العمران ، ونجاحهم في جذب الناشئة ، وشر من ذلك كله سكوت زعماء الجمود عنهم ، ونضالهم لدعاة الاصلاح من دونهم ، ونحن على علمنا بهذا ننقد رأي هذا الباحث نقضا ومناقضة ومعارضة ، واننا نبحث في هذه المسألة من زهاء ثلث قرن كتابة وخطابة ومناظرة، ومراسلة بيننا وبين المفكرين في مشارق البلاد الاسلامية ومغاربها ، مع السياحة في أهم أقطارها ، فكانت ثمرة البحث أن الطريقة المثلى للاصلاح دونها موانع فلم تسلك، والرجاء أن يكون قد زال الآن ما دونها من العواثير والعقاب ، وفتح ما كان مغلقا أمامها من الابواب

ما هذه الطريقة المثلى ؟ قيل لموقظ الشرق وحكيم الاسلام : إن علل ضعف المسلمين كثيرة فهل لهذه العلل من علة ترجع كلها اليها ، فتوجه جهود الاصلاح لازالتها فيصلح كل شيء بالتبع لها ، اذ يكون مكانها كمكان القلب من الجسد اذا صلح صلح الجسد كله ، واذا فسد فسد كله ، كما ورد في التمثيل النبوي ؟ قال : نعم ، إن الامر الذي يجب على المسلمين أن يوجهوا جهودهم الى ايجاده هو « السلك » انقطع السلك الذي كان نظام وحدتهم الدينية والدنيوية، فانتثر الحب ، ولن ينتظم الا بسلك .

ونقول نحن في بيان مراد ذلك الحكيم : إنما كان السلك الاول نظام الخلافة المؤيدة في الباطن بوازع الدين، وفي الخارج بتأييد أهل الحل والعقد من المسلمين ، قام الخلفاء الراشدون بها حق القيام، ثم صدعت بعصبية القومية الجاهلية، فعصبية التشيع المذهبية،

فضعف الوازع الديني المؤيد لها في الباطن رويدا رويدا، وانحصر الحل والعقد في عصبية المتغلب شيئا فشيئا، فتمزق بذلك شمل المسلمين، وصار أمرهم كالكرة بين صوالجة المتغلبين، وصارت الامة أمماً متعادية، والدولة دولا متقاتلة، وسبب هذه المصائب كلها عدم وضع نظام للحكم، يكون السلطان فيه لمن تختارهم الامة للحل والعقد، من غير قيد ولا حصر الا في حدود الشرع،

شرع الاسلام مبني على جعل أمر المسلمين شورى بينهم، وكل ما ليس فيه نص قطعي مفوضا الى اجتهاد أولي الامر منهم، وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باستشارتهم في الامر، وقيد الطاعة في مبايعته بقوله (ولا يعصينك في معروف) حتى لا يتجرأ أحد من أمراء المسلمين على دعوى الاستغناء عن المشاورة، ولا على دعوى وجوب الطاعة المطلقة. وقد جرى خلفاؤه الراشدون على هديه في ذلك فقال الخليفة الاول في خطبته الاولى على منبره عقب المبايعة مخاطبا لجماعة المسلمين: فاذا استقمت فأعينوني، واذا زغت فقوموني. وتبعه الخليفة الثاني بقوله: من رأى منكم فيّ عوجا فليقومه. وقال الخليفة الثالث على المنبر أيضا: أمري لامركم تبع. وقد جروا كلهم على ذلك بالعمل، ينفذون نصوص الكتاب وما ثبت في السنة، ويشاورون أهل العلم والرأي في جميع الامور الاجتهادية.

وهذا معنى ما ورد من الاحاديث الصحيحة في التزام الجماعة وكون من شذ عنها في النار، وهو ما عبر عنه بعض كبار العلماء بحق الامة أي سلطة الامة وعللوه بأنها هي التي ورد الحديث بأنها لا تجتمع على ضلالة، وانما يمثل الامة، في المسائل العلمية أئمتها المجتهدون، وفي سياستها وادارتها أهل الحل والعقد منهم ومن سائر رجالها الموثوق بكفايتهم في المصالح الدنيوية ولا سيما الحربية، التي صارت في هذا الزمان تتوقف على فنون كثيرة. قال الحافظ ابن حجر في الكلام على مبايعة عثمان من شرحه للبخاري: والذي يظهر من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد أنه كان لا يراعى الافضل في الدين فقط بل يضم اليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع فلاجل ذلك استخلف

(أي أمَّر) معاوية والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص مع وجود من هو أفضل منهم فى أمر الدين والعلم كأبي الدرداء في الشام وابن مسعود في الكوفة اهـ

ومن أقوال كبار العلماء في سلطة الامة وكون الرأي لها في نصب الامام وعزله قول الامام الرازي في تعريف الخلافة : هي رياسة عامة في الدين والدنيا لشخص واحد من الاشخاص . وقال في القيد الذي زاده في التعريف على غيره : هو احتراز عن كل الامة اذا عزلوا الامام لفسقه . قال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ذكر هذا القيد وتعليله : وكأنه أراد بكل الامة أهل الحل والعقد واعتبر رياستهم على من عداهم أو على كل من آحاد الامة اهـ . وأراد السعد بهذا التوجيه ازالة اشكال من عساه يقول : اذا كانت الرياسة للامة فمن المرءوس ؟

وجملة القول ان الاسلام قد بين أصول حكومة الشورى وانما قصر المسلمون في عدم وضع نظام يكفل تنفيذ أحكامها بالعمل ، ويكفل سلطة أهل الحل والعقد الممثلين للامة في كل زمان بحسبه . وحكمة عدم وضع الشرع لهذا النظام انه يختلف باختلاف الزمان والمكان وأحوال الاجتماع ولذلك فوضه الى الامة ، وقد كان استبداد الذين جعلوا الخلافة ملكا يورث مانعا من ذلك الى آخر عهد آل عثمان ، حتى لم يكن أحد يتجرأ على الدعوة الى تقييد سلطتهم ، ولو في غير بلادهم التي تنفذ فيها أحكامهم ، ولم ننس ما كان مسلمو مصر والهند يرمون به كل من كان يشكو من ظلم عبد الحميد المستبد ثم من استبداد الاتحاديين ، ثم ما كان من شأنهم في الغلو في اطراء الكماليين ، ثم في الانحاء عليهم والتشهير بهم

لهذا رجونا أن تكون الموانع دون سلوك الطريقة المثلى للاصلاح الاسلامي قد زالت فأصبح ميسرا ما كان متعذرا . وفتح من الابواب له ما كان مغلقا ، وما ذلك الا بالغاء الترك للخلافة التركية الصورية التي لم تكن تعمل للاسلام ولا تدع أحدا يعمل له

فالمطلوب الآن ايجاد السلك ووضع النظام ، وان يكون بالتشاور بين علماء

المسلمين الدينيين والسياسيين والاداريين والعسكريين والماليين والحاذقين لسائر الفنون التي عليها مدار العمران وعزة الامم وكرامتها ، ولا يكون هذا الا بعقد مؤتمر اسلامي عام ، وهو ما كنا ندندن حوله منذ أنشأنا المنار . واقترحنا في ذلك الوقت مرارا أن يكون في ظل بيت الله الحرام ، توجيها للقلوب ، وتحريكا للعقول ، على أن الموانع كانت على أشدها ، وآمال المسلمين محصورة في الآستانة وحدها ، ولذلك اقترح بعض الكتاب يومئذ ان يكون المؤتمر فيها ، كما اقترح ذلك بعضهم بعد زوال الدولة العثمانية وما حل بخلافتها ، لان ما رسخ في العقول والقلوب بتوالي القرون لا يزول في أشهر قليلة ، ولا في سنين معدودة

قد كان ما كتبناه نحن وغيرنا في هذا الموضوع تمهيدا وإعداداً للامة ، ولا تقوم الامم بعمل مفيد إلا بعد تمام الاستعداد للنهوض به ، ورجحان المقتضي له على المانع منه ، وهذا ما نرجو ان نكون قد وصلنا اليه أو أوشكنا . أما المانع فقد زال ، وأما المقتضي فلا مراء فيه ، وبقي استعداد الامة هل تم أم لا ؟ وهو ما يظهره عقد المؤتمر

كانت الخلافة العثمانية هي المانع الاكبر ، ولا سيما بعد ان عجز السلطان عبد الحميد عما حاوله من تجديد نفوذ الخلافة ونشره ، واستحوذت عليه الوسوسة ، واتهام كل طالب للاصلاح حتى السيد جمال الدين الافغاني الذى كان المبتكر لهذه الفكرة ، والمقنع لكثير من مجتهدي الشيعة بتأييدها . فلما انزل الكماليون بها القارعة الاولى كان من حرص أكثر المسلمين عليها ان رضوا ببقاء اسمها — الخلافة — مجردة من كل معاني الرياسة والحكم ، فلما قرعت أسماعهم الصاخة الكبرى بالغاء الاسم وطرد المسمى من الآستانة ورأوا طاغوت الحجاز قد تنحلها لنفسه — فزعوا وأعولوا ، ثم تفكروا وتدبروا ، فهتف بهم هاتف الالهام الالهي أن توبوا الى ربكم ، وثوبوا الى رشدكم ، واجعلوا الامر شورى بينكم ، كما أرشدكم كتاب الله المنزل ، ومضت به سنة نبيه المرسل ، وسعد به السلف الاول . فتجاوبت الاصوات من كل مكان : لا بد من عقد مؤتمر اسلامي عام ،

اتفقت الشعوب الاسلامية على وجوب عقد المؤتمر، وكثرة الدعاة اليه، واختلفوا في الزمان والمكان اللذين يعقد فيهما،حتى اذا ارتفع صوت كبار علماء مصر بالتصدي للدعوة اليه، وضربوا الموعد المعروف له، ثم صاروا يدعون أهل الرأي والاخصاء في الفنون المختلفة الى الانضواء اليهم، والاشتراك في ادارة العمل معهم، خفتت دون صوتهم الاصوات، وكان أقواها صوت دعي الخلافة في الحجاز، سل الله تعالى عليه سيف سلطان نجد، فأخرجه مهزوما مذموما من تلك الارض، وذلك يضمن لنا اشتراك الحرمين الشريفين في مؤتمر مصر، بالتبع لاشتراك نجد فيه كما تقرر من قبل.

فهذا أول مؤتمر اسلامي عام يشترك فيه علماء الدين والدنيا من أكبر الشعوب الاسلامية وأوسعها علما وثروة، وأشدها بأسا وقوة، والمطلوب الاول منه وضع نظام للامامة العظمى يدخل في بابين (أحدهما) قواعد حكومة اسلامية مدنية يظهر بها علو التشريع الاسلامي على جميع ما اشترعه البشر في العدل والمساواة والجمع بين السياسة والفضيلة التي خلا منها اشتراع القوانين المادية (وثانيهما) قواعد للتربية والتعليم الجامعين بين هداية الدين ومصالح الدنيا، وتوثيق روابط الاخوة الدينية والتكافل الروحي والتعاون الاقتصادي بين المسلمين على اختلاف شعوبهم ومذاهبهم وتعدد حكوماتهم، ويدخل في هذا احياء دعوة الدين والدفاع عنه مع اتقاء السياسة من كل وجه. والحث على الاشتراك مع جميع الشعوب في خدمة الانسانية العامة، وترقية الآداب والحضارة في جميع الامم

وأما المطلوب الثاني فهو اختيار خليفة وامام للمسلمين ينفذ القسم الاول من هذا النظام في البلاد الخاضعة لحكمه خاصة مع مراعاة حقوق جميع أصناف سكانها (وصدر الشرع الواسع لا يضيق بشيء من ذلك) ويشرف على تنفيذ القسم الثاني مستعينا بديوان يشترك فيه أعضاء من جميع الشعوب الاسلامية

ونحن نجتهد في أن لا نجعل لاحد حجة علينا بتدخيل سياسي سري ولا جهري في مسلمي البلاد الاخرى — ولا حجة علينا في ارتباطنا الديني والادبي

مع أولئك المسلمين ، بأن يكون هذا الارتباط نحوا مما تأتيه جمعياتهم الدينية في بلادنا و بلاد غيرنا من الاجانب عنهم ، كجمعيات الدعاة المبشرين ، وجمعية الشبان المسيحيين ، وغيرهما ، وهذا النظام أكبر قوة ذاتية لنا ، نتقي بها استمرار هذا الخلل والضعف فينا

ان فائدة النظام الذي نقترحه على المؤتمر في المقصد الديني الادبي ، أكبر منه في المطلب السياسي ، فان سلطان الخليفة السياسي خاص ببعض المسلمين ، وسلطانه الديني الادبي عام لهم ، وأكبر فوائده تلافي الفوضى في التعليم الديني ورد عادية البدع ، وكبح جماح الافكار المادية المولدة للزندقة والالحاد ، والنزغات البلشفية وغيرها من الفتن التي أثارتها طبيعة الاجتماع ، وهذه خدمة للبشر من جميع الملل والنحل

فلهذه الغاية الفضلى ندعو أهل الرأي والغيرة والبصيرة من زعماء جميع الشعوب الاسلامية الى اغتنام فرصة إمكان عقد مؤتمر اسلامي عام في أرقى بلاد الاسلام ، فهي فرصة لم يسمح قبل بمثلها الزمان . ونسأله تعالى التوفيق في البدء والختام ?

المقالات الجمالية

ننشر تحت هذا العنوان ما جمعناه من مقالات موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني الحسيني حفظالها من الضياع

الشرق والشرقيون

نشرها السيد في جريدة (أبو نظارة زرقاء) التي كانت تصدر بباريس أيام وجوده فيها سنة ١٣٠٠ (سنة ١٨٨٣) وهي مصدرة بمقدمة حكيمة في العقل والنفس والاخلاق . التي هي يتفاضل بها البشر افرادا وجماعات ، ويعلو بعض الامم بعضا في ارتقاء الحضارة ، ويتسابقون في جلبة السعادة والسيادة ، — ويليها المقصد في شعبتين احداهما بيان ماكان للشرقيين من حظ ارتقاء العقل في العلم والبصيرة. وارتقاء النفس في الاخلاق العالية ، ثم ما انتهى اليه حالهم من إهمال النعمتين . والتدهور عن القمتين ، والشعبة الثانية في الشواهد التاريخية على ذلك بما كان من اضاعتهم لممالكهم ، وتخريب بيوتهم بأيديهم — قال رحمه الله

(المقدمة)

الانسان انسان بعقله و بنفسه ، ولولا العقل والنفس لكان الانسان أخس جميع الحيوانات وأشقاها ، لانه في حياته أضيق مسلكا وأصعب مجازا وأوعر طريقا منها ، قد حفت به المكاره، وأحاطت به المشاق، واكتنفت به الآلام ، لا يمكنه ان يقوم بمعاشه وهو منعزل عن أبناء نوعه، ولا يطيق الحر ولا يتحمل الم البرد ولا يقدر على الذود عن نفسه ، وليس له من الآلات الطبيعية ما يثقف به معيشته، وهو محتاج في ضروريات حياته ومفتقر في الكمال فيها الى الصناعة، ولا يمكن الحصول عليها الا باجالة الفكرة والتعاون عن يشاركه في العقل من النوع البشري

والعقل أن تستنبط المسببات من أسبابها، و يستدل بالعلل على معلولاتها، وينتقل من الملزومات الى لوازمها، وتستكشف الآثار حين ملاحظة مؤثراتها، وتعرف العواقب ضارها ونافعها وتقدر الافعال بمقاديرها على حسب ما يمكن أن

يطرأ عليها من الفوائد والخسائر في عاجلها وآجلها، ويتميز الحق من الباطل في الاعمال الانسانية نظرا الى عواقبها .

العقل (أي بهذا المعنى) هو الهادي الى مهيع السعادة ، ومنهج الامن والراحة ، لا يضل من استرشده ، ولا يغوى من استهداه ، ولا يحوم الشقاء حول من ركن اليه ، ولا يعثر في المداحض من اعتمد عليه ، ولا يلتبس الحق بالباطل على من استنار بنوره . وان الخير به وليس الشر الا بالحيدان عن صراطه القويم ، ومن فقده فاتته السعادة لا محاله ، ولو أخرجت له الارض أفلاذها ، وأسبغت عليه الدنيا نعيمها . وان الامم ما سادت الا بهدايته ، وما ذلت بعد رفيع مقامها وعظم منزلتها الا بعد أن عرضت عن خالص نصحه، وتوغلت في بيداء غوايتها ، واستعملته في مسالك ضلالتها ، واستخدمته لقضاء أوطار طبائعها الخسيسة، التي تجلب عليها الشنار ، وتوجب المعرة والصغار

والنفس هي منشأ أخلاق كريمة وأوصاف عقلية ، هي قوام الاجتماعات المدنية والمنزلية ، وأساس التعادل وميزان التكافيء في الموازرات ، ومقياس التوافق في المعاونات ، ولا يمكن التآلف بين القوى المتفرقة لاقتناء ما تقوم به حياة الانسان الا بها ، ولا تلتئم أهوية النفوس المختلفة لاكتساب ضروريات معاشها لا بسببها ، وهي التي تجعل الافراد الانسانية مع تضاد طبائعها، بمنزلة شخص واحد يسمى بأعضائه المتخالفة في اشكالها ، وجوارحه المتباينة في هيآتها الى مقصد واحد لا يمكن الوصول اليه الا باستعمالها ، بحركات قد اختلفت مع وحدة جهتها أوضاعها . وسيادة الامم الغابرة والحاضرة هي من أخص نتائجها، لانها لا يمكن حصولها الا باتفاق كلمة آحادها ، واجتماع آراء أفرادها ، ولا تتفق الكلمة ولا تجتمع الآراء الا بالتكافيء في المساعي، والتوازن في تحمل المشاق ، والاشتراك في المنافع، والمساواة في الحقوق ، والتعادل في التمتع بثمرات الاعمال، بلا تفاضل ولا استئثار ، وكل هذه في وجودها وبقائها تحتاج الى الاخلاق الكريمة والاوصاف العقلية التي يعرف الانسان حقه ويقف عنده . ولا تشتت أمة ولا اضمحلت سلطة ولا تفرقت جمعية الا بفساد أخلاقها وتطرق الخلل في سجاياها،

لانها بفسادها، وتطرق الخلل فيها، توجب تخالف الايدي وتباعد الاهواء، وتضارب الآراء وتباين الافكار، فيستحيل حينئذ الاجتماع ويمتنع الاتفاق

واذا أمعن البصير في حقيقة الاخلاق الرذيلة يعلم أنها بذاتها تبعث على التفرق والاختلاف، وتمنع من الاجتماع والائتلاف، وما ينشأ عن ذات الشيء لا يمكن زواله ما دامت ذاته باقية، فاذا تمكنت الاخلاق الرذيلة من أمة فلا يرجى لها نجاح، ولا يحصل لها فلاح، ما لم تسع في تعديلها، وتدأب في تقويمها

ويمكن أن يقال ان بين كمال العقل وطهارة النفس وتخلقها بالاخلاق الفاضلة تلازما، لان العقل اذا بلغ كماله يقهر الطبيعة فحينئذ تسلم النفس من سوراتها، وتخلص عن عكر قذفاتها، فتنقاد للعقل مستسلمة له، خاضعة لحكمه، ويستعملها العقل على نهج الحق والعدل — وليست الاخلاق الفاضلة الا أن تزن النفس أعمالها بميزان العدل، ولا تحيد في هواها عن صراط الحق

*

الشعبة الاولى من المقصد في أسباب انحطاط الشرق

وبعد هذه المقدمة يمكن لنا أن نقول إن الشرق بعد ما كان له من الجاه الرفيع، والمقام المنيع، والسلطنة العظيمة، وبسطة الملك وعظم الشوكة، وكثرة الصنائع والبدائع، ووفور الامتعة والبضائع، ورواج سوق التجارة، وذيوع العلوم والمعارف، وشيوع الآداب والفنون - ما هبط عن جليل مرتبته، وما سقط عن رفيع منزلته، ولا استولى الفقر والفاقة على ساكنيه، ولا غلب الذل والاستكانة على عامريه، ولا تسلطت عليه الاجانب، ولا استعبدت أهله الاباعد، الا لاعراض الشرقيين عن الاستنارة بنور عقولهم، وتطرق الفساد في أخلاقهم، فانك تراهم في سيرهم كالبهائم، لا يتدبرون أمرا، ولا يتقون في أفعالهم شرا، ولا يكدون لجلب النافع ولا يجتنبون عن الضار (١) طرأ على عقولهم السبات، ووقفت افكارهم عن الجولان في اصلاح شؤونهم، وعميت بصائرهم عن ادراك النوازل التي

«١» اجتنب يتعدى بنفسه قال تعالى « الذين يجتنبون كبائر الاثم » الآية

أحاطت بهم، يقتحمون المهالك، ويمشون المداحض(١)، ويسرعون في ظلمات أهوية نفوسهم التي نشأت عن أوهامهم المضلة، ويتبعون في مسالكهم ظنونا قادهم اليها فساد طباعهم، لا يحسون المصائب قبل ان تمس أجسادهم، وينسونها كالبهيمة بعد زوال آلامها، واندمال جراحها، ولا يشعرون لاستيلاء الغباوة على عقولهم، واكفهرار ظلمات غشاوة الجهل على بصائرهم، باللذائذ التي خص الانسان بها من حب الفخار في طلب المجد والعز، وابتغاء حسن الصيت وبقاء الذكر، بل لاستيلاء الغفلة على عقولهم يحسبون أن يومهم دهرهم، والتقمقم كالسارحة(٢) شأنهم، لا يدرون عواقبهم، ولا يدركون ما آل أمرهم، ولا يتداركون مافاتهم، ولا يحذرون مايتربصهم(٣) من أمامهم ومن خلفهم، ولا يفقهون ما أكن لهم الدهر من الشدائد والمصاعب.. ولذا تراهم قد رئموا الذل، وألفوا الصغار، وأنسوا الهوان، وانقادوا للعبودية، ونسوا ماكان لهم من المجد المؤثل والمقام الامثل. وبعد انحدارهم عن ذروة العقل الذي لا كرامة للانسان الا به، غلبت عليهم الخسة والنذالة، ورانت على قلوبهم القسوة والجفاء، وتمكن من نفوسهم الظلم والجور، واستولى عليهم العجب، لا عن جاه يدعو اليه، ولا عن فضيلة تبعث عليه، وتظاهروا مع الذل المتمكن من قلوبهم بالكبر والعظمة، وفشا بينهم الشقاق والنفاق، وتلبسوا بالغدر والخيانة، واستشعروا الحسد والنميمة، وتسربلوا بالحرص والشره، وتجاهروا بالوقاحة والشراسة، واتسموا بالخشية والجبانة، وانهمكوا في الشهوات الدنية، وخاضوا في اللذات البدنية، وتخلقوا بالاخلاق البهيمية، متوسدين الكسالة والفشل، واتصفوا بصفات الحيوانات الضارية، يفترس قويهم ضعيفهم، ويستعبد عزيزهم ذليلهم، يخونون أوطانهم ويظلمون جارهم، ويستلبون أموال ضعفائهم، ويخوسون بعهودهم(٤)، ويسعون في خراب بلادهم، ويمكنون

«١» أي فيها وهي جمع مدحضة حيث تدحض الرجل أي تزل

«٢» السارحة البهيمة التي تسرح للمرعي والتقمقم والتقمم أخذ الشاة ماعلى وجه الارض بمقمتها وأكله وكذلك تتبع الانسان ماعلى المائدة واكله كله

«٣» تربصه الأمر: انتظره، وتربصه به: توقع نزوله به ومنه (نتربص به ريب المنون)

(٤) خاس يخيس خيسا كذب ـ وخاس بالعهد خيسا وخيسانا غدر ونكث

الاجانب ديارهم، لا يحمون ذمارا، ولا يخشون عارا، عالمهم جاهل، وأميرهم ظالم، وقاضيهم خائن، ليس لهم هاد فيرشدهم الى سبيل نجاتهم، ولا زاجر فيكفون عن التمادي في غيهم، ولا وازع يقدع الجائرين عن نهش عظام فقرائهم،

وصاروا جميعا بسخافة عقولهم وفساد أخلاقهم عرضة للهلاك

(لها بقية وهي الشواهد التاريخية)

الطور الجديد للمسالة العربية

ذكرنا في الجزء السادس الذي قبل هذا ان المسألة العربية دخلت في طور جديد بخروج سلطان نجد من عزلته السياسية وتصديه لانقاذ الحجاز من حسين بن علي مفرق الجماعات ومثار الفتن وموبق الامة العربية بادخاله النفوذ بل السلطان الاجنبي في جزيرة العرب ، فقد زحفت الجيوش النجدية بالفعل على الحجاز وسبقتهم العشائر الحجازية التي تدينت بدعوة نجد الى الطائف وبعد مقاومة شديدة من حاميتها الحجازية وهي أكبر قوة للملك حسين احتلوا الطائف عنوة وانهزم القائد العام للجيش الحجازي وهو الامير علي ولي العهد لوالده فتحصن في موقع منيع يقال له الهدى (بفتح الهاء) فزحف عليه الاخوان فأخذوه عنوة وولي الامير مدبرا الى موقع آخر على طريق عرفات يقال له (كرى) فزحفوا عليه فانهزم الى مكة فوقف الاخوان لان السلطان عبد العزيز آل سعود لم يأذن لهم بدخول مكة فاتحين ، وفي أثناء ذلك طفق الملك حسين يمطر عالم الشرق وعالم الغرب برقيات من الطعن في الوهابيين ليهيج عليهم مسلمي الارض ودول أوربة فرأينا من الواجب علينا أن نبادر الى كتابة مقالات في الحقائق المتعلقة بهذه المسألة وننشرها في جريدة الاهرام اليومية الواسعة الانتشار ثم اقترح علينا ان ننشر هذه المقالات في المنار تباعا وهاهي ذي :

الوهابيون والحجاز

(١)

لو حدثت إغارة الوهابيين على الحجاز في عهد الدولة العثمانية لقامت قيامة العالم الاسلامي وتبارت الجرائد العربية في الشرق والغرب والجرائد التركية والهندية والفرسية والتتارية والملاوية تشن عليهم غارة التضليل والتكفير، وتجمع الاعانات المالية لقتالهم بالقناطير، ذلك لما كان لجماهير الشعوب الاسلامية من حسن الظن وقوة الرجاء بالدولة ومن سوء الظن بالوهابيين، أما وقد حدثت في هذا العهد فاننا نرى ضلع الرأي الاسلامي العام مع الوهابيين لان ما كان خفيا من قوة دينهم واعتصامهم بالسنة ورفضهم للبدع وكراهتهم للسلطة أو النفوذ الاجنبي قد ظهر لخواص المسلمين وبدأ يظهر لعوامهم، ولان جميع الشعوب الاسلامية تمقت هذا الرجل الذي تولى أعداء الاسلام في الحرب والسلم فنصرهم على المسلمين واعتمد عليهم في طمعه في خلافة الاسلام وملك العرب تحت ظلهم وحمايتهم، فبمساعدته ومساعدة أولاده استولوا على البلاد العربية التي هي مهد حضارة الاسلام من حدود مصر الى خليج فارس، ويحاولون جعل ما بقي للعرب من عقر دارهم في جزيرتهم المقدسة تحت ظل تلك الدولة التي جعلته ملكا مستبدا في الحجاز، ليهون على أهله وضعه تحت سيادتهم مباشرة في يوم من الايام، وسمت أحد أولاده ملك العراق، وآخر منهم أمير الشرق العربي أو أمير شرق الاردن، ويطمع أن تسميه ملك فلسطين ليخضع لها مسلميها كما أمنها تعدي الاعراب المجاورين لها

فقد ظهر لجميع شعوب العالم الاسلامي أن هذا الرجل وأولاده هم شر نكبة نكب بها الاسلام في هذا العصر فصارت تتمنى زوال سلطته عن مهد الاسلام، وترى أنه لا يرجى لذلك غير هؤلاء النجديين البواسل الذين صارحهم بالعداوة والاذى بما جدد من دعاية سلفه الطالح من الطعن في دينهم ورميهم بالكفر، وادعائه أن الاسلام يوجب عليه قتالهم، والمصلحة العربية توجب عليه إخضاعهم

سلطانه، وجعلهم تابعين لملكه» ومنعهم من أداء فريضة الحج - على ماعرف عنهم من إباء الضيم وعدم الصبر على انتهاك حرمات الله - الى تحكمه ما شاء في إقامة ركن الدين الاجتماعي العام في بيت الله، وظلم من شاء فيه بالضرائب المختلفة وظلم أهله في كل شيء — فهذه اسباب الرجاء في النجديين بالاجمال(١) لا حب التوسع في السلطان والتبسط في الملك الذي يرميهم به هو ودعاته وجرائده من باب « رمتني بدائها وانسلت » ونحمد الله تعالى أن هؤلاء الدعاة قلوا وقلت الجرائد التي تنشر لهم إفكهم وبهتانهم

ولكن بقي من الناس من يسيئون الظن بالوهابية و يظنون أنهم أصحاب مذهب مبتدع في الاسلام، وذلك بتأثير الدعاية المنتشرة منذ قرن وربع قرن في الطعن فيهم — وبتأثير انتشار البدع واشتهارها حتى صار بها المعروف منكراً والمنكر معروفا، فالآخذون بهذه البدع يعدون كل منكر لها وهابيا ويضيفون الى ذلك ما حفظوه من البهتان الذي جدده الملك حسين في جريدته القبلة من رميهم بتكفير من عدا هم من المسلمين وإنكار شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) وتحريم الصلاة عليه وزيارة قبره كسائر القبور، بل تجرأ حسين المكي وأمثاله على رميهم بالطعن في شخصه الا كمل وتفضيل العصا عليه برأه الله تعالى ولعن كل مجترىء على مقامه الشريف

هذه البهائت كان يبهتهم بها أمير مكة وأعوانه في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة عند ظهور أمرهم لتنفير المسلمين منهم ، ولما استولوا على مكة المكرمة سنة ١٢١٨ بقيادة الامير سعود جمعوا علماءها وفي مقدمتهم مفتي الحنفية ومفتي المالكية وبينوا لهم مذهبهم وخطتهم في تجديد دعوة الاسلام فوافقوهم عليها وذكروا لهم ما كان أذيع من الطعن الذي أشرنا اليه آنفا فتعجبوا وتبرؤا منه

إننا لم نر أحدا من البهاتين الذين يطعنون فيهم ينقل شيئا من كتبهم، ونحن في بياننا للحقيقة ننقل من كتبهم ومن كتب غيرهم ولا نقول شيئا من عندنا بغير دليل :

«١» وسياتي بيانها بالتفصيل في المقالتين الثانية والثالثة

بيان الوهابية لمذهبهم

جاء في رسالة للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد صاحب الدعوة وصف فيها دخول جماعتهم مكة مع الامير سعود سنة ١٢١٨ ومناظرتهم للعلماء فيها و إعطاءهم رسائل والده الشيخ محمد عبد الوهاب — وكان مع علماء مكة الذين حضروا مجالسه حسين الابريقي الحضرمي ثم الحياني وكان يسأل عن أصل هذه الدعوة قال الشيخ عبد الله ما نصه :

« فأجبناه بأن مذهبنا في الاصول مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الاسلم والاعلم والاحكم ، خلافا لمن قال: طريقة الخلف أعلم، وهي أننا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل علمها الى الله مع اعتقاد حقائقها ، فان (مالكا) وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة »

ثم قال « ونحن أيضا في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل . ولا ننكر على من قلد أحد الائمة الاربعة دون غيرهم » الخ (ص ٤٤ من كتاب الهدية السنية والتحفة النجدية)

ثم قال : « وأما ما يكذب علينا سترا للحق ، وتلبيسا على الخلق ، بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أهواءنا ، من دون مراجعة شرح ، ولا تعويل على شيخ . وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع لنا منه، وليس له شفاعة، وان زيارته غير مندوبة ، وانه كان لا يعرف معنى لا اله الا الله حتى نزل عليه (فاعلم أنه لا اله الا الله) مع كون الآية مدنية — وانا لا نعتمد على أقوال العلماء فنتلف مؤلفات أهل المذاهب ، لكون فيها الحق والباطل — وانا نكفر الناس على الاطلاق ، أهل زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه — ومن

فروع ذلك أنا لا نقبل بيعة أحد الا بعد التقرير عليه أنه كان مشركا وان أبويه ماتا على الشرك بالله ، وانا ننهى عن الصلاة على النبي (ص) ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا — وان من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون — وانا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم » الخ

ثم قال : « فجميع هذه الخرافات (أي التقولات) وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولا كان جوابنا في كل مسألة من ذلك (سبحانك هذا بهتان عظيم) فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى ، ومن شاهد حالنا ، وحضر مجالسنا ، وتحقق ماعندنا ، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين ، واخوان الشياطين ، تنفيرا للناس عن الاذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » الخ (ص ٤٦ من الهدية)

ثم قال : « والذي نعتقده أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق وانه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل إذ هو أفضل منهم بلا ريب وانه يسمع سلام المسلم عليه وتسن زيارته الا أنه لا يشد الرحل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس . ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه — عليه الصلاة والسلام — الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفي همه وغمه كما جاء في الحديث عنه ، ولا ننكر كرامات الاولياء ونعترف لهم بالحق وانهم على هدى من ربهم متى ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية ، الا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات لا في الحياة ولا بعد الممات » الخ مافصل به ذلك الاجمال من انكار ما بهتوا به . فمن شاء التفصيل فليطالع (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) وهي توزع في مكتبة المنار بغير ثمن

وقد كنت لدى الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في أوائل الشهر الماضي فذكرت الوهابية وسبب الطعن فيهم وكان من حاضري المجلس الاستاذ الشيخ

عبد المجيد اللبان والاستاذ الشيخ محمد شاكر والاستاذ الشيخ احمد هارون والاستاذ الشيخ الظواهري وغيرهم فبينت لهم تاريخ المسألة ومن كتب فيها على بينه من المؤرخين عند استيلاء الامير سعود على الحجاز ثم ذهب أحد سعاة سكرتارية الازهر الى مكتبة المنار فجاء بعشرات النسخ من الهدية السنية ووزعت عليهم وقرأ الاستاذ الاكبر ما نقلناه هنا وما فصل فيها مما لم ننقله واعترف بأنه مذهب أهل السنة والجماعة إلا أنه قال: ان حديث « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى » قد أوله العلماء قلت: وهم قد أخذوا بظاهره تبعا لبعض المحققين من علمائهم — أعني الحنابلة — وأزيد أن بعض الشافعية والمالكية حرم شد الرحال لزيارة قبور الصالحين كالامام الجويني والد امام الحرمين واختاره القاضي عياض في شرحه لصحيح مسلم كما نقله عنه النووي فأخذ الوهابية بذلك لهم سلف فيه وليسوا أول من قال به

شهادة التاريخ للوهابية

نكتفي هنا بشهادتين عادلتين لمؤرخين كبيرين نقلا عن العدول المعاصرين لظهور الوهابية واستيلاء أمير نجد بقوتهم على الحجاز

﴿الشهادة الاولى﴾ قال المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الازهري في أول حوادث سنة سنة ١٢٢٧ من تاريخه نقلا عن بعض أكابر رجال جيش محمد علي باشا الذين قاتلوا الوهابية في الحجاز ما نصه:

« ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع: أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضينا أذان ولا تقام فيه فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين. والقوم (يعني الوهابية) اذا دخل الوقت اذن المؤذنون وينتظمون صفوفا خلف امام واحد بخشوع وخضوع، واذا حان وقت الصلاة والحرب قائم (؟) أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة

الحرب وتتأخر الاخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته ، وينادون في معسكرهم: هلموا الى حرب المشركين المحلقين الذقون، والمستبيحين الزنا واللواط، الشاربين الخمور، التاركين للصلاة ، الآكلين الربا ، القاتلين الانفس ، المستحلين المحرمات . وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غير مختونين » اه (ص ١٤٠ ج ٤ من الطبعة الاميرية) وفيه من فظائع العسكر وفواحشه ما لا حاجة الى ذكره

ومن المعلوم أن جيش محمد علي كان أخلاطا من شعوب وملل شتى ولم يكن مؤلفا باعتبار أنه جيش اسلامي يقيم شعائر الاسلام ويحافظ على فرائضه ويراعي أحكامه في القتال وغيره بل لم يكن جيش الدولة العثمانية المنظم كذلك وهي التي كانت توصف بأنها دولة الخلافة . وأما ظن ناقل الخبر للجبرتي أنهم لا ينصرون وحالتهم ما ذكر فسببه أنه يعتقد أن الفسق يمنع النصر وليس كذلك فان من استوفى أسباب النصر من كثرة العسكر ونظامه وعدته ينتصر على من ليس كذلك

﴿الشهادة الثانية﴾ — ماجاء في كتاب (الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى) للعلامة الشيخ احمد الناصري السلاوي فانه ذكر في الجزء الرابع منه خبر وصول كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابي الى فاس وخلاصة وجيزة عن أصل الوهابية لا تخلو من غلط ثم ذكر أن سلطان فاس أرسل جواب ذلك الكتاب مع ولده الذي سافر مع بعض العلماء الى الحجاز وهذا نص خبره (ص ١٤٥ من الجزء الرابع المطبوع بمصر) قال:

(حج المولى أبي اسحق ابراهيم بن السلطان المولى سليمان رحمه الله)

(وفي هذه السنة) أعني سنة ست وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الاستاذ الافضل المولى أبا اسحق ابراهيم بن سليمان الى الحجاز لاداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من (فاس) على هيئة بديعة من الاحتفال وابراز الاخبية لظاهر البلد وقرع الطبول واظهار الزينة وكانت الملوك تعتني بذلك وتختار له أصناف الناس من العلماء والاعيان

والتجار والقاضي وشيخ الركب وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام وغيرهما فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران والفقيه الشريف البركة المولى الامين ابن جعفر الحسني الرتبي والفقيه العلامة الشهير أبي عبد الله محمد العربي الساحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه فوصلوا الى الحجاز وقضوا المناسك وزاروا الروضة المشرفة على حين تعذر ذلك وعدم استيفائه على ما ينبغي لاشتداد شوكة الوهابيين يومئذ ومضايقتهم لحجاج الآفاق في أمور حجهم وزيارتهم الا على مقتضى مذهبهم

(حكى صاحب الجيش) أن المولى ابراهيم ذهب الى الحج واستصحب معه جواب السلطان فكان سببا لتسهيل الامر عليهم وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الامن والامان والبر والاحسان قال: حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك السنة أنهم ما رأوا من ذلك السلطان (يعني ابن سعود) ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة وانما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة والقيام بشعائر الاسلام، من صلاة وطهارة وصيام، ونهي عن المنكر الحرام، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام، التي كانت تفعل بهما جهارا من غير نكير. وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا مركوب ولا لباس، وانه لما اجتمع بالشريف المولى ابراهيم أظهر له التعظيم الواجب لاهل البيت الكريم. وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي أبو اسحق ابراهيم الزداغي فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم: إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية. فأي شيء رأيتمونا خالفنا من السنة؟ وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا؟ فقال له القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي فقال لهم: معاذ الله انما نقول كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة. فهل في هذا

من مخالفة ؟ قالوا : لا وبمثل هـذا نقول نحن أيضا . ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة اخوانه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم . فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه وقال : معاذ الله انما نقول انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وكذا غيره من الانبياء حياة فوق حياة الشهداء، ثم قال له القاضي: وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الاموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها . فقال : معاذ الله أن ننكر ما ثبت في شرعنا، وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها ؟ وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية، ويطلبون من الاموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية . وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكر مصير الزائر الى ماصار اليه المزور ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع به الى الله تعالى ويسأل الله المنفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق أن يستشفع به هذا قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة فأي مخالفة في هذا القدر . اه . ثم قال صاحب الجيش هـذا ما حدث به أولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ثم سألنا الباقي أفرادا فاتفق خبرهم على ذلك اه

وذكر المؤلف بعد هذا الخبر بحثا في زيارة القبور رجح فيه القول بمنع زيارة الاولياء سدا للذريعة مع بيان العلة واشهارها بين الناس وذكر أن سلطان المغرب المولى سليمان رحمه الله كان يرى هذا وألف فيه رسالته المشهورة وان الشيخ الفقيه الصوفي أبا العباس التيجاني كان يرى هـذا ونهى أصحابه عن زيارة الاولياء اه ملخصا

والشيخ احمد التيجاني المذكور قد انتشرت طريقته في جميع بلاد المغرب الاقصى والادنى حتى ان أتباعه يعدون بالملايين الى هذا العهد

ومانقله من كلام الامير الوهابي في مسئلة الاستشفاع معزوا الى الامام احمد

يظهر انه لم ينقل بحروفه فان الامام أحمد رضي الله عنه لا يعرف عنه ولا عن علماء الوهابية مثل هذا القول فيما نعلم والله أعلم

وسنبين في مقال آخر ان المتغلب على الحجاز اليوم هو الذي يكفر المسلمين الذين يعاديهم ويعادونه فقد كفر الترك والمصريين كما كفر الوهابية ونبين أن ما فعله النجديون من الزحف لانقاذ الحجاز من بغيه هو من فروض الكفاية على الامة الاسلامية قد قاموا به فاذا ظفروا ارتفع الاثم عن جميع المسلمين والا وجب ذلك على غيرهم

المقالة الثانية

في الاسباب العامة لزحف الوهابيين على الحجاز

تمهيد : طريقتنا في الكتابة

إننا نكتب ما نكتب في هذا الموضوع لبيان الحق وأداء النصح الواجب للامة الاسلامية وللشعب العربي، وقد عاهدنا الله تعالى على أن لا نؤثر على الحق والنصح شيئاً، وانه اذا ظهر لنا أننا أخطأنا في شيء فاننا نرجع عنه ونعلن ذلك اعلانا

فما كان في كلامنا من خبر فاننا مستعدون لاثباته بالنقل عن المصادر التي لا نزاع فيها وأكثرها رسمية حقيقة أو حكما (وهذا ما يسميه كتاب هذا العصر شبيها بالرسمي) كأقوال جريدة القبلة التي لا تعزوها الى الملك حسين ولا الى حكومته (التي هي هو)

وما كان من حكم شرعي فاننا نذكره بالدليل ونعرضه على علماء الاسلام في العالم كله فان كتب الينا أو كلمنا أحد منهم بما يقنعنا بأننا أخطأنا في شيء منه فاننا نرجع الى الحق ونعلن ذلك لمن اطلع على كلامنا حيث اطلع عليه ، والا بينا له خطأه بالدليل مع التزام الادب الذي نطالبه به ونعرض كلامنا وكلامه على الجمهور

وما كان من رأي فاننا لا نأبى مناقشة أهل الرأي فيه على شرطنا فيما قبله ومنه ان يرسل الرد الينا أو الى الصحيفة التي ننشر فيها كلامنا، ولسنا نكلف أن

نطلع على جميع الجرائد وما عساه يوجد في بعضها من نقد أو طعن فنرد عليه، ولا أن نرد على من يخرج عن شروط المناظرة وآدابها، وانما نرد على من ينكر بالدليل صدق خبر من أخبارنا أو صحة دليل من أدلتنا أو بطلان رأي من آرائنا، لاننا نتحرى الحق والصواب في هذه الثلاثة وندور معه ان شاء الله تعالى حيث دار

اننا أفتينا ببطلان بيعة حسين بن علي بالخلافة وسردنا الدلائل الشرعية على ذلك، ونشرت الفتوى في مجلتنا (المنار) وفي جريدتي الاهرام والمحروسة، وبينا في هذه الفتوى وفي مقالات أخرى في المنار أن هذه البيعة على بطلانها تضر الامة العربية وتزيد الشقاق بين شعوبها وحكوماتها، فصدقت الحوادث رأينا ولم يرد عليه أحد فيما نعلم، واننا بينا حقيقة حال خصومه النجديين في مذهبهم بالنقل من كتبهم ومن كتب التاريخ المشهورة ولم نذكر من عندنا كلمة واحدة ولن يستطيع أحد أن ينكر كلمة من نقلنا وقد بينا مواضعه حتى ذكرنا أعداد الصفحات والاجزاء التي نقلنا عنها، لذلك وقع أحسن موقع من أنفس الناس الذين قرؤا مقالنا الاخير الذي نشرناه في جريدة الاهرام واستزادونا من الكتابة في هذا الموضوع، وكثر طلاب التحفة السنية والهدية الوهابية من القاهرة ومن جميع أرجاء القطر المصري ومما جاوره حتى صار جل عمل مكتبة المنار منذ نشرت المقالة توزيع هذه الرسالة فكان هذا سببا لمعرفة الالوف الكثيرة من الناس ما كانوا يجهلون من حقيقة اهل هذا القطر الاسلامى الذين هم أشد مسلمي هذا العصر حرصا على السنة السنية وعناية بالاعتصام بعروتها الوثقى وكان أمرهم مجهولا عند الاكثرين بل كانوا يوصفون بضد ما هم عليه بما يذيعه حسين بن علي وأعوانه من الطعن في دينهم تبعا لما أذاعه سلفه في إمارة الحجاز، ومقلدوهم من مدة قرن ونيف منذ حين فتحوا الحجاز المرة الاولى، حتى كتب أخيرا بعض من لا قيمة للحق والصدق عندهم مقالات في بعض الجرائد كلها زور وبهتان هبط الافتراء ببعضهم فيها الى رميهم بأنهم يسعون لابطال دين الاسلام تمهيدا لنشر دعوة المبشرين (دعاة النصرانية) فكانت هذه فرية عجز عن مثلها

الشيطان الرجيم ولم تخطر ببال (منقذ العرب والمسلمين !!)

وانا في هـذا المقال وما بعده نبين للناس كافة، ولاهل الغيرة الاسلامية والجامعة العربية خاصة، أسباب زحف النجديين لانقاذ الحجاز من هذا المتغلب عليه، المستبد فيه، الظالم لاهله ولمن يحجونه من سائر المسلمين، وسيعلمون مما نورده من الحقائق الجلية، والشواهد الرسمية وشبه الرسمية، أن سلطان نجد لم يفعل هذا طمعا في توسيع ملكه، ولا لمجرد المحافظة على حقه، بل خدمة الملة الاسلامية والامة العربية، وان كان الامر الثاني وحده يوجب عليه ذلك شرعا وعرفا، ونبدأ بذكر الاسباب العامة فنذكرها بالايجاز لانها صارت مشهورة الا أنه يقل من يحفظها كلها ويستحضر ذكرها، ثم من يخلص في بيان ذلك للناس، ولهـذا نرى ما يتعجب منه من الخبط والخلط والباطل في مقالات بعض الكتاب حتى من تصدي لتمحيص امثال هذه المسائل خاصة

الاسباب العامة

لزحف النجديين على الحجاز

(السبب الاول) ما هو معلوم بالتواتر القطعي وبالوثائق الرسمية من موالاة شريف مكة حسين بن علي وأولاده للدولة البريطانية وحلفائها في الحرب الاخيرة ونصرهم إياهن على الدولة العثمانية في فتح البلاد العربية وانه كان يهنئ الدولة البريطانية كلما فتحت مدينة من أمصار الاسلام وعواصم الحضارة العربية كالقدس الشريف وبغداد ودمشق، ثم اقتسموا هذه البـلاد فأعطوه ولاية الحجاز وأخذوا هم ولايات العراق وسورية والقدس الشريف حتى إنهم اقتسموا سكة الحديد الحجازية أيضا التي هي وقف اسلامي أنشيء لتسهيل إقامة ركن اسلامي.

فأما تولي المسلم لغير المسلمين في القتال وفتح بلاد المسلمين فحكمه الديني معلوم بنص القرآن المجيد وكتب الشريعة وحسبنا منه قوله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) وأما عاقبته في الامة العربيـة فهي استيلاء الاجانب على مهد حضارتها وعمرانها وأخصب اقطارها وأعظم موارد

ثروتها ، وجعل ما بقي لها من جزيرتها المقدسة محاطا به من البر كالبحر ومهددا بفقدان استقلاله في كل وقت ، والتهديد شامل للحرمين الشريفين بالتبع لثالثهما وهو المسجد الاقصى حتى لا يبقى لهما استقلال في دين ولا دولة

(فان قيل) ان هذا الرجل وأولاده يدعون أنهم ما فعلوا هذا الا لانقاذ البلاد العربية واستقلال العرب (قلنا) اننا نحن نبين الحق الواقع لا إفك السياسة ومغالطاتها وكذبها ومكابرتها ، والا فان الانكليز قالوا ولا يزالون يقولون مثل هذا القول في احتلالهم لمصر ، وفي إكراه وزير من وزرائها على تسميته إياهم شركاء لمصر في بلاد السودان ، وفي زعمهم الآن أن السودان يجب أن يكون في أيديهم وحدهم لان لهم مصالح فيه ولاتمام سعادة السودانيين !! .

(فان قيل) إن ثورة الشريف التي يسميها النهضة انما بنيت على القصد الصحيح المذكور ثم ظهر له أن حلفاءه خدعوه وأخلفوا وعده، ونكثوا عهده ، ولا عجب فقد خدعوا رئيس أعظم دولة في العالم كما خدعوه وهو رئيس دولة الولايات المتحدة في أميركا (قلنا) إن هذا باطل كالذي قبله كما يعلم من الاسباب الآتية وربما كان من أسباب ارجاء ابن سعود الزحف على الحجاز الى الآن ، لاجل استعراف نتيجة هذه الاقوال

(السبب الثاني) أن الشريف حسينا وأولاده لا يزالون مصرين على موالاة حلفائهم الاجانب ومودتهم ومساعدتهم على تثبيت أقدامهم في البلاد العربية معادعائه هو دون أولاده بأنهم خدعوه وغشوه ـ لانه أشدهم رياء وخداعا وافكا ولذلك يناقض نفسه ويبطل بعض كلامه بعضا ، وها نحن أولاء قد قرأنا في عدد جريدة (القبلة) ٨١٠ الذي صدر في ١٠ المحرم فاتحة هذا العام(١٣٤٣) تصريحا رسميا له بالثبات على مودتهم في منشور باسمه سماه (منشور عيد البيعة الاولى) وما أكثر أعياده بمصائب العرب والاسلام !! فقد قال فيه ما نصه :

« وانا لا نزال ساعين لتأييد المودة وتأكيد الروابط بيننا وبين حلفائنا العظام» فما هذا التأييد والتأكيد ان كان صادقا في قوله إنه مخدوع ، منكوث العهد ، مكذوب

أو عد، ولماذا يصر على السعي لعقد المعاهدات معهم والنبي الذي يدعي هو وحكومته اتباعه له دون المسلمين كافة والوهابيين خاصة يقول « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » رواه البخاري ومسلم وغيرهما — دع ما ورد في أمثال هذه الموادة والمعاهدات في سورتي الممتحنة والتوبة مما ينافي الاسلام نفسه

(السبب الثالث) ان ما يسميه النهضة قد بني على أساس الحماية البريطانية للمملكة العربية التي طلب من الانكليز أن يؤسسوها له كما فضحها ولده الشريف فيصل في دمشق الشام بنشره نص مقرراتها الرسمي في جريدة المفيد ثم نقلتها الصحف الكثيرة في المشرق والمغرب، وهذا نص المادة الثانيـة منها بحروفه كما كتبها حسين بن علي بيده الأثيمة الخاطئة :

(٢) تتعهد بريطانية العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء الخ

ولكن الانكليز لما لم يسمحوا له بغير الحجاز من البلاد العربية التي طلب أن يكون ملكها تحت حمايتهم لم يكن من مصلحتهم أن يقبلوا رسميا جعـل الحجاز تحت حمايتهم . وهو لا يزال مصرا على هذه المقررات ويعـد من أعظم النعم عليه أن يكون موظفا بريطانيا في الحجاز كبعض النواب والرجوات في بعض الولايات الهندية التي تسمى مستقلة في بطن الحضجر الواسع (١)

ومن الادلة على ذلك أنه طلب مرارا من الدولة البريطانية إقالته من ملك الحجاز وتنصيب غيره بدلا منه . وأرسل مرة الى مدير جريدة التيمس برقية اليه رغب اليه فيها أن يتوسل لدى حكومته لقبول استقالته . وهذا نص البرقية منقولا عن العدد ٥٥٣ من (جريدة القبلة) :

---

(١) الحضجر — بكسر فسكون ففتح — العظيم البطن الواسعة، وسميت به الضبع

« المدير العمومي لصحيفة التيمس

« اطلعت على عددكم المشتمل الرد والقدح باتحاد العرب والتزامكم أحد امرائهم ولزيادة اقناع حكومة جلالة الملك وايضاح الحقيقة لعموم الشعب النجيب البريطاني اكرر هذا طلبي بواسطتكم من حكومة جلالته تأكيد تعيين الامير المذكور أو من تراه ليستلم البلاد » الخ . والمراد بالامير المشار اليه سلطان نجد اذ كانت جريدة التيمس مدحته بمقال لها

وكان قد أرسل الى نائب ملك الانجليز بمصر كتاباً في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ نشره في جريدته (القبلة) مرارا لاعتقاده انه من معجزات السياسة اوالكياسة والبلاغة استغاث فيه الدولة البريطانية أن لا تعدل مقررات نهضته المبنية على الحماية ولا تعرض الاتفاق معه على مؤتمر الصلح قال فيه مانصه السقيم:

« فان كان ولا بد من التعديل فلا لي سوى الاعتزال والانسحاب ولا أشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا أنه أمر يتعلق بالحياة لا لقصد عرضي، ولا لفكر غرضي، وأنها لا ترتاب في أني وأولادي أصدقاؤها الذين لا تغيرهم الطوارىء والايام ، ثم تعينوا البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر اليها في أول فرصة »

ثم اجاب عن تعليق أمر مطالبه بالمؤتمر وختم كلامه بقوله :

« ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (؟) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اه بحروفه من العدد ٣٩١ من جريدته (القبلة) الذي صدر في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٨ ومنه يعلم أن الدولة البريطانية عنده كالمعبود فلا يعاملها معاملة مبنية على المصلحة فقط

(السبب الرابع) رضاه باستخدام الدولة البريطانية لاولاده في العراق وشرق الاردن لتخدير أعصاب بدو البلاد وحضرها وحملهم على الرضاء بما يؤسس فيها من حظائر الطيارات الحربية وتعبيد الطرق في قلب الجزيرة للسيارات والدبابات ومد سكك الحديد العسكرية والتجارية لتمكين سلطانها فيها ، فان

العرب اذ قاوموها قبل ذلك فالراجح أنها تضطر الى ترك بلادهم لهم لئلا تضطرها المقاومة العملية الى بذل ألوف الملايين من المال ومئات الالوف من الرجال ، وذلك ما لا يأذن لها به برلمانها ولا تسكت عليه أمتها في هذا الوقت الذي أرهقتها فيه الضرائب . واذا هي تم لها بنفوذ هؤلاء الحجاز بين ما شرعت فيه من ذلك فرسخت أقدامها واستقرت قوتها فلن تخرج من البلاد ولن ترضى الا الاستيلاء على سائر جزيرة العرب للمحافظة على ما تسميه مصالحها وطرق تجارتها وعلى ما تدعيه من اسعاد البلاد وأهلها كما تقول في مسألة السودان وهي عبرة المخدوعين بهؤلاء الحجازيين إن كانوا غير خائنين لامتهم وبلادهم ولا جاهلين لمصلحتها ككثير من البدو

(السبب الخامس) جعل حرم الله تعالى الامين مركز ملك حربي يحالف ملكه بعض الملوك الاجانب غير المسلمين ويجعل لهم حقوقا في الحرمين الشريفين غير مسألة الحماية التي تقدم ذكرها ويعادي آخرين ، ولا يجوز أن يجعل الحجاز مركزا حربيا أي عرضة للحرب لان ذلك قد يؤدي الى منع الحج الذي هو ركن الاسلام الاجتماعي العام الجامع للشعوب الاسلامية كلها . وإنما مصلحة المسلمين عامة وأهل الحجاز وجيرانهم خاصة جعل الحجاز قطر حياد وسلام والسعي لاعتراف جميع الدول بذلك . ولو فعل السيد حسين المكي ذلك لاستغنى به عن معاداة جيرانه من العرب والاستعداد لقتالهم ، ولاستغنى عما هو شر من ذلك وهو اهانة نفسه وبيته وأمته وملته وحرم الله وحرم رسوله بالالتجاء الى حماية دولة غير مسلمة له ولها

(السبب السادس) أنه سمى نفسه ملك العرب وملك البلاد العربية وحمله غروره بنفسه على السعي لاقناع أمراء جزيرة العرب المستقلين بالاعتراف له بذلك فسخروا من سعيه لسوء سياسته وبناء ملكه على الحماية الاجنبية وضعفه وفساد ادارته واعتقاد كل منهم واعتقاد رعيته وسائر العارفين بحالهم أنهم أحق بالملك منه . ولكنه لم يرجع عن دعواه بل أصر على ذلك وحاول التوصل اليه بقوة الاجانب الذين جعلوا احد أولاده ملكا والآخر أميرا مرشحا للملك في دائرة امبراطوريتهم المرنة ؛ فهو قد اتخذ جميع أمراء الجزيرة المحيطين بالحجاز

أعداء له . وحسبنا شاهدين على هـذا: ما صرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة الذي أسسه لبث دعايته وتمهيد السبيل له — وما جرى في مؤتمرات الكويت من الامتناع من الاتفاق الودي مع حكومة نجد وانا ننقل بعض كلامه في الشاهد الاول ونرجيء الثاني الى بيان الاسباب الخاصة لزحف النجديين على الحجاز :

نشرت جريدة القبـلة في العدد ٧٣٧ الذي صدر بمكة في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٢ بيانا عاما من (اللجنة التنفيذية لمؤتمر الجزيرة) بامضاء رئيسها (محمد ابن علوي) ذكر فيه ما صرح له به الملك حسين من تفسير الوحدة العربية التي يطلبها ، وهو انه رسمها على الاساس الآتي :

« وهو وحدة البلاد العربيـة واستقلالها بحيث تكون خارجيتها وعسكريتها وسياستها العامة واحدة . أما داخليتها فالامارات العربية المعروفة بجزيرة العرب تكون على ما كانت عليه قبل الحرب ، وان كل أمير في أي امارة من هذه الامارات الموروثة لهم من آبائهـم واجدادهم يستقل بداخليته ضمن الحدود التي كانت عليها امارته قبل الحرب بشرط أن يرتبط مع المجموع الذي كل من خرج عنه منهم أو شذ بالخروج عن الجامعة العربية يحكم عليه المجموع بمقتضى قوله تعالى (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله)

« وأما ما كان خارجا عن حدود تلك الامارات سواء كانت تلك الامارات قائمة بذاتها ضمن حدودها أو طرأ عليها الاغتصاب كعسير قبل الحرب وابن رشيد بعد الهدنة فلا بد من عودتهم الى ما كانوا عليه كعودة لامام يحيى الى صنعاء»

ثم قال « ولذلك فهذه هي الخطة التي عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين — لذا فلابد من اعادة آل رشيـد وآل عايض الى اماراتهم وحدودهم وقبائلهم التي كانوا عليها ، واعادة كل أمير من امراء الجزيرة الى ما كان عليه قبل الحرب » — الى أن قال — « هذا الذي أدين الله عليه ولو لم تبق الاذاتي وحياتي لانفقتها في هذا السبيل »

فهـذا نص صريح من الملك حسين الذي سمى نفسه (ملك العرب وجميع

البلاد العربية) بمعاداة جميع امراء جزيرة العرب وجعلهم معه في حالة حرب لانه يدين الله تعالى بسلب كل واحد منهم بعض البلاد التي في يده وبجعلهم تابعين في السياسة الخارجية والحربية والادارة العامة لملك العرب أي له .

أذاع عنه هذا في جريدة (القبلة) رئيس مؤتمر الجزيرة المستخدم عنده لهذا وهو الذي يرسل البرقيات الى العالم الآن في الافتراء على النجديين لينفر العالم منهم

(السبب السابع) إلحاده بظلم أهل الحرم وارهاقهم العسر من أمرهم بضرب المكوس الباهظة على كل ما يرد الى البلاد من الاقوات وغيرها وباحتكاره القوت الضروري وهو الخبز بابطاله جميع الافران العامة الخاصة وانشائه أفرانا يكره الناس على الشراء منها بالثمن الذي لا يمكن أن يزاحمه فيه أحد ، مع عدم المبالاة بقول النبي (ص) « احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه » رواه البخاري في تاريخه وأبو داود في سننه واكثر رواة التفسير المأثور من حديث يعلي بن أمية (رض) وفي معناه روايات أخرى عن عمر وابن عمر (رض) مرفوعة وموقوفة - وبغير ذلك من اغتصاب أوقاف الاشراف والاوقاف الاهلية في المدينة المنورة وبالحبس والتنكيل والتعذيب وقطع الاطراف والقتل بغير حق يجيزه الشرع ، ولا نطيل هنا في هذا وقد بيناه بالتفصيل في مجلة المنار ولدينا مزيد وهو معروف عند أهل نجد

(السبب الثامن) تحكمه بهواه في أمر فريضة الحج فهو يمنع منها من اتخذهم أعداء له كأهل نجد ويضرب على سائر الحجاج المكوس غير المشروعة باسم جوازات السفر ورسوم الصحة وغير ذلك مما أذاعه حجاج الافاق في جميع الاقطار ، وشرحناه بالتفصيل في مجلة المنار

(السبب التاسع) نشره في جريدة القبلة أنه لا يوجد في العالم حكومة اسلامية تقيم الحدود وتلتزم أحكام الشرع غير حكومته ، وتكفيره للترك والمصريين والنجديين ، وسنذكر بعض الشواهد على هذا في المقال التالي

(العاشر) ادعاؤه مع كل ذلك الخلافة الاسلامية الذي يقتضي أن كل من يخالفه ولا يخضع لحكومته من الشعوب والحكومات الاسلامية من الخوارج

البغاة الذين يجب عليه وعلى سائر المسلمين قتالهم ، وقد ذكرنا آنفا رأيه في امارات جزيرة العرب المجاورة للحجاز وتصريحه قبل اظهار دعوى الخلافة والدعوة العامة الى مبايعته بها بأنه يدين الله تعالى بجعلها تابعة لملك واحد وبعزمه الثابت على تنفيذ ذلك بالقوة ، فكيف يكون شأنه بعد هذه الدعوى ومقتضاها عنده أنه يجب على أهل هذه البلاد كسائر المسلمين أن يكونوا تابعين له خاضعين لحكمه

فهذه الاسباب العامة توجب على من قدر من أمراء المسلمين أن ينقذوا الحجاز من سلطة هذا المدعي المغرور كما فصلناه من قبل في المنار، وسنجمل القول فيه في المقال التالي الذي نبين فيه الاسباب الخاصة التي حملت أهل نجد على القيام بهذا الفرض الكفائي وسبب تأنيهم في ذلك وهو الاحترام للحرم الشريف

﴿ بطل العرب والاسلام وأندلسهما الثانية ﴾

يعلم قراء المنار مما كتبت فيه بشأن انتصار اخواننا الترك على اليونان في الحرب وعلى الانكليز في السياسة بعض ما كنت عليه من الغبطة والسرور وإنما هو بعض ما كان في قلبي ، ويعلمون أنني نوهت بقواد الترك وزعمائهم، وفضلتهم على جميع من تصدى لزعامة العرب في هذا العصر ولا سيما الشيخ حسين بن علي المكي ، وأولاده ولا سيما فيصل وعبد الله الذين جاهرت بجهادهم في المنار وغيره من الصحف منذ ألغيت المراقبة على الصحف في مصر

ولكنني على ما كان من إعجابي ببسالة مصطفى كمال باشا زعيم هذه النجدة وقائد هذه الغزوة لم أره مستحقا للقب بطل الاسلام الذي منحه إياه بعض الصحف الاسلامية بمصر وغيرها ثم ندموا ووصفوه بعداوة الاسلام ، بل كان هذا مما أنكرته على أشهر المنوهين به من كبار كتاب الصحف لكن قولا لا كتابة لانني كنت أعلم علما اجماليا أنه قائم بالعصبية التركية ولها يعمل لا للاسلام ثم صار هذا الاجمال علما تفصيليا عندي قبل جماهير المسلمين وغيرهم

وأما محمد عبد الكريم القائد العربي لجيش الريف المغربي ممزق الزحوف الاسبانية

وهازمها، وقاتل قوادها ومذل دولتها، فانني أحاييه بلقب بطل العرب والاسلام بحق بل نقول أن ما اطلعنا عليه من بلائه وهو اقله يثبت انه قد فضل جميع قواد الدول وزعماء الامم في نهضاتها الحربية والادارية لا مصطفى كمال باشا وحده، وحسبنا في امتيازه على هذا مقال الكاتب السياسي الشهير صديقنا الامير شكيب ارسلان الذي نشرناه في الجزء التاسع (م ٢٤) وهو أول من أطلق عليه لقب بطل الاسلام من كبار كتاب السياسة المسلمين

فأما كونه بطلا في نفسه فقد ثبت بعمله الذي أعجب به العالم كله ونوهت به صحف الشرق والغرب لجميع الامم والملل وما يوفه أحد ما استحقه من الثناء فيما نعلم ، وأما كونه بطلا للاسلام فلانه قائد مسلم نهض بطائفة من المسلمين لانقاذ بلاد اسلامية من استعباد شعب متعصب استأصل بتعصبه الديني مسلمي الاندلس بالسيف والنار، حتى لم يبق منهم في تلك البلاد التي جعلوها أرقى بلاد العالم كله عمرانا وحضارة ديارا ولا نافخ نار ، بل كل من لم يتنصر منهم ولم يغادر البلاد ناجيا بنفسه قتل شر قتلة

وأما كونه بطلا للعرب فلانه هو وقومه المجاهدون في سبيل الله لحفظ حريتهم ودينهم ووطنهم من العرب لغة ودينا وأدبا ، وان كان بعضهم ليس منهم نسبا . ولان سلفهم من مسلمي الاندلس الذين ثاروا لهم كانوا من صميم العرب . على أنهم لم يقصدوا الثأر ، وانما جهادهم دفاع عن النفس ، وقد أيدهم الله تعالى بالنصر ، بمثل ما أيد سلفهم بقيادة كبار أبطالهم من قبل ،

فان كان تأثير عمل محمد عبد الكريم في العالم الاسلامي أقل من تأثير عمل مصطفى كمال باشا ورجاله فليس لانه دونه بل لان الدولة العثمانية التي كانت مشرفة على الزوال أعظم شأنا في قلوب جميع الشعوب الاسلامية وغير الاسلامية من أهل ريف مراكش ، وبقاء الترك دولة حربية مستقلة في عقر ديارهم يعد بمنزلة الحصن العائق دون سهولة استيلاء الاجانب على الممالك المجاورة لها ، حتى بعد انسلاخ حكومتها الحاضرة من الجامعة الاسلامية الذي لم يكن يخطر لاحد من تلك الشعوب

بال الا بعض الضباط والمتمرسين بالسياسة من العرب الذين كانوا عثمانيين

ولكننا نعجب أشد العجب أن نرى البلاد العربية ولا سيما دعاة النهضة الجنسية فيها لم يقدروا عمل هذا الزعيم قدره ولم يشدوا أزره ، وهم يرون كبرى دول الاستعمار الثلاث المتعدية على جميع بلادهم مجمعة على التشاؤم من انتصار حكومة الريف بتدبيره وخائفة أن يكون سببا لتحرير سائر الاقطار الاسلامية الافريقية من رقهن ، وان يمتد شعور المسلمين برجاء الحرية والاستقلال من المغرب الاسلامي الى المشرق فيعرف أهله طريق الاستقلال المعبد فيسلكوه ، وان يعود للاسلام سلطانه الاول بحياة هذا الرجاء في جميع شعوبه المستعبدة ، فطفق رجال السياسة فيهم يتناجون لاجماع أمرهم على إحباط عمل الزعيم العظيم وإيقاف سريان هذا النصر عند الحد الذي تتفق مصالحهن عليه — فأين هذا من مساعدة كل من فرنسة وإيطالية لمصطفى كمال باشا وقومه ، واضطرار الشعب البريطاني حكومته الى الامساك عن مساعدة اليونان على قتاله ؟ ؟

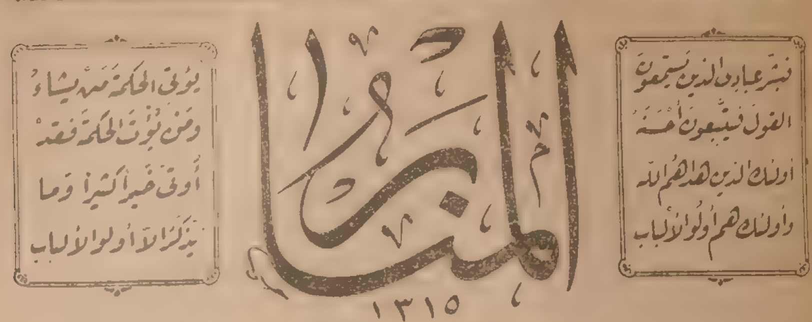
إننا لا ننكر أن الشعوب الاسلامية مرتاحة لعمل قائد الريف العظيم ومسرورة بقدر إلهامهن سلب الاجانب لاستقلال أمتهاء ونسخ شريعتها، ولكن ساسة دول الاستعمار يعلمون من تأثير حياة الامم ومن سريانها ودبيبها من شعب الى آخر ولاسيما اذا كان لها وحدة جامعة وتاريخ مشترك تفتخر بسلفه كالامة الاسلامية التي أدمجت فيها أقوى مقومات الامم ومشخصاتها ، فهم لعلمهم هـذا يحسبون لحياة الشعوب ما ليس في حسبانها ، ثم يبالغون فيها على سبيل الاحتياط فيرجحون الشائل من ميزانها، ولو صلت الحياة الملية في تونس والجزائر أو في طرابلس الغرب أو فيما بعد فوقها على تفاوتها كمصر والهند الى المستوى الذي تخافه فرنسة وايطالية وانكلترة لرأينا الاعانات المالية والبعثات الطبية مرسلة تترى من هذه البلاد كلها الى ريف مراكش، بل لرأينا المتطوعين يهاجرون اليه أرسالا ، نافرين خفافا وثقالا ، ما وجدوا الى ذلك سبيلا. لكننا لم نر شيئا من هذا ولا ذاك، ولم نسمع في الدعوة الى أهون المساعدة صوتا عاليا يسمع فيلبى ، وانما سمعنا نأمة خافتة بمصر ، ونبأة فوقها من الهند ، ولم نر عملا يذكر ، ولا سعيا يشكر

أين كبار العلماء ؟ أين سراة الامراء ؟ أين الاغنياء الاسخياء ؟ أين الكتاب والشعراء؟ أين الجمعيات الخيرية؟ أين الاحزاب السياسية؟ بل أين جمعية الهلال الاحمر المصرية؟ ولا أنادي أختها التركية، فان الترك في الشعوب الاسلامية كعلماء الدين في كل شعب قد اعتادوا أن يأخذوا وما اعتادوا أن يعطوا، وهذا قبل وقوعهم تحت أحكام دولة قررت بترهم من جسم الجامعة الاسلامية فكيف يكون حالهم بعد ذلك؟

كلمت بعض أعضاء جمعية الهلال الاحمر المصرية منذ سنتين في مسألة الريف هذه وما يجب على جمعيتهم من مساعدة هؤلاء الريفيين المنقطعين عن جميع الامم والشعوب وليس عندهم من الاطباء والادوية والآلات الجراحية ولا من الممرضين والمضمدين من يأسو جروحهم و يطهر قروحهم و يداوي مرضاهم فان جمعيات الصليب الاحمر لا تعطف على قوم من المسلمين يدافعون عن أنفسهم بقتال دولة من دول النصرانية تريد استعبادهم واستعمار بلادهم، وقد سعى مسلم أفريقي لدى عبد المجيد أفندي الذي سمي خليفة المسلمين بأن تؤلف في الآستانه لجنة تحت رعايته لجمع التبرعات لذلك فارتاح لهذا الاقتراح ولكن حكومته زعمت أن جمعية الهلال الاحمر التركية أولى بهذا العمل وستقوم بهذا الواجب ولم يقم به أحد وان يقوم هنالك أحد لان الحكومة لا تريد ذلك

بماذا أجاب عضو جمعية مصر؟ قال ان القانون الجديد لجمعيتنا قد حظر عليها انفاق شيء مما في صندوقها فلا سبيل الى بذل شيء الا مما يدخل في الصندوق بعد تقرير هذا القانون ولما يدخله شيء . قلت : وما المانع من أن تتولى الجمعية دعوة أهل البر والاحسان الى التبرع لها بما تؤدي به هذا الواجب؟ وهل لك أن تقترح عليها ذلك؟ قال : نعم ولكن بعد عودة صاحب الدولة الامير يوسف كمال رئيسها من سفره

لا شك عندي في صدق العضو الكريم في استحسانه للاقتراح . وقبوله بالغبطة والارتياح . ولكن الامير عاد من سفره ثم سافر ثم عاد ولم يظهر للجمعية عمل فعسى أن تتولى (جمعية الرابطة الشرقية) السعي الى هذه المبرة الانسانية لدى جمعية الهلال الاحمر المصرية ولدى الشعب المصري وسائر الشعوب الشرقية . وسأقترح ذلك عليها ان شاء الله تعالى في أول اجتماع تعقده واعد هذه الكلمة تمهيداً له.



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٤٣ ـ ٥ القوس ١٣٠٤ ٢٧ نوفمبر ١٩٢٤



فتوى المنار المشار اليها آنفا

﴿ التحقيق في مسألة رؤية الرب سبحانه وتعالى ﴾

إن من أصول العقائد القطعية المعلومة من الدين بالضرورة أن نعيم الآخرة قسمان روحاني وجسماني لان البشر لا تنقلب حقيقتهم في الآخرة بل يبقون بشرا أولي أرواح وأجساد، ولكن الروحانية تكون هي الغالبة على أهل الجنة، فيكون النعيم الروحاني عندهم أعلى من النعيم الجسماني . ومن الثابت بالاختبار والتجارب أن العلماء الراسخين والحكماء الربانيين ـ والفلاسفة الماديون(١) والرؤساء

(١) أي وكذا والفلاسفة الماديون . وهو استعمال يعد بليغا اذا كان لما رفع خصوصية في السياق ككون الماديين هنا مظنة لمخالفة الروحيين . ومنه قوله تعالى في سورة المائدة (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون)الخ ويقابل هذا الاستعمال في نصب ما هو في مقام الرفع ما نصب على الاختصاص او المدح والذم =

السياسيون - كلهم يفضلون اللذات العقلية الروحية والحياة المعنوية ، على اللذات المادية الجسدية ، فترى أحدهم يزهد في أطايب الطعام ، وكؤوس المدام ، ويتجافى جنبه عن مضجعه ، ذاهلا عن حقوق حليلته ، تلذذ بحل مشكلات المسائل واكتشاف أسرار الكون ، أو النفث في عقد السياسة ، وما تقتضيه أعباء الرياسة.

ألا وإن أعلى العلوم العقلية والمعارف الروحية في هذه الدنيا هو معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بمظاهر أسمائه وصفاته في خلقه والوقوف على سننه وأسراره فيها ، وكشف الحجب عما أودع فيها من الجمال والجلال ، وفي النظام الذي قامت به من آيات الكمال ، التي هي مجلى صفات بارئها وهو منتهى الجمال والجلال والكمال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال

وما زال أصحاب الهمم العالية من العلماء والحكماء يستدلون بما ظهر لهم من تلك السنن والآيات على كمال مبدعها ومبدئها ومصرفها ، وتتطلع عيون عقولهم الى كيفية صدور الوجود الممكن الحادث ، (وهو مجموع هذه العوالم العلوية والسفلية) عن الوجود الازلي الواجب ، ويهتمون بارتقاء الاسباب الوصول الى معرفة أول موجود ممكن منها ، وكيف ابتدأت سلسلة الاسباب بعد ذلك بتحول البسائط وتولد بعضها من بعض ، قبل وجود هذه المركبات المعروفة من السماء والارض ، طمعا في معرفة حقيقة ذلك الوجود الاعلى ، على عجزهم عن إدراك كنه أدنى هذه الموجودات السفلى ، وقد اختلف الحكماء في امكان وصول العلم البشري ، الى حقيقة الوجود الاول الازلي ، وكيفية صدور الموجودات الممكنة عنه ، فقال بعضهم بامكان ذلك وتوقع حصوله في يوم من الايام ، وقال آخرون بأنه فوق استعداد الانام

= وهو اكثر في الاستعمال ومنه قوله تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) الخ والغرضان المقتضيان لتغيير النسق في مثل الآيتين من مقاصد بلاغة اللغة فيجب ان يكونا قياسيين

والحق في ذلك ما هدانا اليه دين الله الحق ، وهو أن ادراك أبصار الخلق له سبحانه وتعالى وإحاطة علمهم به من المحال الذي لامطمع فيه (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ولكن العجز عن الادراك والاحاطة ، لايستلزم العجز عما دون ذلك من العلم والمعرفة ، التي ترتقي الى الدرجة التي عبر عنها بالتجلي والرؤية ، فان كانت ظواهر الآيات في ذلك متعارضة ، فالاحاديث والآثار الصحيحة المبينة له جلية واضحة ، وانما وقع المراء بين المتكلمين والمتفلسفين وبين علماء الآثار في كلمة «الرؤية» فأثبتها أهل الاثر لدلالة ظواهر القرآن ونصوص الاحاديث عليها ، ومنعوا قياس رؤية الباري تعالى على رؤية المخلوقات ، بدعوى استلزامها التحيز والحدود وغير ذلك من صفات الاجسام ، وقالوا انا لانبحث في كيفية ذاته ولا صفاته تعالى ، فاننا نجزم بأن له علما وقدرة وسمعا وبصرا، ولكن علمه ليس ناشئا كعلمنا عن انطباع صورة المعلومات في النفس ، ولامكتسبا له بالحواس أو الفكر ، وكذلك قدرته وسائر صفاته ، فنحن نجمع بين الايمان بالنصوص في أسماء الله وصفاته وأفعاله وسائر شؤونه ، وبين تنزيهه عما لا يليق به من مشابهة خلقه، الممنوعة بدلائل النقل والعقل، كما قال عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

ونفاها أهل الكلام والفلسفة بناء على قياس الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق ودعوى منافاة الرؤية للتنزيه، الذي هو أصل العقيدة وركنها الركين . ولكنهم لا يستطيعون انكار الحقيقة التي أثبتها أهل السنة والجماعة اذا عبر عنها بغير لفظ الرؤية، كأن يقال إن أعلى نعيم أهل الجنة لقاء الله تعالى بتجليه عليهم تجليا يحصل لهم به أعلى ما استعدت له أنفسهم وأرواحهم من المعرفة ، وان أعظم عقاب لاهل النار حجبهم عن ربهم وحرمانهم من هذا التجلي والعرفان ، الخاص بدار الكرامة والرضوان . فانهم لايعتدون بأو يل مثل قوله تعالى في المتقين (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقوله في الكافرين (كلا إنهم عن ربهم يومئذ

لمحجوبون) كما يعتنون بتأويل قوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بأن النظر معناه الانتظار والرجاء ، وما رد به بعضهم على بعض في الآية يطلب من الكشاف والبيضاوي وحواشيهما وسائر كتب التفسير ومن كتب الكلام وشروح الاحاديث(*

وكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجمال تنازع

ومن غرائب جدلهم أن كلا منهم يستدل على مذهبه بطلب موسى عليه السلام رؤية ربه وقوله تعالى (لن تراني . .) الآية . فأهل السنة يستدلون على جواز الرؤية بسؤال الكليم اياها وعدم انكار الباري تعالى عليه هذا السؤال كما أنكر على نوح عليه السلام سؤاله نجاة ولده الكافر بناء على أنه من أهله الذين وعده بنجاتهم — وبتعليق الرؤية على جائز وهو استقرار الجبل ، والمعتزلة يستدلون بالآية على عدم الرؤية بعدم اجابة الكليم اليها وتعليقها على ما علم الله أنه لا يكون

واذا كانت الآيات التي استدل بها كل فريق لبست نصا قاطعا في مذهبه ففي الاحاديث المتفق عليها ما هو نص قاطع لايحتمل التأويل في الرؤية وتشبيهها برؤية البدر والشمس في الجلاء والظهور وكونها لا مضارة فيها ولا تضام ولا ازدحام . وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري أحد عشر حديثا في ذلك ، وجمع ابن القيم في (حادي الارواح) ما ورد في ذلك من الاحاديث فكان ثلاثين حديثا . قال الحافظ ابن حجر عند اشارته الى ذلك : وأكثرها جياد . وزاد ابن القيم ما ورد عن الصحابة والتابعين وأئمة علماء الامصار في ذلك وحملهم اياه على ظاهره مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات ، ولكن بعض مثبتي الرؤية من أهل السنة اختلفوا في معناها فكان بعض ماقالوه تأويلا أبعد من تأويل المنكرين قال الحافظ في الكلام على تفسير (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)

*) قد عدنا فبينا لباب الخلاف ودلائل الفريقين آنفا مع انصاف كل منهما بما لم نر له نظيرا

من شرح كتاب التوحيد من البخاري ما نصه : واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم يحصل للرائي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المرئيات وهو على وفق قوله في حديث الباب « كما ترون القمر » الا أنه منزه عن الجهة والكيفية وذلك أمر زائد على العلم . وقال بعضهم : ان المراد بالرؤية العلم ، وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الانسان نسبتها الى ذاته المخصوصة نسبة الابصار الى المرئيات . وقال بعضهم : رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم الا أنه أتم وأوضح من العلم ، وهذا أقرب الى الصواب من الاول اه

ثم ذكر ما تعقب به من قال ان المراد بالرؤية العلم. وانما قال في القول الاخير انه أقرب الى الصواب لما فيه من التفويض وعدم التحديد، وهذا المعنى هو الذي قال به الغزالي وأوضحه في كتاب المحبة من الاحياء بما يعهد من قرأ الاحياء من بيانه وفصاحته

هذا وان احصاء ما ورد في هذا الباب مما استدل به على الرؤية اثباتا ونفيا من الآيات والاحاديث وسرد كلام المثبتين والنفاة وبيان الراجح منه والمرجوح يستغرق عدة اجزاء من المنار، ولن يرضى ذلك منا أكثر القراء(١) وجملة القول في المسألة ان الآيات القرآنية ليس فيها نص قاطع لا يحتمل التأويل، ولكن بعض الاحاديث الصحيحة والحسنة صريحة في ذلك لا تحتمل التأويل ، والمرفوع منها مروي عن أكثر من عشرين صحابيا دع الموقوف والآثار ، ولم يرد في معارضتها شيء أصرح من حديث عائشة المتفق عليه عن مسروق قال قلت لعائشة (رض) يا أمتاه هل رأى محمد (ص) ربه ليلة المعراج ؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ! أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ، : من حدثك أن محمداً (ص) رأى ربه فقد كذب ، وفي رواية : فقد أعظم على الله الفرية . ثم قرأت (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير * وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) ومن حدثك أنه (أي أن النبي (ص) كتم شيئا من

١) قد اورنا في المباحث المتعلقة بها آننا اصح ما ورد واقوى ما فيه

الدين فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية — ولكن رأى جبريل في صورته مرتين . اه

وقد ذكر النووي في شرح مسلم أن عائشة لم تنف وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة الخ وذكر الحافظ في الفتح انه قال ذلك تبعا لابن خزيمة ذاهلا عما ورد في صحيح مسلم الذي شرحه ، وذكر ان في حديث مسروق عنده زيادة عما ذكرناه من لفظ البخاري وهي . — قال مسروق وكنت متكئا فجلست وقلت ألم يقل الله (ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله (ص) عن ذلك فقال « إنما هو جبريل » الخ

فعلم من هذا ان عائشة تنفي دلالة سورة النجم على رؤية النبي (ص) لربه بالحديث المرفوع وتنفي جواز الرؤية مطلقا أو في هذه الحياة الدنيا بالاستدلال بقوله تعالى (لاتدركه الابصار) وقوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ويعارض هذا الاستدلال انه ليس نصا في النفي حتى يرجح على الاحاديث الصريحة في الرؤية وقد قال بها بعض علماء الصحابة . وقال بعض العلماء ان عائشة ليست أعلم عندنا من ابن عباس الذي أثبت الرؤية للنبي ليلة المعراج ، وفي هذا القول بحث فان ابن عباس استنبط اثبات الرؤية في الدنيا من الآيات وقد انفرد بذلك دون سائر الصحابة . وأما من روي عنهم إثبات الرؤية في الآخرة فليس فيهم أحد يقال انه أعلم من عائشة الا والدها الصديق وعلى المرتضى وزيد ابن ثابت وقد يذكر في طبقتها منهم العبادلة . ولكن الحديث عن أبي بكر وزيد بن ثابت في هذا الباب ضعيف وعن علي موضوع حتى ان ماروي عنها نفسها فيه أقوى سندا . ويقول النفاة لو رأى النبي (ص) ربه ليلة المعراج لما خفي نبأ ذلك عن عائشة مع ما علم من حرصها على العلم ، وسؤالها اياه عن آية النجم ؟ وقد يقول النفاة أيضا : لو كانت الرؤية في الآخرة عقيدة يطالب المسلمون بالايمان بها لما جهلتها عائشة . ولكن هذا القول لاينهض لمعارضة اثبات المثبتين لها بالاحاديث

الصريحة ، وانما قصاراه أن يعد دليلا على أن المسألة من أمور الآخرة التي كان يذكرها النبي (ص) أحيانا لبعض الخواص اذ لا يضر العامة جهلها ، فلم يقصد أن تكون عقيدة يدعى اليها مع التوحيد .

وأحسن ما يجاب به عن استنباط عائشة وأقواه عند المثبتين أن يقال إنها تريد به نفي الرؤية في الدنيا كما قال بذلك الجمهور ولا تقاس شؤون البشر في الآخرة على شؤونهم في الدنيا لان لذلك العالم سننا ونواميس تخالف سنن هذا العالم ونواميسه حتى في الامور المادية كالاكل والشرب والمأكول والمشروب فماء الجنة غير آسن فلا يتغير كماء الدنيا بما يخالطه أو يجاوره في مقره أوجوه ، وخمرها ليس فيها غول يغتال العقل ولا يصدَّعون عنها ولا ينزفون ، ولبنها لا يعتريه فساد ولا تخالطه (ميكروبات) أمراض ، وكذلك فاكهتها وثمراتها هي على كونها أعلى وأشهى مما في الدنيا لا تفسد . قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء . وكذلك أمزجة أهلها ، هي أصح وأسلم من امزجة أهل الدنيا حتى إنهم يأكلون ويشربون فيكون هضمهم بالتبخر ورشح العرق ، ففي الحديث الصحيح أنه جشاء ورشح لها ريح المسك . ولا عجب في ذلك فان علماء العصر الذين يظنون أن في كوكب المريخ أحياء عقلاء كالبشر يجزمون بأنهم لابد أن يكونوا أكبر منا أجساما وأسرع من الخيل العاديّة في حركتهم العاديّة، هذا وعالم المريخ لا يعرف فيه من الحياة الروحانية العالية مثل ما ورد في حياة الجنة ، ولكن ما ذكره علماء العصر في شأنه يقرب تصور ما ورد في صفة الآخرة من الاذهان المقيدة بالمألوفات، فان بعض الناس انما ينكرون أخبار الآخرة لانها مخالفة لما جمدوا عليه من المألوفات ، ولو أنهم أخبروا بما اكتشف من أسرار الكون في هذا العصر كخواص الكهرباء والراديوم قبل أن يصير مشهودا مقطوعا به لما صدقوه

قال الله عز وجل في بيان جزاء المؤمنين القائمين بأعمال الايمان حق القيام (فلا تعلم نفس ما أخفيَ لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ووضح ذلك رسوله (ص) في حديث قدسي رواه الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال

(ص) « قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وروى أهل الكتاب مثل هذا عن سيدنا عيسى (ص) فاذا ثبت لنا أن كل ما ورد في دار الكرامة أعلى وأسمى مما في الدنيا حتى الاجسام وصفات الناس وغرائزهم وانه لا يشارك ما في الدنيا الا بالاسم ، الذي عبر عنه به لضرورة تقريب تلك المعاني الغيبية من الفهم ، فهل يصح بعد ذلك ان نعمد الى أعلى ما هنالك من الشؤون الالهية المعنوية فنشبهه بشؤن الدنيا؟ فنجعل تجلي الرب سبحانه وتعالى لاولئك العباد المكرمين الذين رقاهم وكملهم وأهلهم لكمال معرفته تحيزا ومشابهة للخلق ؟ ونجعل ما يحصل لهم من ذلك التجلي من العلم الأكمل والمعرفة العليا التي تستغرق أرواحهم وجميع مشاعرهم الظاهرة والباطنة إدراكا لكنه الرب عز وجل واحاطة علمه -- تعالى عن ذلك -- ثم نعذر أنفسنا على هذا الجهل بأن ذلك قد سمي رؤية ومعاينة ولا بد أن تكون الرؤية هنالك كرؤيتنا التي نعهدها هنا ؟

سبحان الله ! أيكون كل ما هنالك من أعيان المخلوقات وصفاتها وأحوالها مخالفا لما له اسمه منها هنا الا ما يتعلق بشأن الخالق عز وجل فهو الذي يجب أن يكون مشابها لشؤون المخلوقين بعضهم مع بعض ؟ أهذا هو المذهب الذي يدعي أصحابه اتباع المعقول ، ويسخرون من أهل السنة بزعمهم انهم جمدوا على بعض أحاديث الآحاد من المنقول ؟ وهم الذين قد جمدوا على ما دون ذلك من الالفاظ العربية التي استعملت في صفات الباري تعالى وشؤونه وأخبار عالم الغيب فتراهم يصرفونها عن معانيها ويعطلون مدلولاتها المقصودة لتوهمهم أنها لا تكون صحيحة الا اذا كانت مدلولاتها في عالم الغيب كمدلولاتها في هذا العالم من كل وجه . ثم تحكموا فأثبتوا بعض صفات الباري تعالى بدون تأويل كالعلم والقدرة والارادة ، وهذا عين التشبيه ، وأولوا أكثرها كالكلام والرحمة والمحبة والغضب والرضا والعلو والوجه واليدين الخ وهذا عين التعطيل -- واهل السنة يثبتون له تعالى كل ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) وينزهونه فيه كله

عن مشابهة خلقه ولا يرون فرقا بين العلم والرحمة والكلام فكلها من صفات الكمال الثابتة له مع التنزيه — فعلمه ليس كعلم البشر منتزعا من صور المعلومات بالحس أو الفكر — وكلامه ليس كيفية عرضية يحصل بتموج الهواء بتأثير الصوت الذي يخرج من الفم — وكذلك سائر صفاته وشؤونه تعالى ، فتجليه لخواص خلقه في دار كرامته ليس كظهور بعضهم لبعض ، ما يحصل لهم من رؤيته ومعرفته وسماع كلامه لا يشابه ما يكون من بعضهم لبعض

واذا كنا قد عرفنا بالمشاهد في عالم الحس أن إيقاد مصباح زيت الزيتون و زيت البترول لا يشبه إيقاد مصباح الكهرباء بوجه من الوجوه ولا يشترط في الثاني ما يشترط في الاول — ونجزم بأن هذا الفرق لا يمكن أن يتصوره من لم يعرف الكهرباء البتة — فيجب علينا أن لا نستغرب ما هو أبعد من هذا الفرق بين عالم الغيب والشهادة في اختلاف الكيفية لحقيقة واحدة كالرؤية . ومن كان له حظ من معرفة الله تعالى في الدنيا لا يحتاج الى الامثال ، وحسب المحروم منها أن ينتفع بالامثال ، (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)

﴿ خلاصة وتتمة تزيد المسألة وضوحا ، ومذهب السلف ثبوتا ﴾

(١) الرؤية ليست من أصول الايمان القطعية

قد علم مما تقدم أنه ليس في الرؤية البصرية نص أصولي ولا لغوي متواتر قطعي الرواية والدلالة يجعلها من العقائد المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة ، وليست مما كان يدعى اليه في تبليغ الدين مع التوحيد والرسالة بحيث يكون من يجهلها أو ينكرها كافرا ، وانما هي من غريب العلم الاعلى الذي يستنبطه من القرآن كبار العارفين ، وربما كان فتنة لمن دونهم - وكذلك كان - حتى إن كبار النظار وعلماء البيان قد اختلفوا في كل من الآيات الثلاث الواردة فيها : في سور الانعام والاعراف والقيامه ، فجعلها بعضهم مثبتة وبعضهم نافية ، والقاعدة في دين الرحمة والشريعة السمحة أن الحجة لا تقوم على جميع المكلفين إلا فيما كان قطعي الدلالة ، وانهم يعذرون باختلاف الافهام في غيره كما علم من واقعة

تحريم الخمر والميسر فان آية البقرة تدل على التحريم بمقتضى القاعدة المعروفة عند الفقهاء وهي تحريم ما تغلب المفسدة فيه على المصلحة ويرجح الضرر فيه على النفع وقد نطقت الآية بهذا الترجيح في الخمر والميسر (وإثمهما أكبر من نفعهما) وهو ما فهمه بعض خواص الصحابة فتركوهما . ولم يكلف جميع المسلمين تركهما إلا بعد نزول آية المائدة التي هي نص قطعي لا يحتمل التأويل إذ نطقت بأنهما رجس من عمل الشيطان وصرحت بالامر باجتنابه وهو أبلغ من الامر بالترك

وما من مسألة ذكرت في القرآن بنص غير قطعي الدلالة إلا ولله تعالى حكمة في عدم القطع بها، وقد بين حكماء العلماء حكمة ذلك في الخمر والميسر بأن شدة افتتان الناس بهما كانت تقتضي أن يشق على الناس تركهما دفعة واحدة حتى يتعذر على بعض المؤمنين من ضعاف الايمان تركهما ويتعسر على بعض، وينفر غير المسلمين من الاسلام ، فكان من حكمة الرب ورحمته جل جلاله أن يحرمهما بالتدريج ولا سيما الخمر فانه أنزل آية تقتضي ترك الخمر في عامة النهار وناشئة الليل وهي قوله (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فراجع تفسيرها البليغ في سورة النساء — وآية يفهم منها دقيق العلم قوي الايمان التحريم فيتركها في كل وقت وهي آية سورة البقرة ثم صرح بعد ذلك بسنين بالاجتناب على سبيل القطع

ولولا غفلة العلماء الذين طعن بعضهم في علم المخالف له في مسألة الرؤية وفي دينه عن هذه الحكمة وتلك القاعدة لعذر كل منهم الآخر ولم يجعلوا الخلاف فيها عصبية مذهبية ، ولعلم المثبتون لها منهم أن الله تعالى لو أراد أن تكون عقيدة عامة وركنا من أركان الايمان لبين ذلك في آية صريحة لا تحتمل التاويل ناطقة بأنه يرى بالابصار عيانا بلا كيف ولا إحاطة ولا تمثيل ولقال النبي (ص) حين عرّف الايمان في حديث جبريل بعد قوله « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر »: وان المؤمنين يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم عيانا بلا كيف ولا تشبيه -- ولأمر بتلقين هذا لكل من يدخل في الاسلام ولتواتر عنه وعن أصحابه الجري على ذلك حتى يكون معلوماً من الدين بالضرورة، واذا لما وقع فيه خلاف ، ولما استنكرت عائشة سؤال مسروق إياها عن رؤية النبي (ص) لربه حتى قف شعرها من استعظام ذلك ، ولو كانت تعتقد أن الرؤية تكون في الآخرة لجميع المؤمنين لما استنكرت واستكبرت حصولها للنبي (ص) في الدنيا امتيازاً له لان روحه فيها أقوى من أرواح سائر المؤمنين

في الآخرة فيطيق ما لا يطيقه غيره حتى موسى عليه السلام ، ولقاست هذا الامتياز على الناس بامتيازه - عليه صلوات الله - عليهم بالوحي ورؤية الملائكة وغير الملائكة من عالم الغيب

فالحكمة الظاهرة لعدم النص القطعي في القرآن على المسألة أنها مما تتحير فيه العقول وربما كانت مما يدخل في عموم ما رواه مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود « ما انت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » وعموم ما ذكره البخاري في كتاب العلم عن علي كرم الله وجهه « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله » - ورويا مرفوعين ولكن بسندين ضعيفين - والمراد بالمعرفة في الثاني ما يقابل المنكر وما لا يعقل لا ما يقابل الجهل إذ يكون من تحصيل الحاصل وقد زاد فيه آدم ابن أبي اياس وأبو نعيم في المستخرج : ودعوا ما ينكرون. ذكره الحافظ في الفتح واستشهد له بأثر ابن مسعود المذكور آنفا ، واستدل به على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة وفسر مالا ينكرون بما لا يشتبه عليهم فهمه. ولا يسلم قوله هذا على إطلاقه فانه يجب استثناء ما في القرآن منه إذ لا يجوز كتمانه عن أحد ، على أنه كله من قبيل آيات الرؤية، ليس فيها مثار للفتنة، مع عقيدة التنزيه ونفي المماثلة ، وقاعدة التفويض التي جرى عليها السلف ، فهذا هو الذي يحول دون اتباع المتشابه إلا لمن في قلبه زيغ كما نص في آية المحكم والمتشابه من أول سورة آل عمران. وهذا يؤيد قولنا إن الامام احمد لم يكفر منكري الرؤية إلا لانه كان يعتقد أن الحامل لهم على الانكار هو الزيغ والزندقة

ثم قال الحافظ وممن كره التحديث ببعض دون بعض احمد في الاحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ومالك في احاديث الصفات وابو يوسف في الغرائب ، ومن قبلهم ابو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين وان المراد (اي بالثاني) مايقع من الفتن (١) ونحوه عن حذيفة وعن الحسن انه انكر تحديث انس للحجاج بقصة العرنيين لانه اتخذها وسيلة الى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الوهي . وضابط ذلك ان يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره

---

(١) أي حدث جرابي العلم اللذين حفظهما عن النبي (ص) فبث أحدهما ولو بث الآخر لقطع بلعومه

في الاصل غير مراد فالامساك عنه عند من يخشى عليه الاخذ بظاهره مطلوب والله اعلم اهـ (١)

(اقول) هذه مسألة كبيرة من مسائل الاجتهاد تدخل في باب التعارض والترجيح من الاصول ، اعني التعارض بين ما اوجب الله تعالى من بيان العلم واظهار الشرع وما حرم من الكتمان في قوله (ليبيننه للناس ولا يكتمونه)

---

(١) حاشية ومن ذلك ما ذكره بعض علماء الشام لجمال باشا السفاك من جزاء البغاة الخارجين على امام المسلمين وجماعتهم فاتخذه حجة لدى العامة على صلب من صلبهم بغير حق من نابغي البلاد ، ولم يكن هو منفذا لامر سلطانه الذي لم يكن من ائمة الحق بل لم يكن له من السلطة شيء إذ جمال باشا وجمعيته كانوا هم الخارجين عليه وكذلك كان يفعل أمير مكة حسين منذ سمي ملكا في الحجاز يقطع الايدي والارجل ممن يخالف سياسته ولو بذنب معتاد أو بغير ذنب شرعي حتى روي أن رجلا فر من سجنه الذي هو أقبح مظاهر الظلم والقسوة فأمر بقطع يده ورجله من خلاف وان رجلا آخر أنكر في حرم المدينة المنورة اطراء الخطيب له في الخطبة بما هو كذب وزور فأمر به فقطع وصلب ووضع على صدره لوح كتب فيه (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) الآية وكان هذا قبل جهره بدعوى الخلافة ، فلو أقره العالم الاسلامي على هذه الدعوى باجازة تلك البيعة الباطلة من بعض أولي العصبية الجاهلية العمية فالى أي حد كان يتهوك ويتقحم في جرأته على تحريف كتاب الله تعالى واستحلال دماء المسلمين به ؟

وانما نزلت الآية تهديداً للبغاة الخارجين على امام المسلمين وجماعتهم — بقطع الطرق وتهديد الامن العام ونهب الاموال وقتل الانفس لا على أفراد العصاة وان اقترفوا أكبر الكبائر كالقتل والسرقة — وقد منع الله عقاب البغاة بذلك اذا تابوا قبل القدرة عليهم وخير الامام فيهم اذا ظهر عليهم بالقوة فقال: انما جزاؤهم كذا أي اذا كانت المصلحة فيه ولم يقل فيهم كما قال في السارق والسارقة (فاقطعوا أيديهما) وفي الزاني والزانية (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)

وبين ما حرم من الظلم والفساد والفتنة وما وجب من سد ذرائعها مماهو مجمع عليه ، ولم أر لاحد من العلماء تحقيقاً لهذا البحث وليس هذا محله [١]

العمل النومي والنوماني الطبيعي والمغناطيسي

(٢ — ٤) قد ثبت بالتجربة المكررة والرؤية البصرية أن بعض الناس يعملون في حال النوم المعطل لجميع الحواس اعمالا دقيقة كالقراءة والكتابة وتركيب الادوية ، بسرعة ومهارة يعجزون عن مثلها في اليقظة ، وقد كان يخرج أحدهم من منزله ثم يعود اليه وهو مغمض العينين وقد يفتحهما ولا يرى بهما إلا ما توجهت ارادته اليه كبعض الصيادلة الذي راقبه طبيب عرف حاله فرآه يقرأ وصفات الاطباء ويركب ما جاء فيها فألقى اليه فيها وصفة دواء سام يقتل شاربه في الحال فقرأها واعاد التأمل فيها وقال : لا شك أن هذا غلط وسبق قلم من الطبيب وأنا لا أركبه ، وألقاها . وراقب بعضهم رجلا آخر كان يخبر أن نقوده تسرق من صندوقه الحديدي في كل ليلة فبات عنده فرآه قد قام من فراشه بعد استغراقه في النوم وفتح صندوقه وأخذ منه بعض النقود وخرج بها فتبعه حتى جاء مكانا خربا فتسلق جداراً من جدره المتداعية ومشى عليه بسرعة ثم نزل في داخله وحفر في الارض حفرة ووضع فيها ما حمله من النقود وعاد فتسلق الجدار ومر عليه مسرعا والمراقب ينظر اليه ولا يستطيع أن يفعل فعله وعاد الى منزله وأوى الى فراشه فلما استيقظ في النهار عدا الدرهم وأخبر الرجل الذي بات عنده ليكشف له حال من يسرق صندوقه فحدثه هذا بما رآه فعجب وأنكره فذهبا الى المكان فلم يستطع الرجل أن يتسلق الجدار ويمشي عليه مسرعا كما فعل وهو نائم ولكنهما تكلفا ذلك وتريثا فيه حتى وصلا الى مكان طمر النقود وبحثا عنها فوجداها في عدة مواضع :

(١) طرقه الامام الشاطبي في (الباب الثامن) من كتاب الاعتصام (في الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان) ومما ذكره من الوقائع في بعض فروعه ان بعض كبار العلماء افتوا بعض الملوك بوجوب صيام شهرين متتابعين في كفارة الوقاع في نهار رمضان دون العتق لان الصيام يزجره عن افساد صيامه دون العتق ، وان مالكا افتى الرشيد بصيام ثلاثة ايام في كفارة اليمين ويراجع تفصيله في (ص ٥٤٨ ج ٣ منه)

ورؤي بعض غلمان أسرتنا مرارا يقوم من النوم ويخرج لحاجة ثم يعود وهو نائم ودخل المطبخ مرة فنظف بعض الآنية فيه وعاد الى فراشه وهو نائم

وربما كانت هذه الحالة مؤيدة لمذهب من قال ان للانسان نفسين أو روحين تفارقه إحداهما في حال النوم فقط وتفارقه الثنتان معاً بالموت ، ويقرب هذا من قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى)

وأما الرؤيا النومية والاحلام فمنها خواطر تتمثل واقعة في حال النوم وسببها اشتغال الفكر بها أو أسباب تعرض للنائم فيتخيلها بنفسها أو ما يشبهها واقعاً وهي أضغاث الاحلام ، ومنها الرؤيا الصادقة كرؤيا ملك مصر التى أولها له يوسف عليه السلام وأمثالها كثير وقع معنا ومع غيرنا وثبت بالتواتر ثبوتا لا يحتمل التأويل بالرغم من أنوف المكابرين وقد بينه من قبل بالتجارب القطعية

وأعلاه وأكمله رؤيا الانبياء التى هي من مبادىء الوحي ، وقد وقع للنبي (ص) رؤية الرب تعالى في المنام كما روي عن ابن عباس وأنس وظن بعضهم أنه أراد بها اليقظة وقد تقدم ذكر ذلك في هذه المباحث ، ووقع ذلك لغير النبي (ص)

وأما النوم المغناطيسي فهو يحصل بتنويم صناعي يستعان عليه بقوة ارادة بعض الناس وتأثيرهم في أنفس من ينومونه أو ببعض الاعمال التى لا محل لبسطها هنا . والنائم به يغيب ادراكه وشعوره عن كل شيء ما عدا منومه فان نفسه تكون رهن تصرفه فاذا امره بشيء خضع لارادته بقدر ما في نفسه من الاستعداد لذلك وقد ثبت بالتجارب الكثيرة أن المنوم يسأل النائم عن أشياء غائبة أو مستورة ما هي وأين هي ؟ فعند سؤاله إياه عنها تتوجه نفسه اليها فيراها ويخبره عنها فيصدق

فهذه ثلاثة أضرب أو أنواع من الرؤية للشيء لا عمل للاعين فيها إلا أن العرب خصت ما يرى في النوم باسم الرؤيا -بالالف- وما يقع في اليقظة باسم الرؤية ، ولم تفرق بينهما في الافعال . ولعلها لو عرفت النوع الاول والثالث مما ذكرنا هنا لسمته رؤيا أيضاً ،

روى احمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عباس (رض) في قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) قال : هي رؤيا

عين أريها رسول الله (ص) ليلة أسري به الى بيت المقدس وليست برؤيا منام. نقول ولكن الله تعالى سماها « رؤيا » لا رؤية . والتحقيق أن الاسراء والمعراج كانا في حالة روحية قوي فيها سلطان الروح على سنن الله في الجسد فصار خفيفاً لطيفاً كالاجسام التى تتمثل فيها الملائكة للانبياء (ع م) وتمثل فيها الروح للسيدة مريم (ع م) لا بالروح فقط كما قيل ولا في المنام كما في رواية شريك في كتاب التوحيد من صحيح البخاري. وهو يتفق مع قول من قالوا إنهما بالروح والجسد إذ إطلاقهم لا ينافي هذا القيد- وان قيل ان الجسد الذي حلته روحه الشريفة ليلتئذ غير جسده المعتاد ليناسب العالم الذي دخل فيه - فكيف ولا مانع من كونه هو بعينه اثرت فيه الروح فلطفته وجعلته كالاثير في لطفه وقوته في هذا العالم الدنيوي، وبقي السلطان للروح، فجبريل الذي تمثل للنبي (ص) بصورة دحية ولمريم بصورة شاب جميل الصورة هو جبريل الذي رآه النبى (ص) بصورته ساد الافق الأعلى وقال تعالى فيهما (فأوحى الى عبده ما أوحى) يوضح هذا ما يأتي

تشكل الملائكة والجن ورؤيتهم في هذه الحالة

(٥ قد ثبت عن أفضل البشر وأصدقهم من أنبياء الله وبعض أوليائه انهم كانوا يرون الملائكة والجن في صور لطيفة أو كثيفة وثبت تمثلهم لهم بنص القرآن وغيره من كتب الوحي .

وقد صح أن النبى (ص) لم ير جبريل ملك الوحي في صورته التى خلقه الله تعالى عليها إلا مرتين ، وقد علم بالقطع أنه رآه في الصور التى كان يتشكل فيها مراراً تعد بالمئين أو اكثر ، وليست محصورة في عدد نزوله بآيات القرآن وسوره ، وقد كان من تلك الصور صورة دحية الكلبى رضي الله عنه ، ومنها صورة الرجل الغريب الذي سأل النبى (عليهما السلام) عن الاسلام والايمان الخ وهذا النوع من الصور الكثيفة رآه فيه من حضر مجيئه من الصحابة (ص) ومنها صور لطيفة لم يكن يراه فيه غير النبى (ص) وقوله في حديث الوحي الذي رواه الشيخان : « وأحياناً يتمثل لي الملك فيكلمنى فأعي ما يقول » يشمل النوعين ، وورد أنه (ص) مثلت له الجنة والنار في عرض الحائط فرآهما ولم يرهما غيره ، ومعنى هذا ان الله تعالى أراه مثالهما وهذا غير تمثل الملك له بارادته وعمله

وقد رأى (ص) غير جبريل من الملائكة ورأى بعض الشياطين أيضاً متمثلة في صور ، وكان يعبر عن ذلك بالرؤية . فثبت بهذا أن الرؤية للشيء لا تقتضي رؤية حقيقته في الواقع ونفس الامر وان كان مخلوقا له جنس ينقسم الى أنواع تحتها أصناف ، وشخوص لها أمثال

فاذا كان المخلوق يرى مخلوقا مثله رؤية لا يدرك بها كنهه ولا يحيط بحقيقته ولا يشاركه فيها من له عينان مثله ـ وهذا مما يؤمن به المعتزلة والشيعة والاباضية كغيرهم ـ فهل يستنكر أن تكون رؤية الرب الذي ليس كمثله شيء بلا كيف ولا مثال وعلى غير المعهود في رؤية بعضنا لبعض كما استنكر هؤلاء الذين قال شاعرهم :

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفه

أم يصح مع هذا أن يصر بعض أهل السنة على تقييد رؤيته تعالى بالابصار وأعين الرءوس واستنكار تسميتها رؤية روحية مع الاتفاق بينهم على أن الادراك بجميع أنواعه للنفس لاللجسد، كما ترى توضيحه في المسألة التالية

الكشف وكون الادراك للنفس

(٦) ان العلم والادراك في الحقيقة للروح وان الحواس والدماغ آلات حسية للعلم ببعض الحسيات بحسب سنن هذه الحياة الدنيا وقد ثبت بما تقدم من الشواهد أن النبي (ص) كان يرى من وراءه كما يرى من أمامه وهي رؤية روحية غير مقيدة ببصر العينين ولا بالمقابلة وثبت نحو من هذا لبعض المكاشفين بالروايات التي وصلت الى درجة التواتر ، ومن هذه المكاشفة مايقع في حال الصحة بقوة توجيه الارادة الى الشيء أو فجائيا بغير قصد ، كما وقع لكاتب هذا في صغره فقد رأى جدته لامه وهو مضطجع مسجى في بستان لها تمشي في الطريق جائية اليه حتى اذا ماراً ها قد وصلت الى مدخل البستان من الطريق العام ناداها فأجابته ، ويبعد ان يكون هذا تخيل صادف الواقع وله أمثال ونظائر لولاها لتعين القول بذلك — وقد وقع لنا منه مع بعض الناس ما كنا نحمله على المصادفة لئلا يقيسوا عليه دجل المحتالين ولئلا نقع في الغرور ،ولكن مجموع ما نقله الثقات منه لا يحتمل التأويل .. ومنه ما يقع في النفس بغير رؤية ولا تخيل وان كان فيما من شأنه ان يرى وليس مما نحن فيه

وقد يقع في أحوال مرضية كالمريض الذي كان يعالجه الطبيب شبلي شميل بمصر وكان يخبر بأشياء غائبة بأمور قبل وقوعها فيصدق بالضبط الدقيق ، ومن الاول انه أخبر بأن قريبا له قد خرج من داره بالاسكندرية يريد السفر الى مصر لزيارته ثم أخبرانه رآه قد وصل الى محطة الاسكندرية ودخل القطار وبعد مضي ثلاث ساعات وكسور أخبر انه نزل من القطار في محطة القاهرة وخرج منها وركب مركبة لتحمله الى الدار التي هو فيها ، ثم أخبر انه وصل الى الدار – واذا به قد دخل . وكان الطبيب شبلي ينكر مثل هذا وينكر وجود أرواح مستقلة بالوجود تلابس الاجساد وتفارقها ، مدركة بالذات أي غير مقيده في ادراكها بوجودها في الجسد واكتسابها العلم من حواسه وعصب دماغه وقد صار بعد هذه الواقعة التي كتبها بقلمه ، وسمعناها من فمه ، يشبه دماغ الانسان بالآلة الكهربائية للتلغراف اللاسلكي التي تتلقف من كهرباء الجو ما يرسله هذا التلغراف من أخبار السفن أو البلاد البعيده، ولكن كان من أخبار مريضه به أنه سيرعف أنفه في ساعة كذا من نهار غد ويخرج من دمه ما يبلغ وزنه كذا . فكان كما قال ، وهذا اخبار عن الشيء قبل وقوعه لا يتناوله التشبيه الذي ذكره ، وهو من الغيب الاضافي لذي خلق الله الارواح كلها مستعدة لادراكه قبل وقوعه لو لا ما يشغلها عنه من مدارك الحوس والعقول وهموم الحياة – لا من الغيب الحقيقي الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، وقد فصلنا القول في الفرق بينهما في تفسير سوره الانعام (١)

أنواع المدركات في الدارين

(٧) إن مدركات البشر الحسية والعقلية لا تتعلق في حال هذه الحياة الدنيا بكل ما في هذا الكون من أنواع الموجودات بل هناك حجج من الوحي والعقل والعلم تدل على ضد ذلك – أما الوحي فقد ثبت فيه أن العالم قسمان أو أن الكون قسمان : عالم الغيب وعالم الشهادة –

وأما العقل فمن قواعده أن عدم العلم بالشيء لا يقتضي عدم وجوده وان من الجائز أن يكون في الكون موجودات كثيرة لا ندركها ولا تشعر بها حواسنا ومشاعرنا لعدم استعدادها لادراكها البتة كما أن بعضها لا يدرك

(١) راجع ص ٤٢١ وكذا ٣١٥ قبله ج ٧ تفسير

مايدركه الآخر من الهيئات والالوان والطعوم والروائح مثلا – وإما لضعف الحاسة فينا عن إدراك ما هو من متعلقها لفقد بعض شروط ادراكه وقد دل العقل على أن الوجود الممكن الذي نعرفه في الجملة يدل على الوجود الواجب الذي لم ندركه بحواسنا ولم تدرك كنهه عقولنا ، بل دل على وجود آخر من الممكنات وهو ما يسميه علماء الكون بالاثير

وأما العلم – علم التجربة والبحث العملي في الوجود – فقد أثبت وجود أحياء كثيرة الانواع ذات تأثير عظيم في حياة الاحياء من نفع وضر ترى بالمرايا المكبرة دون البصر المجرد وان فيه مواد أخرى لطيفة هي من أصول عناصره التي لم يتم تكوينه إلا بها ، وهي لا تدرك بالحواس ولا بالعقل بادىء بدء وانما عرفت بأعمال التحليل والتركيب وآلاتها واستخدمت لكثير من المنافع والمضار ، وهي كالعناصر التي يتركب منها الماء والهواء

وقد ثبت بالتجارب العملية ما صار العلم به قطعيا يدخل في باب الحسيات من أن الجسم الجامد يتحول بالحرارة الى مائع كما يكون الجليد والثلج ماء ، وان المائع يتحول بها الى بخار وهو ما نشاهده كالدخان اللطيف يخرج من الماء عند تسخينه ومن كل مائع فيه ماء ، وان هذا البخار المائي وغيره يتحول بشدة الحرارة الى مادة لا ترى كالهواء ويسمونها غازاً ، وان الاجسام الجامدة كالذهب والقصدير والمائعة كالماء والغازية كالهواء منها البسيط ومنها المركب ، وان البسائط التى تتألف منها المركبات محدودة تعد بالعشرات وصار في قدرة البشر أن يحللوا المركب ويفرقوا بسائطه بعضها من بعض بصناعة الكيمياء وآلاتها ، وأن يحولوا الجوامد من صفتها فيجعلوها غازات ، وأن يجعلوا من الغازات ومن السائلات جوامد ، وهم يتخذون منها أغذية وأدوية وسموما قاتلة بل استخرجوا من ماء البحر الملح ذهبا ابريزا

هذه الاعمال التى صارت من صنائع البشر تقرب من العقل والعلم ما صح عن الرسل المعصومين من أن الملائكة وغيرهم من الجن يتشكلون في صور كثيفة ترى بالابصار وبصور لا ترى بالابصار . أي أن الله تعالى أعطى أرواحهم قوة يتصرفون بها في مادة الكون وفي أنفسهم بأعظم من تصرف علماء الكيمياء في نفسه ، ولكنه من جنسه ، فقد أعطى الله تعالى الواحد منهم قدرة على تأليف جسم لروحه من هذه المادة اذا شاء ، وحله وتفريقه متى شاء ، وقد وضحنا

هذا التقريب من قبل وغرضنا من التذكير به هنا ايضاح مسألة تجلي الرب سبحانه تعالى في الصور أو من وراء الحجب وكون رؤيته لا تقتضي تشبيهه بخلقه كما زعم من لم يعلموا من أنواع الادراك والمدركات المخلوقة ما يقتضي تشبيه بعضها ببعض وقد قال تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

مذاهب الصوفية في الرؤية

(٨) الصوفية فرقة من فرق المسلمين المختلفين في الاصول وهم لا يقلدون اماما واحدا في الفروع بل منهم المجتهدون فيها ومنهم المقلدون لاهل المذاهب المشهورة ويكثر فيهم الشافعية كما أن اكثر المعتزلة والمرجئة من الحنفية . وقد غفل من لم يعدهم من الفرق الثلاث والسبعين . وانما الكلام فيمن يسمون صوفية الحقائق ، وهم اقرب الى الفلاسفة الروحيين الاشراقيين والى قدماء الشيعة منهم الى أهل السنة والأثر وجمهورهم يجلون الصحابة ولا سيما الخلفاء الراشدين وعلماء السلف ولا سيما العباد منهم . ومنهم المعتدلون واهل الحديث كشيخ الاسلام ابي اسماعيل الهروي صاحب منازل السائرين ، ومنهم الغلاة الذين مرق بعضهم من الاسلام بنزغات الباطنية وزيغهم وهم غلاة الرافضة من الاسماعيلية الى البهائية وزعمائهم من الفرس ، ومنهم البكتاشية وقد راجت دعوتهم في بلاد الترك .

ويقابلهم صوفية الاخلاق واهل السنة منهم يقولون في الرؤية مايقوله سائر اهل السنة وكذا المعتدلون من أهل الحقائق فترى ابا حامد الغزالي من علمائهم قد فسر الرؤية بما ينطبق على مذهب الاشعري . وشأن سائر مقلدتهم كشأن سائر المقلدين للمذاهب الاخرى

واما صوفية الحقائق المستقلون لجمهور اهل الوحدة منهم يدخلونها في مسائل الوحدة ، فغلاة وحدة الوجود ليس عندهم الا وجود واحد له مظاهر ومجالي فهم يثبتون الرؤية بهذا الاعتبار والا فالرائي والمرئى واحد عندهم ، يعنون ان الرب عين العبد والعبد عين الرب فالله تعالى يرى نفسه بما يتجلى فيه من صورة عبده او ماشاء من خلقه ، وهذا تناقض وهذيان بديهي البطلان ، وحسبنا مانشره في المنار من ابطاله وتناقضه لشيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى

واما اصحاب وحدة الشهود منهم فمذهبهم ان الرب تعالى يتجلى لعبده المؤمن في الدنيا تجليا غير كامل الآخرة تجليا كاملا ، فيفنى العبد بهذا التجلي عن نفسه

وعن كل ما سوى ربه فلا يرى غيره . وهو يراه بكل روحه المدركة لا بعينيه فقط
ومن كلام ابن الفارض فيه * اذا ما بدت ليلى فكلي أعين * فان الرؤية بآلة
الباصرة انما تكون للارواح المحبوسة في هياكل الاجساد المقيدة بسنن الله فيها كما
تقدم آنفا، فهي كالمحبوس في سجن له نوافذ وكوى قليلة يرى منها بعض ما يحاذيها
دون غيره مما وراء السجن وهم لا ينكرون تجليه تعالى في الصور المختلفة ولا يرون
ذلك محالا يجب تأويله بل يبقون الاحاديث في ذلك على ظاهرها كجمهور السلف

ولكل من هؤلاء واولئك اقوال وشواهد مشتركة يشتبه معها بعضهم
ببعض فيعسر التزييل بينهم ، ومنها استشهادهم بالحديث القدسي الذي اخرجه
البخاري في صحيحه فانتقد عليه لعلة في سنده وذكره [1] النووي في الاربعين
ومحل الشاهد منه « ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه ، فاذا
احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش
بها ، ورجله التي يمشي بها » ومعناه الذي يتفق مع اسلوب اللغة وقواعد الشرع :
كنت متعلق سمعه وبصره وسائر جوارحه اي فلا توجه ارادته هذه الجوارح
الا الى ما يعلم انه يرضي ربه ولا ينسى مراقبته في اعمالها ، وكل من القائلين
بوحدة الوجود ووحدة الشهود يستدل به على مذهبه . ومن شعرهم في ذلك :

اعارته طرفا رآها به فكان البصير بها طرفها

وللشيخ محيى الدين بن عربي كلام في كل ما سبق ذكره من الآيات والاحاديث
على طريقتهم في الوحدة في الباب الحادي واربعمائة من الفتوحات المكية وهو :

كلمة لابن عربي في الرؤية

« قال الله عز وجل (لا تدركه الابصار) وقال عز وجل لموسى عليه السلام
(لن تراني) وكل مرئي لا يرى الرائي اذا رآه منه الا قدر منزلته ورتبته
فما رآه وما رأى الا نفسه ولولا ذلك ما تفاضلت الرؤية في الرائين إذ لو كان
هو المرئي ما اختلفوا لكن لما كان هو مجلى رؤيتهم أنفسهم لذلك وصفوه
أنه يتجلى وانه يرى ولكن شغل الرائي برؤيته نفسه في مجلى الحق حجبه
عن رؤية الحق فلذلك لو لم تبد للرائي صورته أو صورة كون من الاكوان
ربما كان يراه فما حجبنا عنه إلا أنفسنا فلو زلنا عنا ما رأيناه لانه ما كان يبقى

---

(١) رواه عن خالد بن مخلد الكوفي وهو من شيوخه وقد وثقه بعضهم وقال
احمد له مناكير وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به .

ثم بزوالنا من يراه؟ وان نحن لم نزل فما نرى لا أنفسنا فيه وصورنا وقدرنا ومنزلتنا فعلى كل حال ما رأيناه، وقد نتوسع فنقول قد رأيناه ونصدق كما انه لو قلنا رأينا لانسان صدقنا في ان نقول رأينا من مضى من الناس ومن بقي ومن في زماننا من كونهم انسانا لا من حيث شخصية كل انسان، ولما كان العالم أجمعه وآحاده على صورة حق ورأينا الحق فقد رأينا وصدقنا، وان نظرنا الى عين التمييز في عين عين لم نصدق واما قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الدجال ودعواه انه اله فمهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدنا لا لا يرى ربه حتى يموت لان الغطاء لا ينكشف عن البصر الا الموت والبصر من العبد هوية الحق فعينك غطاء على بصر الحق فبصر الحق أدرك الحق ورآه لا انت، فان الله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) ولا ألطف من هوية تكون عين بصر العبد وبصر العبد لا يدرك الله، وليس في القوة أن يفصل بين البصرين، والخبير علم الذوق فهو العليم خبرة أنه بصر العبد في بصر العبد وهذا هو الامر في نفسه وان كان حيا فقد استوى الميت والحي في كون الحق تعالى بصرهما وما عندهما شيء، فان الله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء إذ (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) اهـ ثم تكلم عن الآية في مواضع أخرى وعلى جميع الاحاديث الواردة في المسألة وكلامه متعارض بعضه يتأول بتكليف أو بدون تكلف

كلمة للمحقق ابن القيم في الرؤية والتجلي

وقال المحقق ابن القيم في (مدارج السالكين ، شرح منازل السائرين) للهروي في الكلام على الدرجة الثانية من منزلة (اللحظ) مانصه

ونور الكشف عندهم هو مبدأ الشهود وهو نور تجلي معاني الاسماء الحسنى على القلب فتضيء به ظلمة القلب، ويرتفع به حجاب الكشف، ولا تلتفت الى غير هذا فتزل قدم بعد ثبوتها ، فانك تجد في كلام بعضهم « تجلي الذات يقتضي كذا وكذا ، وتجلي الصفات يقتضي كذا وكذا ، وتجلي الافعال يقتضي كذا وكذا » والقوم عنايتهم بالالفاظ فيتوهم المتوهم انهم يريدون تجلي حقيقة الذات والصفات والافعال للعيان ، فيقع من يقع منهم في الشطحات والطامات؛ والصادقون العارفون براء من ذلك ، وانما يشيرون الى كمال المعرفة وارتفاع حجب الغفلة والشك والاعراض ، واستيلاء سلطان المعرفة على القلب بمحو شهود السوى بالكلية ، فلا يشهد القلب سوى معروفه ، وينظرون هذا بطلوع الشمس

فانها اذا طلعت انطمس نور الكواكب ولم تعدم الكواكب وانما غطى عليها نور الشمس فلم يظهر لها وجود وهي موجودة في أماكنها ، هكذا نور المعرفة اذا استولى على القلب وقوي سلطانها وزالت الموانع والحجب عن القلب . ولا ينكر هذا إلا من ليس من أهله ، ولا يعتقد أن الذات المقدسة والاوصاف برزت وتجلت للعبد كما تجلى سبحانه للطور وكما يتجلى يوم القيامة للناس الا غالط فاقد للعلم ، وكثيراً مايقع الغالط من التجوز من نور العبادات والرياضة والذكر الى نور الذات والصفات . فان العبادة الصحيحة والرياضة الشرعية والذكر المتواطيء عليه القلب واللسان يوجب نورا على قدر قوته وضعفه ، وربما قوي ذلك النور حتى يشاهد بالعيان فيغلط فيه ضعيف العلم والتمييز بين خصائص الربوبية ومقتضيات العبودية فيظنه نور الذات ، وهيهات ! ثم هيهات ؛ نور الذات لايقوم له شيء . ولو كشف سبحانه وتعالى الحجاب عنه لتدكدك العالم كله كما تدكدك الجبل وساخ لما ظهر له القدر اليسير من التجلي

« وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم « ان الله سبحانه لاينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه » فالاسلام له نور والايمان له نور أقوى منه والاحسان له نور أقوى منهما ، (١) فاذا اجتمع الاسلام والايمان والاحسان ، زالت الحجب الشاغلة عن الله امتلأ القلب والجوارح بذلك النور ، لا بالنور الذي هو صفة الرب تعالى فان صفاته لاتحل في شيء من مخلوقاته . كما أن مخلوقاته لاتحل فيه فالخالق بائن عن المخلوق بذاته وصفاته . فلا اتحاد ولا حلول ولا ممازجة . تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا » اهـ

اقول هذا التصوف الموافق للكتاب والسنه لاتصوف ابن عربي والفرق بين نفي كل منهما للحلول ان هذا يقول ان الخلق والخالق شيء واحد والشيء لايحل في نفسه والآخر يقول ان النسبة بينهما المباينة التامه وهذا التوحيد هو الحق الذي كان عليه السلف الصالح (رض)

كلمة في النور والحجب والتجلي

(٨) نبدأ هذه المسألة ببعض ماقاله المحقق ابن القيم (رح) في فوائد الذكر من

(١) انما كان نور الاحسان أقوى لانه عبارة عن الاحسان في الاسلام والايمان فهو الكمال فيهما عملا واعتقادا

الكلم الطيب وهو:

«ان الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط (١) في استنارة القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى قال تعالى (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها؟) فالاول هو المؤمن الذي استنار بالايمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره. والآخر هو الغافل عن الله تعالى المعرض عن ذكره ومحبته. والشأن كل الشأن والفلاح كل الفلاح في النور. والشقاء كل الشقاء في فواته. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبالغ في سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله في لحمه وعظامه وعصبه وشعره وبشره وسمعه وبصره ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه حتى يقول« واجعلني نوراً» فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذراته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطاً به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نوراً. فدين الله تعالى عز وجل نور، وكتابه نور، ورسوله نور، وداره التي أعدها لاوليائه نور يتلألأ، وهو تبارك وتعالى نور السموات والارض ومن أسمائه النور، وأشرقت الظلمات لنور وجهه وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم الطائف. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك، أو ينزل بي، سخطك لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة الا بك» وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات من وجهه. وفي بعض ألفاظ هذا الأثر: نور السموات من نور وجهه، ذكر عثمان الدارمي وقد قال تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) فاذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده وأشرقت بنوره الارض وليس اشراقها لشمس ولا قمر فان الشمس تكور، والقمر يخسف ويذهب نورهما، وحجابه تبارك وتعالى النور. قال أبو موسى: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال: «ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لاحرقت

«١» كذا والظاهر أن ههنا حذفا قبل قوله «في استنارة

سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه » ثم قرأ (أن بورك من في النار ومن حولها) فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه ولولاه لاحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى اليه بصره « ولهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل وكشف من الحجاب شيئاً يسيراً ساخ الجبل في الارض وتدكدك ولم يقم لربه تبارك وتعالى . وهـذا معنى قول ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى (لا تدركه الابصار) قال ذلك الله عز وجل اذا تجلى بنوره لم يقم له شيء . وهذا من بديع فهمه رضى الله عنه ودقيق فطنته ، كيف وقد دعا رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه الله التأويل ، فالرب تبارك وتعالى يرى يوم القيامة بالابصار عيانا ، ولكن يستحيل إدراك الابصار له ؛ وان رأته فالادراك أمر وراء الرؤية ،وهذه الشمس ولله المثل الاعلى نراها ولا ندركها ، كما هي عليه ولا قريبا من ذلك ، ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه (لا تدركه الابصار) فقال ألست ترى السماء ؟ قال بلى قال أفتدركها ؟ قال لا قال فالله تعالى أعظم وأجل [1] (للتفسير بقية)

« ١ » كان أهل النظر المشتغلون بالفلسفة اليونانية يتأولون جميع الآيات والاحاديث الواردة في صفات الربوبية ويزرون على علماء الأثر الآخذ بظواهرها مع التنزيه والتفويض حتى ان الاشعرية الذين أرادوا أن يكونوا وسطا بين غلاة النظار من الجهمية وغيرهم وبين أهل الحديث كالحنابلة قد بالغ بعضهم في التأويل حتى صار الخلاف بينهم وبين غلاة النظر لفظيا . والباعث لهم على ذلك محاولة تطبيق النصوص على نظريات الفكر التي عدوا الكثير منها قطعيا وليس بقطعي ونحمد الله تعالى ان العلوم الكونية قد نقضت في هذا العصر أكثر تلك النظريات الفلسفية اليونانية وقربت نصوص الكتاب والسنة من الافهام ، ومما ثبت بها اخيراً ان هذه الكهربائية التي رأى البشر كثيرا من عجائبها هي الاصل في تكوين مادة العالم كله وأطوارها ، وهي نور أو مصدر النور والحركة التي يحدثها النور ، واذا كان الخالق الباريء المنزه عن نقص المخلوقات التي لا يكمل شيء منها الا به قد حجب عنها بالنور ، فلك أن تفهم أن الكهرباء وجعلها الله أصلا له من تكوين العالم المادي هي الحجاب المانع من رؤية الرب تعالى فيه وان انكشاف هذا الحجاب لا يكون الا في الجنة ، وان انكشافه هو الذي يوصل أهلها الى أعلى وأكمل درجات المعرفة به تعالى وهي الرؤية بغير كيف ولا ادراك ، وقد نصر العلم مذهب السلف ، على تأويلات الخلف ، ولله الحمد

ابطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

﴿ لشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية رضى الله عنه ﴾

وأما النوع الثالث وهو الفناء عن عبادة السوى فهذا حال النبيين وأتباعهم وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبحبه عن حب ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه. وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه. فهذا تحقيق توحيد الله وحده لاشريك له وهو الحنيفية ملة ابراهيم ويدخل في هذا أن يفنى عن اتباع هواه بطاعة الله فلا يحب الا لله، ولا يبغض الا لله، ولا يعطي الا لله، ولا يمنع الا لله. فهذا هو الفناء الديني الشرعي الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه

ومن قال * فارفع بحقك اني من البين * بمعنى أن يرفع هوى نفسه فلا يتبع هواه ولا يتوكل على نفسه وحوله وقوته بل يكون عمله لله لالهواه وعمله بالله وبقوته لابحوله وقوته كما قال تعالى (إياك نعبدوإياك نستعين) فهذا حق محمود. وهذا كما يحكى عن أبي يزيد أنه قال: رأيت رب العزة في المنام فقلت: خداي (١) كيف الطريق اليك؟ قال: اترك نفسك وتعال- أي اترك اتباع هواك والاعتماد على نفسك فيكون عملك لله واستعانتك بالله كما قال (فاعبده وتوكل عليه)

والقول المحكي عن ابن عربي * وبي حلفت وان المقسم الله * هو أيضا من إلحادهم وإفكهم: جعل نفسه حالفة بنفسه، وجعل الحالف هو

(١) خدا- بضم الخاء اسم الجلالة بالفارسية واضافه الى ياء المتكلم أي إلهي

الله فهو الحالف والمحلوف به كما يقولون : أرسل من نفسه الى نفسه رسولا بنفسه فهو المرسل والمرسل اليه والرسول وكما قال ابن الفارض في قصيدته نظم السلوك :

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصل واحد ساجد الى حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان بي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

الى أن قال :

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي حنت

وقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي

فان دعيت كنت المجيب وإن أكن منادى أجابت من دعاني ولبت

وأما المنقول عن عيسى بن مريم صلوات الله عليه فهو كذب عليه وهو كلام ملحد كاذب وضعه على المسيح وهذا لم ينقله عنه مسلم ولا نصراني ، فانه لا يوافق قول النصارى قوله ان الله اشتاق أن يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها واني أنا ذاك النور وآدم المرآة . فهذا الكلام مع ما فيه من الكفر والالحاد متناقض وذلك أن الله سبحانه يرى نفسه كما يسمع كلام نفسه، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عبد مخلوق لله قال لاصحابه « إني أراكم من ورائي كما أراكم من بين يدي » فاذا كان المخلوق قد يرى ما خلفه وهو أبلغ من رؤية نفسه فالخالق تعالى كيف لا يرى نفسه؟ وأيضا فان شوقه الى رؤية نفسه حتى خلق آدم يقتضى أنه لم يكن في

الازل يرى نفسه حتى خلق آدم ، ثم ذلك الشوق كان قديما كان ينبغي أن يعمل ذلك في الازل وان كان محدثا فلا بد من سبب يقتضي حدوثه، مع أنه قد يقال الشوق أيضا صفة نقص ولهذا لم يثبت ذلك في حق الله تعالى وقد روي «طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم أشوق» وهو حديث ضعيف

وقوله : خلق من نوره آدم وجعله كالمرآة وأنا ذلك النور وآدم هو المرآة - يقتضي أن يكون آدم مخلوقا من المسيح والمسيح خلق من مريم ومريم من ذرية آدم فكيف يكون آدم مخلوقا من ذريته ؟ وان قيل المسيح هو نور الله فهذا القول وان كان من جنس قول النصارى فهو شر من قول النصارى، فان النصارى يقولون: ان المسيح هو الناسوت واللاهوت الذي هو الكلمة هي جوهر الابن ، وهم يقولون : الاتحاد اتحاد اللاهوت والناسوت متجدد حين خلق بدن المسيح ، لا يقولون أن آدم خلق من المسيح إذ المسيح عندهم اسم اللاهوت والناسوت جميعا وذلك يمتنع أن يخلق منه آدم ، وأيضا فهم لا يقولون ان آدم خلق من لاهوت المسيح

وأيضا فقول القائل ان آدم خلق من نور الله الذي هو المسيح ان أراد به نوره الذي هو صفة لله فذاك ليس هو المسيح الذي هو قائم بنفسه إذ يمتنع أن يكون القائم بنفسه صفة لغيره ، وان أراد بنوره ما هو نور منفصل عنه فمعلوم أن المسيح لم يكن شيئا موجوداً منفصلا قبل خلق آدم فامتنع على كل تقدير أن يكون آدم مخلوقا من نور الله الذي هو

المسيح ، وأيضا فاذا كان آدم كالمرآة وهو ينظر في ذاته المقدسة فيها لزم أن يكون الظاهر في آدم هو مثال ذاته لا أن آدم هو ذاته ولا مثال ذاته ولا كذاته ، وحينئذ فان كان المراد بذلك أن آدم يعرف الله تعالى فيرى مثال ذاته العلمي في آدم فالرب تعالى يعرف نفسه فكان المثال العلمي اذا أمكن رؤيته كانت رؤيته للعلم المطابق له القائم بذاته أولى من رؤيته للعلم القائم بآدم ، وان كان المراد أن آدم نفسه سأل الله فلا يكون آدم هو المرآة بل يكون هو كالمثال الذي في المرآة ،

وأيضا فتخصيص المسيح بكونه ذلك النور هو قول النصارى الذين يخصونه بأنه الله، وهؤلاء الاتحادية ضموا الى قول النصارى قولهم بعموم الاتحاد حيث جعلوا في غير المسيح من جنس ما تقوله النصارى في المسيح

وأما قول ابن الفارض:

وشاهد اذا استجليت ذاتك من ترى بغير مراء في المراة الصقيلة
أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر اليك بها عند انعكاس الاشعة

فهذا تمثيل فاسد وذلك أن الناظر في المرآة مثال نفسه فيرى نفسه وكذا المرآة لا يرى نفسه بلا واسطة فقولهم بوجود باطل وبتقدير صحته ليس هذا مطابقا له وأيضا فهؤلاء يقولون بعموم الوحدة والاتحاد والحلول في كل شيء فتخصيصهم بعد هذا آدم أو المسيح يناقض قولهم بالعموم وانما يخص المسيح ونحوه من يقول بالاتحاد الخاص كالنصارى والغالية من الشيعة وجهال النساك ونحوهم ، وأيضا فلو قدر أن الانسان يرى نفسه في المرآة فالمرآة خارجة عن نفسه فرأى نفسه أو مثال نفسه

في غيره والكون عندهم ليس فيه غير ولا سوى فليس هناك مظهر مغاير للظاهر ولا مرآة مغايرة للرائي

وهم يقولون: ان الكون مظاهر الحق (فان قالوا) المظاهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة، وان قالوا المظاهر هي الظاهر لم يكن قد ظهر شيء في شيء ولا تجلى شيء في شيء ولا ظهر شيء لشيء وكان قوله: * وشاهد اذا استجليت نفسك أن ترى * .. كلاماً متناقضاً لان هنا مخاطِباً ومخاطَباً ومرآة تستجلي فيها الذات فهذه ثلاثة أعيان فان كان الوجود واحداً بالعين بطل هذا الكلام وكل كلمة يقولونها تنقض أصلهم

فصل

وأما ما ذكره من قول ابن اسرائيل: الامر أمران أمر بواسطة وأمر بغير واسطة الى آخره. فمضمونه أن الامر الذي بواسطة هو الامر الشرعي الديني والذي بلا واسطة هو الامر القدري الكوني وجعله أحد الامرين بواسطة والآخر بغير واسطة كلام باطل فان الامر الديني يكون بواسطة وبغير واسطة فان الله كلم موسى وأمره بلا واسطة وكذلك كلم محمداً صلى الله عليه وسلم وأمره ليلة المعراج وكذلك كلم آدم وأمره بلا واسطة وهي أوامر دينية شرعية وأما الامر الكوني فقول القائل: انه لا بواسطة خطأ بل الله تعالى خلق الاشياء بعضها ببعض وأمر التكوين ليس هو خطاباً يسمعه المكون المخلوق فان هذا ممتنع ولهذا قيل ان كان هذا خطاباً له بعد وجوده لم يكن قد كون (به) بل كان قد كون

قبل الخطاب وان كان خطابا له قبل وجوده فخطاب المعدوم ممتنع. وقد قيل في جواب هذا انه خطاب لمعلوم لحضوره في العلم وان كان معدوما في العين

وأما ما ذكره الفقير فهو سؤال وارد بلا ريب. وأما ما ذكره عن شيخه من أن آدم كان توحيده ظاهراً وباطنا فكان قوله «لا تقرب» ظاهراً وكان أمره «بكل» باطنا (فيقال) ان أريد بكونه قال كل باطنا أنه أمره بذلك في الباطن أمر تشريع أو دين فهذا كذب وكفر. وان كان أراد أنه خلق ذلك وقدره وكونه فهذا قدر مشترك بين آدم وبين سائر المخلوقات فانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. فكل ما كان من المكونات فهو داخل في هذا الامر. وأكل آدم من الشجرة وغير ذلك من الحوادث داخلة تحت هذا كدخول آدم فنفس أكل آدم هو الداخل تحت هذا الامر كما دخل آدم. وقول القائل: انه قال لآدم في الباطن كل مثل قوله انه قال للكافر اكفر وللفاسق افسق، والله لا يأمر بالفحشاء، ولا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يوجد منه خطاب باطن ولا ظاهر للكفار والفساق والعصاة بفعل الكفر والفسوق والعصيان، وان كان ذلك واقعا بمشيئته وقدرته وخلقه وأمره الكوني - فالامر الكوني ليس هو أمراً للعبد أن يفعل ذلك الامر بل هو أمر تكوين لذلك الفعل في العبد أو أمر تكوين لكون العبد على ذلك الحال فهو سبحانه هو الذي خلق الانسان هلوعا * اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا * وهو الذي جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل: (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فهو سبحانه جعل العباد على

الاحوال التي خلقهم عليها وأمره لهم بذلك أمر تكوين بمعنى أنه قال لهم: كونوا كذلك فيكونون كذلك. كما لو قال للجماد كن فيكون فأمر التكوين لا فرق فيه بين الجماد والحيوان وهو لا يفتقر الى علم المأمور ولا ارادته ولا قدرته لكن العبد قد يعلم ما جرى به القدر في أحواله كما يعلم ما جرى به القدر في أحوال غيره، وليس في ذلك علم منه بأن الله أمره في الباطن بخلاف ما أمره به في الظاهر، بل أمره بالطاعة باطنا وظاهراً، ونهاه عن المعصية باطنا وظاهراً، وقدر ما يكون فيه من طاعة ومعصية باطنا وظاهراً، وخلق العبد وجميع أعماله باطنا وظاهراً، وكون ذلك بقوله «كن باطنا وظاهراً»

وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر بل القدر يؤمن به ولا يحتج به، والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض، فان القدر ان كان حجة وعذراً لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه اذا ظلم في نفسه وماله وعرضه وحرمته أن لا ينتصر من الظالم ولا يغضب عليه ولا يذمه. وهذا أمر ممتنع في الطبيعة لا يمكن أحداً أن يفعله فهو ممتنع طبعا محرم شرعا.

ولو كان القدر حجة وعذراً لم يكن ابليس ملوما معاقبا ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار ولا كان جهاد الكفار جائزاً ولا إقامة الحدود جائزاً لا قطع السارق ولا جلد الزاني ولا رجمه ولا قتل القاتل ولا عقوبة معتد بوجه من الوجوه. ولما كان الاحتجاج بالقدر باطلا في فطر الخلق وعقولهم لم تذهب اليه أمة من الامم. ولا هو مذهب أحد من العقلاء الذين يطردون قولهم فانه لا يستقيم عليه مصلحة أحد

لا في دنياه ولا آخرته ولا يمكن اثنان أن يتعاشرا ساعة واحدة ان لم يكن أحدهما ملتزما مع الآخر نوعا من الشرع ، فالشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده لكن الشرائع تتنوع فتارة تكون منزلة من عند الله كما جاءت به الرسل وتارة لا تكون كذلك ، ثم المنزلة تارة تبدل وتغير كما غير أهل الكتاب شرائعهم. وتارة لا تغير ولا تبدل ، وتارة يدخل النسخ في بعضها وتارة لا يدخل

اما القدر فانه لا يحتج به أحد إلا عند اتباع هواه فاذا فعل فعلا بمجرد هواه وذوقه ووجده من غير أن يكون له علم بحسن الفعل ومصلحته استند الى القدر كما قال المشركون (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم الا تخرصون * قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) فبين أنهم ليس عندهم علم بما كانوا عليه من الدين وانما يتبعون الظن ، والقوم لم يكونوا ممن يسوغ لكل أحد الاحتجاج بالقدر فانه لو خرب أحد الكعبة أو شتم ابراهيم الخليل أو طعن في دينهم لعادوه وآذوه كيف وقد عادوا النبي صلى الله عليه وسلم على ما جاء به من الدين وما فعله هو أيضا من المقدور؟ فلو كان الاحتجاج بالقدر حجة لكان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فان كان كل ما يحدث في الوجود فهو مقدر ، فالمحق والمبطل يشتركان في الاحتجاج بالقدر ان كان الاحتجاج به صحيحا ولكن كانوا يعتمدون على ما يعتقدونه من جنس دينهم وهم في ذلك يتبعون الظن ليس لهم به علم بل هم يخرصون (لها بقية)

المقالات الجمالية

الشرق والشرقيون

(٤)

﴿ الشعبة الثانية من المقصد ﴾

في الشواهد التاريخية، على اضاعة الممالك الشرقية

تأمل فيما أقص عليك من اعمال الشرقيين من قبل حتى تعلم انهم هم الذين بحيدانهم عن سنة العقل قد اوقعوا انفسهم في الذل الدائم، وجلبوا بعدم تدبرهم في عواقب امورهم الخراب والدمار الى بلادهم؛ واضعفوا بسوء سياستهم سلطنتهم القوية، ومكنوا أعداءهم من بلادهم جهلا منهم بنتائج اعمالهم . وهاهو ذا :

ان العثمانيين قد اتفقوا مع الروس على مقاسمة البلاد الايرانية حينما تغلب الافغانيون على أصفهان أيام (شاه سلطان حسين) ولو نظروا بمنظار التدبر الى الامة الروسية وما لها من العلاقات مع اليونانيين والرومانيين والسربيين والبلغاريين وغيرهم من رعايا السلطنة العثمانية وما يمكنها أن تحوزه في مستقبل امرها من القوة والبسطة لما اختلجت ببالهم محالفتها، ولا خطرت في اذهانهم مؤامرتها، بل كانوا يسعون في قلع اسها قبل استحكامه، وقطع شجرتها قبل أن تشج عروقها

وانهم جاهروا الايرانيين بالحرب من طريق بايزيد اذ كان عباس مرزا بجيوشه يقاومون الروسية و يدافعونها عن بلادهم، فوهنت قوتهم، وضعفت مريرتهم، واستملك الروس بسبب هذا الاقتحام اكثر بلاد آذربيجان، ولو استشار العثمانيون عقولهم وقتئذ لاشارت عليهم بأن ضعف الايرانيين وقوة الروس هما معا علة زعزع اركان السلطنة التركية، ولكنهم اتبعوا خطرات أنفسهم، وزينت لهم وهامهم، وظنوا انهم يحسنون صنعا، فاسرعوا في هلاك انفسهم وهم لا يشعرون،

(١) خاس يخيس خيسا كذب - وخاس بالعهد خيسا وخيسانا غدر ونكث

وكان عليهم اهتداء بنور العقل، وسلوكا في مسالك السياسة الحقة(١) أن يلاحظوا الجامعة القوية، التي بينهم وبين السلطة الايرانية، فيتفقوا معها على كبح شره الروسية واضعاف قوتها، امنا من غوائلها، وحذراً من آفات مطامعها

وانهم أي العثمانيين جبهوا سفير (تيبوسلطان) سلطان (ميسور) بالرد حين عرض عليهم من طرف سيده استبدال البصرة ببعض البلاد الهندية(٢) التي كانت في حوزته، وامتعضوا من هذا الطلب وردوا السفير خائبا. وكان غرض (تيبوسلطان) من طلبه هذا أن يكسر سورة الانجليز ببسط السلطة العثمانية في الهند وتمكينها منها

وذهل العثمانيون تهاونا منهم عن العلاقات التامة التي بينهم وبين الهنديين وان سلطتهم لو امتدت الى تلك الممالك لدخل جميع حكامها بلا معارضة تحت لوائهم وقدروا حينئذ على قدع الحكومة الانجليزية عن تطاولاتها في الهند، وسدوا عليها طرق فتوحاتها في المشرق، وما شعروا تساهلا في السياسة وتغافلا عن منهج العقل أن بسطة الحكومة الانجليزية في آسيا توجب تحكمها في بلادهم وطمعها في الاستيلاء عليها كما وقع الآن حتى مكنوا عساكرها مدة طويلة من شق الاراضي المصرية ذاهبة الى أقاصي المشرق للتغلب عليها.

وان شاه ايران (فتح علي شاه) إرضاء للانجليز هدد الافغانيين بالحرب وقتما أرادوا أن يزحفوا على الهند لانتزاعها من أيدي الانجليز ولو استنار الايرانيون وقتئذ بنور عقولهم لانكشف لهم أن قوة الانجليز بالهند إذلال لهم وخطر على بلادهم، ولعلموا أنهم والافغانيين غصنا شجرة الايران (٣) وقد تشعبوا من أصل واحد ونشؤا في

---

(١) الصواب أن يقال الحق لانه مصدر يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والجمع على سواء (٢) الصواب أن يقال: استبدال بعض البلاد الهندية بالبصرة أي بأخذها بدلا من البصرة التي قاتلوا أهلها للاستيلاء عليها وأعانهم بعض العرب على بعض، فان الباء تقرن المبدل منه (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل) الخ

(٣) كان السيد رحمه الله على سعة مدده في اللغة العربية يعرّف بعض الأعلام بلا مسوغ فيقول الايران الاوزبة ويظهر ذلك في قلمه أحيانا ككثير من الاعاجم

أرض واحدة، تجمعهم وحدة الجنسية، وتؤلفهم الأخوة الحقيقية، وأنهم متساهمون في العز والشرف، ومتشاركون في الذل والهون، وما فرقت كلمتهم إلا أوهام واهية نشأت عن الظنون الدينية وليست منها في شيء . ولو راجع كل عقله لرأى وجوب اتفاقهم تحت الوحدة استرجاعا لمجدهم السابق، وتداركا لما فاتهم بسبب الشقاق من الشرف والفخار وعلو الكلمة بين الامم .

وإن الامير (دوست محمد خان) أمير الافغان قد جعل بلاده تعاميا منه عرضة للهجمات الانجليزية فانه بعد المخالفة مع (رنجت سنكت) (١) ومعاهدته في مقاومة الانجليز قد تركه اغترارا بالمواعيد الانجليزية في ميدان الحرب وحيدا وتقهقر بعساكره فانهزمت جيوش (رنجت) وتغلب الانجليز على جميع أراضي البنجاب المتاخمة للافغان، ولو استهدى الامير (دوست محمد خان) إذ ذاك عقله وسلك في سياسته سلوك بصير يتدبر نتائج أفعاله قبل أن يتسرع فيها لتحقق لديه أن صيانة بلاده من هجمات الانجليز إنما يكون ببقاء الحكومة البنجابية حريزة حتى تكون سدا مانعا بين افغانستان وبين الحكومة الانجليزية فكان يدافع منها كما كان يدافع عن حكومته

وإن نواب البنجاله ونواب (الكرناتكر) قد مهدوا للانجليز سبل دخولهم في الاراضي الهندية . وان نواب (لكهنو) أيد مقاصدهم في إذلال السلطنة التيمورية وان نواب دكن قد أعانهم على إبادة حكومة (تيبو سلطان) وإذلال راجة (برودة) وقهر الذين قاموا سنة ١٨٥٧ لانقاذ بلادهم ودفع شر المتغلبين عليها من الانجليز (٢)

وكل هؤلاء جهلا منهم بمنافعهم وعمى عن نتائج أفعالهم المضرة مكنوا الحكومة الانجليزية ثقة بمواعيدها من الاراضي الهندية، وجعلوا على أعناقهم نير العبودية، وما عقلوا أن قوام كل بالآخر، وان بقاءه قد نيط ببقائه، وأن كلا للآخر بمنزلة العضو من الجسد فاذا تمكن الداء من عضو سرى في الجسم ولزم منه انحلال البدن كله، والآن نرى الحكومة الانجليزية بعد استعبادهم وسلب أموالهم

«١» ضبط تارة رنجت بفتح فكسر فسكون واخرى رنجت بالنون والجيم، وضبط سنك بكسر السين المهملة وسكون النون «٢» يعني الذين قاموا بالثورة الهندية الكبرى المشهورة

ونزع أيديهم عن الملك-تعارضهم في ديانتهم وتزاحمهم في تجارتهم، وتعاقبهم على نياتهم وتعاتبهم على إعمال آبائهم (١)

وإن اهل بخارى فرحوا بتسلط الروسية على خوقند - والتركمان تبجحوا بغلبتها على بخارى - والافغان والفرس قد سروا من استيلائها على التركمان - وكل هذا غفلة منهم عن المضار التي تنشأ عن قوة الروسية وبسطة سلطتها في تلك الاراضي، وقد ألقاهم جهلهم بمصالح انفسهم وإغضاؤهم عن الاستنارة بنور عقولهم في التهلكة، واشرفوا كلهم بغرورهم على الزوال والاضمحلال.

وان مدحت باشا وأعوانه لو نظروا ببصيرتهم الى اركان سلطنتهم المتداعية الى السقوط، وشعروا بهداية عقولهم ان دعائم حكومتهم كادت ان تنهد بما ألم بها من المصائب، وعلموا بتدبرهم ان البلايا تترصدهم من جوانبهم، لما تقحموا غرور وضلالة في خلع عبد العزيز وقتله وقتما تترقب الاعداء سقطاتهم، وتغتنم هفواتهم، ولكنهم استنادا على واهي آرائهم، واغترارا بدسائس الحكومة الانجليزية قد جلبوا الهلاك والاضمحلال على امتهم ويظنون انهم هم المصلحون

وإن اسماعيل باشا حبا بالاستقلال وعمى عن نتائج افعاله السيئة التي نشأت عن حرصه على اسم الملك قد ألقم الافرنج جميع اموال مصر وما استدانه من صرافي الاوربا (؟) بالارباح الباهظة، ثم سعى الافرنج في خلعه عن الملك ونفيه عن الديار المصرية ارادة استملاكها ووضع اليد عليها — ولو تروى في حالة الشرقيين وتأمل فيما اصابهم من الذل والصغار لاجل تفرق كلمتهم لازداد خضوعا للسلطانه وسعى صيانة لنفسه في تشييد مباني سلطنته ونزع من قلبه حب الاستقلال، وعلم ان الذين لا يفترون عن السعي في فتح الممالك لا يمكن ان يساعدوه في مقاصده

وإن وزراء توفيق باشا جهلا بمقدار انفسهم، وعجبا بآرائهم الفاسدة واتباعا

«١» وأعجب من ذلك أنهم بعد اتساع دائرة العلم والعرفان فيهم وسعي عقلائهم الى التعاون بين المختلفين في الملل والنحل منهم لرفع نير العبودية عن أعناق الجميع تمكن الانكليز بعد نجاح اولئك الزعماء من التفريق بينهم و إضرام نيران التعصب والشقاق الديني فيهم !! فالى متى الى متى ؟

لاوهامهم الباطلة فقد جلبوا الانجليز بغاية جهدهم الى القطر المصري وملكوهم اياه، وهم يظنون انهم يستظهرون بهم على اعداء الخديوي، فلو تدبروا في سياسة الحكومة الانجليزية وراوا اطماعها في ارض مصر لما جلبوا هذه المصيبة على انفسهم وعلى خديويهم وعلى سلطانهم ولما ألقوا انفسهم في فم الاسد خوفا من وعوعة الكلب

* * *

لقد ظهر من كل ما ذكرته من سير الشرقيين قدحا في معاملاتهم أنهم ما سلكوا في سياستهم سبيل الرشد والهدى، وما استفادوا من عقولهم شيئا، ولا تدبروا في عواقب افعالهم ونتائج اعمالهم، ولا نظروا بنور البصيرة في حالهم ومآلهم، بل تاهوا جهلا منهم بمنافعهم في بيداء الغواية، وحادوا عمى عن غاية سيرهم في تيه الضلالة، حتى خربوا بأيديهم ديارهم، وابادوا بسوء تصرفهم بلادهم، ومكنوا الاجانب بمساعيهم الفاسدة من رقابهم. وكان الواجب على احفادهم الذين احترقوا بنارهم، وتدنسوا بعارهم، ان يعتبروا بالمصائب التي جلبتها عليهم غفلات اسلافهم، وان يتقوا البليات التي قادتها الغباوة الى آبائهم، وان يسعوا في جمع الكلمة، وان يتحذروا عن الشتات والتفرقة وضواء، يجتنبوا اراض الشخصية، ويعرضوا عن دواعي الخطوات الوهمية، ويتنحوا عن مضال الاستبداد والاستئثار، ولكن تراهم اسبات عقولهم يقتفون آثارهم، ويتبعون اغلاطهم، معرضين عن العقل وإرشاده، جاحدين للحق وآياته، ارتفعت عنهم الامانة، وفشت بينهم الخيانة، وانقطعت بينهم عرى الوداد، وانحلت عقدة الجنسية، كل ينظر الى نفسه، ويسعى لمنفعة شخصه، جهلا منه ان سعادته منبثة في جميع آحاد الامة ولا يمكنه ان يفوز بها الا بسعادة الكل، ولذلك قد صاروا فقراء لا يملكون شيئا، حائرين في معاشهم، ضالين عن رشدهم في مبدئهم ومعادهم، وكاد ان يقضى عليهم بذل ابدي وموت دائمي، بتلاشي جنسيتهم، وتناثر جمعيتهم.

ومع كل هذا ما فاتهم اوان التدارك، ولا ضاق عليهم زمان التلافي، ولا أوسدت عليهم الابواب، ولا انقطعت دونهم الاسباب، ولكن قد تمكن منهم القنوط

غلب عليهم اليأس، وفترت هممهم، وضعفت عزائمهم، واستكت آذانهم عن استماع النصائح، وعميت ابصارهم عن رؤية الحق، وقست قلوبهم عن الاذعان له، فتراهم امتدادا في غيهم يريقون دماء هداتهم ويتبعون آراء غواتهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله اهـ

*

(المنار) ان أمة وجد فيها مثل هذا الحكيم الاجتماعي السياسي، وانتشرت في بلادها أمثال هذه الحقائق الرائعة، والنذر الصادعة، لجديرة بأن تتبين الرشد من الغي، وتميز بين الحق والباطل، وتزيل بين الضارّ والنافع، فتجمع كلمتها، وتستعيد سيادتها، ولكن الفساد الذي طال الحكيم في وصفه بهذه المقالة قد تجاوز الحدّ الذي تعقل فيه النذر، وتؤثر النصائح، فقد ازدادت الشعوب الشرقية الاسلامية التي وجه اليها الخطاب تماديا وتدابرا، حتى سقطت الدولة العثمانية بجهالة رجالها وضلالهم وفساد عقائدهم وأخلاقهم، ولكن لم يفعل احد في القديم ولا في الحديث شرا مما فعله أمير مكة الشريف حسين وأولاده فقد تجاوز جهلهم وفساد عقولهم وأنفسهم كل حد بأن احدثوا ثورة عربية لمساعدة الدولة البريطانية وأحلافها على اسقاط الدولة العثمانية واستعباد الشعوب العربية باغراء هذه الدولة التي بين لنا السيد الحكيم بعض أفعالها في ثل عروش الدول الشرقية، وأساليبها في الطرق الاستعمارية، وخداعها للملوك والامراء بالوعود الكاذبة، والعهود الغارّة، مما لا يدع مجالا لثقة أبلد البلداء بها، وقد استولى الانكليز وأحلافهم من الفرنسيس على سائر البلاد العربية العامرة، ذات الغلات الوافرة، من حدود مصر الى خليج فارس، ولا يزالون هؤلاء الخونة المتحلون بلقب الشرفاء يوطدون سلطة الاحتلال في تراث سلطنتي العرب الكبريين - سورية والعراق - ويمكنونها من الاحاطة بالحجاز ونجد، حتى لا يبقى للامة العربية ملجأ مستقل في هذه الارض

وأغرب من هذا وأعجب أنه لا يزال لهؤلاء الافراد حسين بن علي وأولاده أنصار وأولياء في فلسطين وسورية والعراق بعضهم من الخونة المأجورين، وبعضهم من الاغرار المأفونين، وسيسجل عليهم التاريخ اللعنة الى يوم الدين

التشريع الاسلامي ومؤتمر الخلافة *

(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة * ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)

الاسلام هداية روحية غايتها سعادة الدنيا والآخرة، وبدايتها ترقية العقل بالعقائد الصحيحة السليمة من نزغات الشرك وأوهام الخرافات، وتزكية النفس بالعبادات المشروعة التي تعرج بها الى مناجاة الرب تبارك وتعالى كفاحا بدون واسطة وزراء ولا حجاب وبالآداب العالية ومكارم الاخلاق، التي تهنأ بها المعيشة الشخصية والمنزلية وترتقي شؤون الحضارة والاجتماع، حتى تعم الاخوة جميع طبقات البشر من جميع الشعوب والاجناس، وهو مع ذلك نظام مدني سياسي يساوي بالعدل، بين جميع الافراد وجميع الطبقات من جميع الملل والنحل، ويقرن الاحسان بالعدل، حتى في ذبح الحيوان للاكل، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وقد أبطل السيطرة الشخصية التي كانت للملوك على الاجساد، والهيمنة الروحانية التي كانت للكهان على العقول والارواح، وجعل السلطان في الحقوق بأنواعها للشريعة العادلة المستمدة من الوحي، أو المستنبطة باجتهاد جماعة أولي الامر، وتشاور أهل الحل والعقد، وقيد طاعة الائمة والامراء بالمعروف، وأرشد بالورع الشخصي الى استفتاء القلب، وتحكيم الضمير فيما يشتبه من الامر

فالاسلام هو دين الحرية الكاملة برفعه ما كان من استرقاق الملوك والرؤساء للبشر في أمور دينهم ودنياهم، والسيطرة عليهم في تصرفاتهم البدنية، وأفكارهم العقلية، وعباداتهم الاعتقادية، وإبطاله تمييز بعض الشعوب وبعض الطبقات

-*- نشرناها في الجزء الثاني من مجلة مؤتمر الخلافة بمصر

من الشعب الواحد على البعض الآخر، وبتسويته بين الملوك والامراء، والاغنياء والفقراء، والرؤساء الدينيين والدنيويين، — في جميع الحقوق الشرعية المتعلقة بالدماء والاموال والاعراض، بحيث يقتص من القوي للضعيف، ومن الكبير للصغير، — كما أمر الخليفة الثاني الفاتح الاعظم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لرجل الفزاري من ضعفاء السوقة بأن يلطم جبلة بن لايهم ملك غسان بما لطمه، الا أن يرضيه فيعفو عنه، وكما عزر عمرو بن العاص فاتح مصر بضرب ولده لغلام قبطي. وأمر بأن يضربه القبطي كما ضربه، وقال في ذلك كلمته الحكيمة التى يفاخر المسلمون بها جميع أهل الملل، ويفاخر العرب بها جميع الشعوب والامم، وهي:

« ياعمرو منذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا »

هذا ما قاله أمير المؤمنين لقائده فاتح مصر وعامله عليها

وليس ما ذكرته من المثل عن عمر الا تنفيذاً لتشريع القرآن المجيد الذي جعل العدل عاما، والقيام بالقسط أمراً واجبا، لا يحابى فيه قريب على بعيد، ولا ولي على بغيض، ولا غني على فقير، كما هو منصوص في الآية ١٣٤ من سورة النساء والآية التاسعة من سورة المائدة، بالصيغ العامة المطلقة التي يدخل فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر: وثم آيات خاصة بغير المسلمين كقوله تعالى في قضية اليهود (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين)

وأبلغ من هذا ما ورد في قضية بين مسلم ويهودي كان المسلم فيها مذنبا واليهودي بريئاً فنورد أخصر ما قيل فيها من تفسير (الجلالين) لسورة النساء قال الجلال: وسرق طعمة من أبيرق درعا وخبأها عند يهودي فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها فسأل قومه النبي (ص) أن يجادل عنه ويبرئه فنزل (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ٭ واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيما ٭ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ٭ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون

محيطاً * ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا) هذا في تهديد قوم طعمة السارق المتهم لليهودي اذ كذبوا على النبي (ص) حتى صدقهم وهم بالجدال عن صاحبهم لولا وحي الله تعالى له ببيان الحقيقة. ثم قال الله تعالى لرسوله: (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شيء، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم. وكان فضل الله عليك عظيما)

بعد هذا التمهيد أقول: ان أصول التشريع الاسلامي هي أرقى تشريع لم يسبق بمثله، أفليس من أكبر البلاء وأعظم الخطوب في الاسلام أن تجهل بعض الحكومات الاسلامية هذه المزاية فيه بل تعيبه بأنه عثرة في طريق الحضارة والقوة، وتبيح لنفسها أن تنبذه ظهريا بتدريج بطيء أو سريع، وتستبدل به تشريعا دونه في نفسه، ودونه في موافقته لصالح الامة التي كان له أعظم التأثير في تكوينها، ودونه تأثيرا فيما ترجو من تجديد حضارتها، ودونه فيما يجب أن تتوخاه من حسن الاتصال بالامم المرتقية في علومها ونظمها، بله الاتصال والمودة مع الشعوب التى تدين الله تعالى بأصول هذه الشريعة وفروعها ؟

أليست الامم وليدة التاريخ وربيبته ؟ أليس التشريع من مقوماتها التي تفصل بينها وبين غيرها كالفصول الطبيعية التي تفصل في عرف علماء المنطق بين أنواع الجنس الواحد كالحيوان والنبات ؟

كثر بحث دعاة التجديد في الشعوب الاسلامية في هذه المسألة وكثر القاء التبعة فيها على علماء الشرع ورميهم بالجمود

وربما يدور البحث في مؤتمر الخلافة هذا في مسألة المذاهب أو الآراء في التشريع وهي ثلاثة: رأي الملاحدة الذين يرون أن التزام الشريعة الاسلامية تدينا مانع من تأليف دولة قوية في أمة ذات حضارة راقية — ورأي الذين يرون وجوب التزام تقليد أحد المذاهب المتبعة كما هو مدون في الكتب المتداولة

مهما يكن تأثيره في الامة والدولة، وانه لا يجوز استحداث شيء من العلم والفنون والاعمال الا اذا دلت على جوازه — ورأي الحزب الوسط الجامع بين معرفة أحكام الشرع وحكمه وأسراره وبين شؤون العصر ، وقد فاز حزب مصطفى كمال باشا من أهل الرأي الاول في الحكومة التركية الجديدة بعد تمهيد طويل سبقه اليه الاتحاديون وغيرهم من ملاحدة الترك ، واشتد النزاع بين الحكومتين الايرانية والافغانية وبين أصحاب الرأي الثاني فيهما المعارضين لكل صلاح مدني جديد لم يعهد من قبل ، حتى اضطرت الحكومة الافغانية الى قمع ثورات المعارضة منهم بالقتال ، وذكرت البرقيات والجرائد أن مثيري الناس على الامير هم العلماء، ولا غرو فمن سنن الله في الامم أن المتشددين في المحافظة على القديم المألوف ينكرون كل محدث وان كان معروفا، ويسكنون على القديم وان كان منكرا، وضدهم الغلاة في طلب التجديد فهم يحبذون كل جديد وان كان قبيحا ، ويقبحون كل قديم وان كان حسنا

والحق والصواب أن في كل من القديم والجديد من المنافع والمضار ما يحكم فيه بحسب وصفه ، لا بحسب جدته وقدمه ، والجديرون بصحة الحكم في ذلك هم الذين عالجوا الامرين من اهل العلم والبصيرة والاعتدال في الرأي ، ويقل أن يوجد في علماء الافغان الدينيين أمثال هؤلاء الذين يعرفون اضطرار حكومتهم الى الاخذ بالنظام العصرية التي بها حفظ بلادهم . ويعلمون أن لا بد لهم من توسيع ثروة بلادهم بالطرق الزراعية الجديدة ، ومن الاخذ بأسباب الصناعات الحديثة — وان كل ذلك يتوقف على العلوم الكونية التي يعرف بها ما أودعه الله في الماء والهواء والكهرباء وغيرها من الخواص والمنافع والفنون التي يتوقف عليها صنع الآلات التي تستخرج بها تلك المنافع . ولو عرفوا هذا كله لعرفوا أن هذه العلوم والفنون والصناعات التي أدخلها حكومة أميرهم في بلادهم هي من فروض الكفاية شرعا

وأما فقهاء الترك ومصر وتونس وأمثالهم فيعلمون هذا علما قطعيا الآن المشاهدة

أثبتت لهم أنه من الضروريات ولكن هناك أموراً أخرى شعرت حكوماتهم بالحاجة اليها قبلهم، ولا تزال خفية على أكثرهم ، وهي ما يتعلق بالتشريع، فقد تجددت للناس أقضية كثيرة بما حدث من النظام المالي والمعاملات المدنية كالشركات والمصارف المالية والمعاملات الاجنبية والمعاهدات الدولية من سياسية وتجارية وغيرها . اشتدت حاجة هذه الحكومات الى وضع أحكام لهذه الامور حتى وصلت الى حد الضرورة، فلما لم تجدها عند فقهائها لم تجد بداً من اقتباسها من بعض الحكومات الاوربية واستتبع الضروري منها ما ليس بضروري ، حتى تحول التشريع عن القواعد والاصول الاسلامية .

وغرضنا من بيان هذا أنه قد يكون من مندوبي الشعوب الاسلامية في هذا المؤتمر من يرى أن يكون الخليفة الذي يختارونه حاكماً بالشرع المدون في كتب الفقه كمندوبي جزيرة العرب وأمثالهم، وقد يكون منهم من يرى أن يكون مدنياً يجاري في حكومته أرقى حكومات العصر في العلوم والفنون والحضارة والقوة كمندوبي الهند وشمالي أفريقية ، ولا سبيل لجمع بين الامرين ، وجعل نظام الخلافة متفقاً عليه من الفريقين ، الا باظهار الشرع الاسلامي بقسميه التنزيلي والاجتهادي في أسلوب من البيان، يعلم به موافقته لحال هذا الزمان في كل مكان .

ولا يوجد قطر اسلامي أجدر بهذا العمل من القطر المصري ، فانه عمل لا يتم الا بالتعاون بين الراسخين في العلوم الشرعية ومذاهب المجتهدين فيها وبين المطلعين على قوانين أمم الحضارة ونظمها وعلومها وفنونها . فمصر أهل للقيام بهذا الامر العظيم وحدها ، فكيف اذا وفد عليها من علماء سائر الاقطار وزعمائها من يكونون أفضل الاعوان لها ؟ ألم تر أن كبار علماء الشرع فيها هم الذين اضطلعوا بالدعوة الى مؤتمر الخلافة وتولوا الدعوة اليه، ورأوا أن يشاركهم في ادارة العمل بعض علماء القوانين العامة والطب والسياسة وغيرهم ؟ وما كان أحد ينتظر هذا من الصنف الذي كانت تلقي على عاتقه تبعة نبذ الشريعة ، وقد كان علماء الترك أجدر منهم بالسبق الى هذا الامر بما كان لهم من النفوذ

الرسمي في دائرة المشيخة الاسلامية مع النفوذ الروحي في الامة ، وهم سياج للدولة التي كانت تمثل الخلافة .

فيالها من فرصة سنحت للامة الاسلامية ما سمحت بمثلها العصور الخالية ، فحيا الله مصر وعلماء مصر وجميع رجال الاصلاح في مصر ، فقد كانوا بهذا العمل أمة وسطا بين أهل التفريط والافراط في أم المصالح الاسلامية كما كان بلدهم وسطا بين الاقطار الاسلامية ، وسيقرب هذا المؤتمر بين المخلصين من الواقفين على الطرفين فيجذبهم الى الوسط ، ويزيل شبهات علماء الافغان وأمثالهم على ما يظنون من التعارض بين الشرع والفنون التي يتوقف عليها نظام القوة وثروة الامة وتعزيز الدولة ، كما أنها ستدحض شبهات الذين يظنون أن الشرع الاسلامي يحول دون ارتقاء الامم الى أرقى معارج القوة والعزة وأوج الحضارة ، ففي أي مكان يرجى مثل هذا كما يرجى في مصر ؟ أفي الآستانة التي ألغت حكومتها الخلافة وتبرأت من اسمها ومسماها ؟ أم فى مكة المكرمة وهى في اضطراب حزبي بين حكومتين ولم يكن في أهلها منذ قرون من يصلح لما ذكرنا في هذا المقال من أعمال المؤتمر وهو بعض وظائفه التي ستبين في هذه المجلة ؟

الوهابيون والحجاز

— ٣ —

بينا في المقالة الثانية جل الاسباب العامة لانقاذ الحجاز من السيد حسين المكي المستبد فيه التي يعدها السلطان عبد العزيز بن سعود موجبة شرعا للقيام بهذا العمل لمن قدر عليه مثله ، و إذا كنا نكتب أمثال هذه المقالات في فترات قصيرة نختلسها من شواغلنا الكثيرة اختلاسا نسينا أن نذكر في تلك الاسباب عجز المتغلب على الحجاز عن حفظ الامن بين الحرمين الشريفين ونكثه للعهود التي عاهد أعرابها عليها حين دعاهم الى الثورة والخروج على الدولة العثمانية وهو أن

يعطيهم في كل سنة ضعفي ما كان مرتبا لهم من الاموال التي كانت ترسلها الدولة الى الحجاز لاعانة أهله فكان يعطيهم في سني الثورة ثم منعهم بعدها كما منع أكثر المستحقين اللاعانات التي ترسل من مصر — فاضطروا الى منع الناس من زيارة حرم الرسول صلى الله عليه وسلم الا من يؤدي لهم ما فرضوه بدلا مما كانوا يأخذونه كما فصلناه في المنار

الاسباب الخاصة بنجد لزحف أهلها على الحجاز

ونبين الآن ما نتذكره من الاسباب الخاصة بالنجديين وهي ترجع الى غرض واحد هو ازالة استقلال سلطنة نجد وجعلها تابعة لما يسميه الممالك العربية الهاشمية ، والاسباب التي نذكرها حجج ناهضة تدل على ذلك وهي :

(١) اننا عقب انكسار الدولة العثمانية في الحرب البلقانية وضعنا مع بعض أهل الغيرة العربية والاسلامية خطة لوقاية بلاد العرب من استيلاء الاجانب عليها ومنها جمع كلمة أمراء العرب ووضع اتحاد حلفي بينهم لازالة العدوان والتعاون على حفظ البلاد العربية وصيانتها من تعدي الاجانب ، والفصل في المنازعات الداخلية بين أولئك الامراء ومن دونهم من القبائل بالتحكيم . . .

وقد تولى كاتب هذه المقالات تبليغ أمراء اليمن ونجد وعسير ذلك فجاء منهم مكتوبات بالاستحسان وطلب التفصيل وطرق التنفيذ . . . وعهد الى الشريف عبد الله أن يبلغ ذلك والده حسينا اذا كان يرجح قبوله له . ولما وقعت الحرب الكبرى ودخلت الدولة العثمانية في حلفي دول أوربا الكبرى وشرعت الدولة البريطانية تخادع جميع أمراء العرب وزعمائهم لتستخدمهم وتستعين بهم على الدولة ثم على أنفسهم اتكافئهم على ذلك بسلب استقلالهم — اشتدت الحاجة الى تحالفهم واتفاقهم على صيانة البلاد العربية والاحتياط لحفظ استقلالها اذا قهرت الدولة العثمانية وانكسرت مع أحلافها ، ولما انخدع أمير مكة هذا للرقية البريطانية بسوء سريرته وجهله بشؤون السياسة صارت الحاجة الى ذلك أشد ، وقد أخبرني ولده

السيد عبد الله أنه ذكر له اقتراحي ولكن وقعت الحرب عقب ذلك فشغلتهم الثورة عن اعادة القول فيه ، أخبرني بهذا في مكة المكرمة بعد اتمامنا مناسك الحج ورغب الي أن أكلم والده فيه فكلمته وذكرت له شيئا من خداع السياسة وكون الاستفادة منها منوطة بالقوة . . . وصرحت له بالمسألة اعتذر عنها بأنه اذا خاطب جيرانه بذلك يظنون أنه عاجز عن مقاومة الترك ويريد مساعدتهم وان الرأي أن يرجىء ذلك الى أن يستولي على المدينة ويخرج الترك من الحجاز كله ، فقلت له : لا نكلفك مخاطبة أحد منهم بل نحن نتولى ذلك ونرجو النجاح فيه وانما نرجو أن نكون على بينة من رأيك فيه وثقة من رضاه وقبوله الاشتراك فيه اذا أقنعنا سائر الامراء . . . فلم يقبل حتى أني قلت له : إني أضمن لكم قبول صاحب نجد واذا احتيج لى ذهابي اليه بنفسي فانني أفعل ، فلم يقبل ، ثم قال أمام بعض بطانته أو حاشيته : من هؤلاء الكلاب حتى أتفق معهم ؟ اليوم يوجد في الدنيا رجل يقال له ابن سعود ، غداً لا يوجد في الدنيا ابن سعود . . .

(٢) ان أول عمل عمله بعد الاستيلاء على المدينة المنورة عقب خروج الترك منها بعد هدنة الحرب — وقد عجز عن أخذها منهم بالقوة — أنه جمع كل ما كان يقاتل به الترك هنالك من الجند النظامي والبدوي مجهزاً بأحدث الاسلحة ولا سيما المدافع والرشاشات وقنابل اليد ووجههم بقيادة ولده السيد عبد الله الى الشرق لاسترداد الخرمة وتربة فالزحف على نجد ، وكانت تلك أعظم قوة حربية اجتمعت لهم في الحجاز يدير حركتها زهاء مائة ضابط عربي جلهم من ضباط العراق البارعين ، ولما وصلوا الى الخرمة باغتوا أهلها وهم في صلاة الفجر ففتكوا بهم وهم يصلون شر فتكة . . . فاستنجد الشريف خالد عامل الخرمة الاخوان (الوهابيين) فزحفوا على ذلك الجيش المنظم ، فكانوا قضاء الله المبرم ، اصطلموا الجيش وغنموا سلاحه وكراعه وذخيرته وقتلوا أكثر من ثمانين ضابطاً من خيار ضباطه ، وفر الشريف عبد الله منهزماً بزي الاخوان مقلداً لهم في كلامه

(٣) ان السيد حسينا لم يقترح على الانكليز في « مقررات النهضة »

أن يؤسسوا المملكة العربية ويتولوا حمايتها وصيانتها « من الداخل والخارج » إلا لما في قلبه من العداوة لابن سعود والخوف منه ، وهو هو الذي يعنيه بقوله في مادة الحماية الذي ذكرناه في المقالة الثانية « أو حسد بعض الأمراء » فابن سعود أولى الناس بثل هذا العرش المبني على جهل المموهين تحت حماية غير المسلمين خوفا منه ، وها نحن أولاء نقرأ في جميع الصحف ما جاء في البرقيات من (لندن) من استغاثة الشيخ حسين هذا بالدولة البريطانية ومطالبتها بإنقاذ الحجاز من الوهابية ، فالانكليز يتنصلون من الاعتراف أمام العالم الاسلامي بحمايتهم للحجاز لما يعلمون من كراهة المسلمين لذلك وعده اعتداء عليهم في دينهم وهو لا يستحي من الجهر بمطالبتهم بذلك وتكليفهم عليه بتوقيع « المعاهدة البريطانية العربية » على علاتها ، ومن كره صدقوه من أهل فلسطين تضمنها لاعترافه بالانتداب البريطاني ووطن اليهود القومي في بلادهم ، وكره جميع المسلمين ما جعل للانكليز فيها من الحقوق في الحجاز في مملكة الحجاز ! ومتى كان يبالي بالمسلمين أو غير المسلمين اذا رضي عنه الانكليز ؟ ولكن من مصلحتهم الآن أن لا يرضوا عنه ولا ينصروه وهم أعرق الناس في بناء سياستهم على المصالح لا كما يصفهم بأنهم يعملون بمقتضى « الحسنات » بالمعنى الذي يفهمه هو

(٤) ان هذا الرجل قد شرع منذ سمى (نفسه) ملك العرب وصاحب الممالك العربية وبايعه مستضعفو مكة بجدة في الجهر بالملك وفي السر بالخلافة الاسلامية (كما قالوا أخيرا عند تجديد البيعة) — شرع يطعن في دين الوهابية وعقائدهم ويرميهم بالكفر وتكفير المسلمين تمهيدا لقتالهم وأخذ بلادهم ولم يكتف في ذلك بما نشره في جريدته (القبلة) بلسانها بل صرح بذلك مرارا في مقالاته ومنشوراته الرسمية كالمنشور الرسمي الذي نشره في العدد ٢٠٢ المؤرخ في ٢٤ شوال سنة ١٣٣٦ والمنشور الرسمي الذي اصدره في غرة ربيع الاول سنة ١٣٣٧ والمنشور الرسمي الذي نشره في عدد ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٧

وقد صرح في المنشور الثاني بعزمه على محو بدعة الوهابية « خدمة للدين وتنزيها له مما في هذا الزيغ والضلال وسلامة البلاد من سيئاته » وذكر في الثالث أنه معهم في موقف دفاع ثم قال « فنحن نحرر منشورنا هذا علاوة على ما سبق ليعلم القاصي والداني أنه متى تحقق لدينا عدم نجاح خطة الدفاع أمام مبادئهم فلا بد للسلطان من قتالهم بكل موجوديته »

وهذان النصان الرسميان انذار بأنه يرى وجوب قتالهم لاجل دينهم واكراهم على ترك عقائدهم وما يدينون الله به وانه هو سلطان المسلمين ويفعل هذا اصالة ونيابة عنهم ، فاذا كان صرح بهذا والدولة العربية التي اقترح على العظمة البريطانية تأسيسها له وهم من الاوهام ، والخلافة التي رضيها له ملك الانكليز حلم من الاحلام ، فماذا عسى أن يفعل بهؤلاء النجديين اذا استقر ملك أولاده في العراق والشام ، ورضي الانكليز بأن يؤلف بهم الوحدة العربية ، وقدسبق فادعى لنفسه الخلافة الاسلامية؟ اللهم الطف بعبادك وارحمهم برحمتك ، وانقذ من هذا الطاغوت أهل حرمك ، ولا تسلطه على أحد من خلقك « كتبت هذه المقالة قبل وصول خبر خلعه ولكن تأخر نشرها » (*

قلنا في مقال سابق أن رميه الوهابيين بالمروق من الدين ، واستحلال دماء المسلمين ، قد اتبع فيه سلفه الطالح عند ظهور أمرهم في فجر القرن الثالث عشر للهجرة ، ونذكر هنا ما فاتنا هنالك من شهادة التاريخ على ذلك ، لاتحاد العلة والمعلوم في فساد الاول والآخر ، ولانها من الشواهد على ما قيل من « أن التاريخ يعيد نفسه » :

قال المرحوم محمود فهمي باشا المهندس المصري في الجزء الاول من تاريخه (البحر الزاخر) في سياق الكلام على الوهابية :

---

*) المنار : نشرت هذه المقالة في الاهرام في ٨ ربيع الأول وكانت أخبار الحجاز قد جاءتنا بانه استقال أو خلعه حزب تألف من كبراء أهل جدة ومن هاجر اليها من مكة ونصب ولي عهده عليا ملكا دستوريا للحجاز وحده ، ثم تبين ان ذلك كان خداعا كما سنبينه بعد

« ومن بعد مدة استمرت في محاربات شديدة، ووقائع عتيدة ، دخل جميع بلاد العرب في العقائد الوهابية ، أي العقائد الاصلاحية للديانة الاسلامية ، وصارت نجد أيضا في حالة سياسية مدنية جديدة ، وبدل ان كانت جهاتها منقسمة الى عدة عشائر وشعوب صغيرة منفصلة عن بعضها (١) ومستمرة في حروب وكروب بين بعضها (٢) صارت مقر دولة قوية، وسلطنة سياسية، مثال سلطنة الخلفاء القدماء ولرئيس هذه الدولة السلطة في الاعمال الدينية والدنيوية

و «مع ما كان عليه الوهابيون من الحروب والمبارزات في بلاد العرب لم يعتدوا على حقوق الحكومتين المجاورتين لهم وهما حكومة بغداد والحجاز ، وكانت قوافل الحجاج تمر من وسط أراضيهم من غير أن يحصل لاي قافلة ضرر أو انزعاج، وكانوا في أحوال أخوية ودية مع الشريف سرور شريف مكة. وفي سنة ١٧٨١ بعد الميلاد استحصلوا على رخصة منه في أداء حجهم وطوافهم بالكعبة، فتولد من زيادة قوتهم نفوذ شوكتهم اشتعال نار الحسد في قلب الشريف غالب، وفي ظرف بضع سنين من تقلده الحكومة وتوظفه شريف مكة (٣) بعد الشريف سرور أعان حربا على الوهابية وكانت طرائق هذا الحرب مثل طرائق حرب البدو متقطعا بهدنات صغيرة قصيرة المدة ولما انتظمت مخابرات الشريف غالب مع الدولة التركية العثمانية لم يهمل أدنى طريقة يمكنه اجراؤها في تمكين الدولة العثمانية من دخول عساكرها في بلاد العرب لاجل الوقوع بالوهابيين (٤) الا وأجراها وأثبت (٥) أنهم من الملحدين الكافرين وأن معاملتهم مع قوافل الحجاج التركية من أقبح الاعمال الفاسدة المضرة بالدين اه . المراد منه هنا بحروفه على ما فيه من غلط لغوي (راجع ص ١٧٣ و ١٧٤ منه)

ثم قد أعقب هذا الافتراء والافساد أن أمرت الدولة العثمانية حكومة بغداد بقتال الوهابيين فلما اشتغل الوهابيون بقتال الدولة ودخلوا العراق زحف

(١) الصواب: منفصل بعضها عن بعض (٢) الصواب فيما بينها (٣) أي توليته إمارة الحجاز (٤) يقال وقع بالعدو وأوقع به اي فتك به في القتال و واقعه، قاتله (٥) أي أكد وجزم كاذبا

الشريف غالب على نجد واستولى على قرية فيها فكان هذا هو السبب لزحف الوهابيين على الحجاز وفتحه . والآن يريد خلفه حسين أن يهيج عليهم العالم الاسلامي كله والعالم الاوربي أيضاً بما يرسله من البرقيات التي يلفقها بأسماء مجهولة لحجاج رعايا الدول الاوربية، أو معروفة كلجنة مؤتمر الجزيرة التي ألفها بمكة للفساد والافساد في البلاد العربية ، فهو الذي كتب تلك البرقيات وهو الذي أرسلها الى البلاد والاقطار والصحف ووكلاء الدول وجمعية الامم (* من غير أن يكلف أحد منها قرشا من أجورها ، ومن غرائب غفلات البشر أن وجد منهم من يصدق ما قيل فيها من تهام الوهابيين بارتكاب الفظائع التي لا يستبيحون شيئا منها ، وحسبهم أنها شهادة ممن عرف بالكذب على عدوه وأقرب ما اشتهر من كذبه في جريدته (القبلة) ومن كذبه في منشوراته الرسمية ادعاء مبايعة العالم الاسلامي له بالخلافة حتى مدن مصر المشهورة

(٥) شن الغارات عليهم وبدؤه بقتالهم عند كل فرصه سنحت له ، وأكبر هذه الغارات زحف ولده عبد الله بأكبر قوة اجتمعت له بعد اخلاء الترك المدينه المنورة عقب هدنة الحرب العامة وهي التي ذكرناها في السبب الرابع آنفا وأوسطها زحفه على منطقة عسير في إثر وفاة السيد محمد علي الادريسي الذي كان قد تخلى عنها لسلطان نجد، وفي إثر تنكيل الوهابية بحملته هنالك وقعت حادثة حجاج اليمن الذين اعتقد الوهابيون أنهم نجدة منه فأطلقوا عليهم الرصاص ، وبعد ان عرف الامر اعتذر السلطان عبد العزيز للامام يحيى عن هذا الخطأ واتفقا على

*) لما فتح الوهابيون الطائف أرسل الملك حسين برقية طويلة من مكة باسم بعض أهلها وأنوف الحجاج من رعايا الأجانب فيها الى قناصل الدول بجدة والى جمعية الامم بسويسرة وعواصم أوربة وجرائدها وأشهر مدن الشرق والغرب وجرائدها يزعم فيها أن الوهابيين اقترفوا أعظم الفظائع والمنكرات .. ثم ظهر كذب البرقية من وجوه متعددة وان الذين سبقوا الى احتلال الطائف كانوا من عرب الحجاز التابعين لنجد لا من النجديين وان النجديين لما وصلوا الى الطائف انتظمت الامور فيها كانها لم تصل بنار حرب

حفظ المودة بينهما بتعويض مقبول معقول ، ولكن حسينا كان قد أمطر العالم كله برقيات في التشنيع على الوهابيين

وآخر هذه الغارات حملة ولي عهد حسين الامير علي على الوهابيين بالقرب من خيبر وقد مهد لذلك بخدعة هو بارع بأمثالها

ذلك بأن أعلن عقب زيارته لشرق الاردن في أواخر العام الماضي بأنه قد عفا عن المسجونين والمعتدين وأباح المرور والدخول في المدينة المنورة وسائر الممالك الهاشمية!! وأنه لاحرج على النجديين في التجارة في بلاد الحجاز ، ولماتبعه نجله وولي عهده السيد علي أمير المدينة المنورة (١) والى شرق الاردن أمره بتأليف حملة لغزو عرب ابن سعود المخيمين بالقرب من خيبر اذ يكونون وادعين هنالك، مغترين بذلك التأمين العام والعفو الشامل، فألفها من ستمائة هجان وأربعمائة فارس بقيادة الشريف جعفر بن سلطان ففتكت بالاخوان المتفرقين في الاطراف وسلبت أموالهم ومواشيهم وهمت بالرجوع ولكن نبأها كان وصل الى الاخوان الذين في جهة خيبر فأتبعوها وفتكوا بها فتكة لم يسلم منها الا أفراد من فارة الهزيمة واسترجعوا جميع ما أخذت ، ووصل قائد الحملة الشريف جعفر الى المدينة المنورة مضرجا بدمه فكان من سوء تأثير هذه الحملة ان زالت بقية الثقة بأقوال «ملك جميع البلاد العربية» على ما أضيف اليه من لقب «الخلافة الاسلامية» وانقطعت سبل التجارة بين نجد والمدينة المنورة كما انقطعت مع مكة قبلها وكان ذلك سببا لشدة غلاء اللحم والسمن في الحجاز كله

على أن الامير عليا أذاع في جرائد سورية وفلسطين وغيرهما وجريدتهم قبلة الكذب أن بعض الوهابيين حاولوا الاعتداء على سكة الحديد الحجازية فأدبتهم الجنود الهاشمية، أوماهذا معناه. هذاملخص ماكتبه الينا بعض رجالهم بل ضباطهم

(٦) بث حسين الدسائس واغراؤه للعداوة والفتن بين نجد والبلاد المجاورة

«١» وهو الذي وردت البرقيات قبل نشر هذه المقالة بنصبه ملكا على الحجاز وهو أعجز من والده عن ارادته وحفظ الامن فيه

لها منذ اعتقد أن الحجاز صار ملكا له وأنه سيكون في خاتمة الحرب مالكا على جميع البلاد العربية بما كان يكتبه الى ابن الرشيد وآل عايض وغيرهم ، وهذا أمر قد أذاعته حكومة نجد في البلاغ الذي نشره الامير فيصل نجل سلطان نجد في جرائد مصر وغيرها المؤرخ في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٢ وقد جاء فيه ما نصه :

« وتحت يدنا من الكتب والرسائل التي وجدت في تربة والخرمة وعسير ما يفيد أن ملك الحجاز وولده عبد الله لا يسعون الا لشهواتهم ومصالحهم ولو أدى ذلك الى هدم بناء العرب ولكننا نمسك عن نشرها الآن فان سمح لنا ملك الحجاز بنشرها نشرناها وهنالك يعلم العالم الاسلامي والعربي تلك الجنايات والدسائس » الخ

(٧) ما ذكر في هذا البلاغ النجدي الرسمي من بث حسين الدسائس في بريدة من بلاد نجد واغرائها بالخروج على حكومتها

(٨) انه كان سببا في فشل مؤتمر الكويت اذ اشترط في الاتفاق مع ابن سعود تركه لبعض بلاده كما هو مشهور(*

فعلم من هذه الاسباب أنها تفصيل لخطة حسين فيما سماه الوحدة العربية التي ذكرنا نص عبارته الرسمية فيها في المقالة السابقة وهي واضحة في أنه لا يقر له قرار حتى يزيل سلطنة نجد من الوجود ويجعل بلادها تابعة له . وهذا كاف في عرف كل دولة وكل حكومة في العالم لمقابلته بالمثل ، ولكن السلطان ابن سعود لم يحفل يوما ما بعداوة شريف مكة لعلمه بضعفه وعجزه، أن ينال منه منالا وقد صرح تصريحا رسميا بأنه انما ينقذ الحجاز من ظلمه وبغيه لاجل المصلحتين الاسلامية والعربية اللتين فصلنا أسبابهما في المقالة السابقة . وسنبين في المقال التالي وجه الوجوب الشرعي لهذا الانقاذ ممن سمى نفسه (المنقذ) ونبين أن هذا خدمة جليلة للمصلحتين بالدليل والبرهان

*) تواطأ ملك الحجاز حسين هو وابناه فيصل ملك العراق وعبدالله أمير شرق الاردن على ان يشترطا في اتفاقهما مع سلطان نجد على الحدود وغيرها الاتفاق على حدود الحجاز ومطالبه ، وصرحوا بان منها ترك سلطان نجد لبلاد حايل والجوف وسكاكه من بلاده المتصلة بسورية وللخرمة وتربه من جهة الحجاز ولعسير ـ ولذلك فشل مؤتمر الصلح

الوهابيون والحجاز

٤

بينا في المقالة الثانية الاسباب العامة التي توجب انقاذ الحجاز من طاغوت مكة حسين بن علي على من قدر عليه من المسلمين كأهل نجد ، وفي المقالة الثالثة الاسباب الخاصة بأهل نجد أنفسهم ، ونسينا أن نعد منها منعهم من التجارة في الحجاز بل جاء بالعرض وهو الذي كان من أسباب شدة غلاء السمن واللحم في مكة كما بيناه في المنار من قبل ، وقلنا ان هذه الاسباب الخاصة كافية في البعث على القتال عند كل أمة ودولة ، ولكن سلطان نجد لايبالي بعداوة حسين له لبلاده ، ولا بمظاهرة أصحاب الالقاب الفخمة له من أولاده ، الذين لم يستح كل واحد منهم باظهار لاحتقار له بمثل قولهم ليس ابن سعود الا شيخ عشيرة أو قبيلة — وانما هو يرجح الواجب الشرعي والمصلحة العامة الاسلامية والعربية على المصلحة النجدية الخصة ، ونحن نؤيد قولنا بالوثائق الرسمية حقيقة أو حكما كما أيدنا كل موضوع مما بيناه في المقالات الثلاث

نشرنا في المنار ثلاث وثائق صدرت من الرياض عاصمة آل سعود فيما بين الحجاز ونجد من الخلاف سبقنا الى نشرها كثير من جرائد مصر وغيرها من البلاد الشرقية ولا سيما العربية

(الاولى): بلاغ بامضاء الامير فيصل نجل السلطان عبد العزيز آل سعود عنوانه «للحقيقة والتاريخ » وجهه الى أشهر الصحف في العالم الاسلامي في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٢ يتضمن سعي سلطان نجد في أثناء الحرب وبعدها لبناء الوحدة العربية ومقابلة الملك حسين له بالاستهزاء وسعيه لنقض بنيانها بما كان يسعره من نار الفتن والدسائس » الخ وقد حدثنا من سمع من لسان السلطان عبد العزيز آل سعود أن فيما كتبه الى ملك الحجاز أن يكون هو (أي الملك حسين) رئيس الوحدة العربية المقترحة . . . فهزيء به ولم يرد عليه ، وفي هذا البلاغ انذار

الملك حسين بنشر المكتوبات التي وجدت بامضائه في تربه وعسير والقصيم في الحث على الافساد والفتن اذا هو ماري فيها

(الوثيقة الثانية) : بلاغ آخر منه «للعالم الاسلامي والشعب العربي» صدر من الرياض في ٢٨ شوال سنة ١٣٤٢ افتتحه بأنه منذ بضع سنين قام نفر من العرب يطالبون باستقلال شعبهم واتحاد أمرائه فحمدت حكومة نجد سعيهم (قال)

« وعرضنا عليهم مساعدتنا على أن نضع حدا لمطامع الاجانب ومقدار مداخلتهم في بلاد العرب فأبوا الا أن ينفردوا بهذا العمل الخطير ويأخذوا على عاتقهم مسئوليته ويحوزوا وحدهم فخر تحرير بلاد العرب — فقلنا أنجح الله استقلال العرب أيا كان المحرر والمنقذ . ولكن ما كاد السيف يوضع في غمده حتى رأينا الاستقلال والتحرير وصاية وانتدابا ، وحتى رأينا شباب العرب وأحرارهم يقادون الى السجون ويجلون عن بلادهم ، ويمنعون من الاقامة في ديارهم، فهل الاستقلال أن يصبح العرب غرباء في بلادهم ، ومرافق الحياة في يد غيرهم ؟ ولو لا أن الحجاز يمس شعور المسلمين احتلاله لرأينا الانتداب قد ضرب عليه »

ثم ذكر مناوأة هؤلاء الجناة على البلاد العربية لنجد جارتهم لانها « قوية مستقلة لم تنفذ اليها مطامع المستعمرين » ثم قال

« ان نجدا تمدّ يدها لكل من يريد خير العرب ويسعى لاستقلال العرب ، وتساعد كل من ينهض لتحرير العرب واتحاد العرب

« ان نجدا ترحب بكل عربي أبي ، وتعد أرضها وطنا لكل عربي سوري أو عراقي أو حجازي أو مصري ، ان نجدا لا تطمع في امتلاك أرض خارجة عن حدودها الطبيعية . ولكنها لاتقبل الا أن تستقل بلاد العرب كلها استقلالا صحيحا لا يكون لغير أبنائها سلطان عليها »

ثم ذكر مسألة الخلافة فنفى أن تكون وظيفته روحية للتبرك وأثبت أنها حق لجميع المسلمين ليس لجماعة أو شعب حق البت فيها وأنهم لذلك أنكروا على حسين بن علي « عجلته والحط من شأنها بقبوله هذا المنصب الذي لا يليق له ..

(وقال) ان أهل نجد يوافقون اخوانهم أهل مصر والهند في وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الاسلامية تمثيلا صحيحا »

فهذه تصريحات قطعيــة في رأي حكومة نجد في استقلال البلاد العربيــة استقلالا صحيحا مطلقا من قيود الوصاية والانتداب التي جناها عليها بيت حسين الحجازي ولا يزالون يخدمون حلفاءهم في تمكينها جهاراً ، ونصوص لا تحتمـل التأويل بأن أئمة نجد وحكامها يعدون جميع الشعوب الاسلامية اخوانا لهم خلافا لما يفتريه عليهم حسين بن علي وأجراؤه من عدم اعتراف النجديين لاحد بالاسلام غير الوهابيين

(الوثيقة الثالثة) ما صرح به السلطان عبـد العزيز آل سعود نفسه في مؤتمر الشورى الذي عقد في الرياض عاصمة نجد في أول شهر ذي القعدة الماضي سنة ١٣٤٢ فقد اجتمع هنالك كبار علماء البـلاد وزعماؤها ورؤساء الاجنـاد وقوادها في قصر الامام عبد الرحمن الفيصل والد السلطان الذي حضر مجلسهم وكانوا قد كتبوا الى والده الجليـل برغبتهم في أداء ركن الاسلام — الحج ، والاستعداد لغزو ملك الحجاز وصد عدوانه ، فأخبرهم أنه أرسل مكتوباتهم الى ولده (السلطان) في أوقاتها وقال لهم اسألوه عنها

فتكلم عنهم سلطان بن مجاد بن حميد زعيم برقا من عتيبة وأمير هجرة غطغط قال:

« أيها الامام ! اننا نريد الحج لا محالة ولا نستطيع أن نصبر على ترك ركن من اركان الاسلام مع قدرتنا عليـه ، ان مكة ليست ملـكا لاحد ، ولا يحق لاحد أن يمنع مسلما أو يصد مؤمنا عن آداء فريضة الحج . اننا نريد أن نحج فان منعنا شريف مكة دخلنا مكة بالقوة ، وان لم يصدنا عن سبيل الله أو يلحق بنا أذى فنحن نحج ولا شأن لنا به . واذا كنتم ترون من المصلحة تأخير فريضة الحج فلا بد من غزو الحجاز وتخليص البيت من سيطرة طاغية مكة الذي أرهق العباد وضرب من المكوس والرسوم على قاصدي بيت الله الحرام ما تبرأ منه الشريعة الطاهرة »

وأجاب السلطان باحالة الحكم في مسألة الحج على العلماء فقرروا وجوب أدائه بالرضا أو القوة الا أن يكون في ذلك مفسدة راجحة وسألوه عن ذلك فشرح لهم ما كان من سعيه للسلام والامان في الجزيرة والعيش مع شرفاء مكة بالمحبة والمودة وما كان من سعي الشريف حسين لالقاء الفتن بين النجديين الى أن قال ما نصه:

«السلطان عبد العزيز: أيها العلماء والاخوان لقد سعيت من مدة طويلة في بسط السلام والامان داخل الجزيرة فنحن لا نود أن نحارب من يسالمنا، ولا نمتنع عن مصافاة من يصافينا. لقد أحببت أن نعيش مع أشراف الحجاز كما يعيش الجيران على المودة والمحبة ولكن شريف مكة كما تعلمون يسعى دائما لبث الدسائس والقاء بذور الخلاف بين عشائرنا، ولكنه كان دائما يبوء بالخسران، والله لا يترك الحق يصرعه الباطل. ان شريف مكة قد ورث من أسلافه بغضكم فهو لا يفتأ يطعن في طريقكم السوي وسيرتكم المحمدية، ولا يألوا جهداً في الافتراء علينا والطعن على علمائنا ولكن أهل الحق لا يضرهم من ناوأهم، ولينصرنهم الله ما نصروا دينه، وظاهروا شريعته

« ان شريف مكة لم يكفه ادعاؤه الزعامة على العرب مع أنه أضعفهم بل قام يلقب نفسه بامارة المؤمنين مع أنه يعلم أن الاقطار الاسلامية كلها تبغضه، وان علماءكم قد أرسلوا التلغرافات الى مصر والهند ينكرون عليه هـذه الدعوى التي لا نراه كفوا لها، ولا بد لنا من وضع حد لاكاذيبه وافساداته

« وأما الحج هذه السنة فلا أراه من مصلحتكم. أنا لا أقبل أن تحجوا وبكم شيء من الضعف أو يلحق بكم نوع من الاذى والضرر، واني على يقين أن أخذ مكة والمدينة لا يحتاج الى اكبر مجهود ولكن مكة ليست لنا وحدنا بل هي للمسلمين كافة، وما دمنا لم نضع خطة بالاشتراك مع المسلمين فأنا لا أجيز لكم الاستيلاء على احدى المدن المقدسة

« ان شريف مكة قد لا يمنعكم من الدخول الى مكة ولكن الرجل لا يعدم وسائل الشر فقد يدس من يتحرش بكم لاحداث فتنة في مكة في موسم الحج وفيه

المسلمون من كل جنس وإني أكاد أجزم ان هذه خير فرصة له ليهيج علينا العالم الاسلامي الذي أخذ يفهمنا ويقترب منا ونقترب منه، واعلموا أن الامر لا يطول فاصبروا إن الله مع الصابرين »

عندئذ قال العلماء بصوت واحد : انه لا حرج عليكم من تأخير الفريضة هذا العام، ما دام أن أداءها قد يؤدي الى فتنة في بلد الله الحرام اه

فهذا نص قطعي رسمي من سلطان نجد في مجلس الشورى العام لبلاده في الحامل له على انقاذ الحجاز من هذه الحكومة الطاغوتية القيصرية، المسماة بالمربية الهاشمية، لا تحتمل التأويل، ولا الدعاية السياسية التي لا تعرف في تلك البلاد ولو في غير ذلك المجلس الرسمي، ولقد صبر سلطان نجد صبراً لم يعهد له نظير من قوي يُعتدى عليه جميع أنواع الاعتداء الدينيه والدنيوية من ضعف عاجز يصول ويبغي سرا وجهرا حتى يتجرأ على مطالبة هذا القوي في مؤتمر الكويت بأن يترك لامره جل مملكته — أعني اقليم الاحساء الذي استرده سلطان نجد من الدولة العثمانية — وأمارة آل الرشيد الذين ناصبوا بلاده العداء حتى انتزعوها من والده بمساعدة الدولة ثم أدال الله له منه — وامارة عسير التي استولى عليها بالاتفاق الذي عقد بينه وبين المرحوم السيد الادريسي — وتربة والخرمة المختلف عليهما بين حدود الحجاز ونجد، ورضي ابن سعود باستفتاء أهلهما

ملخص ما تقدم : أن سلطان نجد قد علم هو وأمته بعد التروي واستفتاء العلماء أن انقاذ الحرمين الشريفين من حسين بن علي واجب شرعا ولو لم يكن لذلك من موجب الا منع أهل نجد من الحج لكفى فكيف اذا أضيف الى ذلك سائر ما أشرنا اليه فيما أجملناه في الاهرام وفصلناه في المنار من الحاده بالظلم لاهل الحرمين والحجاج، وإدخاله للنفوذ الاجنبي في البلاد، وخطره على الامة العربية وما بقي لها من البقعة الصغيرة المستقلة في جزيرتها، وتكفيره للترك والمصريين كالنجديين ثم تنحله منصب الخلافة

وفي تصريح السلطان عبد العزيز نص قطعي باعترافه هو وعلماء بلاده باسلام جميع

الشعوب الاسلامية والرغبة في التعارف والتواد معها وبأن هؤلاء الامراء الحجازيين ورثوا عن سلفهم تكفير النجديين والطعن فيهم والتنفير منهم

وقد استفتينا واستفتي غيرنا في شأن هذا الباغي (الملك حسين) في سنة ١٣٤١ فأفتى بعض علماء الازهر بأنه من البغاة المتغلبين الذين يجب قتالهم على امام المسلمين. وكتبنا نحن فتوى مطولة نشرناها في المنار الذي صدر في ذى الحجة من تلك السنة (ج ٨م ٢٤ ص ٥٩٣ — ٦١٦) ونشرناها في جريدة الاهرام أيضا أجملنا فيها صفاته وجناياته التي يقتضي بعضها الردة الا أن يوجد ما يدفعها من شبهة ، وأقلها البغي والالحاد بالظلم في الحرم. الى آخر ما لخصناه في هذه المقالات ولكننا استدركنا على من جعل حكمه حكم البغاة متسائلين : أين امام المسلمين الاعظم الذي يجب عليه قتاله ؟ ؟

ثم بينا أن انقاذ الحرمين من بغيه وظلمه يجب على كل من يقدر عليه من جماعات المسلمين وأمرائهم وان أقدرهم على ذلك سلطان نجد وامام اليمن وذكرنا مايقال في المانع المشترك لهما من ذلك وهو الخوف أن يفضي الى تدخل الانكليز في الحجاز لانه جعله تحت حمايتهم — وقد ثبت هذا بدعوته هو وخلفه المخذول لهم واستنجادهم إياهم لارسال طياراتهم وغيرها لقتال سلطان نجد وإرجاعه عن الحجاز — وذكرنا أنه لا يرجى من امام اليمن أن ينقذ الحجاز — وما كان يقول أكثر الناس في مثل مصر وسورية من سبب امتناع ابن سعود عن الاستيلاء على الحجاز وهو اصطناع الانكليز له بالمال وتخويفهم إياه من تأليب الحجاز والعراق وعرب فلسطين عليه اذا هو خالف رأيهم في ذلك ، وقولهم انهم هم الذين صرفوه عن أخذ مكة بعد سحقه لاعظم قوة ساقها عليه الحجاز بقيادة الامير عبد الله في تربة — ومن المعلوم أن سبب هذه الآراء دعاية الحجازيين وأقوال جرائدهم المأجورة

ثم ذكرنا أقوال النجديين في سبب ذلك وهي ترجع الى سببين (أحدهما) كراهة السلطان عبد العزيز آل سعود لسفك الدماء وحبه للسلم وانه لذلك أخضع

آل الرشيد بالحصار الطويل في أشد أيام العسرة والغلاء (وثانيهما) تحرجه وتأثمه من دخول مكة فاتحا وقد صح في الحديث أن القتال فيها لا يحل لاحد حتى قال بعض العلماء ان أفراد الجناة الذين يثبت شرعا وجوب قصاصهم يجب أن يقتلوا خارج الحرم

ثم ذكرنا أقوال الائمة وكبار العلماء في مسألة القتل والقتال في الحرم وان الشريف حسينا لم يبال بحرمة الحرم فقاتل الترك فيه ولا يزال يقتل كل من يزين له هواه قتله ويسمي فعله حدا شرعيا ، وان المخرج من ذلك سهل وهو كما قال بعض العلماء أن تحصر شقة الحرم وهي محدودة حتى يضطر المعتصم فيه الى التسليم — وقد فعل ذلك الوهابية عند الاستيلاء على الحجاز في فجر القرن الثالث عشر للهجرة فحصروا الشريف غالبا وأعوانه وقطعوا عنهم ماء عين زبيدة حتى اضطروا الى التسليم ، ودخل الوهابيون مكة محرمين

وبذلك علانا تأخرهم عن فتح مكة في هذه المرة على اختلاف أهواء الكتاب وآرائهم في تعليله ، وإرجاف أجراء الوكالة العربية لهاشمية الملكية الامامية الخلفية(١) بمصر في هذه الفرصة تارة بأنهم عدوا أدراجهم مخذولين ، وتارة بانتظارهم للاشارات المطاعة أن ترد عليهم من لندن كانتظار الملك الخليفة حسين أولا وانتظار الملك علي النيابي الدستوري المدني ثانيا !!!

وإن العجب أن صدق هذه الفرية بعض المصريين العارفين بالشؤون العامة ، ويعلمون أن الانكليز يعدون نجاح الوهابية أكبر الاخطار على مطامعهم في العرب والاسلام

كذلك سوغت لهم هذه الفرصة تكبير أمر هذا القتال بايهام الناس أنه من أعظم الحروب تسيل فيه الدماء أنهاراً في المعارك التي تشيب لهولها الولدان ، وتمثيل الوهابية للناس في صور السباع الضارية والوحوش المفترسة: تبقر البطون، وتدق الصدور، وتمزق الاشلاء، وتلغ في الدماء، وما حجتهم على ذلك الا البرقية

(١) الخلفية بالتحريك نسبة الى كلمة خليفة

التي طيرها مسيلمة الزمان حسين الى جميع بقاع الارض بامضاء بل أسماء مجهولة من سكان مكة وحجاجها وأنفق الالوف عليها ، والحق الواقع أنه لم يكن ثم إلا مناوشات ضئيلة مرتين أو ثلاثا ولولا بعض اليمانيين وغيرهم في جيش الحجاز لما وقع شيء من ذلك يذكر لان أهل الحجاز مجمعون على مقت الطاغوت المرهق، الذي سمى نفسه المنقذ، وما زالوا يدعون الله بانقاذهم منه حتى استجاب لهم

وقد بنى على هذه الاراجيف الخاطئة الكاذبة الدعوة الى استصراخ أمم الشرق والغرب من جميع الملل والنحل الى التعاون والسعي لانقاذ البشر من هذه الكارثة التي تصغر دون وقائعها معركة (فردون) وغيرها من معارك حرب المدنية العظمى ، وانما الغرض من ذلك ابقاء حكم الطاغوت الاكبر في حرم الله تعالى يرهق أهله ومن يرد اليه من الحجاج ظلما ويميت الالوف منهم ظمأ الخ

وقد انخدع بهذه الاراجيف مجلس الامور الشرعية المحلية بفلسطين المسمى بالمجلس الاسلامي الاعلى فطير البرقيات الى ملوك المسلمين وجمعياتهم الدينية وغيرها يستصرخهم للتعاون على ايقاف هذه الحرب حقنا للدماء . . . وكذلك جمعية الرابطة الشرقية التي رددت صدى هذا المجلس في جلسة لم تبلغني دعوتها الا بعد اجتماعها . ولا شك في حسن نية المجلس والجمعية ، ولو صدقت أراجيف الحجاز لكنت على رأي اخواني فيهما فأنا وكيل هذه الجمعية وأعضاء المجلس كلهم محترمون عندي ورئيسهم من خواص أصدقائي ومن أقرب الناس الى رأيي

قد طالت هذه المقالة وكنا نريد ختم هذه المقالات بها ولكن علمنا بعد كتابتها وقبل نشرها أن الله تعالى قد قضى على الطاغوت الاكبر مثار الشقاق والنفاق حسين بن علي وأنقذ الحجاز منه فخرج من جدة مذؤما مدحورا ، ولو بقي فيه ولو بعد عزله لما أمنت شره ، وسينقذه قريبا من ولده وولي عهده وخليفته الملك علي المهزوم المدحور ، الذي لم يكد يسمى ملكا للحجاز بعد انهزامه من الطائف أولا ومن الهدى ثانيا ومن كرى ثالثا حتى أبرق الى وكيل والده ناجي الاصيل بأن يمضي المعاهدة البريطانية الحجازية المتضمنة لاقرار الانكليز على السيادة على

البلاد المقدسة وتمليك رقبتها لليهود الصهيونيين واعطاء البريطانيين من الحقوق في الحجاز ما قامت قيامة العالم الاسلامي على والده من أجله

وان لنا كلمة ختامية فيما يجب على المسلمين للحجاز وأخرى في السياسة البريطانية مع العرب في هذا الطور الجديد (للمقالات بقية)

باب الانتقاد على المنار

﴿ المنار بين الروافض والنواصب ﴾

ذكرت رصيفتنا مجلة العرفان الشيعية الغراء أن في جزائر جاوه نواصب تنصرهم وتؤيدهم مجلة المنار — أو ما هذا معناه

لا أجد سعة في الوقت أبحث فيها عن الجزء الذي ذكر فيه هذا المعنى ولا حاجة الى نقله بحروفه وكنت نسيته فذكرني به ما كتب الي أخيراً من تلك البلاد من الانتقاد والعتاب على ما نشرت في المنار من الثناء على امام اليمن وتعظيم شأن اليمانيين في مباحث الخلافة مما عد دعاية له وتأييداً لدعاة النزعة الشيعية في تلك الجزائر وتقوية لضعفها — حتى قال بعضهم انالا نلومكم على التعصب لنسبكم ولا يعنينا من امام اليمن كونه زيديا أوغير زيدي وانما نبغي مصلحة المسلمين والعرب وأهل اليمن ليسوا أهلا للقيام بها ....

انالا أذكر الآن هذا ولا ذاك للرد عليه فان الجدال والمراء في المذاهب ونصر بعض الاحزاب والشيع الدينية — وكذا السياسية — على بعض لم يأت في يوم من الايام باقناع بل أتى بشرور كثيرة أفسدت على أهلها ولا سيما المسلمين منهم دينهم ودنياهم اذ خرجوا بها عن وحدة الدين العامة وصدق على مثيري فتنة التفريق واتباعهم قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) الآية — فظلوا يتعادون ويشاق بعضهم بعضا لاجل منافع بعض الزعماء

الذين يطلبون الملك أو الجاه بهذه الوسيلة - ولما ضعفت العصبية الدينية والمذهبية بالتبع لاهلها في بعض البلاد انتقلوا منها الى العصبية الجنسية والوطنية فحاربوا بها الدين نفسه ، وقد كان هذا غرضا مقصوداً بالذات لبعض اليهود ومجوس الفرس الذين أحدثوا بدعة التشيع والاحزاب العدائية في الاسلام والذي يساوي بين الاجناس والاوطان والطبقات والافراد في جميع الاحكام وجعل التفاضل بالعلوم النافعة والاعمال الصالحة، لاصلاح الانسانية العامة وايجاد التآخي البشري، ورفع مرتبة البشر عن عبادة بعضهم لبعض بنصوص القرآن المحكمة - فنحن نحارب هذا التفرق والعداء ، وندعو الى الوحدة والاتفاق ، والشواهد على هذا في جميع مجلدات المنار كثيرة لايمكن لاحد أن يماري فيها مراء ظاهراء وأما مسألة دعوة التشيع في جزائر جاوه فهاك نبأها وخطتنا فيها :

كنا ذكرنا في أجزاء من مجلدات المنار السابقة أنه حدث في تلك الجزائر الشرقية الجنوبية دعوة تشيع بين الحضارمة وغيرهم من العرب أحدثت شقاقا جديداً ولم ندر غرض الدعاة منها فقد كان جميع مسلمي تلك البلاد من عرب وعجم يجلون السادة العلويين ويوقرونهم ، - والفريقان ينسبان الى مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه - فصار لهم بها خصوم ينكرون عليهم -لا نواصب يبغضون عليا كرم الله وجهه - وقد جاءتني رسائل كثيرة من الفريقين بعضها مخطوط وبعضها مطبوع يطلبون مني نشرها في المنار، وأسئلة يستفتوني بها فيما شجر بينهم، فكنت أهمل بعضها، وأقف موقف المصلح فيما أنشر منها، وما أكاتب به أهلها، وأحببت أن أقف على قصد الذين أحدثوا هذه الدعوة ماذا يريدون منها ؟ أهو ما عهد منذ القرون الاولى من فتنة الامامة الدنيوية الظاهرة ، أو الامامة الدينية الباطنة ، معصومتين أو غير معصومتين ؟ أم ثم قصد جديد يناسب هذا العصر ؟ أم مجرد استعلاء السادة العلويين على غيرهم وان كانوا يفوقونهم في علومهم وفضائلهم؟ بحثت وتساءلت فلم اقف على كنه الحقيقة كلها ، وكنت اقترحت أن نترك هذه الدعاية الجدلية التي أرجح أنها ستنتهي بشر مما ظهر من انتاجها ضد ما يريد دعاتها ،

وأن يستبدل بها دعوة الى جمع رأس مال كبير لانشاء معاهد للتربية والتعليم خاصة بأولاد السادة العلويين في جميع الاقطار يعلمون فيها التعليم العالي من ديني ودنيوي مع التربية الفضلى ليكونوا قدوة للناس بحق، وينهضوا بهذه الامة النهضة التي تقتضيها حال العصر، فيكون منهم الاخصائيون في العلوم والفنون المختلفة وللدفاع عن الاسلام وجمع كلمة المسلمين، وليستعينوا بها على كسب رزقهم من أشرف الطرق — فلم تلق نصيحتي سميعا مجيبا، وان استحسنها بعضهم بالقول فقط. وقد كنت بهذه الدعوة أبرّ بسلالة أجدادنا ممن دعوا الناس الى عبادة بعضهم والغلو القريب من العبادة في بعض، والى جعلهم خلفاء في الارض، اذ كان واضعو تلك الدعوة من زنادقة اليهود والمجوس أصدق أصدقائهم في الظاهر، وأعدى أعدائهم وأعداء جدهم وقومه ودينه في الباطن

فأما اليهود من مبتدعي تلك الدعوة كالسبائيين فقد حملهم عليها حسدهم للرسول (ص) ولقومه أن يكون منهم خاتم النبيين، الذي بشر به موسى وغيره من أنبياء بني اسرائيل — ثم حقدهم على الرسول لنصر الله اياه على يهود مدينته وما يقرب منها، وعلى عمر بن الخطاب الخليفة الثاني لاجلاء قومهم عن جزيرة العرب كلها، على أنهم رأوا بعد ذلك من عدل العرب في سورية ثم في الاندلس وغيرهما ما أنساهم ذلك الحقد وجعلهم أنصارا للمسلمين على النصارى الظالمين لهم، اذ لم يروا بعد ذهاب ملكهم عدلا واحسانا الا من المسلمين، وما سبب مكانتهم فى بعض دول أوربة الكبرى في القرون الاخيرة الا انتصارهم بالدهاء والكيد على الحكومات الدينية فيها وثل عروشها، واستبدال حكومات مدنية مادية بها، لا يقدر أن يفوق اليهود أحد فيها، وقد أعاد الانكليز العداوة بينهم وبين العرب في هذا العصر

وأما المجوس من الفرس فأصروا على الكيد للعرب والاسلام حتى غلبهم الاسلام على أمرهم، ولم يبق للمجوسية شأن قوي في شيء من بلادهم، وظهر أن تعصبهم الظاهر للعلويين كان نفاقا ومكرا منهم، فانهم حولوا عصبيتهم عن العلويين الى العباسيين لما وجد من طلاب الخلافة في هؤلاء من يعرف كيف يسخر تلك العصبية، ثم

وجد في ايران ملك مستقل، ولم يكن لاهل البيت فيه شيء من السلطان والحكم، على استقرار تعاليم الشيعة وصيرورتها مذهبا دينيا، بعد أن كانت لديهم حزبا خداعا سياسيا، بل فضلوا جعل الملك في سلالة من الأعاجم الذين عادوا قومهم وقاتلوهم لاجل التشيع على جعله في السلالة العلوية الفاطمية المحمدية

وكانت عاقبة ذلك الغلو في التعظيم لآل البيت صرفهم في الاكثر عن تحصيل الفضائل الذاتية من التفوق في العلم والعرفان، ولاعمال الناهضة بالاسلام، وصارت الالوف الكثيرة منهم كلاً على الناس في رزقهم، وأغرب من ذلك كله في سيرتهم أن تناط إمارة الحجاز ببطن من بطونهم فتمر القرون ولا يظهر أحد من أفرادهم يصح أن يسمى مصلحا في علم ولا عمل ولا حكم، بل غلب عليهم الجهل والظلم في أفضل بقاع الارض — دع الفسق واخباره — حتى انتهى الامر في هذا وكان لهم أسوأ الأثر العصر الى هذا الرجل الظلام (حسين بن علي) الذي اعتمد على أعدى أعداء الاسلام والعرب في تسمية نفسه ملكا للعرب وخليفة المسلمين، وكان هو وأولاده مساعدين لهم على فتح بلاد العرب وتمكين سلطانهم فيها، دع شدة ظلمه لاهل الحرمين وحجاج الآفاق كلها

مع هذا كله يقوم فينا هؤلاء الدعاة الاهداء بحملة وراق هذه الانساب، وانهم كسلفهم الاول قرناء الكتاب، ثم يفتحوا علينا باب الطعن في أهل الصدر الاول حتى الخلفاء الراشدين منهم كأبي بكر وعمر، الذي يفتخر بعدلهما وفضائلهما جميع المنصفين من البشر، فقد كان من الرسائل التي لم ننشرها رسالة طبعت في ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٩ حابل كاتبها العلوي الدامي إيجاب أخذ الدين عن العلويين وحدهم، وان من أخذه عن غيرهم فهو « ضال منافق كائنا من كان » فياضيعة دين يؤخذ عن مثل هذا الدامي الجاهل الذي لا يحسن كتابة عبارة عربية صحيحة، بل ياضيعة دين وأمة يسمى فيها حسين بن علي المكي ملكا للعرب وخليفة للمسلمين، وما جعله هو وأولاده ملوكا الا الانكليز!؟

ومنها رسالة أخرى يهذي مرسلها الجاهل في مسألة غضب السيدة فاطمة

عليها السلام، من أصدق البشر وأخلصهم في حبها وحب أبيها عليه أفضل الصلاة والسلام، صاحبه الاول الثابتة صحبته بنص القرآن، وصديقه الاكبر في إقامة الاسلام والايمان، أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

الجواب عن هذه المسألة ليس بالممتنع الذي تنبو عنه أسنة الالسنة وتكبو في ميدان بيانه جياد الاقلام، لو كان السائل عنه مشتبها عليه، وكان ينشد الحق فيه ليعتصم به، فاذا كنا نأخذ بما صح عنه (ص) من مناقب السيدة ومناقب الصديق معا فلا يعز علينا أن نرفع التعارض بين كلامه عليه الصلاة والسلام فيهما بما يصدق به بعضه بعضا، ونعذر كلا منهما بما كان منه باعتقاده واجتهاده. وأما اذا كنا نقبل بعضه ونرد بعضا بأهوائنا، كما فعل أعداء الاسلام المفرقون من قبلنا، فالنتيجة اليوم تكون غير النتيجة بالامس، غلو يقابل بغلو، وردّ يقابل برد، وتجديد شقاق قاتل لجميع المسلمين في إبان هذا الضعف، وإحاطة الاجانب بهم وبمهد دينهم من البر والبحر

وقد استتبع الطعن في الصحابة الطعن في حفظة السنة ورواتها، ونقادها وحماتها، وهذا يستتبع الطعن في القرآن الذي تجرأ بعض غلاة الروافض على القول بتحريف كلمه عن مواضعه، وبكتمان الخلفاء الراشدين وجمهور الصحابة — برأهم الله تعالى — لبعض كلمه وآياته وسوره، التي زعموا أنها نزلت في أهل البيت عليهم السلام وفي ولاية علي كرم الله وجهه وامامته. وقد ألفوا في ذلك كتابا طبعوه في طهران، وفيه من الاكاذيب على أئمة أهل البيت — برأهم الله تعالى وطهرهم — ما يقتضي لو ثبت أنهم أشد الكفار طعنا بدين جدهم وهدما له (وحاش لله) ولقد كان زنادقة المجوس واليهود الواضعون لهذه الزندقة يقصدون بما افتروه عليهم، أن ينسب هدم الاسلام اليهم، بل الى جعل خنقه بأيديهم، باضلالهم لمن أضلوا منهم، ولا سيما اذ صح نسب العبيديين وغيرهم من ائمة الاسماعيلية ولا يزال بعض المخلصين من الشيعة غافلين عن ذلك، ولا غرو فقد اغتر مثل الشريف الرضي رحمه الله تعالى بالعبيديين ومدح خليفتهم

نحن واقفون على هذا كله ولم نفتح بابا للخوض فيه لاننا نود رتق الفتوق التي أحدثها في الاسلام اعدؤه من زنادقة الفرس الباطنية وغيرهم لا توسيعها ، فقد آن لنا أن نطهر أمتنا ، من جراثيم الوباء الذي أفسد به مزاجها من قبلنا ، أو لم يكفنا شبهات ملاحدة هذا العصر التي كان من تأثيرها دعوة بعض كبراء الترك الى ترك الاسلام ولو الى عبادة الذئب الابيض ، ودعوة بعض نابتة الفرس الى المجوسية الاولى ؟ أوليس أولو العلم والبصيرة في الدين من بقية أهل البيت النبوي الكريم أولى من غيرهم بالتجافي عن الغرور بأنفسهم ، والتلافي لما أفسد المحب الغالي والمبغض القالي من أمرهم ، و باصلاح ما أفسد التشيع الديني ثم التعصب الجنسي من أمة جدهم ؟ مهما تكن المذاهب والشيع التي نشؤا فيها ؟ بلى والله ، هذا ما نعتقد ، ولا نقول ولا نكتب ولا نعمل إلا ما نعتقد انه الحق وفيه الصلاح والاصلاح ، من غير تحامل على طائفة ولا تحيز الى فئة ولا تحرف لمذهب

ونحن نصرح بالاجتهاد ، والاستقلال المطلق فيما وقع فيه الخلاف بين المسلمين باختلاف الفهم وتعارض الادلة ، وان ما كان عليه جماعة المسلمين في الصدر الاول من أمر الدين هو الحق ، وان اجماعهم فيه حجة ، وان شذوذ بعض الافراد لا يعتد به ، وان الخطأ في الاجتهاد جائز على كل مجتهد وواقع في كل مذهب ، فلا يعذر أحد بقطع اخوة الاسلام بنصر مذهب على آخر ، وندعو الجميع الى التحاب والتآخي الديني الذي يجمعهم فيه العقائد القطعية كوحدانية الله تعالى ورسالة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ، وكون جميع ما جاء به من القرآن وما تواتر عنه من الاحكام حق ، كالاركان الخمسة وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والى ان يعذر بعضهم بعضا فيما لا قطع فيه ولا اجماع عليه مما صح من النقل عند بعضهم دون بعض ، وما اختلف فيه الاجتهاد والرأي ، فلا يجعلوه سببا للاختلاف والتفرق الذي يبغضه الله تعالى وتوعد عليه بأشد الوعيد ، بل يتحتم ان يجعلوه كسائر المسائل العلمية من كونية ولغوية ، فذلك أحرى أن تجتمع عليه كلمتهم ، وتتحقق به وحدتهم ، وذلك خير لهم في دنياهم وآخرتهم ، وكذلك كان الصالحون من سلفهم :

على هذه الطريقة استقمنا ولذلك ندعو منذ أسسنا المنار ، جرينا في التفسير والفتاوى الشرعية، على الاستقلال المحض واجتناب التزام شيء من المذاهب الكلامية والفقهية ، وفي المقالات والآراء الاجتماعية والسياسية ، على النصح الخالص لجميع الفرق الاسلامية،وهو ما حمده لنا المنصفون من أئمتها وزعمائها في الامور الدينية والدنيوية ، حتى الذين بينهم أشد الخلاف كالشيعة والاباضية ، أو أدناه واهونه كالسلفيين والخلفيين من السنية ، ولدينا مكتوبات من كبرائهم في هذا لا يحسن نشرها الآن ، وفي تفسير هذا الجزء،واقبله نموذج لمشربنا هذا في مسألة من أهم المسائل الاعتقادية التي لا يزال الخلاف فيها شديدا بين المذاهب الباقية من الطوائف الاسلامية الكبرى الى الآن وهي ثلاث :

(الاولى السنية) ولها في الاصول ثلاثة فروع: السلفيون وهم أهل الحديث وهم قلة في الهند وقليل في غيرها، والحنابلة ومنهم أهل نجد وأتباعهم في جزيرة العرب ــ والخلفيون وهم الاشاعرة ومنهم المالكية والشافعية ،والماتريدية وهم الحنفية ،والخلاف بين هذه الفروع لولا جمود بعض افرادهم وتعصبهم لاقوال بعض الشيوخ لم يكن بالذي يبقى فاكثره لفظي محض ، وبقيه ضرورة لا عقيدة كالتأويل لدفع بعض الشبهات . وما زالت مساجدهم واحدة يقتدي فيها بعضهم ببعض ، وما أحدث الحكام والامراء المتأخرون من اقامة عدة جماعات في بعض المساجد حتى المسجد الحرام في وقت واحد لمذاهب الفروع فهو جهل سببه المنافع الدنيوية وهو بدعة مفرقة ظن الجاهلون ان منع الوهابية إياها من المسجد الحرام في هذه الايام من شذوذهم

(الثانية الشيعة) ولها فرعان كبيران معروفان بما لهما من دولة وحكومة وهما الزيدية والامامية، وفروع صغيرة ليس لها تأثير كبير في معارضة ما نهتم به وندعو اليه من جمع الكلمة ، وازالة ما بقي من ضرر الخلاف والتفرقة ، .

(الثالثة الاباضية) وهم المعتدلون من فرق الخوارج بل رأيت بعض علمائهم يبرئهم منهم ، ولهم حكومتان سلطانيتان اعتدت الدولة البريطانية على استقلالهما،

وانتحلت لنفسها حمايتهما بالرغم منهما أعني حكومة عمان في أقصى الشرق من جزيرة العرب وحكومة زنجبار في الشرق من أفريقية ، وفي شماليها عدد كبير منهم له شأن في طرابلس والجزائر

أما المسيحية القاديانية فهي فرقة إسلامية مارقة اذ هي تدعي وقوع الوحي لمؤسسها المسيح الدجال ولغيره من خلفائه المضلين ، وأما البهائية فقد خرجت عن كونها من فرق المسلمين وصارت تصرح بدينها في بلاد الحرية

نحن نسعى للتأليف بين جميع الطوائف الاسلامية ونتقي في سعينا كل ما يخشى أن يحبطه من جدل أو مناقشة في مسائل الخلاف المذهبي بينها و بين الاخرى أو في شؤون حكومتها أو احزابها السياسية ، وانما حملنا تلك الحملة الشديدة على جمعية الاتحاد والترقي لانها تصدت لاضعاف الدين الاسلامي نفسه أو هدمه ولجعل السيادة في الدولة العثمانية للجنس التركي أو التوراني وحده وكانت الدولة دولتنا وسياسة هذه الجمعية فيها خطر على ديننا وعلى قومنا (العرب) وعلى الدولة في جملتها ، وقد صرحنا بأنها ستقضي على هذه الدولة وصح قولنا

وذلك الباعث الذي دعانا الى تلك الحملة هو الذي دعانا في هذا العهد الى الحملة على سياسة الملك حسين واولاده فهي أشد خطرا على ديننا وقومنا العرب كما بينا ذلك بالبراهين في مقالاتنا الكثيرة في المنار وغيره ، وهم أفراد لا يتجاوزون عدد أنامل اليد ، لا شعب ولا دولة ولا عشيرة ولا أئمة مذهب ولا زعماء حزب ، وقد انفض من حولهم الحزب السياسي الذي كان يؤيدهم ، ولولا ما بقي لهم من الجاه والسلطة الممنوحة لهم من وليتهم «العظمة البريطانية» ومن المال المأخوذ منها أو المسلوب من الحجاج لما بقي أحد يذكرهم بكلمة ثناء . ونسأل الله تعالى أن يكفينا شرهم ، قبل أن يتم ما نتوقع من خطرهم ، وقد نصحنا لهم ، وسعينا لاصلاح شأنهم ، حتى يئسنا منهم ،

وكذلك نصحنا لامام اليمن ولسلطان نجد ، ولم نبال بعذل من عذلنا في الاول لانه زيدي ولا في الثاني لاجل لقب وهابي ، ونصحنا أيضا السلطان مسقط السابق

وهو اباضي ، وننصح لخلفه السلطان تيمور اذا سنحت لنا الفرصة ، وليقل من شاء ماشاء ، وليبنزني المتعصبون بما شاؤا من هذه الالقاب ، وسأكون بهذا الجمع ملقبا بها كلها ومجردا منها كلها ، « وانما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء مانوى » وإنما يدهن العلماء والكتاب للجماعات التي ينسبون اليها أو لغيرها من الاحزاب والشيع والمذاهب اذا كانوا يعملون ابتغاء الجاه عندها، أو المال منها، واحمد الله تعالى انني أعمل ابتغاء مرضاته وان سخط من شاء من الجاهلين والجامدين والمتعصبين قلوا أو كثروا

اعيد القول كما بدأته بانني مسلم سلفي لا أقلد عالما معينا ولا أتعصب لمجتهد معين ولا أعيبه ولا أعيب أتباعه ولا أدعي تأسيس مذهب جديد، وإنما أتكلم في المسائل الخلافيـة بالدليل والادب مع الجميع اتباعا لعلمـاء السلف كما يرى القراء في مسألة رؤية الرب تعالى في التفسير ، وأرى من أكبر المفاسد الطعن في طائفة من الطوائف أو مذهب من المذاهب أو شعب من الشعوب ، وانتقاده ولو بما فيه من المساوي والعيوب ، لان ذلك يغريه بشدة الاستمساك بما عيب به ، والتعصب لما انتقد عليه ، وعداوة العائب وكل من ينسب اليهم من قومه أو أهل مذهبه ، ففي كل قوم خير وشر ، وحق وباطل ، وخطأ وصواب ، واذا كنا لا نقول بعصمة فرد من أهل هذا الزمان ، فهل يمكن أن نقول بعصمة طائفة كبيرة ؟ وانما المصلحة في النصح اتباع قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

خطاب عام للمسلمين

فى شأن الحجاز

٥

علاوة

﴿ في ظلم الملك حسين وولي عهده الامير علي في المدينة المنورة ﴾

كتب الينا ناقد خبير من سكان المدينة المنورة مقالا طويلا ذا فصول في ذلك فرأينا من اتمام الموضوع ان نلخصه ونختصره بما يأتى :

(١) نهبهما للاوقاف الاهلية الخيرية

لما استولى الشريف حسين على المدينة المنورة بعد هدنة الحرب كان أول شيء فعله أن وضع يده على أوقافها حتى الموقوفة على سكان البلاد كوقف المغاربة وهو يحتوي على نخيل وأراضي وبيوت . وكذا وقف الهنود والبخاريين وغيرهم فريع هذه الاوقاف يوضع الآن في الخزينة النبوية ومنها يرسل الى خزينة الشريف في مكة الى يومنا هذا . وسنذكر بعض الوقائع في مخاصمة بعض مستحقي هذه الاوقاف للامير علي والشكوى لوالده

ولم يكفه هذا كله بل تسلط على الاوقاف الخيرية المحبوسة على الفقراء فى المدينة وامر بتحويلها الى الخزينة النبوية لتصرف في شؤون الحرم مدعيا ان المستحقين ليسوا موجودين والله يعلم ان عدد الفقراء في المدينة المنورة اكثر من سائر سكانها ولكن ليس المقصد ذلك بل هو استيلاء الخزينة على غلة هذه الاوقاف . واطلاعها على تفرعاتها وريعها

وأن تجمعها وترسلها في صناديق مقفلة الى الملك بمكة، وهذه العادة مستمرة الى يومنا هذا ....

(٢) نهبهما للحجرة النبوية

ثم مد يده الى الحجرة النبوية المعطرة فجردها من جميع مابقي فيها بعد أن أخذ الترك ماأخذوا من جواهرها وذخائرها. وأخذ جميع الامتعة التي تركها فخري باشا على ضريح السيدة فاطمة البتول رضي الله عنها، ولولا ان فخري باشا تدارك الامر وأرسل مجوهرات الحجرة الشريفة الى الاستانة لتصرف فيها الشريف حسين ووضعها في خزائنه مثل بقية الامتعة

فمن جملة تصرفه في اموال الحجرة الشريفة انه اخذ ما ينوف عن عشرة كيلو (غرام) من الذهب كان فخري باشا ذوبها وجعلها سبائك وهو قطع بعض الامتعة المكسورة و ٢٥٠ كيلو من الفضة المسبوكة وكان قد اراد فخري باشا ارسالها الى الآستانة مع بقية الامتعة فحال دونه قطع المواصلات. والنقود التي طبعها الشريف حسين فى المدة الاخيرة من هذه السبائك

ومن جملة الاحوال التي يتأثر بها الانسان — ان الحجرة الشريفة بعد ان كانت توقد قناديلها كلها من الزيت الرفيع اصبح يوقد عدد قليل منها بالزيت المكروهة رائحته الا انه امر بايقاد شمعتين في الحجرة فقط

وقد نقل الى مكة كل ماكان في الخزينة النبوية من جواهر وحلي وأمتعة موقوفة من أهل البر والاحسان لكل عائلة تريد التحلي بها والتزين في الاعراس مع ما تركه فخري باشا من النقود التي تزيد عن مليون ونصف مليون جنيه من القراطيس المالية «بانقنوط» وخمسين الف جنيه عثماني اصلها من اموال الخزينة واوقافها غير مبال بحق الله او بحق

رسوله او محق العباد وحرمان الفقراء المستحقين من القوت

(٣) نهبه للحرم النبوي الشريف

أمر الملك حسين ولده الامير عليا والي المدينة المنورة بأن يرسل اليه جميع ما في الحرم النبوي الشريف زائداً على فرشه من السجاد والبسط فنقلها الى مكة شيئاً فشيئاً ففرش الملك بها قصره وداره ودوائر أولاده حتى بيوت عبيده وغلمانه، وكل ما يهدى الى الحرم الشريف من زيت وشمع وعطر وغيرها يأمر بارسالها اليه قبل أن تفتح وأن يراها أحد، وهو يخبر بكل شيء من هذه الهدايا عند وصولها وأكثرها تجيء من الهند

ولا اعلم انه ارسل يوما من الايام شيئا الى الحرم النبوي بل كلما بلغه ان هناك هدية قدمت للحرم فقبل ان يخبروه بها هو يرسل في طلبها حالا حتى أصبحت الخزينة النبوية لا تستطيع شراء اقل شيء يحتاجه الحرم ولو «مكنسة» واذا اطلعت على قيود الخزينة النبوية ترى ان لها مخصصات تبلغ خمسمائة جنيه فى كل شهر ربما تتقاضى هذا المبلغ في مدة سنتين بيد ان مداخل الخزينة تقدر بالالوف من الليرات. فايرادات الحرم النبوي في الحالة الحاضرة ليست بقليلة بل هي تقوم بجميع مايحتاج اليه مع رواتب مأموريه ولكن الشريف لا يرضيه ذلك ولا يهمه الا تكديس الذهب الاحمر فى خزائنه وهو لا يصرف لخدمة الحرم من ائمة وخطباء ومؤذنين واغوات وغيرهم الا نصف المرتب ولكن في كل ثلاثة اشهر مرة ثم انه يعطيهم بدل الجنيه الافرنجي ستة ريالات مجيدية وانما سعره في الخارج يساوي ١٤ مجيديا، وهو لا يدفع لهم مرتباتهم الا قطع فضة وكذلك بقية عمال حكومته لانه يحتكر الذهب لنفسه

وقد بلغ الحرم في الحالة الحاضرة الى حالة سيئة لاهمال ترميمه في كل سنة حسب العادة ، ويقال ان ترميمه في الحالة الراهنة يحتاج الى مصرف قدره خمسة آلاف جنيه وزيادة ليعود كما كان

ولو لا مساعدة ارباب الغيرة من المسلمين وبذلهم ما في امكانهم لشراء « البوية الخضراء » وجلبها من مصر لاجل طلاء القبة الشريفة لاصبحت القبة غبراء. وكذلك بقية ملزمة (؟) الحرم التي ترسل تارة من اخواننا المصريين والهنود وغيرهم

(٤) لان بعض أغنياء الهنود يبذلون كثيرا من الهدايا والصدقات لاهل المدينة في أثناء زيارتهم وذلك يسوء الملك جداً فيتوسل جواسيسه وأعوانه بما يعلم أهل المدينة من مساءته الى مشاركتهم في هذه الصدقات والهدايا والا أخبروه بها . وفى رمضان الماضي زار المدينة المنورة ملك (جترال) واسمه شجاع الملك وأقام فيها خمسين يوما فبذل كثيراً من الخيرات والصدقات على جميع الاهالي من طعام ولباس وفلوس حتى رجال الحكومة عموما فكان كل يوم يدعو جماعة من الدوائر للافطار في رمضان ووسع على بعض علماء المدينة الذين عرفهم وكانت نفقاته اليومية تقدر على الاقل بخمسين جنيها ما عدا العطايا التي كان يبذلها لخدمة الحجرة المعطرة والحرم الشريف ومؤذنيه وخطبائه وأئمته والسقاة والبوابين الخ فلما بلغ الامر الى الشريف الحسين وكان أمر بمراعاته وخدمته أخذ يضيق عليه بطرق أزعجته وأضرت بكثير من الناس فقد أمر بمنع الاهالي من زيارته حتى العلماء والفقراء الا باذن من الحكومة فكانوا يمنعونهم جهراً

ويهينونهم (١) فأدرك الملك المشار اليه ذلك — فحزن ووعد بأن يساعدهم من بلاده ويتحرى أن لا يصيبهم من مساعدته ضرر . وقد أرسل الشريف حسين اليه من يبلغه شكره ويقول له : ان المطعم الهاشمي يكفي فقراء المدينة حاجتهم (!!)

(٥) وأما خبر المطعم الهاشمي فهو أنه لما امتنعت التكية المصرية في المدينة المنورة من إعانة الفقراء من جراء الخلاف بين الحكومتين الهاشمية والمصرية أمر الشريف حسين بانشاء مطعم يغنيهم عن اعانة التكية وأمر تجار المدينة بأن تقوم بجميع نفقاته فقاموا بذلك ظانين ان الحكومة تعطيهم ماينفقونه فلما طال الزمان ولم يروا منها شيئاً علموا أن هذا من جملة الغرامات التي تلقيها على رقابهم فقصروا واختل نظام المطعم وأصبح يطعم يوما ويمنع أياما ، ويعطي أقل ماينفقه للفقراء واكثره لرجال الحكومة الهاشمية وجواسيسها وعبيدها ليشهدوا لهم عند من لا يقبل شهادة غيرهم

اي الرجلين اظلم حسين بن علي ام علي بن حسين

(٦) لأهالي المدينة المنورة أوقاف كثيرة بعضها موقوف على بعض العائلات بموجب فرمانات وحجج شرعية فلما نهق الشريف حسين نهقته المشهورة بابادة العالم الاسلامي (؟) ودخل المدينة المنورة بعد الحرب وضع يده على المباني الاميرية وعلى الاوقاف العائدة لاهاليها الحاضرين بالمدينة المنورة لحول ريعها الى خزينته كما تقدم غير مبال بالمستحقين فيها من أيتام

---

(١) سبب هذا انه لايريد أن يعلم أهل الحجاز انه يوجد في المسلمين ملوك وأمراء يعطون لوجه الله بل هو لحسده وأثرته كان يمنع جريدة الفلاح بمكة من الثناء على محمد عبد الكريم امير الريف في المغرب او ذكر اعماله لئلا يفضله الناس عليه

وأرامل وغيرهم وهو يعلم أنه ليس لهم من دونها أقل دخل يعتمدون عليه في تدبير معيشتهم وقد ظن بعض الناس أن هذا خطأ فقام بعضهم بواجب الدفاع عن حقوق بعض العائلات التي أدخلت أراضيهم ودكاكينهم في الاوقاف الاميرية وعرضوا الفرمانات والحجج الشرعية التي تثبت أن الوقف أهلي له مستحقون — فتلقى الامير علي أمير المدينة المنورة هذه الحجج والمستندات بغاية الغضب والاشمئزاز وأخذ يتدبر في حل المشكل فأوعز الى قاضي المدينة بتشكيل هيئة تدقق الحجج وتنهي المسألة على حسب مرغوبه في الباطن فقامت الهيئة بالعمل فاتضح الحق كالشمس في رابعة النهار ولكن « المخلصين » من رجال الهيئة لم يمكنهم المجاهرة بالحق ففوضوا الرأي «لمولانا» القاضي لان يحكم بما أنزل الله. فحكم بما أنزله الامير علي بقوله: للحكومة حق فيها من حيث إن أصل الاراضي أميرية وقد تبرعت بها الحكومة التركية على بعض الاهالي وبما أن القوانين التركية لا يعمل بها فى الحكومة الهاشمية فلا عبرة بحججها ولا بغيرها .... وأتى بنص أخرجه من كتب الزنادقة (كذا) أيد به رأيه فعارضه بعض الاعضاء ببطلان نصه واثبات صحة الوقف شرعا ونفاذه. ولكن الامير عليا أخذ بقول القاضي — وكتمت المسألة حتى جاء والده المدينة زائراً قبل سفره الى شرق الاردن فرفعوا الامر اليه فأمر بتأليف لجنة للنظر في القضية فقال له الامير علي ان اللجنة تشكلت وحكمت والتفت الى الشاكين وهددهم بقوله : سأناقشكم الحساب ... فقال الملك : أي حساب ياولدي ؟ شكل اللجنة ثانية — واعتذر هو للشاكين بأنه زائر ماجاء ليحكم وإن فى ولده الغنى عن حكمه وإنه لو لا حبه إياهم لما ترك عندهم أعز أولاده

في وقت هو محتاج اليه فيه (قال) فأرجو مساعدته وحفظه وما هو الا أمانة مودعة عندكم فراعوا حقها وواجبها ، فاني أوصيكم به خيراً . . . .

(٧) كان صدر أمر الامير علي بأخذ العشور عن كل ما يباع في أسواق المدينة من صنف الخضر والفواكه التي تزرع في نفس البلاد فكان هذا الامر ساء زراع أهل المدينة مع مخالفته لحديث المصطفى (صلعم) بقوله ماتأويله : لا يؤخذ عن سوقنا هذه شيء(؟) ولما هو مكتوب على باب السلام من ثلاثمائة سنة : سوق المدينة المنورة معفي من أداء العشور . . . فعرضت على الملك حسين وهو فى المدينة فسأل ولده الامير عليا عن صحة ذلك — فأجابه فى حضرة المدعين : بأنه لم يأخذ باسم العشور وانما أخذ باسم الزكاة وفقا لاصول مكة ، فسأل الملك الحاضرين ما قولكم ؟ فأجابوه : إننا تؤخذ منا الزكاة وتؤخذ منا العشور وما نحن بكاذبين أمام صاحب الجلالة . فسكت قليلا وقال : أنا أمرت الا تؤخذ عشور من المدينة فما سافر الملك حسين حتى ازدادت قيمة العشور فوق ما كانت اهـ(١)

﴿ خاتمة الخطاب والغرض منه ﴾

ان مجموع ما أثبتناه في هذا الخطاب يوجب وجوبا كفائيا على من علم به من المسلمين أن يسعوا لانقاذ الحرمين الشريفين واهلهما من ظلم هذا الطاغوت وظلم أولاده ، وتأمين اهلهما ومن يقصدهما للنسك أو غيره على نفسه وشرفه وماله ، ومنع الغرامات والضرائب والظمأ القاتل

(١) المنار : نكتفي بهذا الملخص من رسالة المدينة المنورة لانه لم يبق الى التطويل حاجة ويليها رسالة في اختلال الامن هنالك وعجز الحكومة الهاشمية عن منع الاعراب من القتل والنهب ربما ننشرها في المنار وحده

والغلاء الفاحش منهما ، بتغيير شكل حكومتهما ، ومنع نفوذ حسين وأولاده أن يعود اليها . ثم السعي لاعلاء شأنهما بالعلم والعمران

فأما القادرون على إزالة هذه المنكرات بأيديهم كأمراء جزيرة العرب وأئمتها فهم المسؤلون قبل كل أحد عن القيام بهذه الفريضة بالتعاون أو الانفراد ، فأيهم قام بها يسقط بعمله الاثم عن الباقين وسائر المسلمين ، وقد كنا أفتينا بهذا من قبل ، وطالبنا هؤلاء الامراء بهذا الواجب فى السر والجهر ، وبينا لهم ان ماكانوا يخشونه من تدخل الاجانب غير المسلمين فى أمر الحجاز بدعوة حسين ولاسيما من ناط بهم أمر حمايته ، مخالف لتقاليدهم السياسية ، الا أن يكون بالدسائس السرية ، وهي لا خطر فيها ولا تسقط الفريضة بها

وأما الافراد الذين لا يملكون من القوة ماينقذون به الحرمين واصلاح شأنهما فيمكنهم نصيحة القادرين ، والتعاون على العمل بوضع نظام للعاملين ، وقد تألفت لذلك جمعية خاصة باسم (جمعية السلم العام ، في بلد الله الحرام)

ونحمد الله تعالى اننا قبل ختم هذا الخطاب الذي ابطأنا في نشره علمنا أنه تعالى قد وفق السلطان عبد العزيز آل سعود امام نجد وملحقاتها للقيام بما كان يجب على أولي الاستطاعة كافة — وجوب كفاية — من انقاذ الحجاز من هذا الظالم وأولاده ، وقد نصره الله نصراً عزيزاً فاستولى على مكة المكرمة ، وخر حسين بن علي عن عرش ملك العرب والخلافة العظمى اللذين تنحلهما بالباطل ، وفر منهزما من الحجاز مشيعا من قومه بمقتهم له وسخطهم ودعائهم عليه بأن لا يريه الله خيراً ، ولا تقسمهم بأن لا يريهم له وجهاً ، فظننا ان قد حصل الغرض من الخطاب قبل تمام نشره ولكن إبطاء جند السلطان ابن السعود المؤلف من عرب الحجاز وعرب نجد فى إنقاذ مكة وقطع طريق

جدة والاستيلاء عليها مكنه من نقل ألوف ألوف من الدنانير الذهبية الانكليزية والجنيهات المصرية الورقية (الانوط) وسبائك الذهب والفضة التي نهبها من المدينة المنورة وما لا يحصى من الذخائر والجواهر

سيرة حسين بعد فراره من الحجاز

إنه قد شحن سفينتين من البواخر التي كان ابتاعها للتجارة مما ذكر من الاموال والأثاث والرياش الذي كان في داره وفي دار الامارة لانه وان قيل كذبا وخداعا إنه استقال يعد كل ما للحكومة من مال وعقار وأثاث ملكا له، وكان يتصرف في كل شيء الى يوم ابحاره من جده . وسافر بذلك من جدة الى خليج العقبة فألقى مراسيه فيه وهناك بسط يديه الكزتين بالمال لولده علي الذي خلفه في الحجاز وباذنه سماه الحزب الوطني المؤلف من بعض أهالي مكة وجدة ملكا له وحده فهو فيه تحت سلطان والده ملك ملوك البلاد العربية وأمرائها كلهم وخليفة المسلمين كافة — ولولده عبدالله الامير البريطاني من قبل الدولة الانكليزية على شرقي الاردن باذنه ورضاه أيضا وهما اللذان جعلا لها حق السيادة الانتدابية على هذه البقعة من قلب جزيرة العرب وهي مركز الخطر الاكبر عليها اذ هي بين الحجاز ونجد وفلسطين وسورية والعراق

وانما بسط يديه الكزتين لولديه المذكورين لاجل جمع المقاتلة بالاجرة وجلب الاسلحة والذخائر الحربية لقتال الوهابيين وإخراجهم من الحجاز ثم القضاء على قوتهم وثل عرش ملكهم في عقر ديارهم إن أمكن وأملهم في القتال ضعيف وانما يظنون ان الاستعداد له يكون وسيلة لاقناع سلطان نجد بالصلح ليعود حسين الى مكة أشد ظلما وإلحادا في الحرم مما كان، ولاستمالة أعراب الحجاز الساخطين عليه الماقتين لحكمه حتى قيل إن ما خصصه لهؤلاء خمسمائة ألف

جنيه من الذهب الانكليزي — وما قيل من استقالته أو خلعه فهو من خداعهم وإفكهم لانهم يعلمون ان جميع بدو الحجاز وحضره يمقتونه ويفضلون سلطان نجد على حكمه وأما علي ابنه فضعيف الارادة فلا يظلم الا ضعفاء الحضر ، ولكنه مبايع لوالده بملك العرب وبالخلافة وانما يعمل لاعادته ولولا ذلك لما أمده بالمال، فان عادكان الخطر على جزيرة العرب أشد مماكان

أما وله ببذل المال غرض آخر هو بث الدعاية العامة في العالم لتحسين سمعته وتشويه سمعة ابن سعود وأهل بلاده بوصفهم بالتعصب الديني والتوحش والضراوة بسفك الدماء وهو يعلم مالا يعلم أهل نجد من تأثير هذه الدعاية وقلما يسخو الا في سبيلها من حيث لا يقيم لها سلطان نجد وزنا ، وقد بذل فى هذه السبيل كثيرا مما جمع من السحت ولكن كان كل ماربحوه أن بعض الجرائد نشرت لهم ماشاؤا وقل من يصدقها لتعارضها وظهور كذب ما تنشره في الغالب ولان سياستها أجنبية غير اسلامية ، ومابرح الرأي الاسلامي خصما لهم ومؤيدا عليهم فما ر لمسلم معروف بمصر كلمة خير فيهم وقد أخبرنا الثقات ان انصارهم في سورية وفلسطين يقلون ولا يزيدون

ويليها الدعاية فى بلاد العرب لتأليب القبائل على حكومة نجد والوهابيين وحملهم على قتالهم واسترداد إمارة آل الرشيد لهم (في ظل ملك البلاد العربية كلها وخليفة المسلمين) ولاغراء العداوة والبغضاء الدينية بينهم وبين قبائل الشيعة في العراق وهذه المهمة منوطة بالملك فيصل ولولا أن الشيعة مقتوه مع مبالغته فى التملق لهم لما علموا من اخلاصه للاجانب دون الامة والملة لنجح في هذا لامر نجاحا عظيما، ولعلماء الشيعة وزعمائهم ورؤساء قبائلهم في العراق الفضل الاكبر في مقاومة الانكليز واضطرارهم الي تأليف حكومة عربية مستقلة في دائرة الامبراطورية البريطانية والسعي

للاستقلال المطلق – ولولا الشيعة لكان العراق ولاية هندية محضة، فان اكثر المنتمين الى السنة هنالك أضعف عزيمة وأوهن عصبية من الشيعة ، فالمصلحة العربية تقضي باتفاق الشيعة كاهل السنة مع أهل نجد ومن تبعهم وذلك ممكن اذا كف الله كيد هؤلاء الحجازيين عن البلاد العربية

وقد أبطأ النجديون في احتلال ثغور الحجاز حتى تمكن حسين وأولاده من تحصين جدة بعد ان استغاثوا وليتهم وسيدتهم الدولة البريطانية وطلبوا منها ان تحمي الحجاز وتكف سلطان نجد عنه فامتنعت من ذلك لما رأت من مشايعة العالم الاسلامي له ومقته لهم ولاسيما الهند ومصر، وكان دعاتهم قد اذاعوا انها تحمي لهم جدة بأسطولها ثم استنجدوا ايطالية واذاعوا انها انجدتهم ثم كذبوا ذلك كعادتهم، ولكنهم لا يزالون يسعون لذلك سرا

وكان أفضل ما عمله سلطان نجد التقي العادل أن أعلن أنه لا يريد بانقاذ الحجاز توسيع ملكه به ولا الاستبداد بالامر فيه بل امنه واعلاء شأنه وطالب من جميع الاقطار الاسلامية ارسال مندوبين الى مكة لعقد مؤتمر من أهل العلم والرأي يضعون نظاما لحكومة الحجاز يرضيهم وهذا هو الباعث على تأليف (جمعية السلم العام في بلد الله الحرام) منذ ثلاث سنين ونيف فنشكر لهذا السلطان هذا العمل العظيم الذي لم يسبقه الى مثله أحد من سلاطين المسلمين الذين تولوا أمر الحجاز، وقد قاوم ذلك حسين وأولاده بدسيسة شيطانية وهي ان هذا تحكيم للاعاجم في بلاد العرب، وهذا من أقبح الكذب الذي يضر العرب ويفرق بينهم وبين من ينفعهم من اخوانهم المسلمين ولا ينتفع منهم . فندعو جميع أصحاب الشأن من مسلمي الارض لاجابة هذه الدعوة ومن قصر فهو الذي أسقط حقه ، وندعو أصحاب الصحف الاسلامية لترويج الدعوة الى ذلك . والعاقبة للمتقين ، وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ۞ اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)



(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٢٩ رجب سنة ١٣٤٣ - ٤ الحوت سنة ١٣٠٤ هـ ش ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٥



قد أشار هذا العالم المحقق بهذه الجملة الوجيزة من كلامه الطويل في موضوعها الى جملة ماورد « في النور » من نصوص الكتاب والسنة فقد سمى الله تعالى نفسه نوراً وورد النور في اسمائه الحسنى المأثورة وأسند النور الى اسم الذات في قوله (الله نور السموات والارض) وأسنده رسوله الى وجهه تعالى بقوله « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات » ومثله في آثار اخرى والجمهور يفسرون الوجه بالذات . وهذا نوع من استعمال النور غير إضافته اليه تعالى في قوله (وأشرقت الارض بنور ربها) وقوله (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم) على أن نوره في الاخيرة كتابه ووحيه وكلامه الذي هو من صفاته ، والمراد به في الاظهر مافيه آيات الهداية فهو كقوله (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) ومثله اطلاق اسم النور على النبي (ص) في قوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) على وجه . وورد مثل هذا في كتب العهد الجديد عند النصارى مرويا عن المسيح عليه السلام كقول يوحنا في رسالته الاولى « ١ : ٥ وهذه هي البشرى التي سمعناها منه ونبشركم بها : أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة » وأطلق النور على المسيح نفسه في مواضع من انجيلي لوقا ويوحنا

ومن المعلوم أن النور حسي ومعنوي فالاول يرى بالبصر ويري به البصر سائر المبصرات ، والثاني يدرك بالبصيرة وتدرك به البصيرة الحق والخير والصلاح. وكذلك نور الآخرة قسمان حسي ومعنوي، وأما نور الله تعالى الذي هو صفة من صفاته وشأن من شؤونه فهو فوق هذا وذاك لايعرف كنهه سواه عز وجل ، وهو غير النور الذي هو حجابه المانع من رؤية ذاته وادراك كنهه ، ولا يكبرن عليك أيها الانسان المعجب بنفسك هذا العجز عن ادراك نور الله عز وجل فان هذا النور الحسي الذي تراه بعينيك لاتدرك حقيقته ولم يدركها أحد من أبناء جنسك الى الآن ، ولم يستطع أحد أن يضع له تعريفا يحدد هذه الحقيقة . ولم يكن المتقدمون يعرفون منه إلا مايرونه من نار الارض ونيرات السماء، ثم عرف المتأخرون هذه الكهرباء والراديوم فدخل بذلك العلم والعمل في طور جديد اذا قيل انه فوق طور العقل والفلسفة والعلم التي كان عليها البشر قبله لم يكن هذا القول مبالغة ، وقد كانت الصوفية تقول إن وراء مدارك عقول البشر علوما صحيحة منطبقة على حقائق خارجية لامحض نظريات فكرية، فيقول مدعو الفلسفة والمنطق إن هذه خرافات خيالية، قال ابن الفارض :

فثم وراء العقل علم يدق عن مدارك غايات العلوم الصحيحة

فأي عقل كان يتصور أنه يمكن لشخص واحد أن يوقد مالا يحصى من المصابيح في دار اومدينة كبيرة في طرفة عين وأن يطفئها في طرفة عين؟ وأن هذه المصابيح توقد بلا زيت ولا نار ، وإنما تشتعل بتحريك هنة صغيرة بعيدة عنها ولكنها متصلة بها بسلك دقيق، وأي عقل كان يتصور أن البشر يتخاطبون ويسمع بعضهم كلام بعض على بعد الوف من الاميال؟ وهذا بعض خواص هذه الكهرباء

نعم إن علماء المسلمين قرروا ان أمثال هذه الامور من الممكنات لا المستحيلات، فورود نظائرها في أخبار الآخرة لايقتضي ان في الدين شيئا يرده العقل الصحيح بالبرهان ، ولكن جماهير الكفار بالرسل لم تستطع عقولهم تصورها ولا التصديق بها - بل نرى ضعفاء العقل والعلم من المسلمين أنفسهم يظنون فيما نقلناه آنفاً من كتاب الوابل الصيب أنه من المشكلات التي لا تتفق معها إلا بضرب من التأويل لاجل هذا علقنا عليه الحاشية الوجيزة المثبتة معه هنا عند طبع الكتاب في (مجموعة الحديث النجدية) ليعلموا أن منتهى ما وصل اليه علماء الكون يؤيد مذهب السلف فيها وفي أمثالها ، ويبطل قاعدة المتأولة في

جعل نظريات أفكارهم ومألوفات عقولهم وقضايا معلوماتهم الكلامية القابلة أصلا ترجع اليه نصوص الكتاب والسنة ولو بالتأويل ، وقد علمنا أن بعض الذين اطلعوا على هذه الحاشية في مجموعة الحديث لم يفهموها فاضطربوا فيها ولهم العذر فانها على غرابة موضوعها وجيزة لم توضح المقام لامثالهم كما كان يجب، ولكن لها فيما سبق من المسائل والمباحث في رؤية الرب تعالى نظائر تغني من استحضرها عن الايضاح ولا بأس مع ذلك من زيادة فيه وان تخل من تكرار لبعض القضايا

تقدم أن البشر لم يصلوا الى الاحاطة بكنه شيء من حقائق هذه المخلوقات وإنما يعرفون منها ظواهرها وبعض خواصها وسنن الخالق فيها ، فهم أولى بالعجز عن ادراك حقيقة الخالق وصفاته وأفعاله ،وإنما عرفوه سبحانه وعرفوا صفاته وأفعاله بآياته الكونية في خلقه ، وآياته الكلامية المنزلة على رسله، ففي كل شيء له آيات تدل على وحدانيته وعلمه ومشيئته وقدرته وحكمته ورحمته، فهو تعالى ظاهر في كل شيء بدلالته عليه وباطن في كل شيء بحجب عبده به عنه

ان اشتغال العبد بشؤون الخلق يحجبه عن معرفة ربه وعن مراقبته وعن عبادته وعن شكره اذا هو اشتغل بها لذاتها وماله من اللذة والمنفعة العاجلة فيها، كما أنها تكون آيات ودلائل لمعرفته ووسائل لمراقبته وبواعث لعبادته وذكره وشكره اذا هو نظر فيها بهذه النية، وان تجليه سبحانه للابرار في الآخرة يكون بقدر هذا -- كما أن حجب الفجار عنه يكون بقدر مقابله الذي ذكر قبله (جزاءا وفاقا) فسعة العلم بالكون وسننه ونظامه ومنافعه قد تكون من أسباب سعة المعرفة بالله والكمال الذي يقرب منه ، وقد تكون من أسباب الجهل بالله والبعد عنه ، ولو كان هؤلاء العلماء الذين عرفوا في هذا العصر أضعاف مانقل عن الاولين من أسرار هذا العالم قد نظروا فيه بنور الله واهتدوا في مباحثهم بهداية وحيه لوصلوا الى درجة عالية من الكمال — على أن ارتقاءهم في الاسباب ونجاحهم المتصل في كشف أسرار العالم لابد أن ينتهيا بهم إلى المعرفة الصحيحة والعبودية الكاملة التي بينها الرب سبحانه في آخر كتبه للبشر على لسان خاتم رسله لهم كما أرشد اليه في قوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ؛ أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد * ألا انهم في مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط)

ذلك بأنهم سيجدون في حقائق العلوم التى يهتدون اليها باتصال ابحاثهم وتتابعها مصداقا لهذا الكتاب فيما اخبر عنه من عالم الغيب ولقاء الله تعالى وكل ماكفر به المقيدون بنظريات عقولهم القاصرة وعلومهم الناقصة ، كالارواح والملائكة والجن وتمثلهما في الصور المختلفة ، وتجلي الرب سبحانه لعباده بقدر استعداد أنفسهم وارتقاء أرواحهم من وراء الحجب التى كانت تحجبهم عنه وان فيما وصلوا اليه من العلم اليوم مايقرب ذلك من المدارك وقد بينا بعض الامثلة له في هذه المباحث وغيرها

وان من أعظم مايشغل هؤلاء الباحثين في هذا العالم مسألة بدء الخلق كيف كان ومن أي شيء كان، وقد سبق لهم أن جزموا بأن هذه الاجرام السابحة في ملكوت الله من السموات والارض قد كانت مادة واحدة سديمية تشبه الدخان فانفتقت وانفصل بعضها من بعض فكانت اجراما متعدده - وقد جاءهم محمد النبي الأمي (ص) بما هو صريح في ذلك قبل علمهم به بقرون وأجيال كثيرة

ثم اهتدوا في هذا الجيل الى ان أصل تلك المادة التي انفتق رتقها بما ذكر المؤلفة من عشرات العناصر قد كان مصدرها هذه الكهرباء التى دخلت بها علوم البشر وأعمالهم في طور غريب عجيب ولا تزال عجائبها كل يوم في ازدياد

والمسألة التى أشرنا اليها في الحاشية التى علقناها على عبارة ابن القيم في النور هي ما ذكروه اخيراً من أن للكهربائية دقائق - أو ذرات أو ذريرات أو جواهر فردة - مستقلة بنفسها سموها (الالكترونات) وأنها هي قوام كل جواهر المادة التى يتألف منها بناء العالم العلوي والسفلي وأن اهتزاز هذه الذرات أو الجواهر الفردة هو سبب طيف النور ، وأن له اهتزازات مختلفة - وأنها هي منشأ تغير العناصر الطبيعية والكيمائية . وقد بينا من قبل أن هؤلاء العلماء كانوا جازمين من قبل بأن حركة المادة هي سبب جميع التغيرات والتطورات في هذا العالم اذ هي منشأ النور والحرارة التى قلنا إنها تحول الجوامد الى مائعات والمائعات الى غازات ، فالظاهر من كل ماتقدم أن الكهرباء هي الاصل لكل الكائنات والتي تقدر مساحتها بمئة وخمسين مليون سنة من سني النور، وهو يقطع في الثانية ١٨٦٣٣٠ ميلا في أقرب تقدير وأحدثه وفي الدقيقة

٨٠٠ ر ١٧٩ ر٧ وفي الساعة ٠٠٠ ر ٧٨٨ ر٣٠: أي أربعمائة وثلاثين مليون ميل وسبعمائة وثمانية وثمانين ألف ميل ، فكم يقطع في اليوم ثم كم يكون في السنة ؟؟ (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

ان ما ظهر من أسرار القوة الكهربائية الى الآن يقربُ من العقل ان تكون بارادة الله تعالى وحكمته منشأ التكوين والتطور في عالم الامكان بسرعة حركتها وكونها مصدر النور ، فارتباط اجزاء العالم بها وانتظامه بسنن الله تعالى فيها معقول، وأما تولد العناصر منها وتجمعها وصيرورتها سديما كالدخان أو الغمام أو بخار الماء فهو طورثان متأخر عن تولد بعض عناصر المادة من بعض وارتقاء ذلك في سلسلة الاسباب المتقدمة الى جواهر الكهربائية الفردة فاذا فرضنا ان الكهرباء اول ماخلق الله تعالى من المادة فانها تكون آخر حجاب مادي مما حال بين الماديين وبين معرفته تعالى في الدنيا ويحول بينهم وبين رؤيته في الآخرة ، فاذا انكشف هذا الحجاب وانتهى بالايمان في الدنيا فانه ينتهي بالرؤية في الآخرة التى هي أكمل المعرفة

ولكن الحجب كثيرة كما تقدم ولا برهان على أن الكهرباء أول ماخلق الله تعالى من المادة كما يتراءى من بحث علماء الكون وما وصلوا اليه منه الى الآن، فهي باعترافهم مركبة ، ومنقسمة الى موجبة وسالبة ، وآثارها من إثارة الحركة توليد النور وغير ذلك انما تكون باقتران الزوجين الموجب والسالب فيجوز أن يكون ذلك تطور بأمر الله تعالى ابتداء كما يجوز أن يكون بسبب مادي آخر أو بسبب روحي سابق عليها في الخلق فيكون هو الحجاب الاخير الذي لا يبقى بعد انكشافه ان هو انكشف الا معرفة الخالق ورؤيته كفاحا بدون حجاب البتة - فهذا ماأشرت اليه في تلك الحاشية من التقريب بين ماورد من التجلي الالهي في الحجب ومن وراء الحجب ، ولكن كان من السهو جعلنا اياها على اجمالها وأبهامها في مجموعة الحديث النجدية واكثر قرائها لا إلمام لهم بشيء من هذه العلوم ولا الاصطلاحات التى تكرر ذكرها في المنار وفي تفسيره وتكرر التنبيه فيهما على أننا إنما نذكر أمثال هذه المسائل لتقريب معاني النصوص من عقول المطلعين على هذه العلوم من أبناء هذا العصر المفتونين بها ، فاذا راى هؤلاء أن أبعد ماورد في الكتاب والسنة عن مألوف البشر من اخبار عالم

الغيب يتفق مع أحدث ماقرره العلم المبني على التجارب والبحث العملي فالمرجو أن يكون أجذب لهم الى الايمان، وهذا يكثر يوما بعد يوم، ومنه ماصار حقائق واقعة ومنه ماقرب منها حتى وردت الانباء في هذه الايام بالاهتداء الى ضرب من العلاج بالكهربائية يعيد الى الشيوخ قوة الشباب ونضارته وذلك يقرب كون أهل الجنة شباباً لا يهرمون وسنقرب مسألة الرؤية بأوضح مثال في بحث الكلام الالهي

وقد صرحنا مراراً بأن كل مانورده من تقريب وتأليف بين العلم والدين، ومن تفسير أو تأويل لرد شبهات الزائغين، فاننا لانخرج به عن قاعدة تنافي المعتقد المعتمد عندنا في جميع امور الدين من العقائد والعبادات والفضائل وهو ماكان عليه أهل الصدر الاول من سلفنا الصالح

وقد سبق لنا بحث مثل بحثنا هذا على قاعدتنا هذه في تفسير قوله تعالى (٢ : ٢٠٩ هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)من جزء التفسير الثاني بعضه لنا وبعضه للاستاذ الامام فيراجع في ص ٢٦٦ـ٢٦٧

(تنبيه) ان ادخال مباحث علوم الكون في التفسير هو من أهم اركانه والعمل بهدي القرآن فيه فهو مملوء بذكر آيات الله في خلق السموات والارض وما بينهما وما فيهما ، وكان سلفنا من مفسري السلف والخلف يذكرون مايعلمون من اسرار الخلق وكذا مايتلقونه عن اهل الكتاب حتى الذين لايوثق بعلمهم ولا روايتهم وهو مما ينتقد عليهم

« الكلمة الجامعة الخاتمة في مسألة الرؤية »

خلاصة الخلاصة أن رؤية العباد لربهم في الآخرة حق وأنها أعلى وأكمل النعيم الروحاني الذي يرتقي اليه البشر في دار الكرامة والرضوان ، وأنها أحق مايصدق عليه قوله تعالى في كتابه المجيد (فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة اعين) وقوله في الحديث القدسي الذي رواه عنه رسوله (ص) « أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وأن هذا وذاك مما يدل على مذهب السلف الذي عبر بعضهم عنه بأوجز عبارة اتفق عليها جميعهم « وهي أنها رؤية بلا كيف » ويؤيد ذلك اضطراب جميع أصناف العلماء في النصوص الواردة في نفيها وإثباتها سواء منهم أهل اللغة واساطين البيان ، ونظار الفلسفة وعلم الكلام ، ورواة الاحاديث والآثار ،

ومرتاضو الصوفية وأولو الكشف والالهام ، فلم تتفق طائفة من هؤلاء على قول فصل قطعي تقنع به بقية الطوائف بدليلها اللغوي أو الاصولى أو العقلى أو فهم النص النقلي أو تسليم الهامها الكشفي، ولكن من نظر في جميع ماقالوه نظر استقلال وانصاف يجزم بأن ماكان عليه عامة السلف من إثبات كل ماصح به النقل وتفويض تأويله الذي يكون عليه في الآخرة الى الله عز وجل وهو الحق الذي يطمئن به القلب ويؤيده العلم والعقل فهو الاسلم والاحكم والاعلم والله يعلم وأنتم لاتعلمون

﴿ خلاصة القول فى مسألة الكلام الالهي ﴾

اضطرب المتكلمون في الكلام الالهى كما اضطربوا في مسألة رؤيته تعالى واستوائه على عرشه وغيرهما من صفاته وشؤونه فذهب الذين بنوا قواعد عقائدهم على اقتضاء التنزيه للتأويل الى أن الكلام من صفات الافعال كالخلق والرزق (بالمعنى المصدرى) ولهذا قالوا إن القرآن مخلوق ، والحق الذى كان عليه السلف الصالح أن كلام الله تعالى صفة من صفاته الذاتية كالعلم وهو مثله لا يقتضي التشبيه اذ من المعلوم بدليلي النقل والعقل أن الخالق لايشبه المخلوق كما تقدم شرحه فى مسألة الرؤية فلا نعيده والعهد به قريب ، وانما نكتب شيئا تقرب به المسألة من الافهام ، بعد تفنيد تقاليد علم الكلام، فان اكثر متكلمي الاشعرية قد عقدوها تعقيدا شديدا بما حاولوا به التوفيق بين نصوص أئمة السنة ونظريات العقل بقولهم إن الكلام نفسي ولفظي فالاول صفة قديمة قائمة بذاته تعالي ، والثاني عبارة عن ذلك المعنى القائم بالذات تؤدى باللفظ الذي يحصل بالصوت والحروف التى تكتب بالقلم ، وكل من الحروف والاصوات والالفاظ التي تكيفها الاصوات حادثة مخلوقة . قالوا وانما منع السلف من التصريح بذلك وانكروا على من قالوا ان القرآن مخلوق لان القرآن يسمى كلام الله بمعنى دلالته على صفة الله القديمة فلهذا الاشتراك يخشي ان يفضي القول بخلق كلمات القرآن الملفوظة والمكتوبة الى القول بأن كلام الله تعالى الذي هو صفته القديمة مخلوق

وهذه فلسفة مردودة مخالفة لمذهب السلف كامثالها من تأويل سائر الصفات، وهي غير معقولة المعنى أيضا فان القرآن لامدلول له الا معاني مفرداته وجمله وهذه المعانى منها القديم وهي معانى اسماء الله تعالى وصفاته وسائرها حادثة

وقد ورد فيه ذكر « كلام الله » في مواضع لامدلول لها الا مايسمعونه هم الكلام اللفظي — كقوله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فالمراد بكلام الله القرآن قطعا اذ لا يمكن ان يقال انهم يسمعون صفة الله تعالى القائمة بذاته وقوله في اليهود (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه) يعني التوراة وقوله في المخلفين من الاعراب (يريدون ان يبدلوا كلام الله) يعني وعده في القرآن فيما سبق في السورة، اذ لا يمكن ان يقال ان هؤلاء يبدلون واولئك يحرفون صفة الله تعالى

وقد اغتر بهذه الفلسفة الكلامية الجماهير الكثيرون لصدورها عن بعض كبار النظار ، الذين ملأت شهرتهم الاقطار ، فاعجب الباحثون منهم بها وقلدهم الا كثرون فيها ، ورجع عنها بعض ساطين المذهب بعد تمحيصها ومقابلتها باقوال السلف المؤيدة بالنصوص · فا كثر المتكلمين المستقلين المخلصين رجعوا الى مذهب السلف في أواخر أعمارهم ، ولكن بقي عامة الاشعرية متبعين لما قرروه لهم من قبل ذلك في كتبهم، كدأب الجماعات في كل مايتخذونه مذهبا لهم ، على أن الرجوع كان في الاغلب بالتدريج ، فلم يشعر به الا الافراد من أهل الدليل

وقد اعجبني قول الامام ابي محمد عبد الله الجويني والد إمام الحرمين في رسالة له في نصيحة المسلمين عند رجوعه الى مذهب السلف في هذه المسألة واخواتها التي يتأولها اصحابه الاشاعرة قال : (١)

« انى كنت برهة من الدهر متحيرا في ثلاث مسائل : مسألة الصفات ومسألة الفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد ،وكنت متحيرا في الاقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها أو امرارها ،والوقوف فيها أو اثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات . وكذلك في اثبات العلو والفوقية وكذلك في الحرف والصوت . ثم أجد المتأخرين من المتكلمين

(١) طبعت هذه الرسالة في هذه الايام فرأينا عبارتها جلية موضحة لما اجملناه في بحث الرؤية فأحببنا نقلها من مجموعة الرسائل المنيرية لحسن بيانها واحترام الجمهور لصاحبها

في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء، ويؤول النزول بنزول الامر، ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين، ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم، وأمثال ذلك. ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائما بالذات بلا حرف ولا صوت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم.

«وممن ذهب الى هذه الاقوال أو بعضها قوم لهم في صدري منزلة مثل طائفة من فقهاء الاشعرية الشافعيين لاني على مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه عرفت فرائض ديني وأحكامه فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الاجلة يذهبون الى مثل هذه الاقوال وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم، ثم انني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي اليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونا بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره، المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره

«وكنت أخاف من أطلاق القول باثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه ومع ذلك فاذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أجدها نصوصاً تشير الى حقائق هذه المعاني وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبراً عن ربه واصفا له بها، وأعلم بالاضطرار أنه صلى الله عليه وسلم كان يحضر في مجلسه الشريف العالم والجاهل والذكي والبليد والاعرابي الجافي ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص التى كان يصف ربه بها لا نصا ولا ظاهرا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين، مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء، ونزول الامر للنزول وغير ذلك، ولم أجد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية واليدين وغيرها ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني اخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها»

بعد هذا شرع الامام الجويني في إيراد النصوص من الكتاب العزيز والاحاديث النبوية في مسألة علو الرب تعالى وهي معروفة ولبعض حفاظ السنة فيها مصنفات خاصة كابن قدامة والذهبي وكتابهما مطبوعان عندنا. ثم قال في المسألة من وجهة النظر العلمية «ومن عرف هيئة العالم ومركزه من علم الهيئة وانه ليس له إلا جهتا العلو والسفل ثم اعتقد بينونة خالقه عن العالم فمن لوازم البينونة

أن يكون فوقه لان جميع جهات العالم فوق وليس السفل إلا المركز وهو الوسط »

ثم قال الجويني بعد بيان مسالة صفة العلو :

﴿ فصل ﴾ اذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبه التأويل وعماوة التعطيل، وحماقة التشبيه والتمثيل، واثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك والصدور تنشرح له، فان التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره، والوقوف في ذلك جهل وعيّ مع كون أن الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها، فوقوفنا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياها، فما وصف لنا نفسه بها الا لنثبت ماوصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك(١) وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة. فمن وفقه الله تعالى للاثبات بلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾ والذي شرح الله صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الامر واليدين بالنعمتين والقدرتين هو علمي بأنهم مافهموا في صفات الرب تعالى الا مايليق بالمخلوقين فما فهموا عن الله استواء يليق به ولا نزولا يليق به ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه وعطلوا ماوصف الله تعالى نفسه به ونذكر بيان ذلك ان شاء الله تعالى

«لاريب انا نحن واياهم متفقون على اثبات صفات الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والارادة والكلام لله ونحن قطعا لانعقل من الحياة الا هذا العرض الذي يقوم باجسامنا وكذلك لانعقل من السمع والبصر الا أعراضا تقوم بجوارحنا فكما انهم يقولون حياته ليست بعرض وعلمه كذلك وبصره

---

(١) في كلام الجويني هذا أوضح تفنيد لمنع بعض المتكلمين من تلقين العامة الآيات والاحاديث الواردة في صفاته تعالى كما اقترحوه على شيخ الاسلام ابن تيمية بما كان لهم من المكانة عند الحكومة المصرية في زمنه بعد الجويني الذي يعدونه هو وولده امام الحرمين من شيوخهم وأئمتهم

كذلك هي صفات كما تليق به لا كما تليق بنا فكذلك نقول نحن حياته معلومة وليست مكيفة وعلمه معلوم وليس مكيفا وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس جميع ذلك اعراضا بل هو كما يليق به

«ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله ففوقيته معلومة أعني ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر فانهما معلومان ولا يكيفان كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة أو انتقال يليق بالمخلوق بل كما يليق بعظمته وجلاله — صفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصرا من وجه أعمى من وجه، مبصرا من حيث الاثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد، وبهذا يحصل الجمع بين الاثبات لما وصف الله تعالى نفسه به وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف وذلك هو مراد الرب تعالى منا في ابراز صفاته لنا لنعرفه بها ونؤمن بحقائقها، وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، ولا فرق بين الاستواء والسمع ولا بين النزول والبصر، الكل ورد في النص

«فان قالوا لنا في الاستواء شبهتم، نقول لهم في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بالعرض، فان قالوا لا عرض بل كما يليق به، قلنا في الاستواء والفوقية لا حصر بل كما يليق به. فجميع ما يلزمونا به في الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من التشبيه نلزمهم به في الحياة والسمع البصر والعلم، فكما لا يجعلونها هم اعراضا كذلك نحن لا نجعلها جوارح، ولا مايوصف به المخلوق، وليس من الانصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين فيحتاجوا الى التأويل والتحريف

«فان فهموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع (١) صفات المخلوقين من الاعراض فما يلزمونا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية نلزمهم

---

(١) يعني الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وهي التي يسمونها صفات المعاني ويجعلون مدار معرفة الله عليها

به في هذه الصفات من المرضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم فيها فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبوننا فيها الى التشبيه سواء بسواء. ومن أنصف عرف ماقلنا واعتقده وقبل نصيحتنا ودان لله باثبات جميع صفاته هذه وتلك ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل والوقوف. وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك لان هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة فاذا أثبتنا تلك بلا تأويل وحرفنا هذه وأولناها كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وفي هذا بلاغ وكفاية ان شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾ واذا ظهر هذا وبان انجلات الثلاث المسائل بأمرها وهي مسألة الصفات من النزول واليد والوجه وأمثالها ومسئلة العلو والاستواء، ومسئلة الحرف والصوت : أما مسألة العلو فقد قيل فيها ما فتحه الله تعالى وأما مسألة الصفات فتساق مساق مسألة العلو ولا نفهم منها مانفهم من صفات المخلوقين بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته، فينزل كما يليق بجلاله وبعظمته ، ويداه كما يليق بجلاله وعظمته ، ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته فكيف ننكر الوجه الكريم ونحرف وقد قال صلى الله عليه وسلم في دعائه « أسألك لذة النظر الى وجهك » واذا ثبتت صفة الوجه بهذا الحديث وبغيره من الآيات والنصوص فكذلك صفة اليدين والضحك والتعجب ولا يفهم من جميع ذلك الا مايليق بالله عز وجل وبعظمته لا مايليق بالمخلوقات من الاعضاء والجوارح تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(ثم قال) وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق فان الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد وبجميع حروفه فقال تعالى (الم) وقال (المص) وقال (ق والقرآن المجيد) وكذلك جاء في الحديث « فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب » وفي الحديث «لا أقول الم حرف، ولكن الف حرف، لام حرف ميم حرف » فهؤلاء مافهموا من كلام الله تعالى الا مافهموه من كلام المخلوقين فقالوا ان قلنا بالحروف فان ذلك يؤدي الى القول بالجوارح واللهوات [1] وكذلك اذا

« ١ » اللهوات جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى اقصى الفم : و يجمع ايضا على لهى ولهات :

قلنا بالصوت أدى ذلك الى الحلق والحنجرة ، عملوا في هذا من التخبط كما عملوا فيما تقدم من الصفات

«والتحقيق هو أن الله تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته فانه قادر والقادر لا يحتاج الى جوارح ولا الى لهوات، وكذلك له صوت كما يليق به يسمع ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس الى الحلق والحنجرة : كلام الله تعالى كما يليق به وصوته كما يليق به ، ولا ننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا الى الجوارح واللهوات فانهما من جناب الحق تعالى لا يفتقران الى ذلك. وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الانسان به من التعسف والتكلف بقوله: هذا عبارة عن ذلك

«فان قيل فهذا الذي يقرأه القاري، هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه هو ؟ قلنا لا بل القارئ يؤدي كلام الله تعالى والكلام انما ينسب الى من قاله مبتديا لا الى من قاله مؤديا مبلغا، ولفظ القارئ في غير القرآن مخلوق وفي القرآن لا يتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدى عنه ولهذا منع السلف عن قول لفظي بالقرآن مخلوق لانه لا يتميز كما منعوا عن قول لفظي بالقرآن غير مخلوق فان لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق وفي التلاوة مسكوت عنه كيلا يؤدي الكلام في ذلك الى القول بخلق القرآن وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه والله الموفق اه

(يقول مؤلف هذا التفسير) ان لدينا في تقريب صفة الكلام من الافهام قولا آخر وهو ان جميع ما ثبت في النصوص من صفات الله تعالى وشؤونه فالتعبير عنه مستعار مما وضعه الناس في اللغة لا نفسهم فنفهم بهذه المراد من تلك بقدر الطاقة البشرية ونعرف بدليلي العقل والنقل الفرق بينهما وأن النسبة بينهما المباينة في الحقيقة : وقد عبر أبو حامد الغزالي عن ذلك تعبيرا بليغا في قوله من كتاب الشكر من الأحياء :

« ان لله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع ، وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنة جلالها وخصوص حقيقتها فلم تكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن ان يمتد طرف فهمهم الى مبادي اشراقها ،

فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار الخفافيش ، فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها الى أن يستعيروا من عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادي حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا : لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع » ثم ذكر المشيئة والمحبة والكراهة والرضا والغضب فلم يفرق بين ما يسمونه صفات المعاني وما يسمونه صفات الافعال التي يتأولها أصحابه الاشعرية تحكما منهم

ونحن نعلم من أنفسنا أن لنا كلاما هو صفة من صفاتنا وشأن من شؤوننا تتعلق بما يتعلق به علمنا ولكن تعلق العلم عبارة عن انكشاف المعلومات للنفس وتعلق الكلام عبارة عن كشفها وتصويرها بما يدل عليها في النفس أو لمن نريد كشفها له : تقول حدثتنى نفسي بكذا ، وقلت في نفسي كذا ، وفي حديث عمر يوم السقيفة : وكنت زورت في نفسي مقالة - يعنى هيأت في نفسي كلاما لاقوله . وقال الشاعر :

عندي حديث أريد اليوم أذكره وأنت تعلم دون الناس فحواه

وأما أداء الكلام لمن نريد اعلامه ببعض مانعلم فله طرق أعمها تعبير اللسان ويليه تعبير القلم والاول غريزة في النطق خاصة بالبشر بمقتضاها تواضعوا على الالفاظ الدالة على معاني المعلومات فاتسعت بقدر اتساع دائرة علومهم، والثاني صناعة هداهم الله تعالى اليها بشعورهم بالحاجة الى ايصال معلوماتهم الى البعيد عنهم الذي لا يسمع كلامهم اللساني والى حفظها لمن يجيء بعدهم، وقد استحدثوا في هذا العصر آلة لخطاب البعيد باللسان سموها (التلفون) وسميناها (المسرة) بكسر الميم وتشديد الراء (١) توصل الكلام من دار الى دار ومن بلد أو قطر الى آخر بأسلاك كهربائية تصل بين آلات المتخاطبين وقد استغنوا أخيرا عن هذه الاسلاك في بعض المواضع . واستحدثوا آلة لحفظ الاصوات الكلامية وغيرها واعادتها عند الحاجة ولو بعد موت صاحبها سموها (الفونغراف) وكان استحدثوا بل ذلك آلة لنقل الكلام من مكان الى مكان في البلد الواحد وفي البلاد

(١) أخذناها من قول القاموس : المسرة بكسر الميم الآلة يسار بها كالطومار

والاقطار المختلفة بأسلاك كهربائية موصلة بين الآلات المؤدية للكلام والقابلة له بما هو من قبيل الخط لا الصوت وهي الآلة المعروفة بالتلغراف

فكل من هذا وذاك أداء للكلام الذي يقوم في نفس صاحبه ويريد ايصاله الى غيره وكل منها يسمى كلامه حقيقة كما يعلم من استعمال العرب الخلص والمخضرمين والمولدين الذين تلقوا عنهما ومن بعدهم ، وللأخطل الشاعر المشهور في دولة بني أمية بيت من الشعر تداوله المتكلمون واستشهدوا به على الكلام النفسي والكلام اللفظي يفهم منه ان الاول عنده هو حقيقة مدلول الكلمة وان الثاني مجاز مرسل وهو :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وليس هذا بحجه لغوية على ماذكر وقصارى الاحتجاج بشعر الشاعر ان استعماله الذي يستعمله صحيح في اللغة في مفرداته وتركيبه ، وذلك لايقتضي أن يكون رأيه فيه صحيحا ، ولا أن يكون كل مايقوله حقاً في الواقع ولا في اعتقاده ولا سيما اذا كان شعرا ، فاستعمال العرب لمادة الكلام تدل على ان اللفظ المركب الدال بالوضع على المعاني كلام حقيقة ، وقد قال الزمخشري في حقيقة الاساس من هذه المادة : سمعته يتكلم بكذا ، وكلمته وكالمته ، وكانا متصارمين فصارا يتكالمان ، وموسى كليم الله . ونطق بكلمة فصيحة وبكلمات فصاح وبكلم اه

فلكلام لانسان صفة أوملكة في نفسه يناجيها به ويصور فيها ماينظمه أو يقدره ويزوره ليخاطب به غيره ، وصفة أوملكة في لسانه ، وصفة أو صورة فيما يرسمه بقلمه على الورق ، وصورة أخرى فيما يحرك به آلة التلغراف السلكي أو غير السلكي مخاطبا لبعض الناس في بعض البلاد ، وصورة أخرى في الهواء تحدث عند النطق به زمنا قصيرا وقيل انه أطول ممايظن ، وصورة أخرى فيماينقشه المكروفون في لوح آلة الفونوغراف تكون محفوظة فيه الى ان تعيده الآلة كما ألقي فيها صوتا مؤلفا من الالفاظ الدالة على المعاني ،

وكلام كل أحد ماينشئه في نفسه ويؤديه الى غيره بطريقة من الطرق التي ذكرناها ، وينقل عن قليل من البشر أنهم قد يؤدون بعض كلامهم الذي في أنفسهم الى بعض المستعدين بقوة توجيه الارادة وانهم قد يطلعون على بعض

مايجول في أنفس غيرهم من الكلام ، فمن لم يصدق هذا عنهم فليعد الاعتبار بهمن ضرب المثل . ومهما تكن الوسيلة التي وصل بها علم المنشيء للكلام الى غيره فان غيره يصير مثله في تصوره في نفسه وفي تصويره لغيره بالوسائل المشار اليها آنفا. مثال ذلك قول لبيد (رض)

ألا كل شيء ماخلا الله باطل　　وكل نعيم لامحالة زائل

تألف نظم هذا البيت في نفس لبيد بمقتضى الصنعة والغريزة التي بها يصور الانسان مافي علمه لنفسه ولغيره ، وسمعه الناس من لسانه فنقلوه عنه بالسنتهم ثم باقلامهم ، ولا يزال بعضهم يرويه عن بعض ويمكنهم في هذا العصر أن يتناقلوه بالتلفون والتلغراف ، ولكنه في أي صورة ظهر وبأية وسيلة نقل هو من كلام لبيد قاله منذ أربعة عشر قرنا وليس كلام أحد ممن ينشده اليوم بلسانه أو يرقمه بقلمه أو يؤديه الى غيره بالتلغراف أو غيره

اذا تذكرت هذا كله في كلام الانسان المخلوق على ضعفه ونقصه وأنه من من صفات الكمال التى اثبتها الله تعالى لنفسه — وتذكرت مع هذا كمال الخالق وتنزهه عن مشابهة خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله — وأنه كلفك الايمان بوجوده وباتصافه بجميع ماوصف به نفسه من غير تعطيل ولا تشبيه — فأي عثرة يعثر بها عقلك اذا آمنت بأن لله تعالى كلاما هو صفة من صفاته الثابتة له أزلا وأبدا لانها مرآة علمه الازلي الابدي ، وانه بلغ بعض رسله من الملائكة ماشاء من كلامه ليوحوه الى رسله من البشر ليبلغوه لاممهم ، وان هذا الكلام واحد على اختلاف وسائل تبليغه وحفظه ، فقيامه بذات الله تعالى غير تمثله في نفس جبريل عليه السلام ، وفي نفس موسى حين سمعه من وراء حجاب ، وأداء جبريل إياه ونزوله به على قلب محمد صلى الله عليه وآله وعلى من قبله من الرسل (ع م) غير أداء الله تعالى إياه الى جبريل ، وقيامه في نفس الملك غير قيامه في نفس البشر كما أن قيامه في الهواء عند التلفظ به غير قيامه في لوح الفونغراف ، وكلاهما غير قيامه في الصحف كونه على اختلاف صوره وطرق ادائه واحد في كونه كلام الله القديم الازلي كما قلنا في بيت لبيد من كون انشادنا له وكتابتنا إياه اليوم

لاينافي كونه كلام لبيد القديم النسبي غير الازلي وكلام الله القديم الازلي حقيقة أولى (ولله المثل الاعلى) فلا حاجة تدعو العقل الى وصفه بأنه مخلوق أوحادث لان المخلوقين المحدثين يتناقلونه بألسنتهم وأقلامهم وسائر آلاتهم المحدثة ولا الى التفصي من القول بأنه ذو حروف مرتبة ولا بان تلقيه و يسمى سماعا كقوله تعالى (حتى يسمع كلام الله)

اذا جعلت هذا البيان وسيلة لفهم ماورد في الكتاب والسنة من اثبات الكلام لله تعالى و كون ماأوحاه الى رسله عليهم الصلاة والسلام من كلامه تعالى مع اجتناب التعطيل والتشبيه جميعا وفاقا للسلف الصالح ، ومع التقريب بالمثل المناسب لحال هذا العصر في علومه وفنونه فلك بعد هذا أن تجعله مثالا يقرب من عقلك معنى تجلى الرب سبحانه في الصور المختلفة والحجب على تنزهه عن مشابهة تلك الصور والحجب

قد علمت أن للكلام حقيقة ولك — مع أمن اللبس — أن تقول صورة هي مظهر العلم في النفس ومبدأ اظهار ماشاء العالم المتكلم أن يظهره من علمه لغيره — وأن له صورا اخرى في أنفس من ألقى اليهم شيء منه على اختلاف أحوال أنفسهم من ملكية وبشرية، وصورا اخرى في الهواء وفي الخط على الكاغد وفي النقش على ألواح الفونغراف . وهذه الصور على مابينها من التباين التام مظاهر لحقيقة واحدة هي ماأراد العالم المتكلم اظهاره من علمه بكلامه كبيت لبيد الشاعر — وكقوله تعالى (وله المثل الاعلى في السموات والارض)

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد *

فمن تلقى هذه السورة من لسان القاريء ، أو من الصورة التي كتبت بها السورة بحروف من الخط الكوفي أو النسخي أو الفارسي أو غيرها علم بها من كلام الله عين ما علمه جبريل وموسى ومحمد وغيرهم من الرسل في التلقي عن الله تعالى بلا وساطة أو التلقي عن جبريل عليهم السلام . وهو عين كلام الله تعالى القائم بنفسه من حيث انه هو المظهر لمعاني هذه السورة من علمه ومن حيث انه لا عمل ولا كسب لاحد من المبلغين لمعاني تأليف عبارتها لا جبريل ولا محمد عليهما السلام

ولا الصحابة الذين بلغوها للتابعين قولا وكتابة، ولا يقتضي هذا تأويل الكلام الالهي ولا تعطيله ولا حدوثه، ولا تشبيهه بكلام خلقه. كما ان علمه تعالى لا يشبه علم خلقه، ولا يقتضي أيضاً ان نكون قد أدركنا كنه هذه الصفة بفهمنا لما بلغنا تعالى اياه من علمه بها كما أن اطلاعه إيانا على ماعلمه في الازل وفيما لا يزال من كونه أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد - لا يقتضي ادراك كنه علمه بذلك بل نحن لم ندرك كنه كلامنا في أنفسنا ولا في الهواء ولا في غيره مما ذكر آنفا

كذلك نقول ان ماثبت في الصحاح من تجلي الرب تعالى في الصور المختلفة وتعرفه لمن شاء ببعضها دون بعض لا يقتضي حدوثه ولا مشابهته للصور ولا لحجاب النور ولا لغيره من خلقه ولا ادراك كنهه عز وجل . ومعرفة المؤمنين له ببعضها دون بعض كمعرفة بعضهم لكلامه بتبليغ اللسان دون الكتابة أو بالكتابة دون اللسان، وكل ذلك كمال له وانما النقص ماتخيله نفاة الرواية والصفات من جعل الخالق تعالى معنى سلبيا

فتاوى المنار

﴿ غرائب الوسوسة في الطهارة ﴾

(س ٢٢) من صاحب الامضاء في أسيوط

أستاذي الفاضل

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أرجو الفتوى على ما يأتي —

رجل تردد على غالب محلات الاكل في مدينة من المدن وكان يتناول أكله منها بدون ان يغسل يديه المتنجستين وقد ترك هذه العادة الممقوتة الآن - فما الحكم في مأكولات هذه المدينة ؟ وما الذي يعمله ذلك الرجل اذا كانت حرفته تستدعي وجوده في هذه المدينة ولا يمكنه الانتقال عنها الا في أزمنة مخصوصة وكالاجازات الرسمية مثلا ؟ ومعلوم أيضا ان سكان المدن لاغنى لهم عن تناول

طعامهم من تلك المحلات السالفة الذكر و بعضهم يأكل منها ولا يغسل يديه عقب الاكل. ولا يمكن للرجل المذكور أن يستغني عن قضاء حاجاته منهم - ولما أعهده في فضيلتكم من شرح معضلات المسائل والتفاني في خدمة العلم والمسلمين جميعا - بعثت بهذا اليكم طالبا من المولى سبحانه وتعالى أن يجزل ثوابكم و يعظم أجركم وتنازلوا بقبول عاطر تحياتي

ابنكم المخلص

عبد البديع مصطفى

بمعهد أسيوط الديني

(ج) ان الرجل المسؤل عن حاله وما يترتب عليها شاذ في عقله وعمله فهو موسوس والسؤال عن حاله من شواذ مسائل الوسوسة و يصعب على العاقل أن يتصور وجود رجل عاقل تكرر منه الاكل في أكثر مطاعم مدينة وهو متنجس اليدين ولعل السائل لو ذكر لنا كيف كانت يداه متنجستين في هذه المرار كلها لجزمنا بأن تنجسها من الوسوسة لا حقيقي

هذا وان تنجس اليدين لا يقتضي تنجس الطعام الذي يؤكل بهما الا اذا كان يغمسهما في الادام المائع كالمرق وأما تناوله بالملعقة فهو كاخذ الجامد باليد لا يقتضي تنجس الاناء، واذا فرضنا ان كان من شذوذ وسوسته غمس يده النجسة أو يديه في المائعات وان أوانيها تنجست بها فذلك لا يقتضي بقاء هذه الاواني نجسة فان الاواني في المطاعم وغيرها تغسل عقب كل طعام، وطهارة أواني المطاعم وغيرها وطهارة الطعام أصل لا يعدل عنه الا في إناء يعلم انه تنجس وانه لم يطهر بعد ذلك بأن رأى النجاسة أصابته ولم يغب عنه غيبة يحتمل تطهيره فيها

وجملة القول في الجواب ان السؤال ليس من المشكلات بل هو من أوضح لواضحات فأواني مطاعم البلد كلها تعد طاهرة شرعا وعقلا وعرفا فلا حرج على الرجل في الاكل منها اذا ارتفع حرج الوسواس من قلبه. ولا خلاف في هذا بين فقهاء المذاهب المعتبرة ولكن لهم أبحاثا دقيقة في بعض النجس بيقين اذا اختلط بالطاهرات وما في معناه

﴿ أسباب ارتقاء العرب الماضي وهبوط المسلمين وعلاجه ﴾

(س ٢٣ — ٢٥) من صاحب الامضاء في حمص

حضرة العلامة الفاضل الشيخ رشيد رضا ، زاده الله رشدا وأرضاه .

نوجه لحضرتكم الاسئلة الآتية آملين ان تنوروا بصائرنا بما آتاكم الله من العلم ، مد الله مناركم نورا ، فليجب الله سؤالكم وينجح مقاصدكم وأمانيكم :

(١) ما السر الذي جعل العرب الجاهلية ـ على ما كانوا عليه من التباين والتنافر والجمود والهمجية ـ ان يخترقوا قوانين النشوء الطبيعي ونواميس الارتقاء الى ان وصلوا درجة الكمال بأقل من جيل

(٢) ماهي الاسباب التي أدت الى هبوط المسلمين من الكمال الى حضيض الزوال ـ مع ماكانوا عليه من متانة القواعد الدينية والمدنية الجامعة لجميع مايحتاجه البشر من العلوم النافعة والصالحة في كل زمان ومكان . واعتبارا من أي تاريخ يبدأ هذا الانحطاط وفي أي التواريخ يتوقف ثم يعود الى الهبوط . وأسبابه (مختصرا)

(٣) بأي أصول يمكن معالجة حالة المسلمين الحاضرة . وأي السبل أنفع وأقرب للفلاح . وأي الامم والامراء الحاضرة من المسلمين أكمل استعدادا لاداء الخدمات للنجاح العام ـ وكيف يمكن ذلك .

لولا ان هذا الموضوع يهم كل مسلم يدق قلبه على تأخر أمته ، بل كل شرقي يتألم من تدنس الشرق . ثم لولا علمنا بأننا ماقصدنا الا ارقى معهد وأوسع دائرة علمية اسلامية شرقية ، لما تجاسرنا لتعجيزكم . فعذراً ياسيدي جزاكم الله عنا كل خير

محمد فوزي

(ج) ان ما قاله السائل الغيور في جاهلية العرب لا يصح ولعله يريد السؤال عن أصحاب الرسول (ص) وتابعيهم من عرب الجاهلية الذين ارتقوا بالاسلام عقولا وأخلاقا وحكمة وعلما وعملا وعدلا وسياسة وادارة كانوا بها فوق المعهود في تاريخ البشر من نوع ارتقائهم وفيما ترتب عليه من الفتح الشريف وتأسيس ذلك الملك العظيم على أساس العدل الخ . قد بينا ذلك في مواضع كثيرة من مجلدات المنار

وتفسيره كما بينا أسباب هبوط المسلمين بعد ذلك وتاريخه وعلاج ماطرأ عليهم من الامراض الاجتماعية ولا يمكن تلخيص شيء من المسائل الثلاث في جواب سؤال ينشر في باب الفتاوى

وإنما نقول بالاجمال إنه لا يصلح آخر هذه الامة إلا ما صلح به أولها كما قال الامام مالك رضي الله عنه وذلك ماجاء به الاسلام من اصلاح العقول بالعقائد الصحيحة الخالية من خرافات الوثنية واصلاح الانفس بالعبادات السليمة من البدع والآداب والفضائل — واصلاح حال الاجتماع بوحدة الامة وجمع كلمتها وتوحيد وجهتها وتوجيهها الى طلب العزة والكمال الذي شرع الاسلام لاجله ،

وأقوى الشعوب الاسلامية استعداداً لذلك أهل الدين في جزيرة العرب وأهل افغانستان ولكن هؤلاء عرضة للافرنج الذي يفرق كلمة كل شعب شرقي يفتتن به في نفسه ويجعل بعض أهله أعداء وخصوصا لبعض بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فنسأل الله تعالى أن يقيهم شر هذه الفرقة التي قوضت أركان السلطنة العثمانية وقطعت أوصال الوحدة المصرية ، وضعضعت ألباب الطوائف السورية ، فيجب ارشاد عرب الجزيرة الى جمع كلمتهم بالدين ولن تجتمع بغيره ، الى العناية مع ذلك بتنظيم القوة الحربية وتنظيم موارد الثروة الداخلية ، ثم يجيء كل ارتقاء تبعاً لذلك ولا نظام أصلح وارجى لذلك من نظام الوهابية اذا اتيح لهم مايحتاج اليه من المساعدة وكذلك الزيدية في اليمن فهم فرقة متحدة تحتاج الى المساعدة على تنظيم القوة والثروة الداخلية ويجب أن يتحالف الإمامان فيهما . ونحمد الله تعالى أنه ليس ثمة أجناس ولا ملل يتخذها الاجانب ذرائع للفساد فيهما

﴿ خطيب يأمر المسلمين بالشرك ﴾

(س ٢٦) من صاحب الامضاء في بمبي (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العالم العلامة والحبر الفهامة سيدي الاجل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المنير لازال محفوظا لخدمة الدين الحنيف آمين . أما بعد فأرجو إجابتي

عما يأتي..

خطب أحد خطباء مساجد بمبي خطبة يوم الجمعة حبذ فيها الاستغاثة والاستعانة بغير الله كالانبياء والاولياء والصالحين وقد جاء بأحاديث عزز فيها قوله لا أعلم مقدار حظها من الصحة وكان بودي ان آخذ نص الخطبة وأرسلها مرفقة بسؤلي ولكنني لم أستطع غير اني أظن أنني أحفظ حديثا واحدا مما أتى به ذلك الخطيب بدون اسناد اذا لم تخني ذاكرتي وهو « أذكر أحب الناس اليك قال يا محمداه يا محمداه » وقد سب وشتم أيضا عالما من كبار علماء المسلمين الا وهو المرحوم حسن صديق خان البهبالي لزعمه انه حرف في فتح الباري الذي طبعه في مصر على نفقته حديث (أوتيت علوم الاولين والآخرين) وعند انتهاء الخطبة عاد فكرر كرامات الصالحين ووجوب الاستعانة بهم واستشهد على ما قال بقصة عمر بن الخطاب (رض) مع سارية والقصة مشهورة عند العامة ولكنني لم أعثر عليها في كتب من أثق به من المؤرخين

فما قول سيدي الاجل فيما تقدم ؟ اهدنا الى طريق الحق جعلك الله هاديا ومرشدا والله يحفظكم والسلام المخلص لكم

علي خان البنجابي

(ج) الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق قسمان (أحدهما) ما يكون بين الناس من طلب التعاون والمساعدة في الامور الكسبية كاستغاثة من أشرف على الغرق أو تردى في بئر أو حفرة بمن ينقذه مثلا ، وكاستعانة من وقع حمل دابته بمن يساعده على رفعه — فهذا القسم مشروع في كل عمل مشروع من الواجبات والمستحبات والمباحات . (وثانيهما) ما يكون فيما وراء الاسباب التي هي من كسب الناس مما يخالف سنن الله تعالى في خلقه كالاستغاثة بالموتى والاستعانة بهم وبالاحياء فيما ليس من مقدورهم وكسبهم كانزال المطر وشفاء المرضى بغير تداو فهذا القسم خاص بالله تعالى لا يطلب من غيره وهو المراد بقوله تعالى في سورة الفاتحة (وإياك نستعين) ومعناه نستعينك وحدك ولا نستعين غيرك كما أن معنى قوله تعالى قبله (إياك نعبد) نعبدك ولا نعبد غيرك — فاستعانة غير الله تعالى بهذا المعنى كفر وشرك كعبادة غيره ، ومن أمر بذلك كان آمرا بالكفر بالله ومخالفا لما كلف جميع عباده ن

يخاطبونه به في كل ركعة من صلواتهم ، فهل صار المسلمون في درجة من الجهل بدينهم يؤمهم بها في صلاتهم ويتولى وعظهم في مساجدهم من يأمرهم بهذا ؟ واذا لم تكن هذه الاستعانة هي الخاصة بالله تعالى بنص هذه الآية في أشهر سورة من كتاب ربهم يحفظها كل مسلم ومسلمة فما هي ؟ على أن العباد يتحرون اجتناب الاستعانة بالمخلوقين وسؤالهم حتى في الامور الكسبية التي أقام الله تعالى بها نظام هذا العالم وقد ورد في مناقب الصديق الاكبر رضي الله عنه انه لم يسأل النبي صلوات الله عليه وعلى آله شيئا لنفسه قبل ولا الدعاء . وفي وصية النبي (ص) لابن عباس (رض) « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » رواه الترمذي عنه وقال حسن صحيح ، وقال الحافظ ابن رجب في شرحه إن هذه الوصية منتزعة من قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وقد بايع النبي (ص) جماعة من أصحابه على ألا يسألوا احدا شيئا منهم الصديق وأبو ذر وثوبان (رض) فكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته من يده وهو راكب فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه — (أقول) وهذه درجة كمال لا يقدر عليها إلا أفراد الرجال ، وأما الاولى فيكلفها كل مؤمن لان تركها ينافي الايمان . وفي المسألة أحاديث اخرى في الصحاح وآثار عن كبار الصحابة والتابعين ومن دونهم من الصالحين

والاستغاثة في هذا الباب مثل الاستعانة بل أخص لانها عبارة عن الضراعة في الدعاء عند شدة الضيق التي وصف الله تعالى مشركي العرب بأنهم لا يدعون غيره عندها وانما يشركون به بعد أن ينجيهم منها ، والآيات في ذلك متعددة . وقد استغاث المسلمون الله تعالى يوم بدر ولم يستغيثوا النبي (ص) بل كان بأبي هو وأمي أمامهم وقدوتهم في الاستغاثة كما أنزل الله عليه (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الخ وذلك انهم كانوا قد قاموا بكل ما قدروا عليه ولم يبق الا ما لا ينالَه كسبهم من أسباب النصر فسألوا الله تعالى مستغيثيه فاستجاب لهم ونصرهم

ولكنك تجد الالوف من المسلمين الاميين والمتعلمين يعارض هذه الاصول القطعية من التوحيد بشبهات تلقاها بعضهم من بعض بالتسليم والتقليد الجهلي وهي

ان ماثبت في الكتاب من حياة الشهداء وما عليه جمهور أهل السنة من اثبات كرامات الاوليا، يقتضيان جواز دعائهم ودعاء سائر الصالحين واستعانتهم على قضاء الحاجات وكشف السوء والنصر على الاعداء وسائر ما نعجز عنه من طريق الاسباب وسنن الله في الخلق - وهذه الشبهة باطلة من وجوه شرحناها في التفسير وباب الفتوى وغيره من المنار مرارا ، ومن أخصها ان حياة الشهداء من أمور عالم الغيب وكرامات الاولياء من خوارق العادات عند مثبتيها وقد اجمعوا على ان كلامنها يؤخذ ما صح منه بالتسليم فليس للمجتهد أن يقيس عليه ولا أن يستنبط منه حكما شرعيا ولو لم يكن معارضا لنصوص الكتاب والسنة كاستعانة غير الله تعالى فكيف اذا كان كذلك وكان المستنبط مع هذا غير مجتهد ولا عالم كهؤلاء الجهال وان كان فيهم معممون كثيرون ؟ وأما قصة عمر (رض) في نداء سارية فقد رواها البيهقي بسند ضعيف وذكرها السبكي في طبقات الشافعية

وأما سب هذا الخطيب للعالم الجليل السيد حسن صديق محيي السنة في بلاد الهند وغيرها فهو من المعاصي المعلومة من الدين بالضرورة وأما زعمه أنه حرف في فتح الباري فكذب وهو لم يتول تصحيح فتح الباري وانما صححه له عند طبعه بعض علماء مصر



ابطال وحدة الوجود

والرد على القائلين بها

لشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية رضي الله عنه

وموسى لما قال لآدم لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال آدم عليه السلام فيما قال لموسى: لم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين عاما ؟ فحج آدم موسى - لم يكن آدم عليه السلام محتجا على فعل ما نهي عنه بالقدر ولا كان موسى ممن يحتج عليه بذلك فيقبله بل آحاد المؤمنين لا يفعل مثل هذا فكيف آدم وموسى ؟ وآدم قد تاب مما فعل واجتباه ربه وهدى، وموسى أعلم بالله من أن يلوم من هو دون نبي على فعل تاب منه فكيف بنبي من الانبياء؟ وآدم يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يحتج الى التوبة ولم يجر ما جرى من خروجه من الجنة وغير ذلك، ولو كان القدر حجة لكان لابليس وغيره وكذلك موسى يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يعاقب فرعون بالغرق ولا بنو اسرائيل بالصعقة وغيرها كيف وقد قال موسى (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وقال (فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وهذا باب واسع وانما كان لوم موسى لآدم من أجل المصيبة التي لحقتهم بآدم من أكل الشجرة ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ واللوم لاجل المصيبة التي لحقت الانسان نوع واللوم لاجل الذنب الذي هو حق الله نوع آخر، فان الاب لو فعل فعلا افتقر به حتى تضرر بنوه فأخذوا يلومونه لاجل ما لحقهم من الفقر لم يكن هذا كلومه لاجل كونه أذنب والعبد مأمور أن يصبر على المقدور، ويطيع المأمور، واذا أذنب استغفر كما قال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال طائفة من السلف

هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضي ويسلم فمن احتج بالقدر على ترك المأمور ، وجزع من حصول ما يكرهه من المقدور ، فقد عكس الايمان والدين ، وصار من حزب الملحدين المنافقين ، وهذا حال المحتجين بالقدر فان أحدهم اذا أصابته مصيبة عظم جزعه وقل صبره فلا ينظر الى القدر ولا يسلم له ، واذا أذنب ذنبا أخذ يحتج بالقدر، فلا يفعل المأمور، ولا يترك المحظور، ولا يصبر على المقدور، ويدعي مع هذا أنه من كبار أولياء الله المتقين ، وأئمة المحققين الموحدين، وانما هو من أعداء الله الملحدين، وحزب الشيطان اللعين. وهذا الطريق انما يسلكه أبعد الناس عن الخير والدين والايمان، تجد أحدهم أخير الناس اذ قدر، وأعظمهم ظلما وعدوانا، وأذل الناس اذا قهر، وأعظم جزعا ووهنا. كما جربه الناس من الاحزاب البعيدين عن الايمان بالكتاب والمقابلة من أصناف الناس. والمؤمن ان قدر عدل وأحسن، وان قهر وغلب صبر واحتسب، كما قال كعب بن زهير في قصيدته التي أنشدها للنبي صلى الله عليه وسلم التي أولها بانت سعاد الخ في صفة المؤمنين:

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم يوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا

وسئل بعض العرب عن شيء من أمور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: رأيته يَغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، وقد قال تعالى (قالوا أإنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا، إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) وقال تعالى (إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال تعالى (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) فذكر الصبر

والتقوى في هذه المواضع الاربعة فالصبر يدخل فيه الصبر على المقدور، والتقوى يدخل فيها فعل المأمور . فمن رزق هذا وهذا فقد جمع له الخير، بخلاف من عكس فلا يتقي الله بل يترك طاعته متبعاً لهواه ويحتج بالقدر، ولا يصبر اذا ابتلي ولا ينظر حينئذ الى القدر ، فان هذا حال الاشقياء كما قال بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري أي مذهب وافق هواك تمذهبت به: يقول أنت اذا أطعت جعلت نفسك خالقا لطاعتك فتنسى نعمة الله عليك كي(١) أنه جعلك مطيعاله واذا عصيت لم تعترف بأنك فعلت الذنب بل تجعل نفسك بمنزلة المجبور عليه بخلاف مراده أو المحرك الذي لا ارادة له ولا قدرة ولا علم وكلاهما خطأ

وقد ذكر أبو طالب المكي عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال : اذا عمل العبد حسنة فقال : أي ربي أنا فعلت هذه الحسنة ، قال له ربه أنا يسرتك لها وأنا أعنتك عليها. فان قال أي ربي أنت أعنتني عليها ويسرتني لها، قال له ربه : أنت عملتها وأجرها لك . واذا فعل سيئة فقال أي ربي أنت قدرت علي هذه السيئة قال له ربه : أنت اكتسبتها وعليك وزرها فان قال أي ربي اني أذنبت هذا الذنب وأنا أتوب منه، قال له ربه : أنا قدرته عليك وأنا أغفره لك. وهذا باب مبسوط في غير هذا الموضع

وقد كثر في كثير من المنتسبين الى المشيخة والتصوف شهود القدر فقط من غير شهود الامر والنهي والاستناد اليه في ترك المأمور وفعل المحظور، وهذا أعظم الضلال. ومن طرد هذا القول والتزم لوازمه كان أكفر من اليهود والنصارى والمشركين لكن أكثر من يدخل في ذلك يتناقض ولا يطرد قوله

«١» كذا في الاصل ولعل صوابه « في » وحذفه اولى

وقول هذا القائل هو من هذا الباب فقوله: آدم كان أمره بكل باطنا فأكل، وابليس كان توحيده ظاهراً فأمر بالسجود لآدم فرآه غيراً فلم يسجد فغير الله عليه وقال (اخرج منها) الآية فان هذا مع ما فيه من الالحاد كذب على آدم وابليس فآدم اعترف بأنه هو الفاعل للخطيئة وانه هو الظالم لنفسه وتاب من ذلك ولم يقل أن الله ظلمني ولا ان الله أمرني في الباطن بالاكل، قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وقال تعالى (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وابليس أصر واحتج بالقدر فقال (ربي بما أغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين)

وأما قوله: رآه غيراً فلم يسجد — فهذا شر من الاحتجاج بالقدر فان هذا قول أهل الوحدة الملحدين وهو كذب على ابليس فان ابليس لم يمتنع من السجود لكونه غيراً بل قال (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ولم تؤمر الملائكة بالسجود لكون آدم ليس غيراً بل المغايرة بين الملائكة وآدم ثابتة معروفة والله تعالى (علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) وكانت الملائكة وآدم معترفين بأن الله مباين لهم وهم مغايرون له ولهذا قالوا: دعوه دعا العبد ربه فآدم يقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) والملائكة تقول: لا علم لنا الا ما علمتنا) وتقول (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) الآية وقد قال تعالى (أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وقال تعالى (أغير الله أتخذ وليا فاطرَ السموات والارض وهو يُطعم ولا يُطعَم) وقال أفغير الله أبتغي

حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا) فلو لم يكن هناك غيره لم يكن المشركون أمروه بعبادة غير الله ولا اتخاذ غير الله وليا ولا حكما فلم يكونوا يستحقون الانكار، فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن عبادته واتخاذه وليا وحكما، وانه من فعل ذلك فهو مشرك بالله كما قال تعالى (ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) وقال (لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا) وأمثال ذلك

وأما قول القائل ان قوله (ليس لك من الامر شيء) عين الاثبات للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) فهذا بناه على قول أهل الوحدة والاتحاد، وجعل معنى قوله (ليس لك من الامر شيء) اي فعلك هو فعل الله لعدم المغايرة وهذا ضلال عظيم من وجوه

﴿ احدها ﴾ ان قوله (ليس لك من الامر شيء) نزل في سياق قوله (ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين * ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون) وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو على قوم من الكفار او يلعنهم في القنوت فلما انزل الله هذه الآية ترك فعلم ان معناها افراد الرب تعالى بالامر وانه ليس لغيره امر بل ان شاء الله تعالى قطع طرفا من الكفار وان شاء كبتهم فانقلبوا بالخسارة وان شاء تاب عليهم وان شاء عذبهم. وهذا كما قال فى الآية الاخرى (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) ونحو ذلك قوله تعالى (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل ان الامر كله لله)

﴿ لوجه الثاني ﴾ ان قوله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) لم يرد به ان فعل العبد هو فعل الله تعالى كما تظنه طائفة من الغالطين فان ذلك لوكان صحيحاً لكان ينبغي ان يقال لكل أحد حتى يقال للماشي مامشيت إذ مشيت ولكن الله مشى ، ويقال للراكب وما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب ، ويقال للمتكلم ماتكلمت إذ تكلمت ولكن الله تكلم . ويقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلي ونحو ذلك وطرد ذلك يستلزم ان يقال للكافر ماكفرت اذكفرت ولكن الله كفر . ويقال للكاذب ماكذبت اذكذبت ولكن الله كذب . ومن قال مثل هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين. ولكن معنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر رماهم ولم يكن في قدرته ان يوصل الرمي الى جميعهم فانه اذا رماهم بالتراب وقال شاهت الوجوه ولم يكن في قدرته ان يوصل ذلك اليهم كلهم فالله تعالى أوصل ذلك الرمي اليهم بقدرته، يقول وما أوصلت اذحذفت ولكن الله أوصل ، فالرمي الذي أثبته له ليس هو الرمي الذي نفاه عنه وهو الايصال والتبليغ وأثبت له الحذف والالقاء وكذلك اذا رمى سهما فاوصلها بقدرته

﴿ الوجه الثالث ﴾ انه لو فرض أن المراد بهذه الآية أن الله خالق أعمال العباد فهذا المعنى حق وقد قال الخليل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) فالله هو الذي جعل المسلم مسلما

وقال تعالى (إن الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) فالله هو الذي خلقه هلوعا لكن ليس في هذا أن الله هو العبد، ولا أن وجود الخالق هو وجود المخلوق، ولا أن الله حال فى العبد. فالقول بأن الله خالق أفعال العباد حق والقول بأن الخالق حال في

المخلوق أو وجوده وجود المخلوق باطل وهؤلاء ينتقلون من القول بتوحيد الربوبية الى القول بالحلول والاتحاد وهذا عين الضلال والالحاد

﴿ الوجه الرابع ﴾ إن قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) لم يرد انك أنت الله وانما أراد انك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه فمن بايعك فقد بايع الله كما أن من أطاعك فقد أطاع الله ولم يرد بذلك أن الرسول هو الله. ولكن الرسول أمر بما أمر الله به فمن أطاعه فقد أطاع الله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني» ومعلوم أن أميره ليس هو أياه ومن ظن في قوله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) أن المراد به أن فعلك هو فعل الله أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك فهو مع جهله وضلاله بل كفره وإلحاده قد سلب الرسول خاصيته وجعله مثل غيره، وذلك أنه لو كان المراد به أن خالق لفعلك لكان هنا قدر مشترك بينه وبين سائر الخلق، وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله ومن بايع مسيلمة فقد بايع الله ومن بايع قادة الاحزاب فقد بايع الله، وعلى هذا التقدير فالمبايع هو الله أيضا فيكون الله قد بايع الله إذ الله خالق لهذا ولهذا، وكذلك اذا قيل بمذهب أهل الحلول والوحدة والاتحاد فانه عام عندهم في هذا، هذا فيكون الله قد بايع الله. وهذا يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية حتى ان أحدهم اذا أمر بقتال العدو يقول أقاتل الله ؟ ما أقدر أن أقاتل الله ونحو هذا الكلام الذي سمعناه من شيوخهم وبينا فساده لهم وضلالهم غير مرة

وأما الحلول الخاص فليس هو قول هؤلاء بل هو قول النصارى ومن وافقهم من الغالية(١) وهو باطل أيضا فان الله سبحانه قال له (ليس

«١» هم فرق الباطنية وآخرهم البهائية

لك من الامر شيء) وقال (وانه لما قام عبد الله يدعوه) وقال (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) وقال (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) وقال (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيما)

فقوله (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) يبين قوله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ولهذا قال (يد الله فوق أيديهم) ومعلوم أن يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت مع أيديهم كانوا يصافحونه ويصفقون على يده في البيعة، فعلم أن يد الله التي فوق أيديهم ليست هي يد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الرسول عبد الله ورسوله فبايعهم عن الله وعاهدهم وعاقدهم عن الله، فالذين بايعوه بايعوا الله الذي أرسله وأمره ببيعتهم، ألا ترى أن كل من وكل شخصا بعقد مع الوكيل كان ذلك عقداً مع الموكل ومن وكل نائبا له في معاهدة قوم؟ فعاهدهم عن مستنيبه كانوا معاهدين لمستنيبه ومن وكل رجلا في نكاح أو تزوج كان الموكل هو الزوج الذي وقع له العقد وقد قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية ولهذا قال في تمام الآية (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما)

فتبين أن قول ذلك الفقير هو القول الصحيح وان الله اذا كان قد قال لنبيه (ليس لك من الامر شيء فايش نكون نحن وقد ثبت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في الصحيح أنه قال « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » (لها بقية)

المقالة الخامسة (*

﴿ ما ينبغي للمسلمين علمه وعمله ﴾

أيها المسلمون

ان الحجاز مهبط دينكم، وفيه بيت ربكم، وهو قبلة صلاتكم، ومشاعر نسككم، وشعائر الله لكم، فيه يقام الحج الاكبر، الذي هو ركن الاسلام الاجتماعي الاوحد، وفيه مقام ابراهيم، وقبر نبيكم الكريم، عليهما من الله أفضل الصلاة والتسليم. وقد جاء الاسلام بحرية الاديان الا في حرم الله وحرم رسوله وسياجهما من جزيرة العرب، فهما خاصان بدين الاسلام، وقد امتدت اليهما أيدي غير المسلمين في هذه الايام

روى الامام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله تعالى عنه قالت آخر ما عهد رسول الله (ص) ان قال «لا يترك بجزيرة العرب دينان» وروى أحمد ومسدد والحميدي في مسانيدهم والبيهقي في سننه من حديث أبي عبيدة (رض) قال: آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم «اخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب» وفي رواية نصارى نجران

وروى أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال: اشتد برسول الله (ص) وجعه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث «اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» قال سليمان الاحول راوي الحديث عن سعيد بن جبير الذي سمعه من ابن عباس: ونسيت الثالثة. وحملها العلماء بالاحتمال على ما صح من وصاياه الاخرى في مرض موته — صلى الله عليه وسلم — كقوله «لا تتخذوا قبري وثنا» وفي موطأ الامام مالك ما يشير الى ذلك — أو وفد أسامة — أو الوصية بالنساء والرقيق.

وقد أجلى النبي (ص) بني قينقاع وقريظة والنضير المحاربين له من يهود

*) نشرت في الاهرام بتاريخ ١٩ ربيع الاول ١٨ أكتوبر

المدينة وأنذر من بقي من اليهود الجلاء بعد عجزهم عن قتاله ليخرجوا بسلام ويحفظوا أموالهم، فقد روى البخاري في مواضع من صحيحه وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة قال: بينما نحن في المسجد خرج النبي (ص) فقال « نطلقوا الى يهود » فانطلقنا حتى جئنا بيت المدراس (هو بوزن المفتاح العالم الذي يدرس كتابهم) فقال « أسلموا تسلموا ، واعلموا ان الارض لله ورسوله، وانني أريد ان أجليكم من هذه الارض فمن يجد منكم بماله (أي بدل ماله) شيئا فليبعه - فاعلموا ان الارض لله ورسوله » والمراد أرض المدينة وسائر الحجاز

وروى أحمد ومسلم والترمذي من حديث عمر بن الخطاب (رض) انه سمع رسول (ص) يقول « لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها الا مسلما » ولما كان أبو بكر (رض) لم يتسع له الوقت لتنفيذ هذه الوصية نفذها عمر (رض) فقد روى البخاري عن عبد الله ان عمر والده (رضي الله عنهما) أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وذكر يهود خيبر الى ان قال : اجلاهم عمر الى تيماء وأريحاء .

سبب هذه الوصية النبوية معروف دلت الاحاديث الصحيحة وهو ان الله تعالى أطلع رسوله (ص) على ما سيكون من مطاردة الامم لامته وسلبهم اياها ما يخولها الله تعالى من الملك ، ومحاولتهم القضاء على دينها بعد القضاء على ملكها ، فاراد ان يكون مهد الاسلام معقلا لها تعتصم فيه ، ولا تجعل للامم التي ستبغي عليها سبيلا للتدخل في شؤونه ، كما تفعل الآن دول الاستعمار الكبرى ، وفي مقدمتها حليفة البيت الحسيني في الحجاز بريطانية العظمى : هذه الدولة التي أرادت ان تجعل طائفة القبط وسيلة لحرمان مصر من الاستقلال فلما خيبوا أملها خلقت مسألة الاقليات بدون قيد ، وكلفت نفسها بدون اذنهم ، ان تبقى محتلة لمصر لاجل حمايتهم - هذه الدولة التي خلقت للعراق العربي شعبا أشوريا قضى عليه التاريخ منذ ألوف السنين فقلدته السلاح وحملته على مطالبة جمعية الامم بتأسيس دولة جديدة له في العراق ، لاجل العداء والشقاق، والتذرع به لابقاء العراق تحت سلطانها الى

يوم التلاق . ـ هذه الدولة التي مازالت تكيد للدولة العثمانية وتتوسل الى اسقاطها بالارمن والروم وغيرهم الى أن سقطت وزالت من الارض فحاولت القضاء على شعبيها الاسلاميين الكبيرين — العرب والترك — فحاولت حدثان الزمان دون الاجهاز على الشعب التركي ، ووجدت من حسين المكي وأولاده أقوى نصير للقضاء على الشعب العربي ، فلما سلط الله تعالى عليه شعباً شديد الاعتصام بالاسلام ، طرده من الحجاز في هذه الايام ، قامت جرائدهم تدعو بالويل والثبور ، وتنذر قومها الخطر الاسلامي العربي على ما سلبوا من بلاد العرب ان ينفلت من أيديهم

أيها المسلمون ؟ تأملوا الشواهد على صحة قولي هذا لعلكم تتفكرون : روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الى النبي (ص) قال « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدا ، ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » وروى الترمذي من حديث عمرو بن عوف مرفوعا اليه (ص) قال « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الاروية من رأس الجبل (١) ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبي للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي »

وملخص معنى هذه الاحاديث أن المسلمين سيطرأ عليهم الفساد بالبدع حتى يكون الاسلام نفسه غريبا فيهم ومحتاجا الى الاصلاح — وأنهم سيضطهدون بدينهم ولأجل دينهم ، حتى لايجدون ملجأ يعتصمون فيه لاقامته الا معقله الذي ظهر فيه غريبا وهو الحجاز ، فيكون فيه عزيزا قويا كعصم الوعول في شناخيب الجبال . ومن تمام التشبيه ان يستتبع ذلك ما استتبعه أولا من الملك والعمران (إن شاء الله)

أيها المسلمون : الى متى أنتم غافلون ، ان الدولة البريطانية ولية حسين بن علي المكي وأولاده من دون الله والمسلمين هي التي أخذت على نفسها القضاء على دين الاسلام في الشرق بعد القضاء على حكمه . وقد سلكت أقرب الطرق الى

(١) أرز : كعلم وضرب ونصر : تجمع وانكمش وعاد وثبت . والاروية بضم الهمزة وكسر الواو وتشديد الياء انثى الوعول وهي تعتصم في أعلى الجبال

ذلك وأقلها خسارة ونفقة ؛ وهو جعل الشعوب الاسلامية أسلحة لها تضرب بعضهم ببعض ، الى أن يهلك الجميع وتكون السيادة لها وحدها على بلادهم — وهي هي التي قاتلت المصريين باذن ولاة الامر من السلطان والخديو — وهي هي التي قاتلت السودانيين بالمصريين ، وهي هي التي قاتلت قبل ذلك بعض ملوك الشرق وأمرائه ببعض ولا سيما في الهند ، كما سترون في المنار من مقال للسيد جمال الدين الافغاني(١) الذي كان أول من نبه الشرق عامة والمسلمين خاصة لعداوتها — وهي هي التي قاتلت الترك بالعرب الذين خدعهم ملك الحجاز وأولاده حتى سلبت منهم أخصب بلادهم وقررت اعطاء البلاد المقدسة منها لليهود ، وجعلهم شعبا جديدا قويا بين مصر وسورية والحجاز ، يستعينون به على أهلها من العرب في حرمانهم من رقبة بلادهم وخيراتها — وهي هي التي ألقت العداوة والبغضاء بين امام اليمن والسيد الادريسي — وهي هي التي أغرت العداوة والبغضاء الموروثتين بين النجديين وأمراء الحجاز — وهي هي التي أطمعت طاغوت حسين بن علي بالخلافة الاسلامية وملك العرب كلهم تحت حمايتها ، وفي يدينا بعض الوثائق الرسمية في ذلك كله

أيها المسلمون: ان العقل وحالة الاجتماع العامة وتقاليد السياسة الانكليزية الخارقة كلها تؤيد معنى ما ورد في الحديث الذي صدقته وقائع التاريخ التي أشرنا اليها آنفا من ان الله لا يهلك المسلمين الا بقتال بعضهم لبعض

روى مسلم من حديث ثوبان (رض) قال قال رسول الله (ص) « ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها (٢) وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض . واني سألت ربي لامتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليها عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم(٣) وأن ربي قال لي يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد . واني أعطيتك لامتك ان

«١» نشر هذا المقال في ج ٧ و٨ وكان الوعد في الاهرام قبل صدورها
(٢) زوى الشيء يزويه جمعه وقبضه والمراد انه تعالى أطلعه عليها
«٣» يكنى بالبيضة عن موضع سلطة القوم وملكهم ومستقر قوتهم وما يحوونه من حقيقتهم

ان لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها – أو قال من بين أقطارها – حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا »

وقد ظهر صدق هذا الحديث في الفتح الاسلامي للشرق والغرب ، ثم في ذهاب ملك المسلمين كما أشرنا اليه آنفا في شأن بعض دول الشرق الاسلامي ومثله دول الغرب القديمة والحديثة فلولا تفرق أهل الاندلس وتعاديهم وتقاتلهم لما زالت دولتهم وورثها الاسبانيون ، ولولا مسلمو مراكش لما فتحت فرنسه الجزائر ثم لولا مسلمو الجزائر لما استولت فرنسة على مملكة مراكش

أيها المسلمون ! لا يكن أمركم عليكم غمة في مسألة زحف النجديين لانقاذ الحجاز من صنيعة الاجانب حسين المكي وأولاده . قد بينا لكم بالوثائق الرسمية حقيقة السبب الحامل للسلطان ابن سعود على ذلك وانه اسلامي محض لتأمين فريضة الحج ومنع الالحاد والظلم في الحرم وقطع عروق النفوذ الاجنبي في مهد الاسلام ، المانع من تنفيذ وصية المصطفى عليه الصلاة والسلام

وكذا منع حسين وأولاده مما صرح به رسميا من عزمه على اخضاع جميع حكومات جزيرة العرب لحكمه قبل ادعائه الخلافة فكيف يكون خطره بعد ادعائه حق الولاية العامة عليهم شرعا ؟

أرجف بعض الكتاب الذين يخدمون سياسة الانكليزية من طريق الحجاز بأن سلطان نجد يريد اكراه حسين بضغطه على توقيع المعاهدة العربية البريطانية ، فمتى خضع عاد جيش نجد أدراجه ، ورددت جرائد أخرى هذا الارجاف فظهر كذبهم

وارجفوا بأن ابن سعود ينفذ للانكليز في الحجاز ما لم ينفذه حسين وأنهم هم الذين أغروه بالاستيلاء على الحجاز ، فظهر كذبهم أتم الظهور بما نشرته صحيفة إرجافهم بمصر من برقيات لندن – أولا – من خبر الاتفاق بين ابن سعود ونوري باشا الشعلان رئيس قبائل الرولة على سماح الاول للثاني ببقعة الجوف بشرط منع الانكليز من مد سكة حديدية بين فلسطين والعراق – وثانيا – ببرقية التيمس

التي أرسلها اليها مراسلها من الاسكندرية الدالة بأن احتفال ابن سعود للحجاز ومواثبه الوقعة في البحر الأحمر يقضهم بخطر شديد !! وأنه يحمل معظم القبائل على الانضواء الى كنفه والسير تحت لوائه — وانه يرجح أن ينتقل من انقاذ الحجاز الى انقاذ شرق الاردن وفلسطين وكذا اليمن على احتمال

ثم ان هذا الانكليزي الغيور على الاسلام والعرب طعن في دين الوهابيين ومذهبهم ووصفهم بالتوحش وكراهة المدنية وأظهر خوفه وحذره من اكراههم غيرهم على اتباع مذهبهم وغيرتهم على اماكن مقدسة !! واستدل بهذا كله على انه يجب على الدولة البريطانية وهي أكبر دولة اسلامية (!!!) ان تبادر الى رد الوهابيين عن الحجاز قال « فتنقذ بذلك المعاهد المقدسة في الحجاز من ان تمسها يد الوهابيين بالتدمير والتخريب - وليس ذلك فقط - بل تزيل أيضا خطرا شديدا يهدد البلاد العربية ، وتقضي على عامل نقاق السلم في جزيرة العرب ، فاذا لم تزله زوالا تاما فانها تخفف من حدته كثيرا »

المعنى الصريح المراد من هذا الكلام أن انكلترة ترى من أعظم الخطر على سياستها في البلاد العربية أو الاسلامية أن يوجد في المسلمين أمير مسلم قوي ولا سيما اذا كان مسلما مؤمنا معتصما بدينه مؤيدا بشعب صادق الايمان كابن سعود وقومه ، لا يباع ولا يشترى بالذهب الانكليزي ولا بالالقاب الفخمة الضخمة كحسين وأولاده ، لان قوة مثل هذا تحول دون نجاح السياسة البريطانية في ازالة الاسلام من الارض من حيث هو دين سيادة وسلطان ، ثم في ازالته من الارض من حيث هو دين عقيدة وتدين ، ويستتبع ذلك احتمال انقاذ ما استعبدته من الشعوب الاسلامية والعربية .

ثم إن مراد كتاب الانكليز وصنائعهم بمصر من نشر هذه الاراجيف والتضليلات تمهيد السبيل لحمل المسلمين في مثل الهند ومصر وفلسطين وسورية على استقباح استيلاء الوهابيين على الحجاز ، وتمني اخراجهم منه فتتوسل الدولة البريطانية بذلك الى بذل قوتها لاجلائهم عنه خدمة للاسلام والمسلمين (! !)

لانها شديدة الحب لهذا الدين والايمان به ومسرة القلب بحب المسلمين كافة كما فعلت من قبل في احتلال أوطانهم ونبافيهم ونكرينا لدينهم (!!) وهل كان فتحها الصليبي للقدس الشريف واحتفالهم بذلك في جميع كنائسهم الا من آثار هذا العشق والغرام ؟ وهل تمليكها رقبة فلسطين لليهود الصهيونيين وتجديد ملك لهم في قلب بلاد العرب الا من عشق للاسلام والمسلمين كافة ، والعرب منهم خاصة (!!)

يظهر أن مدير التيمس ومراسل التيمس بمصر وأمثالهما لا يزالون يظنون كما يظن رجال الوزارة الخارجية البريطانية أن المسلمين لا يزالون كالبله يصدقون كل ما يقول الانكليز بدليل ان بعض أهل فلسطين وسورية والعراق لا يزالون يعظمون حسينا وفيصلا وعبد الله مع ظهور خياناتهم للامة العربية وجنايتهم على الدين الاسلامي

والصواب الذي يجب ان يعرفه الانكليز هو ان السواد الاعظم من المسلمين صاروا على الرأي الذي سمعته من حسني افندي أحد مشايخ الاسلام المتأخرين في الاستانة وهو: ان كل ما تقول دول أوربة لنا انه مفيد لكم فهو ضار بنا، وكل ما تقول لنا انه ضار بكم فهو نافع لنا ، فليرجع الساسة الانكليز عن هذه الوسائل السخيفة، للتنكيل بالامم الضعيفة ، مع ادعاء المقاصد الشريفة ، وليرجعوا عن مطامعهم التي لاحد لها فان ذلك خير لهم

أيها المسلمون : حسبكم ما بينا لكم من الدلائل في هذه المقالات وغيرها على مصاب الاسلام والعرب بهذا البيت الحجازي ووجوب تطهير الحجاز من جناياته على العرب والاسلام، وقد سخر الله لحرمه من أنقذه بأهون الوسائل فماذا يجب عليكم الان ؟ خذوا رأي أخيكم كاتب هذه المقالات الذي درس مسألة جزيرة العرب وأمرائها وسياسة الاجانب فيها بالعلم والعمل درسا طويلا عريضا عميقا في أكثر من ربع قرن وألخص ما يتعلق منه بموضوعنا في القضايا الآتية :

١ — ان أعظم جناية يجنيها مسلم على الاسلام والمسلمين والعرب السعي لاقرار سلطة علي بن حسين وابقائه ملكا على الحجاز فقد سنحت الآن الفرصة لاعظم إصلاح يمكن أن يقوم به المسلمون في مهد دينهم فاذا اضاعوها يخشى أن لا تعود

قد تولى امارة الحجاز كثيرون من هؤلاء الناس الذين يسمون شرفاء مكة في بضعة قرون فلم يخرج منهم مصلح في علم ولا عمل ولا ديانة ولا سياسة ولا ادارة، بل كان أكثرهم مفسدين ظالمين ، وأقلهم غير نافعين ولا ضارين ، والدليل على ذلك سوء حالة الحجاز في جميع هذه القرون، ورجوع بدوه الى شر مما كانوا عليه في الجاهلية، وكون حضره اسوأ حالا من جميع سكان المدن في البلاد الشرقية

وقد كان شرهم وأطمعهم وأشدهم إلحادا وافسادا للدين والدنيا حسين بن علي الذي لم يبلغنا أن أحدا من الامراء بغضه أهل ملته وذموه مثله . وهذا ولده قد سمي ملكا في أسوإ حال نصب فيها ملك في أمة أو بلد ينهزم أمام الفاتحين من مكان الى مكان ويستغيث بجميع أهل الملل والنحل من جميع الامم لينقذوه من هؤلاء الفاتحين ، ثم هو يقر حكومة والده الممقوتة برجالها كلهم ويبدأ أعماله السياسية بأمر وكيل والده في لندن بعقد تلك المعاهدة التي بين فسادها كتاب المسلمين في مشارق الارض ومغاربها

٢ — إنه لم يكن يوجد في الدنيا شعب اسلامي غير النجديين يمكنه انقاذ الحجاز من الخطر الذي كان محيطا به بعد احتلال الأجانب لفلسطين وسورية والعراق، واستيلائهم على سكة الحديد الحجازية من جانب العمران، وقد كان هذا البلاء المبين بمساعدة هذا البيت الحجازي . وها نحن أولاء نسمع ونقرأ ما يهدد الانكليز به الحجاز من عدم السماح لقوة اسلامية تؤسس فيه لئلا تكون خطراً على ما صاروا يعدونه ملكا لهم من بلاد العرب التي يزعم حسين وأولاده أنهم أنقذوها (فلسطين وشرق الاردن والعراق)

ولا يخفى عليكم أن مقتضى القاعدة السياسية الانكليزية وجوب الاستيلاء التام على الحجاز واحتلاله بالقوة العسكرية ان لم تكن تحت الاشراف البريطاني لاجل الامن على المواصلات البريطانية بين فلسطين والعراق

٣ — اعلموا أنه لا توجد حكومة اسلامية غير حكومة نجد تقدر الآن على حفظ الامن في الحجاز ومنع التعدي على الحجاج ، ثم على اصلاح حال قبائل

الاعراب فيه ومنعهم من الغزو لمجرد التعدي أو الكسب والنهب ، فيجب أن يعضدها جميع العالم الاسلامي ، وسيرون صحة قولي في هذا كما رأوه في غيره ولاسيما الارجاف الاخير بالخوف على الكعبة المشرفة أن يهدمها الوهابيون أو يمزقوا استارها ، وأمثال هذه الاكاذيب التي كان يذيعها الانكليز ومروجو سياستهم الحجازية في مصر وسورية فقد دخلوا مكة كما دخلها أجدادهم في فجر القرن العشرين معتمرين فطافوا بالكعبة المعظمة وقبلوا الحجر وصلوا سنة الطواف ثم الفريضة وآمنوا جميع الاهالي من كل اعتداء فلم يعتدوا على احد ، وسيلغون جميع الضرائب والمغارم التي أرهق حسين بها الناس . ولما علم ذلك عاد الذين كانوا فارين من مكة الى جدة من الطريق ولابد أن يكون جميع الذين فروا الى جدة قبل ذلك قد ندموا لتصديقهم الملك السابق والملك اللاحق بأن الوهابية سيمزقون أشلاءهم، ويبقرون بطون نسائهم، ويقطعون أعضاء أطفالهم على مرأى منهم ، ثم ينهبون جميع ما يملكون . . .

٤ — انه لا يليق بالاسلام، ولا ببيت الله الحرام ، أن يكون في مكة وهي البلد الامين، والمعبد الاعظم للمسلمين، ملك قاهر مستعل على الناس يقتل ويسجن ويعذب ويفرض الغرامات ويعادي جيرانه ويقاتلهم ، بل يجب أن يكون فيها حكومة يديرها مجلس شرعي منتخب من خيار علمائها وعلماء الشعوب الاسلامية الاخرى ويكون لهم رئيس يختارونه من أنفسهم في كل سنة ولا يكون لاي فرد من الافراد أن يستبد بأي أمر في حرم الله برأيه

٥ — يجب أن يكون الحجاز قطراً على الحياد لا يقاتل ولا يقاتل ولا يكون لاحد من الاجانب غير المسلمين نفوذ فيه ولا حق سكنى ولا ملك ولا حماية أحد من الحجاج ولا من غيرهم . ولا يوجد مسلم يعرف دينه يرضى أن يكون بلد الله الامين تحت حماية حاكم غير مسلم أو يجعل نفسه ذريعة لتدخله في شؤونه ، واهانته لحكومته الاسلامية . واذا كان قد عهد من أجهل المسلمين التابعين لدول غير اسلامية الصبر الجميل على ظلم أمراء مكة القبيح ولم يستحلوا أن يشكوا ذلك لحكوماتهم فكيف يكون شأنهم اذا صارت حكومة الحجاز

شرعية شورية لا استبداد فيها ولا مجال الاستبداد

٦ — يجب أن يكون الحجاز مهد العلم والصلاح والاصلاح . وقد ألفت في القاهرة جمعية اسلامية عامة للسعي لما يجب من تأمينه وحياده السلمي باعتراف جميع الدول ومن الاصلاح فيه اسمها (جمعية السلم العام في بلد الله الحرام) وستعلن الدعوة اليها

٧ — ان ما أشرنا اليه ونقلنا بعضه في المقالة الرابعة من أقوال سلطان نجد وبلاغي نجله وما لدينا من الاطلاع الخاص يعطينا اعتقادا جازما بأن السلطان عبد العزيز بن سعود يقبل بكل ارتياح أو يدعو الى عقد مؤتمر اسلامي في مكة المكرمة يؤلف من خواص مسلمي الشعوب الاسلامية للبحث وتقرير النظام الذي أشرنا اليه ، كما أنه سيرسل وفدا من علماء نجد لحضور مؤتمر الخلافة الذي سيعقد في مصر ، فهل كان أحد من المسلمين يطمع في شيء من هذا قبل انقاذ هذا الرجل العظيم للحجاز من قبضة الطاغوت ؟

المقالة السادسة (*)

﴿ ماذا يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية وقبة الحرم الشريف ﴾

كثر المثنون علينا من قراء هذه المقالات من العلماء والفضلاء قولا وكتابة على ما بينا لهم من الحقائق ، مؤيدة بالدلائل والوثائق ، كما كثر طلاب (الهدية السنية ، والتحفة الوهابية النجدية) حتى صارت تطلب من الاقطار البعيدة ، ووزعت منها ألوف عديدة ، وكثر السائلون لنا عما يشتبه عليهم من هذه الرسالة ومن أقوال الجرائد ، فأما من يلقوننا منهم فاننا نجيب كل سائل بقدر ما يتسع الوقت ، وأما الذين يكتبون الينا منهم فنعتذر لهم ، بأننا لا نجد وقت فراغ من أعمالنا الضرورية نصرفه في الكتابة لهم وان كنا نعتقد أن الكتابة مفيدة لمن أراد أن يستفيد

(*) نشرت فى الاهرام بتاريخ ٢٦ ربيع الأول و٢٥ اكتوبر

ومن الاسئلة الكتابية سؤال أرسل الينا من طريق جريدة الاهرام هو أجدرها بأن لا يجاب عنه ، وان كان مرسله مستعجلا لا صبر له ، إذ هو يسأل عما يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية اذا هم فتحوا مكة والمدينة ، ويقيم عليهم الحجة اذا هم فعلوا ما زعم أنهم يدينون الله تعالى به واذا هم لم يفعلوا على سواء . فأنا لا يعنيني أن أبحث في أمر المستقبل وما عسى أن يفعل الوهابية فيه، ولا يعنيني أن يخطيء القوم في أمر فتقوم به عليهم الحجة ! ومتى فعلوا شيئا يعلم السائل وغيره ذلك، وهم على تشددهم في الدين غير معصومين، فان وقع منهم خطأ فقد وقع ممن هم خير منهم كالصحابة الذين قتلوا جماعة أسلموا بأمر خالد بن الوليد (رض) لانه لم يثق باسلامهم فلما أخبر النبي (ص) بأمرهم قال « اللهم أبرأ اليك مما فعل خالد ، اللهم إني أبرأ اليك مما فعل خالد » رواه البخاري وغيره

ولكنني وجدت باعثا دينيا دعاني للاجابة عن هذا السؤال الذي هو غير جدير بالاجابة عنه لذاته ، وهو أن أبين للجماهير من الناس الذين لم يطلعوا على كتب السنة أصح ما ورد في هذا الباب، مع فوائد أخرى تتعلق بما في السؤال من الاحتجاج، اقتداء بما ورد في آخر كتاب العلم من صحيح البخاري في (باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله)

وهذا نص السؤال :

السلام عليكم ، وبعد : أرأيتك يا أستاذ ، لو تم للاخوان الوهابيين فتح مكة والمدينة ، أيهدمون قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، أعني يحطمون ما حوله من بناء وما فوقه من قباب ، اذ أنهم يدينون بتحريم ذلك ، ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها . . . . ؟

وهل لا يغضب العالم الاسلامي لمثل ما يأتون اذا حصل . . . ؟ واذا راعى الاخوان في ذلك شعور العالم الاسلامي وتحاشوا تلك الاعمال عند هذا المقام ، فما معنى تلك الاسطر الكثيرة التي خطوها في هذا الباب ؟ أو هل كان النص تنقطع سلسلة اتباعه هنا ، فهو مقصور على قبر غير النبي (ص) . . . ؟

عجل ياسيدي باجابتي وتقبل جميل احترامي الخاص

محمد ابراهيم خليل ببولاق

جواب السؤال :

(١) الذي نظنه أن الوهابيين لا يهدمون الحجرة التي فيها القبر الشريف وما قاله السائل من أنهم يدينون لله تعالى بتحريم ذلك البناء ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها — فيه نظر فان البدع المخالفة لصريح السنة هي اتخاذ القبور مساجد بأن يدفن الميت في المسجد أو يبنى المسجد على القبر.. كما يعلم مما يأتي . وقبر النبي صلى الله عليه وسلم منفصل من المسجد في بناء وحده كان بيت زوجه عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فالذي يصلي في المسجد لا يعد مصليا الى القبر ، واذا كان بعض الناس يدخل الحجرة الشريفة فيصلي الى القبر يسهل منعه

وقد استولى القوم على الحرمين الشريفين في فجر القرن الثالث عشر الهجري (الموافق لاول القرن التاسع عشر الميلادي) ولم يهدموا الحجرة الشريفة، ولكن روى بعض المؤرخين أنهم ازالوا من فوق قبة الحرم النبوي الشريف ما كان من شكل الهلال والكرة المذهبين، وانه كان من مرادهم هدم القبة ولكن سقط اثنان من الفعلة الذين صعدوها لازالة الكرة والهلال الذهبيين فماتا فامتنعوا من هدم القبة لذلك ، والمعلوم قطعا أنهم لم يهدموا بنية الحرم ولم يحدثوا ابتداء ولا تغييرا في القبر الشريف ، وربما كان نزع الكرة و الهلال لاعتقادهم أنهما من الذهب فرأوا أن الانتفاع بهما في خدمة الدين التي يعتقدون القيام بها أولى من وضعها فوق القبة . على أن هذا الزخرف في بناء المساجد ليس من الدين في شيء بل هو من البدع التي تفاخر بها الملوك فأنكرها عليهم بعض العلماء وسكت عنها بعضهم خوفا منهم، أو لانهم عدوا الكثير منها من البدع الدنيوية التي لا تمس العقائد ولا العبادات . ثم ابتدع هؤلاء الملوك بناء المساجد على قبورهم فكانوا يوصون بذلك فينفذه أخلافهم . وهو محرم بالنصوص الصحيحة الصريحة فأنكره قليل من العلماء الربانيين ، وسكت عنه الآخرون خوفا من شرهم ، أو طمعا في برهم ، كما يعلم من

الشواهد التي نزيدها على جواب السائل الفاضل

(٢) ان العالم الاسلامي يغضب أشد الغضب ان هدموا القبة الخضراء أو شيئا من جدران الحجرة الشريفة لان هذه المظاهر الفخمة والزخارف الجميلة تعد في عرف جميع العوام وكثير ممن يسمون الخواص من قبيل شعائر الاسلام، والمشعر الحرام، بل هي عندهم أفضل من الركن والمقام، واهم من الصلاة والصيام، ومنهم من يذهب الى الحجاز لاجل الزيارة ولا يخشع لا لرؤية هذه المباني الفخمة. فاذا كان في ازلة شيء منها مصلحة من بعض الوجوه كالرجوع في الامور الدينية وما يتعلق بها الى مثل ما كانت عليه في عصر السلف والتمييز بين ما هو مطلوب شرعا وما هو محذور أو غير مطلوب — فان فيه مفسدة أكبر والحال في أكثر البلاد الاسلامية على ما ذكرنا حتى صح فيها ما تنوه به خطباء المنابر من تحول المعروف منكرا والمنكر معروفا. ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح بشرطه المعروف عند العلماء

(٣) اذا راعى الاخوان شعور العالم الاسلامي في ترك بعض المنكرات المتفق على حظرها على حالها درءا للمفسدة، و تقاءا غير الكثيرين عن الاصلاح المقصود من انقاذ البلاد المقدسة، يكون عملهم هذا موافقا للشرع، وقد علمنا مما دار في مؤتمر الشورى في عاصمة نجد أن العلماء أفتوا السلطان بجواز تأخير أداء فريضة الحج في الموسم الاخير اذا كان يترتب على أدائه مفسدة راجحة ووجود الحجرة النبوية نفسها ليس من المنكرات بل من المعروف المتواتر خبره في كتب السنة كالمسجد النبوي وانما تغيير شكل البناء، وأمره هين لا يذكر مع تركهم للحج خوفا من المفسدة

ومن دلائل السنة على هذه المراعاة بهذا القصد ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة (رض) أن النبي (ص) كان كارها لما عليه بناء قريش للكعبة متقصرة من جهة الشمال عن قواعد جده ابراهيم (عليهما وآلهما الصلاة والسلام) ومن جعل بابها مرتفعا ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا، وأنه كان (ص)

يود لو نقضها فأعاد بناءها على أساس ابراهيم وجعل لها بابين لاصقين بالارض ليدخل كل من أراد من باب ويخرج من الآخر . وما منعه من ذلك لا حداثة عهدهم بالكفر والجاهلية كما صرح به لعائشة والحديث في ذلك مكرر في الصحيحين وغيرهما ، فاذا كان المعصوم (ص) خاف أن تنكر قلوب حديثي العهد بالشرك من المؤمنين هدمه للكعبة و بناءها على أتم وأفضل مما بناها عليه المشركون فمراعاة الاخوان مثل ذلك يعد عملا شرعيا

الزيادة على الجواب :

اذا أراد السائل وأمثاله نصا عن الائمة الائمة المجتهدين في هذه المباني الفخمة والزينة في الحرم النبوي الشريف فليراجع ما قاله العلامة الشاطبي في كتابه الاعتصام في بحث الشروط التي تشترط لعد البدع من المعاصي الصغائر كبائر حتى اذا ما بلغ الشرط الثالث وهو «أن لا تفعل البدعة في المواضع التي هي مجتمعات الناس والمواضع التي تقام فيها السنن وتظهر فيها أعلام الشريعة» يجد من الدلائل على هذا الشرط مانصه :

« قال أبومصعب قدم علينا ابن مهدى فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف فلما سلم الامام رمقه الناس بابصارهم ورمقوا مالكا (هو الامام مالك ابن أنس) وكان قد صلى خلف الامام فلما سلم قال من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان فقال خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه . فحبس ، فقيل له انه ابن مهدي (أي قيل لمالك ان هذا الذي حبس هو عبدالرحمن بن مهدي الامام المشهور وهو من أقران مالك في الحديث) فوجه اليه وقال له : ماخفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه وأحدثت في مسجدنا شيئا ماكنا نعرفه ؟ وقد قال النبي (ص) « من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه ان لا يفعل ذلك في مسجد النبي (ص) ولا في غيره . وفي رواية ان عبدالرحمن بن مهدى اعتذر بانه ثقل عليه رداؤه من شدة الحر فوضعه ولم يقصد مخالفة من مضى . أي في عدم

إحداث شيء جديد في مسجده (ص)

فاذا كان امام دار الهجرة يرى أن من مخالفة الحديث الشريف الذي رواه هو ومن بعده من أصحاب الصحاح والسنن ان يضع المصلي رداءه أمامه لان هذا لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم، وكل مالم يكن في عهده يصدق عليه انه إحداث وابتداع فيه يستحق صاحبه تلك اللعنة الشاملة المحيطة فما القول عنده في سائر الاحداث؟

والامام مالك متفق على جلالته واجتهاده ويلقبه بعض المحدثين حتى من غير المالكية بالامام الاعظم، ولكنه لو خرج اليوم من قبره، وأراد أن يجعل المسجد النبوي كما كان في عصره لرجمه جماهير المسلمين بالحجارة وفي مقدمتهم أتباع مذهبه من المغاربة والسودانيين والمصريين

نكتفي بهذا القدر من الزيادة الآن وسنذكر في المقال المتمم لهذه الفتوى بعض الاحاديث المحتج بها في أحكام القبور والمساجد واقوال بعض كبار الفقهاء من غير الحنابلة لان هذه فرصة تنبهت فيها الاذهان للتمييز بين السنن والبدع]

﴿ المقالة السابعة ﴾

القبور ومساجدها وقبابها

قد عم الجهل بالاسلام حتى صار ألوف الالوف من المسلمين جنسية لا هداية يعدون بعض الحق من عقائده وآدابه وأحكامه باطلا، والباطل من البدع المحدثة فيه حقا، وسبب هذا اهمال التعليم الديني والارشاد الاسلامي، وترك فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فانقلب الامر وانعكس الوضع، فصار الكثيرون يعدون كثيرا من المعروف منكرا ومن المنكر معروفا حتى في الامور المتعلقة بصحة الايمان

ولما فشت البدع ورسخت صارت مألوفة وعز على المشتغلين بالعلم أن يطبقوا على أصحابها أحكام الشرع في أحكام الردة والخروج من الاسلام وأحكام ورد

(١) نشرت في جريدة الاهرام بتاريخ ٢٩ ربيع الاول و ٢٨ اكتوبر

الشهادة ثم صار بعضهم يتأول لهم ولو بالتمحل البعيد عن النقل والعقل

لهذا اضطرب الناس في الاصلاح والتجديد للدين الذي قام به الشيخ محمد عبد الوهاب الحنبلي السلفي في نجد وأولاده وأحفاده وتلاميذهم بتأييد أمراء نجد سعود وآل سعود لانهم أقاموا أحكام الاسلام بالعلم والعمل والتأييد بالحكم النافذ — فرأى أمراء الحجاز المفسدون مجالا واسعاً لاتهامهم بتكفير المسلمين واستباحة دمائهم — ووافقتهم الدولة العثمانية يومئذ على ذلك لاماتة ذلك الاصلاح لئلا يفضي الى تأسيس دولة عربية قوية في بلاد العرب ، مع أن الدولة كانت تعد فرق الباطنية كالنصيرية والاسماعيلية والدروز مسلمين اذ كانت أبعد الحكومات الاسلامية عن التكفير وعن مقاومة البدع، الا ان يكون لاجل السياسة كقتالها للايرانيين ، وكل من هذا وذاك دوران مع السياسة يدل عليه أن الشعب التركي يثني على الوهابيين اليوم وتتمنى جرائده لهم الفوز بالاستيلاء على الحجاز لان الحجاز قد خرج من دائرة دولتهم وكان المتغلب عليه عدوا لهم

أشهر ما اشتهر من اصلاح الوهابيين الذي سماه الجاهلون بدعة أو مذهبا جديدا أو دينا محدثا منع البدع والمعاصي المتعلقة بقبور الانبياء والاولياء وأهل البيت . وانا ننشر للجمهور الآن بعض ما ورد في ذلك من الاحاديث النبوية وأقوال بعض الفقهاء المشهورين من المجتهدين والمنتمين الى المذاهب المشهورة ليميزوا به الحق من الباطل والهدى من الضلال

جاء في كتاب الزواجر للفقيه الشهير احمد بن حجر الهيتمي الشافعي المولود بمصر سنة ٩٠٩ والمتوفي بمكة سنة ٩٧٣ — ما نصه :

﴿ الكبيرة ٩٣—٩٨ ﴾

(اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها والصلاة اليها)

أخرج الطبراني بسند لا بأس به عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : عهدي بنبيكم قبل وفاته بخمس ليال فسمعته يقول « انه لم يكن نبي الا وله خليل

من أمته وان خليلي أبو بكر بن أبي قحافة ، وان الله اتخذ صاحبكم خليلا ، ألا وان الامم قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد واني أنهاكم عن ذلك ، اللهم اني بلغت » ثلاث مرات ، ثم قال « اللهم أشهد » ثلاث مرات الحديث . والطبراني « لا تصلوا الى قبر ولا تصلوا على قبر » (١) واحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ومسلم « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » واحمد « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » واحمد وابو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم « الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام » والشيخان وابو داود « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » واحمد عن أسامة واحمد والشيخان والنسائي عن عائشة وابن عباس ومسلم عن أبي هريرة بمعناه (٢) واحمد والشيخان والنسائي « أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وابن حبان عن أنس « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الى القبور » واحمد والطبراني « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد » وابن سعد « الا أن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وعبد الرازق « ان من شرار الناس من يتخذ القبور مساجد » وأيضا « كانت بنو اسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلعنهم الله تعالى (٣) ثم قال المصنف بعد سرد هذه الاحاديث :

﴿ تنبيه ﴾ عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه

(١) كل ما وضع بين هذه العلامة « » فهو حديث نبوي شريف

« ٢ » وفيه زيادة « والنصارى » وكان ذكر له (ص) كنيسة في الحبشة فيها صور الخ ٣) هذه الجملة من كلام عائشة قالتها بعد رواية لعنه (ص) لمن اتخذوا القبور مساجد تعليلا للعن

أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الاحاديث ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجداً منها واضح لانه لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ، ففيه تحذير لنا كما في رواية : « يحذر ماصنعوا » أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك فيلعنوا كما لعنوا . واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو اليه وحينئذ فقوله « والصلاة اليها » مكرر ، الا أن يراد باتخاذهامساجد الصلاة عليها فقط (١) .

« نعم انما يتجه هذا الاخذ ان كان القبر قبر معظم من نبي أوولي كما أشارت اليه رواية « ان كان فيهم الرجل الصالح » ومن ثم قال أصحابنا : تحرم الصلاة الى قبور الانبياء والاولياء تبركا واعظاما فاشترطوا شيئين : أن يكون قبر معظم وأن يقصد بالصلاة اليه ومثلها الصلاة عليه التبرك و الاعظام . وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الاحاديث المذكورة لما علمت ، وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كايقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح في الحديث المذكور آنفا بلعن من اتخذ على القبر سرجا فيحمل قول أصحابنا بكراهة ذلك على ما اذا لم يقصد به تعظيما وتبركا بذي القبر

« وأما اتخاذها أوثانا فجاء النهي عنه بقوله (ص) « لا تتخذوا قبري وثنا يعبد بعدي » أي لا تعظموه تعظيم غيركم لاوثانهم بالسجود له أو نحوه (٢) فان أراد ذلك الامام بقوله : واتخاذها أوثانا — هذا المعنى اتجه ماقاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه ، وان أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد . نعم قال بعض الحنابلة قصد الصلاة عند القبر متبركا به عين المحادة لله و رسوله وابداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجماعا فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجدا أو بناؤها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك اذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن فاعله

---

(١) المتبادر بقرينة فعل أهل الكتاب ان منه بناء المساجد عليها وجعلها منسوبة اليها كما وضحه صلى الله عليه وسلم بقوله « اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح » الخ

(٢) أي كالطواف به كما صرح به المؤلف آنفا ومثله التمسح به او بقفصه للتبرك أو الاستشفاء

وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضر من مسجد الضرار لانها أسست على معصية الرسول (ص) لانه نهى عن ذلك وأمر (ص) بهدم القبور المشرفة . وتجب ازالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى (راجع صفحة ١٦١ — ١٦٣ من الزواجر المطبوع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣)

وقد أشار بقوله أن النبي (ص) أمر بهدم القبور المشرفة الى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه وغيره عن أبي الهياج الاسدي قال : قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته . قال الامام النووي في شرحه لهذا الحديث: قال الشافعي في الام : ورأيت الائمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى . ويؤيد الهدم قوله « ولا قبرا مشرفا الا سويته » اه

فهل كان ابن حجر والنووي قبله والامام الشافعي قبلهما من الوهابية ؟ وهل كان أئمة المسلمين بمكة في عصر الشافعي أعلم واهدى أم طاغوت الحجاز في عصرنا حسين الذي أمطر الخافقين برقيات في الطعن على الوهابية بهدم قبر ابن عباس (رضي الله عنهما)

ان أمر النبي (ص) لعلي كرم الله وجهه حين أرسله الى اليمن بطمس التماثيل وهدم القبور المشرفة وتسويتها بالارض - ثم أمر علي عامله أبا الهياج الاسدي بذلك وعمل أئمة المسلمين بذلك في خير القرون كان لسد ذريعة تعظيم القبور تعظيما دينيا اذ هو من أعمال الشرك ، فهل ننكر هدمها وهدم القباب والمساجد التي عليها بعد ما وقع المحذور ، وارتكب المحظور ؟

حدثني الشريف محمد شرف عدنان باشا حفيد الشريف عبد المطلب الذي كان أعقل رجل في شرفاء مكة أنه رأى رجلا في مسجد ابن عباس بالطائف يصلي مستقبلا القبر مستدبرا القبلة فظن أنه أعمى قد أخطأ القبلة فأخبره بذلك وجاء ليحوله الى القبلة فرآه بصير العينين وأبي أن يتحول معه فعلم أنه متعمد فقال لبعض الخدم : أخرجوا هذا المشرك من المسجد

فالامر المشاهد الذي لا شك فيه أن هذه القبور المعظمة تعظيما دينيا لم يأذن به الله قد كانت سببا لمنكرات كثيرة أخرى منها هو شرك صريح لا يحتمل التأويل ومنها ما يحتمله احتمالا قريبا أو بعيدا، ولكن لا يجوز أن يجعل الاحتمال مسوغا للسكوت عنه واقرار أهله عليه وانما قد يجوز ذلك في درء الكفر عن شخص معين — ومنها ما هو معصية كبيرة ومنها ما هو صغيرة وكلاهما كثير جدا لا خلاف بين المسلمين فيه ولا في أن استحلال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كفر وخروج من الملة . وقد فصل العلماء الناصحون ذلك في كتب كثيرة أشهر المطبوع منها كتاب المدخل للعلامة ابن الحاج المالكي الفاسي المتوفي في مصر سنة ٧٣٧ ومما ذكره أن العلماء أفتوا بهدم بنيان البيوت التي على القبور (الاحواش) كما في الصفحة ٢٧٤ من الجزء الاول وفصل المفاسد الموجبة لذلك

وقال الامام الشوكاني المجتهد في شرح حديث أبي الهياج الاسدي من كتابه (نيل الاوطار) ما نصه : «ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا القبب والمشاهد المعمورة على القبور وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي (ص) فاعل ذلك كما سيأتي . وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الاسلام (منها) اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للاصنام ، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر ، فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجح المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم ،وشدوا اليها الرحال ، وتمسحوا بها واستغاثوا . وبالجملة فانهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالاصنام لا فعلوه ، فانا لله وانا اليه راجعون

«ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالما ولا متعلما ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا .وقد توارد الينا من الاخبار ما لا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من قبل خصمه حلف بالله فاجرا فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق وهذا من أبين الادلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال أنه تعالى ثاني اثنين و ثالث ثلاثة

«فياعلماء الدين ، و ياملوك المسلمين ، أي رزء للاسلام أشد من الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله تعالى ؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأي منكر يجب انكاره ان لم يكن انكارهذا البين واجبا ؟ اه المراد منه (ص ٢٣٤ ج ٣ من نيل الاوطار المطبوع بالمطبعة الاميرية بمصر)

وللامام الشوكاني هذا رسالة خاصة في هذا الموضوع نشرت في المجلدالثاني والعشرين من المنار ، وللعلامة المحدث محمد بن اسماعيل الوزير رسالة في معناها اسمها (تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد) نشرت في المجلد الثالث والعشرين منه — وقد طبعناها على حدة ـ وقدذكر الاخير شبهة بعض الناس في قبةالمسجد النبوي الشريف بعد أن بين أن مبتدعي بناء القباب والمساجد على القبور هم ملوك الاعاجم الجاهلون فقال :

« فان قلت: هذا قبر رسول الله (ص) قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الاموال (قلت)هذا جهل عظيم بحقيقة الحال ، فان هذه القبة ليس بناؤها منه(ص) ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ، ولا من علماء أمته وأئمة ملته ، بل هذه القبة من ابنية بعض ملوك مصر المأخرين وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨ ذكره في (تحقيق النصرة،بتلخيص معالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الاول» اه

فقد علم القراء بهذا النقول أن الوهابية لم يبتدعوا في هـذا الامر بل اتبعوا الادلةوأقوال الائمة من المحدثين والفقهاء المنتمين الى المذاهب المشهورةلامذهبهم الحنبلي فقط بعد ترك الجماهير لها (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

واننا ندعو بالخير لمن سأل فكان سبب هذا البيان ، وقد بعثنا ما علمنا به أننا أخطأنا في فهمنا أنه أراد به الاحتجاج ، والنية حسنة ولله الحمد في كل حال.

من الخرافات الى الحقيقة *)

« ١١ »

﴿ الجمعيات السرية ﴾

ان الفتوحات التي ابتدأت في زمان الخلفاء الراشدين وعظمت في زمان الامويين ، واستولى المسلمون على ايران ومصر والشام وافريقية الشمالية . ولكن هذه الفتوحات كانت اقليمية لاقلبية ، نعم ابدلت الحكومات وزالت الدول الا أن العقائد الراسخة منذ أجيال بقيت كما كانت ، لان تبديلها ليس هينا (١)

ثم كان بين الذين أسلموا أناس كان اسلامهم لمقاصد سياسية فكانوا يريدون إماتة الديانة الاسلامية ويتوسلون الى احياء عقائدهم بابرازها بثوب اسلامي جديد ، وفي أواخر أيام العباسيين ظهر أناس بعضهم ملحد راسخ في الالحاد وبعضهم فارسي « زردشتي » وبعضهم من أتباع « ماني » أي نصفه مجوسي ونصفه مسيحي وحصروا الشؤون العامة في أنفسهم

وكان أكثر الناس غافلين عن كل شيء ، ومستعدين لتصديق كل شيء ، اذا صادفت الجماعة منهم رجلا صالحا قادها الى طريق الهداية ، واذا صادفت آخر طالحا خرجت معه عن جوهر الدين بدون أن تشعر ، وكان « تصديق » كل ما يسمع من أمارات الامتياز في تلك الاوقات ، فكل فكر اسند الى آية ولو لم تكن موجودة ، أو أسند الى حديث موضوع ، أو أي كتاب مجموع ، كان ذلك يقبل بغير تفكر ، ويتبع بدون تدبر

وثم أسباب أخرى لميل الناس لكل جديد . وهو ظلم الامراء . فكان

---

*) تابع لماسبق من الكتاب المترجم عن التركية « راجع ص ٤٤٤ م ٢٥ »

(١) المنار : الحق أن الاسلام قضى على جميع العقائد القديمة في عقول اكثر الناس وقلوبهم لظهور بطلانها في نوره المتألق ولكن اكثر الاعاجم لم تفهم القرآن كما فهمه العرب وانما فهمه منهم حق الفهم من تلقوا اللغة عن أهلها في الصدر الاول وكان الأكثرون قابلين لكل بدعة فيه

الناس بميلهم الى الجديد يرجون خلاصاً من الظلم الواقع

ثم أن كثرة المذاهب الدينية التي يكفر أصحابها بعضهم بعضا أزالت هيبة الدين وقللت من احترامه في نظر الناس . هذه هي الحالة الذهنية التي تقدمت نشر مذهب الباطنية

الباطنيون

كان ظاهر عملهم بذل الجهد لاحياء مذهب الاسماعيلية الذي هو من مذاهب الشيعة ، والحقيقة أنهم كانوا يقصدون احياء اساطير وخرافات قديمة يكتمونها عن المتدنيين — فان مؤسسي هذه الفرقة لم يكونوا مسلمين الا فعلا ولا اسماً . والصحيح أنهم كانوا مجوساً .

منهم (عبدالله بن ميمون بن القداح) عقد مرة مجلساً وخطب فيه فقال : « ان المسلمين فتحوا بلادنا ، وأزالوا دولتنا ، ان الانتصار عليهم في الحرب والقتال أصبح مستحيلا ، وانما الدافع في جهادنا لهم أن نقطع اواصر الاتحاد التي بينهم ، ونشوش عليهم أمورهم ، ونوقعهم في بحر الارتباك ، فحينئذ ننال منهم ما نبغي : نحرف الاسلام بتأويل نصوصه ، ونعجس المسلمين من حيث لا يشعرون ليخربوا بيوتهم بأيديهم إذ بهذا وحده يمكن أن تدال الدولة للفرس ويعيدوا دينهم ودولتهم الى سابق مجدها

وكان عاقبة التشاور في ذلك المجلس انتخاب عبد الله بن ميمون منفذاً لهذه الخطة وكان ابن ميمون يعلم كنه الاخطار التي تظهر أمام من يريد نشر مذهب جديد . فاختار لذلك طريق الدسائس السرية ، وكان عالما بمذهب (زردشت) واقفا على أصوله وفروعه ، وكان له نصيب من العلوم الطبيعية ، والاحوال الروحية ، لذلك بدأ يحرض الناس على الظلم والظلمة وينفرهم من الاستبداد والمستبدين. فجمع حوله جماً غفيراً . وكان يجذب قليلي الدين بمقدمات فلسفية ، ويجذب الشيعة بالامام الموهوم المستتر، وأهل السنة بالمهدي المنتظر ، ويخلب أفئدة اليهود بالمسيح الموعود، كل هذا لاجل إعادة سلطنة إيران الزائلة

بذل ابن ميمون هذا مساعي جمة لنيل المرام . وكان موفقاً بالنجاح . ثم مات وخلفه ابنه (احمد) فواظب على خطة أبيه وعند ما ظهر (حمدان القرمطي)

وجد الجو مناسباً جدا لامتلاء أفكار الناس بعقائدهم

أهل العراق كانوا مظلومين من قبل الحكومة ظلما شديداً ولذلك كانوا ميالين لكل ما يظهر من جديد وكانت الضرائب كثيرة جدا والعسرة المالية شديدة على الشعب، وعندما ظهر القرامطة ومذهب حمدان القرمطي الذي يقتضي اشتراك الناس بالاموال هرعوا اليه وقبلوا دعوته بدون مناقشة

عندئذ شرع الباطنيون يحرفون القرآن الكريم بالتأويل ويقولون ان له معنى ظاهر للعوام ومعنى باطن للخواص وهو المقصود بالذات، لان الظاهر هو القشر والباطن هو اللب، وظاهر القرآن الكريم يحمل الانسان واجبات أخلاقية واجتماعية ودينية كثيرة ومن أوامر ونواهي كثيرة وهذا مركب صعب لا يذلل، وبما أن باطن القرآن يقتضي ترك ظاهره طفقوا يفسرونه تفسيرا غريباً

كانوا يقولون ليس من شؤوننا البحث عن صفات الله وهل هو موجود أو معدوم، وعالم أو جاهل، خلق الله العقل قبل كل شيء ثم بواسطة العقل خلق النفس وبما أن النفس مشتاقة لكمال العقل احتاجت الى الحركة، والحركة تحتاج الى آلات ولذلك خلق الاجرام الفلكية وتدبير النفس تحرك الاجرام الفلكية حركة دورية وتأثير ذلك النباتات والمعادن وأنواع الحيوانات

أفضل الحيوانات الانسان لان بينه وبين العالم العلوي رابطة من دونها وعندما يرتقي الانسان الى مرتبة العقل ترتفع عنه التكاليف والسنن ويستغني عن الاشتغال بالعبادات

الرسل عند الباطنية سبعة آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ومحمد المهدي (١) وبين كل رسولين سبعة أئمة والواجب على الامام إكمال نواقص الرسول الذي تقدمه ولا يخلو عصر من امام

لهذا المذهب مراتب مختلفة: (١) امام (٢) حجة (٣) ذو مصة (٤) باب (٥) داع (٦) مأذون (٧) مكلب (٨) مؤمن

(١) المنار: وكان تأثيرها هادمة لسدة الرابطة الاسلام... آخر بعد ختم النبي من رواج دعوة البابية والبهائية ثم الاحمدية القاديانية فهؤلاء ابتدعوا نبوة جديدة واولئك ابتدعوا ألوهية جديدة

الامام عندهم : هو غاية الادلة ومؤدي الله ، والحجة هو مؤدي الامام والحائز لعلم الامام ويحتج بذلك المعلم

ذو المصة : هو الذي يأخذ العلم من الحجة أبواب: هو المأمور بتعلم الفكرة.
الداعي نوعان: داع أكبر وداع مأذون فالاول هو الذي يعين درجات المؤمنين والثاني هو الذي يقبل أهل الظاهر، ويدخلهم في عداد أهل الباطن و يأخذ عهدهم وميثاقهم
المكلب : هو الذي يدخل بين أهل الظاهر ويعرف أحوالهم والذي يعرضها على الداعى . المأذون المؤمن: هو الذي دخل في جمعية أهل الباطن وصار في ذمة الامام

الداعي هو ما يعبر عنه أهل زماننا باسم « جزويت » وهو يراقب الناس فمن رأى فيه قابلية واستعداداً يختبر أحواله وأطواره وافكاره ويجذبه الى التعرف اليه فان رآه متديناً يظهر اي الداعي له بمظهر الدين . وان وجده ملحداً او ضعيف الايمان يأتيه من حيث يحلو له وإن رآه متحلياً بمكارم الاخلاق يتمثل له بمظهر ملك كريم ، وان وجده من المنهمكين في الفسق يتظاهر بأنه مثله. وجملة القول انه يتحبب الى الرجل ويختلبه حتى اذا راى انه استولى على روحه في تنفيذ وظيفته وهز جذبه الى حزبهم ، يقنعه بأن كل ما يرغب فيه من السعادة لديهم .وكان الدعاة يعملون عملهم بالترتيب ويتسلقون الى الغاية — درجة بعد درجة — وهذه الدرجات ثمانية

وقبل ان نبحث في هذه الدرجات نبين بالايجاز حقيقة طائفة الاسماعيلية التي يستند عليها بالظاهر ارباب مذاهب الباطنية .

طائفة الاسماعيلية

الاسماعيلية طائفة من طوائف الشيعة تنسب الى اسماعيل بن جعفر الصادق الكبير كانوا يقولون بامامة جعفر الصادق وانه فوضها الى ابنه الكبير وبما ان اسماعيل توفي قبل جعفر كان يقتضي ان ينقل حق الامامة الى محمد المكتوم وبعده قام ابنه جعفر المصدق مقامه وخلفه محمد الجيب وكان ذكيا وفعالا وهذا هو الذي عمم نشر مذهب الاسماعيلية وكان يسكن بلدة اسمها سلمية في جوار حمص وارسل الدعاة منها الى جميع الجهات واهم نقطة كان يعتني بها الاسماعيليون ان العالم لايخلو من امام فان كان مخفيا فلا بد له من لقياه وعند وفاة محمد الجيب اعلن ابنه عبد الله انه هو الامام المنتظر اي المهدي (لها بقية) المترجم

حسني عبد الهادي

ماضى الازهر وحاضره ومستقبله

« لقد ألقيت في الأزهر بزرة جديدة إما أن
تكون مبدأ حياة جديدة له وإما ان تموت »
(الأستاذ الإمام)

نعني بالازهر ماشمل معاهد العلوم الدينية ووسائلها من الفنون العربية في الاسكندرية وطنطا ودسوق ودمياط وأسيوط وكلها مرتبطة بالجامع الازهر وتابعة له في ادارته ونظام التعليم فيه

كانت مصر بالازهر بلاد علم وحضارة وثروة وحكومة عزيزة قوية فكان الازهر ركن العلم من حضارتها . وكان بالازهر قوام حكومتها ومن رجال الازهر جل حكامها . الا السلاطين والملوك ورؤساء الجند . فكانوا يكونون من غيرهم ومن غير الشعب المصري أيضا ، ولكن علماء الازهر وكبراء المصريين قومه كانوا يشعرون بهذه الغيرية ، والاحكام تصدر بشريعتهم ، والدواوين والحكم بلغتهم ، وأولئك السلاطين والقواد من أهل دينهم ، وانما كان يهمهم من أمر الامراء والسلاطين عدلهم وفضلهم ، لا أصلهم وفصلهم ، ولو كان ثم أسباب تشعرهم بهذه الغيرية شعورا مؤلما لطباعهم ، لامكنهم ازالة ملكهم، كما أمكن الشيخ عز الدين بن عبد السلام بيع أمراء الدولة المصرية من المماليك الاتراك فانه مازال يصرح « ببطلان تصرفاتهم من بيع وشراء ونكاح لانهم أرقاء مملوكون لبيت المال» حتى تعطلت مصالحهم فارسلوا اليه يسألونه عن حل لهذا الاشكال فقال: نعقد لكم مجلسا وينادي عليكم لبيت مال المسلمين ويحصل عتقكم بطريق شرعي . وبعث اليه السلطان بأن يرجع عن هذا القول فلم يرجع ، فأنكر عليه السلطان دخوله في هذا الامر بأنه لا يعنيه وذكر كلمة فيها غلظة حملت الشيخ على الشروع في الهجرة من القاهرة الى الشام فركب مع أهل بيته حميرا وخرجوا فتبعهم وجهاء المسلمين من جميع الطبقات فبلغ الخبر السلطان وقيل له متى راح الشيخ ذهب ملكك فلحقه بنفسه على بعد فرسخ من القاهرة واسترضاه فرجع على ان ينفذ ما قرره ، فأراد

نائب السلطنة وكان من اولئك المماليك أن يحوله عن رأيه بالملاطفة فلم يفد ثم بالتهديد فلم يفد ، فاضطروا الى الامتثال فاجتمعوا ونادى عليهم واحداً واحداً وغالى في ثمنهم حتى باعهم وأعتقهم مبتاعوهم من الاغنياء ، وصرف الشيخ ثمنهم في وجوه البر العامة كما بينه التاج السبكي في ترجمته من طبقات الشافعية

ولهذه المكانة التي كانت للشيخ عز الدين قدس الله روحه قال الملك الظاهر لبعض خواصه لما رأى جنازته تحت القلعة وما يتبعها من كثرة الناس : اليوم استقر أمري في الملك لان هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانتزع الملك مني

كان الناس كلهم يتبعون العلماء ، وكان في استطاعة العلماء أن يسيروا الامراء والسلاطين في طريق الشرع المستقيم ، ويمنعوهم من الاستبداد والظلم ، ولكنهم لم يفكروا في هذا الامر فيعدوا له عدته ، ويمهدوا له طريقه ، بل لم يكونوا يشعرون باستطاعتهم ، ولا يقدرون كنه سلطتهم ، وما كان يظهر من آياتها يعدونه من الاحداث الشاذة ، التي لا ترجع الى سنة عامة ، ولعلهم كانوا يعدون ما فعله الشيخ عز الدين بامراء الترك من كراماته ، والكرامات من خوارق العادات فلا يقاس عليها ، ولا يبحث عن سبب لها

كذلك لم يكونوا يفكرون في سنة الله في قوة الاجتماع ، ولا في أن منه حمل علماء الازهر الدولة العثمانية على تولية محمد علي الكبير على هذه البلاد ، فلهذا لم يضعوا نظاما لجمع كلمتهم ، وجمع كلمة الامة على زعامتهم ، ولما جاء السيد جمال الدين هذه البلاد وشرع في إيقاظ الامة وتعريفها بما لها من الحق في ادارة امرها وسياسة حكومتها كان كبار علماء الازهر أبعد الناس عنه وأشدهم تحذيراً منه وانما انتفع به بعض الشبان منهم

الاسلام دين ودولة ، وقد أسس المسلمون دولا عزيزة في قارات العالم القديم الثلاث — آسية وافريقية واوربة — كانت أرقى دول الارض عدلا وعلما وحضارة ولم يكن لها قانون في سياستها وحروبها ولا في ادارتها وقضائها إلا الشريعة العادلة الغراء ومن أحكامها أن يكون امراؤها وقضاتها علماء فقهاء عدولا ، وبذلك كان لها من السؤدد والملك ما كان ، ثم دب اليها الفساد وقامت ساعتها بتوسيد الامور فيها الى غير أهلها وفقا للحديث «اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة» رواه البخاري

من حديث أبي هريرة فغلب الجهل فيها على العلم ، وانقلب الوضع وانعكست القضية فصار من القواعد الاساسية أن علماء الشرع أبعد الناس عن السياسة كما قال الحكيم العربي ابن خلدون في الزمن الذي لم يكن فيه للسياسة مستمد على إلا الشرع ، وما سبب ذلك إلا تقصير علماء الشرع فيما يجب عليهم مما بيناه من قبل ولا محل لاعادته هنا

صار أمر المسلمين بتقصير العلماء الى الجاهلين بالشرع قبل أن يوجد في بلادهم علم غير الشرع فكان الملك فيهم ينال بعصبية القوة لا باختيار أهل الحل والعقد الذين يمثلون سلطة الامة ، حتى ان الامامة العظمى وهي النيابة عن الرسول (ص) في إقامة الدين وسياسة الدنيا جعلوها لقوة العصبية التي تبرأ صلى الله عليه وسلم منها ومن أهلها ، فلا عجب اذا اجتهد ملوك القوة وامراء العصبية باستمالة محبي الدنيا من العلماء لتقوية نفوذهم عند العامة واضعاف نفوذ كل عالم لا يميله المال ولا يطغيه الجاه ، وصار من علامة العالم العامل المخلص البعد عن الحكام كما قيل :

قل للامير مقالة لا تركنن الى فقيه
ان الفقيه اذا أتى أبوابكم لاخير فيه

كانت حكوماتنا الاسلامية هكذا تتدلى بل تتردى في مهاوي الجهل والفساد ، بعد أن أخذ الافرنج عنها وعنا مبادىء العلم واصول العدل والاصلاح ، وحسبك ما رأوه من السلطانين العادلين المجاهدين نور الدين وصلاح الدين في الحروب الصليبية . ثم مازالوا في ترق وما زلنا في تدل الى من أديل لهم منا وفتحوا من بلادنا بالعلم والعقل اضعاف ماعجزوا عن فتحه بالسيف فانهم فتحوا بالعلم ادمغة الالوف الكثيرة منا وقلوبهم وتصرفوا في مراكز الادراك منها ومشاعر الانفس منهم فأودعوا فيها من المعلومات والوجدانات مايعظم شأنهم و يعلي قدرهم في تاريخهم وآدابهم وعاداتهم وتشريعهم من حيث يحط من شأن امتنا وملتنا في تاريخها وآدابها وتشريعها . فوطن هؤلاء انفسهم على تقليدهم وقبول سيادتهم ورياستهم وكانوا منافذ بل ابوابا واسعة لدخول الاجانب بلادهم والسيطرة على حكوماتهم — من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون فأفسدوا عليهم أمرهم و نزعوا منهم استقلالهم وخربوا عليهم بيوتهم بايديهم وليس من موضوع هذا المقال تفصيل ذلك و بيان الشواهد عليه في مشرق

العالم الاسلامي ومغربه ويغنينا عنه ما نشرناه أخيرا وما سننشره من مقالات السيد جمال الدين فيه . وإنما نضرب مثلا لذلك كلمة واحدة في مسألة السودان المصري التي هي أهم ما تتنازع فيه مصر مع الانكليز اليوم وهي أن إسماعيل باشا هو الذي مكن الانكليز من الاستيلاء على السودان لا بطرس باشا غالي الذي أمضى لهم عقد الشركة مع مصر فيه وأن الذي فتحه للانكليز غوردون (باشا) لا لورد كتشنر (باشا) وأما الذي مكن الانكليز من احتلال مصر فمعروف لقرب عهده

أدخلنا الافرنج بلادنا ليصلحوها لنا فأفسدوا علينا امرها بما اصلحوا لانفسهم من وسائل استغلالها وسلب استقلالها ، فكان مثلهم ومثلنا كما قال الشاعر في القيان :

تبار بن يصلحن أعوادهن فأصلحهن وأفسدنني

أضاعوا علينا تشريعنا ، وشوهوا لنا تاريخنا ، وأفسدوا منا آدابنا ، وسلبوا منا ثروتنا ، حتى انتزعوا منا سلطتنا ، وكان من أكبر همهم في ذلك إبعاد رجال الشريعة الاسلامية عن مناصب الحكومة ، وحرمانهم من تولي شؤون الامة ، وإيئاسهم من منصات الزعامة . وربوا لنا من نابتتنا ، من جعلوهم آلات لجميع ما يريدونه منا ، ومن قواعدهم فيه ان الدين والسياسة ضدان لا يجتمعان ، ومن فروع هذا الاصل أنه يجوز لكل فريق من الامة أن يعنى بسياسة بلاده ويسعى لاستقلالها ويبحث في شؤون حكومتها — الا رجال الدين ، معلمين كانوا أو متعلمين ، فلا يسمح لهم بقول في ذلك ولا فعل ، ولا بتأليف جمعية أو حزب ، وجرى العمل على هذا وانقاد له الازهريون خانعين صاغرين حتى اذا هب شبانهم من رقادهم وأبوا ليشاركوا الامة في نهضتها بعد الحرب تأسيا بطلاب المدارس المدنية وعقدوا لذلك المحافل في الازهر كبر الخطب على الانكليز وعلى رجال الحكومة المصرية معا فحجروا على الازهر وأهله، واشترعوا لعقابهم أحكاما خاصة بهم ، وأقفلوا أبواب الازهر في وجوه مريدي الاجتماع فيه للبحث في شؤون الامة والخطابة في مصالحها ووضعوا عليه الشرط ووافقهم الشيوخ الرسميون على ذلك سكت عنه غير المقيدين بالرسميات منهم وربما هونه على بعض زهادهم في الدنيا ولو عن عجز وضعف بعض الآثار مثل حديث ابن عمر عند البيهقي « المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف إن قيد انقاد وان أنيخ

على صخرة استقاخ » فان لامثال هذه الروايات الباطلة تأثيرا كبيرا في قتل هذه الامة ، وهذا الحديث على ضعف اسناده من مراسيل مكحول الدمشقي وهو على علمه وزهده مدلس ، واذا حمل على ما أشرنا اليه كان معارض المتن بالقطعيات كثرة المؤمنين .

جرى العمل على هذا المنكر حتى صار هو المعروف حتى عند جمهور الامة ولذلك رأينا كثيرين يستنكرون بحث المنار في شؤون السياسة ويقولون انها مجلة دينية فمالها وللسياسة ؟ وقد كلم بعض وجهاء الاسكندرية الاستاذ الامام في هذا محتجين به على انتقادنا الحكومة الحميدية وكلفوه رحمه الله أن ينهانا عن ذلك . فقال لهم ماذا أقول له والاسلام لم يفصل بين الدين والسياسة ؟ وآل أمر رجال الدين بمصر وغيرها من البلاد الى ترك شؤون الامة حتى الارشاد الديني ، وصاروا عالما آخر أقرب الى الخيال منه الى عالم الوجود كما قلنا في بعض مقالات المنار التي كتبناها في أول العهد بمعرفة حال هذه البلاد

حاول السيد جمال الدين الافغاني أكرم الله مثواه إخراج الازهريين من عزلتهم وحملهم على العمل لاصلاح حال الامة والحكومة فلم يلاق من جمهورهم الا الاعراض والنفور كما قلنا آنفا ، ثم كان من أمر من تلقوا عنه من مجاوري الازهر ان ترك أكثرهم الزي الازهري أو الديني وزعوا كلهم في الامور العامة من حكومية وغيرها ، وثبت آخرون أعظمهم وأشهرهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والاستاذ القاضي الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان ، وممن عرفنا من الحاملين منهم الشيخ داغر من القضاة الشرعيين وكان شيخنا يبره ويحبه — رحمهم الله أجمعين

ثم تصدي لاصلاح الازهر وخراجه من عزلته الى خدمة الامة شيخنا الاستاذ الامام وكان اعلم الناس بحال أهله وبما يحتاجون اليه وبما ينبغي لهم وبما يؤثر فيهم ، وأحرص الناس على اعلاء شأنهم وحفظ كرامتهم بتوفير رزقهم واتقاء عبث الامراء والحكام بهم مع تسخير هؤلاء لاصلاح شأنهم . وأما محمد توفيق باشا فكان بعد عودة الشيخ من منفاه والبلاد رازحة تحت نير الاحتلال لايزال على ماكان من الحذر منه منذ تذكر له ولاستاذه السيد جمال بعد ان كان من حزبهما ،

فلم يسمح بأن يتولى شيئا من التعليم في مدرسة دار العلوم لئلا يحدث في البلاد انقلابا جديدا كما قال - وما كان يكون ذلك الانقلاب الا خيرا له ولبلاده - فلما قضى نحبه وتولى الامر ولي عهده عباس باشا وجاء من أوربة يتدفق حماسة ويلتهب غيرة ، حامت حوله الآمال ، وطاف بكعبة امارته الرجال ، فأرشده الاستاذ الامام الى أرجى الاعمال ، التي لاينازعه فيها الاحتلال . قال له : ان لدى أفندينا ثلاث مصالح لايمكن أن يمد اليها الانكليز أيديهم الآن (١) وهي الاوقاف والازهر والمحاكم الشرعية فاذا هو عني باصلاحها فانه يصلح بها البلاد كلها ، فأمر الامير يومئذ بتأليف لجنة لوضع نظام أو نظم لما ينبغي لهذه المصالح فكانت تجتمع وتعمل سرا ، وراب أمرها أصحاب المقطم فصاروا يعرضون بها جهرا .
ثم كان من أمر إصلاح الازهر ما شرحه الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان في كتاب خاص سماه (أعمال مجلس ادارة الازهر) وطبعناه بعد ان قرأه الاستاذ الامام في أثناء مرض موته وأذن بطبعه ، وهو كتاب يشبه الرسمي ولو صدر بقرار من مجلس ادارة الازهر لكان رسميا بالمعنى الاصطلاحي ،

وان من وراء الرسميات في كل عمل من المصالح العامة أمورا أهم من الرسميات ، ولا يسعنا أن نذكر من ذلك هنا الا أن أكثر كبار الشيوخ حتى أعضاء مجلس إدارة الازهر كانوا كارهين للاصلاح والنظام فلم يكن منهم ظهير مخلص لواضع أصوله والناهض بأعبائه إلا صديقه وتربه الشيخ عبد الكريم سلمان وانما كانت قوته التي يجاهدهم بها الحق المؤيد بالبرهان وتعضيد الامير فلما تنكر الامير له قويت معارضة الشيوخ حتى إن شيخ الجامع الازهر كان يهمل تنفيذ قرارات مجلس الادارة الرسمية ، وكان ذلك على أشده في مشيخة الشيخ سليم البشري

وأما الشيخ حسونة النواوي فكان مواتيا معتدلا ولكن غضب الامير الشديد كان بعد مشيخته ، ثم كان السيد علي الببلاوي مواليا له فبلغ سخط الامير منتهى حده في عهد مشيخته ، وكان له حظ كبير منه . فقد ألجيء الى الاستقالة

---

(١) هذا لفظه الذي سمعناه منه قبل تدخل الانكليز في شؤون المحاكم والاوقاف بل قد صرح له بأنه يخشى من ذلك في المستقبل ولا سيما اذا بقيت هذه المصالح مختلة

هو والاستاذ الامام وغيرهما من اعضاء ادارة الازهر في وقت واحد عقب اتفاق الامير مع الحكومة على ان كل ما يهمهم من أمر الازهر شيئان أحدهما أن يكون أهله في أمان والثاني تخريج القضاة الشرعيين — واذ كان غير مستعد لتخريج القضاة عزمت الحكومة على إنشاء مدرسة خاصة للقضاء الشرعي ، وقد صرح الامير بذلك في حفلة إلباس الخلعة للشيخ الشربيني الذي ولي المشيخة بعد السيد البلاوي ، وأسند المقطم يومئذ هذا الرأي الى « أولياء الامور » ومعنى ذلك اتفاق الخديو والحكومة والانكليز على حرمان الازهر من كل شيء . . .

وقد ذكرت في المنار ، أهم ما طرأ على الازهر من هذه الاطوار ، ومنها أمثلة عديدة من معارضة أعضاء مجلس الادارة ومجادلاتهم للاستاذ الامام ، ولو واتوه وعرفوا قيمة الاصلاح الذي كان يريده منهم ولهم وبهم لكان للازهر الآن شأن عظيم في مصر بل في العالم كله

على أن قصارى ما كان من تأثير المعارضة انها استطاعت تأخير الاصلاح ولم تستطع ان تقتله قتلا ، ولا ان تجتث نبتته فرعا وأصلا ، اذ لم تستطع أن تمنع أفكار الامام المصلح التى كان يلقيها في دروسه والتي يعلل بها أعماله أن تنفذ الى العقول ، وأن تأخذ مكانها من القلوب ، فها هي ذي قد فعلت فعلها ، وكان من تأثيرها أن النابتة الجديدة من المدرسين والطلاب هم الذين صاروا يطلبون اصلاح التعليم واختيار الكتب النافعة ودرس ما يسمى العلوم الجديدة ، وجعل التعليم الازهري وسيلة للعمل ومؤهلا لخدمة الامة في مدارس الحكومة ومصالحها كتعليم سائر المدارس الرسمية ، وقد كانوا محرومين من كل هذا فلا يخطر في بال أحد من شيوخهم ولا من شبانهم ، وانما هي أفكار الاستاذ الامام التي جعلت لهم قيمة عند انفسهم ، من حيث لايدري أكثرهم ، ودروسه في التفسير والتوحيد والبلاغة والمنطق واحداثه لتعليم الانشاء في الازهر هي التي أوجدت فيهم هذه الالسنة الخاطبة ، واقلام الكاتبة ، والحجج التي يجادلون بها الرؤساء والوزراء ، بعد ان كان أحدهم يشتم ويلعن وربما يضرب بأخس ما يضرب به جبار خادمه فلا يرفع له رأس ، ولا يدفع عن نفسه بقول ولا فعل ، ولولا الكتابة

والخطابة ، لما استطاعوا أن يبينوا مالهم من حق ولا مايشعرون به من كرامة

لعل أكثر من لم يدرك عهد الاستاذ الامام منهم لم يعلموا أنه أحسن الله ثوبه قد احتال لادخال تعليم الانشاء في الازهر احتيالا ولقي فيه معارضة شديدة من كبار الشيوخ الذين يقولون أن الانشاء ليس بعلم ، وانه لا يصح أن يجعل في مواد الدرس والتعليم ، فلم ير وسيلة الى ارضاء مجلس ادارة الازهر بتقريره إلا وضع مبلغ من المال لاجله ، فاقترح عند وضع ميزانية الاوقاف العامة أن يوضع فيها مائة جنيه باسم ترقية اللغة العربية في الازهر وانما اختار هذا الاسم استثقالا للاعتراف بأن الازهر لا يتعلم فيه الانشاء ولانه كان يريد نوط هذا الدرس بعلم من غير الازهر بمن كما أخبرني بذلك في وقته ، فماذا كان من رأي أعضاء مجلس إدارة الازهر في هذا المبلغ عند وضع ميزانية الازهر ؟

اقترح بعض كبار الاعضاء منهم أن يوزع المبلغ عليهم لانهم يرقون اللغة العربية بقراءة بعضهم لكتب النحو الكبرى وبعضهم لمختصر السعد في البلاغة ، فاخبرهم الاستاذ بأن الغرض من وضع هذا المبلغ احداث درس للانشاء ، قال بعضهم ولكن العبارة أعم فهي تشمل من يقرأ كتاب ابن عقيل فضلا عن الصبان والسعد قال الاستاذ انني أنا الذي وضعت هذه العبارة ومرادي بالعام فيها هذا الخاص من أفراده وإلا لم يكن لوضعها فائدة !!

وأما معارضة كبار الشيوخ له فيما يسمونه العلوم الجديدة كتقويم البلدان والحساب والهندسة بالطريقة العملية فقد كانت من فضائح التاريخ ، وكان لمنشيء هذه المجلة جولات في هذه المعمعة فكتب في الجرائد اليومية مقالات في الرد على ما كتبه بعضهم في الانكار على درس هذه العلوم في الازهر ولكن بامضاء مستعار كازهري لئلا ينسب الى الاستاذ الامام نفسه أو الى إيعازه لان صلتي به ومكاني من بطانته قد عرف منذ السنة الاولى من هجرتي الى مصر ، وهذا الكفاح فاجأني فيها . وقد كتب الامام نفسه في أثناء اشتداد المعارضة مقالة رد فيها على كلام نشر في المؤيد عزي فيه إنكار تدريس تلك العلوم الى الشيخ محمد الشربيني لكن بالوصف الذي يعينه لا باسمه العلم ربما ننشرها في جزء آخر . ولولا الانشاء

لما كان للازهريين هذا الصوت لذي صخ مسامع الوزراء ، وملأ جواء البلاد ، ولولا هذه العلوم التي كانوا ينكرونها لما كان لهم أن يطلبوا ان يكونوا معلمين في مدارس الحكومة وغيرها كمتخرجي دار العلوم بل هم يطلبون أن تكون هذه المدرسة تابعة للازهر

على أن الامام المصلح أحسن الله جزاءه كان يريد لهم وبهم ما هو أعظم وأعلى مما يطلبونه اليوم لانفسهم ، كان يريد أن يكونوا أرقى طبقة في الامة الاسلامية ، وأهلا لكل ما تتوقف عليه حياتها الدينية والمدنية ، وقد كان من أغرب مساوىء عصر الضعف الذي منيت به الشعوب الاسلامية ان ترك رجال الدين والعلم الشرعي فيه حبلها على غاربها ، ورضوا بالذل والهوان لانفسهم ولها، فلم يعنوا باصلاح أمرها من جانب الحكومة ولا من جانب الامة ، اتبعوا سنن من قبلهم في الشر ولم يتبعوه في الخير ، ولاجل هذا كنا نلحي عليهم باللائمة منذ أنشأنا المنار ، حبا فيهم وغيرة عليهم وارشادا لهم الى ما يجب عليهم لسعادتهم وسعادة أمتهم بهم * وقد يستفيد الظنة المتنصح *

ومما يدخل في موضوعنا من أمر اتباعهم سنن من قبلهم أن رجال الدين من أولئك الاقوام كانوا في القرون الوسطى لامتهم وهي التي يسمونها العصور المظلمة يحرمون كل ما يجهلون من العلوم والاعمال و يضطهدون أهلها بعصبية الدين التي كان سببها خضوع العامة لهم ، واضطرار الملوك والامراء الى مداراتهم ومواتاتهم لمكانتهم عند العامة ، وقد اتبعهم رجال الدين عندنا في هذا ولكنهم لم يبلغوا شأوهم فيه لان الاسلام لم يعطهم من الرياسة والسلطة ما أعطت أولئك دياناتهم

ولما رأى أولئك ان رجال العلم والفكر قد انتصروا عليهم وغلبوهم على الملوك والامراء ، وطفقوا ينتزعون من الحكومات ما كان لهم فيها من النفوذ والسلطان ، بل تصدوا لمحاربة الدين نفسه بدعوى مخالفته للعلم والعقل وللفطرة البشرية وطبيعة الوجود وسننه — لما رأى رجال الدين هذا — قبلوا على درس هذه العلوم والفنون كلها لحذقوها في أديارهم ومدارسهم الخاصة بهم ودعموا بقوتها بناء الكنيسة ، واتخذوا منها سلاحا للدفاع عن الدين ، ثم تولوا هم تعليمها لاحداث الامة مع تعليم الدين وتربية النشء على آدابه وفضائله وعصبيته ، والتوفيق بينها و بين تقاليده

وعقائده، بل اتخذها ذريعة لبث دعوة دينهم في الملل الاخرى بقبول أحداثها في مدارسهم المشتملة على ماذكر — واما رجال الدين الاسلامي فلم يتبع واسنهم في هذا الامر النافع كما اتبعوه في ذلك الامر الضار

دخلوا في جحر الضب المشار اليه في حديث « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه » قلوا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري. وفي لفظ لو دخلوا في جحر ضب لخ ولكنهم لما يخرجوا منه الا قليلا منهم ، بيد أن الحركة الجديدة للنابتة الجديدة في الازهر تبشرنا بقرب الخروج العام ، الذي كان يرجوه لاستاذ الامام ، وسنبين ذلك في مقال آخر ان شاء الله تعالى

ونختم هذه المقالة بما قلنا في هذا الموضوع مما زدناه في (المقصورة الرشيدية) بمدرفاة الاستاذ لامام من الكلام في نهوضه بأمر الاصلاح مع السيد جمال الدين وبعده وهو :

ماتم للامام ما أراد من — خطتي الاصلاح هدماوبنا
ولم يفته كل ما شاء فقد — خرج من يتم كل ما بنا
اذا استجاب الله مابه دعا — وزال ماحاذره بما رجا (١)
اذ علم الازهر كيف ينفقه الد — ين ويطلب العلوم واللغى (٢)
من غير بحث في مقال من خلوا — يكثر فيه الاحتمال والمرا
علمنا التفسير كيما نهتدي — به على علم صحيح يقتفى
وعلم (اسرار البلاغة) التي — (دلائل الاعجاز) منها تبتغى
علمنا التوحيد كي نفهمه — بعقلنا لا بعقول من مضى
علمنا (بصائر) المنطق كي — نقيم ميزان العلوم للحجا

(١) فيه اشارة الى الابيات التى نظمها قبيل وفاته التي قال فيها
ولكنه دين أردت صلاحه — أحاذر أن تقضي عليه العمائم
(٢) اللغى بالضم جمع لغة

وهل وراء الدين واللسان والعقل اذا أصلحتهن منتهى
فان يك الازهر لم يصلح بها فقد نأى عن سبل من كان مأى (١)
ونبتت من غرسه نابتة ستلأم الصدع وترأب الثأي (٢)
وترفع الحجر عن المعهد أو يعود جحر الضب رحبا كالفضا
اذاً ينال وهو قد أشفى الشفا من مرض بات به على شفا
ثم يولي المصلحون شطره ينحونه من كل فج ورجا
ما وردوا حياضه وصدروا الا يفيضون علوما وهدى
فأحيوا الاسلام في أنفس من واصلهم بجد صرف الردى
فعاد آهلا الى موطنه من غربة طال بها عهد النوى
واستتبعت غربته المجد كما كأن عاد الامر مثل ما بدا (٣)

---

١) مأى في الامر يمأى (بوزن نأى ينأى) بالغ فيه وتعمق متكلفا توسيعه وهو من مأي الجلد اذا مده وشده ليتسع ، والمراد ان الازهر ان لم يكن قد صلح بالفعل فقد بعد عن طرق اولئك الشيوخ المتنطعين المتعمقين في ألفاظ الكتب واساليبها الشاغلة عن جوهر العلوم

٢) يقال لأم الصدع والجرح اذا شده وجمعه وجبر كسره ولأم فلانا اذا اصلحه. ويقال ورأب الثأى اذا اصلح الفساد ، وهو من ثأي الخرز ثأيا اذا انخرم ويقال عظم الثأى بينهم اذا وقعت بينهم جراحات وقتل

٣) اشارة الى حديث «بدأ الاسلام غريبا ويعود غريبا كما بدأ» رواه مسلم والترمذي

والمعنى ان دعوة الاسلام غريبا كما بدأ لا يقتضي ان تدوم هذه الغربة بل تشبيه الاعادة بالبدء يدل على ان الغربة الثانية تؤول الى ظهور وقوة وتستتبع عزا ومجدا — ان شاء الله تعالى

الاغراء بين النصارى والمسلمين

أرسل الينا من بيروت كتاب جديد ألفه أحد نصارى اللبنانيين لاجل تأريث العداوة والبغضاء بين أهل وطنه اذ جمع فيه من كتب التاريخ ماعثر عليه مماينقمه النصارى من حكومات المسلمين من قول وفعل ، ومن المسلمات التي لايختلف فيها اثنان ان في كل أمة وكل حكومة عادلين وظالمين ، وان الظالم قد يظلم القريب والموافق ، كما يظلم البعيد والمخالف ، وان من الناس من لايرضى من مخالفه في الدين والسياسة بالحق ولا بالعدل ، وان من أخبار التاريخ الصادق والكاذب - فعلى هذا يسهل على كل مطلع على التاريخ المشترك بين الامم والملل ان يجمع منه ماينكره بعضهم على بعض ، ولكن هذا لايكون الا بنية سيئة

أرسل الينا هذا الكتاب لنرد عليه والرد عليه سهل ولكن ما فائدته ؟ ان أريد بها بيان ان ما قد يصح من تلك المطاعن شخصي ليس الباعث عليه أحكام الاسلام — فهذا أمر يعرفه من يقرأ المنار من النصارى القليلين كما يعرفه المسلمون لما شرحناه مرارا من عدل الاسلام العام ، والجمهور منهم لا يقرؤنه . وان أريد تلقين المسلم الحجج للرد على من يكلمه في ذلك ففي المنار حجج كثيرة على عدل الاسلام وتفضيله على جميع الملل والقوانين من الكتاب والسنة والتاريخ وشهادة المنصفين من مؤرخي الافرنج أنفسهم كقول فيلسوف فرنسة الاجتماعي ومؤرخها المنصف الدكتور غوستاف لوبون : ماعرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب - يعني الذين أقاموا الاسلام ونشروه في العالم . وان شاؤا المقارنة بين ماكتبه هذا اللبناني عن المسلمين وبين ظلم دول النصارى للمسلمين ولليهود أيضا فهذه نبذة منه :

اضطهاد اسبانية لمسلمي الاندلس ويهودها

جاء في ملخص تاريخ الاندلس الذي جعله الامير شكيب ارسلان ذيلا لرواية (آخر بني سراج) مانصه مترجما عن التواريخ الافرنجية :

كانت دولتا قشتالة وأراغون تتسابقان في تعذيب المدجنين الذين ذكرنا أنهم المسلمون الخاضعون لحكومة الاسبانيول وملوك الدولتين يتبارون

في الانتقام منهم والنكال بهم استزادة للمثوبة واستعلاء في درجات الآخرة، حسبما كانت عليه حالة ذلك العصر من التحمس الديني والتأخر المدني

ففي قشتالة كان هنري أخوبطره قد جعل للمدجنين والاسرائيليين علامة فارقة اسمها (المشيرة) وأمر بمنع اختلاطهم وأخذهم وعطائهم مع الاسبانيول وان لا يقبل أحد منهم في خدمة الدولة

وفي أيام جان الاول ملك قشتالة صدرت الاوامر بأن كل مسيحي يربي في بيته مدجناً (مسلما) أو اسرائيليا فله الحق كل الحق أن يؤدبه بالسياط وانه لا يجوز لمدجن ولا ليهودي ان يستخدم عنده مسيحياً، وان من خالف ذلك يضرب وتضبط أملاكه، كما انه لا يجوز دخول مسلم ولا يهودي بيت أحد من الاسبانيول الا اذا كان طبيبا وثبت لزومه ومن خالف ذلك يغرم بدفع ستة آلاف مراويد (نوع من السكة)

وسنة ٨٠١ هجرية جدد جان الثاني أمر سلفه في رفض المدجنين واليهود في خدمة الدولة وضم اليه أن جزاء المخالفة دفع ثلاثة آلاف مراويد، وان كل من يدافر من المسلمين أو اليهود مع أحد الاسبانيول او يؤاكله او يستخدمه في عمل له يجلد مائة، واذا تكرر العمل يؤخذ منه ألف مراويد ويكون ثلثاه للمخبر، واذا وجد احد من هؤلاء في لمة اسبانيولي يغرم بدفع ثلاثة آلاف وان عاد صاحبا له من الاسبانيول اثناء مرض يدفع ثلثمائة وان عاملهم بأخذ أو عطاء يدفع الثلاثمئة ويضرب ويعزر

وكانت في بادىء الامر محاكم مخصوصة بالمدجنين فألغيت في التالي وأحيلت دعاويهم الى محاكم الاسبانيول وصدرت الاوامر ايضاً بأن كل من يخرج مدجنا من وزارته، ويستخدم لحراثه مدجنابدلا عنه يغرم بخمسة

آلاف مراويد وان تكرر فعله فبمائة الف وان تكرر ايضا تضع الدولة يدها على جميع عقاراته. واذا فر مدجن الى غرناطة ووقع أثناء فراره في يد الاسبانيول عدّ اسير حرب وضبطت جميع أمواله وصار ملكا لمن يمسكه

وسنة ٨٢٦ أضيف الى هذا الشرط أن من منع من المدجنين ابنه من التنصر عذب شديدا ومن اسر من مسلمي غرناطة احدا كان له ملكا خالصا

وسنة ٨٣٠ صدرت الاوامر بعدم اعتبار امضاء الاسبانيول فيما عليهم للمدجنين واليهود وباعتبار امضاء هؤلاء فيما عليهم للاسبانيول

وسنة ٨٣٣ صدرت الاوامر ان المسلم او الاسرائيلي المدّعى عليه بدين لاحد الاسبانيول اذا انكره لا يقبل منه اليمين ولكن حيث كان بعض المدجنين واليهود يضمنون الاراضي الاميرية ففي هذه الحالة يقبل منهم اليمين عند الانكار لعدم إلحاق الضرر بخزينة الدولة

وسنة ٨٨٠ صدقت الملكة ايزابلا جميع عهود جان الصغير وأضافت عليها حظر لباس الحرير وحلية الذهب والفضة على المسلمين واليهود (عاملت المسلمين في ذلك بحكم شريعتهم لكن في الرجال فقط) ووضعت لهم علامات فارقة في الملبس من جملتها رقعة زرقاء عرضها أربع أصابع لتمييز المسلمات والاسرائيليات

وما كفى كل هذا حتى نشرت حكومة قشتالة امرا لجميع عمال النواحي بأنه بلغ الملكة وقوع إهمال في انفاذ بعض الشروط بتمامها في حق المدجنين واليهود وانه ان حصل فيما بعد اقل تقاعس من احد في تنفيذها بحرفها يعزل من منصبه ويحرم معاشه

واما في مملكة اراغون فكان بطره الثالث قد اعلن في نحو سنة ٦٨٠

هجرية أن كل شخص مسيحيا كان او مسلما اواسرائيليا يمكنه استيطان مماكته والاقامة بها حيث شاء لكن يثنى المسلمون واليهود من الخدمة العسكرية والمالية في الحكومة ويحظر عليهم ان يدينوا الاسبانيول مالا باكثر من فائدة عشرين في المائة وأن دعاويهم تنظر عند الحكام ويقبل فيها اليمين على انه ان كان لمسلم أو يهودي دين عند احد الاسبانيول بدون سند او بينة خطية فيقبل قوله من تاريخ الدين الى خمسة عشر يوما ومن ثمة لا يعود مقبولا والسند الذي للمسلم والاسرائيلي على الاسبانيولي ان لم يسجل عند حكام الاسبانيول فبعد مضي ست سنوات يسقط اعتباره ويلغى كل حكم له

وسنة ٧٧٠ أصدر الدون جان امراً بأن من تنصر من ابناء المدجنين ومات أبوه فله نصيبه من الارث كما لو بقي مسلما

وسنة ٧٨٠ صدرت الاوامر بان كل مدجن يفر الى ارض غرناطة ويقع في اليد يعتبر اسير حرب وتضبط املاكه وتقسم الى ثلاثة اقسام الاول للملك والثاني لمن يكون قد قبض عليه والثالث مناصفة بين صاحب الارض التي أبق منها وصاحب الارض التي تهيأ وقوعه فيها

ثم منع المدجنون من الجهر بالشهادتين (تأملوا) واستعمال النفير لما فيه من تحريك الجامعة وجوزي من يجاهر بشيء من ذلك بالقتل (تأملوا)

وسنة ٨٩٠ أصدر الملك فرديناند صاحب اراغون امراً بمنع المدجنين من الخروج من مملكته وانه اذا استصحب أحد الاسبانيول احداً منهم في خدمته لضرورة قضت فيؤذن بشرط ان لا يكون مع المدجن ولد دون الاربع عشرة من عمره ذلك خوفا من الفرار الى بلاد الاسلام — الى

غير ذلك من آيات العدل (!) التي تواترت في كتب الافرنج فلخصنا منها ما قرأت لا عجب فلولا هذه الغرائب ولولا الامعان في الظلم الى هذه الدرجة لما تأخرت اسبانية الى الحد الذى وصلت اليه بعد ان كان لها من مركزها فى أوروبا وافتتاح اميركا على يدها وانبساط أيديها في مستعمرات الخافقين ما يضمن لها المقام الاول بين الدول اه

﴿ من الامير الى الملك (*) ﴾

بعث الامير شكيب ارسلان بكتاب سياسي خطير الى الملك حسين راينا ان ننشره لما تضمنه من الحقائق التاريخية قال:

الامير النبيل سليل العترة الفاطمية ، وطراز العصابة الهاشمية ، اطال الله بقاءه ، وسدد الى الصواب آراءه ، آمين

لا يخفى ان من الاحاديث المأثورة المشهورة عن جدك سيد الثقلين (ص) « لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين » (١)

فاذا كان الامر كذلك ايها الامير، ويطابق على صحته العقل وتظاهر بداهته الحديث، فما قولك بالمؤمن يلدغ الف مرة ؟ وما ظنك بالمؤمن ابن المؤمن والشريف ابن الشريف ولي نعمة الايمان ، ومشرق نور الاسلام ، وامير بلد الله الحرام، ان لدغ من جحر قد سبق انه لدغ منه غيره من المؤمنين لا مرة ولا مرتين ، بل مرارا يضيع عندها الحساب، ولا يستوفيها كتاب؟

*) رأينا هذا الكتاب بهذا العنوان في جريدة (الوطن) السورية البرازيلية ولم نره في جريدة اخرى والظاهر انه كتب فى أوائل سني الحرب الكبرى، فلم ندر كيف وصل الى هذه الجريدة المنشأة لنشر الاعلانات التجارية دون غيرها من الجرائد التى اعتدنا أن نرى فيها جولات يراع أمير البيان فنشرناه بنصه لما فيه من الحجج الناهضة على جهل الشريف حسين وغروره وجنايته على الامة العربية و بلادها ومن النصائح الناصحة والحكم البالغة التي يجب أن يعرفها كل عربي

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما

أيها الامير عندنا في بر الشام مثل سائر : إن أنت لم تمت ألم تر من مات فعلى فرض أن الانكليز لم يخونوك الى الآن أيها الامير ، أفلا تنظر الى من خانوا قبلك؟ وعلى تقدير أنه لم يأت وقتك أفلا اعتبرت بمن أمهلوا قبلك ثم أخذوه؟

واذا كانوا لم يعترضوك الى اليوم في داخل إمارة مكة أو في الحجاز فيمكنك أن تريح فكرك منها منذ الآن(١) ولا حاولوا إدخال عسكرهم الى البلد الحرام ، ولا وضعوا ضباطهم على أبواب حجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، تفاديا من العجلة التي قد تخالف الحكمة ، وتجر الوحشة على حين لم يسترح بالهم ولا تحققت آمالهم أفليس عندك أنت بمكانك من الذكاء والفضل ومطالعة التواريخ وقياس الحاضر على الماضي وقوة الاستنتاج ما يدلك على أنك بعد ركود العواصف ومضي الازمة وانقضاء الغرض من مراعاتك ومداراتك صائر الى ما صار اليه غيرك ولاحق بمن تقدمك من ملوك الاسلام الذين وقعوا في حبائل الانكليز طوعا أو كرها ، فما زالوا حتى عفوا آثارهم ، وأطفؤا منارهم ، وجعلوهم في الغابرين

أتظن أيها الامير أن الانكليز يغدرون بكل هؤلاء الملوك والممالك ويستثنونك أنت من الجميع فيتمثلون فيك الوفاء ، ويخرقون من أجلك خطة الغدر التي ساروا عليها الى يومنا هذا مع كل من ظللته الخضراء ، وأقلته الغبراء ، حال كون غرضهم في محو امارتك وأخذ بلدك أعظم من غرضهم في أخذ غيرك ، وحال كون مصلحتهم في طي سجلك أهم من مصلحتهم في حذف أي أمارة من أمارات الاسلام ، لانهم يرون أنهم إن استولوا على الحرمين الشريفين فقد استولوا على الرأس فصارت في أيديهم أرواح المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، وعاد المسلمون لا يملكون معهم عينا تطرف ولا نفسا يصعد ، وأمنوا جانب انتقاضهم عليهم في مستقبل الايام . وكل فتوحاتهم لا يحسبونها شيئا بالقياس الى نشر أجنحتهم على الحجاز وعلى البلد الامين — والعياذ بالله — وجعله من جملة مستعمرات بريطانيا

أم غرك كون الانكليز عقدوا معك عهدا ؟ قل بحرمة جدك أيها

(١) وضع هذه الجملة الفرعية بين الجملة الشرطية وما عطف عليها غير ظاهر

الشريف ابن الشريف : كم عقدا عقد الانكليز ولم ينقضوه؟ وكم عهدا أبرموه ثم لم يجعلوه أنكاثا ؟ وما إخالك تجهل التاريخ وتكابر في التواتر عن شأنهم في الاخلال بالعهود والمواثيق الى الحد الذي تنكر فيه هذه الحقيقة التي تتجلى في جميع معاملاتهم سواء مع المسلمين أو مع سائر الامم ؟

ناشدتك الله أيها الامير هل أنت مصدق في ذات صدرك وذخيرة نفسك أن للانكليز عهدا يرعونه معك أو مع غيرك ، أو ذماما يحفظونه لك أو لسواك اذا قضت سياستهم(١) أفلم تكن تقرأ ولم يخبرك أبوك الامير الكبير أنه قرأ اعلانات حكومتهم الصريحة الرسمية مرارا بأنهم يخلون مصر عند ما يستتب فيها الامن ويعيدونها الى اهلها ؟ فماذا كان بعد ذلك سوى انهم لبثوا يلتهمونها تدريجا حتى انتهوا باستلحاقها بدون ادنى مبالاة بعهود خطية، ولا بمواعيد رسمية ،وضموها الى سائر مستعمراتهم ؟وان احسوا بأدنى مقاومة لافكارهم في ارض مصر ينسخون هذه الحكومة القائمة فيها كالشبح الماثل، ويجعلونها ولاية كسائر الولايات، ولا نطيل عليك بسرد ما صنعوه في الهند وزنجبار وجنوبي اليمن ومسقط والبحرين والكويت والعجم وبلوخستان وغيرها، وكل مبادئهم مع هذه البلاد لم تكن الا كمبادئهم معك، فكان من البديهي ان ينتهي معك الامر كما انتهى مع غيرك .

والى كم أيها الامير تمر بنا المثلات ولا نعتبر، وتعظنا الحوادث ولا نذكر؟ ونكون أشبه بالغنم يأخذها الجزار للذبح واحداً بعد واحد وهي لا تعقل ماذا يصنع بها حتى يصير السكين في أعناقها ؟

فاذا كان من المقرر عند أهل الشرق والغرب أن الانكليز ينكثون عهودهم لما هو أقل شأنا من الحجاز وتلك البقاع المقدسة التي تهوي اليها أفئدة المسلمين كل حدب فهل هناك في يدك من قوة مادية تمنعهم من دخول قلب بلادك ويكونون مضطرين أن يحترموك من أجلها ؟ أو تردعهم فيما لو قضت عليهم سياستهم عن سلب إمارتك ،لا بل والايقاع بك واستئصال جرثومتك ؟

لاجرم انك تقدر أن تدعى بوجود بعض عشائر من العرب توفر القوة التي

(١) كذا في الاصل والمعنى اذا قضت سياستهم غير ذلك او ان يخفروه

تكفل دفع انكلترا بجيوشها الجرارة عن مكة والمدينة ، ولا أحد من الخلق يرتاح الى هذه الدعوة ، فانت اذاً باتفاق كلمة جميع العقلاء وأهلك وقومك باقون تحت رحمة انكلترة ورهن ارادتها ، وقيد اشارتها ، موكول امركم الى أمانتها وكرم أخلاقها ، (١)

لاقوة معنوية تتكلون عليها من حفظ العهود ، وتأكيد الوعود ، بعد ما رأينا سياسة انكلترة مع غيرك . ولا قوة مادية من جيوش منظمة ومدافع وذخائر وأعتاد وطيارات وبوارج وغواصات وما أشبه ذلك مما تعتزم انكلترة معه جانب الادب والكياسة ، فبماذا أنت آمن شر تلك الدولة على جزيرة العرب ولاسيما على الحجاز منذ أحقاب ؟ (٢) وأي ضمان عندك على كونها لا تقلب لك ظهر المجن ، فتندم حين لا ينفعك الندم ؟ وبعد أن يكون تسلط غير المسلمين على أقدس تراب عند المسلمين منذ ١٣ قرنا

ليس من باباوية في الاسلام أيها الامير ، ولا مزية لمسلم على المسلم إلا بالتقوى ؛ وأقرب الناس الى الرسول أطوعهم لوصاياه ، وأنت لا تجهل ما في كلام الله وأحاديث جدك المصطفى (ص) مما يثبت لك أن مزيتك هذه المتعلقة بسلالة الرسالة وبنور النبوة انما تبدأ عند حفظ حدود الله لا غير

أم تظن (أن الغاية تبرر الواسطة) كما يقولون ؟ وانك انما تريد لتضع اساس دولة عربية تبدأ في أول امرها بالنشوء تحت حماية انكلترة حتى اذا بلغت أشدها استقلت تماما ، وأن تلك هي سنة النشوء والارتقاء ؟ فاعلم أيها الامير ان الذين يزينون لك هذه الاوهام هم قوم قد عرفناهم ونعرفهم لاخلاق لهم ، ابتلى الله بهم هذه الامة كما ابتلى كل الامم بامثالهم ، وما هم في واقع الحال سوى سماسرة

« ١ » المنار : كان الاولى بالكاتب أن يخاطب حسينا هنا بلغته وعرفه في التعبير عن اتكاله على انكلترة فيقول : موكول أمركم الى « الحسيات النجيبة البريطانية » وهو حين كتب هذا لم يكن يعلم انه هو واولاده بنوا أساس سياستهم على أن يكون الحجاز وما دونه من بلاد العرب تحت حماية الانكليز بشرط ان يجعلوهم ملوكا وامراء فيها

« ٢ » لعله قد سقط من هنا كلمة يتعلق بها ما بعدها كان يقال الطامعة هي فيه منذ أحقاب

الانكليز يسعون أن يتمموا لانكلترة صفقه البلاد العربية ، اسماؤهم مقيدة في دفتر المبالغ السرية التي تنقدها انكلترة سماسرتها السياسيين كلا على قدر خدمته يدخل هؤلاء عليك وعلى غيرك بمثل هذه الاعاليل التي هي أسخف من أن يتنزل عاقل مثلك لاستماعها فضلا عن أن يتلقاها بالقبول .

هل الانكليز الذين حلموا في المنام بطائر حلق فوق الهند فهبوا مذعورين وارسلوا بيزاة طياراتهم لاصطياده في لوح الجو يرضون أن هذا العرق العربي النجيب الذي سبق له ماسبق في التاريخ العام يتمكن من تأسيس دولة عربية مستقلة على ضفاف البحر الاحمر دهليز الهند تسد على الانكليز طريق حياتهم ومجاري انفاسهم أي وقت شاءت ؟ أيظن اولئك المخدوعون بالانكليز انهم صاروا أدهى من رجال بريطانيا وأعلى كعبا في السياسة وأبعد نظراً في عواقب الامور حتى انتبهوا الى ما غفلت هي عنه وفكروا في مستقبل الامة البريطانية

ام هذه الامة البريطانية التي هي اربعون مليونا خامر عقولها الجنون فصارت تسعى بارادتها في تأسيس استقلال للعرب على طريق الهند أو في مقابلة مصر والسودان وتبحث عن حتفها بظلفها ؟

قل لهؤلاء القائمين بالدعوة العربية الناهضين لحفظ حقوقها واخذ ثاراتها ماذا الى اليوم أمنوا من حقوق العرب بقيامهم

ليقولوا لنا ماذا أقاموا للعرب من الملك حتى نشكرهم ونقر بفضلهم لاننا عرب نحب كل من أحب العرب ونبغض كل من ابغض العرب ولا نبالي بالقال والقيل أمام الحقائق

أترانا اكتفينا بأن يتلقبوا بألقاب الحكام ذوي السلطان؟ فهل الملك بالالقاب والالفاظ الضخمة؟

ليتلقب واحدهم بملك الملوك أو سلطان السلاطين وهو ذوقوة نعرفها كما هي فما يؤثر على الامة الاسلامية أو يفيدها (١)

(١) قوله وهو ذوقوة نعرفها كما هي - يعني انها لاغناء فيها و لااعتداد بها ، والا فالمقام مقام النفي اي وهو ليس بذي قوة يصدق بها اللقب . وقوله : فما يؤثر على

ان قلت انك مستقل في الحجاز وانها أول بلاد عربية استقلت أجبناك إن الحجاز وحده لا يمكن أن يستقل عن بريطانيا طرفة عين مادام الحجاز عيالا على الخارج وعلى ماوراء البحر وما دام ليس هناك استقلال اقتصادي ممكن وان قلت انه يقدر أن يستغني عن البحر وأن يعيش من الداخل فأي داخل دخل عليك لهذه المملكة الجديدة (لها بقية)

﴿ المطبوعات الحديثة ﴾

أكثر ما يهدى الى المنار من المطبوعات الحديثة خيارها بالفعل أو برأي يعرفنا من ناشري الكتب في مدح مالا يستحق المدح أو السكوت عن ذم أصحابها لعدم طمعهم بالضار كاكثر الروايات والقصص وامثالها وقد كثر لدينا من المطبوعات مايستحق أن يقرأ وأن يقرظ وينتقد للترغيب في نفعه أو التحذير من ضرر فيه، ولا نزال يضع بالقرب منا كثيراً من هذه الكتب والرسائل لنذكرها عند سنوح فرصة فنقرأ منها مايبيح لنا أن نقول فيها قولا مفصلا أو مجملا ، وقد سبق أن ذكرنا مثل هذا ولكننا نرى الموانع تزداد سنة بعد سنة فعزمنا على احتذاء مثال غيرنا من اصحاب المجلات بذكر هذه المطبوعات بكلمات وجيزة قضاء لما للمهدين من الحق الذي أعطاهم إياه الشرع والعرف فمن هدي السنة النبوية مكافأة المهدي وجزاؤه ،ويقابل ذلك حق قراء المجلات على قرائها في النصح لهم أوعدم غشهم على الاقل فنقول

(الاخلاق عند الغزالي)

من هذه الكتب التي يوجب الشرع والعرف وحال العصر انتقاده بالتفصيل كتاب (الاخلاق عند الغزالي) الذي ألفه (الدكتور زكي مبارك) وتقدم به الى الجامعة المصرية عند امتحان شهادة (الدكتورية) في الآداب العربية فكان لذلك ضجة

الامة الاسلامية الخ لعل اصله الامة العربية تحرف في الطبع اوسبق القلم قبله. وتعدية التأثير بعلى من اغلاط الجرائد التي يجتنب مثلها الامير شكيب ولكنها مما كثر استعماله قولا وكتابة حتى صارت تجري بها الاقلام كالالسنة ولا يتذكر الكاتب العالم بها أنها من الغلط

استيابا وحملة شديدتين من علماء الازهر وغيرهم من أهل الدين سبق مثلهما لغيرة من خريجي هذه الجامعة فكان ذلك من المسائل التي تستوقف الفكر ، وتدعوه الى الجولان والبحث ، وقد نظرنا في هذا الكتاب نظرة عجلى مرة واحدة ، وقرأنا منه مسائل متفرقة ، علمنا بها أن فيه من مواضع النقد مالم نسمع ولم نقرأ كلاما لاحد فيه ، ولعله أهم من كل ماكتب الكاتبون الكثيرون في نقده — لهذا نعد بأننا سنخصه بوقت نقرأ فيه منه كل ما يتوقف عليه الحكم فيه قبل كتابة ما طلب منا مهديه وغيره من نقده ان شاء الله تعالى

﴿ غرائب الغرب ﴾

« كتاب اجتماعي تاريخي اقتصادي أدبي فيه كلام عن مدينة فرنسة وانكلترة والمانية و إيطالية واسبانية وسويسرة والباجيك وهولاندة والنمسة والمجر و البلقان واليونان والاستانة ومصر والشام ـ ومقالات في علائق الغرب بالشرق منذ الزمن الاطول، ولا سيما صلات الغرب مع العالم الاسلامي والعربي منه خاصة ، في جنوبي ايطالية وفرنسة »

مؤلف هذا الكتاب صديقنا محمد افندي كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ومنشيء مجلة المقتبس وجريدة المقتبس فهو غني عن التعريف مشهور عند أهل العلم والادب ، حسن الاختيار حسن العبارة معتدل الفكر حريص على الاصلاح العلمي والمدني فما كتبه في هذا الكتاب من أخبار رحلته الاولى والثانية الى أوروبة مفيد لقراء العربية ن شاء الله تعالى كما رجا من كرم الله تعالى

طبع الجزء الاول منه صاحب المكتبة الاهلية بمصر سنة ١٣٤١ في المطبعة الرحمانية وهذه الطبعة الثانية له صفحاته ٣٣٨ وثمنه ٢٥ قرشا وهو يطلب من طابعه ومن مكتبة المنار بمصر

﴿ المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية ﴾

لمنشيء مجلة الهلال جرجي زيدان بك كتاب في تاريخ آداب اللغة العربية يدخل في أربعة أجزاء مرتب على أعصر التاريخ كان رسم خطته لاختصاره في جزء واحد

يرتب على حسب الموضوعات الادبية ولكنه توفي قبل انجاز ذلك فعهدت ادارة الهلال الى الاستاذ أنيس أفندي الخوري المقدسي استاذ هذا الفن في الجامعة الاميركية ببيروت بمراجعة اصوله وترتيبها فأجاب وأجاد، وقد طبع الكتاب في العام الماضي بمطبعة الهلال على ورق جيد فنحث القراء على مطالعته

(الزهراء) مجلة علمية أدبية اجتماعية تصدر في القاهرة في منتصف كل شهر عربي لمنشئها محب الدين (افندي) الخطيب ، اشتراكها السنوي خمسون قرشا مصريا في المملكة المصرية وستون قرشا في الخارج ، وسنتها عشرة أشهر ويتألف كل جزء منها من ثمانية كراريس (ملازم) وتهدي الى المشتركين كتابا في آخر السنة بدلا من الشهرين

صاحب هذه المجلة كاتب مشهور اشتغل بالكتابة والتحرير في عدة صحف أولها المؤيد وآخرها الاهرام ولا يزال من المحررين فيهما ، وهو محب للاتقان فمجلته جديرة بالثبات على خدمة الآداب العربية مرجوة الارتقاء والنجاح، فعسى أن تصادف من القراء تعضيدا يعينها على هذه الخدمة النافعة

﴿ الشورى ﴾

جريدة اسبوعية سياسية تبحث في شؤون سورية : فلسطين سورية لبنان شرق الاردن — يصدرها في مصر محمد علي أفندي الطاهر سكرتير الجمعية الفلسطينية بمصر وهو من الشبان الفلسطينيين الاذكياء تمرس بالسياسة من نشأته الاولى في أثناء الحرب العامة وتمرن على الكتابة في أشهر الجرائد المصرية والسورية الفلسطينية، وهو في نشاطه وخبره جدير بالنجاح في عمله وخدمة وطنه به ، وله اصدقاء كثيرون من حملة الاقلام يوازرونه ويمدون جريدته في الموضوعات السياسية العامة والآداب فنتمنى له التوفيق والفلاح وقيمة الاشتراك في الشورى ٧٥ قرشا صحيحا في القطر المصري و ٧٥ قرشا في فلسطين وسائر الاقطار

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه * اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)



(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٣٠ شعبان سنة ١٣٤٣ - ٤ الحمل سنة ١٣٠٤ هـ ش ٢٥ مارس سنة ١٩٢٥



﴿ تتمة السياق في الرؤية والكلام ﴾

أخبرنا الله تعالى في الآيات السابقة بأنه منع موسى رؤيته يعني في الدنيا وبشره بأنه اصطفاه على أهل زمانه برسالته وبكلامه ، ثم أخبرنا فيها بما آتاه يومئذ بالاجمال فقال ﴿ وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ﴾ أي اننا أعطيناه ألواحا كتبنا له فيها من كل نوع من أنواع الهداية موعظة من شأنها أن تؤثر في القلوب ترغيبا وترهيبا - وتفصيلا لكل نوع من اصول التشريع وهي اصول العقائد والآداب وأحكام الحلال والحرام ، وتفصيلها ذكرها معدودة مفصولا بعضها من بعض . واسناد الكتابة اليه تعالى إما على معنى أن ذلك كان بقدرته تعالى وصنعه لا كسب لاحد فيه ، وإما على معنى أنها كتبت بامره ووحيه سواء كان الكاتب لها موسى أو الملك (عليهما السلام) قال بعض المفسرين إن الالواح كانت مشتملة على التوراة وقال بعضهم بل كانت قبل التوراة

والراجح أنها كانت أول ما أوتيه من وحي التشريع فكانت أصل التوراة الاجمالي وكانت سائر الاحكام التفصيلية من العبادات والمعاملات الحربية والمدنية والعقوبات تنزل عليه ويخاطبه الرب تعالى بها في أوقات الحاجة اليها كالقرآن . واختلفوا في عدد الالواح فقيل كانت عشرة وقيل سبعة وقيل اثنين ، قال الزجاج يجوز أن يقال في اللغة للوحين ألواح. وهذا كل مايصح أن يذكر من خلافهم فيها

وأما تلك الروايات الكثيرة في جوهرها ومقدارها وطولها وعرضها وكتابتها وماكتب فيها فكلها من الاسرائيليات الباطلة التى بثها في المسلمين أمثال كعب الاحبار ووهب بن منبه فاغتر بها بعض الصحابة والتابعين ان صحت الروايات عنهم وقد لخص السيوطي منها في الدر المنثور ثلاث ورقات - أي ست صفحات - واسعات من القطع الكبير ، وليس منها شيء يصح أن يسمى درة وان كان منها أن الالواح من الياقوت او من الزمرد أو من الزبرجد كما أن منها أنها من الحجر ومن الخشب ، وقد اعجبني من الحافظ ابن كثير أنه لم يذكر من تلك الروايات شيئا على سعة اطلاعه ، وقد تبع في هذا عمدته في التفسير ابن جرير رحمهما الله تعالى ولكن ذكر بعضها الالوسي من المتأخرين تبعا لغيره كرواية الطبراني والبيهقي في الدلائل عن محمد بن يزيد الثقفي قال : اصطحب قيس بن خرشة وكعب الاحبار حتى اذا بلغا صفين وقف كعب ثم نظر ساعة ثم قال : ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهراق ببقعة من الارض مثله . فقال قيس : مايدريك ؟ فان هذا من الغيب الذي استأثر الله به ، فقال كعب مامن الارض شبر إلا مكتوب في التوراة التى أنزل الله على موسى مايكون عليه وما يخرج منه الى يوم القيامة. واستدل به الآلوسي على أن قوله تعالى (من كل شيء) على أوسع مايحتمله اللفظ من العموم وأنا أظن أن هذا القول موضوع على كعب وان كنت اخالف الجمهور في مسألة تعديله ، ولكن الالوسي تأول له هذا القول الظاهر بطلانه بالبداهة بقوله : ولعل ذلك من باب الرمز كما ندعيه في القرآن اه

وما ذكرت هذا إلا للتعجيب من فتنة هذه الروايات الباطلة الى أي حد وأي زمن وصل تأثيرها السيء حتى ان هذا النقادة قد اغتر بمثل هذا منها وتأويله بما هو باطل مثله ، فانه لم يصح عن أحد من أئمة المسلمين الذين يعتمد علمهم بكتاب الله تعالى انه ليس في العالم أو في الارض شبر الا وقد كتب فيه (أي القرآن) ما يقع فيه وما يخرج منه ، وانما قال مثل هذا بعض المجازفين

والخياليين من الصوفية على أنه من الكشف الذي يدعونه . راجع تفسير (ما فرطنا في الكتاب من شيء) في ص ٣٩٤ ـ ج ٧ تفسير

هذا واما ماورد في التوراه الحاضرة في شأن الالواح فمنه ماجاء في سفر الخروج من (٢٣ : ١٠) وقال الرب لموسى اصعد الى الجبل وكن هناك فاعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعلمهم الكلمات العشر) وجاء في وصف اللوحين منه (٣٢ : ١٥ ثم انثنى موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده : لوحان مكتوبان على جانبيهما ، من هنا ومن هناك كانا مكتوبين ١٦ واللوحان هما صنعة الله والكتابة هي كتابة الله منقوشة على اللوحين)وفيه أن موسى رمى باللوحين من يديه عندمارأى العجل الذي عبده قومه في أيام مناجاته لله تعالى ، وفي أول الفصل ٣٤ : ١ ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحي حجر كالاولين فاكتب عليهما الكلام الذي كان على الحجرين الاولين اللذين كسرتهما . . . ـ ٤ فنحت لوحي حجر كالاولين وبكر موسى في الغداة وصعد الى جبل سيناء كما أمره الرب وأخذ في يده لوحي الحجر) ويليه أن الرب هبط في الغمام ووقف عنده هناك ومر قدامه ووعده ووصاه وأمره بأوامر ونهاه عن امور ويلي ذلك (٢٧ وقال الرب لموسى اكتب لك هذا الكلام لأني بحسبه عقدت عهدا معك ومع بني اسرائيل ٢٨ وأقام هناك عند الرب اربعين يوما واربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء فكتب على اللوحين كلام العهد الكلمات العشر) وههنا يحتمل أن يرجع ضمير « فكتب » الرب تعالى وأن يرجع الى موسى ، ولولم يرد ماتقدم عن (٣٢ : ١٦ لكان هذا متعينا بقرينة قول الرب له قبله اكتب لك هذا الكلام ،وله نظائر. وأما الوصايا العشر فقد نقلنا نصها في تفسير (٦ : ١٥٤ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن) من سورة الانعام عقب وصايا القرآن التي هى أجمع واكمل منها (ص ٢٠٢ ج ٨ تفسير)

ومن هذا الذي نقلناه هنا يعلم ما في تلك الاسرائيليات التي أوردها السيوطي في التفسير المأثور من المخالفة للتوراة ، إذ من المعلوم أن ما كان من التحريف اللفظي في التوراة من نقص وزيادة وغلط فقد كان قبل الاسلام ، ولم يكن بعده الا التحريف المعنوي ـ فما في تلك الروايات من تعيين جوهر الالواح ومساحتها وكتابتها وما كتب فيها من وصف امة محمد (ص) وغيره مما يخالف هذه التوراة

فهو باطل أراد به واضعه أن يذكر المسلمون في تفسير القرآن وغيره من كتبهم مايصد اليهود وغيرهم عن الاسلام، بأن دعوته مبنية على الكذب والبهتان ، ولم يدر اولئك الذين كانوا يكتبون كل مايسمعون شيئاً من هذا الكيد والمكر اليهودي ، ونحمد الله انه لم يرج منه على جهابذة نقد الحديث الا القليل

وأما قوله تعالى ﴿ فخذها بقوة ﴾ فهو مقول قول مقدر لانه امر لموسى والخطاب قبله للنبي الخاتم عليهما الصلاة والسلام - والمعنى كتبنا له في الالواح ماذكر وقلنا له : خذها بقوة - أو وقلنا له هذه رسالتنا او وصايانا واصول شريعتنا وكلياتها فخذها بقوة أي حال كونك ملتبساً بجد وعزيمة وحزم ، أو أخذا بقوة وعزم ، وذلك أن المراد بها تكوين شعب جديد بتربية جديدة شديدة مخالفة كل المخالفة لما نشأ عليه من الذل والعبودية لفرعون وقومه والانس بما كانوا عليه من الشرك والوثنية ومفاسدها ، فاذ لم يكن المتولي تربية هؤلاء القوم والمرشد لهم صاحب عزيمة قوية وبأس شديد وعزم ثابت فانه يعجز عن سياستهم وتربيتهم ، ويفشل في تنفيذ أمر الله فيهم

﴿ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ قيل ان (أحسن) هنا بمعنى ذي الحسن التام الكامل وليس فيه معنى تفضيل شيء على آخر ، وهو مايعبرون عنه بقولهم : اسم التفضيل على غير بابه - أي وامر قومك بالاستمساك والاعتصام بهذه المواعظ والاحكام المفصلة في الالواح التي هي كاملة الحسن . وقيل إنه على الاصل فيه من تفضيل بعض المضاف اليه على بعض ومنه الحقيقي والاعتباري والاضافي، فأصول العقائد من الايمان بالله تعالى وتوحيده وتنزيهه أفضل وأشرف من الاحكام العملية ، ولكن لايصح أن يراد هنا، قيل الا اذا اريد بالاخذ الشروع والابتداء - والاوامر أفضل من النواهي ويصح أن تراد في مثل الامر بعبادة الله وحده والنهي عن اتخاذ الصور والتماثيل وكلاهما من الوصايا التى كتبت في الالواح وذلك أن الاخلاص لله تعالى في العبادة أمر وجودي يتحلى به العقل وتتزكى به النفس ، وترك اتخاذ الصور والتماثيل أمر سلبي محض اذا لم يكن أثراً للاخلاص في العبادة وسداً للذريعة فلا قيمة له فانه لم ينه عنه إلا لانه من ذرائع الشرك ، وإلا فقد يتركه المرء لعدم الداعية وان كان مشركا والفرض أفضل من النفل . ولكن ليس في الوصايا العشر نوافل ، ويقال مثله في قولهم

والعزيمة أفضل من الرخصة. ومثل هذا التعبير قوله تعالى (واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم) والمجال فيه أوسع فان القرآن أحسن ما أنزله الله تعالى الخ قمه على ألسنة رسله باكماله تعالى الدين به وبغير ذلك من مزاياه ، والخطاب فيه لامة الدعوة أي للناس كافة لانه معطوف على قوله (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له) ثم ان فيما أنزله فيه العزيمة والرخصة وفيه من الندب ماهو أفضل من مقابله كالصدقة بالدين بدل انظار المعسر به وهو واجب وكالعفو في مقابلة القصاص

وقوله تعالى ﴿ سأريكم دار الفاسقين ﴾ من حكاية خطابه لقوم موسى بالتبع له اذ وجه الامر فيما قبله اليه واليهم ، فهو داخل في مقول القول الذي خوطب به نبينا (ص) من قصتهم ، والجملة استئناف لبيان عاقبة الذين فسقوا عن امر الله وجحدوا بآياته فلم يأخذوا بأحسنها ، كأنه يقول ان لم تأخذوا ما آتيناكم بقوة وتتبعوا احسنه كنتم فاسقين عن امر ربكم فيحل بكم ما حل بالفاسقين من قوم فرعون الذين انجاكم الله منهم ونصركم عليهم وسيريكم ماحل بهم بعدكم من الغرق، أو الفاسقين من سكان البلاد المقدسة والمباركة التي وعدكم إياها وسينصركم عليهم بطاعتكم له وأخذكم ميثاقه بقوة

قال الحافظ ابن كثير في تفسيرها : أي سترون عاقبة من خالف امري وخرج عن طاعتي كيف يصير الى الهلاك والدمار والتباب . وقال ابن جرير وإنما قال (سأريكم دار الفاسقين) كما يقول القائل لمن يخاطبه : ساريك غداً مايصير اليه حال من خالفني - على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره . ثم نقل معنى ذلك عن مجاهد والحسن البصري . وقيل معناه سأريكم دار الفاسقين أي من أهل الشام واعطيكم إياها ، وقيل منازل قوم فرعون . والاول أولى والله أعلم لان هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر وهو خطاب لبنى اسرائيل قبل دخولهم التيه، والله أعلم اه ومن مباحث رسم المصحف الامام أن كلمة (ساريكم) زيد فيها واو قبل الراء لئلا تشتبه بسأرأكم اذ كانوا يرسمونها بالياء غير منقوطة والله أعلم

والعبرة التي يجب أن يتذكرها ويتدبرها كل قارىء لهذه الآية من وجوه (أحدها) أن الكتاب الالهي يجب أخذه بقوة إرادة وجد عزيمة لتنفيذ ماهدى اليه من الاصلاح وتكوين الامة تكويناً جديداً صالحا، ويتأكد ذلك في الرسول

المبلغ له والداعي اليه والمنفذ له بقوله وعمله، ليكون لقومه فيه اسوة حسنة. وتلك سنة الله تعالى في سائر الانقلابات والتجديدات الاجتماعية والسياسية وان لم تكن بهداية الدين ، والدين أحوج الى القوة والعزيمة لانه اصلاح الظاهر والباطن جميعا، وقد أمر الله تعالى بني اسرائيل بما أمر به رسولهم (ص) من أخذ الكتاب أو ميثاق الكتاب بقوة أمراً مقرونا بتهديدهم وتخويفهم من وقوع جبل الطور بهم، كما تقدم في سورة البقرة (٢ : ٦٣ و٩٣) وسيأتي مثله في هذه السورة (الاعراف) وقد اخذ سلفنا القرآن بقوة فسادوا به جميع الامم التي كان لها من القوى المدية والحربية والنظامية والمالية والصناعية ماليس لهم، وإنما سادوا بالعمل بهدايته كما أراد الله تعالى - لا بالتغني بقراءته في المحافل ، ولا بالتبرك المحض بالمصاحف ، كما يفعل مقلدة الخلف الطالح ، إن من يأخذ القرآن بقوة يكون القرآن حجة له فيسعد به في الدنيا والآخرة ، ومن لا يأخذه بقوة يكون حجة عليه فيشقى بالاعراض عنه وهجر هدايته في الدنيا والآخرة (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين * الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله أن يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون)

(ثانيها) أن سبب تخويف بني اسرائيل عند تبليغهم الميثاق الالهي بوقوع الجبل بهم وأمرهم في تلك الحال أن يأخذوه بقوة هي أن أحكام التوراة التي أخذ عليهم الميثاق بأخذها بقوة شاقة حرجة ؛ حكمة ما فيها من الشدة والحرج أن القوم كانوا مستضعفين مستذلين باستعباد المصريين لهم منذ أجيال كثيرة وكان القوم أو الاقوام الذين وعدوا بأن يغلبوهم على بلادهم جبارين اولي قوة واولي بأس شديد ، وكان من سنة الله تعالى في البشر أن تتربى أفرادهم وشعوبهم بالشدة والارتياض بالصبر والجهاد بالمال والنفس ، ولهذا أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسير ببني اسرائيل في طريق التيه وهو الجنوبي من برية سيناء دون الطريق الشمالي القريب من مدن فلسطين اذ لم يكن لهم طاقة بقتال جباري الكنعانيين وقتئذ فكتب الله تعالى عليهم التيه أربعين سنة هلك في أثنائها الذين استذلهم المصريون ونشأ من صغارهم ومواليدهم جيل جديد تربى في حجر الشرع الجديد ، والتيه الشديد ؛ كما بيناه في تفسير سورة

المائدة (ص ٣٢٢ - ٣٣٨ ج ٦ تفسير)

(ثالثها) أن الاسرائيليين قد عظم ملكهم باقامة شريعتهم بقوة حتى اذا غلب الغرور على العمل وظنوا ان الله تعالى ينصرهم ويؤيدهم لنسبهم ولقبهم وهو « شعب الله » فسقوا وظلموا فانزل الله بهم البلاء وساط عليهم البابليين الاقوياء فثلوا عرشهم وتبروا ملكهم ، ثم ثابوا الى رشدهم فرحمهم الله واعاد لهم بعض ملكهم وعزهم ، ثم ظلموا وافسدوا فساط عليهم النصارى فمزقوهم كل ممزق ، فظلوا عدة قرون متكلين على المسيح الموعود ليعيد لهم ملكهم بخوارق العادات ؛ ثم ربتهم الشدائد ونورهم العلم العصري فطفقوا يستعدون لاستعادة هذا الملك بكل مافي الامكان من الاسباب وفي مقدمتها المال والنظام والكيد والدهاء مع المحافظة على التقاليد الدينية في ذلك حتى انتهى بهم السعي الى استخدام الدولة البريطانية بما فصلناه في بيان العبرة في قوله تعالى (١٣٦ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها) من هذه السورة (ص ٩٧ ج ٩)

(رابعها) ان المسلمين الذين اتبعوا سننهم وسنن النصارى شبرا بشبر وذراعا بذراع في الضر دون النفع كما فصلناه في غير هذا الموضع قد اغتروا بدينهم كما اغتروا واتكلوا على لقب « الاسلام » ولقب « أمة خاتم الرسل » عليه الصلاة والسلام ، ولكنهم لما يثوبوا الى رشدهم ، لان الذين سلبوا ملكهم وعزهم لم يسوسوهم بشدة مربية كافية ، بل اجتهدوا في إفساد عقائدهم واخلاقهم ، وايقاع الشقاق والتفريق فيما بينهم ، بل أفسدوا كذلك من لم يستولوا على ملكهم منهم ، بتوليهم التربية والتعليم لكثيرين منهم ، كانوا عونا لهم على ما يريدون من ثل عروشهم والسيادة عليهم بالتدريج كالعثمانيين والمصريين كما فصلناه في مواضع أخرى (١) ولا يزال هؤلاء المتفرنجون المخربون يجدون في قتل هذه الامة وهم يظنون أنهم يجددون ، ويفسدون عليها أمرها ويحسبون أنهم يصلحون . (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون)

---

(١٤٥) سَأَصْرِفُ عَنْ آيَـٰتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ

---

(١) أقربها في مقالة «ماضي الازهر وحاضره ومستقبله» في ج ٩ من المنار م ٢٥

بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

انتهى بالآية التي قبل هاتين الآيتين فصل من فصول قصة موسى عليه السلام وهاتان الآيتان استئناف مرتب على جملة ما تقدم منها بين الله فيه لخاتم رسله في الاولى منهما سنته في ضلال البشر بعد مجيء البينات في كل زمان ويدخل فيه قوم فرعون من الغابرين دخولا أوليا وينطبق على رؤساء كفار قريش المعاندين له (ص) من الحاضرين وبين في الثانية جزاءهم على تكذيبهم وكفرهم ، قال

﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ﴾ هذا بيان لسنته تعالى في تكذيب البشر لدعاة الحق والخير من الرسل وورثتهم وسببه الاول التكبر فان من شأن الكبر أن يصرف أهله عن النظر والاستدلال على الحق والهدى لاجل اتباعه فهم يكونون دائما من المكذبين بالآيات الدالة على عليه الغافلين عنها وهي حال الملوك والرؤساء والزعماء الضالين كفرعون وملئه

وإنما ذكرت هذه السنة العامة من أخلاق البشر بصيغة المستقبل لاعلام النبي (ص) بأن الطاغين المستكبرين من مشيخة قومه لن ينظروا في آيات القرآن الدالة على صدقه (ص) في دعوى الرسالة من وجوه كثيرة بيناها مرارا ، والدالة على وحدانية الله تعالى بما اقامته عليها من البراهين الكثيرة ولا في غيرها مما أيده ويؤيده به من آياته الكونية لتكبرهم في الارض بالباطل فوجهة نظرهم تنحصر في تفضيل أنفسهم عليه (ص) بأنهم سادة قريش وكبراؤها واغنياؤها واقوياؤها فلا يليق بهم أن يتبعوا من هو دونهم سنا وقوة وثروة وعصبية ، والمعنى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق من قومك أيها الرسول ومن غيرهم في كل زمان ومكان كما صرفت فرعون وملاه عن آياتي

التى آتيتها رسولي موسى

— والتكبر صيغة تكلف او تكثر من الكبرالذي هو غمط الحق بعدم الخضوع له واحتقار الناس، فهو شأن من يرى انه أكبر من أن يخضع لحق أو يساوي نفسه بشخص ، والاصل الغالب في التكبر ان يكون بغير الحق وقد يتصور أن يتكلف الانسان اعلاء نفسه على غيره أو اكثاره من الاستعلاء عليه بحق كالترفع عن المبطلين واهانة الجبارين واحتقار المحاربين. فقوله تعالى (بغير الحق) يكون على هذا صلة للتكبر وهو قيد له،وإلاكان بيانا للواقع أوالمعنى انهم يتكبرون حالة كونهم متلبسين بغير الحق أي منغمسين في الباطل فأمثال هؤلاء لاقيمة للحق في نفسه عندهم فهم لايطلبونه ولا يبحثون عنه وقد تظهر لهم آياته ويجحدونها وهم بها موقنون ، كما قال تعالى في آل فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال في طغاة قريش (فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

﴿وان يروا كل آية لايؤمنوا بها﴾ هذا إما عطف على جملة(سأصرف..) أي سأصرفهم عن آياتي المنزلة والكونية فينصرفون وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها — وأما عطف على (يتكبرون) فيكون هو وما بعده بيانا لصفات المتكبرين وأحوالهم واولها أنهم ان يروا كل آية من الايات التى تدل على الحق وتثبت وجوده لا يؤمنوا بها فان كثرة الآيات بتعدد أنواعها وأفرادها انما تفيد من كان طالبا للحق ولكنه جاهل أو شاك أو سيء الفهم فاذا خفيت عليه دلالة بعضها فقد تظهر له دلالة غيره ، وفي هذا اعلام للنبى « ص » بأن الذين يقترحون عليه الآيات من قومه انما يقصدون التعجيز ، لا استبانة الحق بالدليل فهم ان اجيبوا الى طلبهم لا يؤمنون ، ولهذا نظائر تقدم بعضهافي سورة الانعام مفصلا تفصيلا

﴿ وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا﴾ الرشدالصلاح والاستقامة وضده الغي ، وهو الفساد وفيه ثلاث لغات ضم أوله وسكون ثانيه وبه قرأ الجمهور هنا ـ وفتحهما وبها قرأ حمزة والكسائي ـ والرشادوقدوردت في سورة المؤمن حكاية عن فرعون (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) ومثلها السقم والسقم والسقام ـ والمعنى ان من صفة هؤلاء الذين مرنوا على الضلال

واستمرؤا مرعى الغي والفساد، ان ينفروا من الهدى والرشاد ، فان رأى احدهم سبيله واضحة جلية لايختار لنفسه جعلها سبيلا له بايثارها وتفضيلها على هو عليه ، وما كل أحد يصل الى هذه الدرجة من الغيّ لان من الناس من يسلك سبيل الغي على جهل فاذا علم بما تنتهي به اليه من الفساد ورأى لنفسه مخرجا منها تركها ، واختار سبيل الرشد عليها

﴿ وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ﴾ وهذه الحالة شر مما قبلها فان هذه ايجابية وتلك سلبية ، وبينهما حال اخرى وهي حال من ليس فيه من نور البصيرة وزكاء النفس ما يحمله على سلوك سبيل الرشد اذا رآه لضعف همته ؛ ولكنه يكره الغي والفساد اذ لم يصل من اعتلال الفطرة وظلمة البصيرة الى تفضيله على الرشد وايثار سبيله واختيارها لنفسه اذا رآها ، بحيث لا يصرفه عن الفساد الا جهل سبيله أو العجز عن سلوكها

فمن اجتمعت له هذه الاحوال أو الصفات فهو الذي أضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فلم تبق له سبيل من أسباب الحق والرشد يسلكها ، وقد علل ذلك سبحانه بقوله

﴿ ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ يعني ان الله تعالى لم يخلقهم مطبوعين على شيء مما ذكر طبعا ولم يجبرهم ويكرههم عليه اكراها ، بل كان ذلك بكسبهم واختيارهم للتكذيب بآياته الدالة على الحق ، والصدود عن سبيله الموصلة الى الرشد ، وكانوا غافلين عنها دون أهوائهم لا يعطونها حقها من النظر والتأمل والتفكر والتدبر ، لاشتغالهم عن ذلك بأهوائهم ، وعصبيتهم لانفسهم ولآبائهم ، وبذلك قطعوا على أنفسهم طريق الهدى ؛ فالغفلة هنا هي الغفلة المطبوعة المانعة من أسباب العلم والفطنة ، لا أي نوع من أنواع الغفلة ، بل هي المبينة في قوله تعالى من أواخر هذه السورة (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها . اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون)

الضالون من هؤلاء الغافلين عن آيات الله تعالى وما تهدي اليه من معرفته والاستعداد للحياة الاخري الباقية هم الذين يقول الله تعالى في وصفهم (اولئك في ضلال بعيد) ويقول (قد ضلوا ضلالا بعيدا) اذ كان لهم من الانهماك فيما هم فيه والغرور به واحتقار ماسواه مايصدهم عن توجيه عقولهم الى غيره ،

ومنهم متفرنجة المسلمين الجغرافيين في هذا العصر يحتقرون هداية الدين الروحية وما لها من التأثير العظيم في تهذيب النفس وحملها على الخير وصدها عن الشرور من الفواحش والمنكرات ، وإنما غرهم وأضلهم أنهم في عصر وصل فيه الغربيون الى غاية بعيدة من الفنون والصناعات كأنهم يرون ان من عاش في هذا العصر يجب أن يكون مثلهم عبداً لشهواته ، ومقتضى ذلك انه كان الافضل لبني اسرائيل ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لانه لم يكن عنده من زينة الدنيا وقوتها ما كان عند فرعون ، (فاعتبروا يا أولي الابصار)

ثم قال تعالى ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة هل يجزون الا ما كانوا يعملون ؟ ﴾ الآيات في الآية التي قبل هذه بمعنى الدلائل والبينات من براهين عقلية نظرية كانت أو علمية وكونية كآياته تعالى في الانفس والآفاق ومنها معجزات الانبياء عليهم السلام وأظهرها وأقواها القرآن العظيم ، من حيث هو دال على صدق النبي الامي في دعوى الرسالة من وجوه كثيرة تقدم بيانها — وأما الآيات في هذه الاية فالظاهر المتبادر أنها الايات المنزلة من حيث اشتمالها على الهداية والاصلاح بتزكية الانفس من خرافات الشرك وفساد الاخلاق ومنكرات الاعمال . واللقاء مصدر لقي الشيء أو الشخص ولاقاه كالملاقاة اذا صادفه أو قابله أو انتهى اليه يقال لقي زيدا ولاقاه ولقي خيرا أو شرا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) * ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ولقي جزاءه . قال الراغب وملاقاة الله عز وجل عبارة عن القيامة وعن المصير اليه قال (واعلموا انكم ملاقوه * وقال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله)

والمعنى والذين كذبوا بآياتنا المنزلة بالحق والهدى على رسلنا فلم يؤمنوا لهم ولا اهتدوا بها، وكذبوا بلقاء الاخرة وما يكون فيها من الجزاء على الاعمال — على الخير بالثواب وعلى الشر بالعقاب فاتبعوا أهواءهم — لا يجزون هنالك الا ما كان من تأثير أعمالهم النفسية والبدنية معا أو النفسية فقط (كترك الواجبات) في أرواحهم وأنفسهم من حق وخير زكاها وأصلحها أو من باطل وشر دساها وأفسدها — ان الله لا يظلم الناس في الجزاء مثقال ذرة وانما مضت سنته بجعل الجزاء في الاخرة أثرا للعمل مرتبا عليه ترتب المسبب على السبب كانه هو نفسه وقد شرحنا هذا المعنى مرارا « تراجع كلمة جزاء في فهارس التفسير »

فتاوى المنار

﴿ حكم المكره على الحلف بالله أو بالطلاق ﴾

(س ٢٧) وجه الينا الاستفتاء الآتي في جريدة الاهرام من أصحاب الامضاءات التي في آخره وهم من المندوبين لانتخاب أعضاء مجلس النواب المصري وقد أشيع أن من رجال الحكومة من يكره أمثالهم على الحلف بانتخاب فلان دون فلان وقد استفتى غيرهم بعض العلماء فجمجم بعض وسكت بعض . وهذا نص الاستفتاء :

الى العالم العلامة المصلح الكبير حجة الاسلام ومشكاة الشرع السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار الاسلامي

ماقولكم دام فضلكم فيمن اكره على الحلف بالطلاق أو بالله أو بالمصحف ليفعل أمرا لايجب عليه شرعا فعله مع قدرة المكره على تنفيذ ماهدد به المكره (بالفتح) لازلتم للاسلام حصنا منيعا والدين عمادا رفيعا

محمد خطاب مندوب ثلاثيني . سيد احمد علي مندوب ثلاثيني . مصطفى مصطفى مندب ثلاثيني

وهذا نص ماأجبنا به ونشر في الاهرام

نحن إنما نجيب عن أمثال هذه المسائل ببيان دلائل الشرع وحكمة أحكامه لابالكتب المحصورة في مذهب معين وان كان هو الذي قيدت به المحاكم الشرعية والفتاوى الرسمية . فنقول هنا اذا حلف أحد ليفعلن كذا مما لا يجب عليه شرعا ففيه تفصيل فان غير الواجب يشمل المندوب والمستحب شرعا والمباح والمكروه والحرام ، فان كان المحلوف على فعله مندوبا أو مباحا فلا وجه للتفصي من القسم وعدم البر باليمين بعذر الاكراه فان ماسيأتي بيانه من الخلاف والراجح منه في مسألة الاكراه لا يقتضي أن يحنث في يمينه فان الخروج من الخلاف أولى من الدخول فيه كما قال العلماء ومن البديهيات أن من لا خلاف في جواز عمله وصحته خير من المختلف فيه

وان كان المحلوف على فعله من المحظورات القطعية أو الظنية فلا يفعله وان حلف مختارا فان اليمين على فعل المعصية أو ترك الواجب باطلة لايجب الوفاء بها بل يحرم ومثلها النذر واختلف في كفارتها كما سيأتي فكيف اذا أكره على الحلف اكراها وكيف لايحنث في اليمين على ترك المعصية وقد صح الامر بالحنث فيمن حلف على شيء فوجد غيره خيرا منه ، وفيه أحاديث منها مارواه الشيخان (البخاري ومسلم) وغيرهما من حديث عبد الرحمن بن سمرة (رض) قال قال رسول الله (ص) « اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير » وفي رواية لابي داود والنسائي « فكفر عن يمينك ثم أت الذي هو خير » وفي معناه أحاديث اخرى في الصحيحين والسنن وهو دليل على أن من حلف أن ينتخب فلانا لمجلس النواب ثم رأي أن غيره أنفع منه واقدر على القيام بالمصلحة فعليه أن ينتخب هذا دون من حلف لينتخبنه ويكفر عن يمينه اذا حلف باختياره وإلا فلا كفارة عليه

وفي معنى ذلك في النذر قوله (ص) « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه » رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الاربعة من حديث عائشة (رض) بل ورد فيمن نذر أو حلف على عمل شاق إفتاء النبي (ص) اياه بالكفارة دون تعذيب نفسه: روى الشيخان وأصحاب السنن الثلاثة من حديث أنس أن النبي (ص) رأى شيخا يهادى بين ابنيه فقال ماهذا ؟ قالوا نذر أن يمشي — زاد النسائي في رواية — الى بيت الله — قال « ان الله عن تعذيب هذا نفسه لغني » وأمره أن يركب وروى أحمد والشيخان عن عقبة بن عامر قال نذرت اختي أن تمشي الى بيت الله فأمرتني أن استفتي لها رسول الله (ص) فاستفتيته فقال « لتمش ولتركب » وفي رواية أصحاب السنن الاربعة أن اخته نذرت أن تمشي حافية غير مختمرة وأن النبي (ص) قال له « ان الله لايصنع بشقاء اختك شيئا مرها فلتختمر ولتركب ولتصم ثلاثة أيام » وفي بعض الروايات امرها أن تهدي بدنة .

واختلف في النذر بمعصية هل تجب فيه الكفارة أم لا فقال الجمهور لا، وعن

أحمد والثوري واسحق وبعض الشافعية والحنفية نعم — ونقل الترمذي اختلاف الصحابة في ذلك، واتفقوا على تحريم النذر في المعصية واختلافهم انما هو في الكفارة قاله في نيل الاوطار

وأما الحلف بالطلاق اختيارا فللعلماء فيه ثلاثة أقوال مشهورة أشدها انه يقع به الطلاق واخفها انه لا يقع به شيء البتة لانه عبارة عن تأكيد للكلام وصاحبه لم يعزم الطلاق ولم يرده واوسطها انه تجب به كفارة يمين . وليس هذا بموضع بسط أدلة هؤلاء القائلين وترجيح الراجح منها وانما ذكرناه تمهيدا للكلام في الاكراه عليه هل يقع أم لا

اتفق جمهور أئمة المسلمين وعلماء الملة المستقلين من السلف والخلف الى أن من اكره على شيء من قول أو فعل فاتى به مكرها غير مريد له فانه لا يؤاخذ به في الجملة ، واختلفوا في مسائل من ذلك تعارضت فيها النصوص عند بعضهم أو رأوا انه لا يتحقق فيها الاكراه. والاصل في هذه المسألة قوله تعالى في سورة النحل (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) الآية - فجعل الكفر بالله بلا كراه من مطمئن القلب بالايمان غير مؤاخذ به، والكفر أعظم الآثام وأشدها عقابا فما دونه أولى بأن لا يؤاخذ المكره عليه ، وكذا قوله تعالى في اكراه الاماء على البغاء (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) أي لا يعاقبهن على الزنا بالاكراه

قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه (أحكام القرآن) في تفسير الآية الاولى: فذكر استثناء من تكلم بالكفر بلسانه عن اكراه، لم يعقد على ذلك قلبه فانه خارج عن هذا الحكم معذور في الدنيا مغفور له في الاخرى

ثم قال في سياق تفسير المكره : وقد اختلف الناس في التهديد هل هو اكراه أم لا ؟ والصحيح انه اكراه فان القادر الظالم اذا قال لرجل ان لم تفعل كذا والا قتلتك أو ضربتك أو أخذت مالك أو سجنتك ولم يكن له من يحميه الا الله فله أن يقدم على الفعل ويسقط عنه الاثم في الجملة الا في القتل فلا خلاف بين الامة انه اذا اكره عليه بالقتل انه لا يحل له أن يفدي نفسه بقتل غيره . ثم ذكر الخلاف في

الزنا أيضا وقول من قال انه لايتحقق فيه الاكراه لانه شهوة غريزية الخ

ثم قال : لما سمح الله تعالى في الكفر به وهو أصل الشريعة عند الاكراه ولم يؤاخذ به ولا ترتب حكم عليه وعليه جاء الاثر المشهور عند الفقهاء « رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » والخبر وان لم يصح سنده فان معناه صحيح باتفاق من العلماء ،(١) ولكنهم اختلفوا في تفاصيل (منها) قول ابن الماجشون في حد الزنا وقد تقدم (ومنها) قول أبي حنيفة ان طلاق المكره يلزم لانه لم يعدم فيه اكثر من الرضا وليس وجوده بشرط في الطلاق كالهازل . وهذا قياس باطل فان الهازل قاصد الى ايقاع الطلاق راض به والمكره غير راض ولا نية له في الطلاق ،وقال النبي (ص) « انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى »

ثم قال: من غريب الامر ان علماءنا اختلفوا في الاكراه على الحنث في اليمين هل يقع به الاكراه أم لا . وهذه مسألة عراقية سرت لنا منهم لا كانت هذه المسألة ولا كانوا هم ، وأي فرق يامعشر اصحابنا بين الاكراه على اليمين في انها لاتلزم وبين الحنث في انه لايقع ؟ فاتقوا الله وراجعوا بصائركم ، ولا تغتروا بذكر هذه الرواية ، فانها وصمة في الرواية » اه

أقول أما حديث « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة » الذي استدل به الحنفية في هذه المسألة فقد رواه أصحاب السنن الا النسائي وقال الترمذي حسن غريب ، وفي اسناده عبدالرحمن بن حبيب بن ازدك قال النسائي فيه منكر الحديث ووثقه غيره وله شواهد أضعف منه

وقد رد الجمهور استدلال الحنفية بعمومه على وقوع طلاق المكره من وجوه غير ضعفه اقواها انه لو كان صحيحا لما صلح معارضا لقوله تعالى (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) ودلالتها على عدم الاعتداد بطلاق المكره ويمينه ونذره بالاولى ، (ومنها) الاحاديث الواردة في ذلك كحديث « لا طلاق ولا اعتاق في اغلاق » والاغلاق الاكراه كما نقله الحافظ وقال انه المشهور رواه احمد

(١) سيأتي تحسين بعض اهل الجرح والتعديل له

وابو داود وابن ماجه من حديث عائشة وكذا ابو يعلي والحاكم وصححه وفي اسناده محمد بن عبيد بن أبي صالح ضعفه أبو حاتم وذكره ابن حبان في الثقات ولكن رواه البيهقي من غير طريقه — وكحديث « رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس وفي اسناده مقال وقد حسنه النووي وفي معناه آثار تقويه سنذكر بعضها وأقل مايقال في هذه الروايات انها مخصصة للحديث الذي ذكروه ومنها حديث النية. قال البخاري فى كتاب الطلاق من صحيحه:

(باب الطلاق فى الاغلاق والكره والسكران والمجنون وامرهما والغلط والنسيان فى الطلاق والشرك وغيره) يقول النبي (ص) «انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى»

ثم قال فيه : وقال عثمان ليس لمجنون ولا لسكران طلاق . وقال ابن عباس طلاق السكران والمستكره ليس بجائز . قال الحافظ ابن حجر فى شرحه لعنوان الباب: اشتملت هذه الترجمة على أحكام يجمعها أن الحكم انما يتوجه على العاقل المختار العامد الذاكر ، وشمل ذلك الاستدلال بالحديث لان غير العاقل المختار لا نية له فيما يقول أو يفعل وكذلك الغالط والناسي والذى يكره على الشيء

ثم قال الحافظ : وقد اختلف السلف في طلاق المكره فروى ابن أبي شيبة وغيره عن ابراهيم النخعي انه يقع قال لانه شيء افتدى به نفسه وبه قال أهل الرأي (يعنى الحنفية) وعن ابراهيم تفصيل آخر : ان ورى المكره لم يقع والا وقع .وقال الشعبي ان اكرهه اللصوص وقع وان اكرهه السلطان فلا — أخرجه ابن أبي شيبة ووجه بأن اللصوص من شأنهم أن يقتلوا من يخالفهم غالبا بخلاف السلطان

(قال) وذهب الجمهور الى عدم اعتبار مايقع فيه . واحتج عطاء بآية النحل (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) قال عطاء : الشرك أعظم من الطلاق . أخرجه سعيد بن منصور بسند صحيح ، وقرره الشافعي بأن الله تعالى لما وضع الكفر عمن تلفظ به حال الاكراه وأسقط عنه أحكام الكفر فكذلك يسقط عن المكره مادون الكفر لان الاعظم اذا سقط سقط مادونه بطريق الاولى ، والى هذه النكتة أشار البخاري بعطف الشرك على الطلاق في الترجمة اه كلام الحافظ

وقال الامام الشوكاني في شرح حديث « لاطلاق في اغلاق » من كتابه نيل الاوطار مانصه : وقد استدل بهذا الحديث من قال انه لايصح طلاق المكره وبه قال جماعة من أهل العلم حكى ذلك في البحر عن علي وعمر وابن عباس وابن عمر والزبير والحسن البصري وعطاء ومجاهد وطاوس وشريح والاوزاعي والحسن ابن صالح والقاسمية والناصر والمؤيد بالله ومالك والشافعي ، وحكي أيضا وقوع طلاق المكره عن النخعي وابن المسيب والثوري وعمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة وأصحابه ، والظاهر ماذهب اليه الاولون الخ يعني أن الصواب قول الجمهور وشرع في الاستدلال عليه

وحاصل ماتقدم أن من حلف بالله أو بالطلاق مكرها لاتنعقد يمينه ولا يجب عليه به شيء سواء كان اليمين بالله تعالى أو بالطلاق وان هذا ماكان عليه جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين والعترة النبوية وائمة الامصار ، وان أدلتهم عليه الكتاب والسنة والقياس الصحيح فالمطلوب من كل ذى دين أن لا يمنعه ذلك عن النصح لامته ووطنه وعلى المستفتين لنا وأمثالهم أن ينصحوا لامتهم بانتخاب من يرونه أصلح للقيام باعباء النيابة عن الامة وأقدر عليها وأخلص فيها (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)

﴿ بدعة الحلف بالطلاق وحكمه ﴾

« س ٢٨ » من سائل كنى عن نفسه بكلمة مستفهم فأجبت عنه بما يعلم منه معنى السؤال — وهذا نص الجواب كما نشر في الاهرام اجابة لطلبه

سألني سائل (مستفهم) عن بدعة الحلف بيمين الطلاق هل أحدثها الحجاج بن يوسف الظالم المشهور أم لا وما حكمها وهل قال أحد من الفقهاء انه يجب بها كفارة يمين ؟ الخ وجه الى هذا السؤال فى جريدة الاهرام أولا فرأيت ان مايتعلق منه بالحكم الشرعي قد سبق لى بيانه في الفتوى التي نشرت في الاهرام جوابا لمن سألوا عن حكم الاكراه على اليمين بالله وبالطلاق واني لست مكلفا ان أضيع وقتى في كتابة المسائل التاريخية التي يسهل على كل قارىء أن يراجعها في مواضعها . ثم كتب الي هذا السائل كتابا خاصا

وصل لى اليوم (١٥ شعبان) علمت منه أن ماذكرته في الفتوى الاولى من خلاف العلماء في يمين الطلاق لم يفهمه كل أحد حق الفهم لذكره مختصرا — فرأيت أن أجيب عن السؤال بقدر ما أرى من الفائدة بالبينات التي تطمئن بها القلوب ، والنقول التي تستنير بها البصائر، لا بالدعاوي التقليدية التى اعتاد الكثيرون من الشيوخ ان يحملوا الناس عليها لانهم قالوها وعزوها الى مذاهبهم فاقول

إن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قواعد في العقود واختلاف المذاهب فيها ودلائلهم عليها و بيان الراجح والمرجوح منها ، هي غاية التحقيق في بابها ، وقد افتتح القاعدة الخامسة منها وموضوعها (الايمان والنذور) بالآيات القرآنية التى تنكر على الناس تحريم ما أحل الله لهم وجعل الحلف باسمه تعالى عرضة لمنع البر والتقوي و لاصلاح بين الناس — والتى تدل على عدم المؤاخذة باللغو في الايمان وهو مالم ينوه الحالف ولم يكسبه قلبه، ثم وضح المقصود من الباب بمقدمات وحررها في قواعد مفصلة، وحصر الايمان في المقدمة الاولى منها في ست (١) اليمين بالله (٢) اليمين بالنذر (٣) اليمين بالطلاق (٤) اليمين بالعتاق (٥) اليمين بالحرام كقوله : عليّ الحرام لأفعل كذا (٦) الظهار الذي هو نوع من تحريم الزوجة بتشبيه الزوج اياها بأمه مثلا. ثم قال بعد هذا التقسيم «وأما أيمان البيعة فقالوا أول من أحدثها الحجاج ابن يوسف الثقفى وكانت السنة ان الناس يبايعون الخلفاء كما بايع الصحابة النبي (ص) يعقدون البيعة إما كما يعقدون عقد البيع والنكاح ونحوهما و إما أن يذكروا الشروط التى يبايعون عليها ثم يقولوا بايعناك على ذلك ، كما بايعت الانصار النبي (ص) ليلة العقبة . فلما أحدث الحجاج حلف الناس على بيعتهم لعبد الملك بن مروان (١) بالطلاق والعتاق واليمين بالله وصدقة المال — فهذه الايمان الاربعة كانت

«١» كذا في النسخة المطبوعة من فتاوى ابن تيمية وهي كثيرة الغلط والتحريف وقد سقط «منها» هنا جواب لما أو مفعول أحدث فيكون الاصل على هذا الاخير فلما أحدث الحجاج ايمان البيعة حلف الناس... الخ وهو الاظهر وعلى الاول يكون حلف بفتح فسكون مصدرا وقع مفعولا لاحدث وجواب لما الساقط : صاروا يحلفون بالطلاق . . . الخ

ايمان البيعة القديمة المبتدعة. ثم أحدث المستحقون (؟) عن الامراء من الخلفاء والملوك وغيرهم ايمانا كثيرة اكثر من تلك . وقد تختلف فيها عادتهم . ومن أحدث ذلك فحسبه إثما ما ترتب على هذه الايمان من الشر » اه

اقول : ولما جرى العباسيون على بدعة الامويين في ايمان البيعة كان ممن انكر عليهم من العلماء الامام مالك بن انس رضي الله عنه وقد احتمل الاذى في سبيل الله تعالى حتى انه ترك بعد ذلك صلاة الجمعة والجماعة كما ذكره الفقهاء والمحدثون والمؤرخون .

روي الحافظ ابو نعيم في الحلية ان جعفر بن سليمان ضرب مالكا فى طلاق المكره. قال ابن وهب وحمل على بعير فقال : ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا مالك بن انس بن عامر وأنا أقول طلاق المكره ليس بشيء . فبلغ جعفر بن سليمان انه ينادي على نفسه بذلك فقال أدركوه وأنزلوه . وفى تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي : قال المفضل بن زياد سألت احمد : من الذى ضرب مالكا ؟ قال ضربه بعض الولاة في طلاق المكره وكان لايجيزه فضربه لذلك. وروي عن مالك انه قال ضربت فيما ضرب فيه سعيد بن المسيب ومحمد بن المنكدر وربيعة ولا خير فيمن لايؤذى في هذا الامر . وقال الواقدي حسدوا مالكا وسعوا به الى جعفر بن سليمان وهو على المدينة وقالوا انه لايرى بيعتكم هذه شيئا ويأخذ بحديث في طلاق المكره انه لايجوز فغضب ودعا به وجرد ومدت يده حتى انخلع كتفه (قال) فوالله مازال بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وكانما كانت تلك السياط حليا تحلي به. وروى الحافظ أبو الوليد الباجي قال حج المنصور فاقاد مالكا من جعفر بن سليمان فاستنع مالك وقال معاذ الله. أي لم يرض بان يقتص له المنصور من عامله جعفر. وقد نقل خبر عزلته وتركه للمسجد والجمعة والجماعة غير واحد منهم الشاطبي وابن خلكان في تاريخه

هذا — ولما بلغ شيخ الاسلام مسألة الحلف بالطلاق ذكر انها لم يرد فيها شيء عن الصحابة (رض) لانها لم تكن حدثت في زمانهم وانما ابتدعها الناس فى زمن التابعين فاختلفوا فيها هم ومن بعدهم وقد أطال فى بيان هذا الخلاف ودلائل المختلفين فيه ومفاسد القول بوقوع الطلاق وخروجه بالملة السمحة عما وصفها الله تعالى به من اليسر

ورفع الحرج، والحيل التي جعلوا بها آيات الله هزؤا ، ولا يمكن نقل شيء من كلامه في أدلة المسألة لطوله وتعلق بعضه ببعض ، ولكنه ذكر الخلاف في فتوى مختصرة منشورة في أول المجلد الثالث من فتاواه قال فيها مانصه :

« وللعلماء في هذه الايمان ثلاثة أقوال (أحدها) إذا حنث لزمه ماحلف به (والثاني) لا يلزمه شيء (والثالث) يلزمه كفارة يمين . والقول الثالث أظهر الاقوال لان الله تعالى قال (قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) وقال (ذلك كفارة ايمانكم إذا حلفتم) وثبت عن النبي (ص) في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة وعدي بن حاتم وأبي موسى انه قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه » وجاء هذا المعنى في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي موسى وعبد الرحمن بن سمرة ، وهذا يعم جميع أيمان المسلمين »

وقد أطال في إثبات شمول التحلة بالتكفير عن اليمين للحالف بالطلاق في رسالة قواعد العقود التي أشرنا اليها بما ينبغي أن يراجعه من شاء ذلك والعمدة فيه ماورد في سبب نزول آية التحريم ونكتفي بأهم ماورد فيه وأصحه من صحيح البخاري وشرحه الفتح فقط : روى البخاري في صحيحه ان ابن عباس قال في الحرام : يكفر وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) قال الحافظ ابن حجر في شرحه من كتاب التفسير : أي إذا قال لامرأته أنت علي حرام - لا تطلق وعليه كفارة يمين . وذكر من زيادة رواية أخرى عنه : إذا حرم امرأته ليس بشيء (قال) والغرض من حديث ابن عباس قوله فيه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) فان فيه إشارة الى سبب نزول أول هذه السورة والى قوله فيها (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وفي بعض حديث ابن عباس عن عمر في القصة الآتية : فعاقبه الله في ذلك وجعل له كفارة اليمين . ثم ذكر الحافظ القولين فى تحريم ماأحل الله له وهو شرب العسل عند زينب أم المؤمنين أو تحريم مارية القبطية على نفسه (قال) ووقع عند سعيد بن منصور باسناد صحيح الى مسروق قال : حلف رسول الله (ص) لحفصة لايقرب أمته وقال « هي علي حرام» فنزلت الكفارة ليمينه وأمره ان لا يحرم ما أحل الله له وذكر غير هذه الرواية في المسألة

ثم عاد الى ذلك في شرح حديث ابن عباس من كتاب الطلاق من البخاري ، ومما جاء فيه قوله : قال زيد بن أسلم فقول الرجل لامرأته : أنت علي حرام - لغو وانما تلزمه كفارة يمين. وحقق ان قوله: ليس بشيء - معناه ليس بطلاق. أقول وايا ما كان سبب نزول الآية فليس المراد بالايمان فيها الحلف بالله بل تحريم الحلال سماه يمينا وجرى على هذا عرف الناس قديما وحديثا وان اختلفوا في وقوع اليمين بالطلاق وعدمه. وإذ كانت الآية عامة فهي حجة للقائلين بالكفارة وعدم وقوع الطلاق. وهذا ما أطال شيخ الاسلام في بيانه، وله أدلة أخرى إذا كانت اليمين على تأكيد فعل أو ترك منها أمر النية فان الحالف لا يريد به طلاق زوجته وخراب بيته قطعا وإنما يريد التأكيد كما لو حلف بالله تعالى سواء . ولفظ علي الحرام أو امرأتي علي حرام . بدون قوله ان فعلت كذا أقرب الى عزم الطلاق ومع ذلك وقع الخلاف فيه على أقوال كثيرة لخصها الحافظ بن حجر في شرح ترجمة الباب الذي ذكرنا حديث ابن عباس فيه بقوله :

قوله (باب من قال لامرأته أنت علي حرام وقال الحسن نيته) أي يحمل على نيته ، وهذا التعليق وصله البيهقي ووقع لنا عاليا في جزء محمد بن عبد الله الانصاري شيخ البخاري قال حدثنا الاشعث عن الحسن في الحرام : ان نوى يمينا فيمين وان طلاقا فطلاق ، واخرجه عبد الرازق من وجه آخر عن الحسن ، وبهذا قال النخعي والشافعي واسحق وروي نحوه عن ابن مسعود وابن عمر وطاوس وبه قال النووي ولكن قال إن نوى واحدة فهي بائن . وقالت الحنفية مثله لكن قالوا ان نوى اثنتين فهي واحدة بائنة وان لم ينو طلاقا فهي يمين ويصير موليا . وهو عجيب والاول أعجب

« وقال الاوزاعي وابو ثور يمين الحرام يكفر (اي بكفارة اليمين بالله) وروى نحوه عن أبي بكر وعمر وعائشة وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس ، واحتج أبو ثور بظاهر قوله تعالى (لم تحرم ما أحل الله لك) وسيأتي بيانه في الباب الذي بعده .

« وقال أبو قلابة وسعيد بن جبير من قال لامرأته أنت علي حرام لزمته كفارة الظهار ، ومثله عن أحمد . . . وقال أبو حنيفة وصاحباه لا يكون مظاهرا ولو اراده

وروي عن علي وزيد بن ثابت وابن عمر والحكم وابن ابي ليلى : في الحرام ثلاث تطليقات ولا يسئل عن نيته . وبه قال مالك . وعن مسروق والشعبي وربيعة لاشيء فيه ، وبه قال اصبغ من المالكية

« وفي المسألة اختلاف كثير عن السلف بلغه القرطبي المفسر الى ثمانية عشر قولا وزاد غيره عليها وفي مذهب مالك فيها تفاصيل يطول استيعابها » اه تلخيص الحافظ ثم ذكر مدارك ماتقدم من الاقوال ، وحسبنا هذا في الجواب ، وسنفصله في المنار ان شاء الله تعالى وهو الموفق للصواب

هذا ماأجبت به ونشر في جريدة الاهرام وأزيد هنا ممانقله الحافظ عن القرطبي مانصه : قال بعض علمائنا سبب الاختلاف انه لم يقع في القرآن صريحا ولا في السنة نص ظاهر صحيح يعتمد عليه في حكم هذه المسألة فتجاذبها العلماء فمن تمسك بالبراءة الاصلية قال لايلزمه شيء - ومن قال انها يمين أخذ بظاهر قوله تعالى (قد فرض الله تحلة أيمانكم) بعد قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) ومن قال تجب الكفارة وليست بيمين بناه على أن معنى اليمين التحريم فوقعت الكفارة على المعنى - ومن قال تقع به طلقة رجعية حمل اللفظ على أقل وجوهه الظاهرة وأقل ما تحرم به المرأة طلقة تحرم الوطء مالم يرتجعها - ومن قال بائنة فلاستمرار التحريم بها مالم يجدد العقد - ومن قال ثلاثا حمل اللفظ على منتهى وجوهه - ومن قال ظهار نظر الى معنى التحريم وقطع النظر عن الطلاق فانحصر الامر عنده في الظهار والله أعلم اه

أقول وقد ظهر ببيان مدارك هذه المذاهب وأدلتها ان أقواها الثاني الذي هو الاخذ بظاهر القرآن وهو ان من حرم امرأته بقوله هي عليه حرام مطلقا أو مقيدا بقوله ان فعلت كذا أو ان لم أفعل كذا - فالواجب عليه كفارة يمين وهو الذي فرضه الله في تحلة جميع الايمان - وهو لا يعارض هذا الظاهر من كتاب الله بشيء من تلك التعليلات وأقواها البراءة الاصلية وهي انه لا يقع عليه شيء ولا يجب عليه شيء ، والتزام كفارة اليمين أقوى وأحوط . فعسى أن تقرر الحكومة المصرية العمل بهذا وكذا سائر الحكومات الاسلامية ذلك والله الموفق .

المفطرون في رمضان

كتبنا في فريضة الصيام وحكمه وفوائده الروحية والبدنية والاجتماعية مرارا متعددة في المجلدات المتفرقة من المنار وإذ قضى الله تعالى ان يقرأ هذا الجزء منه في شهر رمضان المبارك رأينا أن نعيد التذكير والوعظ في ذلك بكلمة وجيزة عسى أن يتذكر ويستفيد المستعدون لذلك من الذين لا يؤدون هذه الفريضة

إن الذين يفطرون في نهار رمضان أصناف (منهم) المسلم بالوراثة الذي لا يعرف من الاسلام الا تقاليد منها لفظي كالشهادتين وكلمة «مسلم موحد بالله» ومنها عملية كالصلاة والصيام احتفالات والموالد والمواسم والمحمل والمقابر وكون زيارة الاولياء وشد الرحال اليها تغفر الذنوب وتقضي الحاجات وكون كل ما يفعله الانسان مقدر فلا يؤاخذ عليه ، فكل أمور الدين عند أكثر هؤلاء عادات من تعود شيئا منها بتقاليد بيته فعله ولا تركه بلا مبالاة بالوعيد ولا اكتراث للوعد ، وأقلهم من تغلبه شهوته الحيوانية فيعذر نفسه باستغناء الله عن صيامه وتمني العفو والمغفرة

ومنهم المارقون من الدين بشبهات تلقفوها من ملاحدة الافرنج والمتفرنجين الذين لا نصيب لهم من الاسلام إلا الولادة في بعض بيوت المسلمين

ومن المفطرين من يفطر سرا ويحفظ حرمة الشهر بين الناس فلا يأكل ولا يشرب ولا يدخن على مرأى أحد ، ومنهم الذين يدخنون في الشوارع العامة ويشربون قهوة البن أو الخمرة في المقاهي أو الحانات العامة ، ويتغدون في المطاعم العامة مع أمثالهم من غير المسلمين أو من المعدودين في دفاتر الاحصاء منهم واذا كانوا أرباب بيوت لهم فيها الامر والنهي أو كان أهل بيوتهم من المارقين معهم من الدين فان موائد الطعام تنصب لهم في رمضان أول النهار وبعد الظهر كما تنصب في سائر الشهور

من الاسباب النظرية الفكرية للاسرار بالفطر ان الاسلام رابطة اجتماعية ادبية سياسية في الحياة الدنيوية وعقيدة دينية مظهرها هذه العبادات المخصوصة فمن فقد العقيدة الباعثة على العبادة فالواجب في القانون الادبي والاجتماعي أن يحافظ على الرابطة الدنيوية العامة التي تربطه بالامة الكبيرة - أو الصغيرة -

التي ينتمي اليها وأن يحترم شعائرها فلا يمتهنها جهرا على مرأى من أهلها لان ذلك إهانة لها ولنفسه من حيث هو فرد من أفرادها ، وأصحاب هذا النظر هم أرقى هؤلاء المارقين عقلا وشعورا . وقد قال لي أحد أدباء الترك إنني ان أفطرت في رمضان فانني لا أمتهن نفسي وملتي بالجهر بذلك ولا أطيق ان أرى أحدا يفعل ذلك فان وجدت مسلما يجهر به أمامي فانني أجد من نفسي شعورا يبعثني على قتله ان استطعت

ومن الاسباب الاجتماعية والادبية مالا يرتقي بالمسر بالفطر إلى هذه الافكار والشعور بل يسره سبب احتراما لاهل بيته وعشرائه إذا كانوا من أهل البيوت العريقة في الاسلام المحافظة على شعائره ، فان بعض أولاد وجهاء العلماء وغيرهم من بيوتات المسلمين الذين أفسد دينهم وأدبهم تعليم المدارس العصرية يفطرون في رمضان ويسكرون . . ولكن سرا أو مع أمثالهم من الفساق المستهترين

كذلك الذين يجاهرون بانتهاك حرمة شهر الصيام منهم أصحاب رأي ونظر كالمتفرنجين الذين ليس لهم من الرأي والفكر ما يرتقي بهم إلى إحترام الملة أو الامة التي ينتمون اليها ، ولا لهم من البيوت التي يعيشون فيها من يوافقونه على تقاليده المليه كعادته ، ولا من الخلطاء الذين يعاشرونهم من يستحيون منه ، فقد إنتفى المانع من الجهر ووجد المقتضي له عندهم وهو مايسمونه الحرية الشخصية والشجاعة أو الجرأة المعنوية ، وقد يحتقرون المستخفي بالفطر أو يفندون رأيه برميه بالجبن والنفاق وانه هو المانع له من إظهار ما هو منطو عليه من عدم التدين ، وهم يخدعون أنفسهم بألقاب الحرية والجرأة الفسقية التي يسمونها شجاعة أدبية ، فان أحدهم لو مات والده المسلم مثلا وكان غنيا وادعى بعض إخوته أو غيرهم انه لا يرثه لانه ليس على دينه وطلب من المحكمة الشرعية الحكم بحرمانه من الارث وسأله القاضي الشرعي عن ذلك فانه يدعي الاسلام ويكذب من رماه بالارتداد عنه ، وقل مثل هذا اذا أراد أن يتزوج فتاة مسلمة أو ادعت عليه زوجته المسلمة انه قد ارتد عن الاسلام وطلبت من المحكمة الشرعية التفريق بينها وبينه

وجملة القول ان هؤلاء أدنياء لا شعور لهم بالكرامة القومية ولا الملية، وأما سائر المجاهرين بالفطر في رمضان فهم التحوت المستولون من الطبقة السفلى أي الذين لا يبالون أما ولا عارا وأمرهم معروف

ابطال وحدة الوجود

والرد على القائمين بها

﴿ لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه ﴾

وأما قول القائل

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين

فهذا القول مبني على قول هؤلاء وهو باطل متناقض فان مقتضاه انه يرى الله بعينه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « واعلموا أن أحدا منكم لن يري ربه حتى يموت » وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحداً من المؤمنين لا يرى الله بعينه فى الدنيا ولم يتنازعوا الا فى النبي صلي الله تعالى عليه وسلم مع أن جماهير الائمة على انه لم يره بعينهِ في الدنيا وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة وائمة المسلمين

ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الامام احمد وامثالهما انهم قالوا رأى ربه بعينه بل الثابت عنهم إما اطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة انه رآه بعينه وقوله « أتاني البارحة ربي في احسن صورة » الحديث الذي رواه الترمذى وغيره انما كان بالمدينة في المنام هكذا جاء مفسراً و كذلك ام الطفيل وحديث ابن عباس وغيرهما مما فيه رؤية ربه انما كان بالمدينة كما جاء مفسرا في الاحاديث والمعراج كان بمكة كما قال (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) و قد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع. وقد ثبت بنص القرآن انموسى قيل له (لن ترانى) وأن رؤية

الله أعظم من انزال كتاب من السماء فمن قال ان أحدا من الناس يراه فقد زعم انه اعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم من دعوى من ادعى ان الله انزل عليه كتابا من السماء

المسلمون في رؤية الله على ثلاثة اقوال فالصحابة والتابعون وائمة المسلمين على أن الله يرى في الآخرة بالابصار عيانا وأن احدا لا يراه في الدنيا بعينه لكن يرى في المنام ويحصل للقلوب في المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها . ومن الناس من تقوى مشاهدة قلبه حتى يظن انه رأى ذلك بعينه وهو غالط ، ومشاهدات القلوب تحصل بحسب ايمان العبد ومعرفته في صورة مثالية كما قد بسط في غير هذا الموضع

(والقول الثاني) قول نفاة الجهمية انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة

(والثالث) قول من يزعم انه يرى في الدنيا والآخرة

وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والاثبات فيقولون انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وانه يرى في الدنيا والآخرة وهذا قول ابن عربى صاحب الفصوص وأمثاله لان الوجود المطلق الساري في الكائنات لا يرى وهو وجود الحق عندهم

ثم من أثبت الذات قال يرى متجليا فيها ومن فرق بين المطلق والمعين قال لا يرى الا مقيدا بصورة وهؤلاء قولهم دائر بين أمرين انكار رؤية الله واثبات رؤية المخلوقات ويجعلون المخلوق هو الخالق أو يجعلون الخالق حالا فى المخلوق والا فتفريقهم بين الأعيان الثابتة في الخارج وبين وجودها هو قول من يقول بأن المعدوم شيء فى الخارج وهو قول باطل وقد ضموا اليه انهم جعلوا نفس وجود المخلوق هو وجود

الخالق وأما التفريق بين المطلق والمعين مع أن المطلق لا يكون هو فى الخارج مطلقا يقتضي أن يكون الرب معدوما وهذا هو جحود الرب وتعطيله، وان جعلوه ثابتا فى الخارج جعلوه جزءا من الموجودات فيكون الخالق جزءا من المخلوق أو عرضا قائما بالمخلوق. وكل هذا مما يعلم فساده بالضرورة، وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع

وأما تناقضه فقوله

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين

يقتضي المغايرة وأن المخاطب غير المخاطِب وأن المخاطب له عين قلب لا يغيب عنها المخاطَب بل يشهده القلب والعين والشاهد غير المشهود

وقوله * ما بينكم وبيننا من بين * فيه اثبات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وهذا اثبات لاثنين، وان قالوا مظاهر ومجالي قيل فان كانت المظاهر والمجالى غير الظاهر المتجلي فقد ثبتت الثنية وبطل التعدد، وان كان هو اياها فقد بطلت الوحدة فالجمع بينهما متناقض. وقول القائل

فارق ظلم الطبع وكن متحدا بالله والا كل دعواك محال

ان أراد الاتحاد المطلق فالمفارق هو المفارق وهو الطبع وظلم الطبع وهو المخاطب بقوله « وكن متحدا بالله » وهو المخاطب بقوله « كل دعواك محال » وهو القائل هذا القول، وفى ذلك من التناقض ما لا يخفى. وان أراد الاتحاد المقيد فهو ممتنع لان الخالق والمخلوق اذا اتحدا فان كانا بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبل الاتحاد فذلك تعدد وليس باتحاد، وان كانا استحالا الى شيء ثالث كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد ونحو ذلك مما يشبه النصارى بقولهم في الاتحاد لزم من ذلك أن يكون الخالق

قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر مايتحد مع غيره فانه لابد أن يستحيل وهذا ممتنع على الله ينزه الله عن ذلك ،لان الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجوداً والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع العدم على شيء من ذلك، ولان صفات الرب اللازمة له صفات كمال فعدم شيء منها نقص تعالى الله عنه، ولان اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي أن العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق فان العبد يلزمه الحدوث والافتقار والذل وصفات الرب تعالى اللازمة القدم والغنى والعزة وهو سبحانه قديم غني عزيز بنفسه يستحيل عليه نقيض ذلك فاتحاد أحدهما بالآخر يقتضي أن يكون الرب متصفاً بنقيض صفاته من الحدوث والفقر والذل، والعبد متصفاً بنقيض صفاته من القدم والغنى الذاتي والعز الذاتي وكل ذلك ممتنع وبسط هذا يطول

ولهذا سئل الجنيد عن التوحيد فقال التوحيد افراد الحدوث عن القدم. فبين أنه لابد من تمييز المحدث عن القديم

ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد (إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) وان كان المتكلم بهذا البيت أراد الاتحاد الوصفي وهو أن يحب العبد مايحبه الله . ويبغض ما يبغضه الله . ويرضى بما يرضي الله . ويغضب لما يغضب الله . ويأمر بما يأمر الله. وينهى عما ينهى الله عنه . ويوالي من يواليه الله. ويعادي من يعاديه الله . ويحب لله . ويبغض لله. ويعطي لله . ويمنع لله . بحيث يكون

موافقا لربه تعالى فهذا المعنى حق وهو حقيقة الايمان وكماله وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه . ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ؛ ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذ بي لاعيذنه . وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه »

وهذا الحديث يحتج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة.(منها) انه قال « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة» فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه وهؤلاء ثلاثة ، ثم قال «وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه» فاثبت عبدا يتقرب اليه بالفرائض ثم بالنوافل وانه لا يزال يتقرب بالنوافل حتي يحبه فاذا أحبه كان العبد يسمع به ويبصر به ويبطش به ويمشي به ، وهؤلاء هو عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعده هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه وفخذه لا يخصون ذلك بالاعضاء الاربعة المذكورة في الحديث فالحديث مخصوص بحال مقيد وهم يقولون بالاطلاق والتعميم فاين هذا من هذا ؟ وكذلك قد يحتجون بما في الحديث الصحيح ان الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك

هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذاجاء ربنا عرفناه ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها في أول مرة فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا » فيجعلون هذا حجه لقولهم انه يرى في الدنيا في كل صورة بل هو كل صورة وهذا الحديث حجة عليهم ـ في هذا ـ أيضا فانه لا فرق عندهم بين الدنيا والآخرة وهو عندهم في الآخرة المنكرون(١) الذين قالوا نعوذ بالله منك حتى يأتينا ربنا وهؤلاء الملاحدة يقولون ان العارف يعرفه في كل صورة فان الذين أنكروه يوم القيامة في بعض الصور كان لقصور معرفتهم. وهذا جهل منهم فان الذين انكروه يوم القيامة ثم عرفوه لما تجلي لهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة هم الانبياء والمؤمنون وكان انكارهم مما حمدهم سبحانه وتعالى عليه فانه امتحنهم بذلك حتى لا يتبعوا غير الرب الذى عبدوه فلهذا قال في الحديث وهو يسألهم ويثبتهم « وقد نادى المنادي ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون»

ثم يقال لهؤلاء الملاحدة اذا كان عندهم هو الظاهر في كل صورة فهو المنكِر وهو المنكَر كما قال بعض هؤلاء لآخر من قال لك: ان في الكون سوى الله فقد كذب، وقال له الآخر فمن هو الذى كذب؟ وذكر ابن عربي انه دخل على مريد له في الخلوة وقد جاءه الغائط فقال ما أبصر

(١) ههنا تحريف ظاهر فان قوله: وهو عندهم في الآخرة المنكرون ـ لا معنى له فقد سقط من الناسخ كلام لا سبيل الى معرفته والمعروف عن ابن عربي في فتوحاته يدل عليه ومنه ان الرب تعالى يتجلى لكل احد بحسب معرفته فالقاصر المقيد برأي أو مذهب معين لا يعرفه الا اذا تجلى له في صورة اعتقاده واما العارف المطلق من حجر القيود فانه يعرفه في كل شيء ويراه في التجلي بكل صورة، لانه في اعتقاده كل شيء ـ قاله محمد رشيد

غيره أبول عليه، فقال له شيخه فالذى يخرج من بطنك من أين هو؟ قال فرجت عني. ومر شيخان منهم التلمساني هذا والشيرازي على كلب أجرب ميت فقال الشيرازي للتلمسانى هذا ايضا من ذاته - فقال (التلمساني) هل ثم شيء خارج عنها؟ وكان التلمسانى قد أضل شيخا زاهدا عابدا ببيت المقدس يقال له أبو يعقوب المغربي المبتلى حتى كان يقول : الوجود واحد . وهو الله ، ولا ارى الواحد ، ولا ارى الله . ويقول نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود والوجود واحد لا ثنوية فيه . ويجعل هذا الكلام له تسبيحا يتلوه كما يتلو التسبيح

واما قول الشاعر

اذا بلغ الصب الكمال من الهوى وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
فشاهد حقا حين يشهده الهوى بان صلاة العارفين من الكفر

فهذا الكلام مع انه كفر هو كلام جاهل لا يتصور مايقول فان الفناء والغيب هو أن يغيب بالمذكور عن الذكر وبالمعروف عن المعرفة وبالمعبود عن العبادة حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ، وهذا مقام الفناء الذى يعرض لكثير من السالكين لعجزهم عن كمال الشهود المطابق للحقيقة بخلاف الفناء الشرعي فمضمونه الفناء بعبادته عن عبادة ماسواه وبحبه عن حب ماسواه . وبخشيته عن خشية ماسواه . وبطاعته عن طاعة ماسواه . فان هذا تحقيق التوحيد والايمان

(وأما النوع الثالث) من الفناء وهو الفناء عن وجود السوى بحيث يرى ان وجود الخالق هو وجود المخلوق - فهذا هو قول هؤلاء الملاحدة اهل الوحدة. والمقصود هنا أن قوله يغيب عن المذكور كلام

جاهل ذ‌ن ‌هـذا لايحمد أصلا بل المحمود أن يغيب بالمذكور عن الذكر لايغيب عن المذكور في سطوات الذكر اللهم الأن يريد انه غاب عن المذكور فشهد المخلوق وشهد انه الخالق ولم يشهد الوجود الا واحدا ونحو ذلك من المشاهد الفاسدة فهـذا شهود أهل الالحاد لا شهود الموحـدين ولعمرى ان من شهد هذا الشهود الالحادي فانه يرى صلاة العارفين من الكفر . وأما قول القائل

الـكون يناديك اماتسمعني من الّف أشتاتي ومن فرقني
انظر لتراني منظراً معتبراً مافيّ سوى وجود من اوجدني

فهو من أقوال هؤلاء المـلاحدة وأقوالهم كفر متناقض باطل في العقل والدين فانه اذا لم يكن فيه الا وجود من أوجده كان ذلك الوجود هو الكون المنادي وهو المخاطب المنادى. وهو الاشتات المؤلفة المفرقة وهو المخاطب الذى قيل له: انظر وحينئذ يكون الوجود الواجب القـديم الازلي قد أوجد نفسه وفرقها وألفها. فهذا جمع بين النقيضين

فالواجب هو الذي لاتقبل ذاته العدم فممتنع أن يكون الشيء الواحد قابلا للعدم غير قابل للعدم، والقديم هو الذي لا أول لوجوده والمحدَث هو الذي له أول،فيمتنع كون الشيء الواحد قديما محدثا ولولا انه قد علم مرادهم بهذا القول لامكن ان يراد بذلك مافي سوي الوجود الذي خلقه من أوجدني وتكون اضافة الوجود الى الله اضافة الملك لكن قد علم انه لم يرد هذا ولان هذه العبارة لاتستعمل في هذا المعنى وانما يراد بوجود الله وجود ذاته لاوجود مخلوقاته.وهكذا قول القائل:

وله ذات وجود الـ كون الحق شهود

ان ليس لموجود سوى الحق وجود

فراده بان وجود الكوز هو نفس وجود الحق وهذا هو قول أهل الوحدة والا فلو أراد ان وجود كل موجود من المخلوقات هو من الحق تعالى فليس لشيء وجود من نفسه وانما وجوده من ربه والاشياء باعتبار أنفسها لا تستحق سوى العدم وانما حصل لها الوجود من خالقها وبارئها فهي دائمة الافتقار اليه لا تستغني عنه لحظة لا في الدنيا ولا في الآخرة — لكان قد أراد معنى صحيحا وهو الذي عليه أهل العقل والدين من الاولين والآخرين . وهؤلاء القائلون بالوحدة قولهم متناقض ولهذا يقولون الشيء ونقيضه والا فقوله: منه والي علاه يبدي ويعيد . يناقض الوحدة فمن هو البادي والعائد منه واليه اذا لم يكن الا واحد . وقوله

وما انا في طراز الكون شيء لاني مثل ظل مستحيل

يناقض الوحدة لان الظل مغاير لصاحب الظل فاذا شبه المخلوق بالظل لزم اثبات اثنين كما اذا شبهه بالشعاع فان شعاع الشمس ليس هو نفس قرص الشمس وكذلك اذا شبهه بضوء السراج وغيره والنصارى تشبه الحلول والاتحاد بهذا

(وقلت) لمن حضرني منهم وتكلم بشيء من هذا: فاذا كنتم تشبهون المخلوق بالشعاع الذي للشمس والنار والخالق بالنار والشمس فلا فرق في هذا بين المسيح وغيره فان كل ماسوى الله على هذا هو بمنزلة الشعاع والضوء فما الفرق بين المسيح وبين ابراهيم وموسى ؟ بل ماالفرق بينه وبين سائر المخلوقات على هذا؟ وجعلت أردد عليه هذا الكلام وكان في المسجد جماعة حتى فهمه فهما جيداً وتبين له وللحاضرين ان قولهم باطل لا حقيقة

له وان ما أثبتوه للمسيح إما ممتنع في حق كل أحد وإما مشترك بين المسيح وغيره. وعلى التقديرين فتخصيص المسيح بذلك باطل (وذكرت له) أنه مامن آية جاء بها المسيح الا وقد جاء موسى باعظم منها فان المسيح صلى الله عليه وسلم وان كان جاء باحياء الموتى فالموتى الذين أحياهم الله على يد موسى اكثر كالذين قالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) ثم أحياهم الله بعد موتهم، وقد جاء باحياء الموتى غير واحد من الانبياء، والنصارى يصدقون بذلك. وأما جعل العصا حية فهذا أعظم من احياء الميت فان الميت كانت فيه حياة فردت الحياة الى محل كانت فيه الحياة. وأما جعل خشبة يابسة حيوانا تبتلع العصي والحبال فهذا أبلغ في القُدر واقدر (١) فان الله يحيي الموتى ولا يجعل الخشب حياة

وأما انزال المائدة من السماء فقد كان ينزل على عسكر موسى كل يوم من المن والسلوى وينبع لهم من الحجر من الماء ماهو أعظم من ذلك فان الحلو أو اللحم دائما هو أجل في نوعه وأعظم في قدره مما كان على المائدة من الزيتون والسمك وغيرهما، وذكرت له نحوا من ذلك مما تبين ان تخصيص المسيح بالاتحاد ودعوى الالهية ليس له وجه، وان سائر ما يذكر فيه اما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من المخلوقات واما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من الانبياء والرسل مع ان بعض الرسل كابراهيم وموسى قد يكون أكمل في ذلك منه، وأما خلقه من امرأة

---

(١) كذا في الاصل وفيه تحريف ظاهر من جهل النساخ والمعنى ظاهر وهو أن آية العصا لموسى أعظم من احياء الميت لعيسى عليهما السلام وأدل على قدرة الله تعالى بما ذكر من الفرق بين البشر والخشب

بلا رجل نخلق حواء من رجل بلا امرأة أعجب من ذلك فانه خلق من بطن امرأة وهذا معتاد بخلاف الخلق من ضلع رجل فانهذا ليس بمعتاد فما من أمر يذكر في المسيح صلى الله عليه وسلم الا وقد شركه فيه أو فيما هو أعظم منه غيره من بني آدم

فعلم قطعا ان تخصيص المسيح باطل وان مايدعى له ان كان ممكنا فلا اختصاص له به وان كان ممتنعاً فلا وجود له فيه ولا في غيره ولهذا قال هؤلاء الاتحادية ان النصارى انما كفروا بالتخصيص وهذا أيضا باطل فان الاتحاد عموم وخصوص والمقصود هنا ان تشبيه الاتحادية أحدهم بالظل المستحيل يناقض قولهم بالوحدة . وكذلك قول الآخر

أحن اليه وهو قلبي وهل يرى سواي أخو وجد يحن لقلبه
ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري وما بعده الا لافراط قربه

هو مع ما قصده به من الكفر والاتحاد كلام متناقض فان حنين الشيء الى ذاته متناقض ولهذا قال وهل يرى أخو وجد يحن لقلبه؟ وقوله وما بعده الا لافراط قربه ، متناقض فانه لا قرب ولا بعد عند أهل الوحدة فانهاتقتضي اين يقرب أحدهمامن الآخر والواحد لايقرب من ذاته ولا يبعد من ذاته لها بقية

المقالات الجمالية

(٣)

{ السياسة الانجليزية . في الممالك الشرقية }

(نشرت في العدد الثالث من السنة الخامسة من جريدة النحلة التي كانت تصدر في لوندرة في أثناء زيارة السيد لها من أواخر سنة ١٨٨٢ وأول سنة ١٨٨٣)

بلغنا أن الحكومة الانجليزية قد عرضت لائحة في المسئلة المصرية على الدولة العثمانية تسكينا لروعها وتطمينا لبالها تذكر فيها أنها ماقصدت الاستيلاء على مصر ولا تود وضع اليد عليها ولكن سوف تبقى العساكر الانجليزية في البلاد النيلية الى مدة زوال القلاقل وحصول الراحة وتشكيل المجالس والمحاكم ولا تود الدولة البريطانية أن تمس حقوق الحضرة السلطانية بمداخلتها في مصر

نعم هذه هي السياسة الانجليزية في جميع البلاد الشرقية عملت بها في الممالك التي أرادت الاستيلاء عليها وقد حذقت فيها وجربتها مرات عديدة حتى اذا خاض العاقل فيها رأى أن لا سياسة للانجليز سواها كأنها عرفت عقول الشرقيين وعلمت ما فطروا عليه من السذاجة وشدة الاعتقاد بمواعيد عرقوب فتأخذهم على غرة وتستلب بلادهم وهم في أمن منها يثقون بعهودها ولا يعرفون أن هذه الحكومة إنما تقتنص باوهاق الايمان (١) ولا تسلك في فتوحاتها إلا مسلك الوداد ، حتى إنها قل ما تملكت بلدا بالقوة القاهرة وان الشر لا يأتي إلا من معاهداتها

أليست هي التي أزالت السلطنة التيمورية التي كانت منبثة في جميع أرجاء الهند بمداخلتها الودادية ومواعيدها المؤكدة ؟ أليست هي التي نقضت الحكومة النظامية في بنغاله بعساكرها التى وضعتها للمحافظة على تلك البلاد؟ أليست هي التى أزاحت السلطنة الكهنورية (٢) بنفس جنودها الذين أقامتهم لتوطيد الراحة فيها؟

---

(١) الوهق محرك ويسكن الحبل يرمى في انشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان الجمع أوهاق

(٢) كذا في الاصل المخطوط وهو مما تركه لنا الإستاذ الامام ولكنه بغير خطه ولعلها اللكناهورية

أين ذهبت حكومات امراء الكرناتك ومدراس التي كانت مطمئنة بالعساكر الانجليزية ومعتمدة على معاهداتها ؟ أين حكومة بنجاب وممالك امراء السند؟ أين حكومة المراتيين في بونه ؟ ذهبت كلها لاعتماد أهلها على وعود الانجليز وحماية عساكر الملكة ، وما أبادهم لعمري سوى تلك العساكر نفسها التي وضعت لصيانتها من الفساد الداخلي ، فاحذروا يا أهل الديار النبلية من أن يحل ببلادكم ما حل بغيرها * ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده *

وقد بلغنا منذ قدمنا لوندن أن معظم الاوامر التى يجريها الخديو تكتب أولا في الوزارة الخارجية بلوندرة ثم ترسل الى المندوب الانجليزي بمصر، والمذكور يقدمها لحضرة الخديو ليجريها كأنها صادرة عن أمره باختياره ، ولا أمر له فيها ولا اختيار ، وربما هذا كان الباعث على استقالة رياض باشا من الوزارة

هذه هي السياسة الانكليزية التي كشفت عنها غطاءها التجارب ، وبهذه السياسة جالت في ميدان جميع فتوحاتها فلا أظن أنها تتمكن بعد الآن من اختلاب عقول الشرقيين بهذه المواعيد(١) وما أظن أن السلطان ورجال دولته بعد ما علموا نبأ معاهدات الانجليز في الهند أن يعتمدوا عليها ويثقوا باصحابها ، ولا ريب انهم قد اطلعوا على المعاهدات الانجليزية التى طبعت في اربعة مجلدات بمطبعة (نول كشور) في بلدة لكناهور ومنها علموا كيف يستولي الانجليز على البلاد بحرفة العهود الفارغة والمواثيق الباطلة ، وفيما قلناه عبرة لمن يعتبر ، وسوف نعود الى الخوض في هذا الموضوع متصلا اه

قال ناسخ هذه المقالة بعد ما تقدم:

وقد رأينا في نفس العدد المذكور من تلك الجريدة نبذة عرفنا من مشربها

«١» ان امير مكة حسين بن علي واولاده قد خيبوا آمال السيد جمال الدين فانخدعوا بالوعود الانكليزية على قول الذين يحسنون الظن فيهم بغباوتهم والذين يدافعون عنهم — ويرى آخرون انهم خائنون لأمتهم لا مخدوعون فانهم يطلبون الملك ولم تسم هممهم الى طلبه الا من طريق الانكليز فساعدوهم على اخذ البلاد العربية ليشتركوا معهم وتحت ظلهم في التمتع بحكمها

وأسلوبها انها لاستاذنا حفظه الله خصوصا وان بين عبارتها وعبارة صاحب الجريدة مايدل على انها مدخولة فيها فنقلناها جازمين بانها بنت فكره فانه رضي الله عنه ماحل بلدا الا تراءى عليه أرباب جرائدها العربية يلتمس أن يزين صحفهم ببدائع حكمه وابكار أفكاره فيجيب سؤلهم ناحيا فيما يكتبه نحو ماهو ولوع به من الحماية عن الشرق وبنيه ، والذود عن الامم الاسلامية والسعي في توحيد كلمتهم وتحذيرهم من دسائس الغربيين كاشفا لهم الحجاب عن وجه سياسة الامة التي يريد تحذيرهم منها بما لم يستطع ساستها الى كشفه سبيلا لوأرادوا له كشفا

أما النبذة فها هو نصها

﴿ أسباب الحرب بمصر ﴾

لقد ذهب الناس مذاهب شتى في أسباب الحرب التي قدحت الانجليز زنادها على المصريين ، فمنهم من زعم أن الطمع في الاستيلاء على البلاد النيلية الخصيبة كان الباعث على ذلك ، ومنهم من اعتقد أن مصالح بريطانيا في خليج السويس حملت الانجليز على فعل مافعلوا ، وظن قوم أنهم اندفعوا الى تجشم تلك الخسائر الباهظة غيرة على حفظ نفوذهم السياسي والتجاري بالديار المصرية ، والتأمين على استيفاء ديونهم وهلم جرا ــ تلك لعمري تعليلات سارت بها الجرائد رجما بالغيب أوتمويها على عيون الناس

أما أسباب الحرب الحقيقية فهي ماكان قد ثبت في عقول الانجليز والفرنسيس من أن جلالة السلطان عبد الحميد قد سعى منذ تولى الخلافة والملك في جمع كلمة المسلمين المنتشرين في أقطار الهند وافريقية وسورية والعراق واليمن والحجاز ومصر وغيرها من البلاد لكي يجعلهم عصبة مستمسكة بعروة الخلافة الوثقى وامة تتساند الى بعضها(١) كالبنيان المرصوص ، وأن يكون السواد الاعظم من المسلمين في يد أمير المؤمنين يستنجدهم في الملمات لمقاومة دول اوربا اذا طمعوا في سلب بلاد المسلمين ، فكان الفرنساويون يقاومون نفوذ السلطان وخلافته في مساعي

---

(١) المنار : الوجه ان يقال يتساند بعضها الى بعض

الجزائر وتونس مخافة أن يكون ذلك وبالا عليهم ، وكانت الانجليز تحاذر من انقياد مسلمي الهند الى دعوى الخلافة ومن الانضمام الى العصبية لاسلامية ، وكانت تلك الدولة القيصرية قد بلغها أن الحضرة السلطانية بعثت برجال الدين الى المسلمين ليدعوا اخوانهم الى طاعة أمير المؤمنين ، وينشروا بينهم رسائل تولد في عقولهم فروض الانقياد الى الراية النبوية اذا نشرها السلطان ، ودعاهم الى التشمير عن ساق الجد لنصرته والجهاد في سبيل الملك والدين

وما زادفي طنبور الانجليز نغمة إلا النشرات التي كان السيد (نصرت علي) ينشرها في دهلي بايعاز السلطان، فلما أخذت مشروعات السلطان ومندوبيه تضرم نار الغيرة الدينية، وتثير الحمية الاسلامية في نفوس بعض من الهنود، اضطرت الحكومة الانجليزية بالهند الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع سريان تلك العدوى، وعثرت في أثناء ذلك على رسائل منتشرة بين المسلمين كانت قد طبعت في القسطنطينية بدار الطباعة الشاهانية ، وأرسلت الى الاقطار الهندية لانهاض همة المسلمين : فالقت القبض على كثيرين من الذين وجدت عندهم من تلك الرسائل وحاكمتهم، ومن ذلك الوقت شرعت انجلترة تتوجس في تلك المقدمات نتائج وخيمة في ممالكها الهندية فكمنت بالمرصاد تترقب الفرصة الملائمة لتمزيق شمل تلك العصبية الاسلامية التي يصفها الافرنجيون باسم (باسلاميزم) وفيما كانت تضرب اخماسا في اسداس وتقدم رجلا وتؤخر اخرى بلغها أن الحضرة السلطانية قد باشرت تنفيذ مشروعاتها بالديار المصرية ، وضم مسلمي تلك البلاد أيضا الى العصبية الاسلامية ، بواسطة الشيخ محمد ظافر والسيد احمد اسعد المدني وبسيم بك وراتب بك واحمد عرابي واحزابه فاصدرت الدولة البريطانية امرها الى مندوبها بمصر بأن يستقصي حقيقة الخبر

أما ذلك المندوب فكان بادي بدء يعتقد أن الحرب الاهلية عبارة عن عصبية عسكرية جل سعيها في اصلاح شؤونها وطرد الضباط الشركس من مصاف الجهادية المصرية ، ولكن خيل اليه بعد ذلك أن الحضرة السلطانية قد اغتنمت الفرصة من ثورة العساكر المصرية واتخذت عرابي باشا آلة لقضاء اغراضها، وتوطيد نفوذها في القطر المصري ، وضم المصريين الى العصبية الاسلامية ، فرفع لمندوب

الانجليزي تلك الاخبار الى لورد جرانفيل واثبت وجود عصبية دينية قد تردت برداء عصبية سياسية وطنية ، تدعي تحرير الفلاحين من ربقة المرابين والاجانب وفي الحقيقة ليست سوى عصبية اسلامية دينية تحت قيادة السلطان أمير المؤمنين غرضها الوحيد مقاومة دول اوربا وإنهاض همة المسلمين في الهند والجزائر وتونس وبلاد العرب، فتداركت انجلترا العواقب ؛ وصممت على اذلال تلك العصبية الاسلامية قبل أن يستفحل امرها ، لان الانجليز تعتقد أن مصر باب الهند وخليج السويس دهليزها، فإن استفحل امر عرابي باشا وحزبه لحق بهم المصريون على اختلاف أجناسهم ، وتبعهم السوريون والعرب ، وانشأوا أمة عظيمة الشأن شديدة البأس تضر الانجليز ومستعمراتهم في الهند، فرسخ في عقول رجال السياسة البريطانية أن منع إفشاء الوباء خير من علاجه بعد انتشاره، وصمموا على اخراج عرابي باشا واحزابه من الديار المصرية إما بالحسنى وإما بالاكراه طمعا في اطفاء نار الفتنة وتمزيق شمل العصبية الاسلامية المتظاهرة بشعار الوطنية، فلما أيسوا من اخراجهم بالحسنى عولوا على اذلالهم بالاساطيل المدرعة ، والمدافع المثمنة، والجنود البحرية والبرية، وما انثنوا حتى فتكوا بهم في ملحمة التل الكبير وكانت القاضية على عرابي باشا واحزابه . وقد ثبت في عقول كثيرين أن اذلال عرابي وانصاره قد أذل العصبية الاسلامية اذلالا لاعز بعده ما توالى الفرقدان

الوهابيون والحجاز

عود على بدء

المسألة الاولى (*

مقدمة

كنا كتبنا بضع مقالات في هذه المسألة في أول العهد بزحف الاخوان لانقاذ الحجاز من إرهاق الطاغوت حسين بن على وما يرجي أن يتبع ذلك من انقاذ جزيرة العرب كلها من الاستعباد الاجنبي — فكان لها من التأثير فوق ما قدرناه لها حتى إن حقها دحض أباطيل الدعاية الحجازية القديمة في الطعن بدين أهل نجد منذ قرن وثلث قرن باختلاق الشريف غالب أمير مكة في عهد ظهور الاصلاح الذى قام به الشيخ محمد عبد الوهاب، وأخرس ألسنة الدعاية الجديدة التى اختلقها الشريف حسين الذي ادعى انه ملك العرب وخليفة المسلمين

ثم عرضت لنا شواغل كثيرة عاقتنا عن مواصلة الكتابة فيما فتح امامنا من أبواب المسائل الكثيرة في هذا الموضوع فنشطت في هذه الفترة الدعاية وبذل في سبيلها المال بسخاء فوق المعتاد، وتجرأت حكومة الشريف علي بن حسين المحصورة في ميناء جدة ودعاتها على ضروب من الكذب والبهتان لم يتجرأ على مثلها حسين بن على ودعاته، حتي انهم افتروا علي كاتب هذا المقال وهو أول من هتك أستارهم، وتتبع عوارهم، وقلم أظفارهم، فزعموا أن حكومة جدة عثرت على كتاب منا أرسلناه الى السلطان عبد العزيز بن السعود آذناه فيه بانصراف القلوب عنه وتصويب سهام الانكار اليه، وقد طال العهد على هذه الفرية ولم نجد فرصة نكذبها فيها ونفضحهم بمطالبتهم بنشر صورة هذا الكتاب مأخوذة عن خطنا، وكثر إلحاح المطالبين لنا بالعودة الى الكتابة لرد أمثال هذه المفتريات، وكشف ما يحوم حولها من الشبهات. لان بعض المخلصين اغتروا بها، وصدقوا أن على بن حسين الف ملكا جديدا فى الحجاز، مخالفا لوالده في سياسته،

*) نشرت في عدد الاهرام الذي صدر في ١٩ رجب (١٣ فبراير)

وان في جدة حزبا وطنيا مؤلفا من زعماء الحجاز وأهل الرأي فيه وأنه هو الذي خلع حسينا ونصب عليا، وأنه يتكلم باسم بدو الحجاز وحضره، وان سلطان نجد ضعيف لا جند عنده ولا سلاح، وأن ما أعده ملك جدة من آلات القتال الجنمية العصرية كاف لتدويخه وسحق جيشه الضعيف وطرده من الحجاز والاستيلاء على نجد كلها، وان انقاذ الحجاز من هذه الاسرة الطاغية الباغية صار متعذرا، فاهون الشرين إذاً إصلاح ذات البين ببقاء علي بن حسين ملكا للحجاز بشروط منها ان لا يعود والده حسين بن علي الى الحجاز. الى هذا الحد وصل تأثير أمثال هذه الدعاوى الكاذبة التي سنبين الحق فيها

كنا نقرأ تلك المفتريات في جريدة المقطم وبعض جرائد سورية فنضحك منها ضحك السخرية تربصين بها تكذيب السيف لها وهو أصدق من اللسان والقلم، ولا يمارى في قوله ولا في حكمه أحد، على أننا جمعنا بعض الدلائل للرد عليها ولكن قضى الله تعالى أن نضطر الى استئناف الكتابة في وقت لا نملك فيه مراجعة شيء مما جمعنا، وهو وقت نقل كتبنا وأوراقنا ومطبعتنا ومطبوعاتها الكثيرة وأثاثنا من دار الى دار. وقد بدأنا في الاستعداد لهذا في الشهر الماضي وسيشغلنا شهرا أو شهرين آخرين لاننا لا نجد من يقوم مقامنا في الاشراف على ذلك، ولكننا سنجد ما نحتاج اليه من الاوراق المحفوظة في أقرب وقت

بعد هذا التمهيد أقول إن حسين بن علي وأولاده كانوا قد خدعوا السواد الاعظم من عرب سورية والعراق وكثيرا من غيرهم بما بثوه من دعاية المملكة العربية والوحدة العربية والخلافة العربية حتى خيلوا اليهم أنهم سيعيدون الى هذه الامة عصر (هارون الرشيد) ثم ظهر أن غاية سعيهم تحقيق أمنية الانكليز القديمة وهي ادخال جزيرة العرب وما اتصل بها من بلادهم في دائرة الامبراطورية البريطانية المرنة على أن تسوّدهم فيها على قومهم وتسميهم ملوكا وخلفاء، ومع هذا الخزي يرون كثيرا من وجهاء البلاد العربية يعظمهم ويقبل بزعامتهم إما لغباوتهم وجهلهم واما لانهم يرضون مثلهم «أن تكون الامة العربية كالقاصر في حجر الدولة البريطانية» كما صرح به حسين بن علي رسميا في (مقررات نهضته) التي

هي أصل سياسته وسياسة أولاده — دع الذين يوالونهم للانتفاع منهم

لهذا أصبح أهل هذا البيت الحجازي يعتقدون ان للدعاية تؤسس الممالك وتوطد دعائم الملك ، وتهزم الجيوش ، وتفعل كل شيء ، فكان اعتمادهم عليها وعلى الدولة البريطانية في حماية الحجاز وعرش ملك العرب وخلافة الاسلام فعادوا جميع امراء جزيرة العرب المستقلين المسلحين ولا سيما جارهم بالجنب سلطان نجد وهو اقواهم واشدهم بأساء ولم يستعدوا لحماية عرشهم منه ولا من غيره بالسلاح ، فاهملوا ما تركه الترك أو العثمانيون من الاسلحة الكثيرة الجيدة من كل نوع واكتفى حسين بتأليف جند صغير يقصد به اظهار عظمة الملك في الاحتفالات والمواسم ، واتكل على الدولة البريطانية والدعاية السياسية ، فلما ضاق العالم الاسلامي عامة وعرب نجد خاصة بفساده في الحجاز ، وزحف جند الاخوان الوهابيين لطرده وطرد أولاده منه ، استغاث لدولة البريطانية فلم تر من مصلحتها اغضاب العالم الاسلامي الساخط عليه ، والاصطلاء بنار حرب جديدة في جزيرة العرب لاجله ، فاعلنت الحياد ، فلم يبق له الا قوة الدعاية الخاطئة الكاذبة فشرع فيها فلم تغن عنه شيئا ، واضطر الى الخروج من الحجاز مذؤما مدحورا ، وخلف فيها ولي عهده الذى يفخر به ويقول « لافتى الا علي » فكان ابرع منه في هذه الدعاية ، على أن والده هو الذى ربي له رجالها ، واصطنع له صحفها ، وهو الذى يفيض عليه المال للانفاق في سبيلها ، وسنذكر انواع هذه الدعاية الجديدة مع بيان بطلانها في مقال آخر ونعجل بالنوع الوحيد الذى فيه شبهة من الحق ، وشبهه من الصدق ، ولكنه حق اريد به باطل ، وصدق اتخذ ذريعة الى الكذب والتضليل ، وهو :

الاتفاق النجدي البريطاني

سمعت خبر هذا الاتفاق أو المعاهدة من الملك فيصل في الشام أول مرة وهو الذى نشرها في بغداد في هذه المرة وأرسلت الينا والى الجرائد الشهيرة وقد صدقها الناس لان سلطان نجد لم يكذبها والغرض من نشرها ايهام العالم الإسلامي الذى يؤيد ابن سعود في طرد حسين وأهل بيته من الحجاز - أن مملكة

نجد نفسها غير مستقلة استقلالا مطلقا بل قيدت الحكومة البريطانية سلطانها بما هو حماية ، وان الحجاز هو المستقل ، وانه اذا استولى عليه سلطان نجد يدخل تحت حماية الانجليز كنجد ، وقد اطالت الدعاية الحجازية في المسألة واكثرت من الابهام ، وتناقلت سائر الجرائد نص الاتفاق ، كما أرسل من العراق ، وتألم منه المسلمون ، فوجب أن نبين ما عندنا من رأي ورواية فيه على تقدير صحة نصه :

كان هم عبد العزيز ابن السعود بعد استرداد ما كان قد سلب من بلاد آبائه وأجداده محصورا في حفظ استقلالها بقوتها وبث دعوة التدين فيما جاورها من قبائل العرب ، والقناعة بعيشة العزلة والتجافي عن السياسة الدولية وأهلها ، ولم يكن له خصم في تلك البلاد الا آل الرشيد في شمر فهم الذين ألبوا على آل السعود الدولة العثمانية حتى استولوا بمساعدتها على عاصمتهم (الرياض) وقضوا على امارتهم ، فلما انتزعها منهم السلطان عبد العزيز هذا بحزمه وعزمه رأى انه سيكون معه في نزاع دائم وقتال مستمر ، وان قطرا صغيرا كنجد لا يصح أن يكون فيه امارتان تتوارثان الاحقاد والاضغان وتنتهز كل منهما الفرصة للقضاء على الاخرى ، فدعا ابن الرشيد الى الاتفاق وتوحيد العلم (الراية) والحكم والتعاون على حكم البلاد بصفة مقبولة - كما نقل الينا - فامتنع ، فلم ير بدا من ازالة امارته ففعل ، وقد اختار حصر منطقته على اقتحامها بالمناجزة وكان ذلك في أيام عسر وغلاء فاحش وكانت مؤنة الجيش كلها بل مؤنة عامة بلاد نجد تأتيها من الهند فكان هذا سببا ملجئا لابن السعود الى الاتفاق مع الحكومة الانكليزية كما قال بعض أهل العلم والخبرة بالبلاد العربية

وهنالك سبب آخر لا يقل عنه إلجاء الى ما دعي اليه من الاتفاق بما رآه أهون الشرين ، وهو أن الدولة العثمانية رأت بعد عقد الصلح مع الامام يحيى انها كانت مخطئة في معاداة حكومة نجد كما كانت مخطئة في معاداة أئمة اليمن وأن الاتفاق ممكن وهو خير للدولة فعقدت مع امام نجد وهو عبد العزيز ابن السعود اتفاقا آخر اعترفت له فيه بالاستقلال الوراثي في بلاد نجد كلها حتى ما كان بيد الدولة منها كالحسا والقطيف ونغور البلاد بشروط ليس هذا محل بيانها. فلما وقعت الحرب

العامة واصطلت الدولة العثمانية سعيرها خاف ابن السعود أن تحتل الدولة البريطانية ثغور بلاد نجد وأقليم الاحساء اذ كانت تعدها من أملاك الدولة العثمانية ، فرضي بان يعقد معها إتفاقا تعترف له فيه بأن هذه البلاد بلاده وانه مستقل فيها ، وأن ترضى منه في مقابلة ذلك بامور سلبية كان يرى انه لا يفقد بها شيئا

وجملة القول أن هذا الاتفاق قد عقد عقب ايذان دول الحلفاء للدولة العثمانية بالحرب ، وكانت الدولة البريطانية قد دعت ابن السعود أمير نجد الى قتال الدولة كما دعت امير مكة حسين بن علي وأمام اليمن والسيد الادريسي أمير تهامة وعسير ، وقد قلنا في المنار مرارا انه لم يوالها أحد منهم موالاة فعلية حربية الا امير مكة ، وان امام اليمن والى الدولة عليها واعانها على قتالها ، وأما الادريسي و ابن السعود فقد اتفقا معها اتفاقا سلبيا ، ولم نكن قد اطلعنا على هذا الاتفاق ولكن اخبرنا طالب بك النقيب انه كان رسول الدولة البريطانية الى امير نجد وأن هذا الامير أبي أن يحارب دولة اسلامية انتصارا لدولة غير مسلمة وانه لم يكن يمكنه ان يحارب الانكليز انتصارا للدولة العثمانية لأنهم يمكنهم أن يقضوا على بلاده بالحصر البحري فان عامة أقوات أهل نجد من الهند ، فكانت المصلحة التي لا بد منها أن يكون على الحياد

نعم إننا نحن نظن الآن انه كان في الامكان أن ينال صاحب نجد ما لا غنى له عنه من تموين بلاده والاعتراف باستقلاله فيها بدون ان يقيد نفسه بما ذكر في هذه المعاهدة من القيود المنافية للاستقلال التام المطلق وان كانت قيودا سلبيه ، وانه لاسبب لقبوله هذه القيود الا عدم تمرسه بالسياسة الدولية وعدم وقوفه على ما كان لدي أعداء الانكليز من القوات الحربية التي ترتعد منها فرائص دول اوربة كلها — ولكننا لا نجزم باننا لو كنا في مكانه في ذلك الوقت لكنا نعتقد هذا الاعتقاد نفسه ونتجرأ على رفض تلك المواد التي ننكرها بعد ما علمنا من قوات الالمان وأحلافهم ما لم يكن نعلمه في أول الحرب — ولا بأن الانكليز كانوا يرضون منه دون هذه الشروط ليكتفوا شر مساعدته للدولة العثمانية

هذا ما عندنا من أسباب هذه المعاهدة واننا نتكلم في المقالة الآتية على كل

مادة من موادها التي نشرها الحجازيون نتكلم عليها من الجهة العامة ثم نبين ان سلطان نجد قد نقضها منذ عزم على الخروج من عزلته السياسية الاجتماعية وتصدى لزعامة النهضة العربية، وثبت عنده ما يجب عليه شرعا من انقاذ الحرمين الشريفين من الظلم والالحاد ومنع النفوذ الاجنبي ان يتغلغل فيهما أو في سياجهما من جزيرة العرب، فمعاهدة سنة ١٩١٥ امست قصاصة ورق لا قيمة لها كما نبين ذلك فيما يأتي

﴿ الوهابيون والحجاز ﴾

عود على بدء

المقالة الثانية (*

بينا حقيقة الحال التي كان عليها صاحب نجد عند عقد المعاهدة التي نشرها في هذه الايام الملك فيصل ليثبت بها انه قد سبقه وسبق أباه وأخاه عبد الله في جعل بلاده تحت حماية الانكليز، وقام انصارهم يقولون في دعايتهم لهم إنهم اذا لم يكونوا خيرا منه في هذا فهم مثله فما وجه تفضيله عليهم؟ ولماذا ينتصر له العالم الاسلامي ويود جعل الحجاز تابعا له من دونهم؟ فعلم بذلك بعض الفرق الجلي بين عملهم في اضاعة اكثر البلاد العربية وعمله في وقاية ملكه من السقوط بغزو الانكليز له من الخارج وغزو ابن الرشيد له من الداخل في مقابلة الاعتراف لهم بأمور سلبية يذهب باثرها الزمان — وسنبين هذا الفرق من سائر وجوهه بعد انجاز ماوعدنا به من بيان مضمون مواد هذه المعاهدة، ومن الكلام عليها من الجهة العامة، فيعلم من لم يدرس هذه المسائل ان هذا البيت الحجازي لم يعتبر بشيء من التجارب والرزايا التي نزلت بالامة التي تصدي لزعامتها والتي نزلت بجميع زعمائه هو أيضا، وانه لايزال يطمع في اضلال الامة العربية وجميع الشعوب الاسلامية، وايهامها بالدعاية الكاذبة أن الذين سلوا سيوفهم مع الاجانب وقاتلوا معهم حتى ملكوهم بلاد العرب من حدود مصر الى خليج فارس خير للاسلام وللعرب ممن أسس لهما ملكا جديدا ليس لاجنبي ما أدنى نفوذ فيه، ثم انقذ الحجاز من السيطرة الاجنبية والمظالم الطاغوتية ليجعل الامر فيه لاهله وللمسلمين دون

(* نشرت في عدد الاهرام الذي صدر في ٢٤ رجب (١٨ فبراير)

غيرهم ، وهاك مضمون مواد المعاهدة كما نشرتها جميع الجرائد المشهورة

١ — مضمون المادة الاولى اعتراف الحكومة البريطانية بان نجدا والحسا والقطيف والجبيل وملحقاتها وثغورها (موانيها ومرافئها) على سواحل خليج العجم كلها تابعة للامير عبد العزيز بن السعود كما كانت لآبائه من قبل ، وانه هو حاكمها المستقل والرئيس المطلق على جميع قبائلها ، واعترافها ايضا بانها ستكون موروثة لاولاده واعقابه من بعده ولكنها قيدت هذا الاعتراف بان يكون الامير اللاحق مختارا من الامير السابق (فيخرج من كان متغلبا عليه) وأن لا يكون خصما معاديا للحكومة البريطانية بمخالفته لشروط هذه المعاهدة فقط

نقول إن هذه المادة نص في مصلحة ابن السعود فان الدولة البريطانية اعترفت له فيها بالاستقلال المطلق في هذه البلاد كلها وكان قريب العهد باستيلائه عليها ، ولو قالت أن ثغور نجد وبلاد الحسا كانت للدولة العثمانية ولي الحق باحتلالها ماذا كان يفعل ؟ وأما تقييد اعترافها باستقلال من بعده من أولاده واعقابه بقبولهم هذه المعاهدة فلا يضره ، فان معاهدته لما كانت لا تلزم من يخلفه اشترط الانكليز فيه هذا الشرط ، ولا يجب على خلفه قبوله بنص هذه المعاهدة كما يعلم من أصول القوانين الدولية ، فاذا كان الخلف في غنى عن الاعتراف بهذه المعاهدة لم يعترف بها — لا كما يزعم اجراء الدعاية الحجازية من أن هذا تقييد لمن بعده بالاخلاص للانكليز كما عبر بعضهم (!!)

٢ — مضمون المادة الثانية أن الدولة البريطانية تلتزم أن تساعد ابن السعود وذريته على أي دولة أجنبية تعتدي على بلادهم اذا كان هذا الاعتداء بدون علمها ولا اعطائها الوقت الكافي لمراجعة سلطان البلاد ومذاكرته في ازالة الخلاف المسبب للاعتداء ، وقيدت هذه المساعدة برأي ابن السعود . وهذه المادة في مصلحته ولا تخل باستقلاله ايضا

٣ — مضمون المادة الثالثة ان ابن السعود يلتزم ان لا يعقد اتفاقا ولا معاهدة مع أي حكومة أو دولة أجنبية و يتعهد بعدم معارضة أحد في ذلك ويلتزم اعلام الحكومة البريطانية بكل تجاوز أو تعد على شيء من بلاده التي ذكرت في هذه المعاهدة

هذه المادة منافية لمصلحة ابن السعود لأنها قيد للاستقلال وانما سهل قبولها عليه — ان صح نصها — ما كان عليه من حياة العزلة وعدم نية الارتباط والاتفاق مع أحد من الحكومات والدول . ولما شعر بالحاجة الى الاتفاق مع السيد محمد على الادريسي نقض هذه المادة واتفق معه اتفاقا كتابيا، ثم فاوض الامام يحيي واتفق معه على امور لم تنشر بعد ، فثبت بهذا أنه غير مقيد بما يراه مخالفا لمصلحته منها

٤ — مضمون المادة الرابعة أن ابن السعود يلتزم أن لايبيع ولا يرهن ولا يؤجر ولا يتخلى عن شيء من اراضي بلاده التي ذكرت في هذه المعاهدة ولا يمنح امتياز لدولة اجنبية أو لاحد من رعايا دوله أجنبية بدون رضى الحكومة البريطانية وبان يتبع في ذلك نصائحها التي لا تضر بمصالحه

هذه المادة منافية لمصلحة ابن السعود من حيث هي مقيدة لاستقلاله فقط وانما سهل عليه قبولها اعتقاده انها من تحصيل الحاصل لانه لاينوي ان يجعل لاية دولة أجنبية حقا من حقوق الملك ولا الامتياز ولا غيره في بلاده ، وهذا عين المصلحة له ولبلاده بشرط ان يشمل الدولة البريطانية ورعاياها كسائر دول الافرنج ، لأنهم اذا دخلوا بلاداً وصار لهم حقوق فيها اذلوا اهلها وافتاتوا عليهم وسلبوهم استقلالهم ، وقد نصح شيخ حكماء العصر الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر لليابانيين بان لا يدخلوا الانكليز في بلادهم لمساعدتهم على تنظيمها وعمرانها وعلل لهم ذلك بانهم اذا دخلوا لايخرجون ، وارشدهم الى الطريقة المثلى وهي ان يرسلوا من ابنائهم من يتعلمون مايحتاجون اليه حيث يجدونه من أوربة ليعودوا ويتولوا الاصلاح بانفسهم وقد قبلوا نصيحته فارسلوا الى الغرب من تعلموا مايحتاجون اليه من فنون الحرب والعمران والثروة والصناعات التي تتوقف عليها القوة والسيادة — خلافا لمافعل من عنوا من الشرقيين باقتباس عادات الافرنج وازيائهم وقوانينهم فكان ذلك سببا لاضاعة استقلالهم (اياك اعني واسمعي ياجارة)

وقد كان فيما وضعناه مع اصدقائنا مؤسسي قواعد (الجامعة العربية) قبل الحرب العامة أنه لا يجوز لاحد من امراء جزيرة العرب أن يمنح دولة أجنبية شيئا من

رقبة البلاد ولا منافعها ولا لاحد من رعاياها ، ولكن الدولة البريطانية أرادت حصر هذه المنافع في رعاياها أو حكومتها لانه توطئة لاستعمار البلاد والسيادة فيها بل هو الطريق المعبد له دون الحرب ، فلا يجوز لحكومة شرقية أن تبيحه في بلادها طمعا في الربح منه الا بعد أن تصير ذات قوة حربية تخولها أن تشترط على الاجانب الذين يدخلون بلادها أن يكونوا فيها خاضعين لشرعها ونظمها ، نافذة فيهم احكامها ، وأن تشترط عليهم في عقد الامتياز أو الامتلاك من الشروط الواقية للبلاد من تعدي دولهم ماهي قادرة على تنفيذه

٥ — هذا مايتعلق بالاستقلال اطلاقا وتقييدا من مواد هذه المعاهدة والمادة الخامسة منها خاصة بابقاء الطرق الموصلة الى البلاد المقدسة من نجد وملحقاتها مفتوحة والمحافظة على الحجاج الذين يسلكونها ، وذكرها في هذه المعاهدة من الرياء والفضول البريطانيين ، والمادة السادسة في التزام ابن سعود عدم الاعتداء على حكومات جيرانه من عرب البحرين والكويت وقطر وعمان والمشايخ الذين تحت الحماية البريطانية

* * *

وخلاصة القول في هذه المعاهدة انها كانت على علاتها في مصلحة ابن السعود وانه لايوجد عاقل منصف يعرف ما كانت عليه حاله وحال بلاده عند عقدها يقول إن عدمها كان خيرا منها ، وكل ما امكننا انتقاده منها هو أن الانكليز ربما كانوا يرضون من ابن السعود بدون هذه القيود كلها مع اقتناعهم بحسن نيته لو كان شد في مساومته وألحن بحجته (ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين)

وأما الحال التي اشرنا اليها هنا فهي ما ذكرناه بالايجاز من قبل وهي انه كان لآل سعود امارة في نجد عظم شأنها الديني والدنيوي بالاصلاح الذي قام دعا اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فنهضوا به نهضة اشبهت نهضة العرب في صدر الاسلام حتى توقع المؤرخون وأهل الرأي في الشرق والغرب بان يعود بها عهد الخلفاء والاولين قوة ومجدا واصلاحا وحضارة ، فكان أول من ناصبها العداء امير مكة الشريف غالب وهو الذى اغرى بها الدولة العثمانية ، وافترى عليها امطاعن الدينية

وما زالت تناوئها وتقاتلها وتساعد ابن الرشيد عليها حتى استولى على عاصمتها ولجأ أميرها الامام عبد الرحمن الفيصل بأولاده الى الكويت فكانوا ضيوفا على شيخها ابن الصباح الى ان نهض نجله عبد العزيز هذا نهضته التي تعد من نوادر تاريخ الرجال فاستعاد الامارة التي كانت لوالده ثم استرد ما كان بيد الدولة العثمانية منها وكان من امر دخول الدولة في الحرب الكبرى ما ذكرنا في المقام الاولى فلو لم يعقد مع الانكليز هذه المساعدة لزعموا ان هذه البلاد للدولة العثمانية واحتلوا سواحلها وأعانوا ابن الرشيد وغيره على مناجزتها من الداخل بل كان منهم من يغريه بابن السعود مع اتفاقه معهم كما ثبت هذا عنده ! !

على أن هذه القيود المستفادة من المعاهدة لا تجعل للانكليز أدنى حق في التدخل الفعلي في شؤون البلاد ولا تعترف لهم بسيادة ولا حماية عليها — كما اعترف لهم الشريف حسين بحق الحماية والتدخل الفعلي — ومثل هذه المعاهدات تكون مؤقتة بطبعها وقلما تتجاوز العاشرة من عمرها . والعبرة بما يحصل بالفعل من ثمرة عقدها ، في زمن اقتناع المتعاقدين بالحاجة اليها ، ثم يتبع كل منهما بعد ذلك الزمن مصلحته ، والمدار في جميع الامور السياسية على القوة وما يسمونه « الامر الواقع » فالذي استفاده الانكليز من هذه المعاهدة بالفعل هو أن ابن السعود لم يقاتلهم مع الدولة العثمانية ، والذي استفاده هو منهم (١) اعترافهم له ولذريته بانهم اصحاب هذه البلاد وحكامها (٢) عدم الاستيلاء على شيء منها كما استولوا على فلسطين وسورية والعراق فهو لولا اتقاء هياج العالم الاسلامي لاستولوا على الحجاز (٣) تأمين معيشة بلاده في عسرة سني الحرب (٤) تمكنه من القضاء المبرم على امارة ابن الرشيد التي كانت تتهدده في كل حين (٥) قبض مئات الالوف من الجنيهات نظم بها قوة بلاده حتى صارت أعظم قوة في بلاد العرب ، وقد نقض بعد ذلك ما رأى من مصلحته نقضه

ولو انه جعل للانكليز ادنى تدخل فعلي في بلاده باتفاق كتابي أو شفوي لكان اشد خطرا عليها من المعاهدة تكتب ولا يعمل بها كما يعلم هذا باليقين من تاريخهم ومسألة مصر والسودان أظهرها وأشهرها

(فان قيل) ان هذه المعاهدة قد تمكنهم من العبث باستقلاله والتدخل العملي في شؤونه بحجة نقضه لبعض شروطها (قلنا) إن هذه أمور تتبع المصلحة وتراعى فيها القوة ، ومتى عزم القوي على شيء لا تعوزه الوسيلة ، وليس فى هذه المعاهدة نص على جواز العبث باحتلال البلاد النجدية أو التدخل في شؤونها الداخلية اذا ترك سلطانها الوفاء بشيء مما التزمه فيها ، وانما يمكن للانكليز ان يحولوا دون تنفيذ أي نقض للمادة الرابعة لا يمنع ابن السعود وحده من اعطاء امتياز لدولة أجنبية او لبعض رعاياها في تلك البلاد بل يمنع أي دولة من الدول نفسها أو رعاياها من الاقدام على التعاقد معه على ذلك ، وقد بينا انه ليس من مصلحة ابن السعود نقض هذه المادة

ومن المعلوم من سياسة الانكليز انهم يقدمون على حرب شعب حربي مسلح لاجل فتح بلاده أو التمتع بالنفوذ فيها ولا سيما مثل بلاد نجد في فقرها وعدم وجود مرافق الحياة واسباب التنقل فيها ، فهي بلاد لا يعتدى عليها بالقوة العسكرية ، لان الخسارة في ذلك أعظم من الربح قطعا ، وانما يخشى عليها من تمكن قوة الاجانب ونفوذهم فيما جاورها ، وهو ما يخدمهم البيت الحسيني فيه

هذا وان جميع مواد هذه المعاهدة خاصة بالبلاد التي ذكرت فيها بالنص فلا يدخل فيها ما ستولى عليه ابن السعود بعدها كبلاد عسير باتفاقه مع الادريسي فضلا عن بلاد الحجاز كما أرجف أهل بيت حسين الحجازي وأجراء دعايته الكاذبة الخادعة . على ان ابن السعود قد قيد نفسه في مسألة الحجاز بمؤتمر اسلامي يقرر شكل حكومة الحجاز فلم يدع ما يدعيه حسين واولاده من ان الحجاز ملك لهم يجب ان يكون رهن تصرفهم فيه مطلقا لا رأي فيه لاحد من مسلمي العرب ولا العجم(١). وسنبين في المقالة الثالثة وجوها أخرى من الفرق بين أهل هذا البيت وبين ابن السعود دحضا لدعاويهم ، وإبطالا لدعايتهم

---

(١) قال الامير عبدالله ان لهم حقا ان يتصرفوا بشؤون الحاج ويمنعوا من شاؤا منهم دخول الحجاز أي لأجل الحج ونشر هذا بعض الجرائد عنه

الوهابيون والحجاز

عود على بدء

(٣)

ذكرنا في المقالة الاولى من هذه المقالات اننا استأنفنا الكتابة في هذا الموضوع في وقت لانملك فيه مراجعة شيء مما عندنا من المحفوظات المتعلقة به وهو وقت نقل مكتبتنا ومافيه الى دار اخرى فكان اعتمادنا على ماتذكر ما سمعنا وقرأنا ومنه الكثير مما كتبه اجراء الدعاية الحجازية الحسينية العلوية في المعاهدة البريطانية النجدية وغيرهم وانا على اعتقاد أن اكثر مايكتبونه مفتريات واباطيل ، بخداع وتضليل ، وقد علق في ذهننا بعضه فتوهمنا أن في هذه المعاهدة نصوصا في تقييد استقلال سلطان نجد فوق ما بيناه في المقالة الثانية التي كتبناها بعد أن اتيح لنا الاطلاع على نصها الذي نشر في العراق ثم في سائر الاقطار العربية اذ كان قد طال عهدنا بالاطلاع على ذلك الاصل ، وكان من هذا الوهم أن من القيود السلبية التي قيد بها سلطان نجد انه لايستطيع أن يحارب بلادا موالية للدولة البريطانية بدون اذنها اذا أكثر أنصار حسين وعلي من اللغط بانه تحت الحماية البريطانيه وانه لم يهاجم الحجاز الا باتفاق مع الدولة الحامية له ، ولكننا رأينا حاله يهجمون العراق وشرق الاردن ايضا ، وتتصدى الطيارات البريطانية للهاجمين عليهما من الوهابيين فتدفعهم عنهما — فلهذا ولما ذكرناه من اتفاق سلطان نجد مع السيد محمد على الادريسي من قبل ومع الامام يحيي من بعد وننبه فيه العاصي والداني من اتفاقه مع نوري باشا الشعلان أمير قبائل الروله على ان يشغل هذا بقبائه (الحوف) بشرط أن يمنع الانكليز من مد سكة حديدية بين فلسطين والعراق تمر منه — لهذا كله قلنا أن تلك المعاهدة امست قصاصة ورق لاقيمة لها

وقد اتفق لنا عند الشروع في كتابة المقالة الثانية ان رأينا نص المعاهدة في بعض الجرائد قبل أن يتيسر لنا مراجعة الاوراق فلم نر فيها شيئا يمنع سلطان نجد

أن يكون غازيا ولا فاتحا ولا أن يتصرف في بلاده بما يشاء كما يشاء ، اذا لم يدخل فيها نفوذ دولة أجنبية وهـذا قيد يمنعه مما يضره ولا ينفعه — وأما منعه اياه من عقد الاتفاقات مع الحكومات والدول فاذا كان يشمل الحكومات العربية المجاورة له فقد نقض المعاهدة بمخالفته — وان كان لا يشملها فلا يضره هـذا الشرط الآن اذ ليس من مصلحة نجد أن تكون ذات عـلاقة بالدول الاجنبية ولا هي مستعدة لذلك ، وللمستقبل حكمه واستعداده

واننا قبل ان نبين ما وعدنا به من المقابلة بين سلطان نجد وبين الشريف حسين وأولاده نقول اننا كنا ذكرنا في المقالة الاولى اننا سمعنا خبر المعاهدة البريطانية النجدية أول مرة من الملك فيصل في الشام (وكان اجتماعنا به هنالك سنة ١٩٢٠) كما ذكرنا أننا سمعنا خبر اختيار ابن السعود عدم الدخول في الحرب العامة في جانب الدولة العثمانية ولا في جانب الدولة البريطانية وذكرنا تعليله نقلا عن صـديقنا السيد طالب بك النقيب ، ونتذكر اننا سمعنا منه انه كان قد كاف مخاطبته في هذه المسألة وانه نصح له بما يليق به من حيث هو أمير مسلم وهو ما فيه مصلحته وقد فهم المشار اليه اننا نعني بما قلناه انه كان هو الذي وسط بين الانكليز والامير ابن السعود في عقد هذه المعاهدة فكتب في الجرائد تصحيحا للخبر هو انه كان اخبرنا بأنه هو الذي توسط بين الامير ابن السعود وبين الدولة العثمانية في عقد الاتفاق الذي اشرنا اليه في المقالة الاولى وكان ذلك قبـل الحرب وأما المعاهـدة المذكورة فقد عقدت بعد نفيـه من العراق في أوائل الحرب وحـدد لنا الزمان والمكان اللذين اخبرنا فيهما بما ذكر وهو انه كان على مائدة الافطار بدارنا في شهر رمضان من سنة ١٩١٦ وذكر بعض الذين كانوا معنا ليلتئذ . وقد تذكرنا ولكن هذا غير ذاك فنحن لم نقل ولم نقصد بعبارتنا الوجيزة المبهمة ان صديقنا توسط في معاهدة سنة ١٩١٥ اذا صرحنا بأننا لم نسمع خبرها الا من الملك فيصل سنة ١٩٢٠ وانما العالق بذهننا ان الانكليز لما أعلنوا الحرب مع حلفائهم على الدولة العثمانية وشرعوا يغرون امراء جزيرة العرب بان يكونوا معهم عليها كان نصيبهم من ابن السعود ماذكرنا من الاتفاق السلبي ولم نكن نعلم انه

كان بمقتضي معاهدة مكتوبة ، وقد ذكرنا هذا مرارا في المنار وغيره في اثناء الاتفاق السلبي ، فان كنا واهمين في سماع هذا الخبر من صديقنا (ط . ب . ك) وانه كان كلف مخاطبة ابن سعود فنصح له - فاننا نستغفر الله تعالى ولا نرى عليه غضاضة فيه فنستغفره هو وانما نعد ذلك من حسناته

* * *

اما بعد فهذا أوجز ما يقال في مسألة المعاهدة البريطانية النجدية على فرض صحتها وكون هذا الذي نشره الحجازيون هو نصها ليس فيه تحريف ولا تزوير مما اعتادوه حتي في الرسميات كما حرفوا نص ما كتبته جمعية الخلافة في الهند للملك جدة الشريف على تحريف غير المعنى وان زعم نصيرهم المقطم انه لا فرق بين الاصل الذي كتبه اليه رئيس وفد الخلافة وبين تحريف الكتاب الاحمر الحجازي في المعنى ، كأن المقطم يري ان اذا الشرطية بمعني ما المصدرية وسيأتي بيان هذا في مقال آخر

والامر الواقع الذي لا يحتمل التحريف ولا التأويل أن السلطان ابن السعود سلطان مستقل في بلاد نجد وملحقاتها ليس في بلاده اجنبي مسيطر ولا غير مسيطر عليه أو له نفوذ ما في بلاده — وانه يغزو و يضم بلاداً الى بلاده و يعقد المعاهدات بينه وبين من يتفق معه من الحكومات المجاورة له ، بدون ادنى تدخل من الانكليز وغيرهم — وأن رجاله قد غزوا بعض قبائل العراق وشرق الاردن التي هي بمقتضى سياسة امراء أو ملوك البيت الحسيني تحت سلطان الانكليز بالفعل وقاومهم هؤلاء بطياراتهم واخيراً هاجم الحجاز وطرد منه رئيس هذا البيت الذي سمي ملك العرب وخليفة المسلمين واحتل عاصمته وحصر ولي عهده الذي ادعى الملك في أحد ثغوره ، وقد ظهر للقاصي والداني كراهة الانكليز لهذا الامر وما قبله ، وعلم أنهم ارسلوا اليه من يفاوضه فيه بصفة غير رسمية فابى أن يقابله وأن يكلمه في ذلك فعاد خائبا

هذا هو الحق الواقع الذي لا تستطيع حكومات البيت الحسيني البريطانية ولا دعاتها ومقطمها ان يحرفوه ولا أن ينقضوا منه شيئا ، ولا أن ينكروا أن نجدا كانت امارة صغيرة قد تقلص ظل امرائها آل سعود عنها فاعاده السلطان

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل هذا ووسع الامارة فصارت سلطنة شهد أهل المعرفة من الشرقيين والاوربيين أنها اعظم قوة في بلاد العرب

فماذا فعل البيت الحسيني الحجازي ؟

سنحت للشريف حسين فرصة لتأليف قوة عربية بوحدة حلفية تحت رياسته كانت تكون هي الوسيلة الوحيدة لتأليف مملكة قوية مستقلة فلم يعقل ذلك ولا رضي به — وفاوضه الانكليز في موالاته لهم واثارة العرب على الدولة العثمانية فلو اشترط في القبول اعترافهم واعتراف احلافهم باستقلال البلاد العربيه بنص رسمي لأمكن قبولهم — ولكنه استبد بالامر وعرض عليهم من تلقاء نفسه تلك المواد التى سماها « مقررات النهضة » التى صرح فيها بان « لامة العربية بمنزلة القاصر في حجر الدولة البريطانيه » — وان هذه الدولة هي التى تؤسس له مملكة عربية وصفها بكلمة مستقلة وبان على الدولة البريطانية ان تكون حامية لها من الداخل والخارج حتى من الفتن الداخلية والثورات المحلية — وان تختار لها العمال والموظفين (؟) وان الدولة البريطانية تحتل البصرة من ولايات العراق لاجل تأمين حماية البلاد العربية الى أن يصير للدولة العربية في ظلها من القوة ما يكفي لحماية نفسها بقوتها (!) ثم اعترف لها بحقوق خاصة في جميع العراق وبتأجيل البت في مسألة سورية الشمالية لما تدعيه فرنسة من الحقوق فيها الخ

كانت هذه المقررات سرا مكتوما فافشاه الامير فيصل ونشره في جريدة المفيد بدمشق الشام. ثم قرأنا في جريدة ملك حسين التي سماها القبلة انه قد كتب الى الدولة الانكليزية مرارا بالاستقالة من ملك الحجاز وأن يعينوا فيه ملكا غيره ! !

هذا شأن الحجاز الذى تفتخر الدعاية الحجازية بان حسينا جعله مستقلا بالفعل ، وما جعله مستقلا الامكانته الدينية التي منعت الانكليز من تنفيذ مااقترحه حسين في مقررات نهضته من حمايتهم له من الداخل والخارج

وأما فيصل فخدع أهل سورية خداعا فوق خداع والده الذي نومهم تنويما كانوا يحلمون فيه بالمملكة العربية المستقلة — خدعهم بتلك الخطب التي كانت

تهدر بها شقاشقه بكفالة الاستقلال التام الناجز لسورية وبانه هو ابن محمد (ص) ويتبرأ منه ان كان يرضى لسورية بما عدا الاستقلال المطلق من قيود الوصاية والحماية وغيرها — وقد رضي فيري — فلما جاءت لجنة الاستفتاء الاميركانية الى سورية للوقوف على رأي أهلها امره سادته الانكليز بان يحمل الاهالي على طلب الوصاية البريطانية ففعل ولكنه لم يطع ، وصرح انه غير سياسته فجأة لانه علم علما قطعيا بان الوصاية لابد منها وأن طلب الاستقلال التام المطلق يفضي الى جعل الوصاية لفرنسة ، فهو اذاً خيانة للوطن أو هو الخيانة العظمى (!)

ثم ذهب الى انكلترا فامرته حكومتها بان يتفق مع مسيو كلمنصو الرئيس الفرنسي على قبول انتداب فرنسا لسورية واقناع السوريين بذلك فاطاع، وعاد الى سورية لاقناع زعمائها بذلك فاعجزه الاقناع ، وأعلنت البلاد استقلالها وجعلته ملكا عليها ليرجع عن هذا الرأي ، ويكون لها على الاجنبي دون العكس، فرجع في الظاهر دون الباطن ، ولما أرسل اليه الجنرال غورو إنذاره المعروف في يونيو سنة ١٩٢٠ حاول أن يخدع المؤتمر السوري ليفوض الامر اليه فعجز، فحل عقد المؤتمر وقبل الانذار الفاضح، وحل الجيش المدافع ، وخرج من دمشق فاقام في ضواحيها الى ان احتلها الجيش الفرنسي فلما تم الاحتلال عاد اليها ليكون في ظل الانتداب الفرنسي ملكا عليها (؟؟)

وبعد طرده منها عاد الى أولياء أمره الانكليز الذين سل سيفه تحت قيادتهم وساعدهم على فتح القدس الشريف والشام ، وأخذ ثار القرون الطويلة من العرب والاسلام، شاكيا لهم ما أصابه معللا لهم ثباته على اخلاصه لهم، فارسلوه الى العراق وجعلوه ملكا عليه، فجاهد ولا يزال يجاهد في سبيل توطيد نفوذهم فيه بالاسم الذي يريدونه

وأما عبدالله فقد جاء شرق الاردن بعد فرار أخيه من سورية في اثر مكاتبات بين بعض احرار السوريين الذين لجؤا اليها وبين والده وكانت هي المنطقة الحرة التي لم تدخل في الانتداب لا لفلسطين ولا لسورية ، وكان لاولئك الوطنيين الاحرار من الآمال فيها وفي الملك حسين وفي الامير عبدالله ما كنت في حيرة منه، لم أجد له تأويلا — بعد أن علموا من كذب هذه الاسرة وخداعها مالا يمكن

تأويله – الانعاق الغريق بحبال الهواء (كما يقال في تلك البلاد) فما زال الامير عبد الله يجاهد في هؤلاء الاحرار ويسرف في اموال المنطقة ويحكم فيها عبيده ويتزلف الى الانكليز والصهيونيين حتى وضع المنطقة في دائرة الانتداب الفلسطيني وأوصل نفوذ الانكليز واليهود الى حدود الحجاز باذن والده (المنقذ الاعظم) ورضاه وهو أحب أولاده اليه

وأما علي ولي عهد والده وهو الذي كان يظن أنه خيرهم ان كان فيهم خير – فهو « يمثل الآن شر دور من أدوار القضيـة العربية » كما يقال في التعبير المصري — فان الداء الذي جعل أباه وأخويه نكبة على العرب والاسلام متمكن منه كتمكنه منهم أو أشد ، وفيه جميع مساويهم الاخزوانة الجبروت فلم يحك لنا عنه منها شيء لانه ضعيف الارادة

اما الداء الذي نعنيه فهو الافتتان بلقب الملك ومظاهر عظمته ولو في ظـل دولة اجنبية ، بل هو متواطيء معهم على أن يكونوا كلهم ملوكا في حـماية الدولة البريطانية ، وقد أخبرني رئيس الوفد الهندي انه ثبت عندهم في جدة انه عرض على المعتمد البريطاني فيها أن يكون الحجاز تحت الحماية البريطانية رسميا ليصدوا سلطان نجد عنه ، وكلفه أن يكتب الى دولته بذلك فاجابه بأن دولته قررت الحياد رسميا فلا تعدل عنه ، فكان هذا مصداقا للروايات الكثيرة المختلفة المصادر في ذلك ، وان كذبها دعاة سياستهم في مقطمهم وغيره ، ونبين هذا في مقال آخر ،

وأما المساوي المرادة هنا فهي الجهل والاستبداد والخداع والكذب والاثرة والغرور بالنسب باعتقاد انهم أولى الناس بالسيادة على العرب وأحقهـم بالملك والخلافة بنسبهم الذي يشاركهم فيه ألوف لا تحصى كثير منهم يفضلونهم كل ما يتوقف عليه الملك من علم وخلق وعمل

« ١ » بلغنا بعد نشر هذه المقالة في الاهرام صحة ما كان أشيع من ان الشريف حسينا و ولديه عبدالله وعليا امضوا للانكليز ضم معان والعقبة الى شرق الاردن وهما من ارض الحجاز لئلا يأخذها سلطان نجد ، فهل يوجد مسلم صحيح الاسلام أو عربي غير خائن لامعه يشك بعد علمه بهذا في خيانتهم لدينهم وأمتهم ؟ ؟

فعلي هذا متواطئ مع أبيه على ادعاء خلعه واخراجه من الحجاز وكون أهل الحجاز بايعوه على أن يكون ملكا دستوريا على الحجاز وحده — وكونه يعترف لكل امارة في جزيرة العرب باستقلالها اذا اعترفوا باستقلاله في الحجاز — وهذا كله كذب وخداع، وكذا وجود حزب وطني حجازي ينطق بلسان أهل الحجاز ويعبر عن رغباتهم — وقد كنا نرتاب في كل خبر من هذه الاخبار عند نشرهم اياه ثم تأتينا الانباء الصادقة باليقين الموافق لرأينا ،ومن المؤسفات اننا كنا في شواغل حالت دون بيان رأينا في الجرائد ، على اننا كنا نذكره لكل من نتكلم معهم في هذه الشؤون وذكرنا بعضه في الخطاب العام الذى ننشره في هذه الايام وفي المنار

وقد كانت أخبار لوفد الهندى الصادقة آخر ماجاءنا من الحقائق الموافقة لرأينا ومنها أن عليا لايزال يخاطب والده بالقاب الملك والخلافة وامارة المؤمنين وأن الحزب الوطني مؤلف هنالك من محمد الطويل وطاهر الدباغ من اركان حكومة علي ولم يبق ممن كانوا خدعوا به ودخلوا فيه من الحجازيين احد ، والذي نعلمه نحن أن الاول تركي الاصل والثاني مغربي — ولهما مندوبان بمصر هما حسين الصبان الذي كان مدير جريدة القبلة وعبد الرؤف الصبان وهما اللذان ينشران الدعاية باسمه — ومما قاله رئيس الوفد وأعضاؤه وهو معروف عندنا وعند المختبرين انه ليس في حكومة علي في جدة نفوذ لاحد من أهل الحجاز فان الجند وضباطه سوريون وكذا جل رجال الحكومة على قلتهم

ومن غريب أحداث الزمان ان أهل هذا البيت الحسينى يبغضون السوريين اشد البغض وأن السوريين كانوا أشد انصارهم في الحجاز وسورية وشرق الاردن وهم الذين سموا كبيرهم خليفة المسلمين وامير المؤمنين المرة بعد المرة — ولكن لما كان كل ذلك في كل وقت مبنيا على اساس مناف للحق ولمصلحة العرب ولشريعة الاسلام ، لم تكن عاقبته الا الخيبة والخذلان

وجملة القول أن علي بن حسين قد حصن ثغر جدة بمال ابيه ومساعدة أخيه وبما استأجرا له من الجند من شرق الاردن وسائر فلسطين وسورية وبما ابتاع به من السلاح والذخائر وعدد القتال من أوربة ، وسمى نفسه ملك الحجاز ،وقد عرض

بلاد الحجاز بهذا للحرب والجوع وهو مستعد لمنع الحج اذا عجز الوهابيون عن الاستيلاء على جدة قبل الموسم ، بل هو يستحل اهلاك الحجاز وأهله والعرب والعجم لاستعادة ملك الحجاز له وللخلافة لولده . فالخلاف بين علي بن حسين وحسين بن علي من جهة والسلطان ابن السعود من جهة أخرى قائم على هذه المسألة وهي أنه هو يريد انقاذ الحجاز من أهل هذا البيت الظالم وأهله وجعل أمره لاهل العقل والبصيرة من أهله ومن سائر العالم الاسلامي وهما يريدان أن يكون ملكا لهما يتصرفان فيه وفيمن يرد اليه من مسلمي العالم كله كما يشاء كبيرهم الذي ثبت بالتواتر العام ظلمه والحاده في الحرم وسوء ادارته ثم من يرثه منهم :

ماضي الازهر وحاضره ومستقبله

٢

كتبنا في المقالة الاولى من هذا الموضوع كلمة إجمالية في ماضي الازهر البعيد والقريب حتى عهد الاستاذ الامام ، وغرضنا مما كتبنا ونكتب فيه العبرة والتذكير لاسرد وقائع التاريخ .

ونقول الآن إن الحكومة المصرية لم تستطع تنفيذ ماقررته موافقا لرأي لورد كرومر من ترك الازهر وشأنه والاكتفاء بحفظ الامن فيه كما تحفظه في كل معهد ومكان في البلاد حتى الحانات ومواخير الفجور ، بل ذكر في نصهم « أن يكون في أمان وهدوء وبعد عن الشغب والقلاقل وأن يظل مدرسة دينية كما كان » والمراد من هذه الكلمات أن لايكون له شأن ما في أمور الحكومة ولا الامور العامة السياسية ونحوها ولاتدرس فيه العلوم الكونية فان كان الامير استمال اللورد بما لامحل لذكره هنا ليمكنه من عزل الاستاذ الامام من الافتاء ومن ادارة الازهر فقبل اللورد أن يستقيل من الثانية دون الاولى على شرط أن يتولى هو تأسيس مدرسة القضاء الشرعي بوضع نظامها والاشراف عليها وأن لايكون بعد ذلك للازهر صفة خاصة عند الحكومة ولكن الاستاذ الامام لم يلبث بعد ذلك أن مرض فتوفي قبل اتمام وضع نظام مدرسة القضاء الشرعي فلم يصبر الامير عن الاشتغال بأمر الازهر بصفة غير

رسمية ، ولم يرض حال الازهر بعد ذلك أحداً من الازهريين ولا من سائر المسلمين في مصر ولا غيرها كما بيناه في الجزء التاسع من مجلد المنار التاسع وفيه مقالة حافلة لزعيم مسلمي الهند في ذلك العهد النواب محسن الملك ـ ثم ذكرنا في الجزء العاشر منه ان الامير قد بدا له في أمر اصلاح الازهر بعد إنشاء مدرسة القضاء الشرعي وجعلها تابعة لوزارة المعارف وكان وزيرها ومؤسس المدرسة فيها مستقوتا عنده سعد باشا زغلول تلميذ الشيخ محمد عبده وأنه شاع ان أساس هذا الاصلاح إنشاء (مجلس أعلى) من مجلس ادارة الازهر من أعضائه رئيس الديوان الخديوي ومدير الاوقاف العامة ـ وكان تابعاً لنفوذ الخديوي وحده ـ وأن يكون لشيخ الازهر وكيل من حقوقه أن ينوب عنه في غيبته في كل شيء

ومازال الازهر بعد انشاء مدرسة القضاء الشرعي في أمر مريج وعلم أهله أن المتخرجين فيها سيستأثرون بجميع المناصب الشرعية ويزاحمون مع ذلك شيوخ الازهر على التدريس فيه فيزحمونهم ويفوقونهم وأفضى ذلك الى الهياج والاضطراب في سنتي ١٣٢٧ و ١٣٢٨ ثم باعتصاب الطلبة أي تركهم لحلقات الدروس مطالبين باصلاح التعليم في الازهر وزيادة العلوم والفنون الطبيعية والرياضيه التى تدرس في مدرسة القضاء الشرعي في برنامج دروس الازهر ووافقهم بعض المدرسين على ذلك ، حتى انهم طلبوا إلغاء مدرسة القضاء الشرعي

حينئذ ظهر للامير وللحكومة ولمن يعقل من الشيوخ الذين كانوا يعارضون الاصلاح في عهد الاستاذ الامام أن بقاء الازهر على ما كان عليه محال كما قال ، فعهدت الحكومة الى المرحوم أحمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية بأن يضع نظاما جديدا للازهر بمساعدة كل من اسماعيل صدقي باشا وكيل وزارة الداخلية وعبد الخالق ثروت باشا النائب العمومي ـ وهؤلاء الثلاثة في الذروة العليا من رجال الحكومة ذكاء وعلماً بالقوانين والنظم ـ وقد جمع فتحي باشا جميع ما وضع للازهر من القوانين والنظم من مدة أربعين سنة وبعد وضع النظام الجديد الحافل الجامع للكثير من الفوائد والمنافع طبعت كلها مع النظام الجديد ولكن هذا النظام على ما انتقدناه منه من جعله الازهر تحت تصرف الحكومة لم توضع فيه المادة المهمة التي تجعله مضمون التنفيذ وانما نفذ منه بعض المواد المتعلقة بالنظام الصوري كالمجلس

الاعلى واجتماعاته الخ وعلم من ذلك ان الحكومة ثابتة على رأيها في وجوب عزلة الازهر وعدم تدخله في أمور الحكومة أو الامة العامة إلا الامور الدينية المحضة كالصلاة والدروس الدينيه

وفي هذه الاثناء عنى بعض اذكياء طلبة الازهر بامور السياسة والاحزاب وكان الحزب الوطنى أول من دعا بعضهم الى ذلك فلما ظهرت الثورة بعد الحرب العظمي كان الالوف من الازهريين في جيش (المتظاهرين) وكان الاجتماع في الازهر لالقاء الخطب السياسية وتنظيم الاعمال أعظم منه في غيره فشددت الحكومة عليهم مالم تشدد على غيرهم كما سبق الالماع به في المقالة الاولى وظل الازهريون محل مراقبة الحكومة وتشديدها الى عهد الملك فؤاد الاول وفقه الله تعالى لخدمة العلم والدين — فقد عني أولا بكبار العلماء ثم بمن يليهم فأطمع ذلك صغار العلماء والطلاب بنيل مايرونه ، فكثرت المطالب والاقتراحات ولما نجحوا في بعضها توسعوا فيها وتألفت لاجلها الجماعات ، ورأت الحكومة أن العطف الملكى على العلماء والازهر يكاد يفضي الى ابتلاع المعاهد الدينية لمعظم ما زاد من دخل وزارة الاوقاف على نفقاتها من غير أدنى فائدة للحكومة ولا للامة من خريجها يكثرون عاما بعد عام وكلهم طلاب رزق واسع ورفاه سابغ ، فأطالت التفكير في وضع نظام جديد لهذه المعاهد يحصر فيه عدد علماء الدين الذين يرزقون من خزينة الاوقاف

وقد كبرت آمال الازهريين بعد رفع الحماية البريطانية عن مصر بتأثير الثورة التي كان لهم فيها المظهر الذي لاينكر ، وحدث في هذه الاثناء كثرة سقوط الذين يؤدون امتحان شهادة العالمية — فظنوا أن التشديد في الامتحان لم يحدث الا بايعاز يراد به تقليل عددهم ، وتنقيص مددهم وما زالوا يساورون الوزارات وهي تدافعهم باللين وتعدهم بدرس الموضوع وتأليف اللجان له الى أن وضع قرار لمطالبهم كتم أمره عنهم وألحوا في وزارة سعد باشا على مكاشفتهم به قبل تنفيذه وغاضبوا الوزارة والرئيس الذي كانوا من أعز أنصاره لعدم إجابته اياهم — إلى أن انحصرت مطالبهم أخيرا في المواد الآتية التي أجابتهم اليها الحكومة الحاضرة وهذا نصها

مطالب الازهر وملحقاته من الحكومة

المطالب التي اتفق عليها طلبة الازهر وطلبة معهد طنطا

(١) اعتبار الازهر الشريف جامعة كبرى تتكون عناصرها من المعاهد الدينية التالية ومدارس القضاء الشرعي ودار العلوم والمعلمين الاولية بحيث تكون هذه الجامعة مشرفة على جميع مايختص بتعليم الدين وتعليم اللغة العربية

(٢) المساواة الفعلية بين حاملي شهادات الازهر ونظرائهم من حاملي شهادات وزارة المعارف فتساوي الاولية الابتدائية والثانوية البكالوريا والعالمية الليسانس وذلك فيما يختص بميزاتها وبالمرتبات والترقيات واحتساب المعاش مع حفظ امتيازات العلماء الخاصة بهم مثل كبونات السكك الحديدية

(٣) اقرار مشروع التعليم الديني في المدارس وهو الذي قررته وزارة المعارف السابقة واسناد القيام بتعليمه الى خريجي الازهر خاصة

(٤) الغاء القوانين الاستثنائية والاجراءات والقرارات التي ترتبت عليها واباحة الانتساب والتحويل الى الجهة التي يريدها الطالب .

(٥) تعديل الكشف الطبي بحيث لايمنع من تولي الوظائف الا من به مرض معد

(٦) حفظ الحق للمكفوفين في مباشرة التدريس بالازهر وفي وظائف الامامة والخطابة بالمساجد .

(٧) جعل الامتحان على دورين في السنة الواحدة حسب المتبع في المدارس .

(٨) ارسال بعثات الى الجامعات الاوربية لدراسة العلوم التي تناسب التعليم في الازهر

المطالب التي انفرد بها طلبة معهد طنطا

(١) تعديل برامج التعليم تعديلا يتناسب مع الحال الحديثة ويحفظ للازهر صفته العلمية و الدينية

(٢) تعديل مدة الدراسة بجعل مدتها العامة ثماني سنوات والاربع الباقية بعد ذلك في مختلف العلوم الدينية والعربية على أن تكون مدرسة القضاء الشرعي

للتخصص في القضاء الشرعي ومدرسة دار العلوم للتخصص في اللغة العربية وباقي الاقسام في الازهر للتخصص في العلوم الاخرى وعلى أن تكون الشهادة الثانوية من الازهر هي شرط الدخول في هذه الاقسام .

(٣) ايجاد قسم لتعليم اللغات الاجنبية المتداولة في العالم ليمكن العالم الازهرى أن يبين حضارة الدين الاسلامي في اللغة العربية للعالم الاوربي .

المطالب التي انفرد بها الأزهر

(١) معاملة العلماء معاملة خاصة في الكشف الطبي بوزارة المعارف

(٢) تعديل قانون التخصص الجديد بجعل مدة الدراسة فيه سنتين فقط على أن تكون مدرستا القضاء الشرعي ودار العلوم فرعين من الازهر - الاولى للتخصص في القضاء والثانية في اللغة العربية - وباقي أقسام التخصص في الفنون الاخرى بالازهر . وأن يكون الانتساب الى هذه الاقسام كلها مقيدا بالحصول على شهادة العالمية من الازهر

(٣) تنفيذ الحقوق التي كفلتها القوانين واللوائح لحملة شهادات الازهر المعطل العمل بها الآن.

(٤) ايجاد أمكنة صحية صالحة للدراسة غير الامكنة الحالية التي يدرس فيها الطلبة

(٥) جعل الوظائف الكتابية بالمحاكم الشرعية حقا مشتركا بين جميع المذاهب لا فرق في ذلك بين خريجي القسم المؤقت والقسم النظامي والغاء قرار الحقانية الاخير

(٦) حل اللجنة المنتدبة من وزارة المعارف لتغيير نظام مدرسة القضاء الشرعي الحالي واهمال عملها

(٧) تأليف لجنة للنظر في هذه المطالب

مطالب قسم التخصص

(١) ألا يقل المرتب عن ستة جنيهات تصرف في زمن الدراسة وفي المسامحات والاجازات

(٢) ايجاد مكان صالح للدراسة يكون على نظام المدارس العالية

(٣) تخفيض مدة الدراسه لى سنتين

(٤) أن يعتبر كشف القومسيون الطبي حين الدخول في التخصص كشفا نهائيا فلا يعاد الكشف عند الطالب للتوظف في أثناء التخصص أو بعد الحصول على شهادة التخصص .

(٥) أن يكون لهم حق التدريس في المدارس الابتدائية والثانويه والعالية

(٦) أن يعتبروا في جملة الموظفين فيحسب لهم زمن التخصص في المعاش

(٧) أن يعتبر صرف المرتب الشهري بعد حصولهم على شهادة التخصص الى أن يلتحقوا بالوظائف

(٨) صرف جوازات السفر بالسكة الحديدية المصرية

مطالب جمعية تضامن العلماء

(المطلب الاول) تعديل المادة التاسعة من قانون مدرسة القضاء الشرعي والمادتين الثامنة والتاسعة من قانون التخصص للجامع الازهر بما يحفظ امتيازات العلماء الذين تخرجوا قبل صدور ذلك القانون

(المطلب الثاني) إلغاء قرار المجلس الاعلى القاضي بقصر الانتخاب في التدريس على العشرة الاول وتحكيم الكفاءة العلمية مع رعاية الاقدمية في الانتخاب وتظهر الكفاءة بالقاء دروس تحضيرية مؤقتة

(المطلب الثالث) أن يخصص من مالية الحكومة مبلغ يسد حاجيات العلماء غير المدرسين من القسم المؤقت الذين ليس بيدهم شيء في مقابلة إلقاء حصة أو حصتين في الازهر أو ملحقاته

(المطلب الرابع) المعافاة من الكشف الطبي واذا كان مشروعا فلا يتناول الا من كان مريضاً بالامراض المعدية مع اباحة التدريس والامامة والخطابة للمكفوفين من غير شرط ولا قيد .

(المطلب الخامس) التعليم الديني في جميع مدارس الحكومة ومجالس المديريات على أن يكون مقصورا على العلماء لاختصاصهم بالعلوم الدينية وآلاتها .

﴿ تقرير اللجنة الوزارية في شؤون الازهر ﴾

بعد ان قدمت هذه المطالب لوزارة أحمد زيور باشا أمرت بتأليف لجنة خاصة للنظر فيها مؤلفة ممن تذكر أسماؤهم فعقدت عدة جلسات قررت فيها عدة أمور وكان إتمام عملها في جلستها التي انعقدت يوم ٢ فبراير سنة ١٩٢٥ (٨ رجب سنة ١٣٤٣ هجرية) ووضعت القرار الآتي (المكمل لاقتراحاتها السابقة) وقدمته الى مجلس الوزراء لاعتماده موصية بضرورة تنفيذه بسرعة وتقرير النفقات اللازمة له . فأقره المجلس وهذا نصه :

(١) أن تعتبر المدارس الاولية للمعلمين ومدرسة دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي داخلة في ضمن الجامعة الازهرية الكبرى على شرط أن تبقى وزارة المعارف العمومية متولية إدارة هذه المدارس وأن تقوم وزارة المعارف نفسها بعقد الامتحانات اللازمة لقبول طلبتها وتخريجهم ومنحهم الشهادات طبقاً للقوانين والمناهج التي تسير على حسبها الآن والتي تسنها لها فيما بعد على حسب مقتضيات الاحوال . وأن على مدرسة دار العلوم والمدارس الاولية للمعلمين معاً مجلس ادارة رئيسه شيخ الجامع الازهر وأعضاؤه مفتي الديار المصرية ومدير المعاهد الدينية ومراقب التعليم الاولي بوزارة المعارف وناظر مدرسة دار العلوم واثنان من أساتذة هذه المدرسة . وأن يطلق على هذا المجلس مجلس (إدارة دار العلوم والمدارس الاولية للمعلمين)

(٢) ابتداء من أول السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ يضاف الى منهج دراسة القسم الاولي للمعاهد الدينية — علاوة على مقرره الحالي في العلوم الدينية والعلوم العربية ما يتسع له من المواد الحديثة التي تدرس للمدارس الاولية للمعلمين وليست في منهج القسم الاولى للمعاهد الدينية ليتسنى لمن يتم دراسة القسم الاولي ويريد الاشتغال بوظيفة التعليم في المدارس الاولية أن يتفرغ سنة واحدة لاستيفاء ما ينقصه من العلوم ثم يؤدي الامتحان اللازم للحصول على الشهادة المعروفة بشهادة الكفاءة للتعليم الاولي أمام اللجنة أو اللجان التي ستؤلف

في دائرة الازهر والمعاهد الدينية برياسة من يعينه مجلس الازهر الاعلى ومساعدة من ينتدب من المعاهد الدينية ومن وزارة المعارف العمومية توحيداً للنظام العام . ويقصر تخريج هذا الصنف من المعلمين على المعاهد الدينية متى وجد أن حاجة التعليم لاتتطلب أكثر مما تخرجه هذه المعاهد .

ونظراً الى أن الحاجة ماسة للاكثار من المدرسين للتعليم الاولي الذي يزداد انتشاراً على ممر السنين ويقابل الرغبة الصادقة للحكومة المصرية العاملة على تعميمه وحبا في الاستفادة من حاملي شهادة القسم الاولى من المعاهد الدينية في فترة السنوات الخمس التي يستغرقها سير الدراسة الجديد في التعليم الاولى بالمعاهد الدينية تنشأ فرقة من أول السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ تسمى (فرقة التخصص للتدريس بالمدارس الاولية) يتكمل فيها حاملو الشهادة الاولية من المعاهد الدينية مدة سنة واحدة لاعداد أنفسهم لتأدية امتحان شهادة الكفاءة للتعليم الاولي وهذه الفرقة تنشأ في المعاهد الدينية التي بالقاهرة وطنطا وأسيوط والزقازيق والاسكندرية أي في المعاهد الدينية التي توجد معها في بلدة واحدة مدارس أولية للمعلمين . ويقوم بالتدريس في هذه الفرقة أساتذة المعهد الديني انفسهم ومن ينتدب معهم من أساتذة المدرسة الاولية للمعلمين . وهؤلاء الاساتذة المندوبون يكلفون التدريس بهذه الفرقة في أوقات الفراغ من أعمال مدرستهم ويؤجرون على ذلك بمكافأة تصرف لهم على حسب القواعد المتبعة بوزارة المعارف العمومية . أما معهد دسوق ودمياط اللذان لاتوجد الي جانبهما مدارس أولية للمعلمين فاذا وجد فيهما من الطلبة من تطمح نفسه الى التخصص للتدريس بالمدارس الاولية فأنهم ينقلون الى معهد آخر يتيسر لهم فيه الالتحاق بفرقة التخصص المذكورة .

(٣) ونظرا إلى أن الرغبة قد توجهت الى ادخال التعديل المرموق بعين الاصلاح على مناهج المعاهد الدينية وأن الازهر الشريف سيضيف الى مقررات القسم الثانوي من العلوم العصرية مايتمشى مع الحركة العلمية الحاضرة ليكون لطلاب العلم والدين مهبط لتلقي العلوم القديمة والحديثة وأن الهمة الصادقة ستبذل لتدرس فيه

العلوم الحديثة المشتمل عليها منهج المدرسة التجهيزية الملحقة بمدرسة دار العلوم (الذي هو منهج القسم الادبي للمدارس الثانوية الاميرية واستعيض فيه عن اللغات الاجنبية والترجمة ببعض العلوم الحديثة) إذن لم تبق حاجة الى بقاء هذه المدرسة التجهيزية الى جنب القسم الثانوي بالمعاهد الدينية . ولهذا تقرر اللجنة إلغاء المدرسة التجهيزية الملحقة بدار العلوم بالتدريج ابتداء من أول السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ بمعنى أنه في هذه السنة تلغى السنة الاولى فقط من المدرسة التجهيزية المذكورة ويكتفى بنظيرتها بالقسم الثانوي للمعاهد الدينية بحيث ينظم فيها التدريس وفقا لما ذكر . وفي السنة التي تليها تلغى السنة الثانية من المدرسة التجهيزية ويكتفى بنظيرتها بالقسم الثانوي للمعاهد الدينية وهلم جرا .

وبما أن الحاجة ماسة للاكثار من متخرجي دار العلوم الذين يقومون بمهمة تدريس العلوم العربية والدين في المدارس التي تزداد نموا وانتشارا رغبة في التعجيل بالاستفادة من حاملي الشهادة الثانوية للمعاهد الدينية في فترة السنوات الاربع التي يستغرقها سير الدراسة الجديد في التعليم الثانوي بالمعاهد الدينية تقرر اللجنة أنه ابتداء من السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ تنشأ فرقة بالسنة الاولى بدار العلوم تكون الدراسة بها على حسب المنهج المؤقت لطلبة دار العلوم الذين تموا دراسة القسم الاول لمدرسة القضاء الشرعي يقبل فيها من حاملي الشهادة الثانوية للمعاهد الدينية (؟) وهذه الفرقة تسير الى جنب فرقة السنة الأولى السائرة على حسب النظام الجديد كل يدرس مقرره الخاص به في منهجه وفي السنوات التي تليها يسار على هذا النحو حتى اذا وافت السنة المكتبية ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ يلغى السير على حسب هذا المنهج المؤقت بالتدريج لان المدة المحددة له تكون قد انتهت ويحل محله النظام الجديد لدار العلوم

أما قبول الطلبة للسنة الاولى بالقسم المؤقت لدار العلوم في غضون السنوات الاربع المشار اليها فيكون بامتحان مسابقة لحاملي شهادة الدراسة الثانوية للمعاهد الدينية في المواد الآتية : تحريريا في الاملاء والانشاء والخط والرسم . وشفهيا في القرآن الكريم كله حفظا وتجويدا والفية ابن مالك حفظا وفهما

لمعناها. وتكون المطالعة في كتاب أدب الدنيا والدين مع التطبيق وفهم المعنى وحسن التعبير، وحرصا على المزايا التي يتمتع بها حاملو شهادة الدراسة الثانوية بقسميها الاول والثاني يبقى الامتحان المعروف بامتحان شهادة الدراسة الثانوية لتجهيزية دار العلوم معمولا به لطلبة الاقسام الثانوية للمعاهد الدينية التي ستسير ابتداء من أول السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ على حسب المنهج الجديد لمن يريد منهم الالتحاق بمدرسة دار العلوم . وسيعقد لهؤلاء لجنة أو لجان في دائرة الازهر والمعاهد الدينية برياسة من يختاره مجلس الازهر الاعلى وبمساعدة المندوبين الذين يعينون من المعاهد الدينية ومن وزارة المعارف العمومية توحيدا للنظام العام . وسيكون القبول في مدرسة دار العلوم ابتداء من سنة ١٩٢٩ وفقا لترتيب الناجحين في هذا الامتحان .

وقد لاحظت اللجنة في كل خطوة سلكتها أن المناهج الجديدة التي ستتبع في الازهر الشريف والمعاهد الدينية في أقسامها الاولية والثانوية ابتداء من السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ لا تمس العلوم الدينية والعلوم العربية من حيث مقرراتها الحاضرة التي تحفظ للازهر صبغته الدينية العربية . ونظرا إلى أن فرقة السنة الثانية من النظام المؤقت لدار العلوم ستكون السنة المكتبية المقبلة ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ خالية من الطلبة بداعي التنظيم الذي بدىء به في العام الماضى فقد تقرر أن يؤخذ لها من يريد الالتحاق بها من حاملي شهادة العالمية من المعاهد الدينية بعد أن يؤدوا امتحان مسابقة فيما بينهم في مقرر السنة الاولى من مدرسة دار العلوم على النظام المؤقت مع إعفائهم من تأدية الامتحان فى العلوم الشرعية. ومع عمل استثناء خاص لهم من حيث السن .

(٤) حاملو شهادة العالمية الذين يلحقون بوظائف التدريس في المعاهد الدينية والامامة والخطابة في وزارة الاوقاف يشترط فيهم أن يكونوا خالين من الامراض المعدية ، وقادرين على أداء وظائفهم . ولكل مصلحة أن تحدد قوة الابصار الضرورية لتدريس المواد المختلفة في المعاهد التابعة لها

(٥) أن تكون مدة التخصص في جميع أقسامه بعد الحصول على شهادة العالمية ثلاث سنوات وتعدل مناهج الدراسة لهذه الاقسام بوساطة مجالس الادارة المختصة

وتوصي اللجنة باعداد مكان واحد يضم أقسام التخصص معا توحيدا لانظمتها العامة وتسوية لجميع طلبتها في الامتيازات ، وقد يكون من الممكن بناء الجناح الشرقي في مدرسة القضاء الشرعي لتكون فيها حجرات دراسية تكفي السنوات الثلاث لاقسام التخصص . وينبغي الشروع في ذلك في الحال . ويكون القبول لقسم التخصص للقضاء الشرعي بامتحان مسابقة في مادتي الفقه والاصول فيما بين العلماء الذين يتقدمون له . وتوصي اللجنة كذلك بمعاملة حاملي شهادة التخصص معاملة (الدكتوراه) متى وضعت القواعد اللازمة لحامليها في الديار المصرية .

ورغبة في توحيد الدراسة السنوية في أقسام التخصص وغيرها من المعاهد الدينية ترى اللجنة أنه من حيث إن السنة الاولى للتخصص في الازهر قد انتهت فعلا في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٤ وأن السنة الثانية لهستبدأ في منتصف شهر فبراير سنة ١٩٢٥ فاذا أمكن هؤلاء الطلبة أن يدرسوا مقرر السنة الثانية بتمامه في غضون المدة مابين شهر فبراير ومايو من سنة ١٩٢٥ بحيث يؤدون الامتحان في ذلك المقرر كله حوالي شهر سبتمبر المستقبل - اعتبرت هذه المدة بمثابة السنة الثانية كاملة للناجحين منهم . وحينئذ يستطيع هؤلاء الناجحون أن يبدأوا سنتهم الثالثة مع بقية طلبة المعاهد الدينية في موعد واحد . وأما الذين لا ينجحون منهم فانهم يبقون للاعادة في السنة الثانية . وبهذه الكيفية تصبح السنة الدراسية واحدة لاقسام التخصص والمعاهد الدينية جميعا تبتديء حوالي شهر سبتمبر من كل سنة وتنتهي حوالي شهر يونيه .

(٦) وتقرر اللجنة للمكفوفين حق التمتع بما يتمتع به المبصرون من حيث الانتساب للازهر والمعاهد الدينية وتلقي العلوم التي تناسبهم فيها للحصول على شهادة العالمية الخاصة بهم . ودخول أقسام التخصص بالازهر . وتدريس مايمكنهم تدريسه من العلوم في الازهر والمعاهد الدينية والامتحان بوظائف الامامة والخطابة بوزارة الاوقاف .

(٧) وترى اللجنة أن ماقدمت من المقترحات لاتمس ما للطلبة الاقسام الثانوية بالمعاهد الدينية من الامتيازات بمقتضى المادة ٥٩ من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١

المعدلة بالقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٣٣ على قاعده تقديم الاكفاء من طالبي التوظف

(٨) ونظرا لضرورة البدء في الحال بتعديل مناهج الدراسة في الازهر والمعاهد الدينية تعديلا يلائم روح العصر الحاضر مع حفظ ما للازهر من الصبغة الدينية العربية تؤلف لجنة من حضرات الاعضاء الآتي ذكر أسمائهم بعد تنفيذا لمايقره مجلس الوزراء .

١ ـ فضيلة الشيخ حسين والي	سكرتير المعاهد الدينية
٢ ـ « « محمد شاكر	وكيل الجامع الازهر سابقا
٣ ـ « « محمود الديناري	شيخ القسم الاوّلي للازهر
٤ ـ « « محمود أبو العيون	من علماء الازهر
٥ ـ حضرة صاحب العزة علي الكيلاني بك	ناظر مدرسة القضاء الشرعي
٦ ـ « « « محمد بك السيد	« « دار العلوم
٧ ـ « « « الشيخ محمد حسنين الغمراوي بك	المفتش الاول للغة العربية بوزارة المعارف
٨ ـ « الشيخ محمد حسن الفقي	المفتش بالتعليم الاولي بوزارة المعارف

عضو اللجنة	عضو اللجنة	رئيس اللجنة
(محمد توفيق رفعت)	(محمد صدقى)	(اسماعيل صدقي)

نمرة ٢١ — ١ — ١

الى رياسة مجلس الازهر الاعلى

وافق مجلس الوزراء على ذلك بجلسته المنعقدة في ٤ فبراير سنة ١٩٢٥ . وقد أبلغ هذا القرار الى وزارتي المعارف العمومية والاوقاف

رئيس مجلس الوزراء

ختم (أحمد زيور)

﴿ جبار زمزم والحطيم ﴾

قصيدة تاريخية اجتماعية نظمها شاعر الشام المجيد خير الدين أفندي الزركلي على إثر سقوط حسين بن علي المكي عن كرسي ملكه وخلافته وفراره من الحجاز

صبر العظيم على العظيم … جبار زمزم والحطيم
ان القضاء اذا تسلط … ضاع فيه حجى الحكيم
والنفس جامحة فخذ … ما اسطعت منها بالشكيم
إنهض فقد طلع الصبا … ح ولاح محو الاديم
ألق السلام على الطلو … ل وحي شاخصة الرسوم
ودّع قصور « أبي نميّ » … لست فيها بالمقيم
راعتك رائعة الملوك … وبؤت بالخطب الجسيم
سهم رماك الاقربو … ن به فغاغل في الصميم
لم يجدك الحذر الطوي … ل من الموالي والخصيم
أيام كنت تسيء ظنك … بالرضيع وبالفطيم
ما كنت تحفل بالنصيـ … ح وكنت أحفى بالنموم
للنعميات يد الوشا … ة وللاباة لظى الجحيم
ريع الكرام بقصرك الـ … عالي فذق روع الكريم
اسمع أنين « القبو » ويح … « القبو» من حنق كظيم(١)
اعددت للاحرار فيـ … ـه عقاب منتقم ظلوم
أكلت حياة «القبو » من … أرواحهم ومن الجسوم

***

طال انقيادك للخصو … م وأنت ادرى بالخصوم
الانكليز وما أرا … ك بامرهم غير العليم

(١) القبو سجن تحت الارض لا يدخله الهواء ولا شعاع الشمس كان يسام فيه الذي يغضب عليهم حسين سوء العذاب

مافي جموعهم وان حدبوا عليك سوى غريم
ذؤبان واديك الفسيـ ـح وآفة الملك العقيم
قد يستنيم أذاهم حينا وليس بمستنيم
كالنار تذكيها الريا ح فكيف تطفأ بالنسيم

***

عجبا لمن طلب الخلا فة والخلافة في النجوم
أين الخلافة لاخلا فة في الحديث ولا القديم
تلك الذي ذهبت مع الا يام قبل ذوي «سليم»

***

أو لست اعجب للزعيـ ـم يفوته سهو الزعيم
الجامع المتناقضات من الغرائز والفهوم
الغافل اليقظ ، الحريص الباذل ، العاتي الرحيم
المدره العيّ العصي الطيع ، الشرس الحليم
الصادق الظن الصحيـ ـح الفاسد الرأي السقيم
الطيب النفس الانيس السيء الخلق السؤوم

***

ياناظم العقد النثير وناثر العقد النظيم
لم الف قبلك هادما ماكان يبنى من أطوم
كانت تخومك لاتنا ل فهل حميت حمى التخوم
هذا وليدك في «الرقيـ ـم» يعيث في أهل الرقيم (١)
يحبو «يهوذا» ما حبو ت وليس غيرك من ملوم
خسروارضى موسى الكليم فناب عن موسى الكليم

«١» الرقيم قرية أصحاب الكهف وكانوا بعمان قاعدة شرق الاردن اليوم (على ما قيل) حيث يعبث أميرها عبدالله بن حسين

العرب قومك ياحسين وأنت منهم في الصميم
كم علموك وما علمـ ـت وحاولوا بك من مروم
هلا اقتديت وأنت نشـ ـمد بالفتى «عبد الكريم»(١)
المعتز بقومه والمستبد على الغشوم
والمسترد علا حما ه بحد مرهفه الصروم
التارك «الاسبان» طا ئشة المدارك والحلوم
والمشهد الاقوام أن الحق محمي الحريم
والمبلغ الاسماع أن الضيم ينهض بالمضيم
رفع العقيرة في الجو ع وأنت لاه بالنعيم
ونفى الهموم عن الربو ع وأنت تبعث بالهموم
وشفى الصدور من الكلو م وأنت كنت من الكلوم
ماذا ادخرت لمثل يو مك والنذير نذير شوم
اعددت خمسا سابحا ت في الفضاء بلا رجوم(٢)
وسفائنا مر النسيـ ـم يحيلهن الى هشيم(٣)
ومدارسا ماكان ينقـ ـص حسنهن سوى العلوم
اعددت اجنادا وما عودتها صد القروم
مافي الذين دعيت «منقذهم» سوى شاك هضيم
ياعبرة لاولي البصا ئر في الحميد وفي الذميم
قل للذين سيخلفو نك من عدو أو حميم
الواردين على التربع في الدسوت ورود هيم
شر الممالك مايسا س سياسة البغي الوخيم
مافي العروش على الجها لة والغباء بمستقيم

(١) يعني محمد عبد الكريم أمير الريف في مراكش
(٢) يعني خمس طيارات ليس لهن قذائف يرجم بها العدو
(٣) هى ثلاث بواخر صغيرة اشتراهن للاتجار ونقل الحجاج

ومن استدام الملك منـ ... ـسيا فليس بمستديم
ماعرش «مكة» بالامار ... رة في «ثقيف» أو «تميم»
عصر «البداوة» قد توا ... رى عهده بين الغيوم
العرش منهار اذا ... لم يحمه علم العليم
لهفي على أهل «الجزيـ ... ـرة» في السهول وفي الحزوم
يتخبطون من العما ... ية في دجى حلك بهيم
أترى يتم «ابن السعود» ... اذا استوى عن طيب خيم
فيؤلف الوحدات طيـ ... ـبة المنابت والاروم
[illegible] ... قطها و بالحشد الحميم
[illegible] ... [illegible]ب السنن القويم
[illegible] ... [illegible] سواه من السموم
[illegible] ... الشيخ بالشيخ النؤوم
[illegible] ... [illegible] رته صاعقة الهزيم
[illegible] عن شرك الغمو ... م اصطاده شرك الغموم
[illegible] ... [illegible] به غير السليم

﴿ ترجمة القرآن وتحريف ترجمة له والتشكيك فيه ﴾

[illegible] من الحوادث التي تهم العالم الاسلامي ثلاث ﴿ أولاها ﴾ مجاهرة الحكومة التركية الانقروية بالمساعدة على ترجمة القرآن الكريم ونشرها باللغة التركية وكانت توجهت فكرة ملاحدتهم الى هذا العمل منذ سنين كثيرة لاجل صرف أهل الدين منهم بالترجمة التركية التي هي من كلامهم وتأليفهم ونظامهم عن كلام الله تعالى الذي أنزله على محمد النبي العربي (بلسان عربي مبين) وليسهل عليهم تحريف الترجمة والتصرف فيها كيفما شاؤا ، وقد كنا أنكرنا هذا العمل و بينا ما فيه فانكر علينا ذلك مراسل الاخبار في الاستانة (عمر أفندي رضا) وقال إنه لم يفعل ذلك أحد من

الترك وإنما [illegible] أحد نصارى السوريين يعني زكي بك مغامز ، وقد كتبنا في ذلك ماعرفه قراء المنار والأخبار ، ثم وردت الانباء بأن بعض الترك قد ترجموه، فتذكرنا بذلك نبأ قديما في ذلك سنذكره في مقال خاص بهذه الترجمة . ثم نشرت رصيفتنا مجلة (سبيل الرشاد التركية) شيئا من ترجمة حديثة لغير السوري النصراني المذكور وبينت خطأ المترجم في أداء المعنى بها ثم تلا ذلك طرح المسألة على مجلس الدولة التركية في انقرة وموافقته على تخصيص مبلغ من المال للاعانة على نشر ترجمة القرآن

(ثانيتها) ان فرقة مسيحية الاسلام القاديانية في الهند كانوا [illegible] ترجمة انكليزية للقرآن المجيد حرفوا فيها بعض آياته تحريفا [illegible] القاديانية وطبعوها مع القرآن الكريم [illegible] في هذين العامين في نشرها في البلاد [illegible] أحد على ماسبق زيارتهم من الدعاة [illegible] ابتغاء الرزق ، ثم زاروا سورية [illegible] والشام و بيروت بزيهم والحاوية [illegible] الناس لهم على أن تلك المناظرات كانت [illegible]

وقد ارسلوا الى مصر بعض نسخ القرآن [illegible] فارسلتها مصلحة الجمرك الى مشيخة الازهر [illegible] البلاد حسب النظام المتبع في ذلك فلم تأذن المشيخة بذلك [illegible] الفرقة الضالة وطفقت تنشر في الجرائد رسائل الطعن في مشيخة الازهر زاعمة أن هذا حجر على نشر القرآن وسيطرة على حرية الفهم فيه . . . وليس الامر كذلك فان مشيخة الازهر لم تتعرض قط لحرية الفهم والتفسير ولا لنشر الكتب المشتملة على الافهام والاقوال المخالفة المأثور عن السلف ولا المؤيدة لبعض الفرق المخالفة للسنة من قديم وحديث ، ولكنها لايبيح لها الشرع الاسلامي أن تأذن اذنا رسميا بنشر ترجمة للقرآن محرفة له يقصد بها ناشروها الدعوة الى بدعة جديدة مخالفة للاجماع في اصول العقائد الاسلامية كبدعة الاحمدية القاديانية التي منها ادعاء استمرار الوحي وان المسيح الدجال غلام احمد القادياني هو المسيح المنتظر وانه نسخ بعض أحكام القرآن

وقد ارسلت نسخ من هذه الترجمة الى سورية منذ سنين فارسلتها مصلحة الجرك في بيروت الى مفتيها صديقي الاستاذ الكبير الشيخ مصطفى نجا عملا بالنظام المتبع منذ عهد الدولة العثمانية كما وقع هنا فذكرلي المفتى ذلك فاخبرته بحقيقة هذه الفرقة الضالة التي تنشره فعهد الى بعض متقني اللغة الانكليزية من مسلمي بيروت بمراجعة ترجمة بعض الآيات المحرفة و بينوها له فافتى بمنع نشر الترجمة المطبوعة مع المصحف كما فعلت مشيخة الازهر في هذا العهد فمنعتها السلطة المحتلة . فأي عاقل يطالب من مشايخ الاسلام ومفتيه الاذن الرسمي بهذا الضلال لان أصحابه ينشرونه بحماية المصحف الشريف لضد ما أنزله الله تعالى لاجله ؟

﴿ ثالثتها ﴾ تشكيك دكتور انكليزي في القرآن العزيز بشبهة واهية أذاعتها جريدة السياسة المصرية في برقية هذا نصها وعنوانها لها :

رأي باحث انكليزى في نص القرآن

لندن في ٢١ فبراير - لمراسل السياسة الخاص - قال مكاتب المورننج بوست في مانشستر أن الدكتور منجانا استاذ اللغة العربية في جامعة مانشستر قد أعلن اموراً جديدة عن نص القرآن الذي اعتمده المسلمون الى اليوم فقد اكتشفت أخيراً مخطوطة مكتوبة باللغة السورية (الارامية القديمة) ذات أهمية عظيمة جدا وهى مودعة الآن بمكتبة مانشستر للفحص وتشتمل على آيات ليست موجودة في النسخة المعتمدة من القرآن والتي استعملها المسلمون منذ أجيال عديدة .

ويقول الاستاذ منجانا أنه تابع البحث عن بعض هذه الآيات في المصنفات الاسلامية فثبت له من البحث والاستقراء أن بعض هذه الآيات قد فاه بها النبي صلى الله عليه وسلم فعلا ولكنه لم يجد أثرا للآيات الاخرى حتى إن الكثيرين من رواة الاحاديث لم يدونوها في مصنفاتهم ويوجد بين المصحف الحالي والترجمة السورية القديمة عدد كبير من الاختلافات ومنها اختلاف في آيات ذات أهمية عظيمة في مسألة « القبلة »

وقال ذلك الاستاذ إن القرآن في نسخته المعتمدة الآن لم يجمعه سيدنا عثمان

الخليفة الثالث كما هو الاعتقاد العام ولكن الذي جمعه هو الحجاج في زمن الخليفة عبد الملك أي بعد سيدنا عثمان باربعين سنة . اه

(المنار) وجاءت برقية اخرى في ذلك فاهتم بعض المسلمين بهذا الخبر وظنوا أنه شبهة تستحق البحث والدفع وماهي بشيء فان المصحف الموجود بين أيدي المسلمين في مشارق الارض ومغاربها منقول نقلا متواترا عن جمهور علماء الصحابة الى هذا العصر بالحفظ في صدور الالوف ونسخ الالوف من المصاحف منذ خلافة عثمان الى هذا اليوم والحجاج لم يجمع القرآن وانما أحدث فيه النقط . فلا يؤثر في تواتره روايات علماء الحديث والقراء لبعض القراءات الشاذة ـ ومنها ماصح سنده — فكيف يؤثر فيها ترجمة رجل غير مسلم باللغة السورية القديمة أو غيرها وهو مجهول ينقل عن مجهول ، وغير ثقة في نقله ولا في ترجمته ولا في أمانته ، ومثله كمثل من يعزو الى عدوله في الدين أو السياسة أقوالا مخالفة للنصوص الدينية أو السياسية الرسمية الثابتة في قوانين الدولة ، فأي عاقل في الدنيا يسمع قول خصم يدعي على خصمه أقوالا تخالف ما ثبت عنه بما دون ثبوت القرآن الذي لم يثبت نقل شيء في العالم مثل ثبوته ؟ وأي فرق بين افتراء ذلك المترجم القديم للقرآن وبين ماافتراه بعض دعاة النصرانية في هذا العصر على النبي (ص) وعلى القرآن ؟ وسيكون لنا قول آخر في هذه المسألة اذا نشر مذيعوها تفصيلا لمباحث الدكتور منجانا فيها

المطبوعات الجديدة

﴿ تاريخ الحركة الاستقلالية الايطالية ﴾

ألقى الاستاذ محمد صبري أفندي في مدرسته الجامعة المصرية (محاضرتين) أو درسين ممتعين موضوعهما تاريخ الحركة الاستقلالية للبلاد الايطالية ثم جمعهما وطبعهما في كتاب فطبعا طبعا حسنا على ورق جيد فبلغا ست كراسات بقطع المنار

محمد صبري أفندي كاتب مؤرخ من أفراد النابتة المصرية المنقطعين للعلم والتصنيف وقد اشتهر في حلبة العلم والادب بلقب (خريج السوربون) والسوربون أشهر معهد للعلم والادب في باريس عاصمة فرنسه ، ووجه جل عنايته الى

التاريخ على الطريقة العصرية التي كان بها التاريخ الركن الركين لعلم الاجتماع والسياسة والمرشد البصير للامم في تطورها وارتقائها ولاسيما الامم التي جنت الدول المستعمرة عليها فسلبتها استقلالها ، وإن الشعوب الشرقية منها كمصر وسورية والعراق لاحوج الى الاطلاع والاعتبار بتاريخ الأمة الايطالية في هذا العهد منها الى غيرها لوجوه من الشبه بينهم و بينها ، وقد أتى الاستاذ في درسيته بخلاصة مفيدة في ذلك لا يقدر على استخلاصها من ذلك التاريخ الكبير، الا المؤرخ الخبير البصير ، والكتاب يطلب من مكتبة المنار بمصر وثمن النسخة منه ٤ قروش

(المشرع) ألقى القس بولس مسعد بضع خطب ومحاضرات في مصر وسورية وفلسطين لدعوة المسلمين فيها الى النصرانية كأمثاله من دعاة دينهم الكثيرين في جميع البلاد ثم طبعها وسماها بهذا الاسم وأرسل الينا نسخة منها لاجل الانتقاد لعلمه بأنه ذريعة لاشهارها ورغبة الكثيرين في الاطلاع عليها ، وقد سلك هذا الداعية (المبشر) الطريق الذي سلكه بعض سلفه من الجاهلين في الاستدلال على العقائد الوثنية التي مزج بها الرومانيون دين موسى وعيسى عليهما السلام بآيات من القرآن حرفوها عن مواضعها وحملوا ألفاظها على معانيهم الاصطلاحية عندهم حتى التي أخذوها من وثنية المصريين والهنود كما بينه بالتفصيل مؤلف كتاب (العقائد الوثنية في الديانة المسيحية) فزعم ان القرآن يثبت عقيدة التثليث (!!!) وأنها عين التوحيد الذي يدعو اليه مع قوله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد) الخ (! ! !) ولا حاجة الى بيان مآخذهم الوثنية بالشواهد فان قراء المنار في غنى عن ذلك بما بيناه من تفسير الآيات الكريمة التي حرفوها كما حرفوا التوراة قبلها لاجل أن يدعموا بها هذه العقائد الغريبة التي مزجوا بها توحيد الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيراجع في السور الطول — البقرة وآل عمران والنساء والمائدة — ومن المختصر المفيد في ذلك تفسيرنا لقوله تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) في أواخر سورة النساء فقد بينا فيه معنى الكلمة والروح الحقيقي واستعمال النصارى لهما وقفينا في تفسيرها بفصل في عقيدة التثليث عند البراهمة والبوذيين وقدماء المصريين والفرس وقدماء اليونان والرومان

وكون تثليث النصارى مأخوذ عن اولئك الوثنيين فليراجع القس ألأديب ومن شاء ممن سمعوا أو قرؤا كلامه ذلك (في ص ٨١- ٩٥ من جزء التفسير) وأمثاله في سائر الاجزاء ، وكذا ردودنا الاخرى على المبشرين التي كنا ننشرها في باب (شبهات النصارى وحجج الاسلام) من المنار وقد جمع بعضها في جزء مستقل وغيرها . ويجب على من ابتلى بقراءة كتبهم أو سماع جدلهم أن يطلع على أمثال هذه الردود عليهم اذا لم يكن لديه من العلم ما يدحض به شبهاتهم ويفند مزاعمهم

﴿ التهذيب في أصول التعريب ﴾

كتاب جديد مفيد للدكتور أحمد بك عيسى الطبيب العالم الشهير أودعه مباحث نفيسه في اللغة العربية من حيث أصلها وتكونها وأطوارها وأحوال أهلها واختلاف شؤونهم فيها ونسبتها الى أخواتها السامية وبلاغتها ومكانة القرآن المجيد فيها وتدوينها وخطوطها واصطلاحات كتابتها وما دخل فيها من العلوم والفنون والاصطلاحات وما طرأ عليها من التصحيف والدخيل والعامي المحرف والكلام في النقل والترجمة والاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب وغير ذلك . — والكتاب يدخل في ثلاثين باباً عقد الثامن والعشرين منه للتعريب والتاسع والعشرين في الحروف الهجاء ومقارنتها بحروف اللغات الاخرى والثلاثين لقواعد التعريب . وصفحاته ١٤٥ وقع باب التعريب فى أول الصفحة ١٢٠ منها وبحثه هو المقصود بالذات من وضع الكتاب وما قبله كالمقدمات له وان كان يطلب لذاته ومن ابوابه (٢١ باب حاجة العرب الى التعريب) وكان المناسب أن يكون من فصوله . وانما جعل بحث التعريب هو المقصود الأول من الكتاب لاشتداد الخلاف فيه بين علماء اللغة في هذه السنين الاخيرة في المجمع اللغوي الذي كان قد ألف في سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ ثم انفض في إبان الثورة المصرية بعد الحرب الكبرى وأعيد تأليفه سنة ١٣٤٠ وكان مؤلف هذا الكتاب من خيار أعضائه في الحالتين ، وهذا الكتاب يدل على مكانته من العلم والأدب والتدقيق في البحث على المنهج المصري وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر وثمنه ٢٠ قرش

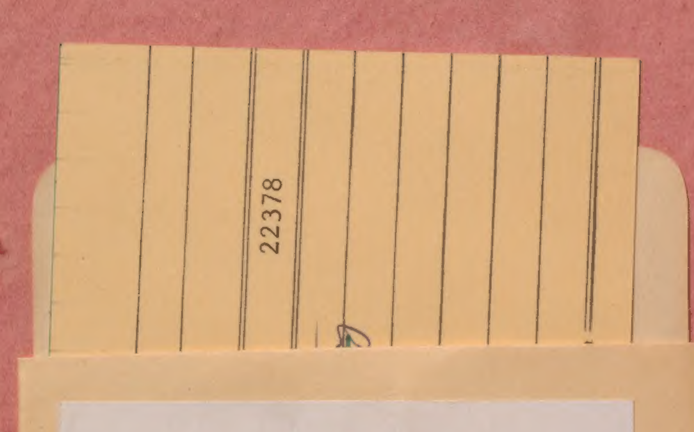
﴿ خاتمة المجلد الخامس والعشرين ﴾

نختتم المجلد الخامس والعشرين بحمد الله والثناء الحسن على توفيقه إيانا وقداره لنا على إتمامه ، على قصر الساعد ، وعدم المساعد ، ومطل أكثر المشتركين ، كما هو شأن أكثر المسلمين ، في التقصير في الشؤون العامة ولا سيما خدمة العلم والدين ، وقد تأخر أول السنة ثلاثة أشهر أخرى بالاسباب التى تأخر بها ماقبله وزيادة هي نقل المطبعة والاسرة والادارة من مكان كان توسيع العمل فيه متعذرا الى دار فسيحة كثيرة المرافق فشغلنا بذلك شهرين كاملين سيتلوهما شهر آخر أو أكثر لتوسيع المطبعة وادارتها بالكهرباء وتكثير عمالها ، وإعدادها لسرعة إنجاز أعمالها ، وقد كنا عاجزين عن ذلك في الدار الاولى اضيقها علينا وبعدها عن بهرة البلد ومراكز العمل وسهولة المواصلات التي توفر الوقت وتيسر السبيل للاعوان على العمل - فالمرجو من فضل الله تعالى ان يصدر المنار في داره الجديدة في أوقاته ، وأن يكون أحسن طبعا ، وأكثر نفعا

ولدينا من المواد للمجلد السادس والعشرين رسالة لشيخ الاسلام ابن تيمية في الانكار على مشايخ الطريقة البطائحية الرفاعية في دجلهم وخرافاتهم وأزيائهم المخالفة للسنة وادعائهم دخول النار ومناظرتهم في ذلك وتحديهم لدى حكومة الشام وظفره بهم واستتابته إياهم وهي قصة في واقعة حال جامعة بين الفائدة والفكاهة — ولدينا مقال مطول لبعض كبار الكتاب فى الرد على متفرنج من دعاة الالحاد المقلدين وبيان جهلهم بحال أوربة الدينية . وسنفيض نحن في الرد على هؤلاء الملاحدة وعلى محاولي هدم الاسلام باسم الاسلام من البهائية وأحمدية المسيحية القاديانية ، فقد قويت دعوة هؤلاء كلهم بمصر وغيرها ، ويؤيدهم بعض الكتاب في الجرائد والمجلات المشهورة .

ونسأله تعالى ان يوفقنا في مستقبل عمالنا لخير ماوفقنا لمثله في ماضيه من مقاومة الكفر والالحاد ، والفسق والفساد ، المفسدة للارواح والاجساد ، وان يهدينا في كل شؤوننا سبيل الرشاد ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ انتهى ﴾


22378

